





لجنة التأليف والترجمة والنشر

كِتَابُ  
الْحَقِّدِ الْفَرِيدِ  
تأليف

أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته

ورتب فهرسه

أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري

الجزء الرابع

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م

1913

1914



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الجزء الرابع من القدر القريب

### (١) فرش كتاب المجنب في الأجوبة

قال أحمد بن [محمد بن] عبد ربه: قد مضى قولنا في كلام الأعراب خاصة،  
ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الأجواب التي هي أصعب الكلام كله متركباً،  
وأعزّه مطلباً، وأغمضه مذهباً، وأضيقه مسلكاً؛ لأن صاحبه يفجّل مُناجاة  
الفكرة، وأستعمال القرينة؛ يروم في بدية، نقض ما أئرم في روية<sup>(٢)</sup>؛ فهو  
كمن أخذت عليه الفجّاج، وسدّت عليه المَخارج؛ قد تعرّض للأسنة،  
وأستهدف للرامي؛ لا يذري ما يُقرّع به فيتأهب له، ولا ما يفجّوه من خصمه  
فيمقرعه بمثله. ولا سيما إذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بزمامه،  
بعد أن روى فيه واحتفل، وجمع خواطره واجتهد، وترك الرأي يغبّ حتى  
يختمر؛ فقد كره هو الرأي الفطير، كما كرهوا الجواب الدبري<sup>(٣)</sup>؛ فلا يزال  
في نسج الكلام وأستثناسه، حتى إذا اطمأن شارد، وسكن نافر، صكّ  
به خصمه حجة واحدة؛ ثم إذا قيل له: أجِب ولا تخطئ، وأسرع ولا تبطل،  
تراه يجاب من غير أناة ولا أستعداد، يطبق التفاصيل، وينفذ [إلى] القتال؛

(١) زيد في قبل هذا العنوان: «بسم الله الرحمن الرحيم». وصلى الله على سيدنا

محمد وآله وسلم.

(٢) في بعض الأصول: «في بديةته». . . . في رويته. وهو تحريف.

(٣) الرأي الدبري: هو الذي يستنج أخيراً بعد قوافل الحاجة.

كما يُرْمَى الْجَنْدَلُ بِالْجَنْدَلِ ، وَيُقَرَّعُ الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ ؛ فَيَحْتَلُّ بِهِ عُرَاهُ ، وَيَنْقُضُ بِهِ سِرَاتِرَهُ ، وَيَكُونُ جَوَابُهُ عَلَى كَلَامِهِ <sup>(١)</sup> ، كَسَحَابَةٍ لَبَدَتْ عَجَاجَةً . فَلَا شَيْءَ أَعْضَلُ مِنَ الْجَوَابِ الْحَاضِرِ ، وَلَا أَعَزُّ مِنَ الْخَصْمِ الْأَلَدِّ ، الَّذِي يَقَرَّعُ صَاحِبَهُ ، وَيَضْرَعُ مُنَازَعَهُ \* بقول كَمِثْلِ الْقَارِ فِي الْخَطْبِ الْجَزَلِ \*

قال أبو الحسن : أَمْرَعُ النَّاسِ جَوَابًا عِنْدَ الْبَيْدِيَةِ قَرِيشٌ ثُمَّ بَقِيَّةُ الْعَرَبِ ؛ وَأَحْسَنُ الْجَوَابِ كُلُّهُ مَا كَانَ حَاضِرًا مَعَ إصَابَةِ مَعْنَى وَإِيجَازِ لَفْظٍ . وَكَانَ يُقَالُ : اتَّقُوا جَوَابَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ . وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَمْرِو بْنِ الْأَهْتَمِ : أَخْبِرْنِي عَنِ الزُّبْرِقَانِ ؛ قَالَ : مُطَاعٌ فِي أَدَارِيهِ <sup>(٢)</sup> ، شَدِيدٌ الْعَارِضَةُ ، مَانِعٌ لِمَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ . قَالَ الزُّبْرِقَانُ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ عَلِمْتُ مَتَى أَكْثَرُ مِنْ هَذَا ، وَلَكِنْ حَسَدَنِي . قَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ : أَمَّا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَزَمِرٌ <sup>(٣)</sup> .  
المُرْوَةُ ، ضَيْقُ الْعَطَنِ <sup>(٤)</sup> ، أَحَقُّ الْوَالِدِ ، لَثِمُ الْخَلِّ ؛ [ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ] مَا كَذَبْتُ فِي الْأَوَّلَى ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْآخِرَى ؛ رَضِيتُ عَنْ ابْنِ عَمِّي فَقُلْتُ فِيهِ أَحْسَنَ مَا فِيهِ وَلَمْ أَكْذِبْ ، وَسَخِطْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ أَقْبَحَ مَا فِيهِ وَلَمْ أَكْذِبْ . فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا .

لأبي الحسن  
في أمرع  
الناس جوابا .  
وكلام في جواب  
عثمان . ثم حديث  
ابن الأهم  
والزبرقان مع  
الرسول صلى  
الله عليه وسلم

#### ١٠ جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه

لَمَّا قَدِمَ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، أَكْرَمَهُ وَقَرَّبَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ وَقَضَى عَنْهُ دَيْنَهُ <sup>(٥)</sup> ، ثُمَّ قَالَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ : وَاللَّهِ إِنَّ عَلِيًّا [ غَيْرَ ] حَافِظَ

لعقيل مع معاوية  
في تفضيل أخيه  
علي

- (١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « أَكْثَرُ كَلَامِهِ » .  
(٢) يَرِيدُ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ . وَفِي : « لِجَابَتِهِ » .  
(٣) زَمِرُ الْمُرْوَةِ : قَلِيلُهَا . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « لَزَمِنَ » .  
(٤) الْعَطَنُ لِلْإِيلِ ، كَالْوَطَنِ لِلنَّاسِ ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَى مَبْرَكِهَا حَوْلُ الْأَرْضِ . وَيَكْنَى بِضَيْقِهِ عَنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ .

- (٥) كَانَ عَقِيلٌ قَدْ خَرَجَ إِلَى مُعَاوِيَةَ مَغَاضِبًا لِأَخِيهِ عَلِيٍّ ، وَذَلِكَ حِينَ سَأَلَ عَقِيلُ أَخَاهُ عَلِيًّا أَنْ يَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنَهُ ، فَأَمَلَهُ عَلَى حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْهِ عَطَاؤُهُ ، فَظَنَّ عَقِيلٌ أَنَّهُ يَسُوفُهُ ، فَتَرَكَ وَذَهَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ . ( انْظُرْ أَسَدَ الْغَابَةِ ج ٣ ص ٤٢٣ وَشَرْحَ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ج ٣ ص ٨٤ ) .

لك ، قطع قرابتك وما وصلك ولا أصطنعك . قال له عقيل : والله لقد أجزل  
المطية وأعظمها ، ووصل القرابة وحفظها ، وحسن ظننه بالله إذ ساء به ظنك ،  
وحفظ أمانته وأصلح رعيته إذ خنتم وأفسدتم وجرتكم ، فاكفف لا أبا لك ،  
فإنه عما تقول بمعزل . وقال له معاوية يوماً : أبا يزيد ، أنا لك خير من أخيك  
علي . قال : صدقت ، إن أخي آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على  
دينك ، فأنت خير لي من أخي ، وأخي خير لنفسه منك <sup>(١)</sup> . وقال له ليلة  
الهرير <sup>(٢)</sup> : أبا يزيد ، أنت الليلة معنا ؛ قال : نعم ، ويوم بكر كنت معكم <sup>(٣)</sup> .

بين عقيل  
ورجل اتهمه  
بخیانة أخيه  
ثم بينه وبين  
معاوية

وقال رجل لعقيل : إنك لخائنٌ حيث تركت أخاك وترغب إلى معاوية .  
قال : أخون متى والله من سفك دمه بين أخي وابن عمي أن يكون أحدهما  
أميراً . ودخل عقيل على معاوية ، وقد كف بصره ، فأجلسه معاوية على  
سريره ، ثم قال له : أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم . قال : وأنتم  
معشر بني أمية تصابون في بصائركم . ودخل عتبة بن أبي سفيان ، فوسّع له  
معاوية بينه وبين عقيل ، فجلس بينهما ، فقال عقيل : من هذا الذي أجلس  
أمير المؤمنين بيني وبينه ؟ قال : أخوك وابن عمك عتبة . قال : أما إنه إن  
كان أقرب إليك متى إلى لأقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم منك ومنه ،  
وأنتما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض ونحن سماء . قال عتبة : أبا يزيد ،  
أنت كما وصفت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فوق ما ذكرت ، وأمير  
المؤمنين عالم بحقائقك ، ولك عندنا مما تحب أكثر مما لنا عندك مما نسكره .

(١) في البيان والتبيين ( ج ٢ ص ١٧٤ ) : « أخي خير لي في ديني وأنت خير لي  
في دنياي » .

(٢) ليلة الهرير ، من ليالي صفين ، استمر فيها القتال بين المسلمين ، وقتل فيها على يده  
خلفاء كثيرون . وكان ذلك ليلة الجمعة ، وبعدها رقت المصاحف ، ثم كان التحكيم .  
( انظر مروج الذهب للسعودي ) .

(٣) لم يسلم عقيل إلا عام الحديبية . وقد أسر يوم بدر مع من أسر من المشركين .  
( انظر السيرة لابن هشام والاسنياع ) . يعرض بهم مشبهام موقفهم من علي بموقفهم  
من الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر .

ودخل عقيل على معاوية ، فقال لأصحابه : هذا عقيل عمه أبو لهب . قال له عقيل : وهذا معاوية عمته حمالة الحطب ؛ ثم قال : يا معاوية ، إذا دخلت النار فأعدِل ذات اليسار ، فإنك ستجد عمي أبا لهب مفترشاً عمّتك حمالة الحطب ، فانظر أيهما خير : الفاعلُ أو المفعول به ؟ وقال له [معاوية] يوماً : ما بين الشَّيق في رجالكم يا بني هاشم ! قال : لسنّته في نسائك أمين يا بني أمية . ٥ وقال له معاوية يوماً : والله إن فيكم لخصلة ما تُعجِبني يا بني هاشم ؛ قال : وما هي ؟ قال : لين فيكم ؛ قال : لين ماذا ؟ قال : هو ذاك <sup>(١)</sup> ؛ قال : إيانا تُعير يا معاوية ! أجل والله ، إن فينا لأميناً من غير ضعف ، وعزّاً من غير جَبَروت ؛ وأما أنتم يا بني أمية ، فإن إيمانكم غدر ، وعزكم كفر ؛ قال معاوية : ما كل هذا أردنا يا أبا يزيد . قال عقيل :

١٠ لذي اللب قبل اليوم ما تُقرّع العصا وما علّم الإنسان إلا ليعلمنا  
قال معاوية :

وإن سفاه الشيخ لا حلّ بعده <sup>(٢)</sup> وإن الفتى بعد السفاهة يحلّ

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب : لم جفوتُمونا يا أبا يزيد ؟ فأنشأ يقول :

١٥ إلى أمرؤ منى التكرم شيمة إذا صاحبي يوماً على الهون أضمرّا

ثم قال : وأيم الله يا معاوية ، لن كانت الدنيا مهّدتك مهادها ، وأظنّك ١٣٤  
بجذافيرها <sup>(٣)</sup> ، ومدّت عليك أطناب سلطانها ، ما ذاك بالذي يزيدك منى رغبة ، ولا تخشعاً لرهبة . قال معاوية : لقد نعتها أبا يزيد نعتاً هَسَّ له قلبي ، وإني لأرجو أن يكون الله تبارك وتعالى ما ردّاني برداء ملكها ، وحبّاني بفضيلة عيشها ، إلا لكرامة أذخرها لي ؛ وقد كان داود خليفة ، وسليمان ملكاً ، وإنما هو ٢٠  
المثال يُحتذى عليه ، والأمور أشباه ؛ وأيم الله يا أبا يزيد ، لقد أصبحت علينا

(١) أي لين الحديث والكلام . (٢) في بعض الأصول : « عنده » .

(٣) الجذافير : الأعالي والنواحي ، أي أقبلت عليك بأسرها . وفي بعض الأصول :

« جذافير أهلها » ، وفي بعض آخر : « جذافير ملكها » .

كراماً ، وإلينا حبيباً ، وما أصبحتُ أضمر لك إساءة .

ويقال إن امرأة عقيلاً ، وهي بنت <sup>(١)</sup> عتبة بن ربيعة خالة معاوية ، قالت لعقيلاً : يا بني هاشم ، لا يحبك قلبى أبداً ، أين أبى ؟ أين أخى ؟ أين عمى <sup>(٢)</sup> ؟ كأن أعناقهم أباريقُ فضة . قال عقيلاً : إذا دخلت جهنم فخذى على شمالك .

جواب ابن عباس رضى الله عنهما لمعاوية وأصحابه

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس ، وكان جريئاً على معاوية ، حَقَّاراً له ، فبلغه عنه بعض ما غمَّه ، فقال معاوية : رحم الله أبا سفيان والعبَّاس ، كانا صَفِيَّين دون الناس ، فَحَفِظْتُ المِيتَ فى الحَيِّ والحَيِّ فى المِيتِ ؛ أَسْتَعْمَلُ عَلَى يَاسِ بْنِ عَبَّاسٍ عَلَى البَصْرَةِ وَأَسْتَعْمَلُ أَخَاكَ عُبَيْدَ اللَّهِ عَلَى النِّينِ ، وَأَسْتَعْمَلُ أَخَاكَ [تَمَاماً] عَلَى المَدِينَةِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا كَانَ هَنَاتِكُمْ بَمَا فى أَيْدِيكُمْ ، وَلَمْ أَكْشِفْكُمْ عَمَّا وَعَتَ غَرَائِرُكُمْ ، وَقُلْتُ : آخِذِ الْيَوْمَ وَأَعْطِ غَدًا مِثْلَهُ ؟ وَعَلِمْتُ أَنَّ بَدْءَ اللَّوْمِ يَضُرُّ بِعَاقِبَةِ الْكَرَمِ ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَخَذْتُ بِحُلَاqِيمِكُمْ ، وَقِيَّاتِكُمْ مَا أَكَلْتُمْ ؛ [و] لَا يَزَالُ يَبْلُغُنِي عَنْكُمْ مَا تَبَرَّكُ <sup>(٣)</sup> بِهِ الْإِبِلُ ؛ وَذُنُوبِكُمْ إِلَيْنَا أَكْثَرُ مِنْ ذُنُوبِنَا إِلَيْكُمْ : خَذَلْتُمْ عُثْمَانَ بِالْمَدِينَةِ ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَلِ ، وَحَارَبْتُمُونِي بِصَفِيَّينَ ؛ وَلَعَمْرِي لِبَنُو تَيْمٍ وَعَدَى <sup>(٤)</sup> أَعْظَمُ ذُنُوبًا مِنَّا إِلَيْكُمْ ، إِذْ صَرَفُوا عَنْكُمْ هَذَا الْأَمْرَ ، وَسَنُتُوا فِيكُمْ هَذِهِ الشُّنَّةَ ؛ فَحَقٌّ مِنِّي أَغْضَى الْجُفُوفَ عَلَى الْقَدَى ، وَأَسْحَبَ الذُّيُولَ عَلَى الْأَذَى ، وَأَقُولُ : لَعَلَّ اللَّهَ وَعَسَى ! مَا تَقُولُ يَا بَنَ عَبَّاسٍ ؟ قَالَ : فَتَكَلَّمَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَانَا وَأَبَاكَ ، كَانَا صَفِيَّينَ مُتَقَارِضِينَ <sup>(٥)</sup> ، لَمْ يَكُنْ لِأَبَى مِنْ مَالٍ إِلَّا مَا فَضَّلَ

(١) هي فاطمة (انظر البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٤) .

(٢) تشير إلى مقتل أبيها عتبة بن ربيعة وأخيها الوليد وعمها شيبه بيد عبيدة بن الحارث وعلى وحجرة يوم بدر (انظر السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٢٧٧ طبعة الحلبي) .

(٣) فى بعض الأصول : « ما لا تبرك » .

(٤) بنو تيم : قوم أبى بكر . وبنو عدى : قوم عمر بن الخطاب .

(٥) كذا فى بعض الأصول . والقارض : المجازاة ، وفى سائر الأصول : « متفاوضين » ، والمفاوضة : المشاركة .

أباك<sup>(١)</sup>، وكان أبوك كذلك لأبي، ولكن من هنا أبك بإخاء أبي أكثر من  
 هنا أبي بإخاء أبيك؛ نصر أبي أبك في الجاهلية، وحقن دمه في الإسلام؛ وأما  
 استعماله على إيانا، فلنفسه دون هواه، وقد استعملت أنت رجالاً لهواك لاليفسك،  
 منهم ابن الحضرمي<sup>(٢)</sup> على البصرة، فقتل؛ وأبى بشر بن أرطاة على اليمن، نخان؛  
 وحبيب بن مرة<sup>(٣)</sup> على الحجاز، فرد؛ والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة،  
 فحُصِب؛ ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا؛ وليس الذي يبلغك عنا بأعظم  
 من الذي يبلغنا عنك، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقها،  
 ولو وضع أدنى عذرتنا إليكم على مائة سيئة لحسنها؛ وأما خذلنا عثمان، فلو لمنا  
 نصره لنصرناه؛ وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل، فعلى خروجهم مما دخلوا فيه؛  
 وأما حربنا إياك بصفيين، فعلى تركك الحق وأدعائك الباطل؛ وأما إغراؤك  
 إيانا بتيمة وعددي، فلو أردناها ما غلبونا عليها، وسكت. فقال في ذلك أبى  
 أبى لهب:

كان ابن حرب عظيم القدر في الناس حتى رماه بمساة فيه ابن عباس  
 ما زال يهبطه طورا ويضع يده حتى استقاد وما بالحق من باس  
 لم يتركن خطئة مما يذللها إلا كواه بها في فزوة الراس  
 وقال ابن أبي مليكة: ما رأيت مثل ابن عباس! إذا رأيته رأيت أضح  
 الناس، وإذا تكلم فأعرب الناس<sup>(٤)</sup>، وإذا أفتى فأفقه الناس، ما رأيت أكثر  
 صوابا، ولا أحضر جوابا من ابن عباس. ابن الكلبي قال: أقبل معاوية يوما  
 على ابن عباس، فقال: لو وليتمونا ما أتيتم إلينا ما أتينا إليكم من الترحيب  
 والتقريب، وإعطائكم الجزيل، وإكرامكم على القليل، وصبري على

لابن أبي مليكة  
 في ابن عباس  
 ثم عود إلى  
 ما كان بين ابن  
 عباس ومعاوية

(١) في بعض الأصول: «لأبيك».

(٢) لعنه عبد الله بن عمرو بن الحضرمي. (انظر الطبري).

(٣) لعنه حبيب بن كرتة، وكان من معاصري معاوية، ورسول الأمويين إلى يزيد.

(٤) انظر الطبري والأغاني ج ١ ص ٢٥ طبعة دار الكتب المصرية.

(٥) أعرب الناس، أي أبينهم وأفصحهم.

ما صبرت عليه منكم ؛ وإني لا أريد أمراً إلا أظلمات صدره<sup>(١)</sup> ، ولا آتي  
معروفاً إلا صغرت خطره ، وأعطيتكم العطية فيها قضاء حقوقكم فتأخذونها  
مُتَكَارِهِينَ عليها ، تقولون : قد نقص الحق دون الأمل ؛ فأى أمل بعد ألف ألف  
أعطيتها الرجل منكم ، ثم أكون أسيراً بإعطائها منه بأخذها . والله لئن أخذت  
لكم في مالي ، وذلت لكم في عرضي ، أرى أنخدعي كرمًا ، وذلي حِلماً .  
ولو وليتمونا رضىنا منكم بالانصاف ، ولانسألكم أموالكم ، لعلنا بحالنا  
وحالكم ، ويكون أبغضها إلينا وأحبها إليكم أن نُفْقِيَكُمْ . فقال ابن عباس :  
لو ولينا أحسن المواساة ، وما ابتلينا<sup>(٢)</sup> بالأثرة ، ثم لم نقسم الحى ، ولم نشتم الميت ؛  
ولستم بأجود منّا كفاً ، ولا أكرم أنفسنا ، ولا أضون لأعراض المروءة ؛  
ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدنيا ، وأعطى في الحق منكم في الباطل ،  
وأعطى على التقوى منكم على الهوى ؛ والقسم بالسوية والعدل في الرعية يأتیان  
على المنى والأمل . ما رضاكم منّا بالكفاف ! فلو رضىتم [ به ] منّا لم ترخص  
أنفسنا به لكم ، والكفاف رضا من لا حق له ، فلا تبخلونا حتى تسألونا ،  
ولا تلفظونا حتى تدوقونا .

١٥. أبو عثمان الحزامي قال : اجتمعت بنو هاشم عند معاوية فأقبل عليهم ،  
فقال : يا بني هاشم ، والله إن خيرى لكم لممنوح ، وإن باني لكم لمفتوح ،  
فلا يقطع خيرى عنكم علة ، ولا يوصد باني دونكم مسألة ، ولما نظرت في  
أمرى وأمركم رأيتُ أمراً مختلفاً ؛ إنكم لترون أنكم أحق بما في يدي منى ،  
وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم ، قلتم : أعطانا دون حقنا ، وقصّر بنا عن  
قدرنا ، فصيرت كالمسلوب ، والمسلوب لا حمد له ؛ وهذا مع إنصاف قائلكم ،  
٢٠. وإسعاف سائلكم . قال : فأقبل عليه ابن عباس فقال : والله ما ممحنتنا شيئاً

(١) الصدر . الصدور من الماء . وأظلمات صدره . أى جعلتموه حقيراً لا يفتي الوارد

ولا يبل ريقاً ولا يشفي ظمناً .

(٢) في بعض الأصول : « وامتننا » .

حتى سألناه ، ولا فتحت لنا باباً حتى قرعناه ، ولئن قطعت عنا خيرك لله  
أوسع منك ، ولئن أغلقت دوننا بابك لنسكن أنفسنا عنك . وأما هذا المال ،  
فليس لك منه إلا ما الرجل من المسلمين ، ولنا في كتاب الله حَقان : حَقٌّ في  
الغنيمة ، وحَقٌّ في الفئ (١) ، فالغنيمة ما غلبنا عليها ، والفئ ما أجتنيناه . ولولا  
حَقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر ، يحمله خُف ولا حافر ، أ كَفَاكَ أم أزيدك ؟  
قال : كفاي ، فإنك لا تُهرِّ ولا تُبج (٢) .

لابن عباس يفخر  
على معاوية بقومه

وقال يوماً معاوية ، وعنده ابن عباس : إذا جاءت هاشمٌ بقدِيمها وحَدِيثها ،  
وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها ، وبنو أسد بن عبد العزى بِرِفادتها (٣)  
ودياتها ، وبنو عبد الدار بِحجابها ولوائها ، وبنو مخزوم بأموالها وأفعالها ، وبنو تميم  
بصديقها وجوادها (٤) ، وبنو عدى بفاروقها (٥) ومُتفكرها ، وبنو سَهْم بآرائها ودهائها ،  
وبنو مُجج بِشرفها وأنفتها ، وبنو عامر بن لُؤي بفارسها وقريعها (٦) ، فمن ذا  
يُجلى في (٧) مضمارها ، ويَجْرى إلى غايتها ؟ ما تقول يا ابن عباس ؟ قال : أقول :  
ليس حتى يَفْخروا بأمرٍ إلا وإلى جَنبهم من يَشْرِكهم ، إلا قُرَيْشاً فإنهم  
يَفْخرون بالنبوة التي لا يُشاركون فيها ، ولا يساوون بها ، ولا يذفعون عنها ؛

- (١) الغنيمة : ما أوجف عليه المسلمون بخيلهم وركابهم من المشركين . والفئ : ما أفاء الله من أموال المشركين على المسلمين بلا حرب .  
(٢) في بعض الأصول : « لا تفرو لا تشج » . وهو تحريف .  
(٣) في بعض الأصول : « بواندها » وهو تحريف . ثم انظر الجزء الثالث من هذه الطبعة (ص ٣١٤) حيث عرض المؤلف لذكر ما كان لهذه القبائل في الجاهلية مع ملاحظة أن بين ما سبق هنا وما سبق هناك خلافاً .  
(٤) يريد بصديقها : أبا بكر . وبجوادها : عبيد الله بن معمر القرشي ، وله في الجود أخبار (انظر الجزء الأول من هذه الطبعة ص ٣٤٧ — ٣٤٨) .  
(٥) يريد بفاروقها : عمر بن الخطاب . وعفكرها : زيد بن عمرو بن نفيل ، وكان زيد أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من أكل ذبائحهم . وله في ذلك أخبار . (انظر الأغاني ج ٣ ص ١٢٣ — ١٣٢ طبعة دار الكتب المصرية) .  
(٦) القريع : السيد والرئيس . وكان عمرو بن عبدود فارس بن عامر وسيدها ، ثم كان من بعده ابنه سهيل بن عمرو . (انظر الأغاني ج ١٩ ص ٧٧ طبعة بلاق والسيرة لابن هشام) .  
(٧) في بعض الأصول : « يجمل » مكان يجلى في .



وأشهد أن الله لم يجعل محمداً من قريش إلا وقريش خير البرية ، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم ، ما تريد أن تفخر عليكم إلا بما تفخرون به ، إن بنا فتوح الأمر و بنا يُختم ، ولك مُلك مُعجل ، ولنا مُلك مُؤجل ، فإن يكن مُلككم قبل مُلكنا فليس بعد مُلكنا مُلك ، لأننا أهل العاقبة ،  
والعاقبة للمتقين .

بين ابن عباس  
وعمر بن العاص  
في الحج ثم في  
موسم من مواسم  
العرب

أبو مخنف قال : حج عمرو بن العاص فمرَّ بعبد الله بن عباس فحَسَدَهُ مكانه وما رأى من هَيْبَةِ النَّاسِ لَهُ وَمَوْقَعِهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، فقال له : يا ابن عباس ، مالك إذا رأيتني وليتني القَصْرَةَ<sup>(١)</sup> ، وَكَأَنَّ بَيْنَ عَيْنَيْكَ دَبْرَةٌ ، وإذا كنت في مَلَأَ مِنَ النَّاسِ كُنْتُ الْهُوَاهُ<sup>(٢)</sup> الْهُمَزَةُ ! فقال ابنُ عباس : لأنك من اللئام الفجرة ، وقريش الكرام البررة ، لا يَنْطِقُونَ بِبَاطِلٍ جَهْلَوهُ ، ولا يَكْتُمُونَ حَقًّا عَلِمُوهُ ، وهم أعظمُ الناسِ أَحْلَامًا ، وأرفعُ الناسِ أَعْلَامًا . دخلت في قريش ولست منها ، فأنت الساقط بين فراشين ، لا في بني هاشم رَحْلُكَ ، ولا في بني عبد شمس راحِلَتُكَ ، فأنت الأثيم الزنيم<sup>(٣)</sup> ، الضَّالُّ المُضِلُّ ، كَمَلَكَ مُعَاوِيَةُ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ ، فأنت تَسْطُو بِحِلْمِهِ وَتَسْمُو بِكَرَمِهِ . فقال عمرو : أما والله إني لَمَسْرُورٌ بِكَ ، فهل يَنْفَعُنِي عِنْدَكَ ؟ قال ابنُ عباس : حيث مال الحقُّ مِلْنَا ، وحيث سَلَكَ قَصَدْنَا . المدائني قال : [ قام ] عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب ، فأطرى مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ وَبَنِي أُمِيَّةَ [ وَتَنَاوَلَ بَنِي هَاشِمَ ] ، وَذَكَرَ مَشَاهِدَهُ بِصِفِّينَ ، وَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ ، فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى عَمْرٍو ، فَقَالَ : يَا عَمْرٍو ، إِنَّكَ بَعَثْتَ دِينَكَ مِنْ مُعَاوِيَةَ ، وَأَعْطَيْتَهُ مَا بِيَدِكَ ، وَمَتَّاعَكَ مَا بِيَدِ غَيْرِكَ ، وَكَانَ الَّذِي أَخَذَ مِنْكَ أَكْثَرَ مِنَ الَّذِي أَعْطَاكَ ، وَالَّذِي أَخَذَتْ مِنْهُ دُونَ الَّذِي أَعْطَيْتَهُ ، حَتَّى لَوْ كَانَتْ نَفْسُكَ فِي يَدِكَ أَلْقَيْتَهَا ، وَكُلُّ رَاضٍ بِمَا أَخَذَ وَأَعْطَى ، فَلَمَّا صَارَتْ مَصْرُوفُ فِي يَدِكَ

(١) القصرة : أصل العنق والرقبة .

(٢) الهواهة : الأحمق .

(٣) الزنيم : الدعي .

كَدَّرَهَا عَلَيْكَ بِالْعَذْلِ<sup>(١)</sup> وَالتَّقْصِ<sup>(٢)</sup>، وَذَكَرْتَ مَشَاهِدَكَ بِصَفِّينَ، فَوَاللَّهِ مَا ثَقُلْتُ عَلَيْنَا [يَوْمئِذٍ] وَطَأْتِكَ، وَلَقَدْ كُشِفَتْ فِيهَا عَوْرَتُكَ، وَإِنْ كُنْتَ فِيهَا لَطْوِيلَ اللِّسَانِ، قَصِيرَ السِّنَانِ، آخِرَ الْخَيْلِ إِذَا أَقْبَلْتُ، وَأَوَّلَهَا إِذَا أَدْبَرْتُ، لَكَ يَدَانِ: يَدٌ لَا تَبْسُطُهَا إِلَى خَيْرٍ وَأُخْرَى لَا تَقْبِضُهَا عَنْ شَرٍّ؛ وَلِسَانٌ غَادِرٌ<sup>(٣)</sup> ذُو وَجْهَيْنِ؛ [وَوَجْهَانِ]: وَجْهٌ مُوحَشٌ، وَوَجْهٌ مُؤَنَسٌ؛ وَاعْمُرِي إِنْ مِنْ بَاعِ دِينَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ، لِحُرَى أَنْ يَطُولَ عَلَيْهَا نَدْمُهُ. لَكَ بَيَانٌ<sup>(٤)</sup> وَفِيكَ خَطْلٌ، وَلَكَ رَأْيٌ وَفِيكَ نَسْكَدٌ، وَلَكَ قَدَرٌ وَفِيكَ حَسَدٌ، وَأَصْغَرَ عَيْبَ فِيكَ أَعْظَمُ عَيْبٍ فِي غَيْرِكَ. فَأَجَابَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ مَا فِي قُرَيْشٍ أَثْقَلُ عَلَى مُسْئَلَةٍ، وَلَا أَمْرٌ جَوَابًا مِنْكَ، وَلَوْ اسْتَطَعْتُ إِلَّا أَجِيبَكَ لَفَعَلْتُ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَبِيعْ دِينِي مِنْ مُعَاوِيَةَ، وَلَكِنْ بَعَثَ اللَّهُ نَفْسِي، وَلَمْ أَنْسَ نَصِيحِي مِنَ الدُّنْيَا؛ وَأَمَّا مَا أَخَذْتُ مِنْ مُعَاوِيَةَ ١٠ وَأَعْطَيْتُهُ، فَإِنَّهُ لَا تَعْلَمُ الْعَوَانَ الْخِمْرَةَ<sup>(٥)</sup>؛ وَأَمَّا مَا أَتَى إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي مِصْرَ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُغَيِّرْنِي لَهُ؛ وَأَمَّا خِفَّةُ وَطْأَتِي عَلَيْكُمْ بِصَفِّينَ، فَلِمَ اسْتَشَقَلْتُمْ حَيَاتِي وَأَسْتَبْطَأْتُمْ وَفَاتِي؛ وَأَمَّا الْجُبْنُ، فَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشَ أَتَى أَوَّلُ مَنْ يُبَارِزُ، وَأَمْرٌ مِنْ يُنَازِلُ؛ وَأَمَّا طَوْلُ لِسَانِي، فَإِنِّي كَمَا قَالَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ<sup>(٦)</sup> لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١٥

لِسَانِي طَوِيلٌ فَاحْتَرَسَ مِنْ شِدَاثَتِهِ<sup>(٧)</sup> عَلَيْكَ وَسَمِعْتِي مِنْ لِسَانِي أَطْوَلُ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ وَنَثَرِ الدَّرَرِ لِلْأَبْنِيِّ فِي السَّكَامِ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ: «بِالْعَزْلِ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ. إِذِ الْمَعْرُوفُ أَنَّ عَمْرُو بْنَ وَالِيَا عَلَى مِصْرَ حَتَّى مَاتَ. (انْظُرْ مَرْجِعَ الذَّهَبِ).

(٢) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ٢ ص ١٦٠) وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ وَالتَّنْفِيزِ.

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: «غُرُورٌ».

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: «لِسَانٌ».

(٥) الْعَوَانُ مِنَ النِّسَاءِ: الَّتِي كَانَ لَهَا زَوْجٌ. وَقِيلَ هِيَ الثَّيِّبُ. أَيْ أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَزَوَّجَتْ تَحْسَنُ الْقَنَاقَ بِالْخَارِ. وَالثَّلْثُ يَضْرِبُ لِلْمَجْرِبِ الْعَارِفِ بِأَمْرِهِ.

(٦) هُوَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْخَزْرَمِيُّ، أَخُو خَالِدٍ. (انْظُرِ الْاِسْتِيعَابَ وَمَعْجَمَ الشُّعْرَاءِ لِلْعَرِزْبَانِيِّ).

(٧) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْاِسْتِيعَابِ وَمَعْجَمِ الشُّعْرَاءِ. وَالشِّدَاةُ: الْحَدَّةُ. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «شِبَاةٌ». وَشِبَاتُ كُلِّ شَيْءٍ: حَدُّهُ.

وَأَمَّا وَجْهائى وَلِسَانائى ، فَإِنِّى أَلْقِى كُلَّ ذِي قَدَرٍ بِقَدَرِهِ ، وَأَزْمِى كُلَّ نَاجٍ بِحِجْرِهِ ، فَمَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ كَفَانِى نَفْسَهُ ، وَمَنْ جَهِلَ قَدْرَهُ كَفَيْتُهُ نَفْسِي .  
وَلَعَمْرِي مَا لِأَحَدٍ مِنْ قُرَيْشٍ مِثْلُ قَدْرِكَ مَا خِلا مُعَاوِيَةَ ، فَمَا يَنْفَعُنِي ذَلِكَ عِنْدَكَ؟ وَأَنْشَأَ عَمْرُو يَقُولُ :

بَنِي هَاشِمٍ مَالِي أَرَاكُمْ كَأَنَّكُمْ بَنِي الْيَوْمِ جُهَالٌ وَلَيْسَ بِكُمْ جَهْلٌ  
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي جَسُورٌ عَلَى الْوَعَى سَرِيعٌ إِلَى الدَّاعِي إِذَا كَثُرَ الْقَتْلُ  
وَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو نَزَالٍ ، طَبِيعَةٌ جُبِلْتُ عَلَيْهَا ، وَالطَّبَاعُ هُوَ الْجَبِلُ (١)  
وَأَنِّي فَصَلْتُ الْأَمْرَ بَعْدَ اشْتِبَاهِهِ بِدُومَةٍ إِذْ أَعْيَا عَلَى الْحَكَمِ الْفَضْلُ (٢)  
وَأَنِّي لَا أَعْمِيسُ بِأَمْرِ أُرِيدُهُ وَأَنِّي إِذَا عَجَجْتُ بِكَارِكُمْ فَخَلُّ

١٠ محمد بن سعيد عن إبراهيم بن حبيب قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس بعد قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن هذا الأمر ، الذي نحن فيه وأنتم ، ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر بنا وبكم إلى ما ترى ، وما أبقيت لنا هذه الحرب حياء ولا صبرا ، ولسنا نقول : ليت الحرب عادت ، ولكننا نقول : ليتنا لم تكن كانت ، فانظر فيما بقي بغير ما مضى ، فإنك رأس هذا الأمر بعد علي ، فإنك أمير مطاع ، ومأمور مطيع ، ومشاوّر مأمون ، وأنت هو . ١٥

مجاوبة بني هاشم [ وبني عبد شمس ] لابن الزبير

بين ابن الزبير وابن عباس الشَّعْبِيُّ قَالَ : قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ : قَاتَلْتَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَخَوَارِئَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَفْتَيْتَ بَرَوَاجَ (٣) الْمُتَمَّةِ . فَقَالَ : أَمَّا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنْتِ أَخْرَجْتَهَا وَأَبُوكَ وَخَالَكَ (٤) ، وَبَنَاتُ سُمَيَّةِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكُنَّا لَهَا

(١) الطباع : الطبع . والجبل : الحلقة .

(٢) دومة : يريد دومة الجندل ، وهي حصن وقرى بين الشام والمدينة فسميها بخالد بن الوليد ، وبها كان التحكيم بين علي ومعاوية .

(٣) في بعض الأصول : « بتزويج » .

(٤) هو عبد الرحمن بن أبي بكر ، (انظر المغارف لابن خزيمة من ٨٧ طبعة أوربة) .

خيرَ بَدين ، فتجاوز الله عنها . وقالت أنت وأبوك عليًا ، فإن كان عليّ مؤمنًا ، فقد ضلّلتكم بقتالكم المؤمنين ؛ وإن كان عليّ كافرًا ، فقد بُؤْتُم بسُخط من الله بفراركم من الزحف ؛ وأما المُنعة ، فإن عليًا رضى الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رَخَّصَ فيها فأفتيتُ بها ، ثم سمعته ينهى عنها فنهيته عنها ؛ وأولُ حِجْمَرٍ سَطَعَ في المُنعة حِجْمَرُ آلِ الزُّبير<sup>(١)</sup> .

٥

الحسن وأبو  
سعيد وابن الزبير  
ومعاوية وعائشة

دخل الحسنُ بن عليّ على معاوية ، وعنده ابنُ الزُّبير [وأبو سعيد بن عَقِيل  
ابن أبي طالب] ، فلما جلس الحسنُ ، قال معاوية : يا أبا محمد ، أيهما كان  
أكبرَ : عليّ أم الزُّبير ؟ قال<sup>(٢)</sup> : ما أقرب ما بينهما ! عليّ كان أسنَّ من الزُّبير ،  
رحم الله عليًا . [فقال ابنُ]<sup>(٣)</sup> الزُّبير : ورحم الله الزُّبير . فتبسّم الحسن . فقال  
أبو سعيد بن عَقِيل بن أبي طالب : دَعْ عنك عليًا والزُّبير ، إن عليًا دعا إلى أمر  
فأتبع ، وكان فيه رأسًا ، ودعا الزُّبير إلى أمر كان فيه الرأسُ أسراءً ، فلما تراءت  
الفتتان والتقى الجمعان نكّص الزُّبير على عَقبيه وأدبر مُنهزمًا قبل أن يظهر الحقُّ  
فيأخذه أو يدحض الباطل فيتركه ، فأدركه رجلٌ لو قيس<sup>(٤)</sup> ببعض أعضائه  
[لكان أصغر] ، فضرب عنقه وأخذ سَلَبه وجاء برأسه<sup>(٥)</sup> ، ومضى عليّ قُدُما  
كعادته مع ابن عمه ونبيه صلى الله عليه وسلم ، فرَحِم الله عليًا ولا رَحِم الزُّبير . فقال  
ابنُ الزُّبير : أما والله لو أن غيرك تكلم بهذا يا أبا سعيد لعَلِم : إن الذي  
تُعَرِّض به يرغب عنك . وأخبرت عائشةُ بمقاتلتهما ، فرأى أبو سعيد بفنائها فنادته :

١٠

١٥

(١) يريد متعة الحج لامتعة النساء ، فإن الزبير تزوج أسماء بكرا في الإسلام ، وزوجه  
إياها أبو بكر معلنا . ويروى عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : لما قدمنا مع رسول  
الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أمر من لم يكن معه هدى أن يحل . قالت :  
فأحللت وتطيبت ولبست ثيابي ، وجئت حتى جلست إلى جنب الزبير ؛ فقال : قومي  
عني ؛ فقلت : ما تخاف ؟ فهذا الذي أراد ابن عباس . (انظر مروج الذهب) .

٢٠

(٢) في بعض الأصول : « قال فقال » .

(٣) التكملة عن شرح نهج البلاغة (ج ٣ ص ٧) .

(٤) في الأصول مكان : « رجل لو قيس » : « مثل » ، وما أثبتناه عن شرح نهج  
البلاغة .

٢٥

(٥) هو عمرو بن جرموز ، الذي قتل الزبير يوم الجمل .

يا أحوّل يا خبيث ! أنت القائل لابن أختي كذا وكذا ؟ فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئا ، فقال : إن الشيطان ليّراك من حيث لا تراه . فضحك عائشة وقالت : لله أبوك ! ما أخبت<sup>(١)</sup> لسانك !

بين الحسين ومولاه ذكوان ومعاوية وبين ابن الزبير

الشعبي قال : دخل الحسين بن عليّ يوماً على معاوية ومعه مولى له يقال له ذكوان ، وعند معاوية جماعة من قريش فيهم ابن الزبير ، فرحب معاوية بالحسين وأجلسه على سريرته ، وقال : ترى هذا القاعد — يعني ابن الزبير — فإنه ليذكره الحسد لبني عبد مناف . فقال ابن الزبير لمعاوية : قد عرفنا فضل الحسين وقرباته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن إن شئت أن أعلمك فضل الزبير على أبيك أبي سفيان فقلت . فتكلم ذكوان مولى الحسين ابن عليّ ، فقال : يا ابن الزبير ، إن مولاي ما يمنعه من الكلام أن لا<sup>(٢)</sup> يكون طلق اللسان ، رابط الجنان ، فإن نطق نطق بعلم ، وإن صمت صمت بحلم ، غير أنه كف الكلام وسبق إلى السنان ، فأقرت بفضل الكرام ، وأنا الذي أقول :

فيم الكلام لسابق في غاية والناس بين مقصّر ومبلّد  
إن الذي يجري ليذكرك شأوه يُنمى بغير مسود ومسدّد  
بل كيف يُذكرك نور بدر ساطع خير الأنام وفرع آل محمد

فقال معاوية : صدق قولك يا ذكوان ، أكثر الله في موالى الكرام مثلك . فقال ابن الزبير : إن أبا عبد الله سكت ، وتكلم مولاه ، ولو تكلم لأجبناه ، أولكفنا عن جوابه إجلالاً له ، ولا جواب لهذا العبد . قال ذكوان : هذا العبد خير منك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مولى القوم منهم » . فأنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابن [ الزبير بن ] العوام بن خويلد ، فنحن أكرم ولاء وأحسن فعلاً . قال ابن الزبير : إني لست أحيب

(١) في شرح نهج البلاغة : « ما أذلق » .

(٢) في بعض الأصول : « إلا أن » مكان « أن لا » .

هذا، فهات ما عندك يا معاوية . فقال معاوية : قاتلك الله يا ابن الزبير ! ما أعيالك وأيضاك ! أتفخر بين يدي أمير المؤمنين وأبي عبد الله ! إنك أنت المتعدي بطورك<sup>(١)</sup>، الذي لا تعرف قدرك ، فقيس شبرك بفترك ، ثم تعرف كيف تقع بين عراني بن عبيد مناف . أما والله لن دُفقت في بحور بني هاشم و بني عبد شمس لقطعتك بأمواجها ، ثم لترمين بك في لججها<sup>(٢)</sup> . فابقاؤك في البحور إذا غمرتك ، وفي الأمواج إذا بهزتك<sup>(٣)</sup> ! هنالك تعرف نفسك ، وتندم على ما كان من جرأتك ، وتنتي ما أصبحت فيه من أمان ، وقد حيل بين العير والنزوان . فأتفق ابن الزبير ملياً ، ثم رفع رأسه فالتفت إلى من حوله ، ثم قال : أسألكم بالله ، أتعلمون أن أبي حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أياه أبا سفيان حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأن أُمِّي أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وأُمُّهُ هِنْد ١٠ آكلة الأكباد ؛ وجدِّي الصديق ، وجدِّه<sup>(٤)</sup> المشدوخ ببدر ورأس الكفر ، وعمِّي خديجة ذات الخطر والحسب ، وعمته أم جميل حمالة الخطب ، وجدتي صفية<sup>(٥)</sup> ، وجدته حمامة<sup>(٦)</sup> ، وزوج عمتي خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم ، وزوج عمته شر ولد آدم أبو لهب سمي على نار ذات لهب ، وخالتي عائشة أم المؤمنين . وخالته أشقى الأشقيين<sup>(٧)</sup> ، وأنا عبد الله وهو معاوية . قال له معاوية : ويحك يا ابن الزبير ! كيف تصف نفسك بما وصفتها ؟ والله مالك في القديم من رياسة ، ولا في الحديث من سياسة ، ولقد قدناك وسدناك قديماً وحديثاً ، لا تستطيع لذلك إنكاراً ، ولا عنه فراراً ، وإن هؤلاء الخصوم ليعلمون أن قريشاً قد اجتمعت

(١) الطور : الحد بين الشيئين . والمتعدي لظوره . الذي جاوز حده وقدره .

(٢) في بعض الأصول : « أجاجها » .

(٣) البهز : الدفع الشديد . وفي بعض الأصول : « بهرتك » بالراء المهملة .

(٤) يريد عتبة بن ربيعة ، جد معاوية لأمه ، وأم معاوية هي هند بنت عتبة هذا .

(٥) تزوجت صفية بنت عبد المطلب المومنان بن خويلد بعد الحارث بن حرب ، فولدت له الزبير والسائب . (انظر المعارف لابن قتيبة ص ١٧٥ طبعة أوربة) .

(٦) المعروف أن أم أبي سفيان اسمها صفية بنت حزن ، من قيس عيلان .

(٧) هي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة ، أخت هند ، وكانت زوج عقيل بن أبي طالب .

(انظر الحاشية رقم ١ ص ٧ من هذا الجزء) .

يوم الفجار<sup>(١)</sup> على رياسة حرب بن أمية، وأن أباك وأسرتك تحت رايته راضون بإمارته، غير منكربن لفضله ولا طامعين في عزله، إن أمر أطاعوا، وإن قال أنصتوا؛ فلم تزل<sup>(٢)</sup> فينا القيادة وعز الولاية حتى بعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم، فانتخبه من خير خلقه، من أسرتي لا من أسرتك، وبني أبي لا بني أبيك، فحدثه قريش أشد الجحود، وأنكرته أشد الإنكار، وجاهدته أشد الجهاد، إلا من عصم الله من قريش؛ فما ساد قريشاً وقادهم إلا أبو سفيان ابن حرب، فكانت الفئتان تلتقي، ورئيس الهدى منا ورئيس الضلالة منا<sup>(٣)</sup>، فمهديتكم تحت راية مهديتنا، وضالكم تحت راية ضالنا، فنحن الأرباب وأنتم الأذئاب، حتى خلص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شركه، وعصمه بالإسلام من عبادة الأصنام، فكان في الجاهلية عظيماً شأنه، وفي الإسلام معروفاً مكانه، ولقد أعطى يوم الفتح ما لم يُعط أحد من آبائك، وإن منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى: من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن؛ وكانت داره حرماً، لا دارك ولا دار أبيك؛ وأما هُند، فكانت امرأة من قريش، في الجاهلية عظيمة الخطر، وفي الإسلام كريمة الخير؛ وأما جدك الصديق، فبصديق عبد مناف سمي صديقاً لا بتصديق عبد العزى؛ وأما ما ذكرت من جدّي المشدوخ ببدر، فلعمري لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه<sup>(٤)</sup>، فلو برزت إليه أنت وأبوك ما بارزوك ولا رأوكم لهم أكفاء، كما قد طلب ذلك غيركم فلم يقبلوهم، حتى برز إليهم أكفأؤهم من بني أبيهم، فقضى الله مناباهم بأيديهم، فنحن قتلنا ونحن قتلنا، وما أنت وذاك؛ وأما عمّتك أم المؤمنين، فبنا شرفت وسميت أم المؤمنين، وخالتك عائشة مثل ذلك؛ وأما صفيّة، فهي أدنتك من الظل ولولاها لكنت صاحبة؛ وأما ما ذكرت

(١) في الأصول: «الفجار». وهو تصحيف.

(٢) في بعض الأصول: «فأنزل» مكان «فلم تزل».

(٣) في بعض الأصول: «منكم». وهو تحريف.

(٤) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٧) من هذا الجزء.

من عمك<sup>(١)</sup> وخال أبيك<sup>(٢)</sup> سيد الشهداء ، فكذلك كانوا رحمهم الله ، ونفرهم وإرثهم لي دونك ، ولا فخر لك فيهم ، ولا إرث بينك وبينهم ؛ وأما قولك أنا عبد الله وهو معاوية ، فقد علمت قریش أينما أجود في الإزم<sup>(٣)</sup> ، وأمضى<sup>(٤)</sup> في القدم<sup>(٥)</sup> وأمنع للحرم ؛ لا والله ما أراك مفتنميا حتى ترؤم من بني عبد مناف ما رام أبوك ، فقد طالبهم بالذئح<sup>(٦)</sup> ، وقدم إليهم الخيول ، وخدعتم أم المؤمنين ، ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ مددتم على نساءكم الشجوف ، وأبرزتم زوجته للختوف ، ومقارعة السيوف ، فلما ألتقى الجمعان نكص أبوك هارباً ، فلم يُنَجِّه ذلك أن طاحنه أبو الحسين بكل كلة طحن الحصيد بأيدي العبيد ؛ وأما أنت ، فأقلت بعد أن تحشتك برائته ونالتك مخالفة . وأيم الله ، ليقوم منك بنو عبد مناف بثقافها أولتصيحن منها صيواح أبيك بوادي السباع<sup>(٧)</sup> ، وما كان أبوك المرهوب جائبه<sup>(٨)</sup> ، ولكنه كما قال الشاعر :

أَكِيلَةَ سِرْحَانٍ فَرِيَسَةَ ضَيْعِمٍ فَقَضَّضَهُ بِالْكَفِّ مِنْهُ وَحَطَّامًا<sup>(٩)</sup>  
 نازع مروان بن الحكم يوماً ابن الزبير عند معاوية ، فكان هوى  
 معاوية مع مروان ، فقال ابن الزبير : يا معاوية : إن لك حقاً وطاعة ، وإن  
 لك صلة<sup>(١٠)</sup> وحرمة ، فأطع الله نطعك ، فإنه لا طاعة لك علينا إن لم تطع

لابن الزبير  
 يخاطب معاوية  
 ليله مع مروان

- (١) يريد : السائب بن العوام ، وقد شهد أحداً والخندي وقتل يوم اليمامة ، والمعروف أن إخوة الزبير ، وهم السائب وعبد الرحمن وأسود وأصرم وبعلى ، لم يعقب أحد منهم . (انظر المعارف ص ١١٣) . وفي بعض الأصول : « من ابن عمك » .  
 (٢) هو حمزة بن عبد المطلب . ويلاحظ أنه لم يرد في كلام عبد الله بن الزبير ذكر لابن عمه ولا خال أبيه .  
 (٣) الإزم : الشدائد . (٤) في بعض الأصول : « أحزم » .  
 (٥) القدم (بضمين) : المضي أمام أمام في الحرب .  
 (٦) الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر . وفي بعض الأصول : « طالعهم الدخول » .  
 (٧) وادي السباع : بين البصرة ومكة ، بينه وبين البصرة خمسة أميال . وفيه قتل الزبير بيد عمرو بن جرموز الجاشعي .  
 (٨) في بعض الأصول : « المدهن خده » . وهو تحريف .  
 (٩) الأكيلة : كالفريسة . وقضضه : كسره . وفي بعض الأصول : « تناول » مكان « أكيلة » . (١٠) في بعض الأصول : « بسطة » .



الله ، ولا تُطَرِّقِ إطرَاقَ الأفعوان في أصول السخبر<sup>(١)</sup> .

بين معاوية  
وابن الزبير

وقال معاوية يوماً وعنده ابن الزبير ، وذكر له مروان<sup>(٢)</sup> فقال : إن يطلب  
هذا الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه ،  
وما أراكم بمُنْتَهَيْنِ حتى يبعث الله عليكم من لا تعطفه قرابة ، ولا تردّه مودة ،  
يسومكم خسفاً ، ويوردكم تلفاً . قال ابن الزبير : إذا والله نطلق عقال الحرب  
بكتائب تمور كرجل<sup>(٣)</sup> الجراد ، حافاتها<sup>(٤)</sup> الأسل ، لها دوى كدوى الرياح ، تتبع  
غطريفاً من قریش ، لم تسكن أمه براعية<sup>(٥)</sup> ثلثة<sup>(٦)</sup> . قال معاوية : أنا ابن هند ،  
أطلقت عقال الحرب [ ، وأكلت ذروة السنم ] ، وشربت عنفوان المكرع<sup>(٧)</sup> ،  
وليس للآكل [ بعدى ] إلا الفلذة ، ولا للشارب إلا الرنق .

#### مجاوبة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه

١٠

$$\frac{140}{2}$$

بين عمرو بن  
الغاص والحسن  
ابن علي في وفادته  
على معاوية

وفد الحسن بن علي على معاوية ، فقال عمرو لمعاوية : يا أمير المؤمنين : إن  
الحسن لفه<sup>(٨)</sup> ، فلو حملته على المنبر فتكلم وتسمع الناس كلامه عابوه وسقط  
من غيوتهم ، ففعل . فصعد المنبر وتكلم وأحسن ، ثم قال : أيها الناس ،  
لو طلبتم أبناً لنبيكم<sup>(٩)</sup> ما بين لابتيها لم تجدوه غيري وغير أخي ، وإن أدري

(١) السخبر : شجر تألفه الحيات فتسكن أصوله ؛ الواحدة : سخيرة . يقول : لا تتفاقل  
عما نحن فيه . وفي بعض الأصول : « الشجر » .

(٢) في الأصول : « الحسين » . وما أثبتناه عن شرح نهج البلاغة ، وفيه : إن ابن الزبير  
لما دخل على معاوية قال له من كلام له : « لا تدعن مروان يرمى جواهر قریش  
عشاقصه . فقال » ثم ذكر بقية الخبر . ( والمهاض : السهام العريضة النصل ) .

(٣) الرجل (بالكسر) : القطعة العظيمة من الجراد .

(٤) في بعض الأصول : « حلقاتها » .

(٥) في بعض الأصول : « مراعية » . وهو تحريف . ( انظر اللسان مادة تل ) .

(٦) الثلثة : جماعة الغنم .

(٧) المكرع : مفعول من الكرع ، والكرع ( بالتحريك ) : ماء السماء . وعنقوان

المكرع ، أي أول الماء . أراد أنه شرب صافي الماء حين شرب غيره الكدر .

(٨) لفه : الكليل اللسان العي عن حاجته .

(٩) في بعض الأصول : « أبناء أبيكم » مكان : « ابنا لنبيكم » . ولا يستقيم بها الكلام .

١٥

٢٠

٢٥

لعله فتنة لكم ومَتَاعٌ إلى حين . فساء ذلك عَمَرًا وأراد أن يَقْطَعَ كلامه ، فقال له : أبا محمد ، أَتَصِفُ الرُّطْبَ ؟ فقال : أجل ، تُلْقِجُهُ الشَّيَالُ ، وتُخْرِجُهُ الْجَنُوبُ ، وتُنْضِجُهُ الشَّمْسُ ، وَيَضْبِغُهُ الْقَمَرُ . قال : أبا محمد ، هل تَنْتَعِ الخِرَادَةُ ؟ قال : نعم ، تَبْعُدُ الْمَشْيَ فِي الْأَرْضِ الصَّحْصَحَ <sup>(١)</sup> حتى تتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ ، ولا تَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ ولا تَسْتَدْبِرُهَا ، ولا تَسْتَنْجِ بِالْقِمَامَةِ وَالرِّمَّةِ — يريد الرُّوثَ وَالْعَظْمَ — ولا تَبُلُ في الماء الزَّاكِدَ .

بيننا مُعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ إِذْ قِيلَ لَهُ : الْحَسَنُ بِالْبَابِ ؛ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِنْ دَخَلَ أَفْسَدَ عَلَيْنَا مَا نَحْنُ فِيهِ ؛ فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ : أَتُذِنُ لِي ، فَإِنِّي أَسْأَلُهُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ فِيهِ جَوَابٌ ؛ قَالَ مُعَاوِيَةُ : لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ قَدْ أَلْهِمُوا الْكَلَامَ ، وَأُذِنَ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ وَجَلَسَ ، قَالَ لَهُ مَرْوَانُ : أَسْرِعِ الشَّيْبُ إِلَى شَارِبِكَ يَا حَسَنَ ، وَيُقَالُ إِنْ ذَلِكَ مِنَ الْخُرْقِ ، فَقَالَ الْحَسَنُ : لَيْسَ كَمَا بَلَغَكَ ، وَلَسَكُنَّا — مَعْشَرُ بْنُ هَاشِمٍ — أَفْوَاهُنَا عَذْبَةٌ شِفَاهُهَا ، فَتَسَاوُنَا يُقْبَلْنَ عَلَيْنَا بِأَنْفَاسِهِنَّ وَقُبُلِهِنَّ ، وَأَتَمَّ مَعْشَرُ بْنُ أُمِيَّةٍ فَيْكُمُ بَحْرٌ شَدِيدٌ ، فَتَسَاوَوْكُمْ يَصْرِفُنْ أَفْوَاهَهُنَّ وَأَنْفَاسَهُنَّ عَنْكُمْ إِلَى أَصْدَاغِكُمْ ، فَإِنَّمَا يَشِيبُ مِنْكُمْ مَوْضِعُ الْعِذَارِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ . قَالَ مَرْوَانُ : إِنْ فَيْكُمُ يَا بَنِي هَاشِمٍ خَصْلَةٌ سَوَاءٌ ؛ قَالَ : وَمَا هِيَ ؟

قال : الْعُلْمَةُ ؛ قَالَ : أَجَلُ ، نَزَعْتُ الْعُلْمَةَ مِنْ نِسَائِنَا وَوَضَعْتُ فِي رِجَالِنَا ، وَنَزَعْتُ الْعُلْمَةَ مِنْ رِجَالِكُمْ وَوَضَعْتُ فِي نِسَائِكُمْ ، فَمَا قَامَ لَأُمَوِيَةٍ إِلَّا هَاشِمِيٌّ . فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ ، وَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَخْبَرْتُكُمْ فَأَبَيْتُمْ حَتَّى مِمِعْتُمْ مَا أَظْلَمَ عَلَيْكُمْ بَيْتَكُمْ ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكُمْ مَجْلِسَكُمْ . فَخَرَجَ الْحَسَنُ وَهُوَ يَقُولُ :

وَمَارَسْتُ هَذَا الدَّهْرَ خَمْسِينَ حِجَّةً وَخَمْسًا أَرْجَى ، قَائِلًا بِمَسَدٍ قَائِلٌ <sup>(٢)</sup> ٢٠  
فَلَا أَنَا فِي الدُّنْيَا بَلَغْتُ جَسِيمَهَا وَلَا فِي الذِّئْلِ أَهْوَى كَدَحْتُ بِطَائِلِ  
وَقَدْ شَرَعْتُ دُونِي الْعَنَايَا أَكْفَهَا وَأَيَقَنْتُ أَنِّي رَهْنُ مَوْتٍ مُعَاجِلِ

(١) الصَّحْصَحُ : مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الصَّحْصَحُ » .

(٢) أَرْجَى : أَدْفَعُ .

بين مروان بن  
الحكم والحسن  
في مجلس معاوية

بين معاوية  
وابن الزبير

الله ، ولا تطرق إطرأق الأفعوان في أصول السخبر<sup>(١)</sup> .  
وقال معاوية يوماً وعنده ابن الزبير ، وذكر له مروان<sup>(٢)</sup> فقال : إن يطلب  
هذا الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه ،  
وما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله عليكم من لا تعطفه قرابة ، ولا تردّه مودة ،  
يسؤمكم خسفاً ، ويؤردكم تلفاً . قال ابن الزبير : إذا والله نطلق عقال الحرب  
بكتائب تمور كرجل<sup>(٣)</sup> الجراد ، حافاتها<sup>(٤)</sup> الأسل ، لها دوى كدوى الرّيح ، تتبع  
غطريفاً من قریش ، لم تسكن أمه براعية<sup>(٥)</sup> ثلّة<sup>(٦)</sup> . قال معاوية : أنا ابن هند ،  
أطلقت عقال الحرب [ ، وأكلت ذرّوة السنّام ] ، وشربت عنفوان السكرع<sup>(٧)</sup> ،  
وليس للآكل [ بعدى ] إلا الفلذة ، ولا للشارب إلا الرّثق .

#### مجاوبة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه

١٠

١٤٠  
٢

بين مسرو بن  
العاص والحسن  
ابن علي في وفادته  
على معاوية

وفد الحسن بن علي على معاوية ، فقال عمرو لمعاوية : يا أمير المؤمنين : إن  
الحسن لفه<sup>(٨)</sup> ، فلو حملته على المنبر فتكلّم وسَمِعَ الناسُ كلامه عابوه وسقط  
من غيبيهم ، ففعل . فصعد المنبر وتكلّم وأحسن ، ثم قال : أيها الناس ،  
لو طلبتم أبناءاً لنبيكم<sup>(٩)</sup> ما بين لا بئتها لم تجدوه غيري وغير أخي ، وإن أدري

(١) السخبر : شجر تألفه الحيات فتسكن أصوله ؛ الواحدة : سخبرة . يقول : لا تتفاقل

عما نحن فيه . وفي بعض الأصول : « الشجر » .

(٢) في الأصول : « الحسين » . وما أثبتناه عن شرح نهج البلاغة ، وفيه : إن ابن الزبير

لما دخل على معاوية قال له من كلام له : « لا تدعن مروان يرمى جاهل قریش  
بمشاقصه . فقال » ثم ذكر بقية الخبر . ( والمهاض : السهام العريضة النصل ) .

(٣) الرجل (بالكسر) : القطعة العظيمة من الجراد .

(٤) في بعض الأصول : « حلقاتها » .

(٥) في بعض الأصول : « مراعية » . وهو تحريف . ( انظر اللسان مادة ثل ) .

(٦) الثلّة : جماعة الغنم .

(٧) السكرع : مفعول من الكرع ، والكرع ( بالتحريك ) : ماء السماء . وعنقوان

المسكرع ، أي أول الماء . أراد أنه شرب صافي الماء حين شرب غيره السكر .

(٨) الفه : الكليل اللسان العي عن حاجته .

(٩) في بعض الأصول : « أبناء أيكم » مكان : « أبناء لنبيكم » . ولا يستقيم بها الكلام .

١٥

٢٠

٢٥

لعله فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ . فساء ذلك عَمَرًا وأراد أن يَقْطَعَ كلامه ، فقال له : أبا محمد ، أَتَصِفُ الرُّطْبَ ؟ فقال : أجل ، تُلْقِجُهُ الشَّيْءَ ، وتُخْرِجُهُ الْجَنُوبَ ، وتُنْضِجُهُ الشَّمْسُ ، وَيَضْبِغُهُ الْقَمَرُ . قال : أبا محمد ، هل تَنْتَعِ الخِرَاءُ ؟ قال : نعم ، تَبْعِدُ الْمَشَى فِي الْأَرْضِ الصَّحْصَحَ <sup>(١)</sup> حتى تتوارى من القوم ، ولا تَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ ولا تَسْتَدْبِرُهَا ، ولا تَسْتَنْجِ بِالقِئَامَةِ والرِّمَّةِ — يريد الرُّوثَ والعَظْمَ — ولا تَبْلُ في الماء الرَّاكِدَ .

بينما معاوية بن أبي سفيان جالس في أصحابه إذ قيل له : الحسنُ بالبَابِ ؛ فقال معاوية : إن دخل أفسد علينا ما نحن فيه ؛ فقال له مروان بن الحكم : أئذن لي ، فأني أسأله ما ليس عنده فيه جواب ؛ قال معاوية : لا تفعل ، فإنهم قوم قد ألهموا الكلام ، وأذن له . فلما دخل وجلس ، قال له مروان : أسرع الشيبُ إلى شاربك يا حسن ، ويُقال إن ذلك من الخُرْقِ ، فقال الحسن : ليس كما بلغك ، ولكنا — معشر بني هاشم — أفواهُنا عَذْبَةٌ شِفَاهُهَا ، فَنَسَاؤُنَا يُقْبِلُنَا عَلَيْنَا بِأَنفَاسِهِمْ وَقُبُلُهُمْ ، وَأَتَمَّ مَعْشَرَ بَنِي أُمِيَةٍ فَيَكُمُ بَحْرٌ شَدِيدٌ ، فَنَسَاؤُكُمْ يَصْرِفُنَا أَفْوَاهَهُمْ وَأَنفَاسَهُمْ عَنْكُمْ إِلَى أَصْدَاغِكُمْ ، فَإِنَّمَا يَشِيبُ مِنْكُمْ مَوْضِعُ الْعِذَارِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ . قال مروان : إن فيكم يا بني هاشم خَصْلَةٌ سَوَاءٌ ؛ قال : وما هي ؟ ١٥ قال : الْعُلْمَةُ ؛ قال : أجل ، نَزَعَتِ الْعُلْمَةُ مِنْ نِسَائِنَا وَوَضَعَتْ فِي رِجَالِنَا ، وَنَزَعَتِ الْعُلْمَةُ مِنْ رِجَالِكُمْ وَوَضَعَتْ فِي نِسَائِكُمْ ، فَمَا قَامَ لَأُمُويَةٍ إِلَّا هَاشِمِيٌّ . فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ ، وَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَخْبَرْتُكُمْ فَأَبَيْتُمْ حَتَّى مِمِعْتُمْ مَا أَظْلَمَ عَلَيْكُمْ بَيْتَكُمْ ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكُمْ مَجْلِسَكُمْ . فَخَرَجَ الْحَسَنُ وَهُوَ يَقُولُ :

ومارستُ هذا الدهرَ خمسين حِجَّةً وخمساً أَرْجَى ، فأثلاً بعد قائلٍ <sup>(٢)</sup> ٢٠  
فلا أنا في الدنيا بلغتُ جَسِيمَهَا ولا في الذي أهوى كدحتُ بَطَائِلَ  
وقد شرعتُ دوني العَنَايا أَكْفَهَا وأيقنتُ أني رَهْنُ مَوْتٍ مُعَاجِلَ

(١) الصَّحْصَحُ : ما استوى من الأرض . وفي بعض الأصول : « الصحيح » .

(٢) أَرْجَى : أدفع .

بين مروان بن  
الحكم والحسن  
في مجلس معاوية

ما تخاف الحسين إلا على من بعدك ، وإنك لتخلف له قرناً إن صارعه ليضرعته ، وإن سابه لیسبقته ، فذر الحسين منبت النخلة ، يشرب من الماء ، ويصعد في الهواء ، ولا يبلغ إلى السماء ؛ قال : فما غيبتك عني يوم صفين ؟ قال : تحملت الحرم<sup>(١)</sup> ، وكفيت الحزم ، وكنت قريباً ، لو دعوتنا لأجبتك ، ولو أمرت لأطعناك<sup>(٢)</sup> ؛ قال معاوية : يأهل الشام ، هؤلاء قومي وهذا كلامهم .

### مجاوبة بين بنى أمية

قال : لما أخرج أهل المدينة عمرو بن سعيد الأشدق ، وكان واليهم بعد الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، قال عمرو بن سعيد لمعاوية : إن الوليد بن عتبة هو [الذي] أمر أهل المدينة بإخراجه ، فأرسل إليه وتوثقه . فأرسل إليه معاوية ، فلما دخل عليه ، قال له عمرو : أوليد ، أنت أمرت بإخراجه ؟ قال : لا ، وزحمت أبا أمية ، ولا أمرت أهل الكوفة بإخراجه أبيك ، بل كيف أطاعني أهل المدينة فيك إلا أن تكون عصيت الله فيهم ، إنك لتحل عري ملك شديدة عقدتها ، وتتمرى أخلاف فيقة<sup>(٣)</sup> سريعة درتها ، وما جعل الله صالحاً مصلحاً كفساد مفسد .

١٥ جلس يوماً عبد الملك بن مروان وعند رأسه خالد بن عبد الله بن [خالد بن] أسيد ، وعند جليبه أمية بن عبد الله بن [خالد بن] أسيد ، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج حتى وضعت بين يديه ، فقال : هذا والله التوفير وهذه الأمانة ! لا ما فعل هذا ، وأشار إلى خالد ، استعملته على العراق فأستعمل كل ملط<sup>(٤)</sup> فاسق ، فأدوا إليه العشرة واحداً ، وأدى إلى من العشرة واحداً ؛ واستعملت

١٤٢  
٢

٢٠

(١) فيما مر في الجزء الأول من هذه الطبعة (ص ٣٤٦) : « حملت الثقل » .  
(٢) كذا في بعض الأصول هنا وفيما مر في الجزء الأول ، والذي في سائر الأصول هنا : « لو نلت لرفعناك » .  
(٣) تمرى : تمسح . والفيقة : اللابن يجتمه في الضرع ما بين الحلبتين .  
(٤) الملط : الذي يمنع الحق .

بين معاوية وخالد  
ابن عبد الله حين  
وفدت عليه  
أموال العراق  
من الحجاج

هذا على خُراسان ، وأشار إلى أُمّية ، فأهدى إلى برذونين حَطَمَيْن<sup>(١)</sup> ، فإن استعملتكم ضَيَعْتُمْ ، وإن عَزَلْتُكُمْ قَلْتُمْ أَسْتَعَفْتُ بِنَا وَقَطَعَ أَرْحَامَنَا . فقال خالد بن عبد الله : أَسْتَعَمَلْتُ عَلَى الْعِرَاقِ وَأَهْلَهُ رَجُلَانِ : سَامِعٌ مُطِيعٌ مُنَاصِحٌ ، وَعَدُوٌّ مُبْغِضٌ مُكَاشِحٌ ، فَأَمَّا السَّامِعُ الْمُطِيعُ الْمُنَاصِحُ ، فَإِنَّا جَزَيْنَاهُ لِيَزْدَادَ وَدًّا إِلَى وَدِّهِ ، وَأَمَّا الْمُبْغِضُ الْمَكَاشِحُ ، فَإِنَّا دَارَيْنَاهُ ضِغْفَنَهُ ، وَسَلَّلْنَا حِقْدَهُ ، وَكَثَرْنَا لَكَ الْمَوَدَّةَ • فِي صُدُورِ رَعِيَّتِكَ ؛ وَإِنْ هَذَا جَنَى الْأَمْوَالِ ، وَزَرَاعَ لَكَ الْبَغْضَاءَ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ ، فَيُوشِكُ أَنْ تَنْبُتَ الْبَغْضَاءُ ، فَلَا أَمْوَالَ وَلَا رَجَالَ . فلما خَرَجَ ابْنُ الْأَشْعَثِ<sup>(٢)</sup> قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : هَذَا وَاللَّهِ مَا قَالَ خَالِدُ .

قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشام فأُتِيَ عَمَّتُهُ آمَنَةُ بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، وَكَانَتْ عِنْدَ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ [خَالِدٌ] فَرَأَاهُ ، فَقَالَ ١٠ لَهُ : مَا يَقْدَمُ عَلَيْنَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ إِلَّا أَخْتَارَ الْمَقَامَ عِنْدَنَا عَلَى الْمَدِينَةِ . فَظَنَّ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يُعَرِّضُ بِهِ ، فَقَالَ : وَمَا يَمْنَعُهُمْ وَقَدْ قَدِمَ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ عَلَى النَّوَاضِحِ<sup>(٣)</sup> فَتَكَحَرُوا أَمَّاكَ ، وَسَلَبُوكَ مُلْكَكَ ، وَفَرَّغُوكَ لَطْلَبَ الْحَدِيثِ ، وَقِرَاءَةَ الْكُتُبِ ، وَمُعَالَجَةَ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ، يَعْنِي الْكَيْمِيَا ، وَكَانَ يَعْمَلُهَا<sup>(٤)</sup> .

لَمَّا عَزَلَ عُثْمَانُ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ عَنْ مِصْرَ وَوَلَّاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْحٍ ، دَخَلَ ١٥ عَلَيْهِ عَمْرُو وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَشَوُ جُبَّتَكَ يَا عَمْرُو ؟ قَالَ : أَنَا ؛ قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ فِيهَا ، نِمَ قَالَ : أَشَعَرْتُ يَا عَمْرُو أَنَّ اللَّقَاحَ دَرَّتْ بِعَدِكَ أَلْبَانُهَا بِمِصْرَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ أَعْجَفْتُمْ أَوْلَادَهَا .

بين خالد بن يزيد  
ومحمد بن عمرو ثم  
بين عثمان وعمرو  
ابن العاص بعد  
عزله عن مصر

وقع بين ابن لعمُر بن هبذ العزيز وابن سليمان بن عبد الملك كلامٌ ، فَجَعَلَ ٢٠ ابْنُ عَمْرِو يَذْكُرُ فَضْلَ أَبِيهِ ؛ قَالَ لَهُ ابْنُ سُلَيْمَانَ : إِنْ شِئْتَ فَأَقْلِلْ وَإِنْ شِئْتَ

بين ابن لعمر بن  
عبد العزيز وابن  
سليمان بن  
عبد الملك ثم بين  
العباس بن الوليد  
والوليد بن يزيد  
ثم بين هشام  
والوليد أيضا

(١) حطمين : هزيلين قد أسنا فضعضا .

(٢) كان خروج ابن الأشعث في شعبان سنة ٨٢ من الهجرة .

(٣) النواضح : الإبل يستقي عليها الماء ، واحدها ناضح .

(٤) في بعض الأصول : « يعلمها » .

فأكثر، ما كان أبوك إلا حسنة من حسنات أبي . لأن سليمان هو ولي عمر  
ابن عبد العزيز<sup>(١)</sup> . ذكروا أن العباس بن الوليد وجماعة من بني مروان كانوا  
عند هشام، فذكروا الوليد بن يزيد فحرقوه وعابوه، وكان هشام يبغضه، ودخل  
الوليد، فقال له العباس بن الوليد : كيف حُبُّكَ للرُّوميات ؟ فإن أباك كان  
مَشْخُوفًا بهن ؛ قال : إني لأحبهن ، وكيف لا يُحِبُّنَ وهُنَّ يَلِدُنَّ مِثْلَكَ ؟  
قال : اسكُتْ . فلست بالفحل يَأْتِي عَسْبُهُ<sup>(٢)</sup> بِمِثْلِي ؛ قال له هشام : يا وليد ،  
ما شرابك ؟ قال : شرابك يا أمير المؤمنين ، وقام فَخَرَجَ . فقال هشام :  
هذا الذي تَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَصَحُّ . وقَرَّبَ إلى الوليد بن يزيد فَرَسَهُ ، فَجَمَعَ  
جَرَامِيْزَهُ<sup>(٣)</sup> وَوَتَّبَعَ عَلَى سَرَجِهِ ، ثُمَّ أَلْتَفَتَ إلى وَلَدِ هِشَامِ بن عبد الملك ، فقال :  
يُحْسِنُ أبوك أن يصنع مثلَ هذا ؟ قال : لأبي مائة عبد يصنعون مثلَ هذا ؛ فقال  
الناسُ : لم يُنصِفْهُ في الجواب .

عبد الملك ومحيي  
ابن الحكم وبن  
عبد الرحمن بن  
الحارث

خَطَبَ عبد الملك بن مروان بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فقالت :  
والله لا تُزَوِّجُنِي أبا الذُّباب . فترَوَّجها يحيى بن الحكم . فقال عبدُ الملك ليحيى :  
أما والله لقد تَزَوَّجْتَ أَسْوَدَ أَفْوَه<sup>(٤)</sup> ؛ قال يحيى : أما إنَّها أَحَبَّتْ مِنِّي ما كَرِهْتَ  
منك . كان عبدُ الملك رَدَىءَ الفَمِ يَذْمِي فَيَتَمَعُ عَلَيْهِ الذُّباب ، فَسُمِّيَ أبا الذُّباب .

### الجواب القاطع

بين ثابت بن  
عبد الله وسعيد  
ابن عثمان ثم بين  
الحجاج وخارجي  
وبين ابن الباهلي  
وعمر

نَظَرَ ثَابِتُ بن عبد الله بن الزبير إلى أَهْلِ الشَّامِ ، فقال : إني لأبغض هذه  
الوُجُوهُ ؛ قال له سَعِيدُ بنُ عُثْمَانَ<sup>(٥)</sup> : تُبَغِّضُهُمْ لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا أَبَاكَ ؛ قال : صدقت ،

- (١) يشير إلى عهد سليمان بتولية عمر ثم يزيد بن عبد الملك من بعده .
- (٢) العسب : ماء الفحل . وقد كان العباس يدعى فارس بن مروان لشهامته .
- (٣) الجراميز من الإنسان : جسده وأعضاؤه . وجمع جراميزه ، أى تقبض ليثب .
- (٤) الأفوه : الواسع الفم ، وقيل الذى تخرج أسنانه من الشفتين مع طولها .
- (٥) في الأصول : « سعيد بن عمرو بن عثمان » . وهو تحريف . فسعيد وعمر وأخوان ،  
ثم إن عمرو بن عثمان ليس من بين أولاده من اسمه سعيد . وقد عاش سعيد هذا  
إلى أيام معاوية وكان عاملا له على خراسان ثم عزله . (انظر المعارف لابن قتيبة) .

ولكن الأنصار والمهاجرين قتلوا أباك . وقال الحجاج لرجل من الخوارج : والله إنك من قوم أبغضهم ؛ قال له : أدخل الله أشدنا بغضاً لصاحبه الجنة . وقال ابن الباهلي لعمر بن معديكرب : إن مهزك لم تُعرف<sup>(١)</sup> ؛ قال : هجين عَرَفَ هَجِيناً<sup>(٢)</sup> مثله .

وقال الحجاج لأمرأة من الخوارج : والله لأعدنكم عدداً ولأخضدنكم حصداً ؛ قالت له : الله يزرع وأنت تحصد ، فأين قدرة المخلوق من الخالق ؟ وأتى الحجاج بأمرأة من الخوارج ، فقال لأصحابه : ما تقولون فيها ؟ قالوا : عاجلها القتل أيها الأمير ؛ قالت الخارجية : لقد كان وزراء صاحبك خيراً من وزرائك يا حجاج ؛ قال لها : ومن صاحبي ؟ قالت : فرعون ، استشارهم في موسى ، فقالوا : أرجه وأخاه . وأتى زياد رجل من الخوارج ، فقال له : ما تقول في ؟ وفي أمير المؤمنين ؟ قال : أما الذي تسميه أمير المؤمنين فهو أمير المشركين ؛ وأما أنت ، فما أقول في رجل أوله لزنية وآخره لدعوة ؟ فأمر به فقتل وصلب . قال الأشعث بن قيس لشریح القاضي : لشد ما ارتفعت ! قال : فهل رأيت ذلك ضرراً ؟ قال : لا ؛ قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها على غيرك<sup>(٣)</sup> . نازع محمد بن الفضل بعض قرابته في ميراث ، فقال له : يا بن الزنديق ؛ قال له : إن كان أبي كما تقول وأنا مثله ، فلا يحل لك أن تنازعني في هذا الميراث ، إذ كان لا يرث دين ديناً .

بين الحجاج وخارجية ثم بين زياد وفاجر

بين الأشعث وشریح ثم بين ابن الفضل وبعض قرابته

وأتى الحجاج بأمرأة من الخوارج ، فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ، فقيل لها : الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه ! قالت : إني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه . فأمر بها فقتلت . لقي عثمان بن عفان علي بن أبي طالب ، فقأته في شيء . بلغه عنه ، فسكت عنه علي ؛ فقال له عثمان : مالك لا تقول ؟

بين الحجاج وخارجية ثم بين عثمان وعلي

(١) المقرف من الخيل : الذي أمه عربية وأبو غير عربي .

(٢) الهجين : ما كان أبوه عربياً وأمه غير عربية .

(٣) في بعض الأصول : « نفسك » .



بين معاوية  
والأحنف ثم  
بين معاوية  
وأنصارى

قال له على : ليس لك عندي إلا ما تحب وليس جوابك إلا ما تكره .  
وتكلم الناس عند معاوية في يزيد ابنه ، إذ أخذ له البيعة ، وسكت الأحنف ،  
فقال له : مالك لا تقول أبا بحر ؟ قال : أخافك إن صدقت ، وأخاف الله إن كذبت .  
قال معاوية يوماً : أيها الناس إن الله فضل قريشاً بثلاث ، فقال لنبيه عليه  
• الصلاة والسلام : ( وأنذر عشيرتك الأقرين ) فنحن عشيرته ، وقال : ( وإنه  
لذكرٌ لك ولقومك ) فنحن قومه ، وقال : ( لإيلاف قريش إيلافهم ) إلى قوله  
( الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ) ونحن قريش . فأجابه رجلٌ من  
الأنصار ، فقال : على رسلك يا معاوية ، فإن الله يقول : ( وكذب به قومك )  
وأنتم قومه ، وقال : ( ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون )  
وأنتم قومه ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : ( يا رب إن قومي اتخذوا  
١٠ هذا القرآن مهجوراً ) ، وأنتم قومه ، ثلاثة بثلاثة ، ولو زدنا لزدناك ، فأغمه .  
وقال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم  
أمرأة ! فقال : أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : ( اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من  
١٥ السماء أو ائتنا بعذاب أليم ) ، ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من  
عندك فأهدنا إليه <sup>(١)</sup> .

بين معاوية  
ورجل من اليمن

### (٢) مجاوبة الأمراء والرد عليهم

بين معاوية وابن  
قدامة ثم بينه  
وبين الأحنف ثم  
ابن حاتم

قال معاوية لجارية بن قدامة : ما كان أهونك على أهالك إذ سموك  
جارية ! قال : ما كان أهونك على أهالك إذ سموك معاوية ! وهي الأنثى من  
٢٠ الكلاب ؛ قال : لا أم لك ! قال : أُمِّي وَلَدَتْنِي لِلشَّيْءِ الْيُوفِ التي لقيتُك بها  
في أيدينا ؛ قال : إنك لتهددني ؛ قال : إنك لم تفتتحنا قسراً ، ولم تملكنا

(١) في ي بعد قوله « إليه » : « ثم الجزء بحمد الله وعونه » .

(٢) في ي قبل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم » .

عَنُوَّةَ ، وَلَكِنَّكَ أَعْطَيْتَنَا عَهْدًا وَمِيثَاقًا ، وَأَعْطَيْتَنَا سَمْعًا وَطَاعَةً ، فَإِنْ وَفَّيْتَ  
لَنَا وَفَّيْنَا لَكَ ، وَإِنْ فَرَعْتَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَإِنَّا تَرَكْنَا وَرَاءَنَا رَجَالًا شِدَادًا ،  
وَالسِّنَّةَ حِدَادًا ؛ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : لَا كَثُرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ أَمْثَالُكَ ؛ قَالَ جَارِيَةٌ :  
قُلْ مَعْرُوفًا وَرَاعِنَا ، فَإِنَّ شَرَّ الدُّعَاءِ الْمُحْتَطَبُ . عَدَّدَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ  
عَلَى الْأَحْنَفِ ذُنُوبًا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَرُدَّ الْأُمُورَ عَلَى أَعْقَابِهَا ،  
أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الْقُلُوبَ الَّتِي أَبْغَضْنَاكَ بِهَا لَبَّيْنُ جَوَانِحُنَا ، وَالسُّيُوفَ الَّتِي قَاتَلْنَاكَ بِهَا  
لَعَلَّيْ عَوَاتِقُنَا ، وَلَئِنْ مَدَدْتَ فِتْرًا مِنْ غَدْرٍ لِنَمُدَّنَّ بَاقًا مِنْ خَيْرٍ ، وَلَئِنْ شَتَّ  
لَتَسْتَصْفِينَّ كَدَّرَ قُلُوبُنَا بِصَفْوِ حِلْمِكَ ؛ قَالَ : فَإِنِّي أَفْعَلُ . قَالَ مُعَاوِيَةُ  
لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ : مَا فَعَلْتَ الطَّرْفَاتِ يَا أَبَا طَرِيفٍ ؟ — يَعْنِي أَوْلَادَهُ — قَالَ :  
قَتَلْتُمَا ؛ قَالَ : مَا أَنْصَفَكَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذْ قُتِلَ بَنُوكَ مَعَهُ وَبَقِيَ لَهُ بَنُوهُ ؛ قَالَ :  
لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ لَقَدْ قُتِلَ هُوَ وَبَقِيَتْ أَنَا بَعْدَهُ ؛ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَلَمْ تَزْعَمْ أَنَّهُ  
لَا يُخْنَقُ فِي قَتْلِ عِثْمَانَ عَنَزَ<sup>(١)</sup> ؟ قَدْ وَاللَّهِ خُنِقَ فِيهِه التَّيْسُ الْأَكْبَرُ . ثُمَّ  
قَالَ مُعَاوِيَةُ : أَمَّا إِنَّهُ قَدْ بَقِيََتْ مِنْ دَمِهِ قَطْرَةٌ وَلَا بَدَأَ أَنْ أَتْبِعَهَا ؛ قَالَ عَدِيُّ :  
لَا أَبَالُكَ ! رَشِمَ<sup>(٢)</sup> السَّيْفَ ، فَإِنَّ سَلَّ السَّيْفِ يَسْلُ السَّيْفَ . فَالْتَفَتَ مُعَاوِيَةُ  
إِلَى حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، فَقَالَ : أَجْعَلْهَا فِي كِتَابِكَ فَإِنَّهَا حِكْمَةٌ . ١٥

الشَّيْبَانِيُّ عَنْ أَبِي الْحُبَابِ الْكِنْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ  
بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ وَعِنْدَهُ وَجُوهُ النَّاسِ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَامَ خَطِيبًا ،  
فَكَانَ آخِرَ كَلَامِهِ أَنْ لَعَنَ عَلِيًّا ، فَأَطْرَقَ النَّاسُ وَتَكَامَمَ الْأَحْنَفُ ، فَقَالَ :  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ هَذَا الْقَائِلَ مَا قَالَ آتَفَا<sup>(٣)</sup> لَوْ يَعْلَمُ أَنَّ رِضَاكَ فِي لَعْنِ  
الْمُرْسَلِينَ لِلْعَنُومِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ عَنْكَ عَلِيًّا ، فَقَدْ لَقِيَ رَبَّهُ ، وَأُفْرِدَ فِي قَبْرِهِ ،  
وَحَلَّ بِعَمَلِهِ ، وَكَانَ وَاللَّهِ — [ مَا عَلِمْنَا ] — الْمُبَرِّزَ بِسَبْقِهِ<sup>(٤)</sup> ، الطَّاهِرَ

الأحنف في الرد  
على شامي لعن عليا  
في حضرة معاوية  
وحديث ذلك

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عَنَزَان » . قَالَ : قَدْ . . . الْح .

(٢) شَامَ السَّيْفَ : سَلَّهُ وَأَعْمَدَهُ ، فَهُوَ مِنْ الْأَضْدَادِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الثَّانِي .

(٣) مَا : مَفْعُولٌ بِهِ لِقَائِهِ . أَيِ الْقَائِلِ الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ آتَفَا .

(٤) كُنْزًا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ (ج ٧ ص ٢٣٧) . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « سَبْقُهُ » . ٢٥

خُلِقَ<sup>(١)</sup> ، المَيِّمُونَ نَقِيلُهُ<sup>(٢)</sup> ، العَظِيمُ مُصِيبُهُ ؛ فقال له مُعَاوِيَةُ : يَا أَحْنَفُ ،  
لَقَدْ أَغْضَيْتَ الْعَيْنَ عَلَى الْقَدَى ، وَقُلْتَ بِغَيْرِ مَا تَرَى ، وَأَيْمَ اللَّهِ لَتَصْعَدَنَّ الْمَنْبَرُ  
فَلَتَلْعَنَهُ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ؛ فقال له الْأَحْنَفُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ تُعْفِنِي فَهُوَ  
خَيْرٌ لَكَ ، وَإِنْ تَجْبُرُنِي عَلَى ذَلِكَ فَوَاللَّهِ لَا تَجْرِي بِهِ شَفَتَايَ أَبَدًا ؛ قَالَ : قُمْ  
فَاصْعَدْ الْمَنْبَرُ ؛ قَالَ الْأَحْنَفُ : أَمَّا وَاللَّهِ مَعَ ذَلِكَ لَأَنْصِفَنَّكَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ؛  
قَالَ : وَمَا أَنْتَ قَائِلٌ يَا أَحْنَفُ إِنْ أَنْصَفْتَنِي ؟ قَالَ : أَصْعَدُ الْمَنْبَرُ فَاحْمَدُ اللَّهَ بِمَا  
هُوَ أَهْلُهُ ، وَأُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ أَمَرَنِي أَنْ أَلْعَنَ عَلِيًّا ، وَإِنَّ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ اخْتَلَفَا فَاقْتَتَلَا ،  
وَادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَّهُ يُبْغِي عَلَيْهِ وَكَلَى فَمَتَّه ، فَإِذَا دَعَوْتُ فَأَمَّنُوا  
رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، ثُمَّ أَقُولُ : اللَّهُمَّ أَلْعَنِ أَنْتَ وَمَلَائِكَتُكَ وَأَنْبِيَائُكَ وَجَمِيعُ خَلْقِكَ  
الْبَاغِي مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، وَأَلْعَنِ الْفِتْنَةَ الْبَاغِيَّةَ ، اللَّهُمَّ الْعَنِهِمُ لَعْنًا كَثِيرًا ،  
أَمَّنُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ ؛ يَا مُعَاوِيَةُ ، لَا أَزِيدُ هَذَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ حَرْفًا وَلَوْ كَانَ  
فِيهِ ذَهَابُ نَفْسِي . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِذْنُ نَعْفِيكَ يَا أَبَا بَجْر .

وقال مُعَاوِيَةُ لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : إِنَّ عَلِيًّا قَدْ قَطَعَكَ وَوَصَّاتِكَ ، وَلَا  
يُرْضِينِي مِنْكَ إِلَّا أَنْ تَلْعَنَهُ عَلَى الْمَنْبَرِ ؟ قَالَ : أَفْعَلُ . فَأَصْعَدُ فَصَعِدَ ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ  
أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ أَمَرَنِي أَنْ  
أَلْعَنَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَالْعَنُوهُ ، فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، ثُمَّ  
نَزَلَ . فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : إِنَّكَ لَمْ تُبَيِّنْ أَبَا يَزِيدَ مَنِ لَعَنْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ؛ قَالَ :  
وَاللَّهِ لَا زِدْتُ حَرْفًا وَلَا نَقَصْتُ آخِرَ ، وَالْكَلَامُ إِلَى نِيَةِ الْمُتَكَلِّمِ .

الهِمِيمُ بْنُ عَدَى قَالَ : قَالَ<sup>(٣)</sup> مُعَاوِيَةُ لِأَبِي الطُّفَيْلِ : كَيْفَ وَجَدْتُكَ عَلَى عَلِيٍّ ؟  
قَالَ : وَجَدْتُ ثَمَانِينَ مُشْكَلا ؛ قَالَ : فَكَيْفَ حُبُّكَ لَهُ ؟ قَالَ : حُبُّ أُمِّ مُوسَى ،

بين معاوية وأبي  
الطفيل في علي  
وعثمان

(١) في بعض الأصول : « توبه » مكان « خلقه » .

(٢) ميمون النقية : مبارك النفس مظفر فيما يحاول .

(٣) روى المسعودي هذا الخبر مع اختلاف في عبارته بين معاوية وضرار بن الخطاب .

وإلى الله أشكو التَّقْصِيرَ . وقال له مرة أخرى : أبا الطفيل ؛ قال : نعم ؛ قال :  
أنت من قِتْلَةِ عُثْمَانَ ؟ قال : لا ، ولكنني من حَضَرِهِ ولم يُنْصُرْهُ ؛ قال : وما منعك  
مِنْ نَصْرِهِ ؟ قال : لم يُنْصُرْهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فلمْ أَنْصُرْهُ ؛ قال : لقد كان  
حَقُّهُ واجِباً ، وكان عليهم أَنْ يُنْصُرُوهُ ؛ قال : فما منعك مِنْ نُصْرَتِهِ يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ ابْنُ عَمِّهِ ؟ قال : أَوْ مَا طَلَبِي بِدَمِهِ نُصْرَةً لَهُ ؟ فَضَحَكَ أَبُو الطُّفَيْلِ ٥  
وقال : مَثَلُكَ وَمَثَلُ عُثْمَانَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ <sup>(١)</sup> :

لَأَعْرِفَنَّكَ <sup>(٢)</sup> بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبُنِي      فِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادًا

١٤٥  
٢

العُتْبِيُّ قَالَ : صَعِدَ مُعَاوِيَةُ الْمَنْبَرِ فَوَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ رَقَّةً ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ  
اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ : أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ عُمَرَ وَلَاتَنِي أَمْرًا مِنْ أَمْرِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا غَشَّيْتُهُ  
وَلَا خُفَّيْتُهُ ، نِمَّ وَلَاتَنِي الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدًا ، فَأَحْسَنْتُ وَاللَّهِ ١٠  
وَأَسَأْتُ ، وَأَصَبْتُ وَأَخْطَأْتُ ، فَمَنْ كَانَ يَجْهَانِي فَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِنَفْسِي . فَقَامَ إِلَيْهِ  
سَلَمَةُ بْنُ الْخَطَلِ <sup>(٣)</sup> الْعَرَجِيُّ <sup>(٤)</sup> ، فَقَالَ : أَنْصَفْتَ يَا مُعَاوِيَةُ ، وَمَا كُنْتَ مُنْصَفًا .  
قَالَ : فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ ، وَقَالَ : مَا أَنْتَ وَذَلِكَ يَا أَحَدَبُ ؟ وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى  
بَيْتِكَ بِمَهْيَعَةٍ <sup>(٥)</sup> ، وَبَطْنُكَ نَيْسٌ <sup>(٦)</sup> ، وَبَطْنُكَ بَهْمَةٌ . بَفَنَانِهِ أَعَزَّ عَشْرٌ ،  
يُحْتَلِبِينَ فِي مِثْلِ قَوَارَةِ حَافِرِ الْعَيْرِ <sup>(٧)</sup> ، تَهْفُو الرِّيحُ مِنْهُ [ بِجَانِبِ <sup>(٨)</sup> ] ، كَأَنَّهُ جَنَاحُ نَسْرٍ . ١٥  
قَالَ : رَأَيْتُ وَاللَّهِ ذَلِكَ <sup>(٩)</sup> [ فِي شَرِّ زَمَانِنَا إِلَيْنَا ، ] وَوَاللَّهِ إِنَّ حَشْوَهُ يَوْمُئِذٍ لِحَسْبِ

بين معاوية  
وسلمة بن الخطل

- (١) الشاعر هو النابغة الجعدي . (انظر مروج الذهب ج ٢ ص ٦٣) .  
(٢) في المروج : « لألفينك » .  
(٣) في الأصول : « الخضل » . والتصويب عن الاستيعاب والإصابة وابن عساكر .  
(٤) كذا في الإصابة . والذي في الاستيعاب وتاريخ دمشق لابن عساكر أنه من بني عريج ،  
فإذا صح هذا فالنسبة إليهم : عريجي .  
(٥) مهبة : الجحفة بين الحرمين ، وهي ميقات الشاميين .  
(٦) في بعض الأصول : « تنين » .  
(٧) كذا في تاريخ دمشق . يريد ما يقور من باطن حافره . يصفه باللؤم لضيق محله .  
والذي في الأصول : « العنز » .  
(٨) بجانب ، أراد جانب البيت . وأنه في الصغر على قدر جناح النسور ، يريد تصغير  
أمره وتحقيره .  
(٩) التكهلة عن تاريخ دمشق . وبين الخبر هنا وهناك خلاف في بعض الألفاظ .

٢٥

غير دَنَسٍ]، فهل رأيتني يا معاوية أكلتُ مالا حراما أو قتلْتُ أمرا مسلما؟ قال: وأين كنتُ أراك وأنت لا تدب إلا في خَرٍّ<sup>(١)</sup>، وأى مسلم يَمَجِيزُ عنك فتَقَتْلَه؟ أم أى مال تقوى عليه فتأكله؟ أجلس لا تجلس؟ قال: بل أذهب حتى لا ترائي؛ قال: إلى أبعد الأرض لا إلى أقربها، ففضي. ثم قال معاوية: رُدَّوه عليّ، فقال الناس: يُعاقبه؛ فقال له: أَسْتَغْفِرُ الله منك يا أَحَدَبُ، والله لقد بَرَرْتَ في قرابتك، وأسلمتَ فَحَسُنَ إِسْلَامُكَ، وإن أباك لسيّد قومه، ولا أبرح أقول بما تُحِبُّ، فاقعد.

الأوزاعي قال: دخل خُرَيْمُ النَّاعِمِ على معاوية فنظر إلى ساقيه، فقال: أى ساقين لو أنهما على جارية! قال: في مثل عَجِيزَتِكَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ قال معاوية: واحدة بأخرى والبادي أظلم. دخل عطاء المضحك على عبد الملك بن مروان، فقال له: أما وجدت لك أمك اسمًا إلا عطاء؟ قال: لقد أَسْتَكْثَرْتُ من ذلك ما أَسْتَكْثَرْتَهُ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا سَمِيتَنِي بِأَسْمِ الْمُبَارَكَةِ، صلوات الله عليها، مَرِيَمَ.

قال معاوية لصُحَارِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْعَبْدِيِّ: يا أَرْقُ؛ قال: البازي أَرْقُ؛ قال: يا أحمَرُ؛ قال: الذهب أحمَرُ؛ قال: ما هذه البلاغة فيكم عبد القيس؟ قال: شيء يحتلج في صدورنا فتَقْدِفُهُ أَسْنَتُنَا كما يَقْدِفُ الْبَحْرُ الزُّبْدَ؛ قال: فما البلاغة عندهم؟ قال: أن نقول فلا نُخْطِئُ، ونُجِيبُ فلا نُبْطِئُ.

وقال عبد الله بن عامر بن كرير لعبد الله بن حازم: يا بن عَجَلٍ<sup>(٢)</sup>؛ قال: ذاك اسمها؛ قال: يا بن السَّوداء؛ قال: ذاك لونها؛ قال: يا بن الأَمة؛ قال: كل أنثى أمة، فاقصد بذرعك لا يرْجِعْ سَهْمُكَ عَلَيْكَ، إن الإمام قد وَلَدَتْكَ.

دخل عبيد الله بن [زياد بن] ظَبْيَانَ على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: وابن ظبيان

(١) انظر الحاشية رقم (١ ص ٢١) من هذا الجزء.

(٢) في بعض الأصول: «عجلاء».

بين معاوية  
وخريم الناعم  
ثم بين عبد الملك  
وعطاء

بين معاوية وصُحَارِ  
العبدى

بين عبد الله بن  
عامر وعبد الله  
ابن حازم

بين عبد الملك  
وابن ظبيان

ما هذا الذى يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون إنك لا تشبه أباك ؛ قال : والله لأننا أشبهه به من الماء بالماء ، والغراب بالغراب ، ولكن أدلك على من لم يشبه أباه ؛ قال : من هو ؟ قال : من لم تنضج الأرحام ، ولم يولد لتام ، ولم يشبه الأخوال والأعمام ؛ قال : ومن هو ؟ قال : ابن عمى سويد بن منجوف ، وإنما أراد عبد الملك بن مروان ، وذلك أنه ولد لستة أشهر .

(١) دخل زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك فلم يجد موضعاً يقعد فيه ، فعلم أن ذلك فعل به على عمد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، [ اتق الله ! قال : أو مثلك يا زيد يأمر مثلى بتقوى الله ؟ قال زيد ] : إنه لا يكبر أحد فوق أبي بوصى بتقوى الله ، ولا يصغر دون أن بوصى بتقوى الله . قال له هشام : بلغنى أنك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة ؛ قال زيد : أما قولك إني أحدث نفسي بالخلافة ، فلا يعلم الغيب إلا الله ؛ وأما قولك إني ابن أمة ، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ، ابن أمة ، من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ، ابن حرة ، أخرج من صلبه القردة والخنازير وعبد الطاغوت . [ قال له : قم ؛ قال : إذن لا ترانى إلا حيث تسكره ] . فلما خرج من عنده قال : ما أحب أحد قط الحياة إلا ذلّ . قال له حاجبه : لا يسمع هذا الكلام منك أحد . وقال زيد بن عليّ :

١٤٦  
٢

شَرَّده الخَوْفُ وأزرى به      كذاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجِلادِ  
مُحتفى الرَّجُلَيْنِ (٢) يشكو الوَجَى      تَقْرعه أطرافُ مَرَوٍ (٣) حِدَادِ  
قد كان في الموت له راحةٌ      والموتُ حَتَمٌ في رِقابِ العِبَادِ

ثم خرج بخراسان فقتل وصلب في كناسة . وفيه يقول سديف بن ميمون .  
في دولة بنى العباس :

(١) بين الخير هنا وفي البيان (ج ١ ص ١٦٩) بعض الخلاف .

(٢) في البيان : « منخق الحقيقين » .

(٣) المرو : حجارة بيض رفاف .

بين زيد بن علي  
وهشام بن  
عبد الملك

وَأَذْكُرُوا مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ وَزَيْدًا وَتَمِيْلًا بِجَانِبِ الْمُهْرَاسِ (١)  
يُرِيدُ حَمَزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ الْمَقْتُولِ بِأَحَدٍ .

بين عبد الملك  
وقيسي ثم بين عمر  
وأبي مريم الحنفى

دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالَ : زُيِّرَى ! وَاللَّهِ  
لَا يُحِبُّكَ قَلْبِي أَبَدًا ؛ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا يَجْزَعُ مَنْ فَقَدَ الْحُبَّ  
النِّسَاءَ ، وَلَكِنْ عَدْلًا وَإِنصَافًا . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي مَرْيَمَ الْحَنْفَى ،  
قَاتِلْ زَيْدَ بْنِ الْخَطَّابِ : وَاللَّهِ لَا يُحِبُّكَ قَلْبِي أَبَدًا حَتَّى تُحِبَّ الْأَرْضُ الدَّمَ ؛  
قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَهَلْ تَمْنَعُنِي لَذَلِكَ حَقًّا ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَحَسْبِي .

بين يزيد بن أبي  
مسلم وسليمان ثم  
بين مروان  
وزفر

دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلَمٍ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : عَلَى أَمْرِي أَوْطَاكَ  
رَسَنَكَ وَسَاطُكَ عَلَى الْأَمَةِ لَعْنَةُ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ رَأَيْتَنِي  
وَالْأَمْرُ مُدْبِرٌ عَنِّي ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ مُقْبِلٌ عَلَى لِعَظْمٍ فِي عَيْنِكَ مَا اسْتَصْغَرْتُ  
مَنْ ؛ قَالَ : أَنْظِرْ الْحِجَاجَ اسْتَقَرَّ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ أَمْ هُوَ يَهْوَى فِيهَا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ الْحِجَاجَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَيْبِكَ وَأَخِيكَ ، فَضَعَهُ مِنَ النَّارِ  
حَيْثُ شِئْتَ . وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ لَزُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ : بَلِّغْنِي أَنَّ كِفْدَةَ  
تَدْعِيكَ : قَالَ : لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُتَّقَى رَهْبَةً وَلَا يَدْعَى رَغْبَةً .

بين مروان  
وابن دلجة ثم  
بينه وبين  
حويطب ثم بين  
عبد الملك وثابت  
ابن الزبير

قَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ لِلْحَسَنِ بْنِ دُلْجَةَ : إِنِّي أَظُنُّكَ أَهَقُ ؛ قَالَ : مَا يَكُونُ  
الشَّيْخُ إِذَا أَعْمَلَ ظَنَّهُ ؟ وَقَالَ مَرْوَانُ لِحَوَيْطَبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى : وَكَانَ كَبِيرًا مُسْنَنًا .  
أَيُّهَا الشَّيْخُ ، تَأَخَّرَ إِسْلَامُكَ حَتَّى سَبَقَكَ الْأَحْدَاثُ ؛ فَقَالَ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَاللَّهِ  
لَقَدْ هَمَمْتُ بِالْإِسْلَامِ غَيْرَ مَرَّةٍ كُلَّ ذَلِكَ يَمُوقُنِي عَنْهُ أَبُوكَ وَيَنْهَانِي وَيَقُولُ : يَضَعُ  
مِنْ قَدْرِكَ ، وَتَتَرَكُ دِينَ آبَائِكَ لِدِينِ مُحَدَّثٍ ، وَتَصِيرُ تَابَعًا . فَسَكَتَ مَرْوَانُ . قَالَ  
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ : أَبُوكَ كَانَ أَعْلَمُ بِكَ حَيْثُ كَانَ  
يَشْتُمُّكَ ؛ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا كَانَ يَشْتُمُّنِي لِأَنِّي كُنْتُ أَنْهَاهُ أَنْ يُقَاتِلَ  
بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلَ مَكَّةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُهُمَا ؛ أَمَّا أَهْلُ مَكَّةَ فَأَخْرَجُوا النَّبِيَّ

(١) المهراس : ماء بأحد .

صلى الله عليه وسلم وأخافوه ، ثم جاءوا إلى المدينة فأذوه ، حتى سيّروهم ، يعرض بالحكم بن أبي العاصي طريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قتل بين أظهرهم ولم يدفعوا عنه ؛ قال له : عليك لعنة الله .

جلس معاوية يُبايع الناس على البراءة من علي ، فقال له رجل من بني تميم :

يا أمير المؤمنين ، نطمع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم ؟ فالتفت معاوية إلى زياد ٥

فقال : هذا رجل فاستوص به . قال معاوية يوماً : يا معشر الأنصار ، لم تطلبون

ما عندي ، فوالله لقد كنتم قليلاً معي كثيراً مع علي ، ولقد قلتم حدى يوم

صفين ، حتى رأيت المنايا تلتظي من أسنتكم ، ولقد هيجو ثموني بأشد من وخز

الأسل ، حتى إذا أقام الله منّا ما حاولتم مثيله ، قلتم أزع فينا وصية رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، هيهات ! أبي الحقيق العذرة <sup>(١)</sup> . فأجابه قيس بن سعد ، قال : ١٠

أما قولك جئناك نطلب ما عندك ، فبالإسلام السكافي به الله <sup>(٢)</sup> لا بما تمت به

إليك الأحزاب ؛ [وأما استقامة الأمر ، فعلى كره منّا كان] ؛ وأما قلنا حدك يوم

صفين ، فأمر لا نعتذر منه ؛ وأما عداوتنا لك ، فلو شئت كففتم عنها عنك ؛ ١٤٧  
٢

وأما هجاؤنا إياك ، فقول يثبت حقه ، ويرزول باطله ؛ وأما وصية رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فمن يؤمن به يحفظها من بعده ؛ [وأما قولك : يا أبي الحقيق ١٥

العذرة ، فليس دون الله يد تحجزك منّا] <sup>(٣)</sup> ، فدوّنك أمرك يا معاوية ، فإنما

مثلك كما قال الشاعر :

يا لك من قسرة بمعمر  
خلافك الجوف فيبضي وأصفرى

(١) الحقيق : المحبوس . والعذرة : العذر . يضرب مثلاً للرجل يعتذر ولا عذر له .

وأصله أن رجلاً ضاف قوماً فاستقام لبنا وعندهم لين فوضعه في وطب ، واعتلوا ٢٠ عليه واعتذروا ، فقال هذا المثل ، يريد أن هذا الحقيق يكذبكم .

(٢) في بعض الأصول : « فعد ما سواه » مكان « به الله » . وما أُنبتاه عن سائر الأصول والمروج (ج ٢ ص ٦٣) .

(٣) في مروج الذهب بعد هذا : « فقال معاوية يموه : ارفعوا حوائجكم » ، ولم

يذكر البيت هنا ، وإنما ذكره منسوباً للحسين يخاطب به ابن الزبير حين تم الحسين ٢٥ بالانتقال إلى الكوفة تاركاً ابن الزبير بمكة .

بين معاوية  
وتيمى ثم بينه  
وبين قيس بن  
سعد



بين سليمان بن  
عبد الملك ويزيد  
ابن المهلب

بين عمر وابن  
الزبير ثم بين ابن  
الزبير وابن حاتم

وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ قال :  
فيما وفي خلفائنا من ربيعة . قال سليمان <sup>(١)</sup> : الذي تحالفنا عليه أعزُّ منكنا .  
رَعرَ عمر بن الخطاب بالصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففرَّوا ، وثبت  
ابن الزبير ؛ قال له عمر : كيف لم تفرَّ مع أصحابك ؟ قال : لم أجترم فأخافك ،  
ولم يكن بالطريق من ضيق فأوسع لك . وقال عبد الله بن الزبير لعدي بن  
حاتم : متى فُقئت عينك ؟ قال : يوم قُتل أبوك ، وهربت عن خالتك <sup>(٢)</sup> ، وأنا  
للحق ناصِر ، وأنت له خاذل . وكان فُقئت عينه يوم الجمل .

بين الرشيد وابن  
مزيد ثم بين يزيد  
والمسور

وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخطباء في ربيعة ؟ قال : نعم ،  
ولسكن منابرهم الجدوع . كان المسور بن مخرمة جليلاً نبيلاً ، وكان يقول في  
يزيد بن معاوية : إنه يشرب الخمر . فبلغه ذلك ، فكتب إلى عامله بالمدينة  
أن يجلبه الحد ، ففعل . فقال المسور في ذلك :

بين المأمون  
وابن أكرم

أيشربها صِرْفاً يَفْضُ خِتَامُهَا . أبو خالدٍ ويَجْلِدُ الحدَّ مِسْورُ  
قال المأمون ليجي بن أكرم القاضي : أخبرني من الذي يقول ؟  
قاضي يَرى الحدَّ في الزَّناء ولا يَرى على من يُلوط من باسٍ  
قال : يقوله يا أمير المؤمنين الذي يقول :  
لا أخسب الجور ينقضى وعلى أمة وال من آل عباس  
قال : ومن يقوله ؟ قال : أحمد بن نعيم <sup>(٣)</sup> ، قال : يُنفى إلى السِّند ، وإنما  
مزحنا معك .

بين سليمان بن  
عبد الملك وعدي  
ابن الرقاع ثم بين  
بلال وخالد بن  
صفوان

قال سليمان بن عبد الملك لعدي بن الرقاع <sup>(٤)</sup> : أنشدني قولك في الخمر :  
كُفِّت إذا شجَّت <sup>(٥)</sup> وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين دبيبُ

(١) في بعض الأصول : « عمر بن عبد العزيز » مكان « سليمان » .  
(٢) يزيد : عائشة ، فهي أخت أمه أسماء .  
(٣) في مروج الذهب ( ج ٢ ص ٣٢٩ ) : « ابن أبي نعيم » .  
(٤) في الأغاني : « فضت » .  
(٥) الشعر للأبيضر ، والحديث بينه وبين عبد الملك . ( انظر الأغاني ج ١ ص ٩٣ طبعة بلاط )

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

تُربك القذى من دونها وهي دونه لَوْجَه أَخِيهَا فِي الْإِنَاءِ قُطُوبُ  
فَأَنْشَدَهُ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : شَرِبْتَهَا وَرَبَّ السَّكْبَةِ ؛ قَالَ عَدِي : وَاللَّهِ  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَنْ رَأَيْتُكَ وَصَفِي لَهَا قَدْرًا بَتْنِي مَعْرِفَتُكَ بِهَا . فَتَضَاحَكَا وَأَخَذَا  
فِي الْحَدِيثِ . الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : لَمَّا وَلِيَ بِلَالُ بْنُ أَبِي بَرْدَةَ الْبَصْرَةَ بَلَغَ ذَلِكَ  
خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ ، فَقَالَ : \* سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ \*  
فَبَلَغَ ذَلِكَ بِلَالًا فَدَعَا بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الْقَائِلُ :  
\* سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ ؟ \*

أَمَّا وَاللَّهِ لَا تَقْشَعُ حَتَّى يَصِيبَكَ مِنْهَا شَوْبُوبٌ بَرْدٌ ، فَضَرَبَهُ مَائَةً سَوْطٍ . وَكَانَ  
خَالِدٌ يَأْتِي بِلَالًا فِي وِلَايَتِهِ ، وَيَغْشَاهُ فِي سُلْطَانِهِ ، وَيَغْتَابُهُ إِذَا غَابَ عَنْهُ ،  
وَيَقُولُ : مَا فِي قَلْبِ بِلَالٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا مَا فِي بَيْتِ أَبِي الزَّرْدِ الْحَنْفِيِّ مِنَ  
الْجَوَاهِرِ . وَأَبُو الزَّرْدِ رَجُلٌ مُفْلِسٌ .

دَخَلَ عُتْبَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ  
الْقَسْرِيِّ بَعْدَ حِجَابٍ شَدِيدٍ ، وَكَانَ عُتْبَةُ رَجُلًا سَخِيًّا ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ ، يُعَرِّضُ  
بِهِ : إِنْ هَا هُنَا رَجَالٌ يُدَايِنُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ ، فَإِذَا قَنَيْتَ يُدَايِنُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ .  
فَعَلِمَ الْقُرَشِيُّ أَنَّهُ يُعَرِّضُ بِهِ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِنْ رَجَالًا تَكُونُ أَمْوَالُهُمْ  
أَكْثَرَ مِنْ مُرُوتِهِمْ ، فَأَوْلَئِكَ تَبْقَى أَمْوَالُهُمْ ، وَرَجَالًا تَكُونُ مُرُوتُهُمْ أَكْثَرَ  
مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، فَإِذَا نَفَدَتْ أَدَانَا عَلَى سَعَةِ مَا عِنْدَ اللَّهِ . فَخَجَلَ خَالِدٌ وَقَالَ :  
أَمَّا إِنَّكَ مِنْهُمْ مَا عَلِمْتَ . كَانَ شَرِيكَ الْقَاضِي يُشَاحِنُ الرَّبِيعَ صَاحِبَ شُرْطَةِ  
الْمَهْدِيِّ ، [ فَعَمِلَ الرَّبِيعُ الْمَهْدِيَّ عَلَيْهِ ] ، فَدَخَلَ شَرِيكَ يَوْمًا عَلَى الْمَهْدِيِّ ، فَقَالَ لَهُ  
الْمَهْدِيُّ : بَلَغَنِي أَنَّكَ وُلِدْتَ فِي قَوْصَرَةٍ <sup>(١)</sup> ؛ فَقَالَ : وَوُلِدْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
بِخَرَّاسَانَ وَالْقَوَاصِرَ هُنَاكَ عَزِيزَةً ؛ قَالَ : إِنِّي لَأُرَاكَ فَاطِمِيًّا خَبِيثًا ؛ قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي  
لَأُحِبُّ فَاطِمَةَ وَأَبَا فَاطِمَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ : وَأَنَا وَاللَّهُ أَحِبُّهُمَا ، وَلَكِنِّي

بين عبة وخالد  
القسري ثم بين  
شريك والمهدي

١٤٨  
٣

٤٠

(١) يريد بالقوصرة : وعاء من قصب . وأهل البصرة يسمون المنبوذ . ابن قوصرة ،  
وجد في قوصرة أو في غيرها .

رَأَيْتُكَ فِي مَنَامِي مَصْرُوفًا وَجْهَكَ عَنِّي ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِبُغْضِكَ لَنَا ، وَمَا أَرَانِي إِلَّا قَاتِلًاكَ لِأَنَّكَ زِنْدِيقٌ ؛ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الدِّمَاءَ لَا تُسْفَكَ بِالْأَحْلَامِ ، وَلَيْسَ رُؤْيَاكَ رُؤْيَا يُوسُفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ بِأَنِّي زِنْدِيقٌ ، فَإِنَّ لِلزَّنَادِقَةِ عِلَامَةً يَعْرِفُونَ بِهَا ؛ قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَالضَّرْبِ بِالطُّنْبُورِ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَنْتَ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَيْكَ .

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِعُمَرِ بْنِ الْعَاصِ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ مِصْرَ : لَقَدْ سِرَّتْ سِيرَةَ عَاشِقٍ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ مَا تَأْبِطُنِي الْإِمَاءُ <sup>(١)</sup> ، وَلَا حَمَلَتْنِي الْبَغَايَا فِي عُثْرَاتِ الْمَالَى <sup>(٢)</sup> ؛ قَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ مَا هَذَا جَوَابُ كَلَامِي الَّذِي سَأَلْتُكَ عَنْهُ ، وَإِنَّ الدَّجَاجَةَ لَتَفْجَحُ فِي الرَّمَادِ فَتَضَعُ لَغَيْرِ الْفَحْلِ ، وَالْبَيْضُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى طَرَقِهَا <sup>(٣)</sup> ، وَقَامَ عُمَرُ فَدَخَلَ . فَقَالَ عُمَرُ : لَقَدْ فَحَّشَ عَلَيْنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

فتيبة بن مسلم  
وابنه عبد الله  
والحُضَيْنِ بن  
المنذر

وَزَعَمَ الرُّوَاةُ أَنَّ قُتَيْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ لَمَّا أَفْتَتَحَ سَمَرَقَنْدَ أَفْضَى إِلَى أُنْثَى لَمْ يَرُ مِثْلَهُ ، وَإِلَى آلَاتٍ لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا ، فَأَرَادَ أَنْ يَرِي النَّاسَ عَظِيمَ مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَيُعَرِّفَهُمْ أَقْدَارَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَهَرُوا عَلَيْهِمْ ، فَأَسْرَبَدَارٍ فَمَرَشَتْ ، وَفِي صَحْنِهَا قُدُورُ أَشْتَاتٍ ، تَرْتَقَى بِالسَّلَامِ . فَإِذَا الْحُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعَلَةَ الرَّقَاشِيِّ قَدْ أَقْبَلَ ، وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ، وَالْحُضَيْنُ <sup>(٤)</sup> شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ مُسْلِمٍ قَالَ لِقُتَيْبَةَ : إِنْ ذُنَّ لِي فِي كَلَامِهِ <sup>(٥)</sup> ؛ فَقَالَ : لَا تُرِدْهُ ، فَإِنَّهُ خَبِيثُ الْجَوَابِ . فَأَنَّى عَبْدُ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ — وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُضَعِّفُ <sup>(٦)</sup> ، وَكَانَ قَدْ تَسَوَّرَ حَائِطًا إِلَى أَمْرَأَةٍ قَبْلَ ذَلِكَ — فَأَقْبَلَ عَلَى الْحُضَيْنِ ، فَقَالَ : أَمِنْ الْبَابِ دَخَلْتَ

(١) أى أنه لم تقول الإمام تربيته .

(٢) المآلى : خرق الحيز ، وغبرات المآلى ، أى بقاياها .

(٣) يعرض بعمره ، إذ كانت أمه النابغة من مغنيات مكة ، وكان يأتيها غير واحد . فلما ولدت عمروا ألحقته بالعاص لشبهه به . (انظر ج ٢ ص ١٢٠ من هذه الطبعة) . وانظر نثر الدرر للآبى فى الكلام على عمر بن الخطاب .

(٤) فى الأصول : « والحسن » . وهو تحريف .

(٥) فى السكامل : « ومعاتبته » .

(٦) يضعف : يوصف بالضعف فى عقله ورأيه .

يا أبا ساسان ؟ قال : أجل ؛ ضَعُفُ <sup>(١)</sup> عَمُّكَ عن تَسْوَرِ الحَيِّطَانِ ؛ قال : أَرَأَيْتَ  
هَذِهِ الْقُدُورُ ؟ قال : هِيَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ لَا تُرَى ؛ قال : مَا أَحْسَبُ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ  
رَأَى مِثْلَهَا ؛ قال : أَجَلْ ، وَلَا عَيْلَانَ <sup>(٢)</sup> ، وَلَوْ كُنَّ رَأَاهَا سُمِّيَ شَبْعَانٌ وَلَمْ يُسَمَّ  
عَيْلَانٌ ؛ قال له عَبْدُ اللَّهِ : أَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

عَزَلْنَا وَأَمَرْنَا وَبَكْرُ بْنُ وَائِلٍ تَجَرَّ خُصَاها تَبْتَغِي مَنْ تُحَالِفُ ؟ <sup>(٣)</sup>  
قال : أَعْرِفُهُ وَأَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

[ وَخَيْبَةُ مِنْ يَخِيبَ عَلَى غَنَى وَبَاهِلَةُ بْنُ يَعْصَرَ وَالرَّبَّاب ]

يُرِيدُ : يَا خَيْبَةَ مَنْ يَخِيبُ . قال له : أَتَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

كَانَ فِقَاحُ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ إِذَا عَرِقَتْ أَفْوَاهُ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ ؟ <sup>(٤)</sup>

قال : نَمَ . وَأَعْرِفُ الَّذِي يَقُولُ :

قَوْمٌ قُتَيْبَةُ أُمُّهُمْ وَأَبُوهُمْ لَوْلَا قُتَيْبَةُ أَصْبَحُوا فِي مَجْهَلٍ

قال : أَمَّا الشَّعْرُ ، فَأَرَاكَ تَرْوِيهِ ، فَهَلْ تَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا ؟ قال : أَقْرَأُ

مِنْهُ الْأَكْثَرَ : ( هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا

مَذْكُورًا ) . قال : فَأَغْضِبْهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ امْرَأَةَ الْحُضَيْنِ حُمِلَتْ

إِلَيْهِ وَهِيَ حُبْلَى مِنْ غَيْرِهِ . قال : فَمَا تَحْرُكُ الشَّيْخَ عَنْ هَيْئَتِهِ الْأُولَى ، ثُمَّ قَالَ عَلَى

رِسْلِهِ : وَمَا يَكُونُ ! تَلِدُ غُلَامًا عَلَى فِرَاشِي ، فَيَقَالُ : فَلَانُ بْنُ الْحُضَيْنِ ، كَمَا يَقَالُ :

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ . فَأَقْبَلَ قُتَيْبَةَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ : لَا يُبْعَدُ اللَّهُ غَيْرَكَ .

وَالْحُضَيْنُ هَذَا هُوَ الْحُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذِرِ الرَّقَاشِيُّ ، وَرَقَاشُ أُمُّهُ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ

ابْنِ بَكْرٍ بْنُ وَائِلٍ ، وَهُوَ صَاحِبُ لَوَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصِفَتَيْنِ

عَلَى رَبِيعَةٍ كُلِّهَا ، وَلَهُ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

(١) فِي السَّكَمِلِ : « أَسْن » .

(٢) عَيْلَانُ : جَدُّهُ الْأَكْبَرُ ، وَذَلِكَ أَنَّ بَاهِلَةَ أُخْتُ غَنَى بْنِ يَعْصَرَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسٍ

ابْنِ عَيْلَانَ بْنِ مِضَرَ .

(٣) هَذَا الشَّعْرُ لِحَارَاتِ بْنِ بَدْرِ الْفَدَّانِيِّ .

(٤) الْفِقَاحُ : جَمْعُ فَحْقَةٍ ، وَهِيَ الدَّبَرُ . وَهَذَا الْبَيْتُ لِلْفَرَزْدَقِ .

١٤٩  
٢

لمن رايةٌ سوداءٌ يَحْفِقُ ظِلُّهَا إذا قيلَ قَدَمُهَا حُضَيْنُ تَقَدَّمَا  
يُقَدَّمَا فِي الصَّفِّ حَتَّى يُزِيرَهَا<sup>(١)</sup> حِيَاضُ الْمَنَازِلِ تَقَطِّرُ الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ  
جَزَى اللَّهُ عَنِّي وَالْجَزَاءُ بِفَضْلِهِ رِبْعَةَ خَيْرًا مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا

بين المنذر وعمرو  
ابن العاصم بين  
خالد ورجل من  
عبد الدار

وقال المنذر بن الجارود العبدى لعمر بن العاص : أى رجل أنت لو لم  
نَكُنْ أُمِّكَ ، ممن هي ؟ قال : أحمد الله إليك ، لقد فَكَّرْتُ فيها البارحة ،  
فِعَلْتُ أَنْقَلُهَا فِي قِبَائِلِ الْقَرْبِ ، فَمَا خَطَرْتُ لِي عَبْدُ الْقَيْسِ بِيَالٍ . قال خالد بن  
صفوان لرجل من بني عبد الدار ، وسمعه يَقْفِرُ بِمَوْضِعِهِ مِنْ قُرَيْشٍ ، فقال له  
خالد : لقد هَشَمْتُكَ هَاشِمٌ ، وَأُمِّتُكَ<sup>(٢)</sup> أُمِيَّةٌ ، وَخَزَمْتُكَ مُحَمَّدٌ ، وَجَمَحْتُكَ  
مُجَمَّحٌ ، وَسَهَمْتُكَ<sup>(٣)</sup> سَهْمٌ ، فَأَنْتَ ابْنُ عَبْدِ دَارِهَا ، تَفْتَحُ الْأَبْوَابَ إِذَا أُغْلِقَتْ ،  
وَتُغْلِقُهَا إِذَا فُتِحَتْ . ١٠

### جواب في هزل

بين المغيرة  
وأعرابي يؤاكله  
ثم بين بن عنبسة  
ولإبراهيم في  
حضرة هشام

كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى - وهو والى الكوفة - جَدْيٌ يُوضَعُ عَلَى  
مَائِدَتِهِ ، فَحَضَرَهُ أَعْرَابِيٌّ فَذَرَّ يَدَهُ إِلَى الْجَدْيِ ؛ وَجَعَلَ يُسْرِعُ فِيهِ ، فَقَالَ لَهُ  
الْمُغِيرَةُ : إِنَّكَ لَتَأْكُلُهُ بَحْرَةٌ<sup>(٤)</sup> كَأَنَّ أُمَّهُ نَطَحَتْكَ ؛ قَالَ قَالَ : وَإِنَّكَ لَمُسْفِقٌ  
عَلَيْهِ كَأَنَّ أُمَّهُ أَرْضَعَتْكَ . كان إبراهيم بن عبد الله بن مُطِيعٍ جَالِسًا عِنْدَ هِشَامٍ ،  
إِذْ أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَنبَسَةَ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَحْمَرَ الْجُبَّةِ وَالْمِطْرَفِ  
وَالْعِمَامَةِ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : هَذَا ابْنُ عَنبَسَةَ قَدْ أَقْبَلَ فِي زِينَةِ قَارُونَ . قَالَ :  
فَضَحِكَ هِشَامٌ . قَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : مَا أَضْحَكَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَأَخْبَرَهُ  
بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : لَوْلَا مَا أَخَافُ مِنْ غَضَبِهِ عَلَيْكَ وَعَلَى  
الْمُسَامِينِ لِأَجِبْتُهُ ؛ قَالَ : وَمَا تَخَافُ مِنْ غَضَبِهِ ؟ قَالَ : بَلْغَنِي أَنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ ٢٠

(١) في مروج الذهب : « يعلها » .

(٢) أمه : أصاب أم رأسه .

(٣) سهمتك : قرعتك وغلبيتك .

(٤) حرد الرجل : إذا اغتاط فتعرش بالذى غاظه وهم به .

من غَضَبَةٍ يَغْضِبُهَا ، وكان إبراهيم أغور . قال إبراهيم : لولا أن له عِنْدِي بَدَأَ  
عَظِيمَةً لِأَجِبَتُهُ ؛ قال : وما يده عندك ؟ قال : ضَرَبَهُ غَلامٌ لَهُ بِمُدِيَةٍ فَأَصَابَهُ ، فلما  
رَأَى الدَّمُ فَرَعَ ، فَجَعَلَ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مَمْلُوكٌ إِلَّا قَالَ لَهُ : أَنْتَ حُرٌّ ، فَدَخَلَتْ  
عَلَيْهِ عَائِدًا لَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ نَجَدُكَ ؟ قال لي : أَنْتَ حُرٌّ ؛ قُلْتُ لَهُ : أَنَا إِبْرَاهِيمُ ؛  
قال لي : أَنْتَ حُرٌّ . فَضَحِكَ هَسَامٌ حَتَّى اسْتَلْقَى .

بين ابن حسان  
وعطاء ثم بين  
حارثه وبعضهم

قال عبد الرحمن بن حسان لعطاء بن أبي سفيان [ بن ثابت ] : لَوَأَصَبْتَ رَكْوَةً  
مَمْلُوءَةً خَمْرًا بِالْبَقِيعِ مَا كُنْتَ صَانِعًا ؟ قال : كُنْتُ أُعَرِّفُهَا بَيْنَ التَّجَارِ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ  
لَهُمْ فَهِيَ لَكَ ؛ لَكِنْ أَخْبَرَنِي عَنِ الْفَرِيعَةِ أَنَّ كَبْرُ أُمِّ ثَابِتٍ ؟ وَقَدْ تَزَوَّجَهَا قَبْلَهُ أَرْبَعَةً  
وَأَنْتَ جَمِيلَةٌ حُلْوَةٌ ؟ قالت : يُرِيدُونَ الضِّيقَ ضَيْقَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ . وَلَقِيَ رَجُلٌ مِنْ  
قُرَيْشٍ ، كَانَ بِهِ وَضَحٌ ، حَارِثَةُ <sup>(١)</sup> بَنِ بَدْرٍ ، وَكَانَ مُغْرَمًا بِالشَّرَابِ ، فَقَالَ لَهَا :  
أَشَعْرَتْ أَنْهَ بَعَثَ نَبِيَّ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ يُحِلُّ الْخَمْرَ لِلنَّاسِ ؟ قال <sup>(٢)</sup> : إِذَا لَا نُصَدِّقُ بِهِ حَتَّى  
يُبْرَى الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ .

بين الزبرقان  
وزياد ثم بين  
الفرزدق وبلال

دَخَلَ الزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرِ عَلَى زِيَادٍ ، فَسَلَّمَ تَسْلِيمًا جَافِيَا ، فَأَدْنَاهُ زِيَادٌ فَاجْلَسَهُ  
مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا عِيَّاشَ ، النَّاسُ يَضْحَكُونَ مِنْ جَفَائِكَ ؛ قَالَ : وَلَمْ  
يَضْحَكُوا ؟ فَوَاللَّهِ إِنْ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَدَّ أَنْ يَبْوَءَ دُونَ أَبِيهِ لِعَفِيَّةٍ كَانَ أَوْ لِرَشْدَةٍ .  
دَخَلَ الْفَرَزْدَقُ عَلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ وَعِنْدَهُ نَاسٌ مِنَ الْيَمَامَةِ يَضْحَكُونَ ،  
فَقَالَ : يَا أَبَا فِرَاسَ ، أَتَدْرِي مِمَّ يَضْحَكُونَ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ؛ قَالَ : مِنْ  
جَفَائِكَ ؛ قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، حَجَّجْتُ فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى عَاتِقِهِ الْإِيمَنُ صَبِيٌّ ،  
وَأَمْرَأَةٌ آخِذَةٌ بِمِزْرَةٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَنْتَ وَهَبْتَ زَانِدًا وَمَزِيدًا وَكَهَلَةً أُولَجَ فِيهَا الْأَجْرَدَا  
وَهِيَ تَقُولُ : إِذَا شِئْتُ . فَسَأَلْتُ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قِيلَ : مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ ،  
<sup>(١)</sup> فِي الْأَصُولِ : « جَارِيَةٌ مِنْ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .  
<sup>(٢)</sup> فِي الْأَصُولِ : « قَالَتْ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

١٥٠  
٢

فأنا أجنى من ذلك الرجل ؟ قال : لا حيائك الله ، فقد علمت أنا لا نغلت منك .

بين كوسج  
ومسبل ثم بين  
مسلمة وموسوس

اجتمع رجل كوسج<sup>(١)</sup> مع رجل مسبل<sup>(٢)</sup> ، فقال المسبل : ( والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ) ، قال الكوسج : قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث . مرَّ

مسلمة بن عبد الملك ، وكان من أجهل الناس ، بموسوس على مربة ، فقال له الموسوس : لوراك أبوك آدم لقررت عينه بك ؛ قال له مسلمة : لوراك أبوك آدم لأذهبت سخنة عينه بك قررة عينه بي ! وكان مسلمة من أحضر الناس جوابا .

بين النخعي  
والأعشى ثم بين  
شداد وأسود  
ثم بين ابن أسماء  
ومري

خرج إبراهيم النخعي وقام سليمان الأعشى يمشي معه ، فقال إبراهيم : إن الناس إذا رأونا قالوا : أغور وأعشى ! قال : وما عليك أن يأتبوا وتؤجر ؛ قال : وما عليك أن يسلموا ونسلم . وقال شداد الحارثي : لقيت أسود بالبادية ،

فقلت : لمن أنت يا أسود ؟ قال : لسيد الحى يا أضلع ؛ قلت : ما أغضبك من الحق ؟ قال لى : الحق أغضبك ؟ قلت : أولست بأسود ؟ قال : أولست بأضلع ؟ أذخل مالك بن أسماء السجن - سجن الكوفة - فجلس إليه رجل من بني مرة فأنكا عليه المرمى يحدثه ، ثم قال : أتدرى كم قتلنا منك في الجاهلية ؟ قال : أما في الجاهلية فلا ، ولكن أعرف من قتلتم منا في الإسلام ؛ قال : ومن قتلنا منك في الإسلام ؟ قال : أنا ، قد قتلتني بنتن إبطيك .

بين نميرة وبعض  
قومها

مرَّت امرأة من بني نمير على مجلس لهم في يوم ربيع ، فقال رجل منهم : إنها لرسحاء<sup>(٣)</sup> . قالت : والله يا بني نمير ما أطعتم الله ولا أطعتم الشاعر ، قال الله تبارك وتعالى : ( قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ) . وقال الشاعر :

\* فغض الطرف إنك من نمير \*

لشريح  
في الجوزنيق  
واللوزنيق ثم بين  
هشام والفرزدق

قيل لشريح : أيهما أطيب : الجوزنيق أم اللوزنيق<sup>(٤)</sup> ؟ قال : لست

(١) الكوسج : الذى لا شعر على عارضيه . (٢) مسبل ، أى قد أرسل لحيته . (٣) الرسحاء . القليلة لحم العجز والفخذين . (٤) الجوزنيق واللوزنيق : من الحلواء ، يعمل أولهما من الجوز . وثانيهما يشبه القطائف ويعمل بدهن اللوز ، وأصلهما في الفارسية كوزينة ولوزينة . (انظر الألفاظ الفارسية المعربة) .

٢٥

أحكم على غائب . هشام بن القاسم قال : جمعني والفرزدق مجلس فتجاهلت عليه فقلت : من الكهل ؟ قال : وما تعرفني ؟ قلت : لا ؛ قال : أبو فراس ؛ قلت : ومن أبو فراس ؟ قال : الفرزدق ؛ قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : وما تعرف الفرزدق ؟ قلت : لا أعرف الفرزدق إلا شيئاً يفعله النساء عندنا يتشبهون به كهيئة السويق ؛ قال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نساكم يتشبهون بي .  
 قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلابي : زوجني امرأة من كلب ، فزوجته ، فقال له ذات يوم : لقد وجدنا في نساء كلب سعة ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، نساء كلب خلقت لرجال كلب . وقال له يوماً : وهو يتغدى معه : يا أبرش ، إن أكلت أكل معدتي ؛ قال : هيات ! تأتي ذلك قضاة .

بين هشام  
والأبرش

مُحارة عن محمد بن أبي بكر البصري قال : لما مات جعفر بن محمد قال أبو حنيفة<sup>(١)</sup> لشيطان الطاق<sup>(٢)</sup> : مات إمامك ، وذلك عند المهدي ؛ فقال شيطان الطاق : لكن إمامك من المنظرين إلى يوم المعلوم . فضحك المهدي من قوله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . العتبي قال : حدثني أبي قال : لما افتتح التجير ، وهي مدينة باليمن ، سمع رجل من كندة رجلاً وهو يقول : وجدنا في نساء كندة سعة ؛ فقال له : إن نساء كندة مكاحل فقدت سراودها .  
 ١٥ لقي خالد بن صفوان الفرزدق ، وكان كثيراً ما يُداعبه ، وكان الفرزدق دميماً ، فقال له : يا أبا فراس ، ما أنت بالذي لما رأيته أكبرته وقطعت أيديهن ؛ قال له : ولا أنت أبا صفوان بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها : (يا أبت أستا جِرْه إن خير من أستا جرت القوى الأمين) .

بين عمارة  
وشيطان الطاق  
في حضرة المهدي  
ثم بين كندى  
وآخرهم بين خالد  
ابن صفوان  
والفرزدق

٢٠ باع رجل ضيعة من رجل ، فلما انتقد المال قال المشتري : أما والله لقد أخذتها كثيرة المؤونة ، قليلة المعونة ؛ قال له المشتري : وأنت والله أخذتها بطيئة الاجتماع ، سريعة الافتراق . واشترى رجل من رجل داراً ، فقال لصاحبها :

بين متابعين ثم  
بين ابن حنيفة  
ومحدث

(١) لعله أبو حنيفة حرب بن قيس .

(٢) في الأصول : « الطارق » في الموضعين . وهو تحريف .



لو صبرتَ لا شتريتُ منك الذراع بعشرة دنانير؛ قال له البائع: وأنت لو صبرتَ لا شتريتَ مني الذراع بدرهم. وكان [بالزفة] رجل يُحدِّث بأخبار بني إسرائيل، فقال له الحجاج بن حنتمة<sup>(١)</sup>: كيف كان أسم بقره بني إسرائيل؟ قال: حنتمة؛ فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري: أين وجدتَ هذا؟ قال: في كتاب عمرو بن العاص.

يعني الشعبي  
وبعض الرجال  
ثم بين معن وابن  
عياش

وقال رجل للشعبي: ما كان أسم امرأة إبليس؟ قال: إن ذلك نكاح ما شهدناه. ودخل رجل على الشعبي فوجده قاعداً مع امرأة، فقال: أيكما الشعبي؟ قال الشعبي: هذه، وأشار إلى المرأة. كان معن بن زائدة طنيناً في دينه، فبعث إلى ابن عياش<sup>(٢)</sup> الممتوف بألف دينار، وكتب إليه: قد بعثتُ إليك بألف دينار، اشتريتُ بها منك دينك، فأقبض المالم واكتب إلى بالتسليم. فكتب إليه: قد قبضتُ المالم وبعثتُ به ديني خلا التوحيد، لما علمتُ من زهدك فيه. بعث بلال بن أبي بردة في ابن أبي علقمة الممرور، فلما أتى به قال: أتدرى لما بعثتُ إليك؟ قال: لا أدري؛ قال: بعثتُ إليك لأضحك بك؛ قال: لئن فعلت لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه، يُعرض له بجده أبي موسى، فعضب منه بلال وأمر به إلى الحبس. فكلّمه الناس وقالوا: إن المجنون لا يعاقب ولا يحاسب، فأمر بإطلاقه وأن يُؤتى به إليه. فأتى به في يوم سبت وفي كُمة طرائف أُتخِف بها في الحبس، فقال له بلال: ما هذا الذي في كُمتك؟ قال: من طرائف الحبس؛ قال: ناوطني منها؛ قال: هو يوم سبت ليس يُعطى فيه ولا يُؤخذ؛ يُعرض بهمة كانت له من اليهود. دخل حسان بن ثابت على عائشة رضي الله عنها فأنشدها:

بين بلال بن أبي  
بردة وأبي علقمة  
الممرور ثم بين  
حسان وعائشة

حَصَان رَزَانُ مَا تُزَنُّ بِرَبِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرَفِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ  
قالت له: لكذك لست كذلك، وكان حسان من الذين جاءوا بالإفك.

(١) كذا في البيان والتبيين (ج ٣ ص ١٩٤) والكامل. والذي في الأصول: «خيشمة».

(٢) في الأصول: «عباس». وهو تحريف. انظر عيون الأخبار والمعارف.

نظر رجل من الأزدي إلى هلال بن الأحمور<sup>(١)</sup> حين قدم من قنديل<sup>(٢)</sup> ،  
وقد أطافت به بنو تميم فقال: انظروا إليهم وقد أطافوا به إطفاء الحواريين بعيسى .  
فقال له محمد بن عبد الملك المازني: هذا ضيد عيسى ، عيسى كان يحيى الموتى وذا  
يُميت الأحياء . لما حُلقت لَحْيَةُ ربيعة [ بن أبي عبد الرحمن ] ، كانت امرأة من  
المسجد تنقف عليه كل يوم في حَلَقَتِهِ ، وتقول : الله لك يا بن<sup>(٣)</sup> أبي عبد الرحمن !  
مَنْ حَلَقَ لَحْيَتَكَ ؟ فلما أَرَمَتْهُ ، قال لها : يا هذه ، إِنَّ ذَلِكَ حَلَقَهَا فِي جَزَةٍ وَاحِدَةٍ  
وَأَنْتَ تَحْلِقِينَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ . خَرَجَ سَعِيدُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَوْمًا بِحِمَصٍ  
فِي يَوْمٍ مَطَرٍ عَلَيْهِ طَيْلَسَانٌ وَقَدْ كَادَ يَمْسُ الْأَرْضَ ، فقال له رجلٌ وهو لا يعرفه :  
أَفْسَدْتَ ثَوْبَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ قال : وما يضرُّكَ ؟ قال : وَدِدْتُ أَنَّكَ وَهَوِي  
النَّارَ ؟ قال : وما ينفعك ؟

بين ابن الأحوز  
ورجل من الأزدي  
ومحمد المازني ثم  
بين ربيعة وبعض  
النساء ثم بين  
سعيد وبعض  
الرجال

١٠

لما قدم الحجاجُ العراقَ والياً عليها خرج عبيد الله بن ظبيان متوكِّفاً على  
مولى له وقد ضربه الفارنج ، فقال : قدِمَ العراقَ رجلٌ على ديني ؛ فقال له حُضَيْنُ  
ابن المُنْذِرِ الرَّقَاشِيّ : فهو إذا مُنَافِقٌ ؛ قال عبيد الله : إنه يَقْتُلُ الْمُنَافِقِينَ ؛ قال له  
حُضَيْنُ : إذا يَقْتُلُكَ . لما قدِمَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ دَارَ مَرْوَانَ ،  
فمرَّ الْحَجَّاجُ بِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَعَلَى الْحَجَّاجِ سَيْفٌ  
مُحَلًى ، وَهُوَ يَحْطِرُ مُتَبَخِّراً فِي الْمَسْجِدِ ، فقال له رجلٌ من قُرَيْشٍ : مَنْ هَذَا  
الْمُخْطَاطَرَةُ ؟ فقال خَالِدٌ : بَخٍ بَخٍ ! هَذَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ . فَسَمِعَهُ الْحَجَّاجُ فَهَالَ  
إِلَيْهِ ، فقال : قلتَ : هَذَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ! وَاللَّهِ مَا سَرَّني أَنَّ الْعَاصَ وَلَدَنِي وَلَا وَلَدَتُهُ ،  
وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ مَنْ أَنَا ، أَنَا ابْنُ الْأَشْيَاحِ مِنْ ثَقِيفٍ ، وَالْعَقَائِلُ مِنْ  
قُرَيْشٍ ، وَالَّذِي ضَرَبَ مِائَةَ أَلْفٍ بِسَيْفِهِ هَذَا ، كُلُّهُمْ يَشْهَدُ عَلَيَّ أَنَّكَ بِالْكَفْرِ  
وَشُرْبِ الْخَمْرِ ، حَتَّى أَقْرَأُوا أَنَّهُ خَلِيفَةُ ، ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَقُولُ : هَذَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ !

بين ابن ظبيان  
وحضين ثم بين  
خالد بن يزيد  
والحجاج

٢٠

(١) في الأصول : « الأحمور » بالراء المهملة ، وهو تصحيف .

(٢) كذا في معجم ما استعجم للبكري . والذي في الأصول : « قنديل » وهو تحريف .

(٣) في الأصول : « يا أبا » مكان « يا بني » وهو تحريف . (انظر تهذيب التهذيب

ج ٣ ص ٢٥٨ و ص ٢٥٩) .

قال رجل من بني لَهَبٍ لَوْهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ : مِمَّنِ الرجل ؟ قال : رجل من  
البنين ؛ قال : فما فعلتُ أُنْكُمْ بَلْقِيسَ ؟ قال : هاجرتُ مع سليمانَ لله ربِّ العالمين ،  
وأُنْكُمْ حَمَّالَةَ الحُطْبِ في جِيدِهَا خَبْلٌ من مَسَدٍ . وقال رجل لابنِ شُبْرَمَةَ : من  
عندنا خَرَجَ العِلْمُ إليكم ؛ قال : نعم ، ثم لم يَرْجِعْ إليكم . نظرَ يزيدُ بنُ منصورٍ ،  
خالُ المهديِّ ، إلى يزيدِ بنِ مَزِيدٍ ، وعليه رداءُ يمانٍ وهو يَسْجُبُهُ ، فقال : ليس  
عليك غَزْلُهُ ، فَأَسْحَبْ وَجْرَ ؛ قال له : على آباءك غَزْلُهُ ، وعلى سَحْبِهِ . فشكاه  
إلى المهديِّ ؛ فقال : لم تجد أحداً تتعرَّضُ له إلا يزيدَ بنَ مَزِيدٍ !

دخل أبو يَظْظَانَ القَيْسِيُّ على يزيدِ بنِ حاتمٍ ، وهو والي مِصْرَ وعنده هاشمُ بن  
حُدَيْجٍ ، فقال له يزيدُ : حرِّكْه ، وعلى أبي اليَظْظَانَ حُلَّةٌ وَشْيٌ وَكِسَاءٌ خَزٌّ ؛ فقال  
هاشمُ : الحمدُ لله أبا اليَظْظَانَ ، لَدِستُمُ الوَشْيَ بعدَ العَبَاءِ ؛ قال : أجل ، تحوكون  
ونلبس ، فلا عَدِمْتُمُ هذا مِنَّا ، ولا عَدِمْنَا هذا مِنكم . كتبَ الفرزدقُ إلى  
عبد الجبارِ بنِ سلمى المَجاشعِيَّ يَسْتَهْدِيهِ جاريةً ، وهو بَعْمَانٌ ، فكتبَ إليه :  
كُتِبَتْ إِلَيَّ تَسْتَهْدِي الجَوَارِي لَقَدْ أَنْعَظْتَ مِنْ بِلَدٍ بَعِيدٍ

وقال رجلٌ من العرب : رأيتُ البارحةَ الجَنَّةَ في مَنَامِي ، فرأيتُ جميع  
ما فيها من القُصُور ، فقلتُ : لمن هذه ؟ فقِيلَ لي : للعربِ ؛ قال له رجلٌ  
من المَوَالِي : أَصْعَدْتُ الغُرفَ ؟ قال : لا ؛ قال : تلكَ لنا . قال عبدُ الله  
ابنُ صَفْوَانَ ، وكان أُمِّيًّا ، لعبدِ الله بنِ جَعْفَرٍ بنِ أَبِي طَالِبٍ : أبا جَعْفَرُ ، لقد  
صِرْتُ حُجَّةً لِفَتَيَانِنَا عَلَيْنَا ، إِذَا هَيَّيْنَاهُم عَنِ المَلَاهِي قَالُوا : هذا ابنُ  
جَعْفَرٍ سَيِّدِ بَنِي هَاشِمٍ يَحْضُرُهَا وَيَتَخَذُهَا ؛ قال له : وَأَنْتَ أبا صَفْوَانَ صِرْتُ  
حُجَّةً لِصَبْيَانِنَا عَلَيْنَا ، إِذَا لُمْنَاهُمْ فِي تَرْكِ المَكْتَبِ قَالُوا : هذا أَبُو صَفْوَانَ  
سَيِّدِ بَنِي جُمَحٍ لَا يَقْرَأُ آيَةً وَلَا يَخْطُهَا . قال مُعَاوِيَةُ لعبدِ الله بنِ عَامِرٍ : إِنَّ لي  
إِلَيْكَ حَاجَةً ؛ قال : بِحَاجَةٍ تَقْضِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَسَلْ حَاجَتَكَ ؛ قال :  
أريدُ أَنْ تَهَبَ لِي دُورَكَ وَضِياعَكَ بالطَّائِفِ ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال : وَهَلَّتْكَ

بين لهي ووهب  
ابن منه ثم بين  
ابن شبرمة  
ورجل وزيد بن  
منصور وابن  
مزيد

بين أبي يقظان  
وابن حديج ثم  
بين الفرزدق  
وعبد الجبار بن  
سلمى

بين رجلين وبين  
ابن صفوان  
وعبد الله بن  
جعفر ثم بين  
معاوية وابن عامر  
وبين ثمانية  
ورجل

رَحِمَ ، فَسَلَّ حَاجَتَكَ ؛ قَالَ : حَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ تَرُدَّهَا عَلَيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛  
قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . وَقَالَ رَجُلٌ لثُمَامَةَ بْنِ أَشْرَسَ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ؛ قَالَ :  
وَأَنَا لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ ؛ قَالَ : وَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : فَتَقْضِيهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا  
تَوَثَّقَ مِنْهُ قَالَ : فَإِنْ حَاجَتِي إِلَيْكَ أَلَّا تَسْأَلَنِي حَاجَةً .

### جواب في نحر

- ٥ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : تَفَاخَرَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ  
وَخَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَشَيْخٍ مِنْ  
مَوَالِي قُرَيْشٍ : أَقْضِ بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَ الشَّيْخُ : كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ لَا يَغْتَمُّ أَحَدًا  
فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ بِلَوْنِ عِمَامَتِهِ ، وَكَانَ حَرْبُ بْنُ أُمِيَّةَ لَا يُبْسِكِي عَلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي  
أُمِيَّةَ مَا كَانَ فِي الْبَلَدِ شَاهِدًا ، فَلَمَّا مَاتَ سَعِيدٌ وَحَرْبُ شَهِدَ لَمْ يُبْسِكِ عَلَيْهِ . ١٠  
قَالَ الْأَبْرَشُ السَّكَلَبِيُّ لَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : هَلُمَّ أَفْخَرُكَ ، وَهِيَ عِنْدَ هِشَامِ بْنِ  
عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ لَهُ خَالِدٌ ؛ قُلْ ، فَقَالَ لَهُ الْأَبْرَشُ : لَنَا رُبْعُ الْبَيْتِ — يُرِيدُ الرُّكْنَ  
الْيَمَانِيَّ — وَمِنَّا حَاتِمُ طَيْئٍ ، وَمِنَّا الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ . فَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ :  
مِنَّا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ ، وَفِينَا الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ ، وَلَنَا الْخَلِيفَةُ الْمُؤَمَّلُ . قَالَ الْأَبْرَشُ :  
لَا فَاخَرْتُ مُضَرِيًّا بِعَدِكَ . وَنَزَلَ بِأَبِي الْعَبَّاسِ قَوْمٌ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ أَخْوَالِهِ مِنْ ١٥  
كَعْبٍ <sup>(١)</sup> ، فَفَخَرُوا عِنْدَهُ بِقَدِيمِهِمْ وَحَدِيثِهِمْ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ <sup>(٢)</sup> لَخَالِدِ بْنِ  
صَفْوَانَ : أَجِبِ الْقَوْمَ ؛ فَقَالَ : [ أَخْوَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : لَا بَدَّ أَنْ  
تَقُولَ ؛ قَالَ : وَمَا أَقُولُ ] يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِقَوْمٍ هُمْ بَيْنَ حَائِكَ بُرْدٍ ، وَدَايِعِ جِلْدٍ ،  
وَسَائِسِ قِرْدٍ ، مَلَكَتْهُمْ أَمْرَاءُ ، وَدَلَّ عَلَيْهِمْ هُدُودٌ ، وَغَرَّقَتْهُمْ فَاوَرَةٌ . فَلَمْ يَقُمْ  
بَعْدَهَا لِيَمَانِيٍّ قَائِمَةٌ . ٢٠

تفاخر عمرو بن  
سعيد وخالد بن  
يزيد في حضرة  
عبد الملك

بين الأبرش  
وخالد بن صفوان  
عند هشام ثم بين  
خالد وقوم من  
اليمن

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْحَجَّاجِ : لَوْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ ذَهَبٍ لَكُنْتُهُ . قَالَ لَهُ رَجُلٌ

بين عبد الملك  
ابن الحججاج  
وبعضهم ثم بين  
عمر بن عبيد الله  
وأمية

(١) فِي الْأَصُولِ : « كَعْب » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ . فَأَمَّ السَّفَاحُ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ .  
(٢) فِي الْأَصُولِ : « هِشَام » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (انظر الحاشية رقم ٤ ص ٣٣٠ من الجزء  
الثالث من هذه الطبعة) .

من قريش: وكيف ذلك؟ قال: لم تلدني أمة بيني وبين آدم ما خلا هاجر؛ فقال له: لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب. [دخل عمر بن عبید [الله] بن معمر على عبد الملك بن مروان وعليه حبرة صدأ<sup>(١)</sup> عليها أثر الحائل، فقال له أمية بن عبد الله<sup>(٢)</sup> بن خالد بن أسيد: يا أبا حفص، أي رجل أنت لو كنت من غير من أنت منه من قريش؟ قال: ما أحب أني من غير من أنا منه، إن منّا لسيد الناس في الجاهلية عبد الله بن جُدعان، وسيد الناس في الإسلام أبا بكر الصديق، وما كانت هذه يدي عندك، إني استنقذت أمهات أولادك من عدوك أبي فُديك<sup>(٣)</sup> بالبحرين، وهُنَّ حَبَالِي، فولدن في حجابك.

بين عبد الرحمن  
ابن خالد ومعاوية  
ثم بين الزبير  
وعثمان بن عفان

قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد [بن المغيرة] لمعاوية: أما والله لو كنت [بمكة على السواء] لعلمت! قال معاوية: إذا كنت أكون مُعاوية بن أبي سفيان، منزلي الأبطح<sup>(٤)</sup>، ينشق عني سَيْلُهُ<sup>(٥)</sup>، وكنت عبد الرحمن بن خالد، منزلك أجياد<sup>(٦)</sup>، أعلاه مدرّة، وأسفله عذرة. تنازع الزبير بن العوام وعُثمان بن عفان في بعض الأمر، فقال الزبير: أنا ابن صَفِيّة؛ قال عُثمان: هي أذنتك من الظِّلِّ، ولولا ذاك لكنت ضاحياً.

بين أحمد بن  
يوسف ومحمد بن  
الفضل ثم بين  
معاوية ومولى  
لزياد

قال أحمد بن يوسف الكاتب لمحمد بن الفضل<sup>(٧)</sup>: يا هذا، إنك تتطاول بهاشم كأنك جهمتها، وهي تعتد في أكثر من خمسة آلاف؛ قال له محمد بن الفضل:

(١) في بعض الأصول: «مصدأة».

(٢) كذا في الجزء الأول من هذه الطبعة وعيون الأخبار (ج ١ ص ١٧١). والذي

في الأصول هنا: «عبد الملك».

(٣) هو عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة، وكان رأساً من رءوس الخوارج. وكان غلب

على البحرين وهزم أمية بن عبد الله، فبعث إليه عبد الملك عمر بن عبيد الله فقتل أبافديك

واستباح عسكره. (انظر الكامل لابن الأثير) والذي في الأصول «ابن» وهو تحريف.

(٤) الأبطح: كل مسيل فيه دقاق الحصا، والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى، لأن

المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب.

(٥) في بعض الأصول: «سبيله». وما أثبتناه عن سائر الأصول وعيون الأخبار

(ج ١ ص ٢٢١).

(٦) أجياد: موضع بمكة يلي الصفا.

(٧) في: «الفضل».

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

إِنَّ كَثْرَةَ عِدْدِهَا لَيْسَ يُخْرَجُ مِنْ عِفْثِكَ فَضْلٌ وَاحِدٌ فَخَرَّ مَوْلَى لَزِيَادَ بَزِيَادَ  
عِنْدَ مُعَاوِيَةَ . قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَسَكْتَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَذْرُكَ صَاحِبُكَ شَيْئًا بِسَيْفِهِ إِلَّا  
أَدْرَكَتُ أَكْثَرَ مِنْهُ بِلِسَانِي .

وقال رجل من مخزوم للأحوص [محمد] بن عبد الله الأنصاري : أتعرف  
الذي يقول :

بين الأحوص  
ورجل من  
مخزوم

ذَهَبْتُ قُرَيْشَ بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا وَالذِّلُّ نَحْتِ عِمَائِمِ الْأَنْصَارِ ؟  
قال : لا ، ولكنني أعرف الذي يقول :

النَّاسُ كَنَنُوهُ أَبَا حَكَمٍ وَاللَّهُ كَنَاهُ أَبَا جَهْلٍ  
أَبَقْتُ رِيَّاسَتَهُ لِأُسْرَتِهِ لَوْثَمَ الْفُرُوعِ وَرِقَّةً<sup>(١)</sup> الْأَصْلِ

سأل رجل من قريش رجلاً من بني قيس بن ثعلبة : ممن أنت ؟ قال : ١٠  
من ربيعة ؛ قال له القرشي : لا أترلكم ببطحاء مكة ؛ قال القيسبي : آثارنا  
في أكناف الجزيرة مشهورة ، ومواقفنا في يوم ذي قار معروفة ، فأمامكم فسواء  
العاكف فيها والبادي ، كما قال الله [تبارك و] تعالى ، فأخذه . قال الأشعث بن  
قيس لشريح القاضي : شد ما ارتفعت ! قال : فهل ضرك ؟ قال : لا ؛ قال :  
فأراك تعرف نعمة الله على غيرك ، وتجهلها على نفسك .

بين قريش  
وقيسي ثم بين  
الأشعث وشريح

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العز بالبصرة ؟ قال : فينا ،  
وفي أحلافنا من ربيعة ؛ قال له سليمان بن عبد الملك<sup>(٢)</sup> : الذي تحالفتم عليه  
أعز منكم . قدم أعرابي البصرة فدخل المسجد الجامع ، وعليه خلقتان<sup>(٣)</sup> وعمامة  
قد كوّرها على رأسه ، فرمى بطرفه يمنة ريسرة ، فلم ير فتية أحسن وجوهاً  
ولا أظهر زينا من فتية حضروا حلقة عتبة المخزومي ، فدنا منهم وفي الحلقة ٢٠  
فرجة فطبقها<sup>(٤)</sup> ، فقال له عتبة : ممن أنت يا أعرابي ؟ قال : من مدحج ؛ قال :

بين سليمان ويزيد  
ابن المهلب ثم  
بين أعرابي وعتبة

(١) في بعض الأصول : « دقة » .

(٢) في بعض الأصول : « عمر بن عبد العزيز » .

(٣) في بعض الأصول : « دلقانيات » .

(٤) طبقها ، أي سدها وغطاها .

مِنْ زَيْدِهَا الْأَكْرَمِينَ ، أَوْ مِنْ مُرَادِهَا الْأَطْيَبِينَ ؟ قَالَ : لَسْتُ مِنْ زَيْدِهَا وَلَا مِنْ مُرَادِهَا ؛ قَالَ : [ فَمَنْ أَنْتَ ؟ ] قَالَ : إِنِّي مِنْ حُجَاةِ أَعْرَاضِهَا ، وَزَهْرَةِ رِيَاضِهَا بَنِي زُبَيْد . قَالَ : فَأَخْبِرْ عُنْتَهُ حَتَّى وَضَعَ قَلَمُ سُوْتِهِ عَنْ رَأْسِهِ ، وَكَانَ أَصْلَحَ ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : فَأَنْتَ يَا أَصْلَحَ ، مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ؛ قَالَ : فَمِنْ بَيْتِ نُبُوتِهَا ، أَوْ مِنْ بَيْتِ مَمْلَكَتِهَا ؟ قَالَ : إِنِّي مِنْ رِيحَاتِهَا بَنِي مَخْزُومٍ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ تَدْرِي لَمْ تُسَمِّتْ بَنُو مَخْزُومٍ رِيحَانَةَ قُرَيْشٍ ، مَا خَفَرَتْ بِهَا أَبَدًا ، إِنَّمَا سَمِيتَ رِيحَانَةَ قُرَيْشٍ لِيَخْوَِرَ رَجَالُهَا ، وَلِيَنْ نَسَائِهَا ؛ قَالَ عَتَبَةُ : وَاللَّهِ لَا نَازَعْتُ أَعْرَابِيًّا بِعَدْلِكَ أَبَدًا .

وَضَعَ فَيَرُوزُ [ بَن ] حُصَيْنَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ نَمِيلَةَ بِنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي عُسْكَبَةَ عِنْدَ زِيَادٍ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا الْعَبْدُ ؟ قَالَ : أَنْتَ الْعَبْدُ ، ضَرَبْنَاكَ فَمَا أَنْتَصَرْتَ ، وَمَنْنَا عَلَيْكَ فَمَا شَكَرْتَ . أَجْتَمَعْتَ بِسُكْرٍ بَنِ وَائِلٍ إِلَى مَالِكِ بْنِ مِسْمَعٍ لِأَمْرِ أَرَادَهُ مَالِكٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَأَرْسَلَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ [ زِيَادِ بْنِ ] ظَبْيَانَ ، فَأَتَى عُبَيْدَ اللَّهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مِسْمَعٍ ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تُرْسَلَ إِلَيَّ ؟ قَالَ : يَا أَبَا مَطَرٍ ، مَا فِي كِفَانَتِي <sup>(١)</sup> سَهْمٌ أَنَا أَوْثَقُ بِهِ مِنِّي بِكَ . قَالَ : وَإِنِّي لَفِي كِفَانَتِكَ ! أَمَّا وَاللَّهِ لَنْ كُنْتُ فِيهَا قَائِمًا لِأَطْوَلِنَهَا ، وَلَنْ كُنْتُ فِيهَا قَاعِدًا لِأَخْرِقْنَهَا .

نَازَعَ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعٍ شَقِيقَ بْنَ ثَوْرٍ ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : إِنَّمَا شَرَّفَكَ قَبْرُ بَيْتُسْتَرٍ ؛ قَالَ شَقِيقٌ : لَسْتُ وَضَعْتُ قَبْرُ بَيْتُسْتَرٍ بِالْمُسْقَرِّ . وَذَلِكَ أَنَّ مِسْمَعًا أَبَا مَالِكٍ جَاءَ إِلَى قَوْمٍ بِالْمُسْقَرِّ ، فَتَبَجَّحَ كُلُّهُمْ ، فَقَتَلَهُ ، فَقَتَلُوهُ بِهِ ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُ : قَتِيلُ الْكَلَابِ . وَأَرَادَ مَالِكُ قَبْرَ حِجْرَاءَ <sup>(٢)</sup> بَنِ ثَوْرٍ ، أَخَى شَقِيقٍ ، وَكَانَ اسْتَشْهَدَ بَيْتُسْتَرٍ مَعَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ . قَالَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ لَهَيْبَةَ بْنِ مَسْرُوحٍ : أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ لَوْ كَانَتْ أَخْوَالُكَ مِنْ غَيْرِ سَلُولٍ ! فَبَادَلَ بِهِمْ ؛ قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، بِإِدْلِ بِهِمْ مَنْ شِئْتَ وَجَنَّبَنِي بِأَهْلَةٍ . وَكَانَ قُتَيْبَةُ مِنْ بَاهِلَةٍ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « بَنِي كِفَانَةٍ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « مَجْدَاد » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

بَيْنَ فَيَرُوزَ  
وَنَمِيلَةَ عِنْدَ زِيَادٍ  
ثُمَّ بَيْنَ مَالِكِ بْنِ  
مِسْمَعٍ وَابْنِ ظَبْيَانَ

بَيْنَ ابْنِ مِسْمَعٍ  
وَشَقِيقِ بْنِ ثَوْرٍ  
ثُمَّ بَيْنَ قُتَيْبَةَ  
وَهَيْبَةَ

## جواب ابن أبي دواد

- قال أحمد بن أبي دواد لحمد بن [عبد الملك] الزيات<sup>(١)</sup> عند الوائق : اضوى  
 أى اسكت — بالنبطية — ؛ فقال له : لماذا والله ؟ ما أنا بنبطى ولا بدعى ؛  
 قال له : ليس فوقك أحد يفضلك<sup>(٢)</sup> ، ولا دونك أحد تنزل إليه ، فأنت مطّرح  
 فى الحالتين جميعاً . ودخل أحمد بن أبي دواد على أشناس ، فقال له : بلغنى أنك  
 أفسدت هذا الرجل ، [يعنى] محمد بن عبد الملك ، وهو لنا صديق ، فأحب أن  
 لا تأتينا ؛ قال له ابن أبي دواد : أنت رجل صنعته هذه الدولة ، فإن أتيناك  
 فلها ، وإن تركناك فلنفسك . قال أحمد بن أبي دواد : دخلت على الوائق ، فقال :  
 مازال قوم اليوم فى ثلبك ونقصك ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، لعل أمرى منهم  
 ما اكتسب من الإنم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، فأنه ولى  
 جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه ، وما ضاع أمرؤ أنت حائطه ، ولا ذل  
 من كنت ناصره ، فإذا قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : أبا عبد الله :  
 وسعى إلى بعيب عزة نسوة جعل للمليك خدودهن نعالها  
 وقال أبو العيناء الهاشمي : قلت لأبن أبي دواد : إن قوماً تصافروا على ؛ قال :  
 (يد الله فوق أيديهم) . قلت : إنهم جماعة ؛ قال : (كم من فئة قليلة غلبت  
 ١٥ فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) . قلت : إن لهم مكرأ ؛ قال : (ولا يحيق  
 المكر السيئ إلا بأهله) . قال أبو العيناء : فحدثت به أحمد بن يوسف الكاتب ،  
 فقال : ما يرى ابن أبي دواد إلا أن القرآن إنما أنزل عليه .

هو ومحمد بن  
عبد الملك ثم  
اشناس ثم الوائق

هو وأبو العيناء  
الهاشمي

## جواب فى تفحش

- خطب خالد بن عبد الله القسرى ، فقال : يا أهل البادية ، ما أخشن بلدكم !  
 وأغلظ معاشكم ! وأجفى أخلاقكم ! لا تشهدون الجمعة ، ولا تجالسون عالماً .  
 ٢٠

بين خالد القسرى  
وبدوى ثم بين  
موسى بن مصعب  
وأمرأة

(١) فى الأصول : « محمد بن الرباب » . وهو تحريف .  
 (٢) فى الأصول : « يقتلك » . وظاهر أنه محرف عما أثبتنا .



فقام إليه رجل منهم دميم ، فقال : أما ما ذكرت من خُشونة بلدنا ، وغلظ طعامنا ، [وجفاء أخلاقنا] فهو كذلك ؛ ولكنكم معشر أهل الحضر فيكم ثلاث خصال هي شرٌّ من كل ما ذكرت ؛ قال له خالد : وما هي ؟ قال : تنقبون الدور ، وتنشون القبور ، وتكحون الذكور ؛ قال : قبحك الله وقبح ما جئت به . أبو الحسن قال : أتى موسى بن مُصعب منزل امرأة مدنية لها قينة تعرّضها ، فإذا امرأة جميلة لها هيئة ، فنظر إلى رجل دميم يحى ، ويذهب ويأمر وينهى في الدار ، فقال : من هذا الرجل ؟ قالت : هو زوجي ؛ قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أما وجدت من الرجال غير هذا وبك من الجمال ما أرى ؟ قالت : والله يا أبا عبد الله لو أستدبرك بمثل ما يستقبلني به لعظم في عيذك .

١٥٥  
٢

أبو الحسن قال : قالت عاتكة بنت الملاء لرائض دواب زوجها في طريق مكة : ما وجدت عملاً شراً من عملك ، إنما كسبتك بأستك ! فقال لها : جعلت فداك ، ما بين ما أكتسب به ، وما تكتسبين به أنت إلا إصبعان ؛ قالت : وبلى عليك ! خذوا الخبيث . فطلبه حشمها ، فقاتهم ركضاً . أبو الحسن قال : قال رجل من الأزد في مجلس يونس النحوي : وددت والله أن بني تميم جميعاً في جوفى ، على أن يضرب وسطى بالسيف . قال له شيخ في ناحية المجلس حرمازى من بني تميم : يا هذا ، يكفيك من ذاك كمرّة حمارية يملأ بها أستك إلى لماتك .

بين بنت الملاء ورائض خيل ثم بين أزدى وتميمي

وسأل أعرابي شيخاً من بني مروان وحوله قومٌ جلوس ، فقال : أصابتنا سنةٌ ولى بضع عشرة بنتاً ؛ فقال الشيخ : أما السنة ، فوددت والله أن بينكم وبين السماء صفيحة من حديد ؛ وأما البنات ، فليت الله أضعفهن لك أضعافاً كثيرة ، وجعلك مقطوع اليدين والرجلين ليس لمن كاسب غيرك . قال : فنظر الأعرابي ملياً ، ثم قال : ما أدري ما أقول لك ! ولكني أراك قبيح المنظر ، لثيم المخبر ، فأعصاك الله ببُظور أمهات هؤلاء الجلوس حولك . وسأل أعرابي شيخاً من الطائف وشكاً إليه سنةٌ أصابته ؛ فقال : وددت والله أن الأرض

بين أعرابين يسألان وبعض القوم

٢٠

حصاء<sup>(١)</sup> ولا تُذبت شيئاً ؛ قال : ذلك أبيّس لجعر أمك في أستها .

- قال عبيد الله بن [ زياد بن ] ظبيان لزُرعة بن صَمرة الضَمري : إني لو أدركتُك يوم الأهواز ، لقطعتُ منك طابَقاً<sup>(٢)</sup> شَحِيماً<sup>(٣)</sup> ؛ قال : ألا أدلك على طابق [ شَحِيم ] هو أولى بالقطع ؟ قال : بلى ؛ قال : البَطْر الذي بين أستي أمك .
- قال عبد الله بن الزبير لعدِي بن حاتم : متى فُقِيتَ عينك ؟ قال : يوم طعنْتُك في أستك وأنت مُولٍ . وقال الفرزدق : ما عيّت بجواب أحد قط ما عيّت بجواب امرأة ، وصبي ، ونبطي ؛ فأما المرأة ، فإني ذهبت ببغلي أسقيها في النهر ، فإذا معشر نسوة ، فلما هزمت البغلة حَبَقَتْ ، فاستضحك النسوة ، فقلت لمن : ما أضحككن ؟ فوالله ما حملتني أنثى إلا فعلت مثلها ؛ فقالت امرأة منهن : فكيف كان صراط أمك قفيرة<sup>(٤)</sup> ؟ فقد حملتني في بطنها تسعة أشهر ، فما وجدت لها جواباً ؛ وأما الصبي فإني كنت أنشد بجامع البصرة ، وفي خلقي الكُميت ابن زيد ، وهو صبي ، فأعجبني حسن أستماعه ، فقلت له : كيف سمعت يا بُني ؟ قال لي : حسن ؛ قلت : أفيسرك أني أبوك ؛ قال : أما أبي فلا أريد به بدىلاً ، ولكن ودِدْتُ أن تكون أُمِّي ؛ قلت : أسترها علي يا بن أخي ، فما لقيتُ مثلها ؛ وأما النبطي ، فإني لقيتُ نبطياً بيثرب فقال لي : أنت الفرزدق ؟ قلت : نعم ؛ قال : أنت الذي يخاف الناس إسانك ؟ قلت : نعم ؛ قال : فأنت الذي إذا هَجوتني يموت فرسي هذا ؟ قلت : لا ؛ قال : فيموت ولدي ؟ قلت : لا ؛ قال : فأموت أنا ؟ قلت : لا ؛ قال : فأدخلني الله في حرٍّ أم الفرزدق من رجلى إلى عنقي ؛ قلت : ويلك ! ولم تركت رأسك ؟ قال : حتى أرى ما تصنع الزانية .
- ولقي جرير<sup>(٥)</sup> الفرزدق بالكوفة ، فقال : أبا فراس ، تحتمل عني مسألة ؟ قال : ٢٠ أحتملها بمسألة ؟ قال : نعم ؛ قال : فسَل عما بدا لك ؛ قال : أي شيء أحب

بين ابن ظبيان  
وزرعة ثم بين  
ابن الزبير وعدى  
ثم عى الفرزدق  
بجواب ثلاثة

بين جرير  
والفرزدق ثم  
بين الفرزدق  
والمزرد الحنفى

(١) في بعض الأصول : « حصبة » . (٢) الطابق (بفتح الباء وكسرهما) : العضو .

(٣) في بعض الأصول : « سخيا » . وهو تحريف .

(٤) في الأصول : « مقبرة » ، والتصويب عن الطبرى والقاموس « مادة قفر » .

١٥٦  
٢

إليك : يتقدمك الخيرُ أو تتقدمه ؟ قال : لا يتقدمني ولا أتقدمه ، ولكن  
أكون معه في قرن ؛ قال : هات مسألتك ؛ قال له الفرزدق : أي شيء أحب  
إليك إذا دخلت على امرأتك : أن تجد يدها على أثر رجل أو تجد يد رجل على  
حريها ؟ قال : فانتك الله ! ما أقبح كلامك ! وأردل لسانك ! أبو الحسن قال :  
مر الفرزدق يوماً بمسجد الأحامرة وفيه جماعة فيهم أبو المزد (١) الحنفي ، فقال  
له الفرزدق : يا أخا بني حنيفة ، ما شيء لم يكن له أسنان ولا تكون ، ولو كان لم  
يستقم ؟ قال : لا أدري ، قال : يا أبا المزد ، إنه سفيه ، فإن لم تغضب أخبرتك ؛  
قال : قل فإني لا أغضب ؛ فقال : حري أمك ، لم تكن له أسنان ولا تكون ،  
ولو كان لم يستقم .

١٠

بين الفرزدق  
وابن عفرأ ثم  
بين الجواز وضيف

أبو الحسن قال : لقي الفرزدق عمرو بن عفرأ فعاتبه في شيء بلغه عنه ،  
فقال له ابن عفرأ وهو بالمربد : ما شيء أحب إلي من أن آتي كل شيء  
تكرهه ؛ قال له الفرزدق : بالله إنك تأتي كل شيء أكرهه ؟ قال : نعم ؛  
قال : فإني أكره أن تأتي أمك ، فأثما . ضاف (٢) رجل قبيح الوجه ذاتي  
الحسب أبا (٣) عبد الله الجواز ، فجعل يفخر بيته ؛ فقال له الجواز : اسكت ،  
فقباحة وجهك ، ودونو حسبك (٤) يمنعاننا من سبك (٥) ؛ فأبى إلا التماذى  
في اللجاج ، فقال له الجواز :

لو كنت ذا عرض هجونا كما أو حسن الوجه لنفكنا كما  
جمعت مع قببحك لؤماً فلـ قببح أو اللؤم تركنا كما (٦)

٢٠

(١) فيما مر من هذا الجزء : « أبو المزد » .

(٢) ضافه : نزل به ضيفاً ، أو طلب منه الضيافة .

(٣) في الأصول : « إلى أبي » مكان « أبا » .

(٤) في بعض الأصول : « ودناءة لفظك » .

(٥) في بعض الأصول : « سبك » . وهو تحريف .

(٦) في ي بعد هذين البيتين : « تم الجزء والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد

وآله . يتلوه الجزء الأول من كتاب الواسطة في الخطب إن شاء الله تعالى » .

٢٥

## (١) فرش كتاب الخطب

- قال [أبو عمر] أحمد بن محمد بن عبد ربّه : قد مضى قولنا في الأجوبة وتباين الناس فيها على قدر<sup>(٢)</sup> عقولهم ، ومبلغ فطنهم ، وحضور أذهانهم ؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الخطب التي يتخير لها الكلام ، وتفاخرت بها العرب في مشاهدهم ، ونطقت بها الأنمة<sup>(٣)</sup> على منابرهم ، وشهرت بها في مواسمهم ، وقامت بها على رهوس خلفائهم ، وتباهت بها في أعيادهم ومساجدهم ، ووصلت بها بصلاواتهم ، وخوطب بها العوام ، واستجزلت لها الألفاظ ، وتخيّرت لها المعاني : أعلم أن جميع الخطب على ضربين : منها الطوال ، ومنها القصار ؛ ولكل ذلك موضع يليق به ، ومكان يحسن فيه . فأول ما نبدا به من ذلك خطب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم السلف المتقدمين ، ثم الجلة من التابعين ، والجلة من الخلفاء ١٠ الماضين ، والفصحاء المتكلمين ، على ما سقط إلينا ، ووقع عليه اختيارنا ؛ ثم نذكر بعض خطب الخوارج ، لجزالة ألفاظهم ، وبلاغة منطقتهم ، كخطبة قطري بن الفجاءة في ذم الدنيا ، فإنها معدومة النظر ، منقطعة القرين ، وخطبة أبي حمزة التي سمعها مالك بن أنس ، فقال : خطبنا أبو حمزة بالمدينة خطبة شكك فيها المستبصر ، وردّها<sup>(٤)</sup> المرتاب ؛ ثم نسمح بصدر من ١٥ خطب البادية وقول الأعراب خاصّة ، لمعرفة بداء الكلام ودوائه ، وموارده ومصادره .

قال عبد الملك بن مروان لخالد بن سلة القرشي المخزومي : من أخطب الناس ؟ قال : أنا ؛ قال : ثم من ؟ [قال : أنا ؛ قال : ثم من ؟ قال : شيخ جذام

بين عبد الملك وابن سامة في أخطب الناس

- (١) في ١ ، ي قبل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله » .  
 (٢) كذا في ١ . والذي في سائر الأصول : « بقدر » مكان « على قدر » .  
 (٣) في ١ : « الأمراء » .  
 (٤) في بعض الأصول « فيها » .

— يَعْنِي رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعَ — ؛ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أَخِيْفَشُ <sup>(١)</sup> ثَقِيفٌ — يَعْنِي الْحِجَاجَ — ؛ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

لمعاوية في زياد  
ثم لأبي دؤاد

وقال معاوية لما خطب الناس عنده فأكثرُوا : والله لأزمننكم بالخطيب المصقع ، قم يا زياد . وقال محمد <sup>(٢)</sup> كاتب المهدي — وكان شاعراً راوية ، وطالبا للنحو علامة — ، قال : سمعت أبا دؤاد يقول : وجرى <sup>(٣)</sup> شيء من ذكر الخطب وتحبير الكلام ، فقال : تلخيص المعاني رفق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق في غير أهل البداية نقص ، والنظر في عيون الناس عي ، ومسح اللحية هلك ، والخروج عما بُني عليه الكلام إسهاب . قال : وسمعتُه يقول : رأسُ الخطابة الطبع ، وعمودها الذروة ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تخيير <sup>(٤)</sup> اللفظ ، والحبّة مقرونة بقلة الاستكراه . وأنشدني بيتاً له في خطباء إباد :

١٥٧  
٢

١٠

يَرْمُونُ بِالْخُطْبِ الطَّوَالَ وَتَارَةً وَحَيَّ لِلْمَلَاظِ خِيفَةً الرُّقْبَاءِ  
وَأُنْشَدَنِي فِي عَمَى الْخَطِيبِ وَأُسْتَعَانَتْهُ بِمَسْحِ الْعُنُونِ وَقَتْلِ الْأَصَابِعِ  
مَلِيٍّ بِهَرٍّ وَالتَّنْفَاتِ وَسُؤْلَةٍ وَمَسْحَةِ عُثْنُونٍ وَقَتْلِ الْأَصَابِعِ

لبشر بن المعتمر  
مع إبراهيم بن  
جيلة

<sup>(٥)</sup> مرَّ بِبُشَيْرِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ جِيلَةَ بْنِ نَحْرَةَ السَّكُونِي <sup>(٦)</sup> الْخَطِيبِ ، وَهُوَ يُعَلِّمُ فِتْيَانَهُمُ الْخُطَابَةَ ، فَوَقَفَ بِبُشَيْرٍ يَسْتَمِعُ ، فَظَنَّ إِبْرَاهِيمُ أَنَّهُ إِنَّمَا وَقَفَ لِيَسْتَفِيدَ ، أَوْ يَكُونَ رَجُلًا مِنَ النَّظَارَةِ . فَقَالَ بُشَيْرٌ : اضْرِبُوا عَمَّا قَالَ صَفْحًا ، وَاطُوبُوا عَنْهُ كَشْحًا ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِمْ صَحِيفَةً مِنْ تَنْمِيقِهِ وَتَحْمِيرِهِ ، فِيهَا : خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةً نَشَاطُكَ وَفَرَاغَ بَالِكَ وَإِجَابَتَهَا إِيَّاكَ ، فَإِنَّ قَلِيلَ <sup>(٧)</sup> تِلْكَ السَّاعَةِ

٢٠

٢٥

(١) أخيفش : تصغير أخفش ، وهو من يبصره ضعف وفي عينه ضيق ، وكان الحجاج يوصف بذلك . وفي كتاب عبد الملك إليه : قاتلك الله يا أخيفش العين .

(٢) لعنه محمد بن سعيد بن عقبة . (انظر الوزراء والكتاب للجهمياري) .

(٣) في بعض الأصول : « وذكر » .

(٤) كذا في بعض الأصول والبيان (ج ١ ص ٢٦) . والذي في سائر الأصول « وتخير » .

(٥) انظر البيان والتبيين (ج ١ ص ٧٥) فقد ورد فيه هذا الخبر مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ .

(٦) في الوزراء والكتاب للجهمياري : « السكندی » .

(٧) كذا في البيان والتبيين . والذي في الأصول : « نفسك » .

أكرمُ جوهرًا ، وأشرفُ حسبًا ، وأحسنُ في الأسماع ، وأخلى في الصدور ،  
 وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلبُ لكلِّ عين [وغرّة] من لفظ شريف ، ومعنى  
 بديع ، وأعلم أن ذلك أجدى عليك مما يُعطيك يومك الأطول بالسكدة والمطاوله ،  
 والمجاهدة بالتكليف والمعاودة ، ومهما أخطأك لم يُخطئك أن يكون مقبولا  
 قصداً ، وخفيفاً على اللسان سهلاً ، كما خرج من ينبوعه ، ونجم من معدنه ؛  
 وإياك والتوعر ، فإن التوعر يُسلك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك  
 معانيك ، ويشين ألفاظك . ومن أراد <sup>(١)</sup> معنى كريماً فليكتس له لفظاً كريماً ،  
 فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ؛ ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما  
 ويُهجنهما ، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتبس  
 بإظهارها ، وترتهن نفسك بملاستهما وقضاء حقهما . وكن في ثلاث منازل : وإن  
 أوّلَى الثلاث <sup>(٢)</sup> أن يكون لفظك رقيقاً عذباً ، ونحلاً سهلاً ، ويكون معنك ظاهراً  
 مكشوقاً ، وقريباً معروفاً ، إما عند الخاصة ، إن كنت للخاصة قصدت ، وإما  
 عند العامة ، إن كنت للعامة أردت ، والمعنى [ليس يشرف بأن يكون من معاني  
 الخاصة ، وكذلك] <sup>(٣)</sup> ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار  
 الشرف على <sup>(٤)</sup> الصواب ، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال ، وما يجب لكل  
 مقام من المقال ، وكذلك اللفظ العامي والخاصي ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان  
 لسانك ، وبلاغة قلمك <sup>(٥)</sup> ، وأطف مداخلك ، واقتدارك <sup>(٦)</sup> على نفسك ، على أن  
 تفهم العامة معاني الخاصة ، وتسكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تُلطف عن  
 الدهاء <sup>(٧)</sup> ، ولا تجفوا عن الأكفاء ، فأنت البليغ التام . فقال له إبراهيم بن جبلة :  
 جعلت فداك ، أنا أحوجُ إلى تعلّمي هذا الكلام من هؤلاء الغلمة .

- ٢٠ (١) كذا في بعض الأصول والبيان . والذي أسائر الأصول : « أذاع » .  
 (٢) كذا في بعض الأصول والبيان . والذي في سائر الأصول : « ذلك » .  
 (٣) التسكلة عن البيان . (٤) في الأصول : « على أشرف مع » . والتصويب عن البيان .  
 (٥) في الأصول : « لفظك » . وما أثبتناه عن البيان .  
 (٦) في بعض الأصول : « قدرك في » .  
 (٧) في بعض الأصول : « الدهاء » . وما أثبتناه عن سائر الأصول والبيان .

## خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرة الوداع

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ،  
ومن سيئات أعمالنا ، من يهّد الله فلا مضلّ له ، ومن يضلّل فلا هاديّ له ،  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله . أوصيكم  
عباد الله بتقوى الله ، وأحسّكم على طاعته ، وأسْتَفْتَحَ بالذي هو خير .  
أما بعد ، أيّها الناس ، أسمعوا مني أبين لكم ، فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد  
عامي هذا في موقفٍ هذا . أيّها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى  
أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ،  
اللهم اشهد . فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى الذي ائتمن عليها ، وإن ربّا  
الجاهلية موضوع ، وإن أول ربّا أبداً به ربّا عمى العباس بن عبد المطلب ،  
وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبداً به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن  
عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السّدانة والسّقاية . والعمد قود<sup>(١)</sup> ،  
وشبهه العمد ما قُتل بالعصا والحجر ، ففيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل  
الجاهلية . أيّها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه ولكنّه  
رضى أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقّرون من أعمالكم . أيّها الناس ، إنّما النسيء  
زيادة في الكفر ، يُضِلّ به الذين كفروا ، يُحلّونه عاماً ويُحرّمونه عاماً ، ليواطئوا  
عدّة ما حرّم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات  
والأرض ، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله [ يوم خلق ]  
السموات والأرض ، منها أربعة حُرُم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد ، ذو القعدة  
وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت ، اللهم  
أشهد . أيّها الناس ، إنّ لنسائكم عليكم حقاً ، وإنّ لكم عليهن حقاً ، لكم  
عليهن أن لا يُوطئن فرشكم غيركم ، ولا يُدخلن أحداً تكثرهونه بيوتكم

١٨٥  
٢

١٥

٢٠

(١) القود : القصاص ، أى من قتل عمداً يقتل .

إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ، وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ فَعَلَنْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَفْعُلُوهُنَّ  
وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ ، فَإِنْ اتَّهَمْتُمْ وَأَطَعْتُمْ  
فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكُسُوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَارٍ لَا يَمْلِكُنَّ أَنْ يَنْفُسْنَ  
شَيْئًا ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ مِنَ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ  
وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَلَا يَحِلُّ لِمَرِئٍ مَالُ أَخِيهِ ٥  
إِلَّا عَنْ طَيْبِ نَفْسِهِ ، أَلَا هَلْ بَلَغَتْ ، اللَّهُمَّ اشْهَد . فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَارًا  
يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ أَعْنَاقَ بَعْضٍ ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَضَلُّوا :  
كِتَابَ اللَّهِ <sup>(١)</sup> ، أَلَا هَلْ بَلَغَتْ ، اللَّهُمَّ اشْهَد . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ،  
وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ  
أَتْقَاكُمْ ، لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَلَا هَلْ بَلَغَتْ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛ ١٠  
قَالَ : فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ  
نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ ، وَلَا يَجُوزُ لَوَارِثٍ وَصِيَّةٌ [وَلَا يَجُوزُ وَصِيَّةٌ] فِي أَكْثَرِ مِنَ  
الثَّلَاثِ ، وَالْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ ، مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ  
مَوَالِيهِ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا  
وَلَا عَدْلًا . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ <sup>(٢)</sup> . ١٥

### وخطب أبو بكر يوم السقيفة .

أَرَادَ عُمَرُ الْكَلَامَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : عَلَى رِسْلِكَ ، ثُمَّ حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى  
عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا ، وَأَكْرَمُهُمْ  
أَحْسَابًا ، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهًا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وَلَادَةً فِي الْعَرَبِ ،  
وَأَمْسَتْهُمْ رَحِمًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسْلَمْنَا قَبْلَكُمْ ، وَقَدْ مَنَّا فِي الْقُرْآنِ ٢٠

(١) زيد في بعض الأصول : « بعد قوله « الله » : وأهل بيتي » .

(٢) انظر السيرة لابن هشام (ج ٤ ص ٢٥٠) طبعة الحلبي . والبيان والتبيين

(ج ٢ ص ١٥) ونثر الدرر للآبي فيبين الخطبة هنا وهناك بعض الخلاف .



عليكم ، فقال تبارك وتعالى : ( والسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ  
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ) . فنحنُ المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا في الدِّينِ ،  
وشركاؤنا في النَّفْيِ ، وأنصارُنا على العدوِّ ، آويتم وآسِيتُمْ ، فجزاكم الله خيراً ،  
فنحنُ الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تَدِينُ العرب إلا لهذا الحَيِّ من قَرِيشٍ ، فلا  
تَنَفَّسُوا<sup>(١)</sup> على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

### وخطب أيضا :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إني قد وُلِّيتُ عليكم ، ولستُ  
بمُخَيَّرِكُمْ ، فإن رَأَيْتُمُونِي على حَقٍّ فَأَعِينُونِي ، وإن رَأَيْتُمُونِي على باطلٍ فَسَدِّدُونِي .  
أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ فِيكُمْ ، فإذا عَصَيْتُهُ فلا طاعة لي عليكم . أَلَا إِنَّ أَقْوَامَكُمْ  
عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ لَهُ ، وَأَضْعَفُكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ  
مِنْهُ . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ<sup>(٢)</sup> .

١٥٩  
٢

### وخطب أخرى :

فلما حمد الله بما هو أهله ، وصلى على نبيِّه عليه الصلاة والسلام ، قال :  
إِنَّ أَشَقَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْمَلُوكُ . فرجع الناسُ رءوسهم ، فقال : ما لكم  
أيها الناسُ ، إنكم لَطَعَانُونَ عَجِلُونَ . إن من الملوِك مَنْ إِذَا مَلَكَ زَهَّدَهُ اللَّهُ فِيمَا  
بِيَدِهِ ، وَرَغِبَهُ فِيمَا بِيَدِ غَيْرِهِ ، وَأَنْتَقَصَهُ شَطْرَ أَجَلِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِشْفَاقَ ،  
فَهُوَ يَحْسَدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، وَيَتَسَخَّطُ<sup>(٣)</sup> الْكَثِيرَ ، وَيَسْأَمُ الرِّخَاءَ ، وَتَنْقَطِعُ عَنْدهُ  
لَذَّةُ الْبَقَاءِ<sup>(٤)</sup> ، لَا يَسْتَعْمِلُ الْعِبْرَةَ ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَى الثِّقَةِ ، فَهُوَ كَالدَّرْهِمِ الْقَسِيِّ<sup>(٥)</sup> ،

(١) في بعض الأصول : « فلا تنسوا » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وعيون الأخبار  
(ج ٢ ص ٢٣٤) والبيان (ج ٣ ص ١٤٧) .

٢٠

(٢) انظر عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٤) وثر الدرر ، فبين الخطبة هنا وهناك خلاف  
في العبارات .

(٣) في بعض الأصول : « يسخط على » .

(٤) في عيون الأخبار : وثر الدرر « تنقطع عنه لذة البقاء » . وفي البيان والتبيين  
(ج ٢ ص ٢١) : « الباءة » مكان « البقاء » .

٢٥

(٥) القسي : الرديء الزائف . وفي بعض الأصول : « القيسي » . وهو تحريف .

والسَّراب الخادع ، جَذَلِ الظاهر ، حَزِينِ الباطن ؛ فإذا وَجِبَتْ نَفْسُهُ ، وَنَضَبَ عمره ، وَضَحَا ظِلُّهُ <sup>(١)</sup> ، حاسبه الله فَأَشَدَّ حسابَه ، وَأَقْلَّ عَفْوَه . أَلَا إِنَّ الْفُقَرَاءَ هم المَرْحُومُونَ ، وَخَيْرَ الْمُلُوكِ <sup>(٢)</sup> مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَحَكَمَ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ عَلَى خِلَافَةِ نَبْوَةٍ ، وَمَقَرِّقٍ مُحَجَّجَةٍ ، وَسِتْرُونَ بَعْدِي مُلْكًا عَضُوضًا <sup>(٣)</sup> ، وَمِلْكًا عَنُودًا ، وَأُمة شَعَاعًا ، وَدَمًّا مُفَاحًا <sup>(٤)</sup> ، فَإِنْ كَانَتْ لِلْبَاطِلِ نَزْوَةٌ ، وَلِأَهْلِ الْحَقِّ جَوْلَةٌ ، يَعْفُو بِهَا الْأَثَرُ ، وَيَمُوتُ لَهَا الْخَبَرُ <sup>(٥)</sup> ، فَالزَّمُوا الْمَسَاجِدَ ، وَأَسْتَشِيرُوا الْقُرْآنَ ، وَأَعْتَصِمُوا بِالطَّاعَةِ . وَلِيَكُنَ الْإِبْرَامُ بَعْدَ التَّشَاوُرِ ، وَالصَّفَقَةِ بَعْدَ طُولِ التَّنَاضُرِ . أَيُّ بِلَادٍ <sup>(٦)</sup> خَرَشَنَةُ <sup>(٧)</sup> ؟ إِنْ اللَّهَ سَيَفْتَحُ لَكُمْ أَقْصَاهَا ، كَمَا فَتَحَ عَلَيْكُمْ أَدْنَاهَا .

#### ١٠ وَطَلَبُ أَبِيضَا فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ بِالْهُدَى ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالرَّدَى ، وَمِنَ الشَّكِّ وَالْعَمَى . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَشْهَدُ ١٥ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، إِلَى النَّاسِ كَافَّةً رَحْمَةً لَهُمْ وَحُجَّةً عَلَيْهِمْ ، وَالنَّاسُ حِينَئِذٍ عَلَى

(١) وَجِبَتْ نَفْسُهُ : كُنْيَاةٌ عَنِ الْمَوْتِ . وَمِثْلُهَا : نَضَبَ عَمْرُهُ ، وَضَحَا ظِلُّهُ .

(٢) كَذَا فِي الْبَيَانِ . وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ : « أَلَا إِنَّ » مَكَانَ « وَخَيْرَ الْمُلُوكِ » .

(٣) عَضُوضٌ : فِيهِ اسْتِبْدَادٌ وَعَسْفٌ .

٢٠ (٤) مُفَاحٌ : مَرَاقٌ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « مَبَاحٌ » . وَمَا أُثْبِتَ عَنْ سَائِرِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ وَنَثَرِ الدَّرَرِ .

(٥) فِي الْبَيَانِ : « الْبَقَرُ » . وَفِي الْعَيُونِ وَنَثَرِ الدَّرَرِ : « السِّنُّ » .

(٦) فِي نَثَرِ الدَّرَرِ : « أَيُّ بِلَادِكُمْ » .

٢٥ (٧) كَذَا فِي نَثَرِ الدَّرَرِ . وَخَرَشَنَةُ : بَلَدٌ قَرِيبٌ مِلْطِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ . يَرْبِدُ بِلَادِ الرُّومِ . وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ : « فَرَسَةٌ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

شَرَّ حَالٍ ، فِي ظُلُمَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ ، دِينُهُمْ بِذُخَّةٍ ، وَدَعَوْتُهُمْ فِرْيَةً . فَأَعَزَّ اللَّهُ الدِّينَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . فَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ( مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ) . أَمَا بَعْدَ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَلَزُومِ الْحَقِّ فِيمَا أَحْبَبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيمَا دُونَ الصِّدْقِ مِنَ الْحَدِيثِ خَيْرٌ . مَنْ يَكْذِبْ يَفْجَرْ ، وَمَنْ يَفْجَرْ يَهْلِكْ . وَإِيَّاكُمْ وَالْفَخْرَ ، وَمَا فَخَرُ مَنْ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ وَإِلَى التَّرَابِ يَعُودُ ، هُوَ الْيَوْمَ حَيٌّ وَغَدًا مَيِّتٌ . فاعْمَلُوا وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتِ ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ فَرِّدُوا عَلَيْهِ إِلَى اللَّهِ ، وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا تَجِدُوهُ مُحْضَرًا ، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ( يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ) . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَرَاقِبُوهُ وَأَعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَى قَبْلَكُمْ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ لِقَاءِ رَبِّكُمْ وَالْجَزَاءِ بِأَعْمَالِكُمْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا ، إِلَّا مَا غَفَرَ اللَّهُ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . فَأَنْفُسُكُمْ أَنْفُسُكُمْ وَالْمُسْتَعَانُ اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ أَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ ، وَزَكِّدْنَا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَأَلْحِقْنَا بِهِ ، وَأَحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ ، وَأُورِدْنَا حَوْضَهُ . اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ ، وَانصُرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ .

٢٠ **خُطْبَةٌ لِرَأْسِ أَهْلِ رَضَى اللَّهِ عَنْهُ (١) :**

حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَنْ تُتَنَّبُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَأَنْ تَخْلَطُوا الرَّغْبَةَ بِالرَّهْبَةِ ، وَتَجْمَعُوا الْإِلْحَافَ بِالسَّأَلَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَخُطِبَ أَيْضًا » .

- أُثْنِي عَلَى زَكَرِيَّا وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، فَقَالَ : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) . ثُمَّ أَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْثَنَ بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَائِقَكُمْ ، وَعَوَّضَكُمْ بِالْقَلِيلِ الْغَانِي الْكَثِيرَ الْبَاقِي ، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ ، وَلَا يُطْفَأُ نُورُهُ . فَمَقُوا بِقَوْلِهِ ، وَانْتَصَحُوا كِتَابَهُ ، وَاسْتَبْصَرُوا بِهِ <sup>(١)</sup> لِيَوْمِ الظَّالِمَةِ ، فَإِنَّهُ خَلَقَكُمْ لِعِبَادَتِهِ ، وَوَكَّلَ بِكُمْ الْكِرَامَ السَّكَاتِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ . ثُمَّ أَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ تَغْدُونَ وَتَرُوجُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْقُضِيَ الْأَجَالَ وَأَنْتُمْ فِي عَمَلِ اللَّهِ ، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَسَابِقُوا فِي مَهَلٍ بِأَعْمَالِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَنْقُضِيَ آجَالَكُمْ فَتَرَدَّكُمْ إِلَى سُوءِ أَعْمَالِكُمْ ، فَإِنَّ أَقْوَامًا جَعَلُوا آجَالَهمْ لغيرهم ، فَأَنهَاكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ . فَالْوَحْيُ الْوَحْيُ ، وَالنَّجَاءُ ١٠ النَّجَاءُ ، فَإِنْ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَثِيثًا مَرَّةً <sup>(٢)</sup> ، سَرِيعًا سَيْرُهُ .

فَخُطِبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

- قَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأُثْنِيَ عَلَيْهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ ، [إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ حَقَّ مَخْلُوقٍ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ . إِلَّا] وَإِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ بِمَنْزِلَةٍ وَإِلَى الْيَتِيمِ : إِنْ اسْتَغْنَيْتِ عَقْفَتِ ، وَإِنْ افْتَقَرْتَ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ ، تَقَرَّمِ الْهَمَةُ الْأَعْرَابِيَّةُ : الْقَضْمُ لَا الْخَضْمُ <sup>(٣)</sup> .

وَفُطِبَ أَيْضًا :

حَمِدَ اللَّهَ وَأُثْنِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ فَلْيَأْتِ أَبِي بَنِ كَعْبٍ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفَرَائِضِ فَلْيَأْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ،

- (١) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « فَنِي » . وَالَّذِي فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (ج ٢ ص ٢٣٢) وَثَرُ الدَّرَرِ : « وَاسْتَغْنَيْتِ عَنْهُ » .  
(٢) كَذَا فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ . وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ : « أَمْرُهُ » . وَالْخَطْبَةُ فِي الْعَيُونِ تَخْتَلِفُ عَنْهَا هُنَا فِي بَعْضِ الْعِبَارَاتِ .  
(٣) التَقَرُّمُ : الْأَكْلُ أَكْلًا ضَعِيفًا . وَالْقَضْمُ : الْأَكْلُ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ . وَالْخَضْمُ : الْأَكْلُ بِأَقْصَى الْأَضْرَاسِ .

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفَقْهِ فَلْيَأْتِ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ  
عَنِ الْمَالِ فَلْيَأْتِنِي ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي لَهُ خَارِجًا وَقَاسِمًا . إِنِّي بَادِيٌّ بِأَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمُعْطِيهِمْ ، ثُمَّ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ  
وَأَمْوَالِهِمْ ، أَنَا وَأَصْحَابِي ، ثُمَّ الْأَنْصَارَ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،  
ثُمَّ مَنْ أَسْرَعَ إِلَى الْهِجْرَةِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْعَطَاءُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ عَنِ الْهِجْرَةِ أَبْطَأَ عَنْهُ  
الْعَطَاءُ . فَلَا يُلَومَنَّ رَجُلٌ إِلَّا مُنَاحَ رَاحِلَتِهِ . إِنِّي قَدْ بَقِيتُ فِيكُمْ بَعْدَ صَاحِبِي ،  
فَابْتَلَيْتُ بِكُمْ وَابْتُلَيْتُمْ بِي ، وَإِنِّي لَنْ يَخْضُرُنِي مِنْ أُمُورِكُمْ شَيْءٌ فَأَكَلَهُ إِلَى غَيْرِ  
أَهْلِ الْجَزَاءِ وَالْأَمَانَةِ ، فَلَنْ أَحْسَنُوا لِأَحْسَنِهِمْ إِلَيْهِمْ ، وَلَنْ أُسَاءُوا  
لَأَنْسَكَلَنَّهُمْ .

## وخطب أيضا :

فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ ، وَأَكْرَمَنَا بِالْإِيمَانِ ، وَرَحَّمَنَا بِبَنِيهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِهْدَانَا<sup>(١)</sup> بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَجَمَعَنَا بِهِ مِنَ الشَّتَاتِ ، وَأَلَّفَ  
بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَنَصَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْبِلَادِ ، وَجَعَلَنَا بِهِ إِخْوَانًا  
مُتَحَابِّينَ . فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَاسْأَلُوهُ الْعَزِيدَ فِيهَا وَالشُّكْرَ عَلَيْهَا ،  
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكُمْ الْوَعْدَ بِالنَّصْرِ عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ . وَإِيَّاكُمْ وَالْعَمَلَ بِالْمَعَاصِي ،  
وَكُفْرَ النِّعْمَةِ ، فَقَلَّمَا كَفَرُ قَوْمٌ بِنِعْمَةٍ وَلَمْ يَنْزِعُوا إِلَى التَّوْبَةِ إِلَّا سُلِبُوا عَنْهُمْ ،  
وَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ دَعْوَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَجَمَعَ كَلِمَتَهَا  
وَأَظْهَرَ فَلَجَهَا وَنَصَرَهَا وَشَرَّفَهَا ، فَاحْمَدُوهُ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى  
آلَائِهِ . جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ .

## وخطب له أيضا :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ قَدْ أَتَى عَلَى زَمَانٍ وَأَنَا أَرَى أَنَّ [قَوْمًا] يَقْرءُونَ<sup>(٢)</sup> الْقُرْآنَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : «فِهْدَانَا» . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : «قِرَاءَةً» .

يُرِيدُونَ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَاعِنْدَهُ ، فَخُيِّلَ إِلَى أَنْ قَوْمًا قَرَأُوهُ يُرِيدُونَ بِهِ النَّاسَ  
 ١٦١ وَالْدُّنْيَا . أَلَا فَارِيدُوا اللَّهَ بِأَعْمَالِكُمْ . أَلَا إِنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذْ يُنَزِّلُ الْوَحْيَ وَإِذْ  
 رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهَرِنَا يُنَبِّئُنَا مِنْ أَخْبَارِكُمْ ، فَقَدْ انْقَطَعَ الْوَحْيُ ، وَذَهَبَ النَّبِيُّ ،  
 فَأِنَّمَا نَعْرِفُكُمْ بِالْقَوْلِ . أَلَا مَنْ رَأَيْنَا مِنْهُ خَيْرًا ظَنَّنَا بِهِ خَيْرًا وَأَحْبَبْنَاهُ عَلَيْهِ ،  
 وَمَنْ رَأَيْنَا مِنْهُ شَرًّا ظَنَّنَا بِهِ شَرًّا وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ . سَرَانُكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ . ٥  
 أَلَا وَإِنِّي إِنَّمَا أُبْعَثُ عُمَّالِي لِيُعَلِّمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَنَكُمْ ، وَلَا أُبْعَثُهُمْ لِيَضُرُّوْا  
 ظُهُورَكُمْ وَيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ . أَلَا مَنْ رَأَى شَيْءًا مِنْ ذَلِكَ فَلْيَرْفُعه إِلَيَّ ، فَوَالَّذِي  
 نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَقْصُتْكُمْ مِنْهُ .

فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتَ عَامِلًا مِنْ  
 عُمَّالِكَ فَأَدَّبَ رَجُلًا مِنْ رَعِيَّتِكَ فَضَرَبَهُ ، أُنْقِصَ مِنْهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسُ  
 ١٠ عُمَرَ بِيَدِهِ ، لَا أَقْصِنُهُ مِنْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصُ  
 مِنْ نَفْسِهِ .

#### وَمَطِبَ أَيْضًا فَقَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي سَرَيرَتِكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ ، وَأَمْسُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَوْا  
 ١٥ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَا تَكُونُوا مِثْلَ قَوْمٍ كَانُوا فِي سَفِينَةٍ فَأَقْبَلَ أَحَدُهُمْ عَلَى مَوْضِعِهِ  
 يَخْرِقُهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَمَنَعُوهُ ، فَقَالَ : هُوَ مَوْضِعِي وَلِي أَنْ أَحْكُمَ فِيهِ . فَإِنْ  
 أَخَذُوا عَلَى يَدِهِ سَلِمَ وَسَلِمُوا ، وَإِنْ تَرَكُوهُ هَلَكَ وَهَلَسُوا مَعَهُ . وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبَتِهِ  
 لَكُمْ ، رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ .

#### وَمَطِبَ عَامِمَ الرَّمَادَةِ بِالْعَبَّاسِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ :

حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ  
 ٢٠ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمَلِ  
 نَبِيِّكَ وَبَقِيَّةِ آبَائِهِ وَكِبَارِ رَجَالِهِ ، فَإِنَّكَ تَقُولُ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ : (وَأَمَّا الْجِدَارُ

فكانَ أَعْلَامِينَ يَتِيمِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) .  
 فَحَفِظْتَهُمَا لِصَلَاحِ أَبِيهِمَا ، فَاحْفَظِ اللَّهُمَّ نَبِيَّكَ فِي عَمَّةٍ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ كُنْتَ  
 غَفَّارًا . اللَّهُمَّ أَنْتَ الرَّاعِي ، لَا تَهْمِلِ الصَّالَةَ ، وَلَا تَدَعِ الْكَسِيرَةَ بِمَضْيعَةٍ . اللَّهُمَّ  
 قَدْ ضَرَعَ الصَّغِيرُ ، وَرَزَقَ الْكَبِيرُ ؛ وَارْتَفَعَتِ الشَّكْوَى ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى .  
 اللَّهُمَّ أَغْنِهِمْ بِغِيَاثِكَ قَبْلَ أَنْ يَقْنَطُوا فَيَهْلِكُوا ، فَإِنَّهُ لَا يَبَاسَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ  
 إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ . فَمَا بَرَحُوا حَتَّى عَلَّقُوا الْحِذَاءَ ، وَقَلَّصُوا الْمَآزِرَ <sup>(١)</sup> ، وَطَفِقَ  
 النَّاسُ بِالْعَبَّاسِ يَقُولُونَ : هَدَيْتَنَا لَكَ يَا سَاقِيَ الْحَرَمِينَ .

### وخطب ابو ولي الخمرقنة :

صَعِدَ الْمَنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي دَاعٍ  
 ١٠ فَأَمِّنُوا . اللَّهُمَّ إِنِّي غَالِيظٌ فَلْيَنِّ لِأَهْلِ طَاعَتِكَ بِمُوَافَقَةِ الْحَقِّ ، ابْتِغَاءً وَجْهَكَ  
 وَالْدارَ الْآخِرَةَ ، وَأَرْزُقْنِي الْغِلْظَةَ وَالشَّدَّةَ عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ الدَّعَاةِ وَالنَّفَاقِ ، مِنْ  
 غَيْرِ ظُلْمٍ مَنَى لَهُمْ وَلَا أَعْتَدَاءَ عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي شَحِيمٌ فَسَخِّنِي فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ ،  
 قَصْدًا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ ، وَأَجْعَلْنِي أَبْتَغِي بِذَلِكَ  
 وَجْهَكَ وَالْدارَ الْآخِرَةَ . اللَّهُمَّ أَرْزُقْنِي خَفَضَ الْجَنَاحِ وَلَيْنَ الْجَانِبِ الْمُؤْمِنِينَ .  
 ١٥ اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْغَفْلَةِ وَالنَّسيانِ فَأَلْهَمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَذِكْرُ الْمَوْتِ  
 فِي كُلِّ حِينٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَارْزُقْنِي النَّشَاطَ فِيهَا  
 وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعَزَّتِكَ وَتَوْفِيقِكَ . اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي  
 بِالْيَقِينِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَذِكْرُ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَالْحَيَاءِ مِنْكَ ، وَأَرْزُقْنِي الْخُشُوعَ  
 فَيَمَازُضِيكَ عَنِّي ، وَالْحَاسِبَةَ لِنَفْسِي ، وَصَلَاحَ النَّيَّاتِ <sup>(٢)</sup> ، وَالْحَذَرَ مِنَ الشَّبَهَاتِ .  
 ٢٠ اللَّهُمَّ أَرْزُقْنِي التَّفَكُّرَ وَالتَّدَبُّرَ لِمَا يَتْلُوهُ لِسَانِي مِنْ كِتَابِكَ ، وَالْفَهْمَ لَهُ ، وَالْمَعْرِفَةَ  
 بِمَعَانِيهِ ، وَالنَّظَرَ فِي عَجَائِبِهِ ، وَالْعَمَلَ بِذَلِكَ مَا بَقِيَتْ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

(١) يريد أن يعللهم الناس المطر وسالت به الأرض فخلع الناس ثيابهم فملقوها وشتموا ما زرعهم .

(٢) في بعض الأصول : « وإصلاح الساعات » .

وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عُرف أنه قد فرغ من خطبته :  
اللهم أجعل خيرَ زمانِي آخرَه ، وخيرَ عملِي خواتمَه ، وخيرَ أيامِي يومَ ألقاك .

وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عُرف أنه فرغ من خطبته : اللهم  
لا تدعني في غمرة ، ولا تأخذني على غرّة ، ولا تجعلني من الغافلين .

• [ خطبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ] :

ولما ولي عثمان بن عفان قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وتشهد ،  
ثم أرتج عليه ، فقال : أيها الناس ، إنَّ أولَ كلِّ مرَّكبٍ صعب ، وإنَّ أعش  
فستأتيكم الخطب على وجهها ، وسيجعل الله بعد عسر يسراً .

خطبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوانه الله عليه :

- ١٠ أولُ خطبة خطبها بالمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيِّه عليه الصلاة  
والسلام ، ثم قال : أيها الناس ، كتابَ الله وسُنَّةَ نبيِّكم صلى الله عليه وسلم . أما  
بعد ، فلا يدعين مدعٍ إلا على نفسه ، شغل من <sup>(١)</sup> الجنة والنار أمامه . ساع  
نجا <sup>(٢)</sup> ، وطالب يرجو ، ومقصر في النار ، [ ثلاثة : واثنان ] : ملك طار بجناحيه ،  
ونبي أخذ الله بيديه ، لا سادس . هلك من اقتحم <sup>(٣)</sup> ، وردي من هوى <sup>(٤)</sup> .  
١٥ اليمين والشمال مضلة ، والوسطى الجادة . منهج عليه أم <sup>(٥)</sup> الكتاب والسنة  
وآثار النبوة . إنَّ الله داوى هذه الأمة بدوائين <sup>(٦)</sup> : السَّوط والسيف ،  
لا هودة عند الإمام فيهما . استقروا ببيوتكم ، وأصلحوا فيما بينكم ، فالموت  
من ورائكم . من أبدى صفحته للحق هلك . قد كانت أمورٌ لم تكونوا فيها  
محمودين . أما إني لو أشاء أن أقول لقلت . عفا الله عما سلف . سبق الرجلان

(١) في الأصول : « عن » . وما أثبتناه عن عيون الأخبار ( ج ٢ ص ٢٣٦ )  
ونهج البلاغة ( ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت ) .  
(٢) في بعض الأصول : « مجتهد » . (٣) في بعض الأصول : « ادعى » .  
(٤) في بعض الأصول : « اقتحم » . (٥) في عيون الأخبار : « باقى » .  
(٦) في عيون الأخبار : « أدب ... بأدبين » .



ونام الثالث كالغراب هَمَّتْهُ بَطْنُهُ ، وَيَسْلُهُ ! لَوْ قُصَّ جَنَاحَاهُ وَقُطِعَ رَأْسُهُ لَسَكَانَ خَيْرًا لَهُ . انظروا فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عرفتُم فاعترفوا . حق وباطل ، ولكل أهل ، ولئن كثر<sup>(١)</sup> الباطل لقدِيمًا فعل<sup>(٢)</sup> ، ولئن قلَّ الحق لربَّمَا ولعلَّ ، ولعلَّما أدبر شئ فأقبل ، ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء ، وإني لأخشى أن تكونوا في فترة ، وما علينا إلا الاجتهاد .

وروى فيها جعفر بن محمد رضوان الله عليه : ألا إن الأبرار عتري ، وأطايب أرومتي ؛ أحلم<sup>(٣)</sup> الناس صغارًا ، وأعلم الناس كبارًا . ألا وإنا أهل البيت من علم الله علمنا ، وبحكم الله حكمنا ، ومن قول صادق سمعنا ؛ فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا . معنا راية الحق ، من يتبعها لحق ، ومن تأخر عنها غرق . ألا وبنا ترد ترة كل مؤمن ، وبنا تخلع ربة الذل من أعناقكم ، وبنا فتح الأمر وبنا نختم .

### وخطبة له أيضا :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته ، وتقديم العمل ، وترك الأمل ، فإنه من فرط في عمله ، لم ينتفع بشيء من أمله . أين التعب بالليل والنهار ، والمقتمع للبحر والبحار ، ومفاوز القفار ؟ يسير من وراء الجبال ، وعالج<sup>(٤)</sup> الرمال ؛ يصل الغدو بالرواح ، والمساء بالصباح ، في طلب محقرات الأرياح ؛ هجمت عليه منيته ، فعظمت بنفسه رزيته ؛ فصار ما جمع ثورا ، وما اكتسب غرورا ، ووافي القيامة محسورا . أيها الإلهي الغار نفسه ، كأني بك وقد أتاك رسول ربك ، لا يقرع لك بابا ، ولا يهاب لك حجابا ؛ ولا يقبل منك بدِلا ، ولا يأخذ منك كفيلا ؛ ولا يرحم

(١) في بعض الأصول : « أمر » . وكلاهما بمعنى .

(٢) في بعض الأصول : « قديما فهل » مكان « لقديمًا فعل » .

(٣) في ١ : « أحكم » .

(٤) عالج الرمال : ما تراكم منها ودخل بعضه في بعض .

لك صغيرا ، ولا يُوقَرُ فيك كبيرا ؛ حتى يُؤدِّبك إلى قَعْرِ مُظْلَمَةٍ ، أرجاؤها  
مُوحِشَةٌ ؛ كِفْعَلُهُ بِالْأُمِّ الْخَالِيَةِ ، وَالْقُرُونُ الْمَاضِيَةِ . أَيْنَ مَنْ سَمِيَ وَأَجْتَهَدَ ، وَجَمَعَ  
وَعَدَّدَ ، وَبَنَى وَشَيَّدَ ، وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ ، وَبِالْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ ، وَبِالكَثِيرِ لَمْ يُمَتِّعْ ؟  
أَيْنَ مَنْ قَادَ الْجُنُودَ ، وَنَشَرَ الْبُنُودَ ؟ أَضْحَوْا رُفَاتَا ، تَحْتَ الثَّرَى أَمْوَاتَا ، وَأَنْتُمْ  
بِكُأْسِهِمْ شَارِبُونَ ، وَبِالسَّبِيلِهِمْ سَالِكُونَ . عِبَادَ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَرَاقِبُوهُ ،  
وَأَعْمَلُوا لِلْيَوْمِ الَّذِي تُسَيَّرُ فِيهِ الْجِبَالُ ، وَتَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْفَهَامِ ، وَتَطَّايَرُ السَّكُتَبُ عَنْ  
الْإِيمَانِ وَالشَّمَائِلِ . فَأَيُّ رَجُلٍ يَوْمُئِذٍ تُرَاكَ ؟ أَقَاتِلُ : هَاؤُمِ أَقْرَأُ وَكَتَابِيهِ ؛ أَمْ :  
يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتَ كِتَابِيهِ ؟ نَسْأَلُ مَنْ وَعَدَنَا بِإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ جَنَّتَهُ أَنْ يَقِينَا سُخْطَهُ .  
إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةِ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ  
يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ .

#### وخطبة له أيضا :

الحمد لله الذي أَسْتَخْلَصَ<sup>(١)</sup> الحمدَ لنفسه ، وَأَسْتَوْجِبُهُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ ، الَّذِي  
نَاصِيَةُ كُلِّ شَيْءٍ بِيَدِهِ ، وَمَصِيرُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهِ ، الْقَوِيُّ فِي سُلْطَانِهِ ، اللَّطِيفُ فِي  
جَبَرَوْتِهِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى ، وَلَا مُعْطَى لِمَا مَنَعَ ، خَالِقُ الْخَلَائِقِ بِقُدْرَتِهِ ،  
وَمُسَخِّرُهُمْ بِمَشِيتَتِهِ ، وَفِي الْعَهْدِ ، صَادِقُ الْوَعْدِ ، شَدِيدُ الْعِقَابِ ، جَزِيلُ الثَّوَابِ .  
أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ ، مِمَّا لَا يَعْرِفُ كُنْهَهُ غَيْرُهُ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ تَوَكَّلُ  
الْمُسْتَنْسَلِمُ لِقُدْرَتِهِ ، الْمُتَبَرِّئُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ شَهَادَةً لَا يَشُوبُهَا  
شَكٌّ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، إِلَهًا وَاحِدًا صَمَدًا ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً  
وَلَا وَلَدًا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكَ فِي الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا ،  
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . قَطَعَ ادِّعَاءَ الْمُدَّعَى بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ  
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ) . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ ،  
وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ ، أَرْسَلَهُ بِالْمَعْرُوفِ آمِرًا ، وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيًا ، وَإِلَى الْحَقِّ

(١) في ١ ، ي : « اختص » .

داعيا ، على حين فقرة من الرُّسُل ، وضلالة من الناس ، واختلاف من الأمور ،  
وتنازع من الألسن ، حتى نَمَّ به الوَحْي ، وأنذر به أهل الأرض . أوصيكم  
عباد الله بتقوى الله ، فإنها العِصْمَةُ من كُلِّ ضَلال ، والسَّبِيلُ إلى كل نَجاة ؛  
فكما نكم بالجُثث قد زَايَلْتَهَا أَرْوَاحُهَا ، وتَضَمَّنَتْهَا أَجْدَانُهَا ، فلن يَسْتَقْبِلَ معمر  
منكم يوما من عمره إلا بأُتْقَانٍ آخر من أَجَلِهِ ، وإنما دُنْيَاكُمْ كَفَى الظِّل ،  
أوزاد الرَّاكِب . وأحذركم دُعاء العزير الجَبَّار غِبْدَهُ ، يوم تُغْفَى آثَارُهُ ، وتُوحِشُ  
منه دِيَارُهُ ، ويُوتَمَّ صِغَارُهُ ، ثم يصير إلى خَفِيرٍ من الأرض ، مُتَعَفِّرا خَدَّهُ (١) ، غير  
مُوسَّد ولا مُمَهَّد . أسأل الذي وَعَدَنَا على طَاعَتِهِ جَنَّتَهُ أَنْ يَقِينَا سُخْطَهُ ، وَيُجَنِّبَنَا  
نَقَمَتَهُ ، وَيَهَبَ لَنَا رَحْمَتَهُ ، إِنْ أَبْلَغَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ .

وخطبته له رضى الله عنه :

١٠

أما بعد ، فإن الدنيا قد أذبرت وأذنت بَوْدَاعٍ ، وإن الآخرة قد أقبلت  
وأشرفت بأُطْلَاعٍ ، وإن المضمار اليوم والسَّباق غدا . ألا وإنكم فى أيام أمل ،  
ومن ورائه أجل ، فمن أَخْلَصَ فى أيام أمله ، قبل حُضُور أَجَلِهِ ، نَفَعَهُ عَمَلُهُ ، ولم  
يَضُرَّهُ أَمَلُهُ ؛ ومن قَصَرَ فى أيام أمله ، قبل حُضُور أَجَلِهِ ، فقد خَسِرَ عَمَلُهُ ،  
وضُرَّه أَمَلُهُ . ألا فاعملوا لله فى الرِّغْبَةِ ، كما تعملون له فى الرِّهْبَةِ . ألا وإني لم أر  
كالجَنَّةِ نام طالِبُهَا ، ولم أر كالنَّارِ نام هَارِبُهَا . ألا وإنكم قد أَمِرْتُمْ بِالظَّنِّ ،  
ودُلِّمْتُمْ عَلَى الزَّادِ ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتِّبَاعُ الهَوَى ، وطولُ الأمل .

وخطبته له [أيضا] :

قالوا : ولما أغار سُفْيَانُ بْنُ عَوْفٍ الْأَسَدِيُّ عَلَى الْأَنْبَارِ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ ، وَعَلَيْهَا حَسَنُ الْبَكْرِيُّ ، فَقَتَلَهُ وَأَزَالَ تِلْكَ الْخَيْلَ عَنْ مَسَارِحِهَا (٢) ، فَخَرَجَ  
عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى جَلَسَ عَلَى بَابِ الشُّدَّةِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

(١) فى بعض الأصول : «على خده» .

(٢) فى البيان والتبيين : «مسالحها» . والمسالخ : الثغور .

أما بعد ، فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوبَ الدُّل ،  
 وأشمله البلاء ، وألزمه الصَّغار ، وسامه الخسف ، ومنعه النِّصف<sup>(١)</sup> . ألا وإني  
 دعوتُكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، سرّاً وإعلاناً ، وقلت لَكُمْ :  
 أغزَوْهم قبل أن يغزَوْكم ، فوالله ما غزى قومٌ قطُّ في عُقر دارهم إلا ذلُّوا . فتواكلمتم  
 وتخاذلتُم وثقلَ عليكم قَوْلِي ، فَأَتَخَذْتُمُوهُ وِراءَكُمْ ظَهْرِيَا ، حتى شَدَّتْ عليكم  
 الغارات . هذا أخو غامِد<sup>(٢)</sup> ، قد بلغت خيله الأنبار ، وقَتَلَ حَسَّانَ الْبَكْرِي<sup>(٣)</sup> ،  
 وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَارِحِهَا ، وَقَتَلَ مِنْكُمْ رَجُلًا صَالِحِينَ . وقد بلغني أَنَّ الرجلَ  
 منهم كان يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمَعَاهِدَةَ فَيَنْزِعُ حِجْلَهَا وَقُلُوبَهَا وَرِعَاشَهَا<sup>(٤)</sup> ،  
 ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَافْرِينَ ، مَا كَلِمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ . فلو أَنَّ رَجُلًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا  
 أَسَفًا مَا كَانَ عِنْدِي مَلُومًا ، بَلْ كَانَ عِنْدِي جَدِيرًا . فوَأَعْجَبًا مِنْ جِدِّ هَؤُلَاءِ فِي  
 بَاطِلِهِمْ ، وَفَشَلِّكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ! فَقُبْحَالَكُمْ وَتَرَحَّاهُ ! حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى ، يُغَارُ  
 عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تُغْزُونَ ، وَيُعْصِي اللَّهُ وَتَرْضُونَ ! فَإِذَا أَمَرْتَكُمْ  
 بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ : حَمَازَةُ الْقَيْظِ ، أَمْهَلْنَا حَتَّى يَنْسَلِخَ عَنَّا الْحَرُّ ، وَإِذَا  
 أَمَرْتَكُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ نُحْيِي فِي الشِّتَاءِ ، قُلْتُمْ : أَمْهَلْنَا حَتَّى يَنْسَلِخَ عَنَّا هَذَا الْقُرُ .  
 كَأَنَّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ ، فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفْرَ . يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا  
 رَجَال ! وَيَا أَحْلَامَ أَطْفَال ، وَعُمُومَ رَبَّاتِ الْحِجَال ! وَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَنِي مِنْ بَيْنِ  
 أَظْهُرِكُمْ وَقَبِضَنِي إِلَى رَحْمَتِهِ مِنْ بَيْنِكُمْ ، وَأَنِّي لَمْ أَرَكُمُ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ ، مَعْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَتْ  
 وَهْنًا ، وَوَرَيْتُمْ وَاللَّهِ صَدْرِي غَيْظًا ، وَجَرَّ عَتَمُونِي الْمَوْتَ أَنْفَاسًا ، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ  
 رَأْيِي بِالْعَصِيَّانِ وَالْخِلْدَانِ ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشُ : إِنَّ أَبْنَ أَبِي طَالِبٍ شُجَاعٌ ، وَاسْكُنْ

٢٠

(١) النصف : الانتصاف .

(٢) في الأصول : « عامر » . وهو تحريف . ( انظر السكامل والبيان ) .

(٣) كذا في الأصول . والذي في البيان ( ج ٢ ص ٢٥ ) : « ابن حسان ، أو حسان

البكري » . والذي في الطبري ( ١ : ٣٤٤٦ ) : « أشرس بن حسان البكري » .

والذي في السكامل ( ص ١٣ ) : « حسان بن حسان » . والذي في الأغاني ( ج ١٥

٢٥

ص ٤٥ طبعه بلاق ) : « ابن حسان البكري » .

(٤) القلب : السوار . والرعاش : القرط .

لا عِلْمَ له بالحَرْبِ ، اللهُ أبوهم ! وهل منهم أحدٌ أشدُّ لها مِرَاساً وأطولُ تجربةً  
مَنى ! لقد مارسَها وأنا ابنُ عِشرين ، فما أنذا الآنَ قد نَمِقتُ على الستين ،  
ولكن لا رأى لمن لا يُطاع .

وخطبة له رضى الله عنه :

قام فيهم فقال : أيها الناس ، المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كلامكم  
يُوهِى <sup>(١)</sup> الضَّمَّ الصَّلَابَ ، وَفَعَلُكُمْ يُطْمَعُ فيكم عدوُّكم ؛ تقولون في المجالس  
كثيِّت وكثيِّت ، فإذا جاء القتالُ قاتم : [حَيْدِي] <sup>(٢)</sup> حَيَادٍ . ما عَزَّتْ دعوةُ مَنْ  
دعاكم ، ولا أَسْتَرَحَ قلبُ مَنْ قاساكم ، أَعَالِيلُ بأباطيل . وسألتُموني التَّأخيرَ ،  
دِفَاعُ ذِي الدِّينِ المَطُولِ . هِيَّات <sup>(٣)</sup> ! لا يدفع الضَّيْمَ الدَّلِيلُ ، ولا يُدْرِكُ الحقُّ  
إِلَّا بِالْجِدِّ . أَيْ دار بعد داركم تَمْنَعُونَ ؟ أم مع أَيْ إمامٍ بَعْدَى تُقَارِنُونَ ؟  
المُغْرورُ والله من غَرَّرْتُمُوهُ ، وَمَنْ فاز بكم فاز بالسَّهمِ الأَخْيَبِ . أَصَبَحْتُ والله  
لا أَصَدِّقُ قولَكم ، ولا أَطْمَعُ في نُصْرَتِكُمْ ، فَرَّقَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَأَعْقَبَنِي  
بِكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْكُمْ . وَدِدْتُ والله أَنْ لِي بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي  
فِرَاسٍ بِنِ غَنَمٍ ، صَرَفَ الدِّينَارَ بالدَّرْهِمِ <sup>(٤)</sup> .

١٥ وخطب إذ استنفر أهل الكوفة لحرب الجمل :

فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ مَعَ ابْنِهِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقَامَ فِيهِمْ خَطِيباً ، فَقَالَ :  
الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَآخِرِ الْمُرْسَلِينَ .  
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ كَافَّةً ، وَالنَّاسُ

(١) في بعض الأصول : « يوهن » .

(٢) حَيْدِي : مِيلَى . وَحَيَادٍ (كفطام) ، مِنْ ذَلِكَ ، أَيْ أَبْعَدَى وَتَنَحَّى عَنْ أَيْتِهَا الْحَرْبِ .

(٣) في بعض الأصول : « أَلَا » مَكَانَ « هِيَّات » .

(٤) انظر الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١١١) والبيان والتبيين (ج ١ ص ٣٩) فيبين النصوص خلاف .

في اختلاف ، والعرب بشر المنازل ، مُستضعفون لما بهم<sup>(١)</sup> ، بعضهم على بعض ،  
 فرأب الله به الثأى<sup>(٢)</sup> ، ولأَمَ به الصَّدْع ، ورَتَقَ به الفَتَق ، وأَمَّن به السُّبُل ،  
 وحقن به الدِّماء ، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب ، والضَّغائن المُخَشَّنة للصدور ؛  
 ثم قبضه الله عز وجل مشكوراً سَعِيهِ ، مَرْضِيّاً عمله ، مَغْفُوراً ذَنْبَهُ ، كريماً عند  
 ربه . فيما لها مصيبة عَمَّت المسلمين ، وخَصَّت الأقرَبين ! وولِي أبو بكر ، فسار  
 بسيرة رَضِيهَا المسلمون ؛ ثم وَلِي عمر ، فسار بسيرة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ؛ ثم  
 وَلِي عثمان ، فَنَالَ مِنْكُمْ وَنَلْتُمْ مِنْهُ ، حتى إذا كان من أمره ما كان ، أُتِيَتْموه  
 فَمَتَّلْتُمُوهُ ، ثم أُتِيَتْموني فَمَتَّلْتُمُنِي : بايَعْنَا ، فَقُلْتُ لَكُمْ : لا أَفْعَل ، وَقَبِضْتُ  
 يَدِي فَبَسَطْتُمُوهَا ، وَنَازَعْتُمُ كَفِّي فَجَذَبْتُمُوهَا ، وَقُلْتُمْ : لا تَرْضَى إِلَّا بَكَ ، وَلَا  
 نَجْتَمِعُ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَتَدَاكَ كَتَمْتُ عَلَى تَدَاكَكَ الْإِبِلَ الْهِيمَ<sup>(٣)</sup> عَلَى حِيَاضِهَا ١٠  
 يَوْمَ وَرَدَهَا ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّكُمْ قَاتِلِي ، وَأَنَّ بَعْضَكُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ ، فَبَايَعْتُمُونِي ،  
 وَبَايَعَنِي طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، ثُمَّ مَا لَيْثًا أَنْ أَسْتَأْذِنَانِي لِلْعُمَةِ ، فَسَارَا إِلَى الْبَصْرَةِ ،  
 فَقَتَلَا بِهَا الْمُسْلِمِينَ ، وَفَعَلَا الْأَفَاعِيلَ ، وَهَمَا يَعْلَمَانِ وَاللَّهُ أُنَى لَسْتُ بِدُونِ وَاحِدٍ  
 مِمَّنْ مَضَى ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَا قَرَابَتِي ، وَنَكَثَا  
 بَيْعَتِي ، وَأَلْبَا عَلَى عِدْوِي . اللَّهُمَّ فَلَا تُحْكِمَ لُهُمَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرِهَا الْعَسَاءَةَ ١٥  
 فِيهَا<sup>(٤)</sup> عَمِلَا وَأَمَلَا .

ومما حفظ عنه بالكوفة على المنبر :

قال نافع بن كليب : دخلت الكوفة للتسليم على أمير المؤمنين على  
 رضى الله عنه ، فأتى الجالس تحت منبره وعليه عمامة سوداء وهو يقول :  
 أنظروا هذه الحكومة ، فمن دعا إليها فاقتلوه وإن كان تحت عمامتي هذه . ٢٠

(١) كذا في سائر من هذا الجزء عند الكلام على يوم الجمل . والذي في بعض

الأصول هنا : « مستضيئون للثأى » . وفي سائر الأصول : « مستضيئون

لثأهم » . وكلاهما تحريف . (٢) الثأى (بالفتح والتحريك) : الإفساد .

(٣) تداككتم : تراحمتم . والهميم : العطاش ؛ الواحدة : هيماء .

(٤) في بعض الأصول : « فيها » .

فقال له عدئ بن حاتم : قلتَ لنا أمس : من أبى عنها فاقتلوه ، وتقول لنا اليوم : من دعا إليها فاقتلوه ، والله ما ندرى ما نصنع بك ! وقام إليه رجل أخذب من أهل العراق فقال : أمرتَ بها أمس وتنبى عنها اليوم ! فأنت كما قال الأول : آكلُك وأنا أعلم ما أنت <sup>(١)</sup> . فقال على : ألي يُقال هذا ؟

٥ أَصَبَحْتُ أَذْكَرُ أَرْحَامًا وَأَصْرَةً بُدِّلَتْ مِنْهَا هُوَيَّ الرِّيحِ بِالْقَصَبِ  
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُمْ بِمَا أَمَرْتُمْ بِهِ ، وَنَهَيْتُمْ عَنْمَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ ، حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَسْكُورَةِ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ عَاقِبَتَهُ خَيْرًا إِذَا كَانَ فِيهِ ، لَكَانَتْ الْوُثْقَى الَّتِي لَا تُفْصَمُ <sup>(٢)</sup> ، وَلَكِنْ مَتَى وَإِلَى مَتَى أَدَاوِيكُمْ ؟ إِنْى وَاللَّهِ بِكُمْ كِنَاقِشٍ <sup>(٣)</sup>  
الشُّوْكَةَ بِالشُّوْكَةِ ! يَا لَيْتَ لِي بَعْضَ قَوْمِي ، وَلَيْتَ لِي مِنْ بَعْدُ خَيْرَ قَوْمِي . اللَّهُمَّ  
١٠ إِنْ دِجْلَةَ وَالْفَرَاتِ نَهْرَانِ أَعِجْمَانِ أَصَمَّانِ أَبْكَانِ ، اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِمَا بِحَرْكٍ ، وَانْزِعْ مِنْهُمَا بِصَرْكٍ ، وَئِىَ لِلنَّزْعَةِ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ <sup>(٤)</sup> ، دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ قَبْلُوهُ ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْسِنُوهُ ، وَنَطَقُوا بِالشَّعْرِ فَأَحْكُمُوهُ ، وَهَيِّجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلَّوْا  
الْلِقَاحَ أَوْلَادَهَا ، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا ، ضَرْبًا ضَرْبًا ، وَزَحْفًا زَحْفًا ، لَا يَتَبَاشِرُونَ بِالْحَيَاةِ ، وَلَا يُعَزَّوْنَ عَلَى الْقَتْلِ <sup>(٥)</sup> :

١٥ أَوْلَتْكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ فَحَقَّ الْبُكَاءُ لَهُمْ أَنْ يَطِيبِيَا  
رُزِئْتُ حَبِيبًا عَلَى فَاقَةٍ وَفَارَقْتُ بَعْدَ حَبِيبٍ حَبِيبًا  
ثُمَّ نَزَلَ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ . فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ عَلَى مَا صِرْتُ إِلَيْهِ !  
فَقَالَ : نَمْ ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! أَقْوَمَهُمُ وَاللَّهُ غُدُوَّةً ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى  
عَشِيَّةً ، مِثْلَ ظَهْرِ الْحَيَّةِ ، حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى ؟ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ !

- ٢٠ (١) المثل : « إِنْى لَأَكُلُ الرَّأْسَ وَأَنَا أَعْلَمُ مَا فِيهِ » . يضرب للأمر تأتبه وأنت تعلم ما فيه مما تكره . (٢) فى بعض الأصول : « لَا تَقْلَعُ » .  
(٣) نقش الشوكة : أخرجها .  
(٤) النزعة : الذين ينزعون الدلاء . والأشطان : حبال الدلاء . والركى : البستر . يريد العاملين .  
٢٥ (٥) زيد فى بعض الأصول بعد قوله « القتلى » : « وَلَا يَغِيرُونَ عَلَى الْعَلَى » . وظاهر أنها تكرار مع تحريف كلماتها .

وهذه نظمته الفراء رضى الله عنه :

الحمد لله الأحد الصمد ، الواحد المنفرد ، الذى لا من شىء كان ولا من شىء خلق إلا وهو خاضع له ، قُدرة بأن بها من الأشياء ، وبأنت الأشياء منه ، فليست له صفة تُقال ، ولا حَدٌّ يُضرب له فيه الأمثال ، كلٌّ دون صِفته تحبير اللغات ، وضَلَّتْ هناك تصاريف الصفات ، وحارت دون مَلَكوتِه مَذاهِبُ التَّفْكير ، وأنقطعت دون عِلْمِه جوامعُ التَّفْسير ، وحالت دون عَنِيهِ حُجُبٌ تاهت فى أَذْنِي دُنُوها طامحات العقول . فتَبَارَكَ اللهُ الذى لا يَبْلُغه بُعدُ الهِمَمِ ، ولا يَفْالِه غَوْصُ الفِطْنِ ؛ وتعالى الذى ليس له نَعْتٌ مَوْجود ، ولا وَقْتُ مَحْدود . وسُبْحَانَ الذى ليس له أَوَّلٌ مُبْتَدَأ ، ولا غَايَةٌ مُنْتَهَى ، ولا آخِرٌ يَفْنَى ؛ وهو سُبْحَانَهُ كما وَصَفَ نفسه ، والواصفون لا يَبْلُغونَ نَعْتَهُ ، أَحاطَ بالأشياء كُلِّهَا عِلْمُهُ ، وَأَتَقَنَّا صُنْعَهُ ، وَذَلَّلَهَا أَمْرُهُ ، وَأَحْصَاهَا حِفْظُهُ ، فلا يَعْزُبُ عَنْهُ غُيُوبُ الْهَوَى ، ولا مَسْكُونٌ ظَلَمَ الدُّجَى ، ولا مافى السموات العُلى ، إلى الأرض السابعة السُفلى ؛ فهو لكل شىء منها حافظ وَرَقِيب ، أَحاطَ بها . الأحد الصمد ، الذى لم تُغَيِّرْهُ سُروفُ الأَزمان ، ولم يَتَسَكَّاهُ<sup>(١)</sup> صُنْعُ شىء منها كان . قال لما شاء أن يكون : كُنْ فكان ؛ أبتدع ما خَلَقَ ، بلا مثال سَبَقَ ، ولا تَعَبَ ، ولا نَصَبَ ؛ وكلُّ عالم من بعد جَهْلٌ تَعَلَّمَ ، والله لم يَجْهَلْ ولم يَتَعَلَّمْ ؛ أَحاطَ بالأشياء كُلِّهَا عِلْمًا ، ولم يَزِدْ دَدٌ بِتَجَرُّبِهَا خُبْرًا ؛ عِلْمُهُ بِهَا قَبْلَ كَوْنِهَا كَعِلْمِهِ بِهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا ؛ لم يُكَوِّنْهَا لَتَسْدِيدِ سُلْطَانٍ ، ولا خَوْفٍ من زوال ولا نُقْصَانٍ ؛ ولا اسْتِعَانَةٍ على ضد مُنَاوِيٍّ ، ولا نِدٍّ مُسْكَاتٍ ؛ وَلَسَكُنْ خِلَاقٌ مَرَبُوبُونَ ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ<sup>(٢)</sup> . فسُبْحَانَ الذى لم يُوَدِّهِ خَلْقٌ ما أبتدَأ ، ولا تَذَبِيرٌ ما بَرَأ ؛ خَلَقَ ما عِلِمَ ، وعِلِمَ ما أَرَادَ ، ولا يَتَفَكَّرُ على حَادِثٍ أَصَابَ ، ولا شُبْهَةٍ دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِيمَا شَاءَ<sup>(٣)</sup> ؛ لَكِنْ قِضَاءُ مُتَقِنٍ ، وعِلْمٌ مُحْكَمٌ ، وأَمْرٌ مُبْرَمٌ . توَحَّدَ فِيهِ

(١) تَسَكَّاهُ الأَمْرُ : شَقَّ عَلَيْهِ . (٢) دَاخِرُونَ : خَاضِعُونَ لِلَّهِ يَقُولُونَ مَا يُؤْمَرُونَ .

(٣) فى بعض الأصول : « أَرَادَ » .



بالرُّبوبيّة ، وخصّ نفسه بالوحدانية ؛ فليس العزّ والكبرياء ، وأستخلص  
المعبد والسَّناء ، وأستكمل الحمد والثَّناء ؛ فأفرد بالتَّوحيد ، وتوحد بالتَّمجيد :  
فجلّ سبحانه وتعالى عن الأبناء ، وتطهّر وتقدّس عن مُلامسة النِّساء ؛ فليس  
له فيما خلق نِدّ ، ولا فيما ملك صِدّ ؛ هو الله الواحد الصّمد ، الوارثُ للأبد ،  
الذي لا يبيد ولا ينفد ؛ ملأ السمواتِ العُلى ، والأرضين السُّفلى ؛ ثم دنا  
فصلا ، وعلا فدنا ؛ له المثل الأعلى ، والأسماء الحسنى ، والحمد لله ربّ  
العالمين . ثم إنَّ الله تبارك وتعالى سبحانه وبحمده ، خلق الخلق بعلمه ، ثم اختار  
منهم صَفْوَتَه [لنفسه] ، وأختار من خيَّار<sup>(١)</sup> صَفْوَتَه أَمْناء على وحيه ، وخزّنه  
له على أمره ، إليهم تنهى رسالته<sup>(٢)</sup> ، وعليهم ينزل وحيه ؛ جعلهم أَصْفِياء ،  
مُصْطَفَيْن أنبياء ، مهديّين نُجباء . أستودعهم وأقرّهم في خير مُستقر ، تناسختهم  
أكارمُ الأصلاب ، إلى مطهّرات الأثبات ؛ كلما مضى منهم سلف ، أُنبت  
لأمره منهم خلف ؛ حتى أتته نبوّة الله وأفضت كرامته إلى محمد صلى الله  
عليه وسلم ، فأخرجه من أفضل المعادن مَحْتَدًا ، وأكرم المغارس منبتًا ،  
وأمنعها ذرورة ، وأعزّها أرومة ، وأوصلها مكرمة ؛ من الشجرة التي صاغ  
منها أَمْناء ، وأنتخب منها أنبياء ؛ شجرة طيِّبة العُود ، مُعْتَدلة العمود ، باسقة  
الفروع ، مُخضرة الأصول والفصون ، يانعة الثَّمار ، كريمة المُجتنى ؛ في كرم  
نبتت ، وفيه بسقت وأثمرت ، وعزت فأمتنعت ؛ حتى أكرمه الله بالروح الأمين ،  
والنُّور المبين ، نفختم به النّبيين ، وأنتم به عِدّة الرُّسلاين ؛ خليفته على عبادته ،  
وأمينه في بلاده ؛ زينه بالتَّقوى ، وآثار الذِّكرى ؛ وهو إمام من أتقى ، ونضر  
من أهدى ؛ سراج لمع ضوؤه ، وزند برق لمعه ، وشهاب سطع نوره .  
فأستضاءت به العباد ، وأستنارت به البلاد ، وطوى به الأحساب ، وأزجي  
به السَّحاب ، وسخر له البراق ، حتى صاغت الملائكة ، وأذعن له الأبالسة<sup>(٣)</sup> ،

(١) في بعض الأصول : « كل خيار » . (٢) في بعض الأصول : « رسله » .

(٣) في بعض الأصول : « الألسنة » .

وهَدَمَ به أصنام الآلهة . سِيرَتُهُ الْقَصْدُ ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ ؛ وَكَلَامُهُ فَضْلٌ ، وَحُكْمُهُ عَدْلٌ . فَصَدَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ ، حَتَّى أَفْصَحَ بِالتَّوْحِيدِ دَعْوَتَهُ ، وَأَظْهَرَ فِي خَلْقِهِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، حَتَّى أذِنَ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ ، وَأَثَرَهُ لَهُ بِالْعِبَادِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ . اللَّهُمَّ فَخْصَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالذِّكْرِ الْحَمِيدِ ، وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ . اللَّهُمَّ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ ، وَالرَّفْعَةَ وَالْفَضِيلَةَ ؛ وَأَجْعَلْ فِي الْمُصْطَفِينَ مَحَلَّتَهُ ، ٥ وَفِي الْأَعْلِينَ دَرَجَتَهُ ؛ وَشَرِّفْ بُنْيَانَهُ ، وَعَظِّمْ بُرْهَانَهُ ؛ وَاسْقِنَا بِكَأْسِهِ ، وَأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ ، وَأَحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ ؛ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَاكِثِينَ ، وَلَا شَاكِكِينَ وَلَا مُرْتَابِينَ ، وَلَا ضَالِّينَ وَلَا مَفْتُونِينَ ، وَلَا مُبَدِّلِينَ وَلَا حَانِدِينَ وَلَا مُضِلِّينَ . اللَّهُمَّ أَعْطِ مُحَمَّدًا مِنْ كُلِّ كَرَامَةٍ أَفْضَلَهَا ، وَمِنْ كُلِّ نَعِيمٍ أَكْمَلَهُ ، وَمِنْ كُلِّ عَطَاءٍ أَجْزَلَهُ ، وَمِنْ كُلِّ قَسَمٍ أَتَمَّهُ ؛ حَتَّى لَا يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ أَقْرَبَ مِنْكَ مَكَانًا ، وَلَا أَحْظَى عِنْدَكَ ١٠ مَنْزِلَةً ، وَلَا أَدْنَى <sup>(١)</sup> إِلَيْكَ وَسِيلَةً ، وَلَا أَعْظَمَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلَا شَفَاعَةً مِنْ مُحَمَّدٍ ؛ وَاجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي ظِلِّ الْعَيْشِ ، وَبَرْدِ الرِّيحِ ، وَقُرَّةِ الْأَعْيُنِ ، وَنَضْرَةِ الشَّرُورِ ، وَبَهْجَةِ النِّعَمِ ؛ فَإِنَّا نَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ الرِّسَالَةَ ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَالنَّصِيحَةَ ، وَأَجْتَهَدَ لِلْأَمَةِ ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ ، وَأَوْدَى فِي جَنْبِكَ ، وَلَمْ يَخَفْ لَوْمَةَ لَأَثَمٍ فِي دِينِكَ ، وَعَبْدِكَ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ . إِمَامَ الْمُتَّقِينَ ، وَسَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ، وَتَمَامَ النَّبِيِّينَ ، ١٥ وَخَاتَمَ الْمُرْسَلِينَ ، وَرَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ . اللَّهُمَّ رَبَّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَرَبَّ الْبَلَدِ الْحَرَامِ ، وَرَبَّ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، وَرَبَّ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، بَلِّغْ مُحَمَّدًا مِنَّا السَّلَامَ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ ، وَعَلَى أَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ ، وَعَلَى الْخَلِيفَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ ، وَصَلِّ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِينَ ، مِنْ الْمُؤْمِنِينَ .

## وَهَيْطَةُ الزَّهْرَاءِ :

٢٠

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ وَبَدِيَّةُ كُلِّ شَيْءٍ وَمُنْتَهَى كُلِّ شَيْءٍ وَوَلِيَّةُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَكُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ ضَارِعٌ إِلَيْهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « أَقْرَبَ » .

مُسْتَكِينٍ لَهُ . خَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ ، وَكَلَّتْ دُونَهُ الصَّغَاتُ ؛ وَضَلَّتْ دُونَهُ  
 الْأَوْهَامُ ، وَحَارَتْ دُونَهُ الْأَحْلَامُ ، وَأَمْحَسَرَتْ دُونَهُ الْأَبْصَارُ . لَا يَقْضِي فِي الْأُمُورِ  
 غَيْرُهُ ، وَلَا يَتِمُّ شَيْءٌ مِنْهَا دُونَهُ ، سُبْحَانَهُ مَا أَجَلَ شَأْنَهُ ، وَأَعْظَمَ سُلْطَانَهُ !  
 تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ الْعُلَى ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى ؛ لَهُ التَّسْبِيحُ وَالْعِظَمَةُ ،  
 ٥ وَالْمُلْكُ وَالْقُدْرَةُ ، وَالْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ ؛ يَقْضِي بِعِلْمٍ ، وَيَغْفُو بِحِلْمٍ ؛ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ  
 وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَوَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ ، وَصَاحِبُ كُلِّ  
 حَسَنَةٍ ، وَكَاشَفُ كُلِّ كُرْبَةٍ ؛ الْمُطَّلَعُ عَلَى كُلِّ خَفِيَّةٍ ، الْمُخْصِي لِكُلِّ سَرِيرَةٍ ، يَعْلَمُ  
 مَا تُكِنُّ الصُّدُورُ ، وَمَا تُرْخَى عَلَيْهِ السُّتُورُ ؛ الرَّحِيمُ بِخَلْقِهِ ، الرَّؤُوفُ بِعِبَادِهِ ،  
 مَنْ تَكَلَّمَ مِنْهُمْ سَمِعَ كَلَامَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ مِنْهُمْ عَلِمَ مَا فِي نَفْسِهِ ، وَمَنْ عَاشَ  
 مِنْهُمْ فَعَلِيهِ رِزْقُهُ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَإِلَيْهِ مَصِيرُهُ ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ ،  
 ١٠ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ حِفْظُهُ . اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ مَا تُحْيِي وَتُمِيتُ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِ  
 خَلْقِكَ وَلَفْظِهِمْ وَلِحَظِ أَبْصَارِهِمْ ، وَعَدَدَ مَا تَجْرِي بِهِ الرِّيحُ ، وَتَحْمِلُهُ السَّحَابُ ،  
 وَيَخْتَلِفُ بِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَيَسِيرُ بِهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ ، حَمْدًا لَا يَنْفَعِي  
 عَدْدُهُ ، وَلَا يَفْنَى أَمْدُهُ . اللَّهُمَّ أَنْتَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ شَيْءٍ ،  
 ١٥ وَتَكُونُ بَعْدَ هَلَاكِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَتَبْقَى وَيَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ ، وَأَنْتَ وَارِثُ كُلِّ شَيْءٍ ،  
 أَحَاطَ عِلْمُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ يُعْجِزُكَ شَيْءٌ ، وَلَا يَتَوَارَى عَنْكَ شَيْءٌ ؛ وَلَا  
 يَقْدِرُ أَحَدٌ قُدْرَتَكَ ، وَلَا يَشْكُرُكَ أَحَدٌ حَقَّ شُكْرِكَ ، وَلَا تَهْتَدِي الْعُقُولُ  
 لَصِفَتِكَ ، وَلَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ حَدَّكَ . حَارَتْ الْأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَيْكَ ، فَلَمْ تَرَكَ  
 عَيْنٌ فَتُخْبِرَ عَنْكَ كَيْفَ أَنْتَ وَكَيْفَ كُنْتَ ، لَا نَعْلَمُ اللَّهُمَّ كَيْفَ عَظَمَتُكَ ، غَيْرَ  
 ٢٠ أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْكَ نَظَرٌ ، وَلَمْ يَذْرُكَ  
 بَصَرٌ ، وَلَا يَقْدِرُ قُدْرَتَكَ مَلَكٌ وَلَا بَشَرٌ ؛ أَدْرَكَتْ الْأَبْصَارُ ، وَكَتَبَتْ الْآجَالُ ،  
 وَأَخْصَيْتِ الْأَعْمَالُ ، وَأَخَذْتَ بِالتَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ؛ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِحَاجَةٍ  
 وَلَا لَوْحْشَةٍ ؛ مَلَأْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَظَمَةً ، فَلَا يَرُدُّ مَا أَرَدْتَ ، وَلَا يُعْطَى مَا مَنَعْتَ ،

ولا يَنْقُصُ سُلْطَانُكَ مَنْ عَصَاكَ ، ولا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ . كل سرٌّ  
عندك علَّه ، وكل غَيْبٌ عندك شاهدُه ، فلم يَسْتَقِرْ عَنْكَ شَيْءٌ ، ولم يَشْغَلْكَ شَيْءٌ  
عن شَيْءٍ ، وقُدْرَتُكَ على ما تَقْضِي كَقُدْرَتِكَ على ما قَضَيْتَ ، وقُدْرَتُكَ على القوى  
كَقُدْرَتِكَ على الضَّعِيفِ ، وقُدْرَتُكَ على الأحياء كَقُدْرَتِكَ على الأموات .  
فإليك المُنتهى ، وأنت المَوْعدُ ، لا منجى إلا إليك ، بيدك ناصيةُ كل دابة ،  
وبإذنك تَسْقُطُ كل ورقة ، لا يَغْرُبُ عَنْكَ مثقالُ ذَرَّةٍ ، أنت الحَيُّ القيومُ .  
سبحانك ! ما أعظم ما يرى من خَلْقِكَ ! وما أعظم ما يرى من ملكوتك ! وما  
أقلُّها فيما غاب عنا منه ! وما أَسْبَغَ نِعْمَتَكَ في الدُّنيا وأحقَّها في نعيم الآخرة !  
وما أشدَّ عقوبتك في الدُّنيا وما أيسرها في عُقوبة الآخرة ! وما الذي نرى من خَلْقِكَ ،  
ونَعْمَتِكَ مِنْ قُدْرَتِكَ ، ونَصِيفِ مِنْ سُلْطَانِكَ ، فيما يَغِيبُ <sup>(١)</sup> عنا منه ، مما قَصُرَتْ أَبْصَارُنَا  
عنه ، وكَلَّتْ عقولنا دونه ، وحالت الغيوب بيننا وبينه ! فنَقَرعُ سِنَّه ، وأَعْمَلُ  
فِكْرَه : كيف أَقْتَرَعَرْتُكَ ؟ وكيف ذَرَأْتَ خَلْقَكَ ؟ وكيف عَلَّقْتَ في الهواءِ  
سَمَواتِكَ ؟ وكيف مَدَدْتَ أَرْضَكَ ؟ يَرْجِعُ طَرَفُهُ حَاسِراً ، وعَقْلُهُ مَبْهُوراً ، وَسَمْعُهُ وَاهِماً ،  
وفِكْرُهُ مَتَحِيرٌ . فكيف يَطْلُبُ عِلْمَ ما قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِكَ ، إِذْ أَنْتَ وَحْدَكَ  
في الغُيُوبِ التي لم يكن فيها غيرُكَ ، ولم يكن لها سواكَ ، لا أَحَدٌ شَهِدَكَ حِينَ  
فَطَرْتَ الْخَلْقَ ، ولا أَحَدٌ حَضَرَكَ حِينَ ذَرَأْتَ النُّفُوسَ ، فكيف لا يَعْظُمُ شَأْنُكَ  
عند مَنْ عَرَفَكَ ، وهو يرى مِنْ خَلْقِكَ ما تَرْتاع به عقولُهم ، ويمَلَأُ قُلُوبُهم ، مَنْ  
رَعَدَ تَفْزَعُ لَهُ الْقُلُوبُ ، وَرَقَّ يَخْطِيفُ الْأَبْصَارَ ، وملائكَةُ خَلْقَتِهِمْ وَأَسْكَنْتَهُمْ  
سَمَواتِكَ ، وَلِدَّتْ فِيهِمْ قُبُورٌ ، ولا عندهم غَفْلَةٌ ، ولا بِهِمْ مَعْصِيَةٌ . هم أَعْلَمُ خَلْقِكَ  
بِكَ ، وأخوفهم لَكَ ، وأقومهم بطاعتِكَ ، ليس يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ ، ولا سَهْوُ  
الْعُقُولِ ؛ لم يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ ، ولم تَضُمَّهُمْ الْأَرْحَامُ ؛ أَنْشَأَتْهُمْ إِنْشَاءً ، وَأَسْكَنْتَهُمْ  
سَمَواتِكَ ، وَأَكْرَمَتْهُمْ بِجِوَارِكَ ، وَأَتَمَّتْهُمْ عَلَى وَحْيِكَ ؛ وَجَبَّتْهُمْ الْآفَاتُ ،  
وَوَقَّيَتْهُمْ السَّيِّئَاتُ ، وطَهَّرَتْهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ ؛ فَلَوْلَا تَقْوِيَتُكَ لَمْ يَقَوْوا ، وَلَوْلَا

(١) أى ليس بشيء فيما يغيب عنا .

تَثْبِيتِكَ لَمْ يَثْبُتُوا ، وَلَوْ لَا رَهْبَتِكَ لَمْ يَطِيعُوا ، وَلَوْ لَاكَ لَمْ يَكُونُوا . أَمَّا إِنِّهِمْ عَلَى  
مَكَاتَتِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَطُولِ طَاعَتِهِمْ إِيَّاكَ ، لَوْ يُعَايِنُونَ مَا يَخْفَى  
عَلَيْهِمْ لِاحْتِقَارِ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَعَلُّهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ . فَسُبْحَانَكَ  
خَالِقًا وَمَعْبُودًا وَمَحْمُودًا بِحُسْنِ بِلَاثِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ ! أَنْتَ خَلَقْتَ مَا دَبَّرْتَهُ  
مَطْعَمًا وَمَشْرَبًا ، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيَا إِلَيْنَا ، فَلَا الدَّاعِيَ أَجْبِنَا ، وَلَا فِيمَا رَغَبْنَا فِيهِ  
رَغِبْنَا ، وَلَا إِلَى مَا شَوْقْنَا إِلَيْهِ أَشْتَقْنَا . أَقْبَلْنَا كُلَّنَا عَلَى حِيْفَةٍ نَأْكُلُ مِنْهَا  
وَلَا نَشْبِعُ ، وَقَدْ زَادَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ حَرَصًا ، لَمَا يَرَى بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ ؛ فَأَفْتَضَحْنَا  
بِأَكْلِهِ ، وَأَصْطَلَحْنَا عَلَى حُبِّهَا ، فَأَعْمَتْ أَبْصَارَ صُلَاحِنَا وَقُفُوهَانَا ، فَهَمَّ يَنْظُرُونَ  
بِأَعْيُنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ ، وَيَسْمَعُونَ بِأَذَانٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ ، فَحَيْثَا زَالَتْ زَاوَاهُمَا ، وَحَيْثَا  
مَالَتِ أَقْبِلُوا إِلَيْهَا ؛ وَقَدْ عَايَنُوا الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغُرَّةِ كَيْفَ فَجَأَتْهُمْ الْأُمُورُ ، وَنَزَلَ  
بِهِمُ الْحُذُورُ ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ مَا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ ، وَقَدَّمُوا مِنَ الْآخِرَةِ  
[ إِلَى ] مَا كَانُوا يُوعَدُونَ . فَارْقُوا الدُّنْيَا وَصَارُوا إِلَى الْقُبُورِ ، وَعَرَفُوا مَا كَانُوا  
فِيهِ مِنَ الْغُرُورِ ؛ فَأَجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ حَسْرَتَانِ : حَسْرَةُ الْقُوَّةِ ، وَحَسْرَةُ الْمَوْتِ ،  
فَأَغْبَرَتْ لَهَا وُجُوهَهُمْ ، وَتَغَيَّرَتْ بِهَا أَلْوَانُهُمْ ، وَعَرِقَتْ بِهَا جِبَاهُهُمْ ، وَشَخِصَتْ  
أَبْصَارُهُمْ ، وَبَرَدَتْ أَطْرَافُهُمْ ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَنْطِقِ ؛ وَإِنْ أَحَدُهُمْ لَيُبَيِّنُ  
أَهْلَهُ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ . ثُمَّ زَادَ الْمَوْتُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ بَصَرُهُ ،  
فَذَهَبَتْ مِنَ الدُّنْيَا مَعْرِفَتُهُ ، وَهَلَكَتْ عِنْدَ ذَلِكَ حُجَّتُهُ ، وَعَايَنَ هَوْلَ أَمْرِ كَانَ  
مُغْطًى عَلَيْهِ ، فَأَحْدَثَ لِدَلَالَةِ بَصَرِهِ . ثُمَّ زَادَ الْمَوْتُ فِي جَسَدِهِ ، حَتَّى بَلَغَتْ نَفْسُهُ  
الْحَلْقُومَ ، ثُمَّ خَرَجَ رُوحُهُ مِنْ جَسَدِهِ فَصَارَ جَسَدًا مُلْقًى لَا يُجِيبُ دَاعِيَا ، وَلَا يَسْمَعُ  
بِأَكْيَا ، فَنَزَعُوا ثِيَابَهُ وَخَاتَمَهُ ، ثُمَّ وَضَعُوهُ وَضْعَ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ غَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ أَدْرَاجًا  
فِي أَكْفَانِهِ ، وَحَنَطُوهُ ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى قَبْرِهِ ، فَدَلَّوْهُ فِي حُفْرَتِهِ ، وَتَرَكُوهُ مُخْلِئًا بِمَقَطَعَاتِ  
مِنَ الْأُمُورِ ، وَتَحْتَ مَسْأَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ، مَعَ ظُلْمَةٍ وَضِيقٍ ، وَوَحْشَةٍ قَبْرِ ؛ فَذَلِكَ مَثْوَاهُ  
حَتَّى يَبْلَى جَسَدُهُ وَيَصِيرَ تُرَابًا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْأَمْرُ إِلَى مِقْدَارِهِ ، وَأُلْحِقَ آخِرُ  
الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ ، وَجَاءَهُ أَمْرٌ مِنْ خَالِقِهِ ، أَرَادَ بِهِ تَجْدِيدَ خَلْقِهِ ، فَأَمَرَ بِصَوْتٍ مِنْ

١٠

١٥

$$\frac{169}{2}$$

٢٠

سَمَوَاتِهِ ، فَمَارَتْ السَّمَوَاتُ مَوْرًا ، وَفَزَعَ مَنْ فِيهَا ، وَبَقِيَ مَلَأَتْ كُنْهَها عَلَى أَرْجَائِهَا ،  
 ثُمَّ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى الْأَرْضِ — وَالْخَلْقُ رُفَاتٌ لَا يَشْعُرُونَ — فَأَرْجَأَ أَرْضَهُمْ وَأَرْجَفَهَا  
 وَزَلَزَهَا ، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا وَسَيَّرَهَا ، وَرَكِبَ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ هَيْبَتِهِ وَجَلَالِهِ ،  
 وَأَخْرَجَ مِنْ فِيهَا ، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ بِلَاثِهِمْ ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ، يُرِيدُ أَنْ يُحْصِيَهُمْ  
 وَيُعْزِيزَهُمْ : فَرِيقًا فِي ثَوَابِهِ ، وَفَرِيقًا فِي عِقَابِهِ ، فَخَلَّدَ الْأَمْرُ لِأَبَدِهِ دَائِمًا ، خَيْرُهُ ٥  
 وَشَرُّهُ . ثُمَّ لَمْ يَنْسَ الطَّاعَةَ مِنَ الْمُطِيعِينَ ، وَلَا الْمَعْصِيَةَ مِنَ الْعَاصِينَ ، فَأَرَادَ عِزًّا  
 وَجَلَّ أَنْ يُجَازِيَ هَؤُلَاءِ ، وَيَنْتَقِمَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، فَأَنَابَ أَهْلَ الطَّاعَةِ بِمَجْوَارِهِ ،  
 وَحُلُولِ دَارِهِ ، وَعَيْشِ رَغَدٍ ، وَخُلُودِ أَبَدٍ ، وَمَجَاوِرَةِ الرَّبِّ ، وَمُؤَافَقَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَيْثُ لَا ظَنَنْ وَلَا تَغْيِيرَ ، وَحَيْثُ لَا تُصِيبُهُمُ الْأَحْزَانُ ، وَلَا تَقْتَرِبُهُمُ  
 الْأَخْطَارُ ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ <sup>(١)</sup> . وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ ، فَخَلَّدَهُمْ فِي النَّارِ ، ١٠  
 وَأَوْتَقَ مِنْهُمْ الْأَفْدَامَ ، وَغُلَّتْ مِنْهُمْ الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ ، فِي لَهَبٍ قَدْ أَشْتَدَّ  
 حَرُّهُ ، وَنَارٍ مُطَبَّقَةٍ عَلَى أَهْلِهَا ، لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ بِهَارُوحٍ ، هَمَّهُمْ شَدِيدٌ ، وَعَذَابُهُمْ  
 يَزِيدُ ، وَلَا مُدَّةٌ لِلدَّارِ تَنْقُضِي ، وَلَا أَجَلٌ لِلْقَوْمِ يَنْتَهِي . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ  
 الْفَضْلَ ، وَالرَّحْمَةَ بِيَدِكَ ، فَأَنْتَ وَلِيَهُمَا ، لَا يَلِيُهُمَا أَحَدٌ غَيْرُكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ  
 الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ ، الَّذِي قَامَ بِهِ عَرْشُكَ وَكُرْسِيُّكَ وَسَمَوَاتُكَ وَأَرْضُكَ ، وَبِهِ ١٥  
 أَبْتَدَعْتَ خَلْقَكَ ، الصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَالتَّجَاةَ مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ ، آمِينَ ،  
 إِنَّكَ وَلِيُّكَ كَرِيمٌ .

#### وَمُطَبَّحٌ أَيْضًا فَقَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَحْفَظُوا عَنِّي خَمْسًا ، فَلَوْ شَدَّدْتُمْ إِلَيْهَا الْمَطَايَا حَتَّى تُنْصَوْهَا  
 لَمْ تَظْفَرُوا بِمِثْلِهَا : أَلَّا لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ ، ٢٠  
 وَلَا يَسْتَعِجِ أَحَدُكُمْ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَإِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ :  
 لَا أَعْلَمُ ؛ أَلَّا وَإِنْ الْخَامِسَةَ الصَّبْرَ ؛ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمِثْلَةِ الرَّأْسِ مِنْ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْأَبْصَارِ » .

الجَسَد . مَنْ لَا صَبْرَ لَهُ لَا إِيمَانَ لَهُ ، وَمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ لَا جَسَدَ لَهُ . وَلَا خَيْرَ  
فِي قِرَاءَةِ إِلَّا بِتَدْبِيرٍ ، وَلَا فِي عِبَادَةٍ إِلَّا بِتَفْكَرٍ ، وَلَا فِي حِلْمٍ إِلَّا بِعِلْمٍ . أَلَا أَنْبِئُكُمْ  
بِالْعَالِمِ كُلِّ الْعَالِمِ ، مَنْ لَمْ يُزَيِّنْ لِعِبَادِ اللَّهِ مَعَاصِيَ اللَّهِ ، وَلَمْ يُؤْمَرْهُمْ بِمَكْرِهِ ، وَلَمْ  
يُؤَيِّسْهُمْ مِنْ رَوْحِهِ . وَلَا تُنْزِلُوا الْمُطِيعِينَ الْجَنَّةَ ، وَلَا الْمُذْنِبِينَ الْمُوَحِّدِينَ النَّارَ ،  
حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ بِأَمْرِهِ . لَا تَأْمَنُوا عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ  
يَقُولُ : ( فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ) . وَلَا تُقْنِطُوا شَرَّ هَذِهِ  
الْأُمَّةِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، ( فَإِنَّهُ لَا يَبَاسَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ) .

ومن كلامه رضوانه الله عليه :

قال ابن عباس : لما فرغ علي بن أبي طالب من وقعة الجمل ، دعا بآجرتين  
فعلاهما ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أنصار المرأة ، وأصحاب البهيمة ، رَغَا  
فَجَحِشْتُمْ ، وَعَقَرْتُمْ فَانْهَزْتُمْ . دَخَلْتُ شَرَّ بِلَادٍ ، أَبْعَدَهَا مِنَ السَّمَاءِ ، بِهَا يَفِضُ كُلُّ  
مَاءٍ ، وَلَهَا شَرُّ أَسْمَاءٍ ، هِيَ الْبَصْرَةُ وَالْبُصَيْرَةُ وَالْمُؤْتَفَكَةُ وَتَذْمَرُ<sup>(١)</sup> . أَيْنَ ابْنُ عَبَّاسٍ ؟  
فَدُعِيتُ ، فَقَالَ لِي : مُرْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ فَلْتَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهَا الَّذِي أُسْرَتْ أَنْ تَقْرَفِيهِ<sup>(٢)</sup> .

وتمثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الحكمين :

زَلَلْتُ فِيكُمْ زَلَّةً فَأَعْتَذِرُ سَوْفَ أَكْسِبُ بَعْدَهَا وَأَنْشِيرُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَجْمَعُ الْأَمْرَ الشَّتِيتَ الْمُفْتَشِرُ

خطب معاوية

قال القحذمي : لما قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ عَامَ الْجَمَاعَةِ تَلَقَّاهُ رِجَالُ قُرَيْشٍ ،  
فَقَالُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّنَا نَصْرَكَ ، وَأَعْلَى كَعْبِكَ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيْهِمْ  
شَيْئًا حَتَّى صَعِدَ الْمَنْبَرِ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا وَلِيَّتْهَا

(١) انظر معجم البلدان عند الكلام على البصرة والمؤتفكة .

(٢) نص الخطبة في شرح نهج البلاغة يختلف عنه هنا كثيرا .

(٣) في بعض الأصول : « وَأَشْتَرُ » .

بمحبة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتي ، ولكني جاليتكم بسيفي هذا مجالدة ،  
ولقد رُضت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة ، وأردتها على عمل عمر ، فنفرت  
من ذلك نفاراً شديداً ، وأردتها على [ مثل ] <sup>(١)</sup> ثنيتات <sup>(٢)</sup> عثمان ، فأبت علي ،  
فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة ، مؤاكلة حسنة ، ومشاركة جميلة ،  
فإن لم تجدوني خيركم فإني خير لكم ولاية . والله لا أحمل السيف على من  
لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه ، فقد جعلت  
له ذلك دبراً أذني وتحت قدمي ، وإن لم تجدوني أقوم بحقوقكم كلّه فاقبلوا مني  
بعضه ، فإن أنا كم مني خير فاقبلوه ، فإن السيل إذا زاد غنى <sup>(٣)</sup> ، وإذا قل  
أغنى <sup>(٤)</sup> ؛ وإياكم والفتنة ، فإنها تُفسد المعيشة ، وتكدر النعمة ، ثم نزل .

١٠

[ وخطبة أيضاً لمعاوية ] :

حمد الله وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :  
أما بعد ، أيها الناس ، إنا قد منّا عليكم ، وإنما قد منّا على صديق مستقبل ،  
أو على عدو مستتر ، وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون ، ( فإن أعطوا منها  
رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ) . ولست واسماً لكل الناس ، فإن  
كانت محمّدة فلا بد من مدّة ، فلو ما هونا إذا ذُكر غفر ، وإياكم والي إن  
أخفيت أوبقت . وإن ذُكرت أوثقت ، ثم نزل .

[ وخطبة أيضاً لمعاوية ] :

صعد منبر المدينة . حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل المدينة ، إني لست  
أحب أن تكونوا خلقاً كخلق العراق ، يهيمون الشيء وهم فيه ، كل أمرئ منهم

٢٠

(١) التسكلة عن تاريخ ابن عساكر وتاريخ الإسلام للذهبي .

(٢) كذا في الأصول ، وثنيتات : جمع ثنية ، وهي الطريق العالي في الجبل ، أي على

مثل الصعب مما ركب عثمان . والذي في ابن عساكر والذهبي : « سنيات » .

(٣) في بعض الأصول : « جاء يترى » .

(٤) أغنى ، أي كفى .



شِيعَةُ نَفْسِهِ ، فاقبلونا بما فينا ، فإن ما وراءنا شرُّ لكم ، وإنَّ معروفَ زماننا هذا مُنْكَرَ زمانٍ قد مَضَى ، ومُنْكَرَ زماننا معروفُ زمانٍ لم يَأْتِ ، ولو قد أتى ، فالرَّائِقُ خَيْرٌ مِنَ الْفَتَقِ ، وفي كُلِّ بِلَاغٍ ، ولا مُقَامَ عَلَى الرِّزْيَةِ .

[ وخطبة لمعاوية أيضا ] :

٥ قال العُتْبِيُّ : خَطَبَ معاويةُ الجمعةُ في يومِ صائِفٍ شديدٍ الحرِّ ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إن الله عز وجل خلقكم فلم ينسكم ، ووعظكم فلم يهملكم ، فقال : ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ) . قوموا إلى صلاتكم .

ومما ذكره لعبيد الله بن زياد عن معاوية

١٠ قال ابن دأب : لما قدِمَ عبيدُ الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لاهياً<sup>(١)</sup> [ عنه ] أنكره ، فجعل يتصدى له<sup>(٢)</sup> بخَلْوَةٍ لِيَسْتَبْرَأَ مِنْ رَأْيِهِ مَا كَرِهَ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ فِي عَمَلِهِ<sup>(٣)</sup> ، فاستأذن عليه بعد أن صداع الطَّالِبِ ، وإشعال<sup>(٤)</sup> الخاصة ، وأفتراق العامة ، وهو يوم معاوية الذي كان يَحْلُو فِيهِ بِنَفْسِهِ . ففطن معاوية لما أراد ، فبعث إلى ابنه يزيد ، وإلى مروان بن الحكم ، وإلى سعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحكم ، وعمر بن العاص . فلما أخذوا مجالسهم أذن له ، فسلم ووقف واجماً يتصفَّحُ وجوه القوم ، ثم قال : صريحُ العقوقِ مُكَاتِمَةُ الْأَدْنِيِّينَ ، ولا خَيْرَ فِي اخْتِصَاصِ إِنْ وَفَرَ<sup>(٥)</sup> ، أحمَدُ الله إليكم على الآلاءِ ، وأستعينه على اللَّاؤَاءِ<sup>(٦)</sup> ، وأستهديه من عَمَى مُجْهِدٍ ، وأستعينه على عدوِّ مُرْصِدٍ ، وأشهد

(١) في بعض الأصول : « الأعياء » .

(٢) في بعض الأصول : « منه » .

(٣) أى ليعرف سبب إبعاد معاوية له وعدم استعماله له . وفي بعض الأصول : « علمه » .

(٤) الإشعال : التفرق . وفي بعض الأصول : « واشتغال » .

(٥) وفر ، أى عم وشاع . يقول : خير الاختصاص ما قل معه الاختصاص .

(٦) الآلاء : النعم . واللاؤاء : الشدة .

١٧١  
 ٢ أن لا إله إلا الله ، المُنْقِذُ بِالْأَمِينِ الصَّادِقِ ، مِنْ شَقَاءِ هَاوٍ <sup>(١)</sup> ، وَمِنْ غَوَايَةِ غَاوٍ <sup>(٢)</sup> ؛  
 وَصَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى الزَّكِيِّ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وَنَذِيرِ الْأُمَّةِ ، وَقَائِدِ الْهُدَى . أَمَّا بَعْدُ ،  
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ عَسَفَ بِنَاظِنٍ فَرَّعٍ <sup>(٣)</sup> ، وَفَزَعَ صَدَّعٍ ؛ حَتَّى طَمِعَ السَّحِيقُ ،  
 وَبَثَّ الرُّفِيقُ ؛ وَدَبَّ الْوُشَاةُ بِمَوْتِ زِيَادٍ ، فَكُلُّهُمْ مُتَحَفِّزٌ <sup>(٤)</sup> لِلْعِدَاوَةِ ، وَقَدْ  
 قَلَّصَ الْإِزْرَةَ <sup>(٥)</sup> ، وَشَمَّرَ عَنْ عِطَافِهِ <sup>(٦)</sup> ، لِيَقُولَ : مَضَى زِيَادٌ بِمَا اسْتُلْحِقَ بِهِ ،  
 وَوَلَّى عَلَى الدُّنْيَةِ <sup>(٧)</sup> مَنْ مُسْتَلْحَقُهُ . فَلَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَلِمَ فِي دَعَتِهِ ، وَأَسْلَمَ زِيَادًا  
 فِي ضَعْفَتِهِ <sup>(٨)</sup> ، فَكَانَ تَرْبَ عَامَّةٍ ، وَوَاحِدَ رَعِيَّةٍ ، فَلَا تَشْخَصُ إِلَيْهِ عَيْنُ نَازِلٍ ،  
 وَلَا إِصْبَعُ مُشِيرٍ ، وَلَا تَذَلُّقُ <sup>(٩)</sup> عَلَيْهِ أَلْسُنٌ . كَلِمَتُهُ حَيَاةٌ ، وَنَبَشَتُهُ مَيِّتَةٌ ، فَإِنْ  
 تَكُنْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَابِيتَ زِيَادًا بَوْلًا <sup>(١٠)</sup> ، رُفَاتٍ ، وَدَعْوَةَ أَمْوَاتٍ ، فَقَدْ حَابَاكَ  
 زِيَادٌ بِحِدَّةِ هَضُورٍ ، وَعِزِّمْ جَسُورٍ ، حَتَّى لَا تَشْكَاكُمْ الشَّرْسُ ، وَذَلَّتْ صَعْبَةُ  
 ١٠ الْأَشْوَسُ ، وَبَذَلَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَمِينَهُ وَيَسَارَهُ ، تَأْخُذُ بِهِمَا الْمَنِيْعُ ، وَتَقْهَرُ  
 بِهِمَا الْبَزِيْعُ <sup>(١١)</sup> ، حَتَّى مَضَى ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ . فَإِنْ يَكُنْ زِيَادٌ أَخَذَ بِحَقِّ فَأَنْزَلْنَا <sup>(١٢)</sup>  
 مَنَازِلَ الْأَقْرَبِينَ ، فَإِنَّ لَنَا بَعْدَهُ مَا كَانَ لَهُ ، بِدَالَةِ الرَّحِمِ ، وَقَرَابَةِ الْحَمِيمِ ، وَمَا لَنَا

(١) كَذَا فِي أ ، ي . يَرِيدُ شَقَاءَ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ إِلَى الْخُضْيُضِ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ :

١٥ « شَفَا جَرَفِ هَار » .

(٢) كَذَا فِي أ ، ي . يَرِيدُ الشَّيْطَانَ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « عَار » .

(٣) فَرَعَ : فَرَقَ .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « مُسْتَحْفَزٌ » وَهِيَ بِمَعْنَاهَا .

(٥) الْإِزْرَةُ : الْإِتْرَارُ . (٦) الْعِطَافُ : الرِّدَاءُ .

٢٠ (٧) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَدَلَ عَلَى الْأُنْيَةِ » .

(٨) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فِي ضَعْفَتِهِ » .

(٩) ذَلَّقَ اللِّسَانَ : ذَرَبَ وَحْدَ .

(١٠) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « بِأُولِ » .

(١١) الْبَزِيْعُ : السَّيِّدُ .

٢٥ (١٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « لَهُ » .

يا أمير المؤمنين نمشي الضراء<sup>(١)</sup>، ونديب الخفاء<sup>(٢)</sup>، ولنا من خيرك أكلة<sup>(٣)</sup>،  
وعليك من حوبنا أثقله<sup>(٣)</sup>، وقد شهد القوم، وما ساءنى قرُبهم، ليقرؤوا حقاً،  
ويردّوا باطلاً، فإنّ للحق مناراً واضحاً، وسبيلاً قصداً، قل يا أمير المؤمنين بائى  
أمرّيك شئت، فما نأرز<sup>(٤)</sup> إلى غير جحرنا، ولا نستكثر بغير حقنا،  
وأستغفر الله لى ولكم.

قال: فنظر معاوية فى وجوه القوم كالمتعجب، فتصفّهم بلحظه رجلاً،  
رجلاً، وهو مبتسم. ثم اتجه تلقاه، وعقد حُبوته، وحسّر عن يده، وجعل  
يؤمى بها نحوه، ثم قال معاوية: الحمد لله على ما نحن فيه، فكل خير منه،  
وأشهد أن لا إله إلا الله، فكل شئ خاضع له، وأن محمداً عبده ورسوله، دل  
على نفسه بما بان عن عجز الخلق أن يأتوا بمثله، فهو خاتم النبيين، ومصدق  
المرسلين، وحجة رب العالمين، وصلوات الله عليه وسلامه وبركاته. أما بعد،  
فرب خير مستور، وشر مذكور، وما هو إلا السهم الأخبى لمن طار به،  
والحظ المرغب لمن فاز به، فيهما التفاضل وفيهما التغاين، وقد صفقت يداى من  
أبيك صفة ذى الجلبة من ضوارع الفصلان<sup>(٥)</sup>، عامل أصطناعى له بالكفر لما  
أوليته، فما رميت به إلا أنتصل<sup>(٦)</sup>، ولا أنتضيت إلا غلق جفنه، وزلت  
شفرته<sup>(٧)</sup>؛ ولا قلت إلا عاند، ولا قمت إلا قعد، حتى أخترمه الموت؛ وقد أوقع  
بختره<sup>(٨)</sup>، ودل على حقه. وقد كنت رأيت فى أهلك رأياً حصره الخطل،

(١) الضراء: الشجر الملتف. ويريد بمشي الضراء وديب الخفاء: المكر والخديعة.

وفى بعض الأصول: «ونشف النصار» مكان: «ونديب الخفاء».

(٢) فى بعض الأصول: «ولك من خيرنا أكلة». (٣) الحوب: الإنم.

(٤) يقال: أرزت الحية إلى جحرها، إذا لاذت به ورجعت إليه.

(٥) صفقت، أى صادفت. والجلبة (بالضم): الجهد والشدة والجوع. والضوارع

من الفصلان: الصغار الضعيفة الضاوية. وفى بعض الأصول: «الحلة»

و «رواضع» مكان «الجلبة» و «ضوارع».

(٦) انتصل: خرج نصله. (٧) فى بعض الأصول: «ولزت لسعته».

(٨) الختر: القدر والخديعة.

والتبس به الزلل ، فأخذ مني بحظ الغفلة ، وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة  
بالشوء ، فما برحت هناة أبيك تحطّب في حبل القطيعة ، حتى أنقثت المبرم ،  
وأنحل عقد الوداد . فيلها توبة تؤتنف ، من حوبة <sup>(١)</sup> أوزرت ندما ؛ أسمع بها  
الهاتف ، وشاعت للشامت ، فليهنأ الواصم <sup>(٢)</sup> ما به أحقر . وأراك تحمد من  
أبيك جدًا وجسورا ، ها أوفيا به على سرف التّقحم <sup>(٣)</sup> ، وغبط <sup>(٤)</sup> النعمة ،  
فدعهما ، فقد أذكرتنا منه ما زهدنا فيك من بعده ، وبهما مشيت الضراء ،  
ودبيت الخفاء <sup>(٥)</sup> ، فأذهب إليك ، فانت نجل الدغل ، وعثرة <sup>(٦)</sup> النفل <sup>(٧)</sup> ،  
والآخر <sup>(٨)</sup> شر .

فقال يزيد : يا أمير المؤمنين ، إن للشاهد غير حُكم الغائب ، وقد حضرك  
زياد وله مواطن معدودة بخير ، لا يفسدها التطي ، ولا تُغيّرها التهم ، وأهلوه  
أهلوك ، ألتحموا بك ، وتوسّطوا شأنك ، فسافرت به الركب ، وسمعت به  
أهل البلدان ، حتى أعتقده الجاهل ، وشكّ فيه العالم ، فلا تتحجّر يا أمير المؤمنين  
ما قد اتسع ، وكثرت فيه الشهادات ، وأعانك عليه قوم آخرون .

فأنحرف معاوية إلى من معه ، فقال : هذا ، وقد نفّس عليه <sup>(٩)</sup> ببيعته ، وطعن  
في إمرته ، يعلم ذلك كما أعلمه ، يا للرجال من آل أبي سفيان ! لقد حكموا وبذم

١٧٢  
٢

١٥

(١) الحوبة : الإثم والذنب .

(٢) كذا في بعض الأصول . والواصم : العياب المحقر . يريد الذين نالوا من زياد  
وحقروه . وفيه إشارة إلى قول عبيد قبل : « ولا تدلق عليه ألسن كلته حيا ،  
ونبشته ميتاً » . وفي سائر الأصول : « الواصم » .

(٣) السرف : مجاوزة القصد . والتّقحم : « التعرض للأمر من غير روية » . والذي  
في الأصول : « شرف » بالشين .

(٤) كذا في ١ والذي في سائر الأصول : « وغبط » .

(٥) في بعض الأصول : « واستفتت النضار » . (انظر الحاشية رقم ١ ص ٨٥ من  
هذا الجزء) .

(٦) في بعض الأصول : « ونثره » .

(٧) الدغل والنفل : الفساد . (٨) في بعض الأصول : « والأجر » .

(٩) نفس عليه : حسده . وفي بعض الأصول : « نفسه » . يشير إلى امتناع زياد عن  
بيعة يزيد ومحاولته صرف معاوية عن ذلك (انظر الظبيري في حوادث سنة ٦٠ هـ حين  
دعا معاوية الناس لبيعة يزيد) .

يزيد وحده . ثم نظر إلى عبيد الله فقال : يا بن أخي ، إني لأعرف بك من أهلك ، وكأني بك في غمرة لا يخطوها السابح ، فالزم ابن عمك ، فإن ما قال حق . فخرجوا ، ولزم عبيد الله يزيد ، يرد مجلسه ، ويطلق عقبه أياما ، حتى رعى به معاوية إلى البصرة والياً عليها . ثم لم تزل توكسه أفعاله حتى قتل الله بالخازر<sup>(١)</sup> .

○ [ ومطبة معاوية أيضا ] :

قال الهيثم بن عدى : لما حضرت معاوية الوفاة يزيد غائب ، دعا بمسلم ابن عتبة المرقى والضحاك بن قيس الفهري ، وقال لهما : أبلغا عني يزيد وقولا له : أنظر أهل الحجاز ، فهم عصابتك وعترتك ، فمن أتاك منهم فأكرمه ، ومن قعد عنك فتماهده ؛ وانظر أهل العراق ، فإن سألوك عزل عامل في كل يوم ، فاعزله عنهم ، فإن عزل عامل واحد أهون عليك من سئل مائة ألف سيف . ثم لا تدري علام أنت عليه منهم ؛ ثم أنظر أهل الشام فاجعلهم الشعير جون الدنار ، فإن رابك من عندو ريب فأزمه بهم ، فإن أظفرك الله فأزجده أهل الشام إلى بلادهم ، لا يقيموا في غير بلادهم فيتأدبوا بغير آدابهم . لست أخاف عليك غير عبيد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن علي . فأما عبد الله بن عمر ، فرجل قد وقده<sup>(٢)</sup> الورع ؛ وأما الحسين ، فأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه ، وخذله أخاه ؛ وأما ابن الزبير ، فإنه خب ضب . فإن ظفرت به فقطعه إزبا إزبا . ومات معاوية . فقام الضحاك بن قيس خطيباً فقال : إن أمير المؤمنين كان أنف العرب ، وهذه أكفانه ، ونحن مذجوه فيها ونخلون بينه وبين ربه ، فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضر . فصلى عليه

(١) كذا في سياقي في العقد عند الكلام على المختار بن عبيد ومعجم البلدان . والخازر نهر بين إربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل وعنده كانت وقعة بين ابن زياد وأبراهيم بن مالك الأشتر النخعي أيام المختار . والذي في سائر الأصول : « الجارود » .

(٢) وقده : غلبه .

الضحَّاك . ثم قدِمَ يزيد فلم يَقْدَم أحدٌ على تعزيتِه ، حتى دخل عليه عبدُ الله ابن همام فأنشأ يقول :

أصبر يزيد فقد فارقتَ ذا مِقَّةٍ      واشكرُ حِبَاءَ الذي بالملك حابا كا  
لا رُزءَ أعظمُ في الأقوامِ قد عَلِمُوا      مما رُزئتَ ولا عُنِّي كعُقْبَا كا  
أصبحتَ راعيَ أهلِ الدِّينِ كلِّهم      فأنتَ ترعاهم والله يرعَا كا  
وفي مُعاوية الباقي لنا خلفٌ      إذا بقيت فلا نسمع بمُعَا كا  
قال : فأفتتح الخطباء بالكلام .

[وخطبة أيضا لمعاوية] :

ولما مرض معاوية مرضَ وفاته قال لمولى له : مَنْ بالباب ؟ قال : نفر من قُرَيْشٍ يتباشرون بموتك . قال : وَيَحْك ! لِمَ ؟ فوالله ما لهم بعدي إلا الذي يسوؤهم . وأذن للناس فدخلوا ، فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ، ثم قال : أيها الناس ، إنا قد أصبحنا في دهر عنود ، وزمن شديد ، يُعدّ فيه المُحْسِنُ مُسِيئًا ، ويزداد الظالم فيه عُتُوًّا ، لا ننتفع بما عَلِمْنَا ، ولا نسأل عما جَهِلْنَا ، ولا نتخوف قارعة حتى نَحُلَّ بنا ؛ فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمتنع من الفساد في الأرض إلا مهانةَ نفسه ، وكلالَ حدِّه ، ونَضِيضَ وفَرِه ؛ ومنهم المُصْلِتُ ١٥ لَسِيْفُه ، المُجْلِبُ برَجْلِه ، المُعْلِنُ بشرِّه ، وقد أَشْرَطَ نفسه ، وأُوبِقَ دِينَه <sup>(١)</sup> ، لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُه ، أو مِقْنَب <sup>(٢)</sup> يَقْوَدُه ، أو مَنبِرَ يَفْرَعُه <sup>(٣)</sup> ، وليس المتعجران تراهما لنفسك ثمنًا ، وبمالك عند الله عِوَضًا ؛ ومنهم من يَطْلُبُ الدنيا بعمل الآخرة ،

(١) أَشْرَطَ : أعلم . وأوبق : أهلك .

(٢) كذا في البيان (ج ٢ ص ٢٨) وشرح نهج البلاغة (ج ١ ص ٤٠) وإيجاز القرآن (ص ١٢٣) . والمقنب : الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين . والذي في الأصول : « مقن » .

(٣) كذا في البيان وابن أبي الحديد والإيجاز . ويفرعه : يعلوه . والذي في سائر الأصول : « منه » .

ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا ، قد طامن من شخصه ، وقارب من خطوه . وثمر  
 عن ثوبه ، وزخرف نفسه بالأمانة ، وأخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية ؛ ومنهم  
 من أقعده عن طلب الملك ضالة نفسه ، وأنقطع سببه ، فقصرت به الحال عن  
 حاله ، فتحلى باسم القناعة ، وتزيا بلباس الزهادة ، وليس [ من ] ذلك في مراح  
 ولا مقدي . وبقى رجال أغض أبصارهم ذكر المرجع ، وأراق دموعهم خوف ١٧٣  
٢  
 المضجع ، فهم بين شريد بادٍ ، وبين خائف مُنتقم ، وسأكت مكعوم<sup>(١)</sup> ،  
 وداعٍ مُخلص ، وموجع شكوان ، قد أختلتهم التقية ، وشملتهم الذلة ، فهم  
 في بحر أجاج ، أفواهم ضامرة ، وقلوبهم قريحة ، قد وعظوا حتى ملوا ، وقهروا  
 حتى ذلوا ، وقتلوا حتى قتلوا . فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حُالة القرط<sup>(٢)</sup> ،  
 ١٠ وفراة الحلم ؛ وأنظروا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ،  
 وارفضوها ذميمة ، فقد رفضت من كان أشفق بها منكم .

والبربر بين معاوية بعد موت أبيه :

الحمد لله الذي ما شاء صنع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع ، ومن شاء  
 خفض ومن شاء رفع . إن أمير المؤمنين كان حبيلاً من حبال الله ، مدّه ما شاء  
 ١٥ أن يمدّه ، ثم قطعه حين أراد أن يقطعه ، وكان دون من قبله ، وخيراً ممن  
 يأتي بعده ، ولا أزر كيه عند ربّه ، وقد صار إليه ، فإن يعف عنه فبرحمته ،  
 وإن يعاقبه فبذنبه ، وقد وليت بعده الأمر ، واستأعذر من جهل ، ولا  
 آسى على طلب علم ، وعلى رسلكم<sup>(٣)</sup> ، إذا كره الله شيئاً غيره ، وإذا أحب  
 شيئاً يسره .

وخطبة أيضا لبربر :

الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور

(١) المكعوم من الإيل : الذي يشد لثلا بعض أو بيا كل . شبه به الساكت .

(٢) القرط ( بحركة ) . ورق السلم ، وثمر السنط . وحالته : بقبته .

(٣) على رسلكم ، أى اتشدوا ولا تعجلوا .

- أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، ومن يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أوصطفاه لوحيه . وأختاره لرسالته ، بكتاب فصَّله وفَضَّله ، وأعزَّه وأَكْرَمَه ، ونَصَّره وحَفِظَه ، ضَرَبَ فِيهِ الْأَمْثَالَ ، وحلَّ فِيهِ الْحِلَالَ ، وحرَّم فِيهِ الْحَرَامَ ، وشرَّع فِيهِ الدِّينَ إِعْذَارًا وَإِنْذَارًا ، لئلا يكون للناس على الله حُجَّةٌ بعد الرُّسُلِ ، ٥
- ويكونَ بِلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ . أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله العظيم ، الذي أبتدأ الأمور بعلمه ، وإليه يصير معادها ، وأنقطع مدتها ، وتصرم دارها . ثم إنني أحذركم الدنيا ، فإنها حُلُوةٌ خَصِرَةٌ ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، وراقت بالقليل ، وأبغت بالفاني ، وتحببت بالعاجل ، لا يدوم نعيمها ، ولا يؤمن خبيعتها ، أكالة غوالة ، غرارة ، لا تُثَبِّقُ عَلَى حَالٍ ، ولا يَبْقَى لَهَا حَالٌ ، ولن تعدو الدنيا إذا تناهت إلى ١٠
- أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا ، والرَّضَا بِهَا ، أن تكون كما قال الله عزَّ وجلَّ : ( وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ) ، إلى قوله ( مُقْتَدِرًا ) . نسأل الله ربَّنَا وإلهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فِرْعَ يومئذ آمنين . إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله ، يقول الله : ( وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ( لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ) إلى آخر السورة . ١٥

[خطبة عبد الملك بن مروان:]

- وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته : اللهم إن ذنوبي قد عظمت وجلت عن أن تُحصى ، وهي صغيرة في جنب عَفْوِكَ ، فاعفُ عني .
- وخطب بمكة شرفها الله تعالى ، فقال في خطبته : إني والله ما أنا بالخليفة ٢٠
- المُسْتَضَعْفِ ، يعني عثمان ، ولا بالخليفة المذاهن ، يعني معاوية ، ولا بالخليفة



المأفون ، يعنى يزيد . قال أبو إسحق النظم : أما والله لولا نسبك من هذا المستضعف ، وسببك من هذا المداهن ، لكنت منها أبعد من العتيق<sup>(١)</sup> . والله ما أخذتها بوراة ، ولا سابقة ، ولا قرانة ، ولا بدعوى شورى ، ولا بوصية .

### خطبة الوليد بن عبد الملك :

لما [ مات عبد الملك بن مروان و ] رجع الوليد من دقنه ، لم يدخل منزله حتى دخل المسجد ، ونودي في الناس : الصلاة جامعة . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنه لا مؤخر لما قدم الله ، ولا مقدم لما أخر الله ، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه ، وما كتب على أنبيائه ، وحملته عرشه من الموت ، موت ولى هذه الأمة ، ونحن نرجو أن يصير إلى منازل الأبرار ، للذى كان عليه من الشدة على المريب ، واللين على أهل الفضل والدين ، مع ما أقام من منار الإسلام وأعلامه ، وحج هذا البيت ، وغزو هذه الثغور ، وشن الغارات على أعداء الله ، فلم يكن فيها عاجزاً ، ولا وائياً ، ولا مفترطاً . فعليكم أيها الناس بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، فإن الشيطان مع الفقد ، وهو من الجماعة أبعد . وأعلموا أنه من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه . ثم نزل .

### خطبة سليمان بن عبد الملك :

فقال : الحمد لله ، ألا إن الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، تضحك باكياً ، وتبكي ضاحكاً ، وتُخيف آمناً ، وتؤمن خائفاً ، وتُفقر<sup>(١)</sup> مُثرياً ، وتُثري مُفقرًا ، مَيالة غرارة ، لعابة بأهلها . عباد الله ، فاتخذوا كتاب الله إماماً ، وارتضوا به حكماً ، وأجعلوه لكم قائداً ، فإنه ناسخ لما كان قبله ، ولم ينسخه كتاب

(١) العتيق : نجم أحر مضى في طرف الحجره الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمها .

(٢) في بعض الأصول : « وتقت » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والعيون ( ج ٢

ص ٢٤٧ ) والبيان ( ج ١ ص ١٦٦ ) .

بعده . وأعلموا عباد الله أن هذا القرآن يَجْلُو كَيْدَ الشَّيْطَانِ ، كما يَجْلُو ضَوْءُ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ، ظِلَامَ اللَّيْلِ إِذَا عَسَفَسَ .

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه :

قال العتيبي : أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله : أيها الناس ، أصلحوا سرائركم تَصْلُحْ لَكُمْ عِلَانِيَتُكُمْ ، وَأَصْلِحُوا آخِرَتَكُمْ تَصْلُحْ دُنْيَاكُمْ ؛ وَإِنَّ أَسْرَأَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ أَبٍ حَتَّى كَمُوعِرْقٍ فِي الْمَوْتِ .

وخطبه له رحمه الله :

إِنَّ لِكُلِّ سَفَرٍ زَادًا لَا مَحَالَةَ ، فَتَزَوَّدُوا مِنْ دُنْيَاكُمْ لِآخِرَتِكُمُ التَّقْوَى ، وَكُونُوا كَمَنْ عَانَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنْ تَوَابِهِ وَعِقَابِهِ ، فَتَزَهَّبُوا وَتَرَعَّبُوا ، وَلَا يَطْوَانِ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَقْسُو قُلُوبُكُمْ ، وَتَنْقَادُوا لِعَدُوِّكُمْ ، فَإِنَّهُ [وَاللَّهِ] مَا بُسِطَ أَمَلٌ مَنِ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ لَا يُصْبِحُ بَعْدَ إِمْسَائِهِ ، أَوْ يُمَسِّي بَعْدَ إِصْبَاحِهِ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ بَيْنَ ذَلِكَ خَطَرَاتٌ <sup>(١)</sup> الْمَنَايَا ، وَإِنَّمَا يَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا مَنْ أَمِنَ عَوَاقِبَهَا ، فَإِنَّ مِنْ يَدَاوِي مِنَ الدُّنْيَا كَلَمًا أَصَابَتْ جِرَاحَةً مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى ، فَكَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ، أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَمْرُكُمْ بِمَا أَنْهَى عَنْهُ نَفْسِي فَتَخْشَرَ صَفْقَتِي ، وَتَظْهَرَ عَيْلَتِي ، وَتَبْدُو مَسْكَكَتِي ، فِي يَوْمٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّدَقُ . ثُمَّ بَكَى وَبَكَى النَّاسُ مَعَهُ .

[خطبة لعمر بن عبد العزيز أيضا] :

شبيب بن شيبعة عن أبي عبد الملك قال : كنت من حرس الخلفاء قبل عمر ، فسكننا نقوم لهم ونبدوهم بالسلام . فخرج علينا عمر رضي الله عنه في يوم عيد وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لاطئة ، فمَثَلْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَلَمْنَا

(١) في سيرة عمر لابن الجوزي (ص ١٩٦) : « خطفات » . وانظر أيضا ابن أبي

الحديد (ج ١ ص ٤٧٠) فبين النصوص خلاف .

عليه ، فقال : مه ، أتم جماعة وأنا واحد ، السلام على والرد عليكم ؛ وسلم ،  
فَرَدَدْنَا ، وَقَرَّبْتُ لَهُ دَابَّتَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَمَشَى ، وَمَشِينَا ، حَتَّى صَعِدَ الْمَذْبَرُ ،  
فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ وَصَلَّيْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : وَدِدْتُ أَنْ  
أَغْنِيَاءَ النَّاسِ أَجْتَمَعُوا فَرَدُّوا عَلَى قُرَائِهِمْ ، حَتَّى نَسْتَقْوَى لِنَحْنُ بِهِمْ ، وَأَكُونَ أَنَا  
أَوْ لَهُمْ . ثُمَّ قَالَ : مَالِي وَلِلدُّنْيَا ؟ أَمْ مَالُهَا وَمَالِي ؟ وَتَكَلَّمَ فَأَرْقَ حَتَّى بَكَى النَّاسُ  
جَمِيعًا ، يَمِينًا وَشِمَالًا . ثُمَّ قَطَعَ كَلَامَهُ وَنَزَلَ . فَدَنَا مِنْهُ رَجَاءُ بْنُ حَيَّوَةَ ، فَقَالَ لَهُ :  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَلِمَتَ النَّاسِ بِمَا أَرْقَ قُلُوبَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ ، ثُمَّ قَطَعْتَهُ أَحْوَجَ  
مَا كَانُوا إِلَيْهِ . فَقَالَ : يَارَجَاءُ ، إِنِّي أَكْرَهُ الْمُبَاهَاةَ .

[ خطبة ابن الأَهمم بين يرى عمر بن عبد العزيز ] :

وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَهِمِّ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَعَ الْعَامَّةِ ، فَلَمْ يُفْجَأْ  
إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ بِتَسْكُمٍ ؛ فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ  
اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، وَالنَّاسُ يَوْمئِذٍ  
فِي الْمَنَازِلِ وَالرَّأْيِ مُخْتَلِفُونَ ، وَالْعَرَبُ بَشَرٌ تِلْكَ الْمَنَازِلُ ، أَهْلُ الْوَبَرِ وَأَهْلُ  
الْمَدَرِ ، تُحْتَازُ<sup>(١)</sup> دُونَهُمْ طَبَائِبُ الدُّنْيَا وَرَفَاهَةُ عَيْشِهَا ، مَيِّتُهُمْ فِي النَّارِ ،  
وَحَيُّهُمْ أَعْمَى ، مَعَ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْمَرْغُوبِ عَنْهُ ، الْمَرْهُودِ فِيهِ . فَلَمَّا أَرَادَ  
اللَّهُ أَنْ يَنْشُرَ فِيهِمْ رَحْمَتَهُ ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ، عَزِيزًا عَلَيْهِ مَا عَنِتُّوا  
حَرِيصًا عَلَيْهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ ، فَلَمْ يَمْنَعُهُمْ ذَلِكَ أَنْ جَرَّ حَوْهَ فِي جِسْمِهِ ،  
وَلَتَمَبَّوْهُ فِي أَسْمِهِ ، وَمَعَهُ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ نَاطِقٌ ، لَا يَرَحُلُ إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَا يَنْزِلُ  
إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَأَضْطَرُّوهُ إِلَى بَطْنِ غَارٍ . فَلَمَّا أَمَرَ بِالْعَزِيمَةِ ، أَسْفَرَ لِأَمْرِ اللَّهِ لَوْنُهُ ،  
فَأَبْلَجَ اللَّهُ حُجَّتَهُ ، وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ ، وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ ؛ وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيًّا صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَسَلَكَ سُنَّتَهُ ، وَأَخَذَ سَبِيلَهُ ؛

(١) فِي الْأَصُولِ « تَحْتَار » . وَالتَّصَوُّبُ عَنِ الْبَيَانِ ( ٢ : ٥٩ ) وَسِيرَةُ عُمَرَ لابْنِ  
عَبْدِ الْحَكَمِ ( ص ١٠٩ ) وَسِيرَتُهُ أَيْضًا لابْنِ الْجَوْزِيِّ ( ص ١٣٦ ) .

- فارتدت العرب ، فلم يقبل منهم إلا الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبله ؛  
فانتفضى السيوف من أعمادها ، وأوقد النيران في شعلها ، ثم ركب بأهل الحق  
أهل الباطل ، فلم يبرح يفصل أوصالهم ، ويسقي الأرض دماءهم ، حتى أدخلهم  
في الباب الذي خرجوا منه ، وقرّهم بالأمر الذي نفروا عنه . وقد كان أصاب  
من مال الله بأكرا يرتوى عليه ، وحَبَشِيَّة تُرَضَّع ولدًا له ، فرأى ذلك غصّة ٥  
في خلقه عند موته ، وثقلًا على كاهله ، فأداه إلى الخليفة من بعده ، وبرئ إليهم  
منه ، وفارق الدنيا تقيًا تقيًا على منهاج صاحبه . ثم قام من بعده عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه . فمَصَّر الأمصار ، وخلط الشدة باللين ، وحَسَّر عن ذراعيه ،  
وشَمَّر عن ساقيه ، وأعدَّ للأمور أقرانها ، وللحرب آلتها . فلما أصابه قن<sup>(١)</sup>  
المغيرة بن شعبة أمر ابن عباس أن يسأل الناس : هل يُثبتون قاتله . فلما قيل له : ١٠  
قن المغيرة . استهل<sup>(٢)</sup> بحمد الله أن لا يكون أصابه من له حق في الفء فيستحل  
دمه بما أستحل من حقه . وقد كان أصاب من مال الله بضعة وثمانين ألفًا .  
فكسرها رباعه<sup>(٣)</sup> ، وكره فيها كفالة أهله وولده ، فأدى ذلك إلى الخليفة من  
بعده ، وفارق الدنيا تقيًا تقيًا على منهاج صاحبه . ثم إننا والله ما أجتبعنا بعدها  
إلا على ضلَع أعوج . ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ، ولدتك ملوكها ، وألقتك ١٥  
مَنذِيها ، فلما وليتها أَلَمَّيتُها وأجبت لقاء الله وما عنده ، فالخذُ الله الذي جَلَّ بك  
حَوْبَتنا ، وكشف بك كُرْبَتنا ، أمض ولا تلتفت ، فإنه لا يُغنى عن الحق شيء ،  
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولجميع المؤمنين وللمؤمنات .
- ولما قال : ثم إننا والله ما أجتبعنا بعدها إلا على ضلَع أعوج . سكَّت الناسُ  
كلهم غير هَشَام ، فإنه قال : كَذَبْتَ . ٢٠

(١) كذا في البيان وسيرة عمر . والقتل : العبد . والذي في الأصول : « فقي » .

(٢) استهل : صاح .

(٣) الرباع : الدور ؛ الواحد : ربع . وكسرها ، أى باعها ربعا ربعا .

[وخطبة أيضا لعمر بن عبد العزيز:]

قال أبو الحسن: خطب عمر بن عبد العزيز بخنصرة<sup>(١)</sup> خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثا، ولم تتركوا سدى، وإن لكم معادا يحكم الله بينكم فيه، نخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم جنة عرضها السموات والأرض. وأعلموا أن الأمان غدا لمن يخاف اليوم، وباع قليلا بكثير، وفاتيا بيباق؛ ألا ترون أنكم في أصلاب الهالكين، وسيخلفها من بعدكم الباقون، حتى تردوا إلى خير الوارثين، ثم إنكم في كل يوم تُشيِّمون غاديا ورائحا إلى الله، قد قضى نَحْبَه، وبلغ أجله، ثم تُغيبونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير مؤسِّد ولا مُمَهَّد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحياب، وواجه الحساب، غفيا عما ترك، فقيرا إلى ما قدَّم، وأيم الله، إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم [من الذنوب] أكثر مما عندي، فأستغفر الله لي ولكم، وما تبذلُّنا حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سدَّناها، ولا أحدٌ منكم إلا ودَّدت أن يده مع يدي ولحمي الذين يلونني، حتى يستوى عيشنا وعيشكم، وأيم الله إني لو أردتُ غير هذا من عيش أو غصارة لكان اللسان به ناطقا ذلولا، عالما بأسبابه، ولكنَّه مضى من الله كتابٌ ناطقٌ وسنةٌ عادلة، دلَّ فيهما على طاعته، ونهى عن معصيته؛ ثم بكى، فتلقى دموع عينية بردائه ونزل. فلم يعد بعدها على تلك الأعواد حتى قبضه الله تعالى.

١٧٦  
٢

خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد بن يزيد:

٢٠ بقي بن مخلد قال: حدَّثني خليفة بن خياط قال: حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدَّثني إبراهيم بن إسحاق، أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك لما قتل الوليد بن

(١) خنصرة: بلد بالشام من أعمال حلب.

يزيد قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، اني ما خرجتُ  
أشراً ولا بطراً ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما بي إبطاء نفسي ،  
ولا ترْك كية عملي ، وإني لظُلوم لِنفسي إن لم يَرْحمني ربِّي ، ولكنني خرجتُ غضباً  
لله ودينه ، وداعياً إلى كتابه وسُنَّته نبيه ، حين دَرَسْتُ معالم الهدى ، وأطفيء نور  
أهل التَّقوى ، وظَهر الجَبَّار<sup>(١)</sup> العنيد ، المُستحلُّ الحُرمة ، والراكب البدعة ، والمُغيِّرُ  
السُّنة . فلما رأيتُ ذلك أشفقتُ إذ غَشِيَتْكُمْ ظُلْمة لا تُقْلَع ، على كثير من دُئوبكم ،  
وقَسْوَة من قُلُوبكم ، وأشفقتُ أن يَدْعُو كثيرٌ من الناس إلى ما هو عليه ،  
فِيُجِيبُه من أجابه منكم ، فاستخرتُ الله في أمري ، وسألته أن لا يَكِلَنِي إلى  
نفسي ، وهو ابن عمي في نَسَبٍ ، وكَفِيء في حَسَبٍ ، فأراح الله منه العباد ،  
وطَهَّرَ منه البلاد ، ولَايَةً من الله وعِزِّها ، بلا حَوْلٍ مِنَّا ولا قُوَّة ، ولكن بحول  
الله وقوته ، وولايته وعِزِّته . أيها الناس ، إن لَكُمْ على إن وليتُ أموركم ألا  
أضع لِبِنَةٍ على لِبِنَةٍ ، ولا حَجَرًا على حَجَرٍ ، ولا أَثْقَلَ مَالاً من بلد إلى بلد ،  
حتى أُسَدَّ ثَغْرَه ، وأُقِيمَ مَصَالِحُه ، مما تَحْتَاجُونَ إليه ، وتَقْوُونَ به ، فإن فَضَلَ  
شَيْءٍ رَدَدْتُهُ إلى البلد الذي يليه ، وهو من أحوج البُلدان إليه ، حتى تَسْتَقِيمَ  
المعيشة بين المسلمين وتكونوا فيه سواءً ، ولا أُجْرِمُكم في بَعُوثِكُمْ<sup>(٢)</sup> فَتُفْتَقِتُوا وتُفْتَنَ  
أهاليكم . فإن أردتم بَيْعَتِي على الذي بذلتُ لَكُمْ فَأَنَا لَكُمْ به ، وإن مِلْتُمْ فلا  
بَيْعَة لي عليكم ، وإن رأيتم أحداً أقوى عليها مِنِّي فَأُردنم بَيْعَتَه فَأَنَا أول من  
يُبَايعُه ، ويدخل في طاعته ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

(١) يريد الوليد بن يزيد . ويشير إلى رمية المصحف بالشباب ، وقوله :

٢٠ أتوعد كل جبار عنيد  
فها نذاك جبار عنيد  
( انظر الأغاني ، والفخرى ص ١٢٠ ) .

(٢) جر الجيش : حبسه في أرض العدو ولم يفرقه . وفي بعض الأصول : « ولا أحد  
يعودكم » مكان : « ولا أجركم في بيوتكم » .

خطب بني العباس<sup>(١)</sup>

العُتبي قال : قيل لمسلمة بن هلال القمدي ، خطبنا جعفر بن سليمان الهاشمي خطبة لم يسمع أحسن منها ، وما درينا أوجهه كان أحسن أم كلامه . قال : أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون ، وبلسان النبوة ينطقون .

خطبة [ أبي العباس ] السفاح بالشام :

خطب أبو العباس عبد الله بن محمد علي ، لما قُتل مروان بن محمد ، فقال :  
 ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرًا وأحلّوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها  
 وبئس القرار ، نسكص بكم يأهل الشام آل حرب ، وآل مروان ،  
 يتسكّمون بكم الظلم ، ويتهوّنون بكم مداحض الزّلق ، يطؤون بكم حرم الله  
 وحرم رسوله ، ماذا يقول زعماءكم غدًا ؟ يقولون : ربنا هؤلاء أضلّونا فاتّهم  
 عذابًا ضعفًا من النار . إذا يقول الله عز وجل ( لكل ضعف ولكن لا تعلمون ) .  
 أما أمير المؤمنين ، فقد أثنتف بكم التوبة ، وأغفر لكم الزّلة ، وبسط لكم  
 الإقالة ، وعاد بفضلِهِ على نقصكم ، وبِحِلْمِهِ على جهلكم ، فليفرخ روعكم ،  
 ولتطمئن به داركم ، ولتعظّمكم<sup>(٢)</sup> مصارع أوائلكم ، فتلك بيوتهم خاوية  
 بما ظلّموا .

خطب المنصور :

خطب أبو جعفر المنصور ، وأسمه عبد الله بن محمد بن علي ، لما قتل الأمويين  
 فقال : أحرز لسان رأسه ، انتبه امرؤ لحظه ، نظر أمرؤ في يومه لغده ، فشى  
 القصد ، وقال الفضل ، وجانب الهجر . ثم أخذ بقائم سيفه فقال : أيها الناس ،

(١) في بعض الأصول : « بني هاشم » .

(٢) في بعض الأصول : « واتقطع » .

١٧٧  
٢ إنَّ بكم داء هذا دأؤه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ، فليعتبر عبدي قبل أن يُعتبر به ، فإنما بعد الوعيد الإيقاع<sup>(١)</sup> ، وإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

خطبة المنصور حين هروجه الى الشام :

شَفِشْنِي أَعْرِفْهَا مِنْ أَخْزَمِ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ

- ٥ مهلا مهلا ، روايا الإرجاف ، وكهوف النفاق ، عن الخوض فيما كُفِيتُمْ ، والتَّخَطُّطِ إِلَى مَا حُذِّرْتُمْ . قبل أن تتلف نفوس ، ويقلَّ عدد ، ويدول<sup>(٢)</sup> خنز ، وما أنتم وذاك ، ألم تجدوا ما وعد ربكم من إرث المستضعفين من مشارق الأرض ومغاربها حقاً والجحْد الجحْد<sup>(٣)</sup> . ولكن خب كامن ، وحسد مُكْمَد<sup>(٤)</sup> ، فبعداً للقوم الظالمين .

ونظب أيضا :

- ١٠ قال يعقوب بن السكيت : خطب أبو جعفر المنصور يوم الجمعة ، حمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ، اتقوا الله . فقام إليه رجل فقال : أذكرك من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين . قال أبو جعفر : سمعاً سمعاً لمن فهم عن الله وذكرك به ، وأعوذ بالله أن أذكرك به وأنساه ، فتأخذني العزة بالإنهم ، لقد ضللت إذا ، وما أنا من المهتدين . وأما أنت ، والتفت إلى الرجل ، فقال : والله ما الله أردت ١٥ بها ، ولكن ليقال قام فقال فعوقب فصبر ، وأهون بها لو كانت العقوبة ، وأنا أنذركم أيها الناس أختها ، فإن الموعظة علينا نزلت ، وفيها أنبتت ، ثم رجع إلى موضعه من الخطبة .

(١) في بعض الأصول : « الانقطاع » وما أثبتنا عن سائر الأصول وعيون الأخبار

٢٠ (ج ٢ ص ٢٥٣) ومواسم الأدب (ج ٢ ص ١١٤) .

(٢) في بعض الأصول : « ويدل » .

(٣) والجحد الجحد ، يحذرهم الجحد ، وهو كفران النعم . وفي بعض الأصول :

« والحجر الحجر » (٤) في بعض الأصول : « مكن » .



[خطبة أبضا للمختصين بمكة]:

وخطب بمكة فقال: أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه، وتشديده وتأنيده، وحارسه<sup>(١)</sup> على ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعطيه بإذنه، فقد جعلني الله عليه قفلاً، إذ شاء أن يفتحنى فتحنى لإعطائكم، وقسم أرزاقكم، وإذا شاء أن يُقفاني عليها أقفلني، فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول: (اليوم أكملت لكم دينكم وأنعمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) أن يوفقني للرشد والصواب، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

١٠ وخطبة لسليمان بن علي:

(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين). قضاء مؤبدهم، وقول فضل ما هو بالهزل. الحمد لله الذي صدق عبده، وأنجز وعده، وبعداً للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضاً، والفي إرثاً، والدين هزواً، وجعلوا القرآن عجيناً، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزون، فسكائن ترى من بئر معطلة وقصر مشيد، ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد. أمهلوا حتى نبذوا الكتاب، وأضطهدوا العترة، ونبذوا الشئنة، وأعتدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد، ثم أخذهم، فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا.

خطبة عبد الملك بن صالح [بن علي]:

٢٠ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها، يا أهل الشام، إن الله وصف إخوانكم في الدين، وأشباهكم

(١) في ي: «وخازنه».

في الأجسام، فحذّرهم نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم فقال: (وإذا رأيتمهم تُعْجِبُكُمْ  
أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ. يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ  
عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوّ فَأُحْذَرُهُمْ فَاتْلُوهُمُ اللَّهُ أَلَمْ يُؤْفِكُوا) فَقَاتَلَكُمْ اللَّهُ أَنْتَى  
تُصْرَفُونَ، جُثَّتْ مَائِلَةٌ، وَقُلُوبٌ طَائِرَةٌ، تَشُبُّونَ الْفَتَنَ، وَتَوَلَّوْنَ الدُّبُرَ، إِلَّا عَنِ  
حُرْمِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا دَرِيئَتُكُمْ<sup>(١)</sup>، وَحُرْمَ رَسُولِهِ، فَإِنَّهَا مَغْزَاكُمْ، أَمَا وَحُرْمَةُ النُّبُوَّةِ  
وَالْخِلَافَةِ لَتَنْفِرُنَّ خِيفًا وَثِقَالًا أَوْ لَا وَسَعْنَكُمْ إِرْغَامًا وَنِكَالًا.

وخطب صالح بن علي:

٩٧٨  
٧

يَا أَعْضَادَ النَّفَاقِ، وَعَمَدَ الضَّلَالَةِ، أَغْرَكُمُ لَيْنُ إِسْأَسَى<sup>(٢)</sup>، وَطُولُ إِيْنَاسَى،  
حَتَّى ظَنَ جَاهِلُكُمْ أَنَّ ذَلِكَ لِقَوْلِ حَدٍّ، وَفُتُورِ جِدٍّ، وَخَوَرِ قَنَاءَةٍ، كَذَبَتْ  
الظُّلُونُ. إِنَّهَا الْعِزَّةُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا قَدْ أَسْتَمَرَّتُمْ الْعَافِيَةَ، فَعِنْدِي فَصَالُ<sup>(٣)</sup> ١٠  
وَفِطَامُ، وَسَيْفٌ يَقْدُ الْهَامُ، وَإِنِّي أَقُولُ:

أَغْرَكُمُ أَنْتَى بِأَكْرَمِ شِمَمَةٍ رَفِيقٌ وَأَنْتَى بِالْمَوَاحِشِ أَخْرَقُ  
وَمِثْلِي إِذَا لَمْ يُجْزَ أَحْسَنَ سَعِيهِ تَكَلَّمُ نِعْمَاهُ بِفِيهَا فَتَنْطِقُ  
لَعَمْرِي لَقَدْ فَاحِشَتَنِي فَعَلَبَتَنِي هَتَيْتَا مَرِيئًا أَنْتَ بِالْفُحْشِ أَرْزَقُ

وخطب داود بنهم علي بالمدينة:

١٥

فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، حَتَامٌ يَهْتَفُ بِكُمْ صَرِيحُكُمْ، أَمَا أَنْ لَرَأَيْدَكُمْ أَنْ يَهْتَفُ  
مِنْ نَوْمِهِ، كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، أَغْرَكُمُ الْإِهْمَالُ حَتَّى  
حَسَبْتُمُوهُ الْإِهْمَالُ، هِيَهَاتَ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ وَالسُّوْطُ [فِي] كَفِّي وَالسَّيْفُ مُشَهَّرٌ:  
حَتَّى يُبْدِيَ قَبِيلَةً فَقَبِيلَةً وَيَعَضُّ كُلُّ مُثَقَّفٍ<sup>(٤)</sup> بِالْهَامِ.

(١) الدريئة: الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها.

(٢) الإيساس: صوت الزاعج عند الحلب يسكن به الناقة.

(٣) في بعض الأصول: «استوليت» و«فكأك» مكان «استوليت» و«فصال».

(٤) يريد بالثقف: الرمح.

وَيُقِيمَنَّ رَبَّاتِ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا يَمَسَحْنَ غُرُضَ ذَوَائِبِ الْآيَاتِ

[خطبة داود بن علي بمكة]:

وخطب داود بن علي بمكة: شُكْرًا شُكْرًا ، والله ما خَرَجْنَا لِنُخْفِرَ فِيكُمْ  
ههرا ، ولا لِنَبْنِي فِيكُمْ قَصْرًا ، أَظُنُّ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ لَنْ نَظْفِرَ بِهِ إِذْ مُدَّ لَهُ فِي عِثَانِهِ ،  
حَتَّى عَثَرَ فِي فَضْلِ زِمَامِهِ ، فَالآنَ عَادَ الْأَمْرُ فِي نِصَابِهِ ، وَأُطْلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ  
مَشْرِقِهَا ، وَالآنَ [حيث] تَوَلَّى الْقَوْسَ بَارِيهَا ، وَعَادَتِ النَّبْلُ إِلَى النَّزْعَةِ ،  
وَرَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ ، فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ، أَهْلِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، فَاتَّقُوا  
اللَّهَ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا ، وَلَا تَجْعَلُوا النِّعَمَ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ سَبَبًا إِلَى أَنْ تُبَيِّحَ  
هَلَكَتَكُمْ ، وَتُزِيلَ النِّعَمَ عَنْكُمْ .

١٠ خطبة للمهمدي :

الحمد لله الذي أَرْضَى الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ ، وَرَضَى بِهِ مِنْ خَلْقِهِ ، أَحَدَهُ عَلَى آلَانِهِ ،  
وَأُجِدَّهُ لِبَلَانِهِ ، وَأَسْتَعِينُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، تَوَكَّلْ رَاضٍ بِقَضَائِهِ ، وَصَابِرٍ  
لِبَلَائِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى ،  
وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى ، وَرَسُولُهُ إِلَى خَلْقِهِ ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ ، أَرْسَلَهُ بَعْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ ،  
وَطُمُوسِ الْعِلْمِ ، وَأَقْتَرَابِ مِنَ السَّاعَةِ ، إِلَى أُمَّةٍ جَاهِلِيَّةٍ ، مُخْتَلِفَةِ أُمِّيَّةٍ ، أَهْلِ عَدَاوَةٍ  
وَتَضَاغُنٍ ، وَفُرْقَةٍ وَتَبَايُنٍ ، قَدْ أَسْتَهْوَتْهُمْ شَيَاطِينُهُمْ ، وَغَابَ عَلَيْهِمْ قُرْآنُهُمْ ،  
فَأَسْتَشْعَرُوا الرَّدَى ، وَسَلَسُوا الْعَمَى ، يُبَشِّرُ مَنْ أَطَاعَهُ بِالْجَنَّةِ وَكَرِيمِ ثَوَابِهَا ،  
وَيَنْذِرُ مَنْ عَصَاهُ بِالنَّارِ وَالْأَلِيمِ عِقَابِهَا ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ  
عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَإِنْ اللَّهُ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ، أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ الْاِقْتِصَارَ  
عَلَيْهَا سَلَامَةٌ ، وَالتَّرُكُ لَهَا نَدَامَةٌ ، وَأَحْسَنُكُمْ عَلَى إِجْلَالِ عَظَمَتِهِ ، وَتَوْقِيرِ كِبَرِيَّاتِهِ  
وَقُدْرَتِهِ ، وَالْإِنْتِهَاءُ إِلَى مَا يُقَرَّبُ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيُنَجَّى مِنْ سُخْطِهِ ، وَيُنَالُ بِهِ  
مَا لَدَيْهِ مِنْ كَرِيمِ الثَّوَابِ ، وَجَزِيلِ الْمَأْتِ . فَاجْتَنِبُوا مَا خَوَّفَكُمْ اللَّهُ مِنْ شَدِيدِ

- العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ، يوم تُوقفون بين يدي الجبار ،  
وتعرضون فيه على النار ، يوم لا تكلم نفس إلا بإذنه ، فمنهم شقي وسعيد ،  
يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل أمرئ منهم يومئذ  
شأن يغنيه ، يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها  
شفاعة ولا هم ينصرون ، يوم لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن  
والده شيئا ، إن وعد الله حق ، فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور ،  
فإن الدنيا دار غرور ، وبلاء وشُرور ، وأضحلال وزوال ، وتقلب وانتقال ، قد  
أفنت من كان قبلكم ، وهي عائدة عليكم وعلى من بعدهم ، من ركن إليها  
صرعته ، ومن وثق بها خانتها ، ومن أملاها كذبتها ، ومن رجاها خذلتها ، عزها  
ذل ، وغناها فقر ، والسعيد من تركها ، والشقي فيها من آثرها ، والمعبون فيها  
من باع حظها من دار آخرته بها ، فالله الله عباد الله ، والتوبة مقبولة ، والرحمة  
مبسوطة ، وبادروا بالأعمال الزاكية في هذه الأيام الخالية ، قبل أن يؤخذ  
بالكظم<sup>(١)</sup> ، وتندموا فلا تقولون<sup>(٢)</sup> بالندم ، في يوم حسرة وتأسف ، وكتابة  
وتلف ، يوم ليس كالأيام ، وموقف ضنك المقام . إن أحسن الحديث وأبلغ  
الموعظة كتاب الله ، يقول الله تبارك وتعالى : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له  
وأنصتوا لعلكم ترحمون) . أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن  
الرحيم : (ألهاكم الشكاثر حتى زرتم المقابر) إلى آخر السورة ، أوصيكم عباد الله  
بما أوصاكم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأرضى لكم طاعة الله ،  
وأستغفر الله لي ولكم .

## خطبة هارود الرشيد :

٢٠

الحمد لله نحمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه

(١) الكظم : الحلق أو القم أو مخرج النفس .

(٢) في بعض الأصول « تنالون » .

وَنُؤْمِنُ بِهِ حَقًّا ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ مُفَوَّضِينَ إِلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، بَعَثَهُ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَدُرُوسٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَإِذْ بَارَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالَ مِنَ الْآخِرَةِ ، بِشِيرَا بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ ، وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيِ عَذَابِ أَلِيمٍ ، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ ، فَأَدَّى عَنْ اللَّهِ وَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ ، حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ ، فَعَمِلَ النَّبِيُّ مِنَ اللَّهِ صَلَاةً وَرَحْمَةً وَسَلَامًا . ٥

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ فِي التَّقْوَى تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ ، وَتَضَعِيفَ الْحُسْنَاتِ ، وَفَوْزًا بِالْجَنَّةِ ، وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ . وَأَحْذَرَكُمْ يَوْمًا تَشْخِصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، وَتُبْلَى فِيهِ الْأَسْرَارُ ، يَوْمَ الْبَعْثِ وَيَوْمَ التَّغَابُنِ وَيَوْمَ التَّلَاقِ وَيَوْمَ التَّنَادِ ، يَوْمَ لَا يُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئَةٍ ، وَلَا يُزَادُ فِي حَسَنَةٍ ، يَوْمَ الْآزِفَةِ ، إِذَا الْقُلُوبُ لَدَى الْخَنَاجِرِ كَاطِمِينَ ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ، يَعْلَمُ فِيهِ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، ١٠ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا ، وَلَنْ تُتْرَكُوا سُذًى ، حَصَّنُوا إِيمَانَكُمْ بِالْأَمَانَةِ ، وَدِينَكُمْ بِالْوَرَعِ ، وَصَلَاتَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا زَكَاةَ لَهُ . إِنَّكُمْ سَفَرٌ مُجْتَازُونَ ، وَأَنْتُمْ عَنْ قَرِيبٍ تَنْتَقِلُونَ مِنْ دَارِ فَنَاءٍ إِلَى ١٥ دَارِ بَقَاءٍ ، فَسَارِعُوا إِلَى الْمَغْفِرَةِ بِالتَّوْبَةِ ، وَإِلَى الرَّحْمَةِ بِالتَّقْوَى ، وَإِلَى الْهُدَى بِالْإِنَابَةِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَوْجِبَ رَحْمَتَهُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَمَغْفِرَتَهُ لِلتَّائِبِينَ ، وَهُدَاهِ لِلْمُنِيبِينَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ : (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) ، وَقَالَ : (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) . وَإِيَّاكُمْ وَالْأَمَانِيَّ ، فَقَدْ غَرَّتْ وَأَزْدَتْ وَأَوْبَقَتْ كَثِيرًا ، حَتَّى ٢٠ أَكْذَبْتَهُمْ مَنَايَاهُمْ ، فَتَنَّاوَشُوا<sup>(١)</sup> التَّوْبَةَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ، وَجَمِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ، فَأَخْبَرَكُمْ رَبُّكُمْ عَنِ الْمَثَلَاتِ فِيهِمْ ، وَصَرَّفَ الْآيَاتِ ، وَضَرَبَ

(١) تَنَّاوَشُوا : تَنَاولُوا .

الأمثال ، فرغب بالوعد ، وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائعهم بالقرون الخوالى  
 جيلاً خيلاً ، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم من  
 ١٨٠ بيوتكم ومن بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ولا تحولون دونهم ، فزالت عنهم  
 الدنيا ، وأنقطعت بهم الأسباب ، فأسلمتهم إلى أعمالهم عند المواقف والحساب  
 والعقاب ، ليُجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويُجزى الذين أحسنوا بالحسنى . إن  
 أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله ، يقول الله عز وجل : ( وإذا قرئ  
 القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ) . أعوذ بالله العظيم من الشيطان  
 الرجيم ، إنه هو السميع العليم . بسم الله الرحمن الرحيم ( قل هو الله أحد . الله  
 الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد ) . أمركم بما أمركم الله به ،  
 ١٠ وأنهاكم عما نهاكم الله عنه . وأستغفر الله لى ولكم .

### فطية المأمورة في يوم الجمعة :

الحمد لله مُستخلص الحمد لنفسه ، ومُستوجب على خلقه ، أحمده وأستعينه ،  
 وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد  
 أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله  
 ولو كره المشركون ، أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله وحده ، والعمل لما  
 ١٥ عنده ، والتجنز لوعده ، والخوف لوعيده ، فإنه لا يسلم إلا من أتقاه ورجاه ،  
 وعمل له وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعوا  
 ما يبقى بما يزول عنكم ويفنى ، وترحلوا عن الدنيا ، فقد جدَّ بكم ، وأستعدوا  
 للموت فقد أظلمكم ، وكونوا كقوم صبيح فيهم فانتبهوا ، وعلموا أن الدنيا ليست  
 لهم بدار فاستبدلوا<sup>(١)</sup> ، فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم سُدىً ،  
 ٢٠ وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ؛ وإن غاية تنقصها  
 اللحظة ، وتهدمها الساعة الواحدة ، لجديرة بقصر المدة ؛ وإن غائباً يحذره

(١) في بعض الأصول : « فاستبدلوا » .

الجديدان الليل والنهار، لجدير بمرعة الأوبة، وإن قادمًا يحل بالفوز أو بالشقوة  
للمستحق لأفضل العدة. فأتق عبدُ ربِّه، ونصح نفسه، وقدم توبته، وغلب  
شهوته؛ فإنَّ أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكِّل به، يُزَيِّن له  
المعصية ليركبها، ويُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، حتى تهجم عليه منيته، أغفل ما يكون  
عنها. فيألفا حَسْرَةً على كلِّ ذى غفلة، أن يكون عُمره عليه حُجَّة، أو تؤدِّيه  
منيته<sup>(١)</sup> إلى شِقْوَةٍ. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطره نعمة، ولا تُقصر  
به عن طاعة ربه غفلة، ولا تحل به بعد الموت فزعة، إنَّه سميع الدعاء، بيده  
الخير وهو على كلِّ شيء قدير، فعَّال لما يريد.

### ومخطبة المأمور يوم الأضحى :

قال بعد التكبير والتَّحْمِيد : إنَّ يومكم هذا يوم أبان الله فضله، وأوجب  
تَشْرِيفَه، وعَظَّمَ حُرْمَتَه، ووفَّق له من خلقه صَفْوَتَه، وأبَتلى<sup>(٢)</sup> فيه خَلِيلَه. وفَدَّى  
فيه بالذَّبح العظيم نَبِيَّه، وجعله خاتَم الأيام المعلومات من العَشْرِ، ومُتَمِّد الأيام  
المعدودات من النَّفَر<sup>(٣)</sup>، يوم حَرَام، من أيام عِظَام، في شهر حَرَام، يوم الْحَجِّ  
الأَكْبَر، يوم دعا الله فيه إلى مَشْهَدِه، ونزل القرآن العظيم بِتَعْظِيمِه، قال  
الله عزَّ وجلَّ : ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تَوَكُّلْ رَجُلًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ  
مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ )، فتقرَّبوا إلى الله في هذا اليوم بذبائحكم، وعظَّموا شعائر  
الله، وأجعلوها من طَيِّب أموالكم، وبصحة<sup>(٤)</sup> التَّقْوَى من قلوبكم، فإنه يقول :  
( لَنْ يَنَالَ اللهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ) . ثم التَّكْبِير  
والتَّحْمِيد . والصلاة على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والوصية بالتَّقْوَى . ثم ذكر  
الموت، ثم قال : وما من بعده إلا الجَنَّةُ أو النار، عَظَّمَ قَدْرَ الدارين، وارتفع

(١) في عيون الأخبار : ( ج ٢ ص ٢٥٣ ) : « أيامه » .

(٢) في بعض الأصول : « وابتنى » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وعيون الأخبار

( ج ٢ ص ٢٥٤ ) . (٣) يوم النفر : يوم ينفر الناس من منى .

(٤) في بعض الأصول : « ولتصبح » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والعيون ،

( ج ٢ ص ٢٥٤ ) .

جزاء العملين ، وطالت مدة الفريقتين . الله الله ، فوالله إنه الجسد لا اللعب ،  
والحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبعث والميزان والحساب والصراط  
والقصاص والثواب والعقاب . فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد  
خاب ، الخير كله في الجنة ، والشر كله في النار .

١٨١  
٧

### وخطبة للمحأموره في الفطر :

قال بعد التكبير والتحميد : أ لا وإنَّ يومكم هذا يوم عيد وسنة ، وأبتهال  
ورغبة ، يوم ختم الله به صيام شهر رمضان ، وأفتتح به حج بيته الحرام ، فجعله  
أول أيام شهور الحج ، وجعله مُعَقِّباً لمفروض صيامكم ، ومُتَنَفِّلاً<sup>(١)</sup> قيامكم ،  
أحلَّ الله لكم فيه الطعام ، وحرَّم عليكم فيه الصيام ، فاطلبوا إلى الله حوائجكم ،  
وأستغفروه لتفريطكم ، فإنه يُقال : لا كثير مع ندَمٍ وأستغفار ، ولا قليل مع  
تَمَادٍ وإصرار . ثم كبرَ وحَمِدَ ، وذكرَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وأوصى بالبرِّ  
والتَّقوى ، ثم قال : اتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأمر الذي أعتدل فيه يقينكم<sup>(٢)</sup> ،  
ولم يحضر الشك فيه أحداً منكم ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لا تستقال  
بعده عثرة ، ولا تحظر قبله توبة ، وأعلموا أنه لا شيء [ قبله إلا دونه ، ولا شيء ]  
بعده إلا فوقه ، ولا يُعين على جزّعه وعَلَزَه<sup>(٣)</sup> وكُرْبَه ، وحلى التبر وظلمته ،  
وضيقه ووحشته ، وهولِ مطلعه ، ومسألة ملكيّه ، إلا العمل الصالح الذي أمر الله  
به ؛ فمن زالت عند الموت قدمه ، فقد ظهرت ندامته ، وفاتته استقامته<sup>(٤)</sup> ، ودعا  
من الرجعة إلى ما لا يُجَاب إليه ، وبذل من الفدية ما لا يُقْبَل منه . فالله الله  
عباد الله ، كونوا قوماً سألوا الرجعة فأعطوها إذ منعها الذين طلبوها ، فإنه ليس

(١) كذا في بعض الأصول : والعيون . والذي في سائر الأصول : « متقبل » . ٣٠

(٢) في بعض الأصول : « عدل فيه نبيكم » .

(٣) كذا في بعض الأصول والعيون . والعلز : ما يصيب المريض عند حشرجة الموت  
من رعدة واضطراب . والذي في سائر الأصول : « وعكره » .

(٤) في بعض الأصول : « استقامته »



يَتَعَنَّى الْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْأَجَلَ الْمَبْسُوطَ لَكُمْ ؛ فَأَحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ ،  
وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ ؛ لَوْضَعُ موازِينِكُمْ ، ونَشْرُ صُحُفِكُمْ ، الحَافِظَةُ  
لأَعْمَالِكُمْ . فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَتَّقِلُ بِهِ ، وَمَا يُمَلِّ فِي صَحِيفَتِهِ الْحَافِظَةُ  
لِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ ؛ أَلَا فَقَدْ حَكِيَ اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمُفْرَطُونَ عِنْدَهَا ، إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ  
عَنْهَا ، قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : ( وَوَضَعَ الْكِتَابُ فِتْرَتِي الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ٥  
وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا  
وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ) . وَقَالَ : ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ  
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا . وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ  
أُتِينَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ) . وَلَسْتُ أَنُهَاكُمُ عَنِ الدُّنْيَا بَأَكْثَرِ مَا نَهَيْتُكُمْ بِهِ  
الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَإِنَّ كُلَّ مَا بِهَا يُحَذَّرُ مِنْهَا ، وَيُنْهَى عَنْهَا ، وَكُلُّ مَا فِيهَا ١٠  
يَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا ، وَأَعْظَمُ مِمَّا رَأَيْتُهُ أَعْيُنَكُمْ مِنْ فُجَاعِهَا وَزَوَالِهَا ذِمُّ كِتَابِ اللَّهِ لَهَا  
وَالنَّهْيُ عَنْهَا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ( فَلَا تَعْرُثْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرُثَكُمْ  
بِاللَّهِ الْغُرُورُ ) . وَقَالَ : ( أَعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ  
بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) ، فَانْتَفِعُوا بِمَعْرِفَتِكُمْ بِهَا . وَبِإِخْبَارِ اللَّهِ  
عَنْهَا . وَأَعْلَمُوا أَنَّ قَوْمًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَدْرَكَتْهُمْ عِصْمَةُ اللَّهِ فَحَذَرُوا مَصَارِعَهَا ، ١٥  
وَجَانِبُوا خَدَائِعَهَا ، وَآثَرُوا طَاعَةَ اللَّهِ فِيهَا ، وَأَدْرَكُوا الْجَنَّةَ بِمَا يَتَرَكُونَ مِنْهَا <sup>(١)</sup> .

<sup>(٢)</sup> **خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية :**

قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ بَفَتْحِ إِفْرِيقِيَّةٍ ، فَأَخْبَرَهُ مُشَافَهَةً ،

(١) فِي ي بَعْدَ قَوْلِهَا « مِنْهَا » : « تَمَّ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ كِتَابِ الْوَاسِطَةِ فِي الْخُطْبِ بِحَمْدِ اللَّهِ  
وَعَوْنِهِ وَحَسَنُ تَوْفِيقِهِ . وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ . يَتْلُوهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْهُ خُطْبَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ  
حِينَ قَدِمَ بَفَتْحِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَتَبَامَهُ يَمَّ كِتَابِ الْوَاسِطَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

(٢) قَبْلَ هَذَا الْعَنْوَانِ فِي ي : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ  
وَأَلِهِ وَسَلَّمَ » .

وقصّ عليه كيف كانت الواقعة . فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : يا بُنَيَّ ،  
أتقوم بمثل هذا الكلام في الناس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أهيب لك  
متى لم . فقام عثمان في الناس خطيباً حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ،  
إن الله قد فُتِحَ عليكم إفریقیة ، وهذا عبدُ الله بن الزبير يُخبركم خبرها إن شاء الله .  
وكان عبدُ الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيباً ، وكان أول من خطب  
إلى جانب المنبر ، فقال : الحمد لله الذي أَلَفَ بين قلوبنا ، وجعلنا مُتَحَابِّين بعد  
الْبَغْضَةِ ، الذي لَا تُجْعِدُ نَعْمَاؤُهُ ، وَلَا يَزُولُ مُلْكُهُ ، لَهُ الْحَمْدُ كَمَا حَمَدَ نَفْسَهُ ، وَكَأ  
هُوَ أَهْلُهُ ، أُنْتِخِبَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْتَارَهُ بَعْلَاهُ ، وَأَتَمَمَنَّهُ عَلَى وَحْيِهِ ،  
وَأَخْتَارَ لَهُ مِنَ النَّاسِ أَعْوَانًا ، قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ تَصَدِيقَهُ وَحِبَّتَهُ ، فَأَمَّنُوا بِهِ  
وَعَزَّزُوهُ وَوَقَّروهُ ، وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، فَأُسْتُشْهِدَ اللَّهُ مِنْهُمْ مَن أُسْتُشْهِدَ ،  
عَلَى الْمِنَاهِجِ الْوَاضِحِ ، وَالتَّبَعِ الرَّابِحِ ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ ، لَا تَأْخُذْهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ  
لَا تُؤْم . أيها الناس : رَحِمَكُمُ اللَّهُ ؛ إِنَّا خَرَجْنَا لِلْوَجْهِ الَّذِي عَلَّمْتُمْ ، فَسَكُنَّا مَعَ وَالٍ  
حَافِظٍ ، حَفِظَ وَصِيَّةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ يَسِيرُ بِنَا الْأَبْرَدِينَ <sup>(١)</sup> ، وَيَخْفِضُ <sup>(٢)</sup> بِنَا فِي  
الظَّهَائِرِ ، وَيَتَخَذُ اللَّيْلَ جَمَلًا ، يُعَجِّلُ الرَّحْلَةَ مِنَ الْمَنْزِلِ الْجَدْبِ ، وَيُطِيلُ اللَّبَثَ  
فِي الْمَنْزِلِ الْخِصْبِ ، فَلَمْ نَزَلْ عَلَى أَحْسَنِ حَالَةٍ نَعْرِفُهَا مِنْ رَبَّنَا <sup>(٣)</sup> ، حَتَّى أَنْتَهَيْنَا إِلَى  
إِفْرِيقِيَّةٍ ، فَنَزَلْنَا مِنْهَا بِحَيْثُ يَسْمَعُونَ صَهِيلَ الْخَيْلِ ، وَرُغَاءَ الْإِبِلِ ، وَقَعْقَعَةَ السِّلَاحِ .  
فَأَقْنَأْنَا أَيَّامًا نُجِمْ كُرَاعِنَا <sup>(٤)</sup> ، وَنُصْلِحَ سِلَاحَنَا ، ثُمَّ دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْدُخُولِ  
فِيهِ ، فَأَبْعَدُوا مِنْهُ ؛ فَسَأَلْنَاهُمُ الْجِزْيَةَ عَنْ صَغَارٍ ، أَوْ الصَّلَاحَ ، فَكَانَتْ هَذِهِ أَعْبَدَ ،  
فَأَقْنَأْنَا عَلَيْهِمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً نَتَأَنَّنَاهُمْ ، وَتَخْتَلِفُ رُسُلُنَا إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا بَيَّئَسَ مِنْهُمْ ،  
قَامَ خَطِيبًا فَحَمَدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ فَضْلَ الْجِهَادِ ، وَمَا لَصَاحِبِهِ إِذَا صَبَرَ  
وَأَحْسَبَ . ثُمَّ نَهَضْنَا إِلَى عَدُوِّنَا وَقَاتَلْنَاهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ ، يَوْمَنَا ذَلِكَ ، وَصَبَرَ فِيهِ

(١) الْأَبْرَدَانِ : الْغَدَاةُ وَالْعَمَى . (٢) خَفَضَ بِالْمَكَانِ : أَقَامَ .

(٣) مِنْ رَبَّنَا ، أَيْ مِمَّا قَدْ عَوَدْنَا اللَّهَ .

(٤) السِّكْرَاعُ : جَمَاعَةُ الْخَيْلِ . وَأَجْمَ الْفَرَسُ : تَرَكَ رُكُوبَهُ نَعْفًا مِنْ تَعْبِهِ وَذَهَبَ لِعِيَاؤِهِ .

الفریقان ، فكانت بیننا وبينهم قَتْلَى كثيرة ، وأستشهد الله فيهم رجال من المسلمين ؛ فَمِتْنَا وَاَتُوا ، ولِلْمُسْلِمِينَ دَرَى بِالْقُرْآنِ كدوى النحل ، وبات المشركون في سُخُورِهِمْ وَمَلَأَ عِيَهُمْ ، فلما أَصْبَحْنَا أَخَذْنَا مَصَافِنَا الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ بِالْأَمْسِ ، فَرَدَفَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، فَأَفْرَغَ اللَّهُ عَلَيْنَا صَبْرَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا نَصْرَهُ ؛ ففَتَحْنَاهَا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ ، فَأَصْبَحْنَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً ، وَفِيهَا وَاسِعًا ، بَلَغَ فِيهِ الْخُمْسُ خَمْسِمِائَةَ أَلْفٍ ، فَصَفَّقَ<sup>(١)</sup> عَلَيْهَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، فَتَرَكْتُ الْمُسْلِمِينَ قَدْ قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ وَأَغْنَاهُم النَّفْلُ ، وَأَنَا رَسُولُهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبَشَرَهُ وَإِيَّاكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ مِنَ الْبِلَادِ ، وَأَذَلَّ مِنَ الشُّرْكِ . فَأَحْمَدُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى آلَانِهِ ، وَمَا أَحْلَلَ بِأَعْدَائِهِ ، مِنْ بَأْسِهِ الَّذِي لَا يَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ، ثُمَّ سَكَتَ . فَهَضَّ إِلَيْهِ أَبُوهُ الرَّبِيعُ فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : ذَرِيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، يَا بُنَيَّ : مَا زِلْتَ تَنْطَلِقُ بِلِسَانِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى صَمَمْتَ .

خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل مصعب<sup>(٢)</sup> :

صَعِدَ الْمَنْبَرَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ سَكَتَ ، لِيُجْعَلَ لَوْنُهُ يَحْمَرُّ مَرَّةً وَيَصْفَرُّ مَرَّةً ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لَرَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ : مَا لَهُ لَا يَتَكَلَّمُ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لِلْيَبِيبِ الْخُطْبَاءُ . قَالَ : لَعَلَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَذْكُرَ مَقْتَلَ سَيِّدِ الْعَرَبِ فَيَشْتَدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَغَيْرَ مَا لَوْ . ثُمَّ تَكَلَّمَ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ وَالْأَمْرَ ، وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، يُؤْتِي الْمَلَائِكَةَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمَلَائِكَةَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُعْزِزُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ . أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ لَمْ يُعْزِزْ اللَّهَ مَنْ كَانَ الْبَاطِلُ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُ الْأَنْامُ طُرًّا ، وَلَمْ يُذِلَّ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ فَرْدًا . أَلَا وَإِنْ خَبَرًا مِنَ الْعِرَاقِ أَتَانَا فَأَحْزَنَنَا وَأَفْرَحَنَا ؛ فَأَمَّا الَّذِي أَحْزَنَنَا ، فَإِنْ لَفِرَاقِ السَّحِيمِ لَوْعَةٍ يَجِدُهَا حَمِيمُهُ ، ثُمَّ يَرْعَوِي ذَوُو الْأَلْبَابِ إِلَى الصَّبْرِ وَكَرِيمِ الْعَزَاءِ ؛ وَأَمَّا الَّذِي أَفْرَحَنَا ، فَإِنْ قَتَلَ مُصْعَبٌ ، لَهُ

(١) صفق الباب : أغلقه . يريد أن مروان بن الحكم حفظها في خزائنه وأغلق عليها .

(٢) قتله عبد الملك بن مروان سنة ١٧ هـ .

شهادة، ولنا ذخيرة، أسلمه النعمان المصلم<sup>(١)</sup> الآذان. ألا وإن أهل العراق باعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه، فإن يُقتل فقد قُتل أخوه وأبوه وابن عمه<sup>(٢)</sup>، وكانوا الخيار الصالحين. إنا والله لأموت حَتَفًا ولكن قَعصا<sup>(٣)</sup> بالرَّماح، وموتنا تحت ظلال الشيوف، ليس كما يموت بنو مروان، ألا إنما الدنيا عارية من المليك الأعلى الذي لا يبيد ذكركه، ولا يذل سلطانَه، فإن تُقَمِّل الدنيا على، لم آخذها أخذ الأشر البطر؛ وإن تُدبر عني، لم أبك عليها بكاء الخرق المهين، ثم نزل.

خطبة زباد البتراء :

قال أبو الحسن المدائني عن مسleme بن محارب عن أبي بكر الهذلي قال :  
 قدِمَ زيادُ البَصْرَةَ واليَا لَمَعَاوِيَةَ بنَ أَنِي سُفْيَانَ ، و[ضم] إليه خراسان ١٠  
 وسجستان ، والفِسْقُ بالبَصْرَةِ ظاهرٌ فاش ، فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها . وقال غيره بل قال : الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه ، اللهم كما زِدْتَنَا نِعْمًا فَأَلْهَمْنَا شُكْرًا ، أَمَا بعد : فإن الجهالة الجُهلاء ، والضلالة العمياء ، والعمى<sup>(٤)</sup> الموفى بأهله على النار ، ما فيه سُنْهاؤكم ، ويشتمل عليه حُلْمَاؤكم ، من الأمور العظام ؛ يَنْبُتُ فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها ١٥  
 الكبير . كأنكم لم تَقْرَءُوا كتابَ الله ، ولم تَسْمَعُوا ما أَعَدَّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب العظيم لأهل مَعْصِيَتِهِ ، في الزَّمنِ السَّرمدي الذي لا يزول ؟ أن تكونون كمن طَرَفَتْ عَيْنَيْهِ<sup>(٥)</sup> الدنيا ، وسدَّتْ مَسَامِعَهُ الشهوات ، وأختار الفانية على الباقية ، ولا تَذْكُرُونَ أنكم أَّحْدَثْتُمْ في الإسلام

٢٠ (١) المصلم : المقتوع .

(٢) يشير إلى مقتل أخيه المنذر بمكة سنة ١٤ عند غزو يزيد لها ، وإلى مقتل أبيه الزبير

بواذي السباع بيد عمرو بن جرموز ، وإلى مقتل ابن عمه عبد الله بن عبد الرحمن بن

العوام يوم الدار . (٣) مات قعصا ، إذا أصابته ضربة أورمية فأت مكانه .

(٤) في ي والبيان والتبيين ( ج ٢ ص ٢٩ ) : « والغى » .

٢٥ (٥) طرفت عينه الدنيا ، أي طمعت بصره إليها وإلى زخرفها وشغفاته عن الأخرى .

أحدث الذي لم تسبقوا إليه ، من ترككم هذه المواخير المنصوبة ، والضعيفة<sup>(١)</sup> المسلوكة ، في النهار المبصر ، والعدد غير قليل . ألم يكن منكم نهاية تمنع الفؤاد عن دلج<sup>(٢)</sup> الليل وغارة النهار ! قربتم القرابة ، وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وتعضون على المختلس<sup>(٣)</sup> . كل أمرئ منكم يذُب عن سفيهه ، صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا . ما أتمم بالحلواء ، ولقد أتبعتم الشفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم ، حتى أتتهكموا حرم الإسلام ، ثم أظرقوا وراءكم<sup>(٤)</sup> ، كنوسا في مكانس الرئيب<sup>(٥)</sup> . حرام على الطعام والشراب حتى أَسْوِيها بالأرض هذما وإحراقا . إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله : لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ؛ وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولى ، والمقيم بالطاعن ، والمقبل بالمُدبر ، والصحيح بالسقيم ، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول : أنج سَعْد فقد هلك سُميد ، أو تستقيم لي قناتكم . إن كذبة الأمير<sup>(٦)</sup> بقاء<sup>(٧)</sup> مشهورة ، فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي . من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه ، فأبى ودلج الليل ، فأني لا أوتى بمُدلج إلا سفكت دمه ، وقد أجتلم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر

١٥ الكوفة ويرجع إليكم ، وإيتى ودغوى الجاهلية ، فأني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه ، وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عُموبة ، فمن غرق قوما غرقناه ، ومن أحرق قوما أحرقناه ، ومن نقب بيتنا نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا ، فكفوا عنى ألسنتكم وأيديكم

(١) كذا في ي والبيان . وفي بعض الأصول : « الصفة » . وفي سائرهما : « الغر المسكونة » .

(٢) الدلج (حركة) : السير من أول الليل .

(٣) في بعض الأصول : « ويقضون على المجلس » . والتصويب عن سائر الأصول والبيان .

(٤) أظرقوا وراءكم : اقتدوا بكم .

(٥) المكانس : جمع مكنس ، مفعول من الكناس . وهو الموضع يؤوى إليه ويختبأ فيه .

(٦) في البيان : « المنبر » .

(٧) في الأصول : « تلقى » . وما أثبتناه عن البيان .

أَكْفَ عَنْكُمْ بَدَى وَلِسَانِي ، وَلَا يَظْهَرُنْ مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ رِيْبَةٌ بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ  
عَامَّتُكُمْ إِلَّا ضَرَبْتُ عَنْقَهُ ، وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِ إِحْنٍ ، فَجَعَلْتُ ذَلِكَ دَبْرًا ذَنْبِي  
وَتَحْتَ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ  
عَنْ إِسَاءَتِهِ ، إِنِّي لَوَعَلْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَ الشَّلَّ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ  
لَهُ قَنَاعًا ، وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنْظُرْهُ <sup>(١)</sup> . ٥  
فَأَسْتَأْنِفُوا أُمُورَكُمْ ، وَأَسْتَعِينُوا <sup>(٢)</sup> عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَرَبُّ مُبْتَلِسٍ بِقُدُومِنَا سَيُسِرُّ ،  
وَمَسْرُورٍ بِقُدُومِنَا سَيَبْتَلِسُ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً ، وَعَنْكُمْ ذَادَةٌ ،  
نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا ، وَنَذُودُ عَنْكُمْ بِنِي . اللَّهُ الَّذِي خَوَّلَنَا ؛ فَلَنَّا  
عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحْبَبْنَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وَابَيْنَا ، فَأَسْتَوْجِبُوا  
عَدْلَنَا وَفَيْتُنَا بِمُنَاصَحَتِكُمْ لَنَا . وَأَعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا أَقْصَرْتُ فَلَنْ أَقْصَرَ عَنْ ثَلَاثٍ : ١٠  
لَسْتُ مُخْتَجِبًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ وَلَوْ أَتَانِي طَارِقًا بَلِيلٌ ، وَلَا حَاجِبًا عَطَاءً وَلَا رِزْقًا  
عَنْ إِبَانَةِ ، وَلَا مُجَبَّرًا <sup>(٣)</sup> لَكُمْ بَعَثْنَا . فَادْعُوا اللَّهَ بِالصَّلَاحِ لِأَعْمَتِكُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ سَاسَتُكُمْ  
الْمُؤَدَّبُونَ ، وَكَفَفُكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ ، وَمَتَى يَصْلَحُوا تَصْلَحُوا . وَلَا تُشْرَبُوا  
قُلُوبَكُمْ بِغَضَبِهِمْ فَيَنْشَدُوا لَدَاكُمْ أَسْفَكُمْ ، وَيَطُولُ لَهُ حَزَنُكُمْ <sup>(٤)</sup> ، وَلَا تُذَرَّ كَوَالُهُ حَاجَتَكُمْ ،  
مَعَ أَنَّهُ لَوْ اسْتَجَبَ لَكُمْ فِيهِمْ لَكَانَ شَرًّا لَكُمْ ؛ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَيِّنَ كُلًّا عَلَى كُلِّ . ١٥  
وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَنْقَدْتُ فِيكُمْ أَمْرًا فَأَنْفِذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ <sup>(٥)</sup> . وَأَيُّمُ اللَّهُ إِنْ لِي فِيكُمْ  
لَصَرْعَى كَثِيرَةٌ ، فَلْيَحْذَرْ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرْعَايَ ، ثُمَّ نَزَلَ .  
فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَثَمِ <sup>(٦)</sup> ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَقَدْ أُوتِيتَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ : « أَنْظُرْهُ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ : « وَأَعِينُوا » .

٢٠

(٣) كَذَا فِي ي . وَتَجْمِيرُ الْبَعْثِ : جَعَلَهُمْ فِي الثُّغُورِ وَحَبَسَهُمْ عَنِ الْعُودِ إِلَى أَهْلِيهِمْ ، وَمِنْهُ  
حَدِيثُ الْهَرَمْزَانِ : إِنْ كَسَرِي جَزَ بَعُوثُ فَارِسَ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ :  
« وَلَا مَخْدَأٌ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) كَذَا فِي ي وَالْبَيَانِ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « حَرِيكٌ » .

(٥) عَلَى أَذْلَالِهِ ، أَيُّ عَلَى وَجْهِهِ وَطَرَقَهُ . وَأَذْلَالُ جَمْعُ ذَلٍّ (بِالْكَسْرِ) ، وَذَلِكَ الطَّرِيقُ : ٢٥

مَا مَهَّدَ مِنْهُ وَذَلِكَ . (٦) فِي الْأُمَالِ (ج ٣ ص ١٨٥) : « صَفْوَانُ بْنُ الْأَثَمِ » .

الحكمة وفصل الخطاب . فقال له كذبت ، ذاك داودُ صَلَّى الله عليه وسلم . فقام  
الأحفف بن قيس ، فقال : إنما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد القطاء ، وإنّا لن  
نُذنى حتى نَبْتلى . قال له زياد : صدقت . فقام أبو بلال ، وهو يَهُمْس ، ويقول :  
أنبأنا الله تعالى بخلاف ما قلت ، قال الله تعالى : ( وإبراهيمَ الذى وفى . أَلَا تَرَى  
وازره وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ) . [ وأنت تزعم أنك تأخذ  
الصحيح بالسقيم ، والمطيع بالعاصي ، والمقبل بالمدر ] . فسَمِعَهَا زياد ، فقال : إنا  
لا نبلغ ما نريد فيك وفى أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوفا .

وهذه لزياد :

أستوصوا بثلاث منكم خيراً : الشريف والعالم والشيخ ، فوالله لا يأتيني شيخٌ  
يحدثُ استخفَّ به إلا أوجمته ، ولا يأتيني عالمٌ بجاهل استخفَّ به إلا نكلتُ  
به ، ولا يأتيني شريفٌ بوضيع استخفَّ به إلا ضربته .

وهذه لزياد :

خطب زياد على المنبر فقال : أيها الناس ، لا يمنعكم سوء ما تفعلون عنا  
أن تنفعوا بأحسن ما تستمعون منا ، فإن الشاعر يقول :  
أعمل بقولى وإن قصرتُ فى عملى      ينفعك قولى ولا يضرُّك تقصيرى .

وهذه لزياد :

العتبي قال : لما شهدتُ الشهود لزياد ، قام فى أعقابهم فحمد الله وأثنى  
عليه ، ثم قال : هذا أمر لم أشهد أوله ، ولا علم لى بآخره ، وقد قال أمير المؤمنين  
ما بلغكم ، وشهدتُ الشهود بما سمعتم . فالحمد لله الذى رفع منا ما وضع الناس ،  
وحفظ منا ما ضيعوا . فأما عبيد ، فإنما هو والد<sup>(١)</sup> مبرور ، أو كافل<sup>(٢)</sup> مشكور .

(١) فى الأصول : « عبيد الله فانما هو ولد » . والصواب ما أثبتنا . فقد ولد زياد على  
فراش عبيد ، مولى ثقيف ، فكان يقال له زياد بن عبيد ، ثم استلحقه معاوية .  
(٢) كذا فى بعض الأصول والأمالى ( ج ٣ ص ١٨٥ ) . والذى فى سائر الأصول :  
« ربيب » .

## فطبة لجامع المحاربي :

— وكان شيخاً صالحاً خطيباً اسماً<sup>(١)</sup>، وهو الذي قال للحجاج حين بنى مدينة واسط : بَنَيْتَهَا فِي غَيْرِ بَلَدِكَ ، وَأَوْرَثْتُهَا غَيْرَ وَلَدِكَ —

شَكَاَ الْحَجَّاجُ سُوءَ طَاعَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَنَقِمَ<sup>(٢)</sup> مَذْهَبَهُمْ ، وَتَسَخَّطَ طَرِيقَتَهُمْ ، فَقَالَ جَامِعٌ : أَمَّا إِنْهُمْ لَوْ أَحْبَبُّوكَ لِأَطَاعُوكَ ، عَلَى أَنْهُمْ مَا شَتَّوْكَ لِنَسَبِكَ ، وَلَا لِبَلَدِكَ ، وَلَا لِنَاثَاتِ نَفْسِكَ ؛ فَدَعِ عَنْكَ مَا يُبْعِدُكَ عَنْكَ إِلَى مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْكَ ، وَأَلْتَمِسِ الْعَافِيَةَ مِنْ دُونِكَ تُعْطَاهَا مِنْ قَوْلِكَ ، وَلَيْكُنْ إِيْقَاعُكَ بَعْدَ وَعِيدِكَ ، وَوَعِيدُكَ بَعْدَ وَعْدِكَ . قَالَ الْحَجَّاجُ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ أُرَدَّ بَنَى اللَّسْكِيمَةِ إِلَى طَاعَتِي إِلَّا بِالسَّيْفِ . قَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنْ السَّيْفُ إِذَا لَاقَى السَّيْفَ ذَهَبَ الْخِيَارُ . قَالَ الْحَجَّاجُ : الْخِيَارُ يَوْمُئِذٍ لِلَّهِ . قَالَ : أَجَلْ ، وَلَكِنْ لَا تَذْهَبُ لِمَنْ يَجْعَلُهُ اللَّهُ . وَغَضِبَ الْحَجَّاجُ فَقَالَ : يَا هُنَا<sup>(٣)</sup> ! إِنَّكَ مِنْ مُحَارِبٍ . فَقَالَ جَامِعٌ : وَلِلْحَرْبِ سُمِّيْنَا وَكُنَّا مُحَارِبًا إِذَا مَا الْقَنَا أَمْسَى مِنَ الطَّعْنِ أَحْمَرًا

— وَالْبَيْتُ لِلْخُضَرِيِّ<sup>(٤)</sup> — قَالَ الْحَجَّاجُ : وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقْطَعَ لِسَانَكَ فَأَضْرِبَ بِهِ وَجْهَكَ . قَالَ جَامِعٌ : إِنْ صَدَقْنَاكَ أَغْضَبْنَاكَ ، وَإِنْ غَشَشْنَاكَ أَغْضَبْنَا اللَّهَ ، فَغَضَبُ الْأَمِيرِ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ . قَالَ : أَجَلْ . وَشَغَلَ الْحَجَّاجُ بِيَعِضِ الْأَمْرِ ، فَانْسَلَّ جَامِعٌ ، فَرَبَعَ بَيْنَ صُفُوفِ خَيْلِ الشَّامِ حَتَّى جَاوَزَهُمْ إِلَى خَيْلِ أَهْلِ الْعِرَاقِ — وَكَانَ الْحَجَّاجُ لَا يَخْلُطُهُمْ — فَأَبْصَرَ كَبْشَكَةً فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ بَكْرِ الْعِرَاقِ وَقَيْدِسِ الْعِرَاقِ وَتَمِيمِ الْعِرَاقِ وَأَزْدِ الْعِرَاقِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَشْرَأُتُوا إِلَيْهِ وَبَلَغَهُمْ

(١) كذا في البيان (ج ٢ ص ٦٨) . والذي في الأصول هنا وفيما مر من الجزء الثاني

من هذه الطبعة (ص ١٧٩) : « لبيا » .

(٢) كذا في بعض الأصول . ونقم : كره . والذي في سائر الأصول : « سقم » . والذي في البيان : « تنقم » .

(٣) هن : كلمة يكتن بها عن اسم الإنسان ، وقد تزايد الألف والهاء في آخرها عند النداء خاصة ، وتصير هذه الهاء تاء في الوصل .

(٤) في الأصول : « الحدرى » . والتصويب عن البيان .



خُرُوجُهُ ، فقالوا له : ما عندك ؟ دافع الله لنا عن نفسك . فقال : ويحكم أعموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة ، ودَعُوا التَّمَادِي <sup>(١)</sup> ما عاداكم ، فإذا ظَفَرْتُمْ تَرَأِجْتُمْ وتعاديتُمْ . أيها التَّمِيصِيُّ ، هو أَعْدَى لك من الأزدِي ، وأيها القَيْسِيُّ ، هو أَعْدَى لك من التَّغْلَبِيِّ ، وليس يظفر بمن فَاوَّاهَ منكم إِلَّا بَيْنَ بَقِيٍّ مَعَهُ . وهرب جامع من فَوْرِهِ ذَلِكَ إلى الشام ، فاستجار بَرُفْرُ بن الحارث .

خطبة للحجاج بن يوسف :

خَطَبَ الْحَجَّاجُ فَقَالَ : اللَّهُمَّ ارْنِي الْغَيَّ عَيْنًا فَأَجْتَنِبَهُ ، وَارْنِي الْهُدَى هُدًى فَاتَّبِعْهُ ، وَلَا تَكُنْ لِي إِلَى نَفْسِي فَاضِلٌ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِي بِعَامَتِي هَذِهِ ، وَلَمَّا بَقِيَ مِنْهَا أَشْبَهُ بِمَا مَضَى مِنَ الْمَاءِ بِالْمَاءِ .

وخطبة للحجاج :

قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ : خَرَجَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ يَوْمًا مِنَ الْقَصْرِ بِالسَّكُوفَةِ ، فَسَمِعَ تَسْكِيرًا فِي السُّوقِ ، فَرَأَاهُ ذَلِكَ ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، يَا أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ ، وَمَسَاوِيَ الْأَخْلَاقِ ، وَبَنِي اللَّسْكِعَةِ ، وَعَبِيدَ الْعَصَا ، وَأَوْلَادَ الْإِمَاءِ ، وَالْفَقْعَ <sup>(٢)</sup> بِالْقِرْقَرَةِ ، إِنِّي سَمِعْتُ تَسْكِيرًا لَا يُرَادُ بِهِ اللَّهُ ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الشَّيْطَانُ ، وَإِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ مَا قَالَ ابْنُ بَرَّاقِ الْهَمْدَانِيُّ :  
وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَالْهَمْدَانِ ظَالِمٌ  
مَتَى تَجْمَعُ الْقُلُوبُ الذِّكْوِيَّ وَصَارِمًا وَأَنْفًا سَحِيمًا تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ  
أَمَّا وَاللَّهِ لَا تُقْرَعُ عَصَا بِعَصَا إِلَّا جَعَلْتُهَا كَأَمْسِ الدَّابِرِ .

خطبة للحجاج بن يوسف بن الحر الجعفي <sup>(٣)</sup> :

خَطَبَ أَهْلَ الْعِرَاقِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ اسْتَبْطَنَكُمْ خِفَاطَ

(١) في بعض الأصول : « التعلال » .

(٢) الفقع : السكأة البيضاء الرخوة . والقِرْقَر : الأرض المنخفضة . يريد أنهم أذل من هذه السكأة في الأرض المنخفضة لا تمتنع على من اجتناها .

(٣) وقعة دير الجماجم : كانت بين الحجاج وبين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قرب السكوفة سنة ٨٣ هـ وفيها هزم ابن الأشعث .

اللحمَ والدِّمَ والعصبَ والمسامعَ والأطرافَ والأعضاءَ والشَّعافَ ، ثم أفضى إلى  
 الخناخ والصَّامِخ<sup>(١)</sup> ، ثم أرتفع فَعَشَشَ ، ثم باض وفرَّخَ ، فحشاكم شِقَاقًا ونِفَاقًا ،  
 وأشعركم خلافا ؛ اتخذتموه دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ ، وقائدًا تُطِيعُونَهُ ، ومُؤامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ .  
 وكيف تنفعكم تجرِبة ، أو تعظمكم وقعة ، أو يحجزكم إسلام ، أو يردكم إيمان !  
 أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَازِ<sup>(٢)</sup> ، حيث رُمِّمَ الْمُسْكَرُ ، وسَقِّمَ بِالْغَدَرِ ، واستجمعتُمُ الْكُفْرَ ،  
 وظننتم أَنَّ اللَّهَ يَحْذِلُ دِينَهُ وخِلافَتَهُ ، وأنا أرميكم بطَرْفِي وَأَنْتُمْ تَتَسَلَّلُونَ لَوَاذِئِهِ ،  
 وتَهْزَمُونَ سِرَاعًا ؛ ثم يَوْمَ الزَّاوِيَةِ<sup>(٣)</sup> ، وما يَوْمَ الزَّاوِيَةِ ! بها كان فَشْلُكُمْ وتَنَازُعُكُمْ  
 وتَحَاذُلُكُمْ ، وبراءة الله منكم ، ونُكُوصُ وَلِيِّهِ عَنْكُمْ ؛ إِذْ وَلَّيْتُمْ كَالْإِبِلِ  
 الشَّوَارِدَ إِلَى أَوْطَانِهَا ، النِّوَاذِعَ إِلَى أُعْطَانِهَا ، لا يسأل المرءُ مِنْكُمْ عَنْ أَخِيهِ ،  
 وَلَا يُبْلَى الشَّيْخُ عَلَى بَنِيهِ ، حَتَّى عَضَّكُمْ السِّلَاحُ ، وَقَصَّكُمْ الزَّمَاخُ ؛ ثم يَوْمَ دَيْرِ  
 الْجَاحِمِ ، وما دَيْرُ الْجَاحِمِ ! بها كانت المِعارِكُ والمِلاحِمُ ، بَضْرُبُ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ  
 مَقِيلِهِ<sup>(٤)</sup> ، ويذهل الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ . يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، وَالْكَفَرَاتِ بَعْدَ الْفَجَرَاتِ ،  
 وَالْغَدَرَاتِ بَعْدَ الْخِثَرَاتِ ، وَالنِّزَوَاتِ بَعْدَ النِّزَوَاتِ ، إِنْ بَعَثْتُمْ إِلَى تُغُورِكُمْ غَلَاتِمَ  
 وَخُنْتُمْ ، وَإِنْ أَمِنْتُمْ أَرْجَفْتُمْ ، وَإِنْ خِفْتُمْ نَافَقْتُمْ ، لَا تَذْكُرُونَ حَسَنَةً<sup>(٥)</sup> ، وَلَا  
 تَشْكُرُونَ نِعْمَةً . يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، هَلْ أَسْتَخَفَّكُمْ نَاكِثٌ ، أَوْ اسْتَغْوَاكُمْ غَاوٌ ،  
 أَوْ اسْتَفْزَكُمْ عَاصٍ ، أَوْ اسْتَنْصَرَكُمْ ظَالِمٌ ، أَوْ اسْتَعْضَدَكُمْ خَالِعٌ ، إِلَّا وَثَّقْتُمُوهُ وَأَوْثَقْتُمُوهُ  
 وَعَزَّرْتُمُوهُ وَنَصَرْتُمُوهُ وَرَضَيْتُمُوهُ ؟ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، هَلْ شَغَبَ شَاغِبٌ ، أَوْ نَعَبَ  
 نَاعِبٌ ، أَوْ نَعَقَ نَاعِقٌ ، أَوْ زَفَرَ زَافِرٌ ، إِلَّا كُنْتُمْ أَتْبَاعَهُ وَأَنْصَارَهُ ؟ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ،  
 أَلَمْ تَهَكِّمُوا الْمَوَاعِظَ ، أَلَمْ تَرْجُرْكُمُ الْوَقَائِعَ ؟ ثُمَّ التَفْتُ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ،

(١) الخناخ : جمع مخ . والصامخ : جمع صماخ . وهو من الأذن ، الحرق الباطن الذي  
 يفضى إلى الرأس . وفي بعض الأصول : « الأناخ والأصناخ » . وهاجمان  
 غير واردين . (٢) يشير إلى وقعة تستر .

(٣) الزاوية : موضع بالبصرة كانت به الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث .

(٤) مقيله ، أى موضعه . يريد الأعناق .

(٥) في بعض الأصول : « خشية » .

إنما أنا لكم كالظلم<sup>(١)</sup> الذاب عن فراخه ، ينفى عنها المدر ، ويباعد عنها الحجر ، ويكتمها عن المطر ، ويحميها من الضباب ، ويحرُسها من الذئاب . ي أهل الشام ، أنتم الجنة<sup>(٢)</sup> والرداء ، وأنتم العدة والحذاء<sup>(٣)</sup> .

### خطبة للحجاج :

• قال مالك بن دينار : غدوت للجمعة فجلست قريباً من المنبر ، فصعد الحجاج ، ثم قال : أمرؤ تحاسب نفسه ، أمرؤ راقب ربه ، أمرؤ زور<sup>(٤)</sup> عمله ، أمرؤ فكر فيما يقرؤه غدا في صحيفته ، ويراه في ميزانه ، أمرؤ كان عنده ذكراً<sup>(٥)</sup> ، وعند هواه زاجراً ، أمرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جماله ، فإن قاده إلى حق تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كفه . [ إننا والله ما خلقنا للفناء ، وإنما خلقنا للبقاء ، وإنما نفتقل من دار إلى دار ]<sup>(٦)</sup> .

### خطبة للحجاج بالبصرة :

اتقوا الله ما استطعتم ، فهذه لله وفيها مشوبة . ثم قال : وأطيعوا وأطيعوا ، فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان . والله لو أمرت الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذوا في باب غيره<sup>(٧)</sup> لكانت دماؤهم لي

(١) الظلم : ذكر النعام .

(٢) في بعض الأصول : « الجنة » .

(٣) انظر البيان ( ج ٢ ص ١١٧ ) ونهاية الأرب ( ج ٧ ص ٢٤٥ ) ومروج الذهب

( ج ٢ ص ١٣٥ ) . وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ( ج ١ ص ١١٤ ) فيبين

النصوص خلاف .

(٤) زور عمله : حسنه .

(٥) كذا في البيان ( ج ٢ ص ٨٨ ) . والذي في الأصول وعيون الأخبار ( ج ٢

ص ٢٥١ ) : « أمرا » .

(٦) التكملة عن بعض الأصول وعيون الأخبار ( ج ٢ ص ٢٥١ ) والبيان ( ج ٢ ص ٨٨ )

وابن أبي الحديد ( ج ١ ص ١٥٠ ) .

(٧) في مروج الذهب ( ج ٢ ص ١٤٣ ) . « لو أمر الناس أن يدخلوا في هذا الشعب

فدخلوا غيره » .

حلالاً من الله ، ولو قُتل ربيعة ومُضر لكان لي حلالاً . عذيري <sup>(١)</sup> من هذه الحُمراء <sup>(٢)</sup> ، يرمى أحدهم بالحجر إلى السماء ويقول : يكونُ إلى أن يقع هذا خير <sup>(٣)</sup> . والله لأجعلنهم كأمس الدابر . عذيري من [عبد] هذيل <sup>(٤)</sup> ، إنه زعم أنه آمن عند الله ، يقرأ القرآن كأنه رَجَز الأعراب <sup>(٥)</sup> ، والله لو أدركته لقتلته .

### منظومة للمجماح بالبصرة :

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنَّ الله كفانا مَثُونَةَ الدنيا ، وأمرنا بطلب الآخرة ، [فليت الله كفانا مَثُونَةَ الآخرة ، وأمرنا بطلب الدنيا] . ما لي أرى علماءكم يُذهنون ، وجُهالكم لا يتعلمون ، وشِراركم لا يتوبون ! ما لي أراكم تَحْرُصُونَ على ما كُفَيْتُمْ ، وتُضَيِّعُونَ ما به أُمِرْتُمْ ! إنَّ العِلْمَ يُوشِكُ أن يرفع ، ورفعه ذهابُ العلماء . ألا وإني أعلم بشِراركم من البيطار بالفرس : الذين لا يقرءون القرآن إلا هُجْرًا <sup>(٦)</sup> ، ولا يأتون الصلاة إلا دُبْرًا <sup>(٧)</sup> . ألا وإنَّ الدنيا عَرَضٌ حاضر ، يأكل منها البرّ والفاجر . ألا وإنَّ الآخرة أَجَلٌ مُسْتَأْخِر ، يحكم فيه مَلِكٌ قادر . ألا فاعملوا وأتِمُّوا من الله على حَذَر ، وأعلموا أنَّكم مُلاقوه ، ليَجْزِيَ الذين أساءوا بما عَمِلُوا ، ويَجْزِيَ الذين أحسنوا بالحسنى . ألا وإنَّ الخير كله بِحِذَافِيرِهِ في الجنة ، ألا وإنَّ الشر كله بِحِذَافِيرِهِ في النار ، ألا وإنَّ مَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ، وأستغفر الله لي ولكم .

(١) العذير : النصير ، وما يروم الرجل وما يحاول مما يعتذر عليه إذا فعله .

(٢) الحُمراء : العجم ، لبياضهم . وقد نزل قوم منهم البصرة .

(٣) في مروج الذهب : « يأتي أحدهم الحجر إلى الأرض ويقول إلى أن يبلغها يكون فرج الله » . (٤) يريد بعبد هذيل عبد الله بن مسعود . (انظر المروج) .

(٥) كذا في بعض الأصول والمروج . والذي في سائر الأصول : « ما هو إلا رحم الأعراب » مكان « يقرأ القرآن كأنه رَجَز الأعراب » . وفيها تحريف ظاهر .

(٦) المهجر : الترك والإغفال . يريد أنهم يتركون القرآن ويعرضون عنه .

(٧) دُبْرًا ، أي في آخر وقتها .

## خطبة للحجاج :

خَطَبَ الْحِجَّاجُ أَهْلَ الْعِرَاقِ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، إِنِّي لَمْ أَجِدْ لَكُمْ دَوَاءَ  
أَدْوَى<sup>(١)</sup> لَدَائِكُمْ مِنْ هَذِهِ الْمَغَازِي وَالْبُعُوثِ ، لَوْلَا طِيبُ لَيْلَةِ الْإِيَّابِ ، وَفَرْحَةُ  
الْقَفْلِ ، فَإِنَّهَا تُعْقِبُ رَاحَةً ؛ وَإِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى الْفَرَحَ عِنْدَكُمْ وَلَا الرَّاحَةَ  
بِكُمْ . وَمَا أَرَاكُمْ إِلَّا كَارْهِينَ لِمَقَالَتِي ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لِرُؤُوسِكُمْ أَكْرَهُ . وَلَوْلَا مَا أُرِيدُ  
مِنْ تَنْفِيذِ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ مَا حَمَلْتُ نَفْسِي مُقَاسَاَتَكُمْ ، وَالصَّبْرَ عَلَى  
النَّظَرِ إِلَيْكُمْ ، وَاللَّهُ أَسْأَلُ حُسْنَ الْعَوْنِ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ نَزَلَ .

## خطبة للحجاج حين أراد الحج :

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، إِنِّي أَرَدْتُ الْحَجَّ ، وَقَدْ اسْتَخَلَفْتُ عَلَيْكُمْ أَبْنَى مُحَمَّدًا ،  
وَمَا كُنْتُمْ لَهُ بِأَهْلٍ ، وَأَوْصِيَّتُهُ فِيكُمْ بِخِلَافِ مَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ فِي الْأَنْصَارِ ؛ فَإِنَّهُ أَوْصَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؛ وَأَنَا  
أَوْصِيَّتُهُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ وَلَا يَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِكُمْ . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَائِلُونَ  
بِعَدِي مَقَالَةً لَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ إِظْهَارِهَا إِلَّا خَوْفِي ، تَقُولُونَ : لَا أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الصَّحَابَةُ  
وَإِنِّي أُعْجِلُ لَكُمْ الْجَوَابَ : فَلَا أَحْسَنَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ نَزَلَ .

١٨٧  
٢

## خطبة للحجاج :

١٥

قَالَ : خَرَجَ الْحِجَّاجُ يَرِيدُ الْعِرَاقَ وَالْيَمَّا عَلَيْهَا فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَاكِبًا عَلَى  
النَّجَابِ ، حَتَّى دَخَلَ السَّكُوفَةَ حِينَ انْتَشَرَ النَّهَارُ ، وَقَدْ كَانَ بِشَرِّ بْنِ مَرْوَانَ  
بَعَثَ الْمُهَلَّبَ إِلَى الْحُرُورِيَّةِ ، فَبَدَأَ الْحِجَّاجُ بِالْمَسْجِدِ فَدَخَلَهُ ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَهُوَ  
مُلَكَّمٌ بِهَامَةِ حَمْرَاءَ ، فَقَالَ : عَلَى النَّاسِ ، فَحَسَبُوهُ وَأَصْحَابَهُ خَوَارِجَ ، فَهَمَّوْا بِهِ ،  
حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ قَامَ ، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

(١) أَدْوَى ، أَيِ أَهْلِكَ وَأَنْطَعِ .

أنا ابنُ جَسَلًا وطلَّاعُ الثَّنَايَا متى أضعُ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي <sup>(١)</sup>  
 صليبُ العُودِ مِنْ سَلَفِي رِيَّاحٍ <sup>(٢)</sup> كَنَصْلِ السَّيْفِ وضَّاحُ الجِيبِينِ  
 وماذا يَبْتَغِي <sup>(٣)</sup> الشُّمْرَاءُ مِنِّي وقد جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ  
 أخو تَحْسِينِ مُجْتَمَعٍ أَشَدِّي وَنَجْدِي <sup>(٤)</sup> مُدَاوِرَةُ الشُّثُونِ  
 وإني لَا يَمُودُ إِلَيَّ قِرْنِي غَدَاةُ الْعَبَاءِ إِلَّا فِي قَرِينٍ <sup>(٥)</sup>  
 أمَّا واللهُ إني لأَهِلُّ الشَّرَّ بِحَمْلِهِ ، وأُحْدِثُهُ بِنَقْلِهِ ، وَأَجْزِيهِ بِمِثْلِهِ ، وإني  
 لأَرى رُؤسًا قد أَيْنَعَتْ وَحَانَ قِطَافُهَا ، وإني لَصَاحِبُهَا ، وإني لَا أَنْظُرُ [إِلَى]  
 الدِّمَاءِ بَيْنَ الْعِمَامِ وَاللَّحَى تَتَرَقُّقُ : \* قد شَمَّرْتُ عَنْ سَاقِهَا فَشَمَّرِي \*  
 [نَمَّ قَالَ] :

هذا أَوَانُ الشَّدِّ <sup>(٦)</sup> فَأَشْتَدِّي زَيْمٍ <sup>(٧)</sup> قد لَقَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمٍ <sup>(٨)</sup>  
 لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهَرٍ وَضَمٍ <sup>(٩)</sup>

(١) هذه الأبيات لسجيم بن وثيل الرياحي . ( انظر الأغاني ج ١٢ ص ١٤ طبعة

بلاق ) . وابن جلا : الصبح ، أو هو الأمر الظاهر المنكشف .

(٢) في بعض الأصول : « نزار » . ورواية هذا الشطر في الأغاني :

١٥ \* إلى ابن العز من سلفي رياح \*

(٣) في لسان العرب (مادة نَجْد) : « يَدْرِي » . ويَدْرِي : يَخْتَلِ .

(٤) كَذَا فِي اللِّسَانِ (مادة نَجْد) . وَالْمُنْجَذُ مِنَ الرِّجَالِ : الَّذِي جَرِبَ الْأُمُورَ وَعَرَفَهَا

وَأَحْكَمَهَا . وَمُدَاوِرَةُ الشُّثُونِ : مُدَاوِلَةُ الْأُمُورِ وَمَعَالِجَتِهَا . وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ :

« وَتَنَجَّدُنِي » . وَالَّذِي فِي الْأَغَانِي : « وَتَحْدُونِي » .

٢٥ (٥) فِي الْأَصُولِ : « غَدَاةُ أَلْبٍ إِلَّا أَيْ حِينَ » . وَمَا أُتْبِتْنَاهُ عَنِ الْأَغَانِي . وَالْعَبَاءُ :

مِنْ عِبَاءِ الْجَيْشِ ، إِذَا رَتَبَهُ فِي مَوَاضِعِهِ وَهَيَّأَهُ لِلْحَرْبِ . وَفِي قَرِينٍ ، أَيْ مَعَ قَرِينٍ .

(٦) كَذَا فِي الْأَغَانِي . وَالشَّدُّ : الْعَدُوُّ . وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ : « الْحَرْبُ » .

(٧) زَيْمٌ : اسْمُ فَرَسٍ أَوْ نَاقَةٍ .

(٨) الْحُطَمُ : الرَّاعِي الظَّلُومُ لِلْمَاشِيَةِ . وَهَذَا الشُّمْرُ لِرُوَيْشَدِ بْنِ رَمِيضِ الْعَبْرِيِّ يَقُولُهُ

٢٥ فِي الْحُطَمِ ، وَهُوَ شَرِيحُ بْنُ ضَبِيعَةَ ، وَكَانَ شَرِيحُ غَزَا الْبَيْنَ فِي جُوعٍ جَمَعَهَا مِنْ

رَبِيعَةَ فَنَقَمَ وَسَيَّ ، بَعْدَ حَرْبٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَنْدَةَ أَسْرَفِيهَا فِرْعَانَ بْنِ مَهْدِيٍّ بْنِ

مَعْدٍ بِكَرْبٍ ، عَمُّ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ ، وَأَخَذَتْ عَلَى طَرِيقِ مَفَازَةٍ ، فَضَلَّ بِهِمْ ذَلِيلُهُمْ

ثُمَّ هَرَبَ مِنْهُمْ ، وَمَاتَ فِرْعَانُ فِي أَيْدِيهِمْ عَطْشًا ، وَهَلَكَ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ بِالْعَطَشِ ،

وَجَمَلَ الْحُطَمُ يَسُوقُ بِأَصْحَابِهِ سَوْقًا عَنِيفًا حَتَّى نَجَا مِنْ بَقِيٍّ مَعَهُ ، فَقَالَ رُوَيْشَدُ هَذَا

٣٥ الشُّعْرُ . فَلَقَّبَ شَرِيحُ الْحُطَمُ بِقَوْلِ رُوَيْشَدٍ فِيهِ : « بِسَوَاقِ حُطَمٍ » . ( انظر الأغاني

ج ١٤ ص ٤٥ ، ٤٦ طبعة بلاق ) . (٩) الوَضَمُ : كُلُّ مَا قَطَعَ عَلَيْهِ اللَّحْمُ .

[ثم قال] :

قد لَقَّهَا اللَّيْلُ بَعْضَلِي أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوَى<sup>(١)</sup>مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ<sup>(٢)</sup>قَدْ شَمَّرْتُ عَنْ سَاقِهَا فَشَدُّوا مَا عَلَّتِي وَأَنَا شَيْخٌ إِذْ<sup>(٣)</sup>وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُرْدٌ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدَّ<sup>(٤)</sup>

إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، وَمَعْدِنَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ ،  
لَا يُعَمِّرُ جَانِبِي كَتَمَازِ التَّيْنِ ، وَلَا يُقَقِّعُ لِي بِالشَّنَانِ<sup>(٥)</sup> ، وَلَقَدْ فُرِزْتُ عَنْ  
ذِكَا<sup>(٦)</sup> ، وَفُتِّشْتُ عَنْ تَجَرُّبَةٍ ، وَأُجْرِيْتُ إِلَى الْغَايَةِ [الْقُصْوَى] ، وَإِنِّي  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَثَرَ كِنَانَتَهُ [بَيْنَ يَدَيْهِ] ثُمَّ عَجِمَ عِيدَانَهَا ، فَوَجَدَنِي أَسْرَهَا عُودًا ،  
وَأَشَدَّهَا مَسْكَسِرًا ، فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ ، وَرَمَاكُمْ بِي ، فَإِنَّهُ قَدْ طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ<sup>(٧)</sup> فِي  
الْفِتَنِ ، وَسَدَنْتُمْ سُنَنَ الْغَيِّ ، وَابْتَدَأَ اللَّهُ لَأَلْحُونَكُمْ لَحْوُ الْعَصَا ، وَلَا قَرَعَتْكُمْ قَرَعُ  
الْمَرْوَةِ<sup>(٨)</sup> ، وَلَا عَصَبِيكُمْ عَصَبُ السَّلْمَةِ<sup>(٩)</sup> ، وَلَا ضَرْبَكُمْ ضَرْبُ غَرَابِيبِ الْإِبِلِ .  
أَمَّا وَاللَّهِ لَا أَعِدُ إِلَّا وَفَّيْتُ ، وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ<sup>(١٠)</sup> . وَإِيَّايَ وَهَذِهِ [الشَّغْعَاءُ]  
وَالزَّرَافَاتُ وَالْجَمَاعَاتُ ، وَقَالًا وَقِيلًا ، وَمَا يَقُولُونَ ، وَفِيمَ أَنْتُمْ [وَذَاكَ] ؛ وَاللَّهِ  
لَتَسْتَقِيمُنَّ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ أَوْ لِأَدْعُنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ ، مَنْ

(١) العَصَلِي : الشديد القوي . والأروع : الذكي ، أو من يعجبك بشجاعته والدوى :

جمع دوية ، وهي الفلاة الواسعة ، ويريد بها الشدائد .

(٢) يريد أنه ترك البدو إلى المدن ، فأفاد خبرة وحكمة لم يفدها الأعرابي في بداوته .

(٣) إِذْ : داهية . (٤) عُرْدٌ : شديد .

(٥) القمقمعة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت ، مثل السلاح وغيره ، والشنان :

جمع شن (بالفتح) ، وهو القرية البالية . وهم يحركونها إذا أرادوا حث الإبل

على السير لتفزع فتسرع . وهذا مثل يضرب لمن لا يردعه ما لا حقيقة له .

(٦) ذِكَا : الدابة : الكشف عن أسنانها ليعرف عمرها . يقول : لأنه اختير عن ذكاء .

(٧) الإيضاع : الإسراع .

(٨) المروة : واحدة المرو ، وهي حجارة بيض براقه توري النار .

(٩) السَّلْمَةُ : شجر كثير الشوك . والأشجار تعصب أغصانها ثم تحيط بالعصى لسقوط

الورق وهشم العيدان . (١٠) أخلق : أقدر . وأفرى : أقطع .

وجدته بعد ثلاثة من بعث المهلب سفكت دمه ، وأتتهب ماله ، وهدمت منزله ،  
فشمر الناس بالخروج إلى المهلب . فلما رأى للملب ذلك قال : لقد ولى العراق  
خيرُ ذكر<sup>(١)</sup> .

### خطبة الحجاج لما مات عبد الملك :

- قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى  
نعى نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى نفسه فقال : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَيِّتُونَ) .  
وقال : (وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسلُ أفإن مات أو قُتل انقلبتم  
على أعقابكم) . فمات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومات الخلفاء الراشدون  
المُتدِّون المَهْدِيُّون ، منهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان الشهيد المظلوم ، ثم تبعهم  
معاوية ، ثم وليكم البازل<sup>(٢)</sup> الذِّكر ، الذي جَرَّ بته الأمور ، وأحكمت التجارب ،  
مع النِّقمة ، وقراءة القرآن ، والمروءة الظاهرة ، واللِّين لأهل الحق ، والوَطء لأهل  
الزَّيغ ، فكان رابعاً من الوُلاة المَهْدِيِّين الراشدين ، فأختار الله له مما عنده ،  
وألحقه بهم ، وعهد إلى شبهه في العقل والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله  
وخلافته ، فأسمعوا له وأطيعوه أيها الناس . وإياكم والزَّيغ ، فإن الزَّيغ لا يَحْيِي  
إلا بأهله . ورأيتم سيرتي فيكم ، وعرفتُ خِلافكم ، وقبِلْتُكم<sup>(٣)</sup> على معرفتي بكم ،  
ولو علمتُ أَنَّ أَحَدًا أَقْوَى عَلَيْكُمْ مِنِّي أَوْ أَعْرَفَ بَكُمْ مَا وَلَيْتُكُمْ ، فإياي وإياكم ،  
من تكلم قتلناه ، ومن سكت مات بدائه غمًا ، ثم نزل .

### خطبة الحجاج لما أصيب بولده محمد وأُصيب محمد :

أيها الناس ، محمدان في يوم واحد ، أما والله لقد كنتُ أحبُّ أنهما معي في

(١) انظر الكامل ( ١ : ١٨١ ) والبيان والتبيين ( ٢ : ١٦٤ ) وصبح الأعشى :  
( ١ : ٢١٨ ) وعيون الأخبار ( ٢ : ٢٤٤ ) وصروج الذهب ( ٢ : ١٣٢ )  
فيين النصوص خلاف .

(٢) البازل : البعير انشق نابه ، وذلك في السنة التاسعة . وبه يشبه الرجل الكامل  
عقلا وتجربة . يريد به عبد الملك ( ٣ ) في بعض الأصول : « وطيبكم » .



الدنيا، مع ما أرجو لهما من ثواب الله في الآخرة، وإيم الله، ليؤشكن الباقي منّا ومنكم أن يفنى، والجديد منّا ومنكم أن يبلى، والحي منّا ومنكم أن يموت، وأن تدال الأرض منّا كما أدلنا منها، فتأكل من لحومنا، وتشرب من دمائنا، كما مشينا على ظهرها، وأكلنا من ثمارها، وشربنا من مائها، ثم يكون كما قال الله: (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون). ثم تمثل بهذين البيتين:

عزائي نبي الله من كل مَيِّتٍ وحسبي ثوابُ الله من كل هالكٍ  
إذا ما لقيتُ الله عني راضيًا فإن سرورَ النفس فيما هُناك  
خطب الحجاج في يوم الجمعة فأطال الخطبة، فقام إليه رجل فقال: إن الوقت لا ينتظرك، والرب لا يعذرک. فأمر به إلى الحبس. فأناه آل الرجل وقالوا: إنه مجنون، فقال: إن أقرّ على نفسه بما ذكرتم خلّيت سبيله. فقال الرجل: لا والله، لا أزعم أنه ابتلاني وقد عافاني.

### خطبة للحجاج:

ذكروا أن الحجاج مرض ففرح أهل العراق، وقالوا: مات الحجاج. فلما بلغه، تحامل حتى صعد المنبر فقال: يا أهل الشقاق والنفاق، نفخ إبليس في منابركم فقلتُم: مات الحجاج، مات الحجاج. فمه، والله ما أحب ألا أموت، وما أرجو الخير كله إلا بعد الموت، وما رأيتُ الله عز وجل كتب الخلود لأحد من خلقه إلا لأهونهم عليه، إبليس. ولقد رأيتُ العبد الصالح سأل ربه وقال: (رب اغفر لي وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب). ففعل، ثم أضجج كأن لم يكن<sup>(١)</sup>.

(١) انظر شرح العيون (ص ١٢٢) وشرح ابن أبي الحديد (ج ١ ص ١٥٥) وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٤٤). فبين النصوص خلاف.

## ومطبة الحجاج :

خطب فقال في خطبته : سَوَّطِي سَيِّفِي ، وَنِجَادِي فِي عُنُقِي ، وَقَائِمِي فِي يَدِي ،  
وَذُبَابِي قِلَادِي لِمَنْ أَغْتَرَبِي . فقال الحسن : بُؤْسًا لِهَذَا ، مَا أَعْرَاهُ بِاللَّهِ !  
وحلف رجل بالطلاق : إِنْ الْحَجَّاجَ فِي النَّارِ ، ثُمَّ أَتَى زَوْجَتَهُ ، فَمَنَعَتْهُ نَفْسَهَا ،  
فَأَتَى ابْنَ شَبْرَمَةَ يَسْتَفْتِيهِ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، أَمْضِ فَسَكُنْ مَعَ أَهْلِكَ ، فَإِنَّ  
الْحَجَّاجَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَلَا يَضُرُّكَ أَنْ تَرْتَنِي .  
هَذَا مَا ذَكَرْنَا فِي كِتَابِنَا مِنَ الْخُطْبِ لِلْحَجَّاجِ ، وَمَا بَقِيَ مِنْهَا فَهُوَ مُسْتَقْصَاةٌ  
فِي كِتَابِ الْيَتِيمَةِ الثَّانِيَةِ ، حَيْثُ ذَكَرْتُ أَخْبَارَ زِيَادِ وَالْحَجَّاجِ ، وَإِنَّمَا مَذْهَبُنَا فِي  
كِتَابِنَا هَذَا أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ ، وَنَحْذِفَ الشَّكْثَ الَّذِي يُجْتَرَأُ  
مِنْهُ بِالْقَلِيلِ .

١٠

## ومطبة طاهر بن الحسين :

لَمَّا أَفْتَتَحَ مَدِينَةَ السَّلَامِ صَعِدَ الْمُنْبَرَ ، وَأَخْضَرَ جَمَاعَةً مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَالْقَوَادِ  
وغيرهم فقال : الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكِ الْمُلْكِ يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ  
يَشَاءُ ، وَيُعْزِزُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَلَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ، وَلَا يَهْدِي  
كَيْدَ الْخَائِنِينَ . إِنْ ظَهَرَ غَلَبَتُنَا لَمْ يَكُنْ عَنْ أَيْدِنَا<sup>(١)</sup> وَلَا كَيْدِنَا ، بَلْ اخْتَارَ  
اللهُ خِلَافَتَهُ ، إِذْ جَعَلَهَا عَمُودًا لِدِينِهِ وَقَوَامًا لِعِبَادِهِ ، مِنْ يَسْتَقِلُّ بِأَعْيَانِهَا ،  
وَيَضْطَلِعُ بِحُمُلِهَا .

١٥

١٨٩  
٢

## ومطبة لعمر الله بن طاهر :

خطب الناس وقد تيسر لقتال الخوارج<sup>(٢)</sup> ، فقال : إِنَّكُمْ فِتْنَةُ اللَّهِ  
الْمُجَاهِدُونَ عَنْ حَقِّهِ ، الذَّابُونَ عَنْ دِينِهِ ، الذَّاكِرُونَ عَنْ نَحْوِهِ ، الدَّاعُونَ إِلَى

٢٠

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « أَيْدِنَا » .

(٢) الْمَعْرُوفُ أَنَّ الَّذِي تَوَلَّى حَرْبَ الْخَوَارِجِ هُوَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ ،  
ثُمَّ تَوَلَّاهَا بَعْدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّيْسَابُورِيُّ . وَانْتَهَتْ الْحَرْبُ بِمَوْتِ حَمْزَةِ الْخَارِجِيِّ .  
( انْظُرِ الْفَرْقَ بَيْنَ الْفَرْقِ ) .

ما أمر به ، من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاه أمره ، الذين جعلهم رعاة الدين ، ونظام المسلمين ، فاستنجزوا مواعيد الله ونصره بمجاهدة عدوه وأهل معصيته ، الذين أشيروا وتمردوا ، وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، وصرخوا من الدين ، وسعوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) ، فليكن الصبر معقلكم الذي إليه تلجئون ، وعدنكم التي بها تستظهرون ؛ فإنه الوزر المنيع ، الذي دلكم الله عليه ، والجنة الحصينة التي أمركم الله بلباسها . غضوا أبصاركم ، واخفتوا أصواتكم في مصافكم ، وامضوا قدماً على بصائرهم ، فارغين إلى ذكر الله ، والاستعانة به ، كما أمركم الله ، فإنه يقول : (إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) . أيذكركم الله بعر الصبر ، ووليكم بالحياطة والنصر . ١٠

### خطبة لقنينة بن مسلم :

قام بحراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك <sup>(١)</sup> ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أتدرون من تباعون ؟ إنما تباعون يزيد بن ثروان — يعني هبنقة القيسى <sup>(٢)</sup> — كأني بكم ، وحكم جائز قد أتاكم بحكمكم في أموالكم وديمائكم وفروجكم وأبشاركم . ثم قال : الأعراب ! [وما الأعراب] ! لعن الله الأعراب ! جمعهم كما يجمع قرخ الخربق <sup>(٣)</sup> من منابت الشَّيخ والقيصوم <sup>(٤)</sup> . ١٥

(١) وذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز ولي عهده ويخلف سليمان ، ودس إلى القواد والشعراء بذلك ، فباعه على خلع سليمان الحجاج وقتيبة . (انظر الطبري) .

(٢) هو يزيد بن ثروان ، هبنقة ذو الودعات ، ويكنى أبا نافع ، أحد بني قيس بن ثعلبة . وكان يضرب به المثل في الحق . فيقال أحق من هبنقة . وكان سليمان يعطي الأغنياء ويحرم الفقراء . وإذا سئل عن ذلك قال : أصليح ما أصليح الله وأفسد ما أفسد الله . وما أشبهه في هذا بهبنقة حين كان يحسن إلى السمان من إبله ، ويهمل المهازيل ، ويقول : إنما أكرم ما أكرم الله وأهين ما أهانه . وهذا ما أراد قتيبة أن يقول : « إنما تباعون... الخ » . (انظر مجمع الأمثال ١ : ١٤٦ والبيان ١ : ٢٢٦) ٢٠

(٣) الخربق (بضم الخاء) : نبت كالسليم يفضى على آكله .

(٤) الشَّيخ والقيصوم : من نبات السهل . ٢٥

والفلقل<sup>(١)</sup> ، يَرَّ كَبُونُ الْبَقَرِ وَيَأْكُلُونَ الْهَيْبِدَ<sup>(٢)</sup> . فحَمَلْتُهُمْ عَلَى الْخَيْسِلِ ،  
وَالْيَسْتَهُمُ السَّلَاحَ ، حَتَّى مَنَعَ اللَّهُ بِهِمُ الْبِلَادَ ، وَجُبِيَ بِهِمُ الْفِيءُ . قَالُوا : مُرُّنَا  
بَأَمْرِكَ . قَالَ : غُرُّوا غَيْرِي<sup>(٣)</sup> .

وخطبة لقتيبة بن مسلم :

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، أَلَسْتُ أَعْلَمُ النَّاسَ بِكُمْ . أَمَّا هَذَا الْحَيُّ مِنْ أَهْلِ الْعَالِيَةِ فَتَعَمُّ<sup>٥</sup>  
الصَّلَاقَةُ ؛ وَأَمَّا هَذَا الْحَيُّ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، فَعِلَاجَةٌ<sup>(٤)</sup> بَظَرَاءَ لَا تَمْنَعُ<sup>(٥)</sup>  
رَجُلَيْهَا ؛ وَأَمَّا هَذَا الْحَيُّ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، فَمَا ضَرَبَ الْعَيْرَ بِذَنْبِهِ<sup>(٦)</sup> ؛ وَأَمَّا هَذَا الْحَيُّ  
مِنَ الْأَزْدِ ، فَمُلُوجُ خَلْقِ اللَّهِ وَأَنْبَاطُهُ . وَأَيْمُ اللَّهِ ، لَوْ مَلَكَتُ أَمْرَ النَّاسِ لَنَقَشْتُ  
أَيْدِيَهُمْ ؛ وَأَمَّا هَذَا الْحَيُّ مِنْ تَعِيمٍ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ الْقَدْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَيْسَانَ .

وقال الشاعر :

١٠

إِذَا كُنْتَ مِنْ سَعْدٍ وَخَالَكَ مِنْهُمْ      بَعِيداً فَلَا يَغُرُّكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدٍ  
إِذَا مَا دَعَوْا كَيْسَانَ كَانَتْ كَهْوَلُهُمْ      إِلَى الْقَدْرِ أَذْنِي مِنْ شَبَابِهِمُ الْمُرْدِ

وخطبة لقتيبة بن مسلم :

يَا أَهْلَ خُرَاسَانَ ، قَدْ جَرَّبَكُمْ الْوَلَاةَ قَبْلِي ، أَنَا كَمْ أُمِّيَّةٌ<sup>(٧)</sup> فَكَانَ كَاسِمُهُ ، أُمِّيَّةٌ  
[الرأى] ، [وَأُمِّيَّةُ الدِّينِ] ، فَكُتِبَ إِلَى خَلِيفَتِهِ : إِنَّ خُرَاجَ خُرَاسَانَ لَوْ كَانَ

١٥

(١) الفلقل : نبت ينبت في الجلد وغلظ السهل . يشير إلى قلة الخربق وتفرقه بين منابت  
هذه الثلاثة . (٣) الهيد : حب الحنظل .

(٣) انظر البيان والتبيين ( ج ٢ ص ٦٧ ) والطبري فيين النصوص خلاف .

(٤) العلجة : أنثى العالج ، وهو الرجل من كفار العجم : وبظراء : بيئة البظر طولبته .  
والبظر : ما بين الاسكتين من المرأة .

٢٠

(٥) في البيان : « لا تجمع » .

(٦) العير : الحمار . وكفى بما يضره العير بذنبه عن جاعريته ، وهما موضع الرقتين من  
است الحمار . يصفهم بالضعفة والمهانة .

(٧) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص ، وكان عاملاً لمبد الملك على  
خراسان ثم عزله سنة ٧٨ .

٢٥

في مطبخه لم يكفه . ثم أناكم [بعده] أبو سعيد<sup>(١)</sup> ثلاثاً<sup>(٢)</sup> ، لا تدرون أني طاعة الله أنتم أم في مَعْصِيَتِهِ ! ثم لم يَجِبْ فيثا ، ولم يَبْلُ<sup>(٣)</sup> عَدُوًّا ، ثم أناكم بنوه بعده مثل أطباء<sup>(٤)</sup> السَّكَلَبَةِ ، منهم ابن دَحْمَةَ<sup>(٥)</sup> ، حِصَانُ يَضْرِبُ في عانة<sup>(٦)</sup> ؛ لقد كان أبوه يخافه على أمّهات أولاده . ثم أَصْبَحْتُمْ وقد فَتَحَ اللهُ عليكم البلاد ، حتى إنَّ الطَّعِينَةَ لتُخْرِجَ من مَرَوْ إلى سَمَرْقَنْدٍ في غير جوار .

قوله : أبو سعيد ، يريد المهلب بن أبي صفرة ، وقوله : ابن دَحْمَةَ ، يريد يزيد بن المهلب .

#### خطبة ليزيد بن المهلب :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : أيها الناس ،  
 ١٠ إني أسمع قول الرّاع : قد جاء العباس ، قد جاء مسلمة ، قد جاء أهل الشام .  
 وما أهل الشام إلا تسعة أسياف ، منها سبعة معي ، وأثنان عليّ ؛ وما مسلمة إلا  
 ١٩٠ جراحة صفراء ؛ وأما العباس ، فبسطوس بن بسطوس<sup>(٧)</sup> ، أناكم في برابرة ،  
 ٢ وصمّالة وجرامقة وأقباط وأنباط وأخلاق ، أقبل إليكم الفلاحون والأواباش  
 كأشلاء اللحم ، والله مآلقوا قطّ حدّاً كحدّكم ، ولا حديدًا كحديدكم . أعيروني  
 ١٥ سواعدكم ساعة [ من نهار ] تصفقون بها خراطينهم<sup>(٨)</sup> ، فإنما هي غدوة أوروحة ،  
 حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

- (١) هو المهلب بن أبي صفرة ، وقد ولي خراسان من قبل الحجاج بعد أمية .  
 (٢) يريد ثلاث سنين . والذي في الطبري : « قدوم بكم ثلاث سنين » . والذي في البيان :  
 « قدوم بكم البلاد لا تدرون ... الخ » . (٣) في البيان : « لم ينكأ » .  
 (٤) الأطباء : جمع طبي (كقفل) . وهو لذات الحف والظلف ، كالنّدى للمرأة .  
 (٥) نسبة إلى أمه دحمة ، انظر القاموس مادة (دحم) والطبري . والذي في الأصول  
 والبيان : « ابن الرحمة » . وظاهر أنه محرف عما أثبتناه .  
 (٦) العانة : الأتان .  
 (٧) كذا في الأصول ومروج الذهب . والذي في البيان : « فنسطوس بن نسطوس »  
 ولعلها : « نسطورس بن نسطورس » نسبة إلى النساطرة ، إحدى فرق المسيحية .  
 يشير إلى أصل العباس بن الوليد إذ كانت أمه رومية .  
 (٨) صفقه بالسيف : ضربه . والخراطين : جمع خرطوم ، وهو الأنف .

## (١) خطبة نفس بن ساعدة اليباني :

أبن عباس قال : قَدِمَ وَفَدَ إِيَادَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :  
 أَيْكُمْ يَعْرِفُ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ الْيَبَانِيَّ ؟ قَالُوا : كُلُّنَا يَعْرِفُهُ . قَالَ : فَمَا فَعَلَ ؟ قَالُوا :  
 هَلَكَ . قَالَ : مَا أَنْسَاهُ بِسُوقِ عُسْكَاطٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرٌ وَهُوَ  
 يَخْطُبُ النَّاسَ ، وَيَقُولُ : أَسْمَعُوا وَعُودُوا ، مَنْ عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ،  
 وَكُلَّ مَا هُوَ آتٍ ، إِنْ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرٌ ، وَإِنْ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرٌ ، سَحَابٌ  
 تَمُورُ ، وَنُجُومٌ تَقُورُ ، فِي فَلَكَ يَدُورُ ، وَيُقَسَّمُ قُسٌّ قَسَمًا ، إِنْ لِلَّهِ لَدِينَا هُوَ أَرْضِي  
 مِنْ دِينِكُمْ هَذَا . ثُمَّ قَالَ : مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ، أَرْضُوا  
 بِالْإِقَامَةِ فَأَقَامُوا ، أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا ؟ أَتَيْكُمْ يَرَوِي مِنْ شِعْرِهِ ؟ فَأَنْشُدْ بَعْضَهُمْ :

١٠ في الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ      نِ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ  
 لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا      لِمَوْتٍ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ  
 وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا      يَمْضِي الْأَكْبَارُ وَالْأَصَاغِرُ  
 لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي وَلَا      يَبْقَى مِنَ الْبَاقِينَ غَائِرُ  
 أَتَقَنَّتْ أَنِّي لَا مَحَا      لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

## ١٥ خطبة لعائشة أم المؤمنين رحمها الله يوم الحمل :

قَالَتْ : أَيُّهَا النَّاسُ ، صَهْ صَهْ ، إِنْ لِي عَلَيْكُمْ حُرْمَةٌ الْأُمُومَةِ ، وَحَقٌّ<sup>(٢)</sup>  
 الْمَوْعِظَةُ ، لَا يَتَهَمَنِي إِلَّا مَنْ عَصَى رَبَّهُ<sup>(٣)</sup> ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 بَيْنَ سَجْرَيْنِ<sup>(٤)</sup> وَنَخْرَيْنِ ، فَأَنَا إِحْدَى نِسَائِهِ فِي الْجَنَّةِ ، لَهُ أَذْخَرَنِي رَبِّي ،

(١) جرى المؤلف فيما مضى من كتاب الخطب على متابعة المصنوع عصرًا بعد عصر ،  
 في الخطب التي أوردتها ، وإبراده هنا خطبة قس وما بعدها مخالفة لما جرى  
 عليه أولا .

(٢) كذا في بعض الأصول وبلاغات النساء ( ص ٧ ) . وفي سائر الأصول : « حق  
 الأمومة وحرمة الموعظة » .

(٣) أرادت قوله تعالى : « يعظكم الله أن تمودوا لمثله أبداً » .

(٤) السحر : الرثة .

وخلصني<sup>(١)</sup> من كل بضع<sup>(٢)</sup> ، وبني مَنير مؤمنكم من مُناقضكم<sup>(٣)</sup> ، وبني أَرْخَص  
الله لكم في صَعِيد الأَبْوَاء<sup>(٤)</sup> ، ثم أبي ثَانِي أُتَيْن الله ثالثهما ، وأَوَّل من يُتَمَّى  
صِدِّيقًا . مَضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راضيًا عنه ، وطَوَّقه أعباء الإمامة ،  
ثم اضطرب حَبْل الدِّين بعده فَمَسَّكَ أبي بِطَرْفَيْهِ ، وَرَتَّقَ لكم فَتَقَّ النَّفَاق ،  
وَأَغَاضَ<sup>(٥)</sup> نَبْعَ الرَّدَّة ، وَأَطْفَأَ مَا حَشَّتْ<sup>(٦)</sup> يَهُود ، وَأَتَمَّ يَوْمَئِذٍ جُحْظَ الْعُيُون<sup>(٧)</sup> ،  
تَنْظُرُونَ الْعُدُوَّة<sup>(٨)</sup> ، وَتَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ، فَرَأَبَ الثَّأْي<sup>(٩)</sup> ، وَأَوْدَ<sup>(١٠)</sup> من  
الْفِلَظَةِ ، وَامْتَاَحَ<sup>(١١)</sup> من الهُوَّة<sup>(١٢)</sup> ، حَتَّى اجْتَنَى<sup>(١٣)</sup> دَفِينَ الدَّاء ، وَحَتَّى أُعْطِنَ  
الْوَارِد<sup>(١٤)</sup> ، وَأَوْرَدَ الصَّادِر ، وَعَلَّ النَّاهِل ، فَقَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَاطْمَأَنَّ عَلَى هَامَاتِ  
النَّفَاق ، مُذَكِّرًا نَارَ الْحَرْبِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، فَانْتَضَمَتْ طَاعَتُكُمْ بِحَبْلِهِ ، فَوَلَّى أَمْرَكُمْ  
رَجُلًا مُرْعِيًا<sup>(١٥)</sup> إِذَا رُكِّنَ إِلَيْهِ ، بَعِيدًا مَا بَيْنَ اللَّابَتَيْنِ<sup>(١٦)</sup> إِذَا ضُلَّ ، عُرْكَةٌ لِلْأَذَاةِ

- (١) في بلاغات النساء ولسان العرب (مادة بضع) : « وخلصني » .  
(٢) كذا في بلاغات النساء ، أي من كل نكاح ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها  
بكرًا من بين نسائه . والذي في الأصول : « بضاعة » .  
(٣) تشير إلى حديث الإفك ونزول الوحي ببراءتها فيه تميز المؤمنين الذين وثقوا  
من براءتها من المنافقين الذين ذهبوا إلى اتهامها .  
(٤) الصعيد : التراب . والأبواء : المفازة ، ويروى : « الأقواء » . والأقواء : جمع  
قواء (كسحاب) ، وهو الفقر ، تريد أنها كانت سببا في رخصة التيمم ، لما  
ضاع عقدها في السفر وطلبوه ، فأصبحوا وليس معهم ماء ، فنزلت آية التيمم .  
انظر صحيح البخاري في باب التيمم (ج ١ ص ٧٠) . ولسان العرب (مادة قوى) .  
(٥) أغاض : نقص . (٦) حش النار : أوقدها ،  
(٧) جحظ العيون ، أي قد برزت عيونهم ، وشخصت أبصارهم ارتباطا وحيرة ، قد  
أسقط في يدهم .  
(٨) كذا في بلاغات النساء . والعدوة : الوتة . والذي في الأصول : « القدرة » .  
(٩) الثأى : الإفساد . (١٠) أود : عطف وألان .  
(١١) كذا في بعض الأصول وبلاغات النساء . وامتاح : انتزع . والذي في سائر الأصول :  
« انتاش » . وانتاش : أخرج .  
(١٢) في بلاغات النساء : « المهواة » . (١٣) اجتني : استأصل .  
(١٤) أعطن الوارد : حبس إليه عند الماء . وهذا كناية عن تأمين السبل .  
(١٥) مرعيا ، من المراعاة ، وهي الحفظ والرفق وتخفيف الأثقال .  
(١٦) اللابتان : مثني اللابة ، وهي الحرة ، تريد أنه واسع الحيلة حين يضل الناس مصادرهم .

بِجَنَبِهِ<sup>(١)</sup>، صَفُوحًا عَنْ أَذَى الْجَاهِلِينَ، يَقْظَانِ اللَّيْلَ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ، فَسَلِّكَ  
مَسَلَّكَ السَّابِقِيهِ، فَفَرَّقَ شَمْلَ الْفِتْنَةِ، وَجَمَعَ أَعْضَادَ مَا جَمَعَ الْقُرْآنُ، وَأَنَا نُصَّبُ  
الْمَسْأَلَةَ عَنْ مَسِيرِي هَذَا<sup>(٢)</sup>، لَمْ أَلْتَمَسْ إِعْمًا، وَلَمْ أُورَّثْ<sup>(٣)</sup> فِتْنَةً أُوطِئُكُوهَا. أَقُولُ  
قَوْلِي هَذَا صِدْقًا وَعَدْلًا، وَإِعْذَارًا وَإِنْذَارًا، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَنْ  
يُخَلِّفَهُ فِيكُمْ بِأَفْضَلِ خِلَافَةِ الْمُرْسَلِينَ.

خُطْبَةٌ<sup>(٤)</sup> لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ:

أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَوْثَقُ الْعُرَى كَلِمَةُ التَّقْوَى<sup>(٥)</sup>. أَكْرَمُ  
الْمَلَلِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. خَيْرُ الشُّنَنِ سُنَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
شَرُّ الْأُمُورِ مُخْذَنَاتُهَا، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا<sup>(٦)</sup>. مَا قَلَّ وَكَفَى، خَيْرٌ مِمَّا  
كَثُرَ وَأَلْهِىَ. لَنَفْسٍ تُحْيِيهَا<sup>(٧)</sup> خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُخْصِيهَا. خَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ. ١٠  
خَيْرٌ مَا أُلْقِيَ فِي الْقُلُوبِ الْيَقِينُ. الْحَرُّ جَمَاعُ الْآثَامِ. النِّسَاءُ حِبَائِلُ الشَّيْطَانِ.  
السُّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ. حُبُّ السِّكَايَةِ مِفْتَاحُ الْمُعْجَزَةِ. شَرُّ النَّاسِ مَنْ  
لَا يَأْتِي الْجَمَاعَةَ إِلَّا دُبْرًا، وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا هُجْرًا<sup>(٨)</sup>. سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ،  
وَقِتَالُهُ كُفْرٌ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مَعْصِيَةٌ. مَنْ يَتَأَلَّ<sup>(٩)</sup> عَلَى اللَّهِ يُكْذِبُهُ، وَمَنْ يَغْفِرْ

(١) العرك: الدلك. ويقال: عرك بجنبه ما كان من صاحبه، كأنه حكه حتى عفاه. ١٥

نصفه بالاحتمال. (٢) أى لأنها عرضة لأن تسأل عن خروجها لما خرجت له.

(٣) أُوْرث: أشعل وأوقد. وفي بعض الأصول: «أدلس».

(٤) أكثر ما في هذه الخطبة مما يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٥) كذا في بعض الأصول والبيان (ج ٢ ص ٢٧) وإيجاز القرآن (ص ١٢٢).

والذى في سائر الأصول: «التقوى خير زاد». ٢٠

(٦) كذا في بعض الأصول والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٧). والذى في سائر

الأصول: «عزائمها». (٧) في بعض الأصول: «تحميمها».

(٨) دبرا، يروى بالضم والفتح، وهو آخر أوقات الشيء في الصلاة وغيرها.

والهجر: الترك والإغفال. يريد تركه للذكر وإصراضه عنه.

(٩) يتألى: يقسم. ومن تأل على الله، أى من حكم عليه تعالى وحلف، كقول من ٢٥

يقول: والله لينجحن الله سعى فلان. وفي الحديث: ويل للمتألين من أمتي.

يعنى الذين يحكمون على الله ويقولون فلان في الجنة وفلان في النار.



يُغْفَرُ لَهُ . مَكْتُوبٌ فِي دِيْوَانِ الْمُحْسِنِينَ : مَنْ عَفَا عُنِيَ عَنْهُ . الشَّقِيُّ شَقِيٌّ<sup>(١)</sup>  
فِي بَطْنِ أُمِّهِ . التَّعْمِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ . الْأُمُورُ بِعَوَاقِبِهَا . مَلَاكَ الْأُمُورَ خَوَاتِمُهُ .  
أَحْسَنُ الْهَدَى هَدَى الْأَنْبِيَاءِ . أَقْبَحُ الضَّلَالَةِ الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْهَدَى . أَشْرَفُ الْمَوْتِ  
الشَّهَادَةُ . مَنْ يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يَصْبِرُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْبَلَاءَ يُنْكِرُهُ .

خطبة لعقبة بن غزوارة بعد فتح الأندلس :

حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : إِنَّ الدُّنْيَا  
قَدْ تَوَلَّتْ وَقَدْ آذَنْتْ أَهْلَهَا مِنْهَا بِصَرْمٍ ، وَإِنَّمَا بَقِيَ مِنْهَا صُتْبَابَةٌ كَصُتْبَابَةِ الْإِنَاءِ  
يَصْطَبُّهَا صَاحِبُهَا . أَلَا وَإِنَّكُمْ مُفَارِقُوهَا لَا مُحَالَةَ ، فَمَارِقُوهَا بِأَحْسَنِ مَا يَخْضُرُكُمْ .  
أَلَا وَإِنْ مِنَ الْعَجَبِ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ الْحَجَرَ  
الضَّخْمَ يُرْمَى بِهِ فِي شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوَى فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ،  
بَيْنَ كُلِّ بَابَيْنِ مِنْهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ، وَلَيَأْتِينَ عَلَيْهَا سَاعَةٌ وَلَهَا كَظِيمٌ<sup>(٢)</sup> بِالزَّحَامِ .  
وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابِعَ سَبْعَةٍ ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ  
الْبَشَامِ<sup>(٣)</sup> ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا ، فَوَجَدْتُ أَنَا وَسَمْعُ<sup>(٤)</sup> [ بْنِ مَالِكٍ ] تَمْرَةً فَشَقَقْتُهَا  
بَيْنِي وَبَيْنَهُ نِصْفَيْنِ ، وَمَا مَنَّا أَحَدُ الْيَوْمِ إِلَّا وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مِصْرٍ . وَإِنَّهُ لَمْ تَسْكُنْ  
نَبْوَةَ قَطٍ إِلَّا تَنَاسَخَتْ<sup>(٥)</sup> ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا ، وَفِي  
أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرًا .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « مِنْ شَقِيٍّ » .

(٢) كَظِيمٌ ، أَيْ امْتَلَاءٌ . وَانْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ (مَادَّةُ كَظ) فَقَدْ سَمِعْتُ الْعِبَارَةَ هُنَاكَ

فِي ذِكْرِ بَابِ الْجَنَّةِ مَعَ اخْتِلَافٍ يَسِيرٍ .

(٣) الْبَشَامُ : شَجَرٌ عَطَّرَ الرَّاحَةَ يَسْتَاكُ بِهِ .

(٤) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْبَيَانِ (ج ٢ ص ٢٧) وَالْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ (ج ٢

ص ١٨٨) . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « سَعِيدٌ » .

(٥) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَلِسَانَ الْعَرَبِ (مَادَّةُ نَسَخَ) . وَتَنَاسَخَتْ : تَدَاوَلَتْ . يُشِيرُ

إِلَى تَحَوُّلِ الْأُمُورِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ . وَفِي الْبَيَانِ : « تَنَاسَخَتْهَا جَبْرِيةٌ » . وَالْجَبْرِيةُ :

الْجَبْرُوتُ . يَرِيدُ مَا مِنْ ضَعْفٍ إِلَّا اسْتَحَالَ قُوَّةً وَسُلْطَانًا . وَالَّذِي فِي سَائِرِ

الْأَصُولِ : « تَنَاسَخَتْهَا » .

## خطبة لعمر بن سعيد الأسدي :

لما عقد معاوية ليزيد البيعة قام الناس يخطبون ، فقال لعمر بن سعيد :  
 قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن يزيد بن  
 معاوية أملٌ تأملونه<sup>(١)</sup> ، وأجل تأمنونه<sup>(٢)</sup> ، إن استضعفتم إلى حلمه وسمعكم ، وإن  
 أحتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن أفقرتم إلى ذات يده أغناكم ؛ جَدَعَ قَارِحَ<sup>(٣)</sup> ،  
 سُوْبِقَ فَسْبِقَ ، ومُوجِدَ فَمَجِدَ ، وقُورِعَ فَقَرَعَ ، فهو خَلَفَ أمير المؤمنين ولا  
 خَلَفَ منه . فقال له معاوية : أوسعت أبا أمية ، فأجاس .

## خطبة لعمر بن سعيد بالمدينة :

قال أبو [ الفضل ] العباس بن الفرَج الرِّياشي : حَدَّثَنَا ابنُ عائشة قال :  
 قَدِمَ عمرو بن سعيد بن العاص الأَشَدُّقُ المَدِينَةَ أميرًا ، فخرج إلى منبر رسول الله  
 صَلَّى الله عليه وسلم ، فَمَعَدَ عليه وَغَمَضَ عَيْنِيهِ ، وعليه جُبَّةٌ خَزْرَمِيَّةٌ ، ومُطَرَفٌ خَزْرَمِيٌّ  
 قَرَمِيٌّ ، وعمامة خَزْرَمِيَّةٌ . فجعل أهلُ المدينة يَنْظُرُونَ إلى ثِيَابِهِ إعْجَابًا بها . ففتح  
 عَيْنِيهِ فَإِذَا النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فقال : ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إلى  
 أبصاركم ، كأنكم تريدون أن تضربونا بسيوفكم ! أغركم أنكم فعلتم  
 ما فعلتم فَعَفَوْنَا عَنْكُمْ ! أما إنه لو أُثْبِتَ بالأولى ما كانت الثانية . أغركم أنكم  
 قَتَلْتُمْ عُثْمَانَ فَوَافَقْتُمْ ثَائِرَنَا<sup>(٣)</sup> ، منّا رَفِيقًا ، قد فَنِيَ غَضَبُهُ ، وبَقِيَ حِلْمُهُ ! أَعْتَمَنُوا  
 أَنْفُسَكُمْ فَقَدْ وَاللهِ مَلَكَناكم بالشَّبابِ الْمُقْتَبِلِ ، البَعِيدِ الْأَمَلِ ، الطَوِيلِ الْأَجَلِ ،  
 حِينَ فَرَّغَ مِنَ الصَّغَرِ ، ودَخَلَ فِي الْكِبَرِ ؛ حَلِيمٌ حَدِيدٌ ، لَيِّنٌ شَدِيدٌ ؛ رَفِيقٌ كَثِيفٌ ،  
 رَفِيقٌ عَنيفٌ ؛ حِينَ أَشْتَدَّ عَظْمُهُ ، وأَعْتَدَلَ جِسْمُهُ ؛ وَرَمَى الدَّهْرَ بِبَصَرِهِ ، وَأَسْتَقْبَلَهُ

(١) يشير إلى ما ستكون عليه مدة خلافته من الطول لأنه تولاها شابا .

(٢) أي حدث ولكنه كامل مجرب . والجذع ، في الأصل : الفرس في سنته الثانية .

والقارح : الذي كُتِلَ أَسْنَانُهُ ، وذلك إذا استتم الخامسة ودخل في السادسة .

(٣) وافقتم : وجدتم . والثائر : الآخذ بالثأر .

بأشهره ؛ فهو إن عَضَّ نَهَسَ<sup>(١)</sup> ، وإن سَطَا فَرَسَ<sup>(٢)</sup> ؛ لا يُقْلَقُ له إلَّا حَصَى<sup>(٣)</sup> ، ولا تُقْرَعُ له العَصَا<sup>(٤)</sup> ، ولا يَمْشِي السَّمْهَى<sup>(٥)</sup> . قال : فما بَقِيَ بعد ذلك إلا ثلاث سنين وثمانية أشهر حتى قَصَمَهُ الله .

١٩٢  
٢

وهذه لعمر و بركة :

الْعُتْبَى قال : أَسْتَعْمَلُ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ وَالِي عَلَى الْمَدِينَةِ أَبْنَهُ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ وَالْيَا عَلَى مَكَّةَ ، فَلَمَّا قَدِمَ لَمْ يَلْقَهُ قُرْشَى وَلَا أُمُومَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْحَارِثُ ابْنُ تَوْفَلٍ ، فَلَمَّا لَقِيَهُ قَالَ لَهُ : يَا حَارِ ، مَا الَّذِي مَنَعَ قَوْمَكَ أَنْ يَلْقَوْنِي كَمَا لَقَيْتَنِي ؟ قَالَ : مَا مَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا أَسْتَقْبِلْتَنِي بِهِ ، وَاللَّهِ مَا كُنْتِغْتَنِي وَلَا أَتَمَمْتُ أَسْمَى ، وَإِنَّمَا أَنَهَاكَ عَنِ التَّكْبَرِ<sup>(٦)</sup> عَلَى أَكْفَانِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرْفَعُكَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَضَعُهُمْ لَكَ . قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَسَاءَتِ الْمَوْعِظَةُ وَلَا أَتَهْمُكَ عَلَى النَّصِيحَةِ ، وَإِنَّ الَّذِي رَأَيْتَ مِنِّي لَخُلُقٌ . فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، مَعْشَرَ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَإِنَّا سَكَنَّاها حَقِيقَةً<sup>(٧)</sup> ، وَخَرَجْنَا عَنْهَا رَغْبَةً ، وَكَذَلِكَ كُنَّا إِذَا رُفِعَتْ لَنَا لَهْوَةٌ<sup>(٨)</sup> بَعْدَ لَهْوَةٍ أَخَذْنَا أَسْنَانَهَا وَنَزَلْنَا أَعْلَاهَا ؛ ثُمَّ شَدَخَ<sup>(٩)</sup> أَمْرُ بَيْنِ أَمْرَيْنِ ، فَقَتَلْنَا وَقُتِلْنَا ؛ فَوَاللَّهِ مَا نَزَعْنَا وَلَا نَزَعْنَا عَنَّا ، حَتَّى

٥

١٠

١٥

٣٠

٢٥

- (١) يقال : نهس اللحم ، إذا أخذه بمقدم أسنانه وتغفه .  
(٢) فرس الفريسة : دق عنقها .  
(٣) القلقلة : شدة اضطراب الشيء وتحركه . وقد تقلقل صغار الخصى في الخلالة ونحوها .  
(٤) أي أنه لا يخطئ حتى يفتنه إلى خطئه بقرع العصا . يشير إلى المثل : إن العصا قرعت لذي الحلم .  
(٥) السمهى : الباطل والكذب . ويقال : جرى فلان السمهى ، أي جرى إلى غير أمر يعرفه .  
(٦) في بعض الأصول : « التشنجر » . والتشنجر : التوعد والتهديد . وإن صحت فلعله يريد بها لازم معناها ، فلا يتوعد ولا يتهدد إلا من علا ، ومع العلو يكون الكبر .  
(٧) في بعض الأصول : غبطة .  
(٨) اللهوة (بالضم والفتح) : العطية . ويريد بها الولاية .  
(٩) شدخ ، أي فرق وباعد . والشدخ (في الأصل) : الكسر . وفي بعض الأصول : « شرج » .

شَرِبَ الدَّم دَمًا ، وَأَكَلَ اللَّحْم لَحْمًا ، وَقَرَعَ الْعَظْمَ عَظْمًا ؛ فَوَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ ، وَأَخْتِيَارَهُ لَهُ ؛ ثُمَّ وَلَّى أَبُو بَكْرٍ لِسَابِقَتِهِ وَفَضْلَهُ ؛ ثُمَّ وَلَّى عُمَرُ ، ثُمَّ أُجِيلَتْ قِدَاحُ نَزْعِنِ مِنْ شُعْبٍ <sup>(١)</sup> حَوْلَ نَبْعَةٍ ، فَفَازَ بِحَظِّهَا <sup>(٢)</sup> أَضْلُبُهَا وَأَعْتَقَهَا ، فَسَكَنَّا بَعْضَ قِدَاحِهَا ، ثُمَّ شَدَخَ <sup>(٣)</sup> أَمْرَ بَيْنِ أَمْرَيْنِ ، فَقَتَلْنَا وَقَتَلْنَا ، فَوَاللَّهِ مَا نَزَعْنَا وَلَا نَزَعْنَا عَنْهُ حَتَّى شَرِبَ الدَّم دَمًا ، وَأَكَلَ اللَّحْم لَحْمًا ، وَقَرَعَ الْعَظْمَ عَظْمًا ، وَعَادَ الْحُرَامُ حَلَالًا ، وَأُسْكِتَ كُلُّ ذِي حِسٍّ عَنْ ضَرْبِ مُهَنْدٍ ، عَرَّكَ عَرَّكَ ، وَعَسَفَا عَسَفًا ، وَوَحَزَا وَهَنَسًا ، حَتَّى طَابُوا عَنْ حَقِّقِنَا أَنْفُسًا . وَاللَّهُ مَا أَعْطَوْهُ عَنْ هَوَادَةٍ ، وَلَا رَضُوهُ فِيهِ بِالْقَضَاءِ ، أَصْبَحُوا يَقُولُونَ : حَقَّقْنَا غُلْبَنَا عَلَيْهِ ، فَجَزَيْنَا هَذَا بِهَذَا وَهَذَا فِي هَذَا . يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، أَنْفُسُكُمْ أَنْفُسُكُمْ ، وَسُفْهُاءُكُمْ سُفْهُاءُكُمْ ، فَإِنْ مَعِيَ سَوْطًا نَكَالًا ، وَسَيْفًا وَبَالًا ، وَكُلُّ مُصِيبٍ <sup>(٤)</sup> عَلَى أَهْلِهِ ، ثُمَّ نَزَلَ . ١٠

#### خطبة لمؤلف بن قيس :

قال بعد حمد الله والثناء عليه : يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ وَرَبِيعَةَ ، أَنْتُمْ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَائُنَا فِي الصَّهْرِ ، وَأَشْقَاؤُنَا فِي النَّسَبِ ، وَجِيرَانُنَا فِي الدَّارِ ، وَبِدُنَا عَلَى الْمَدْوِ . وَاللَّهُ لِأَزْدِ الْبَصْرَةِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ تِمِيمِ الْكَوْفَةِ ، وَلِأَزْدِ الْكَوْفَةِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ تِمِيمِ الشَّامِ ، فَإِنْ اسْتَشْرَى <sup>(٥)</sup> شَنَا نَكَمَ ، [وَأَبَى] حَسَدَ صُدُورِكُمْ ، ١٥  
فَفِي أَحْلَامِنَا وَأَمْوَالِنَا سَعَةً لَنَا وَلَكُمْ .

#### خطبة ليوسف بن عمر :

قام خطيباً فقال : اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، فَكَمْ مُؤَمِّلٌ أَمَلًا لَا يَبْلُغُهُ ، وَجَامِعٌ مَالًا لَا يَأْكُلُهُ ، [وَمَانِعٌ] عَمَّا <sup>(٦)</sup> سَوْفَ يَتْرَكُهُ ؛ وَلَهُ مِنْ بَاطِلِ جَمْعِهِ ، وَمِنْ

- (١) كذا في بعض الأصول . والشعب : الأغصان ؛ الواحد : شعبة . يشير إلى أصحاب الدورية الستة ، شبههم بأغصان النبتة . والذي في سائر الأصول : «شعاب جولة سعة» . وفيها تحريف ظاهر . (٢) في بعض الأصول : «بخطبها» . (٣) انظر الحاشية رقم ٩ (ص ١٣٣) . (٤) في بعض الأصول : «منصوب» . (٥) في بعض الأصول : «استغفر» . (٦) في بعض الأصول : «مما» . وما أثبتناه عن سائر الأصول والبيان (ج ٢ ص ٧١) ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٥٥) . ٢٠

حق مَنَعَهُ . أصابه حراماً ، وأورثه عدواً حلالاً ؛ فأَحْتَمَلَ إِصْرَهُ <sup>(١)</sup> ، وباءَ  
بِوزَرِهِ ، ووردَ على رَبِّهِ أسفاً لَهْفاً ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ، ذلك هو  
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

خطبة لشماد بن أوسى الطائي :

• حمد الله وأثنى عليه وقال : أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ  
وَالْفَاجِرُ . أَلَا إِنَّ الْآخِرَةَ وَعْدٌ صَادِقٌ ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلَكٌ قَادِرٌ . أَلَا إِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ  
بِحِذَائِهِ فِي الْجَنَّةِ ، أَلَا إِنَّ الشَّرَّ كُلَّهُ بِحِذَائِهِ فِي النَّارِ . فَاعْمَلُوا مَا تَحِلُّمُ وَأَنْتُمْ  
فِي يَقِينٍ مِنَ اللَّهِ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَعْرُوضَةٌ أَعْمَالُكُمْ عَلَى اللَّهِ ، (فَمَنْ يَفْعَلْ مِثْقَالَ  
ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَفْعَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ .

خطبة لخالد بن عبد الله القسري :

صَعِدَ الْمَنْبَرُ يَوْمَ جُمُعَةٍ وَهُوَ إِلَى مَكَّةَ فَذَكَرَ الْحِجَّاجَ فَأَحْمَدَ <sup>(٢)</sup> طَاعَتَهُ وَأَثْنَى  
عَلَيْهِ خَيْرًا . فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ  
يَأْمُرُهُ فِيهِ بِشَتْمِ الْحِجَّاجِ وَذِكْرِ عِيُوبِهِ وَإِظْهَارِ الْبَرَاءَةِ مِنْهُ . فَصَعِدَ الْمَنْبَرُ فَحَمَدَ  
اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِنْ إِبْلِيسُ كَانَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَانَ يُظْهَرُ مِنْ طَاعَةِ  
اللَّهِ مَا كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ تَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ عَلِمَ مِنْ غِشِّهِ وَخُبْنِهِ مَا خَفِيَ  
عَلَى مَلَائِكَتِهِ <sup>(٣)</sup> ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ أَبْتَلَاهُ بِالشُّجُودِ لِأَدَمَ ، فَظَهَرَ لَهُمْ مَا كَانَ  
يُخْفِيهِ عَنْهُمْ ، فَلَعَنُوهُ ؛ وَإِنْ الْحِجَّاجُ كَانَ يُظْهَرُ مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنَّا  
نَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ أَطْلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غِشِّهِ وَخُبْنِهِ عَلَى مَا خَفِيَ  
عَنَّا ، فَلَمَّا أَرَادَ فَضِيحَتَهُ أَجْرَى ذَلِكَ عَلَى يَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَعَنُوهُ ، لَعَنَهُ اللَّهُ .

١٩٣  
٢

خطبة لخصب بن الزبير :

قَدِمَ الْعِرَاقَ فَصَعِدَ الْمَنْبَرُ ثُمَّ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : (طَسِمْ ، تِلْكَ

(١) الإصر : الذنب . (٢) أحدهما : أى عددا محمودة مرضية .

(٣) في بعض الأصول : « عليها » مكان « على ملائكته » .

- آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) — وأشار بيده نحو الشام (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) — وأشار بيده نحو الحجاز — (وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) — وأشار بيده نحو العراق .

خطبة للنعمان بن بشير بالكوفة :

- قال : إني والله ما وجدتُ مثلي ومثلكم إلا الضميع والثعالب ، أنيا الضب في جُحره ، فقالا : أبا حنبل ؛ قال : أجبتكما ؟ قال : جئتكم نختمكم ؛ قال : في بيته يؤتى الحكم ؛ قالت الضميع : فتحت عيني ؛ قال : فعل النساء فعلت ؛ ١٠ قالت : فلقطت ثمرة ؛ قال : حلوا أجتني ؛ قالت : فأختطفها ثعالة ؛ قال : لنفسه بنى الخير ؛ قالت : فلطمته لطمه ؛ قال : حقاً قضيت ؛ قالت : فلطمني أخرى ، قال : كان حرّاً فأنتصر ؛ قالت : فاقض الآن بيننا ؛ قال : حدث امرأة حديثين ، فإن أثبت فأربع ، أي أسكت<sup>(١)</sup> .

خطبة شبيب بن شيبه :

- ١٥ قيل لبعض الخلفاء إن شبيب بن شيبه يستعمل الكلام ويستعذله<sup>(٢)</sup> ، فإن أمرته أن يصعد المنبر لرجوت أن يفتضح . قال : فأمر رسولا فأخذ بيده إلى المسجد فلم يفارقه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم حق الصلاة عليه ، ثم قال : ألا إن لأمير المؤمنين أشباهاً أربعة : الأسد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر . فأما ٢٠

(١) وروى : فأربع ، بقطع الهمزة : أي إن لم تفهم فكرر القول أربع مرات .

(انظر اللسان مادة ربع وجمع الأمثال للبيداني (ج ٢ ص ١٣) .

(٢) كذا في بعض الأصول . والتي في سائر الأصول : «ويستعده» . انظر الحاشية

رقم (٤ وه ص ١٣٨) من الجزء الثاني من هذه الطبعة .

الأسد الخادر ، فأشبهه منه صَوْلَتَه وَمَضَاه ؛ وأما البحر الزاخر ، فأشبهه منه  
جُودَه وعطاءه ؛ وأما القمر الباهر ، فأشبهه منه نُورَه وضيأه ؛ وأما الربيع  
الفاضر ، فأشبهه منه حُسْنَه وبهائه ، ثم نزل [ عن المنبر ] وأنشأ يقول :  
وموقف مثل حَدِّ السَّيْفِ قُمْتُ به أُحْيِي الذَّمَّارَ وَتَرْمِينِي به الْحَقُّ  
فَمَا زَلَيْتُ وَمَا أَقْبَيْتُ كَاذِبَةً إِذَا الرَّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهِ زَلِقُوا

خطبة لعنبة بن أبي سفيان :

بلغه عن أهل مِصْرَ شَيْءٌ فَأَغْضَبَهُ ، فقام فيهم فقال بعد أن حَمِدَ الله وأثنى  
عليه : يَا أَهْلَ مِصْرَ ، إِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِلسَّيْفِ حَصِيدًا ، فَإِنَّ اللَّهَ فِيكُمْ ذَبِيحًا<sup>(١)</sup>  
بُعْثَان ، أَرْجُو أَنْ يُؤَلِّينِي اللَّهُ نُسْكَه<sup>(٢)</sup> . إِنَّ اللَّهَ جَمَعَكُمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْفُرْقَةِ ،  
فَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، وَكَانَ وَاللهُ أَذْكَرَكُمْ إِذَا ذُكِرَتْ بِحُطَّةٌ ، وَأَضْفَحَكُمْ  
بَعْدَ الْمَقْدَرَةِ عَنْ حَقِّهِ ؛ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ فِيكُمْ ، وَمِنَّةً<sup>(٣)</sup> مِنْهُ عَلَيْكُمْ . وَقَدْ بَلَّغْنَا  
عَنْكُمْ نَجْمٌ قَوْلَ<sup>(٤)</sup> أَظْهَرَهُ تَقَدُّمُ عَفْوِ مَنَّا ، فَلَا تَصِيرُوا إِلَى وَخْشَةِ الْبَاطِلِ بَعْدَ  
أَنْسِ الْحَقِّ ، بِأَحْيَاءِ الْفِتَنِ ، وَإِمَانَةِ الشُّنَنِ ، فَأَطِئُوا اللَّهَ وَطَاةً لَا رَمَقَ مَعَهَا ،  
حَتَّى تُنْكَرُوا مَنَّى مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ ، وَتَسْتَخْشِنُوا مَا كُنْتُمْ تَسْتَلِينُونَ ، وَأَنَا  
أُشْهِدُ عَلَيْكُمْ الَّذِي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ .

وخطبة لعنبة بن أبي سفيان :

يَا حَامِلِي الْأَمِّ أَنْوَفَ رُكْبَتَيْ بَيْنِ أَعْيُنِ ، إِنَّمَا قَلَّتْ أَظْفَارِي عَنْكُمْ لِيَلِينَ  
مَسِّي إِيَّاكُمْ ، وَمَا لَكُمْ صَلَاحَكُمْ إِذَا كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ ، فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ  
إِلَّا الطَّمْعَ عَلَى الْوُلَاةِ ، وَالتَّنَقُّصَ لِلسَّلَفِ ، فَوَاللهِ لَا قُطْعَانَ عَلَى ظُهُورِكُمْ بَطْلُونَ  
السَّيَاطِ ، فَإِنْ حَسَمْتُ دَاءَكُمْ ، وَإِلَّا فَالسَّيْفُ مِنْ وَرَائِكُمْ . وَلَسْتُ أَبْجُلُ عَلَيْكُمْ

(٢) النِّسْكَ : الدِّم .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « ذَبْحًا » .

(٤) أَيْ بِإِدْرَةِ مِنْ كَلَامِ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « نِعْمَةٌ » .

بالعقوبة إذا جُذِّمَ لنا بالمعصية ، ولا أؤيسكم من مراجعة الحسنى إن صيرتم إلى  
التي هي أبرُّ وأتقى <sup>(١)</sup> .

وخطبة لعنبة بن أبي سفيان :

لما أشتكى شكاكته التي مات فيها تحامل إلى المنبر ، فقال : يا أهل مضر ،  
لا غنى عن الرب ، ولا مهرَب من ذنب . إنه قد تقدَّمت مني إليكم عُقوبات •  
كنت أرجو يومئذ الأجر فيها ، وأنا أخاف اليوم الوزر منها ، فليمتني لا أكون  
أخترت دُنياي على معادى ، فأصلحتكم بفسادى . وأنا أستغفر الله منكم ، وأنوب  
إليه فيكم ؛ فقد خفتُ ما كنت أرجو نفعاً عليه ، ورجوتُ ما كنت أخاف  
أغتيالاً <sup>(٢)</sup> به ، وقد شقَّ من هلك بين رحمة الله وعقوبته <sup>(٣)</sup> ، والسلام عليكم  
سلام من لا تروونه عائداً إليكم . قال : فلم يعد .

١٠

وخطبة لعنبة :

العتبي : قال سعد القصر <sup>(٤)</sup> : أحتبست عني كتب معاوية بن أبي سفيان  
حتى أرجف أهل مضر بموته ، ثم قدِم علينا كتابه بسلامته ، فصعد عتبة المنبر  
والكتاب في يده ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل مضر ، قد طال  
مُعاصبتنا إياكم بأطراف الرِّماح ، وظلمات السيوف ، حتى صيرنا شجى •  
١٥ في لهواتكم <sup>(٥)</sup> ما تُسيغه خلوقكم ، وأقذاً في أعينكم ما تطرف عليها جفونكم .  
أخين أشتدت عرى الحق عليكم عقداً ، وأسترخت عُقد الباطل عنكم حلاً ،  
أزجفت بالخليفة ، وأردتم تهوين الخلاف ، وخضتم الحق إلى الباطل ، وأقدم

(١) انظر الكامل للمبرد (ص ٧٨٣ طبعة أوربة) والأمالى (ج ١ ص ٢٤٥)

٢٠

وصبح الأعشى (ج ١ ص ٢١٦) . فبين النصوص خلاف .

(٢) في : « اعتباطاً » . يقال : اعتبط الذبيحة ، إذا نحرها من غير علة .

(٣) في بعض الأصول : « وعفوه » .

(٤) كذا في الكامل والمعارف . والذي في سائر الأصول : « القصير » .

(٥) في بعض الأصول : « لهائم » . وما أثبتناه عن سائر الأصول وعيون الأخبار

٢٥

(ج ٢ ص ٢٣٩) .



وقال ويقول ، قبل أن يُقال فعل ويفعل ، وكونوا خير قوسٍ تسهمًا ، فهذا اليوم الذي ليس قبله عتاب ، ولا بعده عتاب .

## خطب الخوارج

خطبة<sup>(١)</sup> لقطري بن الفجاءة في زمم الدنيا :

- صعد قطري بن الفجاءة منبر الأزارقة ، وهو أحد بني مازن بن عمرو بن تميم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإني أحذركم الدنيا ، فإنها حُلوة خضرة ، حُفَّت بالشَّهوات ، وراقت بالقليل ، وتَحَيَّيت بالعاجلة ، وَغُمِرَت بالآمال ، وَتَحَلَّتْ بِالْأُمَامَى ، وَأَزْمِنْتَ بِالْفُرُور ، لا تَدُومُ خُضْرَتِهَا ، ولا تُؤَمِّنُ فَجَعَتِهَا ، غَدَارَةٌ ضَرَّارَةٌ ، وَحَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ، وَنَافِذَةٌ بَائِدَةٌ ، لا تَعْدُو إِذَا هِيَ تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَةِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَا عَنْهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ( كَيْدٌ أُنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ) . مع أنَّ أَسْرَأَ لِمَ يَكُنْ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَيْبَةٌ ، وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحْتَهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا ، وَلَمْ تَطْلُغْ مِنْهَا رِيْمَةٌ رَخَاءً ، إِلَّا هَطَلَتْ عَلَيْهِ مِرْنَةٌ بِلَاءٍ ؛ وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةٌ أَنْ تُنْفِىَ لَهُ خَازِلَةٌ مُتَنَكِّرَةٌ ، وَإِنْ جَانِبُ مِنْهَا أُعْذُوبٌ وَأَحْلُولِي ، أَمَرٌ عَلَيْهِ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبِي ، وَإِنْ لَبَسَ أَسْرَوْ مِنْ غَضَارَتِهَا وَرَفَاهِيَتِهَا نِعْمًا ، أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا غَمًّا ،

(١) جاءت هذه الخطبة في شرح نهج البلاغة ( ج ٢ ص ٢٤٢ ) بين خطب الإمام على كرم الله وجهه ، وقال ابن أبي الحديد في التعليق عليها : « وهذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين ، ورواها لقطري بن الفجاءة ، والناس يروونها لأمر المؤمنين عليه السلام . وقد رأيتها في كتاب الموقن لأبي عبد الله المرزباني سرودة لأمر المؤمنين عليه السلام ، وهي بكلام أمير المؤمنين أشبه . وليس يبعد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ، وقد لقي قطري أكثرهم » .

ولم يُمْسِ أَمْرُهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ ، إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ . غِرَارَةٌ  
 غُرُورٌ مَا فِيهَا ، فَانِيَةٌ فَإِنْ مَا عَلَيْهَا ، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى ، مَنْ  
 أَقَلَّ مِنْهَا أَسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمَنُ بِهِ ، وَمَنْ أَسْتَكْثَرَ مِنْهَا <sup>(١)</sup> اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْبَقُ . كَمْ وَاقٍ  
 بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ ، وَذَى طُمَأْنِينَةً إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَكَمْ مِنْ [ ذَى ] اخْتِيَالٍ <sup>(٢)</sup> فِيهَا  
 قَدْ خَدَعَتْهُ ، وَكَمْ [ مَنْ ] ذَى أَثْبَتَهُ فِيهَا قَدْ صَيَّرَتْهُ حَقِيرًا ، وَذَى نَخْوَةً فِيهَا قَدْ رَدَّتْهُ ٥  
 ذَلِيلًا ، وَذَى تَاجٍ قَدْ كَبَّجَتْهُ لِلْيَدِينِ وَالنِّم . سُلْطَانُهَا دُؤْلٌ ، وَعَيْشُهَا رَتْقٌ ،  
 وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ ، وَحُلُوهَا مَرٌّ ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ <sup>(٣)</sup> ، وَقِطَافُهَا  
 سَلَعٌ <sup>(٤)</sup> . حَيْثُهَا بَعَرَضَ مَوْتُ ، وَصَحِيحُهَا بَعَرَضَ سُقْمٌ ، وَمَنْعِيهَا بَعَرَضَ اهْتِضَامٌ .  
 مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَصَحِيحُهَا وَسْلِيمُهَا مَنَسْكُوبٌ ، وَحَازِئُهَا <sup>(٥)</sup>  
 وَجَامِعُهَا مَخْرُوبٌ ، مَعَ أَنْ مِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَزَفَرَاتِهِ ، وَهَوْلُ الْمُطْلَعِ ، ١٠  
 وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ  
 الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى . أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنَ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَطْوَلُ أَعْمَارًا ، وَأَوْضَحُ  
 آثَارًا ، وَأَعَدَّ عَدِيدًا ، وَأَكْثَفَ جُنُودًا ، وَأَعْتَدَ عَتَادًا ، وَأَطْوَلُ عِمَادًا ! تَعَبَّدُوا  
 ١٩٦  
 ٢  
 لِلدُّنْيَا أَيْ تَعَبَّدُوا ، وَآثَرُوهَا أَيْ إِثَارَ ، وَظَنُّوهَا عَنْهَا بِالْكَرْهِ وَالصَّغَارِ ! فَهَلْ  
 بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَمَحَتْ لَكُمْ نَفْسًا بَفِدْيَةٍ ، وَأَغْنَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ أَمَلْتُمْ ١٥  
 بِهِ بِمُخْطَبٍ <sup>(٦)</sup> ! بَلْ أَثَقَلْتُمْ <sup>(٧)</sup> بِالْقَوَادِحِ ، وَضَعَضْتُمْ بِالنَّوَائِبِ ، وَعَقَرْتُمْ  
 الْعِنَاخِرَ ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمُ رَيْبُ الْمَنُونِ ، وَأَزْهَقَتْهُمْ بِالمَصَائِبِ . وَقَدْ رَأَيْتُمْ تَفَكَّرُهَا  
 لِمَنْ دَانَ لَهَا وَآثَرُهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ، حَتَّى ظَنُّوهَا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ ، إِلَى آخِرِ  
 الْأَمَدِ . هَلْ زَوَّدْتُمْ إِلَّا الشَّقَاءَ ، وَأَحْلَلْتُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ، أَوْ نَوَّرْتُمْ لَمْ إِلَّا

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ بَعْدَ قَوْلِهِ « مِنْهَا » : « لَمْ يَدِمَ لَهُ وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٌ مِنْهُ مَا اسْتَكْثَرَ

... الْح . وَانْظُرِ الْبَيَانَ وَالتَّبْيِينَ ( ج ٢ ص ٦٣ ) وَصَبْحَ الْأَعْمَى ( ج ١ ص

٢٢٣ ) وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ ( ج ٢ ص ٢٥٠ وَنَهَايَةَ الْأَرْبِ ج ٧ ص ٢٥٠ ) ، فَيَنْ

النَّصُوصُ خِلَافَ . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَكَمْ مِنْ اخْتِلَالٍ بِهَا » .

(٣) رِمَامٌ : بِالْيَاءِ . (٤) السَّلْعُ : شَجَرٌ صَرٌّ ، وَهُوَ أَيْضًا ضَرْبٌ مِنَ الصَّبْرِ .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَجَارَهَا » . (٦) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَأَرْهَقَهُمْ » . ٢٥

(٦) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « بِمُخْطَبٍ بِحِيلَةٍ » .

وقال ويقول ، قبل أن يُقال فعل ويفعل ، وكونوا خير قوَمٍ سَمَهاً ، فهذا اليوم الذي ليس قبله عِقاب ، ولا بعده عِقاب .

## خطب الخوارج

خطبة<sup>(١)</sup> لقطري بن الفجاءة في رسم الدنيا :

صعد قطري بن الفجاءة منبر الأزارقة ، وهو أحد بني مازن بن عمرو بن تميم ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإني أُحذِّركم الدنيا ، فإنها حُلوة خَضرة ، حُفَّت بالشَّهوات ، وراقت بالقليل ، وتحببت بالعاجلة ، وغُمرت بالأمال ، وتَحَلَّتْ بالأمانى ، وأزَيَّنت بالغرور ، لا تدوم خضرتها ، ولا تؤمن فجعتهما ، غَدَّارة ضَرَّارة ، وحائلة زائلة ، ونافذة بائدة ، لا تعدو إذا هي تنهات إلى أُمْنِيَّة أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله عز وجل : ( كما أنزلناه من السماء فأخبط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مُقْتَدِراً ) . مع أن أسراً لم يكن منها في حَبْرة إلا أعقبته بعدها عِبْرة ، ولم يَلْقَ من سرَّائها بطناً إلا مَنَحْتَه من ضرائها ظهراً ، ولم تَطْلُ منها دِيمة رَخاء ، إلا هَطَلت عليه مُزْنَةٌ بلاء ؛ وحرَّي إذا أصبحت له مُنْقَصرة أن تُعْشى له خاذلة مُتَنَكِّرة ، وإن جانب منها أعذوب وأحلول ، أسرت عليه منها جانب فأوَّي ، وإن لبس أسرو من غَضارتها ورفاهيتها نِعْماً ، أرهقته من نوائبها غمّاً ،

(١) جاءت هذه الخطبة في شرح نهج البلاغة ( ج ٢ ص ٢٤٢ ) بين خطب الإمام على كرم الله وجهه ، وقال ابن أبي الحديد في التعليق عليها : « وهذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين ، ورواها لقطري بن الفجاءة ، والناس يروونها لأمر المؤمنين عليه السلام . وقد رأيتها في كتاب الموق لأبي عبد الله المرزباني مروية لأمر المؤمنين عليه السلام ، وهي بكلام أمير المؤمنين أشبه . وليس يبعد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ، وقد لقي قطري أكثرهم » .

ولم يُمْسِ أمرؤ منها في جَنَاحِ أَمْنٍ ، إلا أَصْبَحَ منها على قِوَادِمِ خَوْفٍ . غِرَارَةٌ  
 غُرُورٌ ما فيها ، فانيةٌ فإن ما عليها ، لا خَيْرَ في شيءٍ من زادها إلا التَّقْوَى ، مَنْ  
 أَقَلَّ منها أَسْتَكْثَرَ مما يُؤْمَنُه ، ومن استَكْثَرَ منها <sup>(١)</sup> استَكْثَرَ مما يُؤْبَقُه . كم واثق  
 بها قد فَجَعَتْه ، وذى طُمَأْنِينَةٍ إليها قد صَرَعَتْه ، وكم من [ ذى ] اخْتِيَالٍ <sup>(٢)</sup> فيها  
 قد خَدَعَهُ ، وكم [ من ] ذى أَثْبَةٍ فيها قد صَيَّرَتْه حَقِيرًا ، وذى نَخْوَةٍ فيها قد رَدَّنَه  
 ذَلِيلًا ، وذى تاجٍ قد كَبَّيْتَه لِلْيَدِينِ والنِّم . سُلْطَانُهَا دُؤْلٌ ، وَعَيْشُهَا رَثَقٌ ،  
 وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ ، وَحُلُوهَا مَرٌّ ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ <sup>(٣)</sup> ، وَقِطَافُهَا  
 سَلَعٌ <sup>(٤)</sup> . حَيْثُهَا بَعَرَضَ مَوْتُ ، وَصَحِيحُهَا بَعَرَضَ سُقْمٌ ، وَمَنْعِيهَا بَعَرَضَ اهْتِضَامٌ .  
 مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَصَحِيحُهَا وَسْلِيمٌ مَمْسُوكٌ ، وَحَاضِرُهَا <sup>(٥)</sup>  
 وَجَامِعُهَا مَخْرُوبٌ ، مع أنَّ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَزَفَرَاتِهِ ، وَهَوْلُ الْمُطْلَعِ ،  
 وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ  
 الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى . أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنَ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَطْوَلُ أَعْمَارًا ، وَأَوْضَحُ  
 آثَارًا ، وَأَعَدَّ عِيدًا ، وَأَكْثَفَ جُنُودًا ، وَأَعْتَدَ عَتَادًا ، وَأَطْوَلُ عِمَادًا ! تَعَبَّدُوا  
 لِلدُّنْيَا أَيْ تَعَبَّدُوا ، وَآثَرُوهَا أَيْ إِثَارَ ، وَظَنُّوا عَنْهَا بِالْكَرْهِ وَالصَّغَارِ ! فَهَلْ  
 بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَمَحَتْ لِمَنْ تَفَسَّأَ بِفِدْيَةٍ ، وَأَغْنَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ أَمَلْتُمْ  
 بِهِ بِمَحْطَبٍ <sup>(٦)</sup> ! بل أَتَقَلَّتْهُمْ <sup>(٧)</sup> بِالْفَوَادِحِ ، وَضَعُضَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ ، وَعَقَرَتْهُمْ  
 الْعِنَاخِرُ ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمُ رَيْبَ الْمَنُونِ ، وَأَرْهَقَتْهُمْ بِالمَصَائِبِ . وَقَدْ رَأَيْتُمْ تَفَكَّرُهَا  
 لِمَنْ دَانَ لَهَا وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ، حَتَّى ظَنُّوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ ، إِلَى آخِرِ  
 الْأَمَدِ . هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا الشَّقَاءَ ، وَأَحْلَتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمُ إِلَّا

(١) في بعض الأصول بعد قوله « منها » : « لم يدم له وزال عما قليل منه ما استكثر »

... الخ . وانظر البيان والتبيين ( ج ٢ ص ٦٣ ) وصبح الأعشى ( ج ١ ص ٢٢٣ ) وعبون الأخبار ( ج ٢ ص ٢٥٠ ونهاية الأرب ج ٧ ص ٢٥٠ ) ، فبين  
 النصوص خلاف . (٢) في بعض الأصول : « وكم من اختال بها » .

(٣) رمام : بالية . (٤) السلع : شجر مر ، وهو أيضا ضرب من الصبر .

(٥) في بعض الأصول : « وجارها » . (٦) في بعض الأصول : « وأرهقهم » .

(٧) في بعض الأصول : « بمحطب بحيلة » .

بالظلمة ، وأعقبهم إلا الندامة ! أفهذه تؤثرن ، أو على هذه تخرسون ، أو إليها تطمئنون ! يقول الله تبارك وتعالى : ( مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّاتَهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) . فبئست الدار لمن لم يتبهما<sup>(١)</sup> ، ولم يكن فيها على وجل منها . أعلوها ، وأنتم تعلمون ، أنكم تاركوها لا بدَّ ، فإنما هي كما نعت الله عز وجل : ( لَعِيبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ) فَأَنْعَظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ [ قال الله تعالى فيهم ] : ( أَنْتَبِهُوا بِكُلِّ رِيعٍ آيَةٍ تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَهْلِكُونَ ) وبالذين قالوا : ( مَنْ أَشَدُّ مِنْ قُوَّةٍ ) . وأنعظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حمّلوا إلى قبورهم ، فلا يدعون رُكبانا ، وأنزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفانا ، وجعل لهم من الصريح أكنان ، ومن التراب أكناف ، ومن الرفات جيران ، فهم جيرة لا يجيبون داعيا ، ولا يمنعون ضيفا . إن أخصبوا لم يفرحوا ، وإن قحطوا لم يفتنطوا ، جمعهم وهم آحاد ، جيرة وهم أبعاد ، متناهون يزارون ولا يزورون<sup>(٢)</sup> ، حلماء قد ذهبت أضغاثهم ، وجهلاء<sup>(٣)</sup> قد مانت أحقادهم ، لا يحشى فيجمعهم ، ولا يرجي دفعهم ، وهم كمن لم يكن . قال الله تعالى : ( فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ) . استبدلوا بظهر الأرض بطنًا ، وبالسعة ضيقًا ، وبالآل غربة ، وبالثور ظلمة ، فجاءوها خفاة عراة فرادى ، غير أن ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة ، إلى خلود الأبد . يقول الله تبارك وتعالى : ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ) . فأحذروا ما حذركم الله ، وأنتمعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبيله ، عصمنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقنا وإياكم أداء حقه ، ثم نزل .

(١) في بعض الأصول : « لمن يتبهما » .

(٢) في بعض الأصول : « لا يزارون ولا يزورون » .

(٣) في بعض الأصول : « جنباء » .

## خطبة نؤى هجرة بمكة :

خطبهم أبو حمزة الشَّارِي بمكة . فَصَّعِدَ الْمُنْبَرِ مُتَوَكِّئًا عَلَى قَوْسٍ عَرَبِيَّةٍ ،  
فَخَطَبَ خُطْبَةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، تُعَيِّرُونَنِي بِأَحْصَانِي ، تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ  
شَبَابٌ ، وَهَلْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا شَبَابًا ! نَعَمْ الشَّبَابُ  
مُكَنَّهُلِينَ ، عَمِيَّةٌ عَنِ الشَّرِّ أَعْيُنُهُمْ ، بَطِيئَةٌ عَنِ الْبَاطِلِ أَرْجُلُهُمْ . قَدْ نَظَرَ اللَّهُ  
إِلَيْهِمْ فِي آتَاءِ اللَّيْلِ مُثْنِيَّةً أَصْلَابَهُمْ بِمَثَانِي الْقُرْآنِ ، إِذَا مَرَّ أَحَدُهُمْ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ  
الْجَنَّةِ بَكَى شَرِقًا إِلَيْهَا ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ النَّارِ شَهَقَ شَهَقًا كَأَن زَفِيرَ جَهَنَّمَ  
فِي أُذُنِهِ . قَدْ وَضَعُوا كَلَالَ لَيْلِهِمْ بِكَلَالِ نَهَارِهِمْ ، أَنْضَاءُ عِبَادَةٍ ، قَدْ أَكَلَتْ  
الْأَرْضُ جِبَاهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَرُكَبَهُمْ . مُضْفَرَةٌ أَلْوَانُهُمْ ، نَاحِلَةٌ أَجْسَامُهُمْ ، مِنْ  
كَثْرَةِ الْحَيَامِ ، وَطُولِ الْقِيَامِ ، مُسْتَقْبِلُونَ لِنَدَاكَ فِي جَنَبِ اللَّهِ ، مُؤَفَّوْنَ بِعَهْدِ اللَّهِ ،  
مُسْتَعِجِرُونَ لَوَعْدِ اللَّهِ . إِذَا رَأَوْا سِهَامَ الْعَدُوِّ قَدْ فُوقَتْ ، وَرِمَاحَهُ قَدْ أَشْرَعَتْ ،  
وَسُيُوفُهُ قَدْ أَنْتَضَيْتْ ، وَبَرَقَتْ الْكَتِيْبَةُ وَرَعَدَتْ بِصَوَاعِقِ الْمَوْتِ ، اسْتَهَانُوا  
بِوَعْدِ الْكَتِيْبَةِ لَوَعْدِ اللَّهِ ، قَضَى الشَّبَابُ مِنْهُمْ قَدَمًا حَتَّى تَخْتَلِفَ رِجْلَاهُ عَلَى  
عُنُقِ فَرْسِهِ ، قَدْ رُمَّتْ <sup>(١)</sup> مُحَاسِنُ وَجْهِهِ بِالدَّمَاءِ ، وَعُفِّرَ جَمِيْعُهُ بِالزَّرَى ، وَأَسْرَعَ  
إِلَيْهِ سَبَاعُ الْأَرْضِ ، وَأَنْحَطَّتْ عَلَيْهِ طَيْرُ السَّمَاءِ . فَكَمْ مِنْ مُقَلَّةٍ فِي مَنَقَارِ طَائِرٍ ،  
طَالَمَا بَكَى صَاحِبُهَا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ؛ وَكَمْ مِنْ كَفٍّ بَانَتْ عَنْ مِعْصَمِهَا ، طَالَمَا  
أَعْتَمَدَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فِي سُجُودِهِ ؛ وَكَمْ مِنْ خَدِّ عَتِيقٍ ، وَجَبِينِ رَقِيقٍ ، قَدْ فُلِقَ  
بِعَمَدِ الْحَدِيدِ . رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى تِلْكَ الْأَبْدَانِ ، وَأَدْخَلَ أَرْوَاحَهَا فِي الْجِنَانِ . ثُمَّ  
قَالَ : النَّاسُ مَثَلَانِ وَنَحْنُ مِنْهُمْ إِلَّا عَابِدًا وَتَنٍّ ، أَوْ كُفْرًا أَهْلُ الْكِتَابِ ، أَوْ إِمَامًا  
جَائِرًا ، أَوْ شَادًّا عَلَى عَصُدِهِ <sup>(٢)</sup> .

٢٠

## وخطبة نؤى هجرة بالمدينة :

قال مالك بن أنس رحمه الله : خطبنا أبو حمزة خطبة شكك فيها المستبصر

(١) رملت : اطخت ، بالبناء للجهول فيهما .

(٢) أي معينا لهذا الحاكم الجائر . يقال : شد فلان على يد فلان ، أي قواه وأمانه .

ورذت المراتب ، قال : أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وصلة الرحم ، وتفظيم ما صغرت الجبارة من حق الله ، وتضغير ما عظم من الباطل ، وإماتة ما أحيوا من الجور ، وإحياء ما أماتوا من الحقوق ، وأن يطاع الله ويعصى العباد في طاعته ، فالطاعة لله <sup>(١)</sup> ولأهل طاعة الله ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والقسم بالسوية ، والتعدل في الرعية ، ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها . وإنا والله ما خرجنا أشرا ولا بطرا ولا لهوا ولا لعبا ، ولا لدولة ملوك نريد أن نخوض فيه ، ولا لثأر قد نيل منا ؛ ولكن لما رأينا الأرض قد أظلمت ، ومعالم الجور قد ظهرت ، وكثر الأدعاء في الدين ، وعمل بالهوى ، وعُطلت الأحكام ، وقتل القائم بالقسط ، وعُدَّت القاتل بالحق ، وسمعنا مناديا ينادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأجبنا داعي الله <sup>(٢)</sup> ، فأقبلنا من قبائل شتى ، قليلين مُستضعفين في الأرض ، فأوانا الله وأيدنا بنصره ، فأصبحنا بنعمته إخوانا ، وعلى الدين أعوانا . يأهل المدينة ، أولئك خير أول ، وآخركم شر آخر ، إنكم أطعتم قراءكم وفقهاءكم فأخفانوكم عن كتاب غير ذى عوج ، بتأويل الجاهلين ، وأنتم حال المبطلين ، فأصبحتم عن الحق ناكبين ، أمواتا غير أحياء وما تشعرون . يأهل المدينة ، يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان ، ما أصبح أصلكم ، وأسقم فرعكم ! كان آبائكم أهل اليقين وأهل المعرفة بالدين ، والبصائر النافذة ، والقلوب الواعية ، وأنتم أهل الضلالة والجهالة ، استعبدتكم الدنيا فأذلتكم ، والأمانى فأضلتكم ، فتح الله لكم باب الدين فأفسدتموه ، وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتتموه ، سراع إلى الفتن ، بطاء عن السنة ،

(١) في بعض الأصول : « للعباد » . وهو تحريف . وانظر الطبري والأفاني (ج ٢٠ ص ١٠٤) وشرح نهج البلاغة (ج ١ ص ٤٥٨) فبين النصوص خلاف .

(٢) زيد في بعض الأصول : بعد قوله « الله » كلمة « الآية » . يريد قوله تعالى :

(ومن لا يحب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) .

مُحْمًى عَنِ الْبُرْهَانِ ، صُمُّ عَنْ الْعِرْفَانِ ، عَمِيدُ الطَّمَعِ ، خُلَفَاءُ الْجَزَعِ . نَعْمَ مَا وَرَثَكُمْ آبَاؤُكُمْ لَوْ حَفِظْتُمُوهُ ، وَبُدُسَ مَا تُورَثُونَ أَبْنَاءَكُمْ إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ . نَصَرَ اللَّهُ آبَاءَكُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَخَذَلَكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ . كَانَ عَدَدُ آبَائِكُمْ قَلِيلًا طَيِّبًا ، وَعَدَدُكُمْ كَثِيرٌ خَبِيثٌ . اتَّبَعْتُمُ الْهَوَى فَاَزْدَأَكُمْ ، وَاللَّهُوَ فَاَسْهَأَكُمْ ، وَمَوَاعِظُ الْقُرْآنِ تَرْجِرُكُمْ فَلَا تَزْدَجِرُونَ ، وَتُعَبِّرُكُمْ فَلَا تَعْتَبِرُونَ . سَأَلْنَاكُمْ عَنْ وُلَاتِكُمْ هَؤُلَاءِ ٥ فَقُلْتُمْ : وَاللَّهِ مَا فِيهِمْ الَّذِي يَغْدُلُ <sup>(١)</sup> ، أَخَذُوا الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ فَوَضَعُوهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ ، وَأَسْتَأْثَرُوا بِفَيْئِنَّا فَجَعَلُوهُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ ، وَجَعَلُوا مَقَاسِمَنَا وَحَقُوقَنَا فِي مَهْجُورِ النِّسَاءِ ، وَفُرُوجِ الْإِمَاءِ . وَقُلْنَا لَكُمْ تَعَالَوْا إِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَلَمُونَا وَظَلَمُوكُمْ وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ ؛ فَقُلْتُمْ لَا نَقْوَى عَلَى ذَلِكَ ، وَوَدِدْنَا أَنَّا أَصْبَيْنَا مَنْ يَكْفِينَا ؛ فَقُلْنَا : ١٠ نَحْنُ نَكْفِيكُمْ ، ثُمَّ اللَّهُ رَاعٍ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ ، إِنْ ظَفَرْنَا لِنُعْطِيَنَّ كُلَّ دَى حَقَّهُ . ١٩٨  
فَبَهِنْنَا فَأَتَقَيْنَا الرِّمَاحَ بِصُدُورِنَا ، وَالسَّيُوفَ بِوُجُوهِنَا ، فَعَرَضْتُمْ لَنَا دُونَهُمْ ، فَقَاتَلْتُمُونَا ، فَأَبْعَدَكُمْ اللَّهُ ! فَوَاللَّهِ لَوْ قُلْتُمْ لَا نَعْرِفُ الَّذِي تَقُولُ وَلَا نَعْلَمُهُ لَكَانَ أَعْذَرًا ، مَعَ أَنَّهُ لَا عُذْرَ لِلْجَاهِلِ ؛ وَلَكِنْ أَيْ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَنْطِقَ بِالْحَقِّ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ وَيَأْخُذَكُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ . ثُمَّ قَالَ : النَّاسُ مَنَا وَنَحْنُ مِنْهُمْ إِلَّا ثَلَاثَةٌ : ١٥ حَاكِمًا جَاءَ بِغَيْرِ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ ، أَوْ مُتَّبِعًا لَهُ ، أَوْ رَاضِيًا بِعَمَلِهِ .

أَسْقَطْنَا مِنْ هَذِهِ الْخُطْبَةِ مَا كَانَ مِنْ طَعْنِهِ عَلَى الْخُلَفَاءِ ؛ فَإِنَّهُ طَعَنَ فِيهَا عَلَى عَثْمَانَ وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا ، وَعُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ . وَلَمْ يَتْرَكْ مِنْ جَمِيعِ الْخُلَفَاءِ إِلَّا أَبَا بَكْرًا وَعُمَرَ ، وَكَفَرَ مَنْ بَعْدَهُمَا ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ . إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ مِنَ الْخُلَفَاءِ رَجُلًا أَصْغَى إِلَى الْمَلَاهِي وَالْمَعَازِفِ ، وَأَضَاعَ أَمْرَ الرِّعْيَةِ ، فَقَالَ : ٢٠ كَانَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ <sup>(٢)</sup> مِنْ عَدَدِ الْخُلَفَاءِ عِنْدَكُمْ ، وَهُوَ مُضَيِّعٌ لِلدِّينِ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « يَعْلَمُ » .

(٢) هُوَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَكَانَ خَلِيفَ بَنِي أُمَيَّةَ . (انظر الفخرى ص ١١٧ والأغاني



والدنيا . أشترى له بُرْدَيْنِ بألف دينار ، أترَرَ بأحدهما والتحف بالآخر ، وأقعدَ حَبَابَةَ عن يمينه وسَلَامَةَ عن يساره ، فقال : يَا حَبَابَةُ غَنِّينِي وَيَا سَلَامَةَ اسْقِينِي ، فَإِذَا أَمْتَلَأْتُ سُكْرًا أَوْ أَزْدَهِي طَرَبًا شَقَّ نُوْبِيهِ وَقَالَ : أَلَا أَطِيرُ؟ فَطِيرَ إِلَى النَّارِ وَبُسَّ الْمَصِيرَ . فهذه صفة خلفاء الله تعالى !

### وخطبة رُبِّي صمزة :

أما بعد ، فإنك في ناشئ . فتنه ، وقائم<sup>(١)</sup> ضلالة ، قد طال جُثُومُهَا ، واشتدت عليك هُومُهَا ، وتلوَّت<sup>(٢)</sup> مصايد عدوِّ الله منها وما نصَّبَ من الشَّرِّكَ لِأَهْلِ الْعَفْلةِ عَمَّا فِي عَوَاقِبِهَا . فلن يَهْدَ عَمُودَهَا ، وَلَنْ يَنْزِعَ أَوْتَادَهَا ، إِلَّا الَّذِي بِيَدِهِ مُلْكُ الْأَشْيَاءِ ، وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ بَقَايَا مِنْ عِبَادِهِ لَمْ يَتَحَيَّرُوا فِي ظُلُمِهَا ، وَلَمْ يُشَايِعُوا أَهْلَهَا عَلَى شُبُهَاهَا ، مَصَابِيحُ النُّورِ فِي أَفْوَاهِهِمْ تَزْهَوُ ، وَالسُّتُومُ بِحُجَجِ السُّكُوتِ تَنْطِقُ ، رَكِبُوا مِنْهَجَ السَّبِيلِ ، وَقَامُوا عَلَى الْعِلْمِ الْأَعْظَمِ . هُمُ خُصَمَاءُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِهِمْ يُضْلَحُ اللَّهُ الْبِلَادَ ، وَيُدْفَعُ عَنِ الْعِبَادِ . طُوبَى لَهُمْ وَالْمُسْتَصْبِحِينَ بِنُورِهِمْ ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ .

### من أرتج عليه في خطبته

عثمان ويزيد  
وثابت قطنة

أول خطبة خطبها عثمان بن عفان أرتج عليه ، فقال : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ مَرَّةٍ كَبَّ صَعْبٌ ، وَإِنْ أَعِشْ تَأْتِيَكُمُ الْخُطْبُ عَلَى وَجْهَيْهَا ، وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُمْرِي سِرًّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَلَمَّا قَدِمَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ الشَّامَ وَالْيَا عَلَيْهِمَا لِأَبِي بَكْرٍ ، خَطَبَ النَّاسَ فَأَرْتَجَّ عَلَيْهِ ، فَعَادَ إِلَى حَمْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَرْتَجَّ عَلَيْهِ ، فَعَادَ إِلَى الْحَمْدِ ، ثُمَّ أَرْتَجَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَعْدَ عُمْرِي سِرًّا ، وَبَعْدَ عَيِّي بَيَانًا ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ فَاعِلٍ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَائِلٍ ، ثُمَّ نَزَلَ . فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ فَأَمْسَتْ حَسَنُهُ . صَعِدَ ثَابِتُ قَطْنَةَ مِثْبَرِ سَجِسْتَانَ ، فَقَالَ :

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَقَائِدُ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « تَلَوَّتْ » .

الحمد لله، ثم أرتج عليه، فنزل وهو يقول :

فَإِنْ لَا أَكُنْ فِيهِمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بَسِيفِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ لَخَطِيبُ  
فَقِيلَ لَهُ : لَوْ قَلَّتْهَا فَوْقَ الْمُنْبَرِ لَكُنْتَ أَخْطَبَ النَّاسِ .

معاوية وخالد  
القسري

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما وَلِيَ فَحَصِرَ، فقال : أيها الناس، إني  
كنتُ أعددتُ مقالا أقوم به فيكم فَحُجِبَتْ عنه ، فإن الله يحول بين المرء  
وقلبه ، كما قال في كتابه ، وأتمم إلى إمام عدل أحوج منكم إلى إمام خطيب ،  
وإني أمركم بما أمر الله به ورسوله ، وأنهاكم عما نهاكم الله ورسوله ، وأستغفر  
الله لي ولكم . وصعد خالد بن عبد الله القسري المنبر : فأرتج عليه ، فكثرت  
ملئيا لا يتكلم ، ثم تهيمأ له [ الكلام ] فتكلم فقال : أما بعد ، فإن هذا الكلام  
يجي أحيانا ، ويعزب أحيانا ، فيسيح عند مجيئه سنيبه ، ويعز عند عزوبه  
طلبه ، ولربما كوبر فأبي ، وعولج فنأي ، فالتأني لجيئه خير من التعاطي  
لأبيته ، وتركه عند تنكره أفضل من طلبه عند تعذره ، وقد يرتج على البليغ  
لسانه ، ويختلج من الجري جنانه ، وسأعود فأقول إن شاء الله .

١٩٩  
٢

أبو العنيس  
ورجل من بني  
هاشم

صعد أبو العنيس منبرا من منابر الطائف ، فصعد الله وأثنى عليه ، ثم قال :  
أما بعد ، فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا ؛ قال :  
فما ينفعكم ما أريد أن أقول لكم ؟ ثم نزل . فلما كان في الجمعة الثانية صعد  
للمنبر وقال : أما بعد ، فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟  
قالوا : نعم ؛ قال : فما حاجتكم إلي أن أقول لكم ما علمتم ، ثم نزل . فلما كانت  
الجمعة الثالثة قال : أما بعد ، فأرتج عليه ، قال : أتدرون ما أريد أن أقول  
لكم ؟ قالوا : بعضنا يدرى وبعضنا لا يدرى ؛ قال : فليخبر الذي يدرى منكم  
الذي لا يدرى ، ثم نزل . وأتى رجل من بني هاشم اليمامة ، فلما صعد المنبر  
أرتج عليه ، فقال : حيا الله هذه الوجوه وجعلني فداها ، قد أمرت طائفي بالليل  
أن لا يرى أحدا إلا أناني به ، وإن كنت أنا هو ، ثم نزل .

٢٠

وكان خالد بن عبد الله إذا تكلم يظن الناس أنه يصنع الكلام أمذوبة لفظه وبلاغة منطقته ، فبينما هو يخطب يوما إذا وقعت جرادة على ثوبه ، فقال : سُبْحَانَ مَنْ الجرادُ مِنْ خلقه ، أدمج قوائمه وطرفها وجناحيها<sup>(١)</sup> ، وسلطها على مَنْ هو أعظم منها . خطب عبد الله بن عامر بالبصرة في يوم أضحى ، فأرتج عليه ، فكث ساعة ثم قال : والله لا أجمع عليكم عيًّا ولؤمًا ، من أخذ شاة من الشوق فهي له وتمنئها على .<sup>(٢)</sup> قيل لعبد الملك بن مروان : عجّل عليك المشيب يا أمير المؤمنين . فقال : كيف لا يعجل وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين .

## خطب النكاح

### ١٠ خطبة نظام :

خطب عثمان بن عفّسة بن أبي سفيان إلى عتبة بن أبي سفيان أبنته . فأقعدته على فخذه ، وكان حدثًا ، فقال : أقربُّ قريبُ خطب أحبِّ حبيب ، لا أستطيع له ردًّا ، ولا أجِد من إسعافه بُدًّا ، قد زوّجتها وأنت أعزُّ على منها ، وهي ألصق بقلبي منك ، فأكرّمها يعذب على لسان ذِكْرِك ، ولا تُهنئها فيصغرُ عندى قدْرُك ، وقد قرّبتك مع قرْبك ، فلا تبعد قاي من قلبك .

### وخطبة نظام :

العتبي قال : زوّج شبيب بن شيبه أبنه بنت سَوار القاضي ، فقلنا : لسوار القاضي اليوم يُعَبُّ عبا به . فلما اجتمعوا ، تكلم فقال : الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله . أما بعد ، فإن المعرفة مَنّا ومنكم وبنّا وبكم تمنعنا من الإكثار ، وإن فلانا ذكر فلانة .

(١) هذا الخبر قريب عن عنوان هذا الباب .

(٢) في بعض الأصول : « جناحها » .

## ومخطبة نطاع :

العُتْبِي قال : كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ فِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ بَعْدَ الْحَمْدِ لِلَّهِ  
وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمَعَ بِهَذَا النِّكَاحِ الْأَرْحَامَ الْمُنْقَطِعَةَ ، وَالْأَنْسَابَ  
الْمُتَفَرِّقَةَ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ فِي سُنَّةٍ مِنْ دِينِهِ ، وَمِنْهَاجٍ مِنْ أَمْرِهِ . وَقَدْ خَاطَبَ إِلَيْكُمْ  
فُلَانٌ ، وَعَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةٌ ، وَهُوَ يَبْذُلُ مِنَ الصَّدَاقِ كَذَا ، فَأَسْتَخِيرُوا اللَّهَ  
وَرُدُّوهُ خَيْرًا يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ .

للحسن البصري

## ومخطبة نطاع :

العُتْبِي قال : حَضَرْتُ ابْنَ الْفَقِيرِ<sup>(١)</sup> خَاطَبَ عَلَى نَفْسِهِ أَمْرًا مِنْ بَاهِلَةٍ فَقَالَ :  
وَمَا حَسَنٌ أَنْ يَمْدَحَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَكِنْ أَخْلَاقًا تَذُمُّ وَتُمَدِّحُ  
وَإِنْ فَلَانَةٌ ذُكِرَتْ لِي .

لابن الفقير

## ومخطبة نطاع :

العُتْبِي قال : يُسْتَحَبُّ لِلخَاطِبِ إِطَالَةُ الْكَلَامِ ، وَلِلْمُخْطُوبِ إِلَيْهِ تَقْصِيرُهُ .  
فَخَاطَبَ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْعَزِيزِ أُخْتَهُ ، فَتَكَلَّمَ مُحَمَّدٌ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ .  
فَأَجَابَهُ عُمَرُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْكِبَرِيَاءِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ . أَمَّا  
بَعْدُ ، فَإِنَّ الرِّغْبَةَ مِنْكَ دَعَوْتُكَ إِلَيْنَا ، وَالرِّغْبَةَ فَيْكَ أَجَابَتُكَ مِنَّا ، وَقَدْ أَحْسَنَ  
بِكَ ظَنًّا مَنْ أَوْدَعَكَ كَرِيمَتَهُ ، وَأَخْشَاكَ وَلَمْ يَخْشَ عَلَيْكَ ، وَقَدْ زَوَّجَتْكُمَا عَلَى  
كِتَابِ اللَّهِ ، إِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحًا بِإِحْسَانٍ .

لعمر بن  
عبد العزيز

## ومخطبة نطاع :

خَاطَبَ بِلَالٌ إِلَى قَوْمٍ مِنْ خَشَمٍ لِنَفْسِهِ وَلِأَخِيهِ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ  
قال : أَنَا بِلَالٌ وَهَذَا أَخِي : كُنَّا ضَالِّينَ فَهَدَانَا اللَّهُ ، عَبِيدَيْنِ فَأَعْتَقَنَا اللَّهُ ،  
فَقِيرَيْنِ فَأَغْنَانَا اللَّهُ ؛ فَإِنْ زُوجُونَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَإِنْ تَرُدُّونَا فَالْمُسْتَعَانُ لِلَّهِ .

لبلال ولعمر بن  
عبد العزيز

(١) لعله من ولد عبد الله بن مسلم أخى قتيبة . (انظر النقائض ج ٣ ص ١٥٥ طبعة أوربة) .

وقال عبدُ الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز: قد زَوَّجَكَ أميرُ المؤمنين أبنَتَهُ فاطمة . قال : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة .

### نظم العبد :

٥ الأصمعي قال : زَوَّجَ خالدُ بن صفوان عبده من أُمته ، فقال له العبد : لو دَعَوْتَ الناسَ وخطبت ! قال : أدعهم أنت . فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا ، تكلم خالد بن صفوان ، فقال : إن الله أعظم وأجلُّ من أن يُذكر في نِكَاح هذين السكابين ، وأنا أشهدكم أني زَوَّجْتُ هذه الزانية من هذا ابن الزانية .

### خطب الأعراب

١٠ الأصمعي قال : خطبَ أعرابي فقال : أما بعد ، فإن الدنيا دارٌ ممرٌ ، والآخرة دارٌ مقرٌ ، فخذوا من ممرِّكم لمقرِّكم ، ولا تهتكوا أَسْتَارَكُمْ عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قُلُوبَكُمْ قبل أن تَخْرُجَ منها أبدانُكم ، ففيها حَيِّيتُمْ ، ولغيرها خُلِقْتُمْ ؛ اليومَ عمل بلا حساب ، وغداً حسابٌ بلا عمل . إن الرجل إذا هَلَكَ قال الناس : ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدَّم ؟ فقدَّموا بعضاً ، يكون لكم قَرْضاً ، ولا تَتْرُكُوا كُفْلاً ، فيكون عليكم كَفْلاً . أقولُ قولي هذا والمحمود الله ، والمصلَّى عليه محمد ، والدَّعُو له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر ، قوموا إلى صلاتكم .

### ونخطبه لأعرابي :

٢٠ الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد ، أما بعد ، فإن التعمق في أرتجال الخطب أممٌ سكن ، والكلام لا يَنْتَفِي حَتَّى يُنْتَفَى عنه ، والله تبارك وتعالى لا يُدْرِكُ واصفٌ كُنْهَ صِفَتِهِ ، ولا يبلغُ خَطِيبٌ مُنْتَهَى مِذْحَتِهِ ، له الحمدُ كما مَدَحَ نفسه ، فأنهضوا إلى صلاتكم ، ثم نزل فصلي .

## خطبة أعرابي لقومه :

لأعرابي يعظ  
قومه

الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى جميع الأنبياء . ما أقبح بمثلي  
أن ينهى عن أمر ويرى تكبىه ، ويأمر بشيء ويحجته ، وقد قال الأول :  
وَدَّعْ مَا لُمْتَ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ فَذَمُّ أَنْ يُلُومَكَ مَنْ تَلُومُ  
أَلْهَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ تَقَوَاهُ ، وَالْعَمَلُ بَرَضَاهُ <sup>(١)</sup> .

٥

وفي الأم زيادة من غير أصلها ، فأوردتها كهيتها ، وهي خطبة لعلي  
كرم الله وجهه أوردت في هذه المجنبة تلو خطبة المأمون يوم عيد الفطر <sup>(٢)</sup> :

خطبة لعلي بن  
أبي طالب يصف  
الرب

جاء رجل إلى علي كرم الله وجهه فقال : يا أمير المؤمنين ، صف لنا ربنا  
لنزداد له محبة ، وبه معرفة . فغضب علي كرم الله وجهه ، ثم نادى : الصلاة  
جامعة . فأجتمع الناس إليه حتى غص المسجد بأهله ، ثم صعد المنبر وهو  
مغضب متغير اللون ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم صلى على النبي  
صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : الحمد لله الذي لا يعزّه المنع ، ولا يكديه  
الإعطاء ، بل كل معطي ينقص سواه ، هو المثلان بفرائد <sup>(٣)</sup> النعم ، وعوائد  
المزيد ، وبجوده ضمنت عيالة <sup>(٤)</sup> الخلق ، ونهيج سبيل الطلاب للراغبين إليه .  
وليس بما يسأل أجود منه بما لا يسأل ، وما أختلف عليه دهر فتختلف فيه  
حال ، ولو وهب ما أنشقت عنه معادن الجبال ، وضجكت عنه أصداف البحار ،

٢٠١  
٢

(١) في ١ بعد هذا : « تم الجزء السادس والعشرون من كتاب العقد ، وهو الواسطة  
في الخطب من تجزئة خمسين جزء بحمد الله وعونه وتوفيقه . يتلوه في الجزء  
السابع والعشرين المجنبة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتب .  
وحسبنا الله ونعم الوكيل » . وفي ٢ : « صلى الله على محمد وآله والحمد لله رب  
العالمين . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الأول من كتاب المجنبة الثانية وحسبنا الله  
ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين » .

٢٠

(٢) في ٢ : « وجدت في بعض النسخ خطبة لعلي عليه السلام أوردت في الجزء الأول  
من هذه المجنبة تلو خطبة المأمون يوم الفطر فألحقها ها هنا وهي . وقد أغفلتها  
١ ولم تذكرها كما لم تذكر أي إشارة إليها .

٢٥

(٣) في بعض الأصول : « بفوائد » .  
(٤) عال الخلق عيالة . كفافهم وماتهم وقاتهم . وفي بعض الأصول : « ضمن ... الخ » .

من قِلْدَ اللَّيْحِينَ ، وسِبَائِكَ الْعَقِيمَانِ ، وَشَذْرُ<sup>(١)</sup> الدَّرِّ ، وَحَصِيدَ الْمَرْجَانِ ،  
 لِبَعْضِ عِبَادِهِ ، مَا أَثَرُ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ وَلَا فِي جُودِهِ ، وَلَا أَهْدُ ذَلِكَ سَعَةً مَا عِنْدَهُ .  
 فَعِنْدَهُ<sup>(٢)</sup> مِنَ الْإِفْضَالِ مَا لَا يُنْفِدُهُ مَطْلَبُ وَسْوَالٍ<sup>(٣)</sup> ، وَلَا يَنْخَطِرُ لَكُمْ عَلَى  
 بَالٍ ؛ لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا تَنْقُصُهُ الْمَوَاقِبُ ، وَلَا يُبْرِمُهُ الْخَاحُ الْمُدْحِجِينَ بِالْخَوَاصِجِ ،  
 إِنَّمَا أَسْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . فَمَا ظَنُّكُمْ مِنْ هُوَ هَكَذَا وَلَا  
 هَكَذَا غَيْرُهُ ؟ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ ! أَيُّهَا السَّائِلُ ، أَعْقِلْ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ ، وَلَا تَسْأَلْ  
 أَحَدًا بَعْدِي ، فَإِنِّي أَكْفِيكَ مَوْزُونَةَ الطَّلَبِ ، وَشِدَّةَ التَّعَمُّقِ فِي الْمَذْهَبِ .  
 وَكَيْفَ يُوصَفُ الَّذِي سَأَلْتَنِي عَنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي عَجَزَتْ عَنْهُ الْمَلَائِكَةُ ، عَلَى قُرْبِهِمْ  
 مِنْ كُرْسِيِّ كَرَامَتِهِ ، وَطُولِ وَلَهْمِهِ إِلَيْهِ ، وَتَعْظِيمِهِمْ جَلَالَ عِزَّتِهِ ، وَقُرْبِهِمْ مِنْ  
 غَيْبِ مَلَاسِكُوتِهِ ، أَنْ يَقُولُوا مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمْ ، وَهُمْ مِنْ مَلَاسِكُوتِ الْعَرْشِ  
 بِحَيْثُ هُمْ ، وَمِنْ مَعْرِفَتِهِ عَلَى مَا فَطَرَهُمْ عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا  
 مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . فَمَدَحَ اللَّهُ أَعْتَرَاهُمْ بِالْعَجْزِ عَمَّا لَمْ يَحِيطُوا بِهِ  
 عِلْمًا ، وَتَسْمِيَ تَرْكِهِمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَاثِفْهُمْ الْبَحْثُ عَنْهُ رُسُوحًا . فَأَقْتَصِرَ عَلَى  
 هَذَا ، وَلَا تَقْدِرْ عَظَمَةُ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ ، فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ . وَأَعْلَمُ أَنَّ  
 اللَّهَ الَّذِي لَمْ يَخْدُثْ فَيُمْكِنَ فِيهِ التَّغْيِيرُ وَالْإِنْتِقَالُ ، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ فِي ذَاتِهِ بِمُرُورِ  
 الْأَحْوَالِ ، وَلَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْهِ تَعَاقُبُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى  
 غَيْرِ مِثَالٍ أَمْثَلِهِ ، وَلَا مِقْدَارٍ أَحْتَدَى عَلَيْهِ مِنْ خَالْقٍ كَانَ قَبْلَهُ ؛ بَلْ أَرَانَا مِنْ  
 مَلَاسِكُوتِ قُدْرَتِهِ ، وَبِحِجَابِ رُبُوبِيَّتِهِ ، مِمَّا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ ، وَأَضْطَرَّارِ  
 الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقَهِّمَهُمْ مَبْلَغَ قُوَّتِهِ<sup>(٤)</sup> ، مَا دَانَا بِقِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ بِذَلِكَ  
 عِلْمِنَا عَلَى مَعْرِفَتِهِ . وَلَمْ تُحِطْ بِهِ الصِّفَاتُ بِإِدْرَاكِهَا إِبَاءً بِالْحُدُودِ مُتَمَاهِيًا ، وَمَا

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « شَارَهُ »

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَاسْكَانَ عِنْدَهُ » مَكَانَ « فَعِنْدَهُ » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « السُّؤَالِ » .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ « تَقْوِيَّتِهِ » .

- زال ، إذ هو الله الذي ليس كمثل شئ ، عن صفة المخلوقين مُتَعَالِيَا ، اُنْخَسَرَت  
 الْعُيُونُ عَنْ أَنْ تَمْلَأَهُ ، فَيَكُونُ بِالْعِيَانِ مَوْصُوفًا ، وبالذات التي لا يعلوها إلا هو  
 عند خلقه معروفًا . وفات علوه عن الأشياء مواقع وهم المتوهمين ، وليس له  
 مثل فيكون بالخلق مُشَبَّهًا ، وما زال عند أهل المعرفة به عن الأشباه والأنداد  
 منزها . وكيف يكون من لا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ مُقَدَّرًا في روايات الأوهام ، وقد  
 ضَلَّتْ في إدراك كَيْفِيَّتِهِ حَوَاسُّ الْأَنَامِ ؛ لَأَنَّهُ أَجَلٌ مِنْ أَنْ تَحُدَّهُ أَلْبَابُ الْبَشَرِ  
 بِتَظْيِيرِ . فمُسَبَّحَانِهِ وَتَعَالَى عَنْ جَهْلِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ إِفْكَ الْجَاهِلِينَ .  
 أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ ، لَوْ أَنَّ مَلَكَ هَبَطَ مِنْهُمْ إِلَى الْأَرْضِ  
 لَمَّا وَسِعَتْهُ ، لِأَعْظَمِ خَلْقِهِ وَكَثْرَةِ أَجْنَحَتِهِ ؛ وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ مَنْ سَدَّ الْأَفَاقَ بِجَنَاحِ  
 مِنْ أَجْنَحَتِهِ دُونَ سَائِرِ بَدَنِهِ ؛ وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ مَنْ السَّمَوَاتُ إِلَى حُجْرَتِهِ <sup>(١)</sup>  
 وَسَائِرُ بَدَنِهِ فِي جِزْمٍ <sup>(٢)</sup> الْهَوَاءِ الْأَسْفَلَ ، وَالْأَرْضُونَ إِلَى رُكْبَتِهِ ؛ وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ  
 مَنْ لَوْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَصِفُوهُ مَا وَصَفُوهُ ، لُبَعْدِ مَا بَيْنَ مَقَاصِلِهِ ،  
 وَلِحُسْنِ تَرْكِيبِ صُورَتِهِ ؛ وَكَيْفَ يُوصَفُ مَنْ سَبْعُمِائَةِ عَامٍ مِقْدَارُ مَا بَيْنَ مَنْفَكَيْهِ  
 إِلَى شَحْمَةِ أُذُنِهِ ؛ وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ مَنْ لَوْ أُلْقِيَتِ السُّمُنُ فِي دُمُوعِ عَيْنَيْهِ لَحَرَّتْ  
 دَهْرُ الدَّاهِرِينَ . فَأَيْنَ أَيْنَ بِأَحَدِكُمْ ! وَأَيْنَ أَيْنَ [ أَنْ ] يَدْرِكُ مَا لَا يَدْرِكُ <sup>(٣)</sup> !

(١) الحجرة : مشد الإزار .

(٢) في بعض الأصول : « في جزء » .

(٣) جاء في بعض الأصول بعد الفراغ من هذه الخطبة : « تم الإلحاق . وهو خطبة

على كرم الله وجهه » .



## (١) فرش كتاب التوقيعات والفصول والصدور

## وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب

قال [أبو عمر] أحمد بن محمد بن عبد ربّه : قد مضى قولنا في الخطب  
وفضائلها ، وذِكْر طَوَالِهَا وقِصَارِهَا ، ومَقَامَاتِ أَهْلِهَا ؛ ونحن قائلون بعون الله  
وتوقيعه في التوقيعات والفصول والصدور وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب  
وفَضْلُ الإيجاز ؛ إذ كان أشرفُ الكلام كُلِّهِ حُسْنًا ، وأرفعُهُ قَدْرًا ، وأعظمُهُ  
مِنْ القلوب مَوْعِظًا ، وأقلُّهُ على اللسان عَمَلًا ، ما دَلَّ بعضُهُ على كُلِّهِ ، وكَفَى قَلِيلُهُ  
عَنْ كَثِيرِهِ ، وشَهِدَ ظَاهِرُهُ على بَاطِنِهِ ؛ وذلك أَنْ تَقِلَّ حُرُوفُهُ ، وَتَكْثُرَ  
مَعَانِيهِ . ومنه قولهم : رَبُّ إِشَارَةٌ أَبْلَغُ مِنْ لَفْظٍ . ليس أَنَّ الإِشَارَةَ تُبَيِّنُ  
مَا لَا يُبَيِّنُهُ الْكَلَامُ ، وَتَبْلُغُ مَا يَقْصُرُ عَنْهُ اللِّسَانُ ، وَلِسَكَنِهَا إِذَا قَامَتْ مَقَامُ  
الْلفظ ، وَسَدَّتْ مَسَدَّ الْكَلَامِ ، كَانَتْ أَبْلَغَ ، لِقَلَّةِ مَوْثِقِهَا وَخِفَةِ مَحْمِلِهَا (٢).

٢٠٢  
٢  
٥

١٠

١٥

لأبرويز ثم  
اصحابي ثم للنبي  
صلى الله عليه  
وسلم في عيب  
الإكثار

قال أبرويز لكانبه : أنْجَمَ الْكَثِيرَ مِمَّا تُرِيدُ مِنَ الْمَعْنَى (٣) ، فِي الْقَابِلِ  
مِمَّا تَقُولُ . يَحْضُرُ عَلَى الإِيجَازِ وَيَنْهَازُ عَنِ الْإِكْثَارِ فِي كُتُبِهِ . أَلَا تَرَاهُمْ كَيْفَ  
طَعَنُوا عَلَى الْإِسْهَابِ وَالْإِكْثَارِ حَتَّى كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَقُولُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ  
الْإِسْهَابِ ! قِيلَ لَهُ : وَمَا الْإِسْهَابُ ؟ قَالَ : الْمُسْتَهْبَبُ (٤) الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ تَخَلَّلَ  
الْبَاقِرُ (٥) ، وَيَشُولُ بِهِ شَوْلَانُ الرُّوقِ (٦) . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) فِي ي قَبْلَ هَذَا الْعَنْوَانِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ  
وآلِهِ وَأَصْحَابِهِ » . وَقِيلَ هَذَا : « تَمَّ الْجُزْءُ السَّامِعُ وَالْعَشْرُونَ مِنْ كِتَابِ الْعَقْدِ وَهُوَ  
كِتَابُ الْمَجْنِبَةِ الثَّانِيَةِ فِي التَّوْقِيعَاتِ وَالْفُصُولِ وَالصُّدُورِ وَأَخْبَارِ الْكِتَابِ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « لِحَفَةِ مَوْثِقِهَا وَقَلَّةِ عَمَلِهَا » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْإِظْفَافُ » .

(٤) الْمُسْتَهْبَبُ ، بَفَتْحِ الْهَاءِ وَكَسْرِهَا ، وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمُ الْكُسْرَ . وَقِيلَ : الْمُسْتَهْبَبُ  
(بِالْفَتْحِ) : الَّذِي يَكْثُرُ الْكَلَامُ فِي الْخَطَأِ . فَإِنْ كَانَ فِي صَوَابٍ فَهُوَ بِالْكَسْرِ .

(٥) الْبَاقِرُ : جَمَاعَةُ الْبَقَرِ . (٦) الرُّوقُ : الْقُرْنُ وَالرَّمَجُ .

أَبْغَضُكُمْ إِلَى الثَّرَاوِنِ الْمُتَشَدِّقُونَ . يُرِيدُ أَهْلُ الْإِكْثَارِ وَالتَّغْيِيرِ فِي الْكَلَامِ .  
وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا مِنَ السَّلَفِ يَذُمُ الْإِيْجَازَ وَيَقْدَحُ فِيهِ وَيَعْيِيهِ وَيَطْمُنْ عَلَيْهِ .  
وَتَحِبُّ الْعَرَبُ التَّخْفِيفَ وَالْحَذْفَ ، وَلِهَذَا مِنْ التَّمْقِيلِ وَالطَّوِيلِ كَانَ قَصْرُ  
الْمَمْدُودِ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنْ مَدِّ الْمَقْصُورِ ، وَتَسْكِينُ الْمُتَحَرِّكِ أَخَفَّ عَلَيْهَا مِنْ  
تَحْرِيكِ السَّاكِنِ ، لِأَنَّ الْحَرَكَةَ عَمَلٌ وَالشُّكُونَ رَاحَةٌ . وَفِي كَلَامِ الْعَرَبِ ٥  
الْإِخْتِصَارُ وَالْإِطْنَابُ ، وَالْإِخْتِصَارُ عِنْدَهُمْ أَحَدٌ فِي الْجُمْلَةِ ، وَإِنْ كَانَ الْإِطْنَابُ  
مَوْضِعٌ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لَهُ . وَقَدْ تَوَمَّنِي إِلَى الشَّيْءِ فَتَسْتَفْنِي عَنِ التَّفْسِيرِ بِالْإِيْمَاءِ ،  
كَمَا قَالُوا : لَمَحَّةٌ دَالَّةٌ .

العرب والإيجاز

كُتِبَ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودَةَ إِلَى ضَمَّةِ الْحُرُورِيِّ كِتَابًا ، فَنَظَرَ فِيهِ جَعْفَرُ بْنُ  
يَحْيَى فَوَقَعَ فِي ظَهْرِهِ : إِذَا كَانَ الْإِكْثَارُ أَبْلَغَ كَانَ الْإِيْجَازُ مُقْصَّرًا ، وَإِذَا كَانَ ١٠  
الْإِيْجَازُ كَافِيًا كَانَ الْإِكْثَارُ عِيًّا . وَبَعَثَ إِلَى سَمُرَوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَائِدٍ مِنْ قُوَّادِهِ  
بِفُلَامٍ أَسْوَدَ ، فَأَمَرَ عَبْدَ الْحَمِيدِ الْكَاتِبَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ يَلْحَاحُ وَيُعْتَفِّهِ ، فَسَكَّتْ  
وَأَكْثَرَ ، فَاسْتَنْقَلَ ذَلِكَ سَمُرَوَانُ ، وَأَخَذَ الْكِتَابَ فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِهِ : أَمَّا إِنَّكَ لَوْ  
عَلِمْتَ عَدَدًا أَقَلَّ مِنْ وَاحِدٍ وَلَوْ نَا شَرًّا مِنْ أَسْوَدَ لَبَعَثْتَ بِهِ . وَتَكَلَّمَ رِبْعَةُ الرَّأْيِ  
فَأَكْثَرَ وَأَعْجَبَهُ إِكْثَارُهُ ، فَأَلْفَتَتْ إِلَى أَعْرَابِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا تَعْدُونَ ١٥  
الْبَلَاغَةَ عِنْدَكُمْ يَا أَعْرَابِيٍّ ؟ قَالَ لَهُ : حَذْفُ الْكَلَامِ ، وَإِيْجَازُ الصَّوَابِ . قَالَ :  
فَمَا تَعْدُونَ الْعَمَى ؟ قَالَ : مَا كُنْتُ فِيهِ مِنْذُ الْيَوْمِ . فَكَأَنَّمَا أَلْقَمَهُ حَجَرًا .

جعفر على كتاب  
لابن مسعود ثم  
ليروان على كتاب  
قائد له ثم بين  
ربيعه الرأي  
وأعرابي

### أول من وضع الكتابة

أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الْخَطَّ الْعَرَبِيَّ وَالسَّرِيَانِيَّ وَسَائِرَ الْكُتُبِ آدَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ سَنَةٍ ، كَتَبَهُ فِي الطَّيْنِ ثُمَّ طَبَخَهُ ، فَلَمَّا انْقَضَى مَا كَانَ (١)  
أَصَابَ الْأَرْضَ مِنَ الْغَرَقِ وَجَدَ كُلُّ قَوْمٍ كِتَابَهُمْ ، فَكُتِبُوا بِهِ (٢) . فَكَانَ ٢٠

آدم عليه السلام

(١) فِي الْأَصُولِ : « فَلَمَّا كَانَ مَا أَصَابَ » . وَمَا أَثْبَتْنَا عَنْ الْوُزَرَاءِ وَالْكِتَابِ  
الْجَهْشِيَارِيِّ (ص ١ طبعة الحلبي) . (٢) ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيمِ فِي الْفَهْرَسْتِ هَذَا  
الْكَلَامَ عَنْ كُتُبِ ، وَقَالَ : « وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَوْلِهِ » .

إسماعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب .

إدريس عليه السلام

وروى عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن إدريس أول من خط بالقلم بعد آدم صلى الله عليه وسلم . وعن ابن عباس أن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وإكان أول من نطق بها ،

قوم من الجبله الآخرة

فوضعت على لفظه ومنطقه . وعن عمر بن شبة بأسانيده : أن أول من وضع الخط العربي : أنجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت ، هم قوم من الجبله الآخرة ، وكانوا نزولا عند عدنان بن أدد ، وهم من طسم وجديس . وحكى أنهم وضعوا الكتب على أسمائهم ، فلما وجدوا حروفاً في الألفاظ ليست في أسمائهم ألحقوها بها وسَمَّوها الروادف ، وهي : الثاء والحاء والذال والضاد والظاء .

٢٠٣  
٢

بنو إسماعيل

والغين ، على حسب ما يلحق في حروف الجمل . وعنه أن أول من وضع الخط نفيس<sup>(١)</sup> ونصر<sup>(٢)</sup> وآتيا<sup>(٣)</sup> ، بنو إسماعيل بن إبراهيم ، ووضعوه متصل

نفر من طي

الحروف بعضها ببعض ، حتى فرقه نبت وهميسع وقيلذر . وحكوا أيضاً أن ثلاثة نفر من طي<sup>(٤)</sup> اجتمعوا ببتعة<sup>(٥)</sup> ، وهم : مُرامِر بن مُرة وأسلم بن سِدرة وعامر بن جدرة ، فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ،

الكتاب أول الإسلام

فتملأه قوم من الأنبار . وجاء الإسلام وأيس أحد يكتب بالعربية غير سبعة<sup>(٦)</sup> عشر إنساناً ، وهم : علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان ، [وأبو عبيدة بن الجراح ، و] أبان بن سعيد بن

١٥

(١) كذا في بعض الأصول وصحيح الأعشى (ج ١ ص ٩) طبعة دار الكتب ، وفهرست ابن النديم (ص ٥) ، والذي في سائر الأصول : « نصر » .

٢٥

(٢) كذا في الأصول وصحيح الأعشى . والذي في الفهرست : « نصر » .

(٣) في بعض الأصول : « وآتيا » وما أثبتنا عن سائر الأصول والإصابة وصحيح

الأعشى والفهرست ، ويروى : « طيا » كما في السيرة ، و « طيا » كما في الطبري .

وقد زاد ابن النديم على هؤلاء : « دومة » .

(٤) كذا في الأصول والنزهر ، والذي في صحيح الأعشى (ج ٢ ص ٤٢١) :

٢٥

« بولان » ، وهو بولان بن عمرو بن الغوث بن طي .

(٥) في فتوح البلدان للبلاذري (ص ٤٢١) : « بقة » .

(٦) كذا في بعض الأصول وفتوح البلدان . والذي في سائر الأصول : « بضة » .

[ العاص ، و ] خالد بن [ سعيد أخوه ، وأبو ] حذيفة بن عتبة ، ويزيد بن أبي  
سفيان ، وحاطب بن عمرو بن قنينة شمس ، والعلاء بن الحضرمي <sup>(١)</sup> ، وأبو سلمة  
ابن عبد الأسد <sup>(٢)</sup> ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وحويطب بن عبد  
المعز ، وأبو سفيان بن حرب ، ومعاوية ولده ، وجهم بن الصلت بن مخزومة .

### استفتاح الكتب

إبراهيم بن محمد الشيباني قال : لم تزل الكتب تُستفتح باسمك اللهم حتى  
أنزلت سورة هود وفيها : ( بسم الله تجراها ومُرْسَاهَا ) ، فكتب : بسم الله ؛ ثم  
نزلت سورة بنى إسرائيل : ( قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن ) ، فكتب : بسم الله  
الرحمن ؛ ثم نزلت سورة النمل : ( إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ) ،  
فاستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت سنة . وكان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يكتب إلى أصحابه وأمرائه جنوده : من محمد رسول الله إلى فلان .  
وكذلك كانوا يكتبون إليه ، يبدئون بأنفسهم ، فمن كتب إليه وبدأ بنفسه :  
أبو بكر والعلاء بن الحضرم . غيرهما ، وكذلك كتب الصحابة والتابعين ، ثم  
لم تزل حتى ولي الوليد بن عبد الملك ، فعظم الكتاب وأمر أن لا يكتبه الناس  
مثل ما يكتب به بعضهم بعضا ، فجرت به سنة الوليد إلى يومنا هذا ، إلا ما كان  
من عمر بن عبد العزيز وبشر بن السكامل ، فليهما عملا بسنة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، ثم رجع الأمر إلى رأي الوليد ، والقوم عليه إلى اليوم

إبراهيم الشيباني  
في معنى هذا  
العنوان

### ختم الكتاب وعنوانه

وأما ختم الكتاب وعنوانه : فإن الكتب لم تزل مشهورة <sup>(٣)</sup> ، مع مَعْنُوْبَةٍ

(١) ، هؤلاء نفر السبعة عشر من قريش ، أما العلاء هذا فكان من خلفاء قريش .  
(٢) كذا في سبأ من هذا الجزء عند الكلام على الخلفاء . وهو أبو سلمة عبد الله  
ابن عبد الأسد المخزومي ، وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاة .  
(وانظر الإصابة) ، والذي في الأصول هنا : أبو سلمة بن عبد الأشهل ، وهو  
تحريف . وانظر البلاذري .

(٣) أي مشهورة بقرآنها فيها من غير أن يفتن بعضهم .

ولا مختومة ، حتى كتبت صحيفة المتلمس ، فلما قرأها ختمت [الكتب] وعُنوت .  
وكان يُؤتى بالكتاب فيقال : مَنْ عَنِ بِهِ ، فسُمي عُنوانا .

شعر لحسان  
في قتل عثمان

وقال حسان بن ثابت في قتل عثمان :

ضَجَّوْا بِأَشْمَطِ عُتْوَانِ الشُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا

لبعض الشعراء

وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد سمحتُ بها جعلتها للذي أحبتُ عُنوانًا

لبعض أهل  
التفسير

وقال أهل التفسير في قول الله تعالى : (إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ) أَيْ  
مختوم ، إذ كانت كرامة الكتاب ختمة .

## تاريخ الكتاب

سبب تاريخ  
الكتاب  
وطريقة ذلك

لا بد من تاريخ الكتاب ، لأنه لا يَدُلُّ على تحقيق الأخبار وقرب عهد  
الكتاب وبعده إلا بالتاريخ . فإذا أردت أن تؤرخ كتابك فانظر إلى ما مضى  
من الشهر وما بقي منه ، فإن كان ما بقي أكثر من نصف الشهر ، كتبت :  
لكنا وكذا ليلة مضت من شهر كذا ؛ وإن كان الباقي أقل من النصف ،  
جملت مكان : مضت ، بقيت . وقد قال بعضُ الكتَّاب : لا تسكتب إذا  
أرخت إلا بما مضى من الشهر ، لأنه معروف ، وما بقي منه مجهول ؛ لأنك  
لا تدري أينم الشهر أم لا .

١٠

$\frac{204}{2}$

سجادة الكتاب  
وما جرى بين  
ابن طاهر وبعض  
عماله

ولا تجعل سجادة<sup>(١)</sup> كتابك غليظة ، إلا في كتب اليهود والسجلات التي  
يحتاج إلى بقاء خواتيمها وطوابعها ؛ فإنَّ عبد الله بن طاهر كتب إليه بعضُ  
عماله على العراق كتابًا ، وجعل سجادة<sup>(١)</sup> غليظة ، فأمر بإشخاص الكتاب  
إليه ، فلما ورد عليه ، قال عبد الله بن طاهر : إن كانت معك فأس فأقطع  
ختم كتابك ثم أرجع إلى عملك ، وإن عُدت إلى مثلها عُدنا إلى إشخاصك

٢٠

(١) سجادة الفرطاس وسجائته وسجاده : ما سعى منه ، أي قصر وأخذ .  
وكذلك القطعة الصغيرة منه . فإذا شدته بسجادة ، قلت : سعيته ، بالتشديد .

نقطعها . ولا تعظم الطينة جدًا ، وطن كُتبتك بعد كُتبتك عناوينها ، فإن ذلك من أدب الكاتب ، فإن طينت قبل العنوان فأدب مُنتحل<sup>(١)</sup> .

### تفسير الأُمى

فأما الأُمى فمجازُهُ على ثلاثة وجوه : قولهم أُمى ، منسوب إلى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ويقال : رجل أُمى ، إذا كان من أم القرى . قال الله تعالى :  
 ( لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ) . وأما قوله تعالى : ( النبی الأمی ) فإنما أراد به الذى لا يقرأ ولا يكتب . والأمية فى النبی صلى الله عليه وسلم فضيلة ، لأنها أدل على صدق ما جاء به أنه من عند الله لا من عنده ، وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا يُنشد .

قال المأمون لأبى العلاء المفقري : بلغنى أنك أُمى ، وأنت لا تُقيم الشعر ،  
 وأنت تلحن فى كلامك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أما الآن ، فرمما سبقنى لسانى بالشئ ، منه ؛ وأما الأمية وكسر الشعر ، فقد كان النبی صلى الله عليه وسلم أُمى ، وكان لا يُنشد الشعر . فقال المأمون : سألتك عن ثلاثة عيوب فىك فزدتنى رابعاً ، وهو الجهل ؛ أما علمت يا جاهل أن ذلك فى النبی صلى الله عليه وسلم فضيلة ، وفىك وفى أمثالك نقیصة !

بين المأمون وأبى العلاء المفقري

### شرف الكتاب وفضلهم

فمن فضلهم قولُ الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : ( عَلم بالقلم عَلم الإنسان ما لم یعلم ) وقوله تعالى : ( كراماً كاتبین ) . وقوله : ( بأیدی سَفرَة . كرام برّرة ) . وللكتاب أحكام بيّنة ، كأحكام القضاة ، يُعرفون بها ، ويُنسبون إليها . وبتقليد التدبير وسياسة الملك [ بها ] دون غيرهم ، وبهم<sup>(١)</sup> يُقام أود

بعض ما أثر فى فضلهم

(١) فى بعض الأصول . « طبع ... مستحيل » .

(٢) فى بعض الأصول : « وبأهلها » .

الدين ، وأمور العالمين .

كتاب النبي صلى  
الله عليه وسلم

- فمن أهل هذه الصناعة : علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، وكان مع شرفه ونُبله وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكتب الوحي ، ثم أفضت إليه الخلافة بعد الكتابة ؛ وعثمان بن عفان ، كانا يكتبان الوحي ، فإن غابا ، كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، فإن لم يشهد واحد منهما ، كتب غيرهما . وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه ، وكان المغيرة بن شعبه والحُصَيْن بن مُيمر يكتبان ما بين الناس ، وكانا ينويان عن خالد ومعاوية إذا لم يحضرا ، وكان عبد الله بن الأرقم<sup>(١)</sup> ابن عبد يفيث والعلاء بن عُقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم وميَاههم ، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء ، وكان ربما كتب عبد الله بن الأرقم إلى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وكان حُذيفة بن اليمان يكتب خُرص<sup>(٢)</sup> ثمار الحجاز ، وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي ، وقيل : إنه تعلم بالفارسية من رسول كسرى ، وبالرومية من حاجب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام . ورؤى عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فقام لحاجة ، فقال لي : ضع القلم على أذنك فإنه أذكرا لملي وأقضى للحاجة . وكان مُعْتَقِيب بن أبي فاطمة يكتب مقام النبي صلى الله عليه وسلم . وكان حَنْظَلَة بن الربيع بن المُرَقَّع<sup>(٣)</sup> بن صَيْفِي ، ابن أخي أكرم بن صَيْفِي الأَسَدِي<sup>(٤)</sup> ، خليفة كُل كاتب من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا غاب عن عمله ، فغلب عليه اسم الكاتب ، وكان يضع عنده خاتمه ، وقال

(١) كذا في الوزراء والكتاب والإصابة والطبري . والذي في الأصول هنا :

« زيد بن أرقم » . وهو تحريف .

(٢) الحرص : حذر ما على النخل من الرطب وما على السكر من العنب زيبيا .

(٣) في الأصول : « المربع » وهو تحريف . انظر القاموس مادة (رَقْع) .

(٤) في الأصول : « الأسدي » . وما أثبتنا عن الاشتقاق والبلاذري .

له : الزمنى وأذكرنى بكل شئ ، أنا فيه ، وكان لا يأتى على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره ، فلا يبيت صلى الله عليه وسلم وعنده منه شئ . . . وسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بأمرأة مقتولة يوم فتح مكة ، فقال الحنظلة : ألقى خالداً وقل له : لا تقتلن ذرية ولا عسيماً<sup>(١)</sup> . ومات حنظلة بمدينة الرها<sup>(٢)</sup> ، فقالت فيه أسرائته ، وحكى أنه من قول الجن ، وهذا محال :

يا عَجَبَ الدَّهْرِ لَمَحْزُونَةٍ<sup>(٣)</sup>      تبكى على ذى شَيْبَةٍ شَاخِبِ  
إن تَسْأَلْنِي اليَوْمَ مَا شَفَنِي      أَخْبِرْكَ قِيلاً لَيْسَ بِالْكَاذِبِ  
أَنَّ سَوَادَ الرَّأْسِ أَوْدَى بِهِ      وَجَدَى عَلَى حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ

- ولما وَجَّه عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعداً إلى العراق وكتب إليه أن يُسَمِّعَ القبائل أسبائاً ، ويجعل على كل سُمِّع رجلاً ، ففعل سعد ذلك ، وجعل ١٠  
الشَّيْعَ الثالثَ تَمِيمًا وأَسَدًا وِغْطَفَانًا وهَوَازَنًا ، وأميرهم حنظلة بن الربيع الكاتب ؛ وكان أحدَ من سَيرَ إلى يَزْدَجَرٍ يدعوهُ إلى الإسلام . وكان الحُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ<sup>(٤)</sup> ، من بنى عبد مناة ، شهد بيعة الرضوان ، ودعاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليكتب صلح الحُدَيْبِيَّةِ ، فأبى ذلك مُسَهِّلٌ<sup>(٥)</sup> بن عمرو ، وقال : لا يكتب إلا رجل منا ، فكتب على بن أبى طالب . ورؤى عنه عليه السلام أنه قال : لما ١٥  
جاء مُسَهِّلُ بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحُدَيْبِيَّةِ حين صالح قُرَيْشًا ، كان عبدُ الله بن سعد بن أبى سَرْحٍ يكتب له ، ثم أرتد ولحق بالمُشْرِكِينَ ، وقال : إن محمدًا يكتب بما شئتُ . فسمع ذلك رجل من الأنصار ، فحلف بالله إن أمسكته الله منه لاضرِبَنَّهُ ضَرْبًا بالسَّيْفِ ، فلما كان يومُ فتح مكة ، جاء به عثمان ، وكان بينهما رِضَاعٌ ، فقال : يا رسول الله ، هذا عبدُ الله قد ٢٠

(١) العسيف : الأجير . (٢) كان موته في إمارة معاوية .

(٣) في بعض الأصول : « المحبوبة » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والاشتقاق .

(٤) في بعض الأصول : « زهير » .

(٥) في بعض الأصول : « سهل » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والسيرة .



أقبل تائباً ، فأعرض عنه ، والأنصارى مُطيفٌ به ومعه سيفه ، فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وبايعه ، وقال للأنصارى : لقد تلوَّمتُك<sup>(١)</sup> أَنْ تُوفِي بِنَذْرِكَ . فقال : هَلَّا أومضت إلى . فقال صلى الله عليه وسلم : لا يَنْبَغِي لِي أَنْ أومض .

### أيام أبي بكر

رضى الله عنه

كان يكتب لأبي بكر عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت . ورؤي أن عبد الله ابن الأرقم كتب له ، و[أن] حنظلة بن الربيع [كتب له أيضاً] . ولما تقلَّد الخلافة دعا زيد بن ثابت ، وقال له : أنت شاب عاقل لا تهملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت تكتب الوحى ، فتتبع القرآن فأجمعه ، وفيه يقول حسان بن ثابت :

فَمَنْ لِلْقَوَافِي بَعْدَ حَسَّانَ وَأَبْنَيْهِ وَمَنْ لِلْمَشَانِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ

### أيام عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

كتب لعمر بن الخطاب زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم ، وعبد الله ابن خلف الخزاعي ، أبو طلحة الطلحات ، على ديوان البصرة . وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبير<sup>(٢)</sup> بن الضحاک ، فلم يزل عليه إلى أن ولي عبيد<sup>(٣)</sup> الله ابن زياد فعزله وولى مكانه خبيب بن سعد القيسى .

(١) التلوم : الانتظار والتلبث .

(٢) كذا في الوزراء والطبرى وتهذيب التهذيب . والذي في الأصول : « أبو جبرة » .

(٣) في بعض الأصول : « عبد » .

## أيام عثمان بن عفان

رضى الله عنه

- كتاب
- كان يكتب لعثمان مروان بن الحَكَم . وكان عبد الملك بن مروان يكتب له على ديوان المدينة ، وأبو جَبيرة على ديوان الكوفة ، وعبد الله بن الأرقم على بيت المال ، وأبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار ، من بنى دُهمان ، من قيس عَمِيلان<sup>(١)</sup> ، يكتب له أيضاً ، وكان يكتب له أهيب ، مولاه ، ومُحران ، مولاه .
- ٢٠٦  
٢

## أيام علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

- كتاب
- كان يكتب له سعيد بن نمران الهمداني<sup>(٢)</sup> ، ثم ولي قضاء الكوفة لأبن الزبير ، وكان عبد الله بن جعفر يكتب له . ورؤى أن عبد الله بن حسن<sup>(٣)</sup> كتب له ، وكان عبد الله<sup>(٤)</sup> بن أبي رافع يكتب له ، وسماك بن حرب .
- (٥) . . . . .

- كتاب. بن أمية
- وكان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان سعيد بن أنس الغساني<sup>(٦)</sup> . وكاتبُ يزيد بن معاوية سرجون<sup>(٧)</sup> بن منصور . وكاتبُ مروان بن الحَكَم حميد بن عبد الرحمن بن عوف<sup>(٨)</sup> . وكاتبُ عبد الملك بن مروان سالم مولاه<sup>(٩)</sup> ، ثم كتب له عبد الحميد بن يحيى ، وهو عبد الحميد الأكبر . وكاتبُ الوليد بن

(١) في الأصول : « همدان ... غيلان » . والتصويب عن الطبري والوزراء .  
 (٢) في الأصول : « سعد بن مهران » . وما أثبتنا عن الوزراء والأغاني (ج ١٦ ص ٨) .  
 (٣) في الوزراء : « جبيرة » . (٤) في الطبري : « عبيد الله » .  
 (٥) ظاهر أن هنا سقطاً من الناسخ يشبه أن يكون : « دولة بني مروان » على نحو ما جاء بعد ، أو « أيام بني مروان » على مثال ما سبق .  
 (٦) في الوزراء : « عبيد الله بن أوس الغساني » . وفي الطبري : « عبيد بن أوس » .  
 (٧) في الأصول والأغاني (ج ٨ ص ٢٩٠) طبعة دار الكتب : « سرجون » وما أثبتنا عن الوزراء والطبري .  
 (٨) هذا غير ما في الوزراء . (٩) هذا غير ما في الوزراء .

عبد الملك جَنَاحُ مَولاه . وكاتبُ سُلَيمان بن عبد الملك عبد الحميد الأصغر .  
 وكاتبُ عمر بن عبد العزيز الليث بن أبي رُقَيْتَةَ ، مولى أمِّ الحَكَم ، وكتب له  
 رَجاء بن حَيَّوَة وخُص به ، وإسماعيل بن أبي حَكِيم مولى الزُّبَيْر ، وسليمان بن  
 سعد الحُشَنِّي على ديوان الخراج ، وكان عمر يكتب كثيراً بيده . وكاتبُ يزيد  
 ابن عبد الملك عبد الحميد<sup>(١)</sup> أيضاً ، ثم لم يزل كاتباً لبنى أمية إلى أيام مروان بن  
 محمد وأُنقضاء دولة بني أمية . وكان عبد الحميد أول من فُتق أكام البلاغة ،  
 وسَهَّل طُرُقها ، وفكَّ رِقاب الشَّعر .

### ثم جاءت الدولة العباسية

- فكان كاتبُ أبي العباس وأبى جَعْفَر أبا أيوب المورياتي<sup>(٢)</sup> الأَهْوَازِيُّ . كتاب بنى العباس
- ١٠ وكاتبُ موسى الهادي بن محمد المهدي إبراهيم بن ذَكْوَان الحَرَّانِي . وكاتب  
 هارون الرشيد بن محمد المهدي يحيى بن خالد البرمكي ، ثم الفضل بن الربيع ، ثم  
 إبراهيم بن صُبَيْح . وكاتبُ محمد بن زُبَيْدَة الأمين الفضل بن الربيع . وكاتبُ  
 عبد الله المأمون بن هارون الرشيد الفضل بن سَهْل ، ثم الحسن بن سَهْل ، ثم  
 عمرو بن مَسْعُودَة ، ثم أحمد بن يوسف . وكاتبُ أبي إسحاق محمد المعتصم بن  
 هارون الرشيد ، وهو المعروف بابن ماردة ، الفضل بن مروان ، ومحمد بن عبد الملك  
 ١٥ الزيات . وكاتبُ الواثق هارون بن محمد المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات أيضاً .  
 وكاتبُ المتوكل جعفر بن محمد المعتصم إبراهيم بن العباس بن صُول ، مولى لبنى  
 العباس . وكاتبُ المنتصر محمد ، ويكنى أبا جعفر ، بن المتوكل ، أحمد بن الخَصِيب ،  
 ثم كتب المُستعين أحمد بن محمد المعتصم ، فظهر من عجزه وعِيه ما أسخطه عليه ،  
 ٢٠ ثم جعل وزارته إلى أوتامش ، وقام بخدمته شُجاع بن القاسم كاتبه ، ثم سَخَط  
 عليهما فقتلهما ، واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزيد ، ثم صَرَفه وقلد

(١) هو عبد الحميد بن يحيى . انظر العقد فيما سياتى وابن خلكان (ج ١ ص ٣٠٨) .

(٢) في الأصول : « المروياتي » ، والتصويب عن الوزراء والطبري والقفري .

وزارته محمد بن الفضل الجرجاني . ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، فقلد المعتز وزارته جعفر بن محمود الجرجاني ، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد ابن إسرائيل . وكاتب المهدي (١) محمد بن الواثق جعفر بن محمود الجرجاني ، ثم استوزر بعده أبا أيوب سليمان بن وهب . واستوزر المعتمد أحمد بن التوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فلما توفي استوزر بعده الحسن بن مخلد ، وكان سبب موته أنه صدّمه غلام له في الميدان يقال له رشيقي ، فحمل إلى منزله فمات بعد ثلاث ساعات . وتقلد الوزارة للمعتضد أحمد بن طلحة ، والموفق بن جعفر المتوكل عبيد الله بن سليمان بن وهب . وتقلد الوزارة للمكتفي بالله أبي محمد علي بن المعتضد بالله القاسم بن عبيد الله بن سليمان . وتقلد الوزارة لجعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله علي بن محمد بن الفرات ، ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ثم علي بن عيسى ، ثم (٢) حامد بن العباس ، ثم محمد بن علي بن مخلد ، الذي يوصف خطه بالجرودة ، ثم سليمان بن الحسن (٣) بن مخلد ، ثم عبيد الله بن محمد السكلوداني . ثم الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ولقب بعميد الدولة ، وكان يكتب على كتفه : من حميد الدولة أبي علي بن ولي الدولة ، وذُكر لقبه على الدنانير والدرهم ، ثم الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات . وتقلد الوزارة للقاهر بالله أبي منصور محمد بن المعتضد محمد بن علي بن مخلد ، ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ، ثم القاسم بن عبيد الله الحضيبي (٥) . وتقلد الوزارة للراضي بالله أبي العباس محمد ابن جعفر المقتدر محمد بن علي بن مخلد ، ثم عبد الرحمن بن عيسى ، أخو الوزير علي بن عيسى ، ثم (٦) محمد بن القاسم السكرخي ، ثم الفضل بن جعفر بن محمد بن

٢٠٧  
٢

- (١) في الأصول : « المهدي » .  
(٢) في الأصول : « بن » مكان « ثم » والتصويب عن الفخرى .  
(٣) في الأصول : « الحسين » والتصويب عن الفخرى .  
(٤) في بعض الأصول : « عبد الله بن أحمد السكلوداني » .  
(٥) فيما سيأتي في العقد الفريد : « أحمد بن عبد الله الحضيبي » ، والذي في سروج الذهب : « أبو العباس أحمد بن عبيد الله الحضيبي » .  
(٦) في الأصول : « بن » مكان « ثم » . والتصويب عن فخرى .

عبد الملك جَنَاح مولاة . وكاتبُ سُليمان بن عبد الملك عبد الحميد الأصغر .  
وكاتبُ عمر بن عبد العزيز الليث بن أبي رُقَيْسَة ، مولى أم الحكم ، وكاتب له  
رَجاء بن حَيوة وَخُص به ، وإسماعيل بن أبي حَكِيم مولى الزبير ، وسليمان بن  
سعد الحُشَينِي على ديوان الخراج ، وكان عمر يكتب كثيراً بيده . وكاتبُ يزيد  
ابن عبد الملك عبد الحميد <sup>(١)</sup> أيضاً ، ثم لم يرَل كاتباً لبني أمية إلى أيام مروان بن  
محمد وأنقضاء دولة بني أمية . وكان عبد الحميد أول من فتق أكام البلاغة ،  
وسهل طرقها ، وفك رقاب الشعر .

### ثم جاءت الدولة العباسية

فكان كاتبُ أبي العباس وأبي جعفر أبا أيوب اللورياني <sup>(٢)</sup> الأهواري .  
١٥ . وكاتبُ موسى الهادي بن محمد المهدي إبراهيم بن ذكوان الحراني . وكاتب  
هارون الرشيد بن محمد المهدي يحيى بن خالد البرمكي ، ثم الفضل بن الربيع ، ثم  
إبراهيم بن صُبَيْح . وكاتبُ محمد بن زبيدة الأمين الفضل بن الربيع . وكاتبُ  
عبد الله للمأمون بن هارون الرشيد الفضل بن سهل ، ثم الحسن بن سهل ، ثم  
عمرو بن مسعدة ، ثم أحمد بن يوسف . وكاتبُ أبي إسحاق محمد المعتصم بن  
١٥ هارون الرشيد ، وهو المعروف بابن ماردة ، الفضل بن مروان ، ومحمد بن عبد الملك  
الزيات . وكاتبُ الواثق هارون بن محمد المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات أيضاً .  
وكاتبُ المتوكل جعفر بن محمد المعتصم إبراهيم بن العباس بن صُول ، مولى لبيح  
العباس . وكاتبُ المنصور محمد ، ويكنى أبا جعفر ، بن المتوكل ، أحمد بن الخصيب ،  
ثم كتب المستعين أحمد بن محمد المعتصم ، فظهر من عجزه وعييه ما أسخطه عليه ،  
٢٠ ثم جعل وزارته إلى أوتامش ، وقام بخدمته شجاع بن القاسم كاتبه ، ثم سخط  
عليهما فقتلهما ، واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، ثم صرفه وقلد

(١) هو عبد الحميد بن يحيى . انظر المقدم فيما سياتي وابن خلكان (ج ١ ص ٢٠٨) .  
(٢) في الأصول : « اللورياني » ، والتصويب عن الوزراء والطبري والغفرى .

وزارته محمد بن الفضل الجرجاني . ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، فقلد المعتز وزارته جعفر بن محمود الجرجاني ، فلما أستقام الأمر رد وزارته إلى أحمد ابن إسرائيل . وكانت المهدي<sup>(١)</sup> محمد بن الواثق جعفر بن محمود الجرجاني ، ثم استوزر بعده أبا أيوب سليمان بن وهب . واستوزر المعتمد أحمد بن المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فلما توفي استوزر بعده الحسن بن مخلد ، وكان سبب موته أنه صدّمه غلام له في الميدان يقال له رشيق ، فحمل إلى منزله فمات بعد ثلاث ساعات . وتقلد الوزارة للمعتضد أحمد بن طلحة ، وللموفق بن جعفر المتوكل عبيد الله بن سليمان بن وهب . وتقلد الوزارة للمكتفي بالله أبي محمد علي بن المعتضد بالله القاسم بن عبيد الله بن سليمان . وتقلد الوزارة لجعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله علي بن محمد بن الفرات ، ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ثم علي بن عيسى ، ثم<sup>(٢)</sup> حامد بن العباس ، ثم محمد بن علي بن مقلّة ، الذي يوصف خطّه بالجودة ، ثم سليمان بن الحسن<sup>(٣)</sup> بن مخلد ، ثم عبيد الله بن محمد السكّوداني<sup>(٤)</sup> . ثم الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ولقب بعبيد الدولة ، وكان يكتب على كتبه : من عميد الدولة أبي علي بن ولي الدولة ، وذكر لقبه على الدنانير والدرهم ، ثم الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات . وتقلد الوزارة للقاهر بالله<sup>١٥</sup> أبي منصور محمد بن المعتضد محمد بن علي بن مقلّة ، ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ، ثم القاسم بن عبيد الله الحصيني<sup>(٥)</sup> . وتقلد الوزارة للراضي بالله أبي العباس محمد ابن جعفر المقتدر محمد بن علي بن مقلّة ، ثم عبد الرحمن بن عيسى ، أخو الوزير علي بن عيسى ، ثم<sup>(٦)</sup> محمد بن القاسم السكّرخي ، ثم الفضل بن جعفر بن محمد بن

- ٢٠ (١) في الأصول : « المهدي » .  
 (٢) في الأصول : « بن » مكان « ثم » والتصويب عن الوزراء والفخرى .  
 (٣) في الأصول : « الحسين » والتصويب عن الفخرى .  
 (٤) في بعض الأصول : « عبد الله بن أحمد السكّوداني » .  
 (٥) فيما سبّأني في العقد الفريد : « أحمد بن عبد الله الحصيني » . والذي في مروج الذهب : « أبو العباس أحمد بن عبيد الله الحصيني » .  
 ٢٥ (٦) في الأصول : « بن » مكان « ثم » . والتصويب عن فخرى .

الفرات ، ثم محمد بن يحيى بن شيرزاد . وتقلد الوزارة للمُتَّقِي بالله إبراهيم بن جعفر ابن المقتدر كاتبه أحمد بن محمد بن الأفطس ، ثم أبو إسحاق القراريطي ، ثم علي بن محمد بن مقله<sup>(١)</sup> . وتقلد الوزارة للمستكفي بالله أبي القاسم عبد الله بن علي المكتفي بالله الحسين بن محمد بن أبي سليمان ، ثم محمد بن علي السامري ، المُسَكِّي أبا الفرج . ثم ولي المطيع بالله الفضل بن المقتدر ، فوزر له الحسن بن هارون<sup>(٢)</sup> .

### أسماء من كتب لغير الخليفة

- كان المغيرة بن شعبة كاتباً لأبي موسى الأشعري . وكان سمييد بن جبير كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان قاضياً بعد ذلك . وكان الحسن بن أبي الحسن البصري ، مع نبلة وفقهه وورعه وزهده ، كاتباً للرابع بن زياد الحارثي بخراسان ، ثم ولي قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز ، فقبل له : مَنْ وَلَّيْتُ القضاء بالبصرة ؟ فقال : وَلَّيْتُ سَيِّدَ التَّابِعِينَ الحسن بن أبي الحسن البصري . وكان محمد بن سيرين ، مع علمه وورعه كاتباً لأنس بن مالك بفارس . وكان زياد ابن أبيه ، مع رأيه ودهائه ، وما كان من معاوية في أديانه ، يكتب للمغيرة ابن شعبة ، ثم لعبد الله بن عامر بن كرز<sup>(٣)</sup> ، ثم لعبد الله بن عباس ، ثم لأبي موسى الأشعري . فوجهه أبو موسى من البصرة لعمر بن الخطاب ليرفع إليه حسابه ، فأمر له عمر بألف درهم ، لما رأى منه من الذكاء ، وقال : له لا ترجع لأبي موسى ؛ فقال : يا أمير المؤمنين . أعن خيانة صرَفْتَنِي أم عن تقصير ؟ قال : لا عن واحدة منهما ، ولكني أكره أن أحمل فضل عقلك على الرعية ؛ ثم ولي بعد الكتابة العراق . وكان عامر الشعبي مع فقهه وعلمه ونبلة كاتباً لعبد الله بن مطيع ، ثم لعبد الله بن يزيد ، عامل عبد الله بن الزبير على الكوفة ؛

(١) في الأصول : « محمد بن علي بن مقله » . والتصويب عن مروج الذهب والنفوس .  
ومحمد بن علي بن مقله توفي سنة ٣٢٨ ، أي قبل ولاية المتقي التي كانت سنة ٣٢٩ .  
(٢) لعنه الحسن بن محمد المهلب . (انظر العقد فيا سياًتي وابن خلكان ج ١ ص ١٤٢) .  
(٣) في الأصول : « كرز » . وهو تحريف . (انظر المعارف والطبري) .

ثم ولى قضاء الكوفة بعد الكتابة . وكان قبيصة بن ذؤيب كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم<sup>(١)</sup> . وكان عبد الرحمن كاتباً نافع بن الحارث ، وهو عامل أبى بكر وعمر على مكة . وكان عبد الله بن خلف الخزاعي ، أبو طلحة الطلحات ، كاتباً على ديوان البصرة لعمر وعثمان ، ثم قتل يوم الجمل مع عائشة ، رضى الله عنها . وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها . وكان يزيد<sup>(٢)</sup> بن عبد الله<sup>(٣)</sup> بن زمة<sup>(٤)</sup> بن الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزى كاتباً على ديوان المدينة زمن<sup>(٥)</sup> يزيد بن معاوية ، وكان بعده حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهمري<sup>(٦)</sup> .

### أشراف [ الكتاب ]

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم .  
كتب له عشرة كتاب : على بن أبى طالب ، ومحمد بن الخطاب ، وعثمان ابن عفان ، وخالد بن سعيد بن العاصي ، وأبان بن سعيد بن العاصي ، وأبو سعيد بن العاصي ، وعمرو بن العاصي ، وشريح بن حسنة ، وزيد بن ثابت ، والعلاء بن الحضرمي ، ومعاوية بن أبى سفيان<sup>(٧)</sup> ، فلم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

وكان عثمان بن عفان كاتباً لأبى بكر ، ثم صار خليفة . وكان مروان بن الحكم كاتباً لعثمان بن عفان ثم صار خليفة . وكان عمرو بن سعيد بن العاصي

من أشراف الكتاب

- (١) زيد في بعض الأصول كلمة : « بعد » بعد قوله : « الخاتم » .  
(٢) في الأصول : « زيد » . وما أثبتناه عن سائر الأصول والطبرى .  
(٣) في الأصول : « عبيد » . وما أثبتناه عن الطبرى .  
(٤) في الأصول : « ربيعة » وما أثبتناه عن الطبرى والإصابة والسيرة .  
(٥) في بعض الأصول : « من » وهو تحريف .  
(٦) ذكر المؤلف في هذا الباب قبيصة وعبد الله بن خلف وخارجة ويزيد بن عبد الله ، مع أنهم ممن كتبوا لخلقاء . (٧) كذا في أكثر الأصول . وهم على هذا أحد عشر أو ذكرتهم (ي) ولم تذكر فيهم أبان . وانظر الوزراء والكتاب في أسماء من ثبت على كتابته صلى الله عليه وسلم . ثم انظر ما سبق في هذا الجزء (من ١٦٠ — ١٦٣) عند الكلام على شرف الكتاب وفضلهم .



كاتبًا على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها . وكان المغيرة بن شعبه كاتبًا لأبي موسى الأشعري . وكان الحسن بن أبي الحسن البصري كاتبًا للربيع ابن زياد الحارثي بخراسان . وكان سعيد بن جبير كاتبًا لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان فاضلا . وكان زياد كاتبًا للمغيرة بن شعبه ، ثم لأبي موسى الأشعري ، ثم لعبد الله بن عامر بن كرز ، ثم لعبد الله بن عباس . وكان عامر الشعبي كاتبًا لعبد الله بن مطيع ، وهو والي الكوفة لعبد الله بن الزبير . وكان محمد بن سيرين كاتبًا لأنس بن مالك بفارس . وكان قبيصة بن ذؤيب كاتبًا لعبد الملك ، على ديوان الخاتم . وكان عبد الرحمن بن أبرم كاتبًا نافع بن الحارث الخزاعي ، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة . وكان عبيد الله<sup>(١)</sup> بن أوس الغساني ، سيد أهل الشام ، كاتب معاوية . وكان سعيد بن رنران<sup>(٢)</sup> الهمداني ، سيد همدان ، كاتب على بن أبي طالب ، ثم ولي بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير . وكان عبد الله بن خلف الخزاعي ، أبو طلحة الطلحات ، كاتبًا على ديوان البصرة لعمر وعثمان ، وقتل يوم الجمل مع عائشة . وكان خارجة بن زيد ابن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك . وكان يزيد بن عبد الله بن زعنة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى على ديوان المدينة زمان يزيد بن معاوية . وكان بعده حميد ، ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

من نبيل بالكتابة وكان قبل خاملا

سرجون بن منصور الرومي ، كاتب لمعاوية ويزيد أبنه ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، إلى أن أسره عبد الملك بأمر فتوائى فيه ، ورأى منه

(١) كذا في بعض الأصول ، والذي في الطبري : « عبيد بن أوس » . وقد مر في هذا الجزء باسم : « سعيد بن أنس » . والذي في سائر الأصول : « عبد الله » .  
(٢) كذا في الوزراء والطبري والأغاني ( ج ١٦ ص ٨ ) طبعة بلاي . والذي في الأصول : « سعيد بن عمران » .

- عبدُ الملك بعضَ التفريط ، فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل : إن سرجون يُدَلِّ علينا بصناعته ، وأظن أنه رأى ضرورتنا إليه في حسابه ، فما عندك فيه حيلة ؟ فقال : بلى ، لو شئت لحولتُ الحِساب من الرُّومية إلى العربية . قال : أفعَل . قال : أنظرنى أعان ذلك . قال : لك نظرة ما شئت . فحوّل الديوان ، فولاهُ عبدُ الملك جميعَ ذلك . وحسَّانُ النَّبَطِيُّ<sup>(١)</sup> كاتبُ الحِجَاج ، وسالم مولى هشام بن عبد الملك ، وعبد الحميد الأكبر ، وعبد الصمد<sup>(٢)</sup> ، وجبلة بن عبد الرحمن ، وقحذم ، جدّ الوليد<sup>(٣)</sup> بن هشام القَحْذَمِي ، وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية<sup>(٤)</sup> . ومنهم : الفرّاء<sup>(٥)</sup> ، كاتبُ خالد بن عبد الله القسري . ومنهم : الربيع ، والفضل بن الربيع ، ويعقوب بن داود ، ويحيى ابن خالد ، وجعفر بن يحيى ، وأبو [ محمد ] عبد الله بن المُقَمَّع ، والفضل بن سهل ، والحسن بن سهل ، وجعفر بن [ محمد بن ]<sup>(٦)</sup> الأشعث ، وأحمد بن يوسف ، وأبو<sup>(٧)</sup> عبد السلام الجُنديسابوري ، وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات ، والحسن بن وهب ، وإبراهيم بن العباس الصولي ، ونجاح بن سلمة ، وأحمد بن محمد [ بن ] المُدَبِّر . فهؤلاء نبأوا بالكتابة وأستحقوا أَسْمَها .

١٥ من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحقها

صالح بن شيرزاد ، وجعفر بن سابور ، كاتب الأفيشين ، والفضل بن مروان ، وداود بن الجراح ، وأبو صالح عبد الله بن محمد بن يزيد ، وأحمد

(١) كان حسان نصرانيا ولم يسلم إلا أيام هشام على يد ابن المنقعر . (انظر الوزراء) .

(٢) له عبد الصمد بن أبان . (انظر الوزراء والكتاب) .

(٣) في صبح الأعشى ( ج ١ ص ٤٠ ) : « جد الحجاج » .

(٤) الذي في الوزراء أن الذي نقل الدواوين إلى العربية هو صالح بن عبد الرحمن أيام الحجاج ، وكان أستاذا لكثيرين منهم قحذم هذا .

(٥) في الوزراء أن كاتب خالد هو : « مروان بن إلياس » .

(٦) التسلية من الوزراء .

(٧) في صبح الأعشى ( ج ١ ص ٤٠ ) : « ابن عبد السلام »

٢٠٩  
٢

ابن الخصيب . فهو لاء لَطَخُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكِتَابَةِ وَمَا دَانُوهَا <sup>(١)</sup> .

لبعض الشعراء  
في ابن شبرزاد

وقال بعض الشعراء في صالح بن شبرزاد :

حَارٌّ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا كَدَعْوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادٍ  
فَدَعَّ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا وَلَوْ غَرَّقْتَ ثَوْبَكَ فِي الْمِدَادِ

لأبي أيوب في  
رفاء أم سليمان  
ابن وهب

ومنهم : أبو أيوب ، ابن أخت أبي الوزير <sup>(٢)</sup> ، وهو القائل يَرْتِي أُمُّ سُلَيْمَانَ

ابن وهب الكاتب :

لَأُمِّ سُلَيْمَانَ عَلَيْنَا مُصِيبَةٌ مُغْلَغَلَةٌ <sup>(٣)</sup> مِثْلُ الْحُسَامِ الْبَوَازِ  
وَكُنْتُ سِرَاجَ الْبَيْتِ يَا أُمَّ سَالِمٍ فَأُضْحَى سِرَاجُ الْبَيْتِ وَسَطَ الْمَقَابِرِ  
فَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ وَهْبٍ : مَا نَزَلَ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ مَا نَزَلَ بِي ، مَاتَ أُمِّي  
فَرُمِيتَ بِمِثْلِ هَذَا الشَّعْرِ ، وَنُقِلَ أَسْمَى مِنْ سُلَيْمَانَ إِلَى سَالِمٍ . ١٠

### صفة الكتاب

لإبراهيم الشيباني  
في معنى هذا  
العنوان

<sup>(٤)</sup> قال إبراهيم بن محمد الشيباني : من صفة الكاتب أَعْتَدَالُ الْقَامَةِ ، وَصِغَرُ  
الْهَامَةِ ، وَخِفَةُ الْأَهَازِمِ <sup>(٥)</sup> ، وَكَثَافَةُ اللَّحْمَةِ ، وَصِدْقُ الْحِسِّ ، وَلُطْفُ الْمَذْهَبِ ،  
وَحَلَاوَةُ الشَّامِلِ ، وَحُسْنُ <sup>(٦)</sup> الْإِشَارَةِ ، وَمَلَاحَةُ الرَّيِّ ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْمَهَابِلَةِ  
لَوْلَدَهُ : تَزَيَّيْنَا بِرِزْيِ الْكِتَابِ ، فَإِنْ فِيهِمْ أَدَبَ الْمُلُوكِ وَتَوَاضَعَ الشُّوْقَةُ . وَقَالَ  
إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ : مَنْ كَالِ آلِ الْكِتَابَةِ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ : نَقِيَّ  
الْمَلْبَسِ ، نَقِيفَ الْمَجْلِسِ ، ظَاهِرَ الْمُرُوءَةِ ، عَطِرَ الرَّائِحَةِ ، دَقِيقَ الذَّهْنِ ، صَادِقَ  
الْحِسِّ ، حَسَنَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ حَوَاشِيِ اللِّسَانِ ، حُلُوَ الْإِشَارَةِ ، مَلِيحَ الْأُسْتَعَارَةِ ،

٢٠

(١) في ي : « وهجنوها » مكان : « وما دانوها » .

(٢) هو أبو الوزير عمر بن مطرف ، كتب للهدى وللرشيد . ( انظر الوزراء ) .

(٣) في بعض الأصول : « مغلغة » .

(٤) في صبح الأعشى ( ج ١ ص ٦٧ ) : « محمد بن إبراهيم الشيباني » .

(٥) الهمزتان : مضعتان في أصل الحنك .

(٦) في صبح الأعشى ونهاية الأرب ( ج ٧ ص ١٢ ) : « وخطف » .

لطيف المسالك ، مُستَقَرَّ التركيب<sup>(١)</sup> ؛ ولا يكون مع ذلك فَضْفَاضَ الجُثَّةِ<sup>(٢)</sup> ،  
مُتَفَاوِتَ الأجزاء ، طَوِيلَ اللَّحِيَةِ ، عَظِيمَ الهَامَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ  
لا يَلِيْقُ بِصَاحِبِهَا الذِّكَاةُ وَالْفِطْنَةُ . وَأَنشَدَ سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي إِبرَاهِيمَ بْنِ العَبَّاسِ :  
رَأَيْتُ لَهَا زَمَ السُّكُتَابِ خَفَّتْ وَلِهَزَمْتَكَ شَأْنُهُمَا الْقَدَامَةُ<sup>(٣)</sup>  
وَكُتُبُ الْمُلُوكِ لَمْ بَيَّانُ كَمِثْلِ الدُّرِّ قَدْ رَصَفُوا نِظَامَهُ  
وَأَنْتَ إِذَا نَطَقْتَ كَأَنَّ عَيْرًا يَلُوكُ مِمَّا يَفُوه بِهِ إِجَامَهُ

لأبن حميد في  
ابن العباس

وقال آخر :

لبعض الشعراء

عَلَيْكَ بِكَاتِبٍ لَبِيقٍ رَشِيقٍ زَكِيٍّ فِي شَمَائِلِهِ حِرَارَهُ  
تُفَاجِيهِ بِطَرَفِكَ مِنْ بَعِيدٍ فِيهِمْ رَجَعُ لِحْظِكَ بِالْإِشَارَةِ

وَنَظَرَ أَحْمَدُ بْنُ الْخَصِيبِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْكَاتِبِينَ : فَذَمَّ الْمُنْظَرَ<sup>(٤)</sup> ، مُضْطَرِبٌ ١٠  
الْخَلْقَ ، طَوِيلَ الْمُتَمَنُّونَ ، فَقَالَ : لَأَنْ يَكُونَ هَذَا فِئْطَاسٌ مُرَكَّبٌ أَشْبَهَ مِنْ  
أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا .

لأبن الخصيب  
في كاتب

فَإِذَا أَجْتَمَعَتِ لِلْكَاتِبِ هَذِهِ الْخُلَالُ ، وَأَنْتَطَمَتْ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ ، فَهُوَ  
الْكَاتِبُ الْبَلِيقُ ، وَالْأَدِيبُ النَّحْوِيُّ ؛ وَإِنْ قَصُرَتْ بِهِ آلَةٌ مِنْ هَذِهِ الْآلَاتِ ،  
وَقَعْدَتْ بِهِ أَدَاةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ ، فَهُوَ مُنْقَوِصُ الْجَمَالِ ، مُنْكَسِفُ الْحِسِّ ، ١٥  
مُبْخَوِصُ النَّصِيبِ .

مَا يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَأْخُذَ بِهِ نَفْسُهُ

قَالَ إِبرَاهِيمُ الشَّيْبَانِيُّ : أَوَّلُ ذَلِكَ حُسْنُ الْخَطِ الَّذِي هُوَ لِسَانُ الْيَدِ ، وَبَهْجَةُ  
الضَّمِيرِ ، وَسَفِيرُ الْعَقْلِ ، وَوَحْيُ الْفِكْرَةِ ، وَسِلَاحُ الْمَعْرِفَةِ ، وَأَنْسُ الْإِخْوَانِ عِنْدَ  
الْفِرْقَةِ ، وَمَحَادِثُهُمْ<sup>(٥)</sup> عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ ، وَمُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ، وَدِيْوَانُ الْأُمُورِ .  
وَلَسْتُ أَجِدُ لِحُسْنِ الْخَطِ حَدًّا أَقْفَ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ عَلِيِّ [ بْنِ رَبِّعٍ ] ٢٠

لإبراهيم الشيباني

(١) في نهاية الأرب : « مستقره المركب » . (٢) في بعض الأصول : « الجبة » .

وما أدبتنا عن سائر الأصول وصيغ الأعمى . (٣) القدامة : التي عند الكلام .

(٤) أي غليظ سمين . (٥) في بعض الأصول : « ومحادثتهم » .

النصراني الكاتب<sup>(١)</sup> ، فإني سألته وأستوصفته الخط ، فقال : أعلمك الخط في كلمة واحدة ، فقلت له : تفضل بذلك ، فقال : لا تكتب حرفاً حتى تستفرغ مجهودك في كتابة الحرف ، وتجعل في نفسك أنك لا تكتب غيره حتى تعجز عنه ، [ثم تنتقل إلى ما بعده . وإياك والنقطة والشكل في كتابك إلا أن تمر بالحرف المعضل الذي تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن أستخراجه ؛ فإني سمعت سعيد بن حميد [بن عبد الحميد] الكاتب يقول : لأن يشكل الحرف على القارئ أحب إلى من أن يُعاب الكتاب بالشكل . وكان المأمون يقول : إيتاكم والشونيز<sup>(٢)</sup> في كتبكم — يعني النقط والإعجام . ومن ذلك أن يصلح الكاتب آله التي لا بد منها ، وأداته التي لا تتم<sup>(٣)</sup> صناعته إلا بها ، مثل دوائه ، فليُنعم ربها<sup>(٤)</sup> وإصلاحها ، وليتخير من أنابيب القصب أقله عقداً ، وأكثره لحيماً ، وأصلبه قشراً ، وأعدله أستواء ، ويجعل لقرطاسه سكيناً حاداً لتكون عوناً له على برئ أقلامه ، ويهريها من ناحية نبات القصبة . وأعلم أن محل القلم من الكاتب كمحل الرُمح من الفارس .

٢١٠  
٢

٥

١٠

اللامعي في  
وصف الأنابيب

قال العتاني : سألني الأصمعي [يوماً] في دار الرشيد : أي الأنابيب للكتابة أصلح وعليها أصبر ؟ فقلت له : ما نشف بالهجير مائه ، وسره عن تلويحه غشاؤه ، من التبرية القشور ، الذرية الظهور ، الفضية الكسور . قال : فأني نوع من البري أصوب وأكتب ؟ فقلت : البرية المستوية القطعة ، التي عن يمين سنها قرنة<sup>(٥)</sup> تأمن معها المجة عند المدة والمطة ، للهواء في شتتها فتتيق ،

١٥

(١) انظر الطبري والمشتبه وابن أبي أصيبعة (ج ١ ص ٣٠٩) وفهرست ابن النديم

(ص ٣١٦) . وقد ذكر له ابن النديم من مؤلفاته كتاباً في الآداب والأمثال

٢٠

على مذاهب الفرس والروم والعرب . وفي الأصول : « الصراياذي » .

(٢) الشونيز : الحبة السوداء ، فارسي . (٣) في بعض الأصول : « لا تتمر » .

(٤) ربها : إصلاحها .

(٥) القرنة (بالضم) : الطرف الشاخص من كل شيء ، أو زاويته أو شعبته أو

ما نتأ منه . وفي بعض الأصول : « برية » . وهو تحريف .

٢٥

والريّح في جوفها خريق<sup>(١)</sup> ، والمداد في خرطومها رقيق . قال العتّابي : فبقى الأصمى شاخصاً إلى ضاحكاً لا يحير مسألة ولا جواباً .

من صفات  
الكاتب

ولا يكون الكاتب كاتباً حتى لا يستطيع أحد تأخير أول كتابه وتقديم آخره . وأفضل الكتاب ما كان في أول كتابته دليل على حاجته ، كما أن أفضل الأبيات ما دلّ أول البيت على قافيته . فلا تطيلن صدر كتابك إطالة<sup>٥</sup> تخرجه عن حذّه ، ولا تقصّر به دون حذّه ، فإنهم قد كرهوا في الجملة أن يزيد صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك .

وقيل للشّعبي : أى شيء تعرف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد . وقال الحسن بن وهب : الكاتب نفس واحدة تجزأت في أبدان متفرقة .

للشعبي  
وابن وهب

فأما الكاتب المستحق أسم الكتاب ، والبلغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا حاول صيغة كتاب سالت عن قلمه عيون الكلام من يناديها ، وظهرت من معاذنها ، وبدرت من مواطنها ، من غير استكراه ولا اغتصاب .

من صفات  
الكاتب أيضاً

بلغنى أن صديقاً لكتلثوم العتّابي أتاه يوماً فقال له : أصنع لى رسالة ، فامتعد مدة ثم علّق القلم ، فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك . فقال له العتّابي : إني لما تناولت القلم تداعت على المعاني من كل جهة ، فأحببت أن أترك كل معنى حتى يرجع إلى موضعه ثم أجتى لك أحسنها . قال أحمد بن محمد : كنت عند يزيد بن عبد الله أخى ذبيان ، وهو يمشى على كاتب له ، فأعجل الكاتب ودارك في الإملاء عليه ، فتلجلج لسان قلم الكاتب عن تقييد إملائه ، فقال له : اكتب يا حمار . فقال له الكاتب : أصليح الله الأمير ، إنه لما هطلت شآبيب الكلام وتدافعت سيوله على حرف القلم ، كل القلم عن إدراك ما وجب عليه تقييده . فكان حضور جواب الكاتب أبلغ من بلاغة يزيد . وقال له يوماً وقد مَطَّ<sup>(٢)</sup> حرفاً في غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طغيان في القلم .

يعني العتّابي  
وصديق له ثم بين  
يزيد وكاتب له

(١) ريح خريق : راجعة غير مستمرة السير ؛ أو هي اللينة السهلة .

(٢) في بعض الأصول : « نط » .

ما يحتاج إليه  
الكاتب

فإن كان لا بُدَّ [ لك ] من طَلَبِ أدوات الكتابة فتَصَفَّح من رسائل المتقدمين ما يُعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما يُرجع إليه ، ومن نوادر الكلام ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسفار ما يتسع به منطلقك ، ويطولُ به قلبك ، وانظر في كتب المقامات والخطب ، ومجوبة العرب<sup>(١)</sup> ، ومعاني العجم ، وحدود المنطق ، وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وسيرهم ووقائعهم ومكايدهم في حروبهم<sup>(٢)</sup> ، والوثائق والصور وكتب السجلات والأمانات ، وقرص الشعر الجيد ، وعلم العروض ، بعد أن تكون متوسطاً [ في ] علم النحو والغريب ، لتكون ماهراً تنزعُ آى القرآن في مواضعها ، والأمثال<sup>(٣)</sup> في أماكنها ، فإن تضمن المثل السائر ، والتبنت الغابر البارع ، مما يزين كتابك ، ما لم تخاطب خليفة أو مَلِكاً جليل القدر ؛ فإن اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء عيبٌ ، إلا أن يكون الكاتب هو القارض للشعر والصانع له ، فإن ذلك يزيد<sup>(٤)</sup> في أهنته .

### خبر حائك الكلام

أبو جعفر البغدادي قال : حَدَّثَنَا عثمانُ بن سَعِيد قال : لما رَجَعَ المعتصم من الشَّغْرِ وصار بناحية الرِّقَّة ، قال لعمر بن مَسْعُود<sup>(٥)</sup> : ما زلتَ تسألني في الرُّخَجِي<sup>(٦)</sup> حتى وَلَّيْتَهُ الأهواز ، فَقَعِدَ في سُرَّة الدنيا يأكلها خَضماً وقَضماً ، ولم

(١) في بعض الأصول : « العرب في حروبهم » .  
(٢) في بعض الأصول : « في حروبهم بعد أن تكون متوسطاً في علم النحو والغريب والوثائق والصور وكتب السجلات والأمانات لتكون ... في أماكنها وقرص الشعر الجيد وعلم العروض ، فإن تضمن » . وفيه تقديم وتأخير لا يستقيم به .  
(٣) في بعض الأصول : « واختلاف الأمثال » . (٤) في : « فإن ذلك مما ينفذ » .  
(٥) كذا في الأصول وصحح الأعشى ( ج ١ ص ١٤٢ ) . والمعروف أن عمرو بن مسعدة توفي في حياة المأمون سنة ٢١٧ . وأن المعتصم ولي الخلافة في رجب سنة ٢١٨ .  
(٦) هو عمر بن الفرج ، كما في صحيح الأعشى . والرخجي : نسبة إلى رَجَج ، كورة ومدينة من نواحي كابل . وكان عمر وأبوه فرج من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل . ( انظر معجم البلدان ) . وفي بعض الأصول : « الرخجي » . وهو تصحيف .

يُوجِبُهُ إِلَيْنَا بِدِرْهَمٍ وَاحِدٍ . أَخْرُجْ إِلَيْهِ مِنْ سَاعَتِكَ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَمَّا  
الْوِزَارَةُ أَصِيرُ مُسْتَحَقًّا عَلَى عَامِلِ خَرَجٍ ! وَلَسَكُنْ لَمْ أَجِدْ بَدَأًا مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ ، فَقُلْتُ : أَخْرُجْ إِلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : أَحْلَفْ لِي أَنَّكَ لَا تُقِيمُ  
بِبَغْدَادٍ إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا . فَخَلَفْتُ لَهُ ، ثُمَّ انْحَدَرْتُ إِلَى بَغْدَادٍ ، فَأَمَرْتُ فُقْرَشَ لِي  
زَوْرُقَ<sup>(١)</sup> بِالطَّيْرِ ، وَغُشَّى<sup>(٢)</sup> بِالسَّلَاحِ<sup>(٣)</sup> ، وَطَرَحَ عَلَيْهِ الْكُرَّ<sup>(٤)</sup> . ثُمَّ خَرَجْتُ ، فَلَمَّا  
صِرْتُ بَيْنَ دَيْرِ هِرْزَقُلٍ وَدَيْرِ الْعَاقُولِ<sup>(٥)</sup> إِذَا رَجُلٌ بِصِيحٍ : يَا مَلَّاحُ ، رَجُلٌ مُنْقَطِعٌ .  
فَقُلْتُ لِلْمَلَّاحِ : قَرِّبْ إِلَى الشَّطِّ . فَقَالَ : يَا سَيِّدِي ، هَذَا شَحَّاذٌ ، فَإِنْ قَعَدَ مَعَكَ  
آذًاكَ . فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ ، وَأَمَرْتُ الْعِلْمَانَ فَأَدْخَلُوهُ ، فَقَعَدَ فِي كَوْنَتِلِ<sup>(٦)</sup>  
الزَّوْرُقِ . فَلَمَّا حَضَرَ وَقْتُ الْغَدَاءِ عَزَمْتُ أَنْ أَدْعُوهُ إِلَى طَعَامِي ، فَدَعَوْتُهُ ،  
فَجَعَلَ يَأْكُلُ كُلَّ أَكْلِ جَائِعٍ بِنَهَامَةٍ إِلَّا أَنَّهُ نَظِيفُ الْأَكْلِ . فَلَمَّا رَفَعَ الطَّعَامَ أَرَدْتُ أَنْ  
يَسْتَعْمَلَ مَعِيَ مَا يَسْتَعْمَلُ الْعَوَامُّ مَعَ الْخَوَاصِّ : أَنْ يَقُومَ فَيَغْسِلَ يَدَهُ فِي نَاحِيَةٍ ،  
فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَغَمَزَهُ الْعِلْمَانُ فَلَمْ يَقُمْ ، فَتَشَاغَلْتُ عَنْهُ ثُمَّ قُلْتُ : يَا هَذَا ، مَا صَنَاعَتُكَ  
قَالَ : حَائِكٌ<sup>(٧)</sup> . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذِهِ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى . فَقَالَ لِي : جُعِلَتْ  
فِيكَ ، قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ صِنَاعَتِي فَأَخْبَرْتُكَ ، فَمَا صَنَاعَتُكَ أَنْتَ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ فِي  
نَفْسِي : هَذِهِ أَعْظَمُ مِنَ الْأُولَى ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ لَهُ الْوِزَارَةَ ، فَقُلْتُ : أَقْتَصِرُ لَهُ  
عَلَى الْكِتَابَةِ ، فَقُلْتُ : كَاتِبٌ . قَالَ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ، الْكِتَابُ عَلَى خَمْسَةِ  
أَصْنَافٍ : فَكَاتِبُ رِسَائِلٍ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ الْفَصْلَ مِنَ الْوَصْلِ ، وَالصُّدُورَ ،

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « زَلَالِي » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَحْشِي » .

(٣) السَّلَاحُ (بِالْكَسْرِ) : الْجُلْدُ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « بِالسَّلَاحِ » . ٢٠

(٤) الْكُرُّ (بِالضَّمِّ) : الْكِسَاءُ .

(٥) دَيْرُ هِرْزَقُلٍ : دَيْرٌ مَشْهُورٌ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَعَسْكَرٍ مُكَرَّمٍ . وَدَيْرُ الْعَاقُولِ : بَيْنَ مَدَائِنِ

كَسْرَى وَالتَّعْنَابِيَةِ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَغْدَادٍ خَمْسَةُ عَشَرَ فَرَسْخًا . (انظر معجم البلدان) .

(٦) الْكَوْنَتِلُ : مَوْخِرُ السَّفِينَةِ أَوْ سَكَانِهَا .

(٧) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « حَائِكُ الْكَلَامِ » . ٢٥



والتهاني ، والتعازي ، والترغيب والترهيب ، والمقصود والممدود ، ومجلاً من  
 العربية ؛ وكتب خراج يحتاج إلى أن يعرف الزرع والمساحة ، والأشوال<sup>(١)</sup>  
 والطسوق<sup>(٢)</sup> ، والتقسيم ، والحساب ؛ وكتب جند يحتاج إلى أن يعرف مع الحساب  
 الأطلاع<sup>(٣)</sup> ، وشيات الدواب ، وحلى<sup>(٤)</sup> الناس ؛ وكتب قاض يحتاج إلى أن يكون  
 عالماً بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والموارث ؛  
 وكتب شرطة يحتاج إلى أن يكون عالماً بالجروح والقصاص والعقوب<sup>(٥)</sup> والديات .  
 فأبهم أنت أعزك الله ؟ قال : قلت : كاتب رسائل . قال : فأخبرني إذا كان لك صديق  
 تكتب إليه في المحبوب والمكروه وجميع الأسباب ، فتزوجت أمه ، فكيف  
 تكتب له ، أنهنيه أم تعزيه ؟ قلت : والله ما أقف على ما تقول . قال : فلست  
 بكتاب رسائل ، فأبهم أنت ؟ قلت : كاتب خراج . قال : فما تقول أصلحك  
 الله وقد ولأك السلطان عملاً فبثت عمالك فيه ، فجاءك قوم يتظلمون من بعض  
 عمالك ، فأردت أن تنظر في أمورهم ، وتُنفهم إذ كنت تحب العدل والبر<sup>(٦)</sup> ،  
 وتؤثر حسن الأحذوثة وطيب الذكر ، وكان لأخدم قراح<sup>(٧)</sup> ، كيف كنت  
 تمسحه ؟ قال : كنت أضرب العُطوف في العمود ، وأنظر كم مقدار ذلك . قال :  
 إذن تظلم الرجل . قلت : فأمسح العمود على حدة . قال : إذن تظلم السلطان .  
 قلت : والله ما أدري . قال : فلست بكتاب خراج ، فأبهم أنت ؟ قلت : كاتب

١٠

٢١٢  
٢

١٥

(١) الأشوال : جمع شول . وهي النوق آتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر  
 نجف لبنها ؛ الواحدة : شائلة . (٢) كذا في الأصول . والطسوق : جمع  
 طسوق ، وهو ما يوضع من الوظيفة على الجربان من الخراج المقرر على الأرض ،  
 فارسي معرب . وفي صبح الأعشى : « السطوح » . وهو تحريف .  
 (٣) الأطلاع : الرواتب الجارية على الجند في الأوقات التي يستحقونها فيها على ما يقتضيه  
 كل زمان . (انظر الاقتضاب ص ٧٤) . وفي بعض الأصول : « التقدير » .  
 (٤) حلى (كهدي وبضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء) جمع حلية (بالكسر) وهي الصفة .  
 (٥) العقل : الدية ، وسميت الدية عقلاً ، لأنهم كانوا يأتون بالإبل فيعقلونها بقاءً ولئى  
 المقتول ، ثم كثر ذلك حتى قيل لكل دية عقل وإن كانت دنانير أو دراهم .  
 (٦) في بعض الأصول : « والسير » .  
 (٧) القراح : المزرعة التي ليس عليها بناء ولا فيها شجر . وفي بعض الأصول :  
 « قراح قائل فنيا » . وفي صبح الأعشى : « قراح قابل قسيا » .

٢٠

٢٥

جُند . قال : فما تقول في رجلين أسم كل واحد منهما أحد ، أحدهما مَقْطُوع الشَّعَةِ العليا والآخر مَقْطُوع الشَّعَةِ السفلى ، كيف كنت تكتب حَاتِمَتِهما ؟ قال : كنت أكتب : أحمدُ الأعلم وأحمدُ الأعم . قال : كيف يكون هذا ورزقُ هذا مائتا درهم ورزقُ هذا ألف درهم ، فيقبض هذا على دَعْوَةِ هذا ، فتظلم صاحب الألف ! قلت : والله ما أدري . قال : فلست بكتاب جُند ، ٥ فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب قاض . فقال : فما تقول أصلحك الله في رجل توفى وخلف زوجة وسُرِّيَّة<sup>(١)</sup> ، وكان للزوجة بنت وللسُرِّيَّة ابن ، فلما كان في تلك الليلة أخذت الحرة ابن السُرِّيَّة فادَّعته ، وجعلت أبنيتها مكانه ، فتنازعا فيه ، فقالت هذه : هذا أبني ، وقالت هذه : هذا أبني ، كيف تحكم بينهما وأنت خليفَةُ القاضي ؟ قلت : والله لست أدري . قال : فلست بكتاب قاض ، فأَيُّهم ١٠ أنت ؟ قلت : كاتب شرطة . قال : فما تقول أصلحك الله في رجل وثب على رجل فشجَّه شَجَّةً مُوضِحَةً<sup>(٢)</sup> ، فوثب عليه المشجوج فشجَّه شَجَّةً مَأْمُومَةً<sup>(٣)</sup> ؟ قلت : ما أعلم . ثم قلت : أصلحك الله ، [ قد سألت ] ففسِّر لي ما ذكرت . قال : أما الذي تزوجت أمه فتكتبُ إليه : أما بعد ، فإن أحكام الله تجري بغير محابِّ المخلوقين والله يختار للعباد ، نحر الله لك في قبضها إليه ، فإن القبر ١٥ أكرم لها ، والسلام ؛ وأما القراح ، فتضرب واحداً في مساحة العطوف ، فمن ثمَّ بابُه ؛ وأما أحد وأحد ، فتكتب حِلْمَةَ المَقْطُوع الشَّعَةِ العليا : أحمدُ الأعلم ، والمَقْطُوع الشَّعَةِ السفلى : أحمدُ الأشرم ؛ وأما المرأتان ، فيوزن ابن هذه ولبن هذه ، فأَيُّهما كان أخفَّ فهي صاحبة البنت ؛ وأما الشَجَّة ، فإن في الموضحة خمسا من الإبل ، وفي المأمومة ثلاثاً وثلاثين وثلاثاً ، فيردُّ صاحب المأمومة ثمانية ٢٠ وعشرين وثلاثاً . قلت : أصلحك الله ، فما نزع بك إلى هنا ؟ قال : ابن عم لي

(١) السرية (بالضم) : المملوكة يتسراها صاحبها .

(٢) الموضحة من الشجاج : التي بلغت العظم فأوضحت عنه .

(٣) مأمومة ، أي بلغت أم الرأس .

كان عاملاً على ناحية ، فخرجتُ إليه فأنقيته مغزولاً ، ففُطِع بي ، فأنا خارج  
أضطرب في المعاش . قلتُ : ألسنتُ ذكرتُ أنك حائك ؟ قال : أنا أخوك  
الكلام واستُبحائك الثياب . قال : فدعوتُ الزين فأخذ من شعره ، وأدخل  
الحمام فطرحته عليه شيئاً من ثيابه . فلما صرتُ إلى الأهواز كلتُ الرُخجى  
فأعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معي ، فلما صرتُ إلى أمير المؤمنين ، قال :  
ما كان من خبرك في طريقك ؟ فأخبرته خبري حتى حدثته حديث الرجل .  
فقال لي : هذا لا يُستغنى عنه ، فلأشئ شئ يصلح ؟ قلت : هذا أعلم الناس  
بالمساحة والهندسة . قال : فولاه أمير المؤمنين البناء والعمرة . فكنتُ والله  
ألقاه في الموكب النبيل فينحط عن دابته ، فأحلف عليه ، فيقول : سبحان الله !  
إنما هذه نعمتك ، وبك أفدتها<sup>(١)</sup> . ١٠

### فضائل الكتابة

قال أبو عثمان الجاحظ : ما رأيتُ قوماً أنفذ طريقة في الأدب من هؤلاء  
الكتاب ، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً  
سوقياً . وقال بعضُ المهالبة لبنيه : تزيوا بزى الكتاب فإنهم جمعوا أدب  
الملوك وتواضع السوقة . وعتب أبو جعفر المنصور على قوم من الكتاب فأمر  
بحبسهم ، فرفعوا إليه رُقعة ليس فيها إلا هذا البيت :  
ونحنُ الكاتبون وقد أسأنا قهيناً للكرام الكاتبين  
فعفا عنهم وأمر بتخليه سبيلهم .

وقال المؤيد : كتاب الملوك عيونهم [ الناظرة ] ، وآذانهم الواعية ،  
وَأَسْنَتُهُمُ الناطقة . والكتابة أشرفُ مراتب الدنيا بعد الخلافة ، وهي صناعة  
جليلة تحتاج إلى آلات كثيرة . وقال سهل بن هارون : [ الكتابة ] أولُ  
زينة الدنيا التي إليها ينتهاى الفضل ، وعندها تقف الرغبة .

(١) انظر صبح الأعشى ، فيبين النصين خلاف كبير .

للجاحظ لم بعض  
المهالبة ينصح بنيه  
ثم لقوم من  
كتاب المنصور  
تظلموا إليه

للمؤيد ثم سهل  
ابن هارون في  
فضل الكتابة

## ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها

إبراهيم الشيباني  
في طبقات  
الكتاب

- قال إبراهيم بن محمد الشيباني : إذا أحتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتّاب والخطباء والأدباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم ، فخطب كلا على قدر أهبته وجلالته ، وعلاؤه وأرتفاعه ، وفطنته وانتباهه . وأجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام <sup>(١)</sup> : منها : الطبقات العلوية أربع ، والطبقات الأخر ، وهي دونها ، أربع ؛ لكل طبقة منها درجة ، ولكل قسمها ، لا ينبغي للكتاب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ويقلب معناها إلى غيرها . فالحذ الأول : الطبقات العليا ، وغايتها <sup>(٢)</sup> القصوى الخلافة ، التي أجل الله قدرها وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير ؛ والطبقة الثانية لوزرائها وكتّابها الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ، ويرتقون الفتوق بأرائهم ؛ والطبقة الثالثة أمراء نفورهم وقواد جنودهم ، فإنه يجب مخاطبة كل أحد منهم على قدره وموضع ، وحظه وغنائه وإجزائه ، واضطلاعه بما حمل من أعباء أمورهم وجلال أعمالهم ؛ والرابعة القضاة ، فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء ، وحلية الفضلاء ، فمعهم أبهة السلطنة وهيبة الأمراء . وأما الطبقات الأربع الآخر فهم : الملوك الذين أوجب نعمهم تعظيمهم في الكتّاب إليهم ، وأفضالهم تفضيلهم فيها ؛ والثانية وزراؤهم وكتّابهم وأتباعهم الذين [ بهم ] تفرع أبوابهم ، وبعناياتهم تستباح أموالهم ؛ والثالثة هم العلماء [ الذين ] يجب توقيرهم في الكتّاب بشرف العلم وعلو درجة أهل ؛ والطبقة الرابعة لأهل القدر والجلالة ، والحلاوة والطلاوة ، والظرف والأدب ، فإنهم يضطرونك بحدة أذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادهم ، وأدبهم وتصفّحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم . واستغنيانا عن الترتيب للسوقة والعوام والتجار باستغنائهم بمهنتهم <sup>(٣)</sup> عن هذه الآلات ،

(١) انظر الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (من ٦٦ — ٧٠) فيين طبقات الكتاب

هنا وهناك بيان . (٢) في بعض الأصول : « والغاية » .

(٣) في بعض الأصول : « بمهنتهم » .

واشتغالهم بمهماتهم عن هذه الأدوات . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن تراها في مراسلتك إليهم في كتبك ، فتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قسمة ، وتؤقيه نصيبه ؛ فإنك متى أهملت ذلك وأضعته لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ، ويجري شعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه .

فلا تعتد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظاً لا نقا بمن كاتبتّه ، ومثلما بمن راسلته ؛ فإنّ إلباسك المعنى ، وإن صحّ وشرف ، لفظاً متخلفاً عن قدر المكتوب إليه لم تجز به عاداتهم ، تهجين للمعنى ، وإحلال بقدره ، وظلم بحق المكتوب إليه ، ونقص مما يجب له ؛ كما أن في أتباع تعارفهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجرت به سنتهم ، قطعاً أعذرهم ، وخروجاً من حقوقهم ، وبلوغاً إلى غاية مرادهم ، وإسقاطاً لحجة أدبهم . فمن الألفاظ المرغوب عنها ، والصدور المستوحش منها في كتب السادات والملوك والأمراء ، على اتفاق المعاني ، مثل : أبقاك الله طويلاً ، وعمرك مملئاً . وإن كنّا نعلم أنه لا فرق بين قولهم : أطال الله بقاءك ، وبين قولهم : أبقاك الله طويلاً . ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزناً ، وأنبه قدراً في مخاطبة .

كما أنهم جعلوا : أكرمك الله ، و : أبقاك ، أحسن منزلاً في كتب الفضلاء والأدباء ، من : جعلت فداك ، على اشتراك معناه ، وأحتمل أن يكون فداء من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداء من الشر ؛ ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص : أزم فداك أبي وأمي ، لكرهنا أن يكتب بها أحد . على أن كتاب العسكر وعوامهم قد ولعوا بهذه اللفظة حتى أستمعوا لها في جميع محاوراتهم ، وجعلوها هجيراً في مخاطبة الشريف والوضيع ، والكبير والصغير . ولذلك قال محمود الوراق :

كُلُّ مَنْ حَلَّ سُرٌّ مَنْ رَى مِنَ النَّاسِ وَمَنْ قَدْ يَدْخُلُ الْأَمْلاكَ  
لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مِثْلًا بِطَرِيقٍ قَالَ لِلْكَلْبِ يَا جُعِلْتُ فِدَاكَ

وكذلك لم يجزوا أن يكتبوا بمثل ، أبقاك الله ، وأمتع بك ، إلا في الابن  
والخادم المنقطع إليك ؛ وأما في كتب الإخوان ، فغير جائز بل مذموم مرغوب  
عنه . ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أَحْلَتَ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ      أَمْ نِلْتَ مُلْكَ قَتِيتَ فِي كُتُبِكَ  
أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةِ الْإِخْوَانِ      نَقْصًا عَلَيْكَ فِي أَدَبِكَ  
أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مِقَّةٍ      يَكُونُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعُ بِكَ  
أَتَعْبَتُ كَفَيْكَ فِي مُكَاتَبَتِي      حَسْبُكَ مَا قَدْ لَقِيتَ فِي تَعْبِكَ

فكتب إليه محمد بن عبد الملك الزيات :

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أُمِّي      وَكُلَّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكَ  
أَنْكَرْتُ شَيْئًا فَلَسْتُ فَاعِلُهُ      وَإِنْ تَرَاهُ يُخْطِئُ فِي كُتُبِكَ  
إِنْ يَكُ جَهْلٌ أَنَاكَ مِنْ قِبَلِي      فَقَدْ بَقِضَ عَلَيَّ مِنْ حَسْبِكَ  
فَاعْفُ فِدَتُكَ الثَّفُوسَ عَنْ رَجُلٍ      يَبْعِثُ حَتَّى الْمَاتِ فِي أَدَبِكَ

ولكل مكتوب إليه قدر ووزن ، ينبغي للكاتب ألا يتجاوز به عنه ،  
ولا يُقصر به دونه . وقد رأيتهم عابوا الأحوص حين خاطب الملوك خطاب  
العوام في قوله :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ      مَذَقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ<sup>(١)</sup>  
وهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجلوا قدر الملوك أن يمدحوا بما  
تُمدح به العوام ؛ لأن صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان من المدح فهو  
واجب على العامة ، والملوك لا يمدحون بالفرائض الواجبة ، إنما يحسن مدحهم  
بالتوافل ؛ لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إنك لا تترنى بحليلة جارك ، وإنك  
لا تحون ما أستودعت ، وإنك لتصدق في وعدك وتفي بعهدك ، فكأنه قد  
أننى بما يجب ، ولو قصد بثنائه إلى مقصده<sup>(٢)</sup> كان أشبه في الملوك<sup>(٣)</sup> .

(١) مَذَقُ الْحَدِيثِ ، أى في حديثه مداورة ومواربة . (٢) أى ثناؤه على الملوك

بالتوافل لا بالفرائض . (٣) في الملوك ، أى في مدح الملوك .

ونحن نعلم أن كل أمير يتولى من أمر المؤمنين شيئاً فهو أمير المؤمنين ،  
غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة إلا على الخلفاء خاصة . ونحن نعلم أن السكيس هو  
العاقل ، لكن لو وصفت رجلاً فقلت : إنه عاقل ، كنت مدحته عند الناس ،  
وإن قلت : إنه لسكيس ، كنت قد قصرت به عن وصفه وصغرت من قدره ،  
إلا عند أهل العلم باللغة ؛ لأن العامة لا تلتفت إلى معنى الكلمة ، ولكن إلى  
ما جرت به العادة من استعمالها في الظاهر ، إذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة  
مع الخدانة والغرّة وخساسة القدر وصغر السن . وقد روينا عن عليّ كرم الله  
وجهه أنه تسمى بالسكيس حين بنى سجن السكوفة ، فقال في ذلك :

أما تراني كَيْسًا مُكَيْسًا <sup>(١)</sup> بنيتُ بعد نافع مُحَيَّسًا <sup>(٢)</sup>

حَصِينًا حَصِينًا <sup>(٣)</sup> وأمينًا كَيْسًا

وقال الشاعر : ما يصنع الأحق المزروق بالسكيس <sup>(٤)</sup>

وكذلك نعلم أن الصلاة رحمة ، غير أنهم كرهوا الصلاة إلا على الأنبياء ،  
كذلك روينا عن ابن عباس . وسمع سعد بن أبي وقاص ابن أخ له يلقي ويقول  
في تلبيته : تَبِيكَ يا ذا المعارج ، فقال : نحن نعلم أنه ذو المعارج ، ولكن ليس  
كذا كنّا نلبي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كنّا نقول : لَبِيكَ  
اللهم لَبِيكَ . وكان [أبو] إبراهيم المزني <sup>(٥)</sup> يقول في بعض ما خاطب به داود  
ابن خلف الأصماني <sup>(٦)</sup> : فإن قال كذا فقد خرج عن الله ، والحمد لله .

(١) كيسا مكيسا ، أى ظريفا نافعا .

(٢) المحيس : سجن كان بالسكوفة غير مستوثق البناء من قصب ، فكان المحبوسون  
يهربون منه ، لهذا بنى على المحيس . ويسمى السجن المحيس ، بفتح الياء المشددة ،  
لأن الناس يغيسون فيه ويلزمون نزوله ، أو المحيس ، بكسر الياء المشددة ،  
لأنه يحبس المحبوسين .

(٣) في اللسان مادة خيس « بابا كبيراً وأميناً » . (٤) السكيس : العقل .

(٥) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم المزني ، أخذ عن الشافعي ، وكان ورعاً فقيهاً ،  
وتوفي بمصر سنة ٢٦٤ ( انظر فهرست ابن النديم ) .

(٦) في الأنساب : « داود بن علي » ، وفي رسائل البلغاء : « داود بن علي بن خلف  
الحزامي » وهو من أصحاب الظاهر ، الذين يجرون النصوص على ظاهرها .

فنفق ذلك عليه داود ، وقال فيما ردّ عليه : تَحْمَدُ الله على أن تُخرجَ أمراً مُسْلِماً من الإسلام ، وهذا موضع أسترجاع ، وللحمد مكان يليق به ! وإنما يقال في المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فأُمْتَثِلُ هذه المذاهب ، وأُجْر على هذه القواعد <sup>(١)</sup> ، وتحفظ في صدور كتبتك

- وفُصُولاً وخَوَاتِمْها ، وَضَع كل معنى في موضع يليق به ، وتخيّر لـ كُل لَفْظَةٍ معنى يشاكلها ، وليكن ما تختتم به فُصُولُك في موضع ذكر البَلَوَى بمثل : نَسألُ الله دَفْعَ المَحْذُورِ ، وَصَرَفَ المَكْرُوهِ ، وأشياء هذا ؛ وفي موضع ذكر المُصِيبَةِ : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ وفي موضع ذكر النِّعْمَةِ : الحمد لله خالصاً والشكر لله واجباً . فإن هذه المواضع يجب على الكاتب أن يتفقّدها ويتحفظ فيها <sup>(٢)</sup> ؛ فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يَضُم كل معنى في موضعه ، ويعلق كل لَفْظَةٍ على طبقتهما من المعنى . واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتت به آيُ القرآن من الاقتصار والحذف ، ومحاظبة الخاصّ بالعام والعام بالخاصّ ؛ لأنَّ الله جل ثناؤه خاطب بالقرآن قوماً فُصِّحَاءَ فهِمُوا عنه جلّ ثناؤه أمره ونهيهِ ومُرَادِهِ ، والرسائل إنما يُخاطَب بها أقوامٌ دخلاء على اللغة ، لا علم لهم بلسان العرب . وكذلك ينبغي للكاتب أن يَحْتَجِب اللفظ المشترك والمعنى المُلتبس ؛ فإنه إن ذهب يُكاتب على مثل معنى قول الله تعالى : (وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) وكقوله تعالى : (بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) ، احتاج الكاتب أن يُبين معناه : بل مكرهم بالليل والنهار ؛ ومثل هذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره . وكذلك لا يجوز أيضاً في الرسائل والبلاغات المشهورة ما يجوز في الأشعار الموزونة ، لأنَّ الشاعر مُضْطَر ، والشعر مَقْصُور مَقْيَد بالوزن والقوافي ؛ فلذلك أجازوا لهم صَرَفَ ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذف ما لا يُحذف منها ، وأغفروا فيه سوء النظم ، وأجازوا فيه التّقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار ، وذلك كله غير مُستساغ

(١) في بعض الأصول : « القوام » .

(٢) في بعض الأصول : « يتحفظ بها » .



في الرسائل ولا جائز في البلاغات . فما [أجيز] في الشعر من الحذف [مثل]

٢١٦ قول الشاعر<sup>(١)</sup> : قواطناً مَكَّةَ من وُزُقِ الْحَمَى<sup>(٢)</sup> يعني الحمام

وقول الآخر : صِفِرَ الْوُشَاحِينَ صَمَوْتَ الْخُلُخُلِ<sup>(٣)</sup> يريد : الخللخال

وكقول الآخر : دَارٌ لَسَلَمَى إِذْ مِنْ هَوَاكَ يريد : إذ هي

وكقول الحطيئة :

فِيهَا الرِّيحُ وَفِيهَا كُلُّ سَابِغَةٍ جَذَلَاءَ مَسْرُودَةٍ مِنْ صُنْعِ سَلَامٍ<sup>(٤)</sup>

يريد : سليمان . وكقول الآخر<sup>(٥)</sup> :

مَنْ نَسَجَ دَاوُدُ أَبِي سَلَامٍ وَالشَّيْخُ عُثْمَانُ أَبِي عَفَانٍ

أَرَادَ : عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ . وَكَأَيُّهَا الْآخَرُ<sup>(٦)</sup> :

١٠ وسائلةٌ بِمَعْلَبَةٍ بْنِ سَيَّارٍ وَقَدْ عَلِقَتْ بِمَعْلَبَةِ الْقَلُوقِ<sup>(٧)</sup>

وأراد : مَعْلَبَةُ بْنُ سَيَّارٍ . [وكأَيُّهَا] الْآخَرُ :

وَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ أَسْقَى إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ

أَرَادَ : وَلَكِنْ .

وكذلك لا ينبغي في الرسائل أَنْ يُصَغَّرَ الْأَسْمَاءُ فِي مَوْضِعِ التَّعْظِيمِ ، وَإِنْ كَانَ

١٥ ذَلِكَ جَائِزاً ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ : دُوَيْهِيَّةٌ ، تَصْغِيرُ دَاهِيَّةٍ . وَجَذِيلٌ ، تَصْغِيرُ جَذَلٍ .

وَعُذِيْقٌ ، تَصْغِيرُ عَذْقٍ . وَقَالَ الشَّاعِرُ ، وَهُوَ لَبِيدٌ :

(١) هُوَ الْعَبَّاجُ . (انظر لسان العرب مادة حم وقطن) .

(٢) حَذَفَ الْمِيمَ وَقَلَّبَ الْأَلْفَ يَاءً ، وَهُوَ حَذَفٌ شَاذٌ . وَقِيلَ لِأَنَّمَا حَذَفَ الْأَلْفَ مِنَ

الْحَمَامِ ، فَبَقِيَ الْحَمُ ، فَاجْتَمَعَ حُرَفَانِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ فَلَزِمَهُ التَّضْعِيفُ ، فَأَبْدَلَ يَاءَ

مِنَ الْمِيمِ .

٢٠

(٣) قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ فِي الْلسَانِ (مادة خلخل) : وَالْخُلُخُلُ (بِالْفَتْحِ) وَالْخُلُخُلُ (بِالضَّمِّ) :

مِنَ الْخُلَى ، مَعْرُوفٌ . ثُمَّ قَالَ : وَالْخُلُخُلُ (بِالْفَتْحِ) : لَفَةٌ فِي الْخُلُخُلِ أَوْ مَقْصُورٌ

مِنْهُ ، وَاحِدٌ خِلَافِ الْإِنْسَاءِ . (٤) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (مادة جدل) :

فِيهِ الْجِيَادُ وَفِيهِ كُلُّ سَابِغَةٍ جَذَلَاءَ بِحِكْمَةٍ مِنْ نَسَجِ سَلَامٍ

(٥) ذَكَرَ ابْنُ مَنْظُورٍ (مادة سلم) صَدَرَ هَذَا الْبَيْتِ عِزْرًا لِمَصْدَرِ آخَرٍ وَهُوَ :

\* وَدَعَا بِحِكْمَةِ أَمِينٍ سَكَمًا \* وَنَسَبَهُ لِلْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرَ .

٢٥

(٦) هُوَ الْفَضْلُ الْبَكْرِيُّ . (انظر لسان العرب مادة علق) . (٧) الْعَلُوقُ : النِّتْيَةُ .

وكلُّ أناس سوف تَدْخُل بينهم دُويمةٌ تَصْفُرُ منها الأناملُ  
وقال الحلياب بن المُنذر، يومَ سقيفة بني ساعدة : أنا عُدَيْقَةُ المُرْجَبِ ،  
وَجُذَيْلُهَا المُحْكَكُ . وقد شرّحه أبو عبيد (١) .

ومما لا يجوز في الرسائل وكرهه في الكلام أيضاً مثل قولهم : كَلَمْتُ إِيَّاكَ ،  
وأعنى إِيَّاكَ ، وهو جائز في الشعر . وقال الشاعر :

وَأَحْسِنْ وَأَجْمِلْ فِي أَسِيرِكَ إِنَّهُ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَأْسِرْ كَلِيَّاكَ أَسِيرُ  
وقال الراجز : \* إِيَّاكَ حَتَّى بَلَغْتَ إِيَّاكَ \*

فتخيّر من الألفاظ أَرْجَحَهَا لَفْظاً (٢) ، وأجزَلَهَا مَعْنَى ، وأشرفَهَا جَوْهَرًا ،  
وأَكْرَمَهَا حَسْبًا ، وأَلْيَقَهَا فِي مَكَانِهَا ، وأشكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا ؛ فَإِنْ حَاوَلْتَ صَنْعَةَ رِسَالَةٍ  
فَرِنَ اللَّفْظَةُ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِمِيزَانِ التَّصْرِيفِ إِذَا عَرَضْتَ ، وَغَايِرَ الْكَلِمَةِ بِمِيعَارِهَا ١٠  
إِذَا سَنَحْتَ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا مَرَّ بِكَ مَوْضِعٌ يَكُونُ مَخْرَجُ الْكَلَامِ إِذَا كَتَبْتَ : أَنَا  
فَاعِلٌ ، أَحْسَنَ مِنْ أَنْ تَكْتُبَ : أَنَا أَفْعَلُ ، وَمَوْضِعٌ آخَرُ يَكُونُ فِيهِ : اسْتَفْعَلْتُ ،  
أَحْلَى مِنْ : فَعَلْتُ . فَأَدِرِ الْكَلَامَ عَلَى أَمَا كُنْهُ (٣) ، وَقَلْبِهِ عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِهِ ، فَأَيُّ  
لَفْظَةٍ رَأَيْتَهَا [أَخَفَ] فِي الْمَكَانِ الَّذِي نَدَبْتَهَا إِلَيْهِ ، وَأَنْزَعِ إِلَى الْمَوْضِعِ (٤) الَّذِي رَاوَدَتْهَا  
عَلَيْهِ ، فَأَوْقَعَهَا فِيهِ ، وَلَا تَجْعَلِ اللَّفْظَةَ قَلْبَةً فِي مَوْضِعِهَا ، نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا ، فَإِنَّكَ ١٥  
مَتَى فَعَلْتَ هَجَنْتَ الْمَوْضِعَ الَّذِي حَاوَلْتَ تَحْسِينَهُ ، وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي  
أَرَدْتَ إِصْلَاحَهُ ؛ فَإِنَّ وَضْعَ الْأَلْفَاظِ فِي غَيْرِ أَمَا كُنْهَا ، وَقَصْدَكَ بِهَا إِلَى غَيْرِ  
مُصَابِهَا (٥) ، إِنَّمَا هُوَ كَتَرْقِيعِ الثُّوبِ الَّذِي لَمْ تَنْشَابِهِ (٦) رِقَاعَهُ ، وَلَمْ تَتَقَارَبْ أَجْزَاؤُهُ ،

(١) العديق : تصغير عديق ، بفتح العين ، وهو النخلة . والمرجَب : الذي جعل له  
رجبة ، وهي دعامة تبني حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت  
تخوفوا عليها أن تنقع من الرياح المواصل . والجذيل المحكك : يعود ينصب  
في مبارك الإبل تنعير به الإبل الجري . وفي بعض الأصول : « وقال سرحة  
أبو عبيدة » . وهو مخريف . (٢) في نهاية الأرب (ج ٧ ص ١٨٨)  
طبعة دار الكتب : « وزنا » . (٣) وفي رواية : « وأكملها حسنا » .  
(٤) في بعض الأصول : « أعكاه » . (٥) في بعض الأصول : « فأنزعها إلى المكان  
الذي أوردتها » . (٦) في بعض الأصول : « تشابهه » . (٧) في نهاية الأرب : « مظانها » .

نخرج من حَدِّ الجِدَّة ، ونَغَيِّرُ حُسْنَهُ ، كما قال الشاعر :  
 إِنَّ الجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِ تَبَيَّنَ النَّاسُ <sup>(١)</sup> أَنَّ الثَّوبَ مَرْقُوعٌ  
 وكذلك كلما أحلولى الكلامُ وعَذَّبَ وراق وسَهَّلَ مخارجه كان أسهلَ  
 ولَوْجاً <sup>(٢)</sup> فى الأَسْمَاعِ ، وأشدَّ اتصالاً بالقلوب ، وأخفَّ على الأفواه ؛ لا سيما إذا  
 كان المعنى البديع مُترجماً بلفظ مُوثق شريف ، ومُعَايَرًا بكلامٍ عَذْبٍ لم يَسِمِهِ  
 التَّكْلِيفُ بِمِيسَمِهِ ، ولم يَفْسِدْهُ التَّعْقِيدُ بِاسْتِغْلَانِهِ <sup>(٣)</sup> .

بين عيسى بن  
لهيعة وأخيه

وكتب عيسى بن لهيعة إلى أخيه أبى الحسن وزور <sup>(٤)</sup> كلامه وجاوز  
 المِقْدَارَ فى التَّنْطِيعِ ، فوقع فى أسفل كتابه :

أنى يكون بليفاً من اسمه كان عيياً <sup>(٥)</sup>  
 وثالثُ الحرف منه <sup>(٦)</sup> أذى كُفِّيت مُسِيئاً <sup>(٧)</sup>

بين بعض الملوك  
وكاتب

قال : وبلغنى أن بعض الكتَّاب عاد بعض الملوك فوجده يُنَّ من علة ،  
 فخرج عنه وصرَّ بباب الطاق <sup>(٨)</sup> ، فإذا بطير يدعى الشَّفَّانين <sup>(٩)</sup> ، فاشتراه  
 وبعث به إليه ، وكتب كتاباً وتنطع فى بلاغته : وتذكرك أنه يقال له شَفَّانين ،  
 أرجو أن يكون شفاءً من أنين . فوقع فى أسفل الكتاب : والله لو عطست ضَبًّا  
 ما كنت عندنا إلا نبطياً ، فأقصر عن تنطعك <sup>(١٠)</sup> ، وسَهَّلَ كلامك .

قوله : لو عطست ضَبًّا ، يريد أن الضَّبَّاب من طَعام الأعراب وفى بلدٍ ؛  
 فقال : لو عطست فنثرت ضَبًّا من عَطاسك لم تُلَحِّق بالأعراب ولم تكن إلا

( ١ ) فى بعض الأصول : « بين للناس » . ( ٢ ) فى بعض الأصول : « وأرجا » .

( ٣ ) فى بعض الأصول « باستهلاكه » . ( ٤ ) فى بعض الأصول : « وصدور » .

( ٥ ) يشير إلى الحرفين الأولين من « عيسى » .

( ٦ ) يشير إلى السين والألف وما فيهما من معنى الإساءة .

( ٧ ) مسياً : مسياً ، ثم سهلت الهمزة وأدغمت الياء فى الياء .

( ٨ ) باب الطاق : محلة كبيرة ينفذ بالجانب الشرقى . ( انظر معجم البلدان ) .

( ٩ ) فى حياة الحيوان للدميرى : « الشفنين بكسر الشين المعجمة ، وهو فتولد بين

نوعين ما كولين ، وعده الجاحظ فى أنواع الحمام . وبعضهم يقول : الشفنين هو

الذى تسميه العامة الحمام ، وجمه شفانين » .

( ١٠ ) فى بعض الأصول : « بعضك » .

نَبْطِيَا . وقد جاء في بعض الحديث : إن القِطَّ من نَثْرَةِ عَطْسَةِ الْأَسَدِ ، وإن  
الفَارَّ من نَثْرَةِ عَطْسَةِ الْخَنَزِيرِ . فقال هذا : لو أن الضَّبَّ من نَثْرَتِكَ لم تكن  
إلا نَبْطِيَا . وفي هذا المعنى قال مُحَمَّدُ الْمَوْصِلِيُّ يَهْجُو حَبِيبًا :

لَمُحَمَّدِ الْمَوْصِلِيِّ  
يَهْجُو حَبِيبًا

- أَنْتَ عِنْدِي عَرَبِيٌّ لَيْسَ فِي ذَاكَ كَلَامٌ  
شَعْرُ سَاقِيكَ وَفَخْذِي لَكَ خُرَامِي وَتُمَامٌ <sup>(١)</sup>  
وَقَذَى عَيْنِكَ صَبْنُغٌ وَنَوَاصِيكَ تَفَامٌ <sup>(٢)</sup>  
وَضُلُوعُ الصَّدْرِ مِنْ شِدِّ وَكَ نَبْعٌ وَبَشَامٌ <sup>(٣)</sup>  
لَوْ تَحَرَّكَ كَذَا أَذْ جَفَلْتَ مِنْكَ نَعَامٌ  
وَضَبَّاءُ رَاتَعَا تَ وَيرَابِيعُ عِظَامٌ <sup>(٤)</sup>  
وَحَمَامٌ يَتَفَقَّى حَبِّذَا ذَاكَ الْحَمَامُ <sup>(٥)</sup>  
أَنَا مَا ذَنْبِي لِأَنْ كَذَّبَنِي فِيكَ الْأَنَامُ  
وَفَقِي <sup>(٥)</sup> يَخْلَفُ مَا إِنْ عَرَقْتُ فِيهِ الْكَرَامُ <sup>(٦)</sup>  
نَمْ قَالُوا جَاسِمِي <sup>(٧)</sup> مِنْ بَنِي الْأَنْبِاطِ حَامُ  
كَذَّبُوا مَا أَنْتَ إِلَّا عَرَبِيٌّ وَالسَّلَامُ

وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفي بالزُّوح الخفي ، واللفظ الظاهر بالجلُّمان <sup>١٥</sup>  
الظاهر ، وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجَزُلُ لفظ شريف جزل لم تكن  
العبرة واضحة ، ولا النظام مُتسقاً ، وتضالُّل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح  
كتضالُّل الحُسْناء في الأطوار الرثمة

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف : لفظ وإشارة وعقد وخط . وقد  
ذكر له أرسطاطاليس صنفًا خامسًا في كتاب المنطق ، وهو الذي يسمى <sup>٢٠</sup>

- (١) الخزامى والثمام : نباتان . (٢) التمام : نبت .  
(٣) البشام : شجر عطر الرائحة ورقه يسود الشعر ويساك بقصبه .  
(٤) البراييم : جمع يربوع ، ذوبية فوق الجرذ ، الذكر والأنثى فيه سواء .  
(٥) في بعض الأصول : « واقفا » . (٦) يقال : عرق فيه أعمامه (بالضم) .  
وأعرقوا ، إذا خالطه ذلك وتخلق بأخلاقهم . (٧) كذا في ي . وجاسمي : <sup>٢٥</sup>  
منسوب إلى جاسم ، حي قديم . والذي في سائر الأصول : « هاشمي » .

٢١٨  
٢  
النصيبية<sup>(١)</sup> . والنصيبية : الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، وهي الناطقة بغير لفظ ، ومُشيرة إليك بغير يد . وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وكل صامت وناطق . وجميع هذه الأصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المعاني ، وسافرة عن وجوهها . وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الأصناف ، صنفان ، هما : القلم واللسان ، وكلاهما للقلب ترجمان . فأما اللسان فهو الآلة التي يخرج الإنسان بها عن حد الاستبهام إلى حد الإنسانية بالكلام ؛ ولذلك قال صاحب المنطق : حد الإنسان الحي الناطق . وقال هشام بن عبد الملك : إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه بين الجوارح . وقال علي بن عبيدة : إنما يُبين عن الإنسان اللسان ، وعن المودة العينان . وقال آخر : الرجل محبوب تحت لسانه .

١٠ وقالوا : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه . وقال الشاعر :

وما المرء إلا الأصغران لسانه ومَعْقُولُهُ والجسمُ خَلْقُ مُصَوِّرٍ  
فإن طُرَّة<sup>(٢)</sup> راقَتْك يوماً فرمما أمرٌ مَذاقُ العودِ والعودِ أخضر  
وللخط صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، وفضيلة بارعة ، ليست لهذه الأصناف ؛ لأنه<sup>(٣)</sup> يقوم مقامها في الإيضاح عند المشهد ، ويفضلها في المغيب ، لأن الكتب تُقرأ في الأماكن المتباعدة ، والبُلدان المتفرقة ، وتُدرس في كل عصر وزمان ، وبكل لسان ، واللسان وإن كان ذلقاً فصيحاً لا يعدو سامعه ، ولا يجاوزه إلى غيره .

### البلاغة

قال سهل بن هارون : سياسةُ البلاغة أشدُّ من البلاغة . وقيل لجعفر بن [يحيى بن] خالد : ما البلاغة ؟ قال : التقرب من المعنى البعيد ، والدلالة بالقليل على الكثير . وقيل لابن المقفع : ما البلاغة ؟ قال : قلةُ الحَصَر ، والجُرأة على البشر ؛ قيل له :

(١) النصيبية : كل ما نصب لجعل علما .

(٢) كذا في ي . وطرة ، أى هيئة حسنة وجمال . وفي سائر الأصول : « ترها » .

(٣) في بعض الأصول : « ليست هذه الأوصاف إلا لأنه ... الخ » وهي ظاهرة الاضطراب .

فما المعنى؟ قال: الإطراق من غير فكرة، والتتخنجح من غير علة. وقيل لآخر: ما البلاغة؟ قال: تطويل القصير، وتقصير الطويل. وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟ فقال: حذف الفضول، وتقريب البعيد. وقيل لأرسطاطاليس: ما البلاغة؟ فقال: حُسن الاستعارة. وقيل لجالينوس: ما البلاغة؟ فقال: إيضاح المغضل، وفكّ المشكل. وقيل للخليل بن أحمد: ما البلاغة؟ فقال: ما قُرب طرفاه، وبعد مُنتهاه. وقيل لخالد بن صفوان: ما البلاغة؟ قال: إصابة المعنى، والقصد للحجة. وقيل لآخر: ما البلاغة؟ قال: تصوير الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق. وقيل لإبراهيم الإمام: ما البلاغة؟ فقال: الجزالة والإصابة.

### تضمين الأسرار في الكتب

- وأما تضمين الأسرار في الكتب [حتى] لا يقرؤها غير المكتوب إليه ١٠ ففيه أدبٌ يجب معرفته. وقد تعلقّت العامة بكتاب القمّي<sup>(١)</sup> والأصمّهاني<sup>(٢)</sup>. وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وصف<sup>(٣)</sup> لى منهما أشياء جليّة من تبدّل الحروف، وذلك ممكّن لكل إنسان. غير أن اللطيف من ذلك: أن تأخذ أبناً حايباً فتكتب به في القُرطاس، فيذَر المكتوب له عليه رَماداً سُخِنَا من رَماد القراطيس، فيظهر ما كتبت به إن شاء الله. وإن شئتَ كتبت بماء الزّاج الأبيض، ١٥ فإذا وصل إلى المكتوب إليه أصرّ عليه شيئاً من غبار الزّاج، وإن أحببت أن لا يُقرأ الكتاب بالنهار ويُقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السُّلحفاة.

(١) القمّي، رجلان: أحدهما إسماعيل بن محمد، وله من الكتب: كتاب الهند وكتاب العغل. والآخر علي بن موسى، وكان أحد الفقهاء العراقيين المشهورين. (انظر الفهرست لابن النديم ص ٨٥، ٢٠٧، طبعة أوربة). وظاهر أن المعنى ٢٠ منهما هنا إسماعيل.

(٢) هو أبو علي الحسن بن عبد الله، أصمّهاني المولد. دخل الحضرة وأخذ عن أخذ عنه أبو حنيفة الدينوري. وله من الكتب: الرد على الشعراء. كتاب المنطق. كتاب علل النحو. كتاب التسمية. كتاب المشاشة والبشاشة، وغيرها. (انظر الفهرست لابن النديم ص ٨١) طبعة أوربة. ٢٥

(٣) في بعض الأصول: «وضع».

## قولهم في الأقلام

قالوا : القلم أحد اللسانين ، وهو المحاطب للعيون بسرائر القلوب ، على لغات مختلفة ، من معان مَمْقُودَة بحروف مَعْلُومَة مؤلفة<sup>(١)</sup> ؛ مُتباينات الصور ، مختلفات الجهات ؛ لقاحها التفكير ، ونتائجها التدبير ؛ تخرُس مُنفردات ، وتنطق مزدوجات ؛ بلا أصوات مسموعة ، ولا أنسن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ؛ خلا<sup>(٢)</sup> قلم حَرْف باريه قطته ليمتلق المداد به ، وأرهف جانبه ليرد ما أنتشر عنه إليه ، وشق رأسه ليحتبس<sup>(٣)</sup> المداد عليه ، فهناك أتمد القلم بشقه ، وتثر في القرطاس بخطه ، حروفاً أحكمها التفكير<sup>(٤)</sup> ، وجرى على أسلته<sup>(٥)</sup> الكلام ، الذي سداه العقل ، وألجمه اللسان ، ونهسته اللهوات ، وقطعته الأسنان ، وانظته الشفاه ، ووعته الأسماع ، عن أنحاء شتى من صفات وأسماء . وقال الشاعر ، وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي :

وأسمَرَ طاري الكشح آخر من ناطق  
له ذملا في بطون المهارق<sup>(٦)</sup>  
إذا أستمع لته الكف أمطر وبسه  
بلا صوت إرعاد ولا ضوؤ<sup>(٧)</sup> بارق  
إذا ما حدا غرّ التوا في رأيها  
مُجالية تمضي أمام السوابق  
كأن عليه من دجى الليل حلة<sup>(٨)</sup>  
إذا ما أستهلت مؤنه بالصواعق  
كأن اللآلى والزبرجد نطقه  
ونور الخزامى في عيون الحدايق

وقال العلوي في صفة القلم :

وعزبان من خلعة مكشس  
يمس من الوشي في يلق<sup>(٩)</sup>

(١) في بعض الأصول : « مَعْقُودَة بحروف مَعْلُومَة . . . » .

(٢) يريد أنها لا تنطق بأصوات وألسن وحركات وإنما نطقها بالقلم .

(٣) في ي : « احتبس » . (٤) في ي : « أحكمها الفكر » .

(٥) في بعض الأصول : « وأولى الاستماع بها » .

(٦) الذملا : ضرب من السير ، وقيل هو النير اللين .

(٧) في ي : « برق » . (٨) اليلق : القباء ، فارسي ، معرب يله .

ل بعضهم في الأقلام  
ثم لأبي الحسن  
الهاشمي

٢١٩  
٢

العلوي

تَحَذَّرُ مِنْ رَأْسِهِ رَيْقَةً<sup>(١)</sup> تَسِيلُ عَلَى ذِرْوَةِ الْمَفْرِقِ  
فَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ لَهُ مُطْلَقٌ وَكَمْ مِنْ طَلِيقٍ لَهُ مُوْتَقٌ  
يُقِيمُ وَيُوطِنُ غَرْبَ الْبِلَادِ وَيَنْهَى وَيَأْمُرُ بِالْمَشْرِقِ  
قَلِيلٌ كَثِيرٌ ضُرُوبُ الْخُطُوطِ وَأَخْرَسُ مُسْتَمِعُ الْمَنْطِقِ  
يَسِيرُ بِرَكْبٍ ثَلَاثِ عِجَالٍ إِذَا مَا حَادَا الْفِكْرُ فِي مُهْرَقِ

لبعض الشعراء

وقال آخر في القلم :

لَكَ الْقَلَمُ الطَّيْعُكَ غَيْرَ أَنَا وَجَدْنَا رِثْمَهُ خَيْرَ الْمَطَاعِ  
لَهُ ذَوْقَانِ مِنْ أَرَى هَنِيٍّ وَمِنْ شَرَى وَيَّيٍّ ذِي أَمْتِنَاعِ<sup>(٢)</sup>  
أَحْذُ الْفَلْظَ يَنْطِقُ عَنْ سِوَاهِ فَيَسْمَعُ وَهُوَ لَيْسَ بِذِي أَسْتِمَاعِ  
إِذَا أَسْتَسْقَى بِلَاغَتِكَ أَسْتَهْلَتْ عَلَيْهِ سَمَاءَ فِكْرِكَ بِأَنْدِفَاعِ

وقال :

وَبَيْتٍ بِقَلْبِيَاءِ الْقَلَاةِ بَنِيَّتِهِ بِأَسْمَرٍ مَشْقُوقِ الْخِيَاشِمِ بِرُغْفٍ  
كَأَنَّ عَلَيْهِ مَلْبَسًا جَلْدَ حَيَّةٍ مُقِيمٍ فَمَا يَمْضِي وَمَا يَتَخَلَّفُ  
جَلِيلُ شُئُونِ الْخُطْبِ مَا كَانَ رَاكِبًا يَسِيرُ وَإِنْ أَرْجَلَتَهُ فُضِّعَفَ

الحبيب

وقال حبيب بن أوس ، وهو من أحسن ما قيل فيه :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَاتِهِ<sup>(٣)</sup> يُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ السَّكَلَى وَالْمَفَاصِلُ  
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى أَشْتَارَتُهُ أَيْدِ عَوَاسِلِ  
لَهُ رَيْقَةٌ طَلٌّ وَلَسْكَنٌ وَقَعْمَا بِآثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَأَبِلِ  
فَصِيحٌ إِذَا أَسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلِ  
إِذَا مَا أَمْتَطَى الْخَسَّ اللَّطَافِ وَأَفْرَغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَفِي حَوَافِلِ  
أَطَاعَتِهِ أَطْرَافُ الْقَنَاءِ وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ

(١) الريقة : رضاب الفم .

(٢) الأرى : العسل ، أو ما يجمعه النحل في أجوافها ثم تلفظه . والفري : الحنظل ،

أو شجره . (٣) كذا في بعض الأصول وصحح الأعشى (ج ٢ ص ٤٤٨)

ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٥) . وفي سائر الأصول : « بسنانه » .



إذا استغفر الذَّهْنَ الْجَلِيَّ وأُقبلت      أعاليه في القُرْطاس وَهَى أسافلُ  
وقد رَفَدَتْهُ الخُنْصِرَانِ وسَدَّدَتْ      ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأناملُ  
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وهو مُرْهَفٌ      ضَنَى وَسَمِينًا خَطْبُهُ وهو ناحلُ  
ولما قال حبيب هذا الشعرَ حَسَدَهُ الخُثْعَمَى ، فقال لأبن الزيات :

ما خُطْبَةُ القلمِ التي أُنبِئْتُهَا      وردت عليك لشاعرٍ مَجْدُودِ

للبحترى يصف للم  
الحسن بن وهب

وَأَنشد البُحْتَرِيُّ لنفسه يصف قلمَ الحسن بن وهب :

وإذا نَأَى في النَّدى كَلَامُهُ أَلْ      مَصْقُولٌ <sup>(١)</sup> خِلَتْ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ  
وإذا دَجَّتْ <sup>(٢)</sup> أَفْلامُهُ نِمَّ أَنْتَحَتْ      بَرَقَتْ مَصَابِيحُ الدَّجَى فِي كُتْبِهِ  
بِالْفَظِّ يَقْرُبُ فَهْمُهُ فِي <sup>(٣)</sup> بُعْدِهِ      مَنَّا وَيَبْعُدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ  
حِكْمٌ فَسَاحُجُهَا خِلَالَ بَنَانِهِ      مَتَدَفَّقٌ وَقَلِيلُهَا فِي قَلْبِهِ  
وَكَأَنَّهَا وَالسَّمْعُ مَعْقُودٌ بِهَا      شَخْصُ الحَبِيبِ بَدَا لِعَيْنِ مُحِبِّهِ

١٠

لأحمد بن  
أبي طاهر

وَأَنشد أحمد بن أبي طاهر في بعض الكُتُبِ وبصف القلم :

قَلَمُ الكِتَابَةِ فِي يَمِينِكَ آمِنٌ      تَمَّا يَعُودُ عَلَيْهِ فِيمَا يَكْتُبُ  
قَلَمٌ بِهِ ظَفَرُ العَدُوِّ مُقْسَمٌ      وَهُوَ الْأَمَانُ لِمَا يُخَافُ وَيُرْهَبُ  
يُبْدِي السَّرَائِرَ وَهُوَ عَنْهَا مُحْجَبٌ      وَلِسَانُ حُجَّتِهِ بَصْمَتٌ يَعْزَبُ  
وَمَنْ قَوْلُنَا فِي القَلَمِ :

١٥

لأبن عبد ر  
في القلم

بَكَفَهُ سَاحِرُ البَيَانِ إِذَا      أَدَارَهُ فِي صَحِيفَةِ سَاحِرٍ  
يَنْطِقُ فِي مُجْمَعَةٍ بِمَفْظَتِهِ      نَصِمٌ عَنْهَا وَتَسْمَعُ البَصَرُ  
نَوَادِرُ يَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِهَا      إِنْ تَسْتَنِيهَا وَجَدْتَهَا صُورًا  
نِظَامُ دُرِّ الكَلَامِ ضَمَنَهُ      سِلْكًا لَخَطَ الكِتَابِ مُسْتَطَرًّا <sup>(٤)</sup>  
إِذَا امْتَطَى الخُنْصِرِينَ أَذْكَرَ مِنْ      سَحَابَانِ فِيمَا أَطَالَ وَأَخْتَصَرَا

٢٠

(١) كذا في ديوان البحتري . والذي في الأصول : « في العيون كلامه المحدود » .

(٢) في بعض الأصول والديوان : « دنت » .

(٣) في الأصول : « عن » وما أنبئنا عن الديوان . (٤) مستطرا ، أى مكتوبا .

يُحَاطِبُ الْغَائِبَ الْبَعِيدَ بِمَا      يُحَاطِبُ الشَّاهِدَ الَّذِي حَضَرَ  
تَرَى الْمَقَادِيرَ تَسْتَدْفُ<sup>(١)</sup> لَهُ      وَتُنْفِذُ الْحَادِثَاتُ مَا أَمَرَ  
شَخَتْ<sup>(٢)</sup> ضَيْلٌ لِفِعْلِهِ خَطَرَ      أَعْظَمَ بِهِ فِي مُلْكَةٍ خَطَرًا  
تَمُتُّ فَكَاهَ رَيْقَةً صَغُرَتْ      وَخَطَبُهَا فِي الْقُلُوبِ قَدْ كَبُرًا<sup>(٣)</sup>  
تَوَاقِعَ النَّفْسِ مِنْهُ مَا حَذَرَتْ      وَرَبَّمَا جُبَّتْ بِهِ الْحُـ\_\_\_\_ذِرَا  
مُهْتَفِفٌ تَزْدَهِي بِهِ مُصْخَفٌ      كَأَنَّمَا حُلِيَتْ بِهِ دُرَّرَا  
كَأَنَّمَا تَرْتَعُ الْعَيُوبُ بِهَا      خِلَالَ رَوْضِ مُكَلَّلِ زَهْرَا  
إِنْ قُرِبَتْ مُرْطَتْ<sup>(٤)</sup> طَوَابِعُهَا      مَا فَضَّ طِينٌ لَهَا وَلَا كُسِرَا  
يَكَادُ عَنَوَانُهَا لِرَوْعَتِـ\_\_\_\_هِ      يُنْبِيكَ عَنْ سِرِّهَا الَّذِي أَسْتَرَا

١٠

ومن أحسن ما شُبهت به الأقلام وشُبه بها قولُ ذِي الرُّمَّة :

لدى الرمة في  
وصف القلم

كَأَنَّ أَنْوْفَ الطَّيْرِ فِي عَرَصَاتِهَا      خِرَاطِيمُ أَقْلَامٍ تَخْطُ وَتُعْجِمُ  
وَمِثْلُهُ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَّاعِ فِي وَلَدِ الْبَقَرَةِ :

لابن الرقاع  
في مثله

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ      قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا  
وَمِنْ قَوْلِنَا<sup>(٥)</sup> :

لابن عبد ربه

٢٢١  
٧

يَخْرُجْنَ مِنْ فُرْجَاتِ النَّقْعِ دَامِيَةً      كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ  
وَمِنْهُ قَوْلُ الْمَأْمُونِ :

للمأمون في مثله

كَأَنَّمَا قَابِلُ الْقِرَاسِ إِذَا مُشَقَّتْ<sup>(٦)</sup>      مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَقْلَامٍ عَلَى قَلَمٍ  
وَمِثْلُهُ قَوْلُنَا :

لابن عبد ربه

إِذَا أَدَارَتْ بِنَانَهُ قَلَمًا      لَمْ تَدَّرْ لِلشَّيْءِ أَيَّهَا الْقَلَمُ

٢٠

(١) تستدف ، أى تسهل وتستقيم . وفي بعض الأصول : « تستدق » .

(٢) الشخت (بالفتح ويحرك) : الدقيق الضامر لاهزالا . (٣) الريقة : ماء القلم .

(٤) كذا في ي . ومرطت أى نزعت وتطايرت كما يمرط الريش ؛ أى أن أختامها تفض

بأدنى لمس . والذي في سائر الأصول : « فرطت » .

(٥) جاء في بعض الأصول البيت الآتي منسوباً لعدي وبيت عدي قبله منسوباً للمؤلف .

٢٥

(٦) مشقت ، أى استدقت . شبه الأصابع في دقتها بالأقلام .

ومن قولنا في الأعلام :

ومعشر تنطق أقلامهم بحكمة تلقنها الأعين  
تلفظها في الصلح أقلامهم كأنما أقلامهم ألسن

ومن قولنا في الأعلام :

يا كاتباً نقشت<sup>(١)</sup> أناملُ كفه سحرَ البيان بلا لسان ينطق  
إلا صقيلَ المن معلوم القوى حُدت لهازمه وشقَّ التفرق  
فإذا تكلم رغبةً أو رهبةً في مغرب أصغى إليه المشرق  
يجرى بريقة أزيه أو شربه يبيكي ويضحك من سراه المهرق<sup>(٢)</sup>

ولعبد الله بن المعتز كلامٌ يصف فيه القلم : القلم يخدم الإرادة ، ولا يمل  
الاستزادة ؛ يسكت وافقاً ، وينطق ساكتاً ؛ على أرض بياضها مظلم ، وسوادها  
مضيء . وقال سليمان بن وهب ، وزير المهدي : كل قلم تطيل جلفته<sup>(٣)</sup> فإن الخط  
يخرج به أوقص<sup>(٤)</sup> .

وكتب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط ، فكتب إليه :  
أما بعد ، فليكن قلمك بحرياً ، لا سمينا<sup>(٥)</sup> ، ولا رقيقاً ، ما بين الرقة والغاظ ،  
ضيق الثقب . فأبره برهياً مستويا كنفقار الحمامة ، أعطف قطته<sup>(٦)</sup> ، ورقق  
شفرته<sup>(٧)</sup> . وليكن مدادك صافياً<sup>(٨)</sup> ، خفيفاً إذا استمددت منه<sup>(٩)</sup> ، فألقه ليلة ثم  
صدمه في الدواة . وليكن قرطاسك رقيقاً مستوي الذئج ، تخرج السحاة مستوية من  
أحد الطرفين إلى الآخر ، فليست تستقيم السطور إلا فيما كان كذلك . وليكن  
أكثر تخطيطك في طرف القرطاس الذي في يسارك وأقله في الوسط ، ولا تخط

٢٠ (١) في ي : « بعثت » . (٢) في بعض الأصول : « يدلى » مكان

« يجرى » . والأرى : العسل . والشرى : الحنظل أو شجره .

(٣) الحلقة من القلم (بالكسر ويفتح) : ما بين مبراه إلى سنته .

(٤) الوقص : قصر في العنق مع ميل . شبه به مثله من الخط .

(٥) في بعض الأصول : « متينا » . (٦) في بعض الأصول : « بطنه » .

(٧) في بعض الأصول : « شفتيه » . (٨) في بعض الأصول : « فارسيا » .

(٩) في بعض الأصول : « وزنه » مكان « استمددت منه » .

لابن الليث يصف  
لجعفر بن يحيى  
الخط

في الطرف الآخر ، ولا تخط كلمة ثلاثة أحرف ولا أربعة ، ولا تترك الأخرى  
بغير مط ؛ فإنك إذا فرقت<sup>(١)</sup> القليل كان قبيحا ، وإذا جمعت الكثير كان سميحا .  
ثم ابتدئ الألف برأس القلم كله واخطه بعرضه وأختمه بأسفله . واكتب  
الباء والتاء والسين والشين ؛ والمطة العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف  
والعين والغين ، ورأس كل مُرسل ، برأس القلم . واكتب الجيم والحاء والخاء  
والدال والذال والراء ، والمطة السفلى من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف  
والعين والغين بالسن السفلى من القلم ، وامطط بعرض القلم . والمط نصف الخط ،  
ولا يقوى عليه إلا العاقل ، ولا أحسب العاقل يقوى عليه أيضاً إلا بالنظر إلى  
اليد في استعمالها الحركة ، والسلام .

١٠ وقال ابن طاهر لكتابه : ألق دوائك ، وأطل سن قلمك ، وفرّج بين  
السطور ، وقرّط بين الحروف . وقال<sup>(٢)</sup> إبراهيم بن جبلة : مرّ بي عبد الحميد ، وأنا  
أخط خطأ رديئاً ، فقال لي : أتحب أن يجد خطك ؟ قلت : بلى . قال : أطل  
جلفه القلم وأشمنها ، وحرف قطّك وأيمنها . ففعلت فجاء خطي . وقال العتّابي :  
بُيِّسك القلم بتتسم الكتب . وقال بعض الحكماء : أمر الدين والدنيا تحت  
شبهة<sup>(٣)</sup> السيف والقلم . وقال حبيب الطائي :

لابن طاهر ثم  
عبد الحميد يوصي  
ابن جبلة ثم العتّابي  
وبعض الحكماء  
ثم شعر حبيب

لولا مُناشدة القُربى لغادركم حصائد المُرّهقين : السيف والقلم

وقال أرسطاطاليس : عقول الرجال تحت سن أقلامهم . وقال أبو حكيمة :  
كنت أكتب المصاحف ، فرّج بي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فقال :  
أجلل قلمك . فقصمت من قلمي قصمة . فقال : هكذا ، نورّه كما نورّه الله .

لأرسطاطاليس  
ثم لعلي يوصي  
أبا حكيمة ثم  
لابن سبرين

٢٠ (١) في بعض الأصول : « فرنت » .

(٢) في صبح الأعشى ( ج ٢ ص ٤٥٩ ) : « وقال عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان  
لرغبان . وكان يكتب بقلم قصير البرية » .

(٣) في الأصول : « شنان » .

وكان ابن سيرين يكره أن يكتب القرآن مَشَقًّا<sup>(١)</sup> ، وقال : أجود الخطأ أبيضه .

لسليمان بن وهب  
وغیره فی معنى  
ما سبق

وقال سليمان بن وهب : زينوا خطوطكم بإسبال ذوائبها . وقال عمرو بن

مسعدة : الخط صورة ضئيلة ، لها معان جليلة ، وربما صاق على العيون ، وقد

ملأ أقطار الظنون<sup>(٢)</sup> . وذكر على بن عبيدة<sup>(٣)</sup> القلم فقال : أصم يسمع النجوى ،

أعمى من باقل ، وأبلغ من سحبان وائل ، يجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ،

ويجعل الكتب بين الإخوان السنا ناطقة ، وأعيناً لاحظة ، وربما ضمتها من

ودائع<sup>(٤)</sup> القلوب ما لا تبوح به الألسن عند المشاهدة . وقال أحمد بن يوسف

الكتّاب : ما عبرات الغواني في خدودهن بأحسن من عبرات الأقلام في خدود

الكتّاب . وقال المتنبى : الأقلام مطايا الفطن . وتخيّر<sup>(٥)</sup> غلامان في بعض الدواوين

فقالا إلى أستاذهما يقرضان عليه خطوطهما ، فكره أن يفضل أحدهما على الآخر ،

فقال لأحدهما : أما خطك أنت فوشى محوك . وقال للآخر : وأما خطك أنت

فذهب مسبوك ، تكافيتما في غاية ، وتوافيتما في نهاية . وقال آخر : دخلت

الديوان فنظرت إلى غلام بيده قلم كأنه قضيب عقيان وعليه مكتوب :

وا بآبى ، وا بآبى من كف من يكتب بي<sup>(٦)</sup>

١٥

وقال أبو هفان يصف القلم :

وإذا أمرت على المهارق كفه بأنامل يحملن شخناً مؤهفاً<sup>(٧)</sup>

ومقصراً ومطوّلاً ومقطّعا وموصّلاً ومشتّتاً ومؤكّفاً

كالحيّة الرقشاء إلا أنه يستنزل الأروى إليه تلطفاً<sup>(٨)</sup>

يهفو بها قلم يمتجج لها به فيعود سيفاً صارماً ومثقفاً

شعر لأبي هفان  
في وصف القلم

(١) الشق في الكتابة : مد حروفها . (٢) في ي : « روائع » .

(٣) في بعض الأصول : « على بن عبيد » .

(٤) في بعض الأصول : « أخطار الفنون » . (٥) تخيّر : تفاخر .

(٦) في بعض الأصول : « من كفه تكتب » .

(٧) الشخنت (بالفتح ويحرك) : الدقيق الضامر لا عزالاً .

(٨) الأروى : جمع كثرة للأروية ، وهى أنثى الوعول .

٢٠

٢٥

شعر لبعضهم  
في وصف الدواة

وقال آخر في وصف الدواة :

ومُسَوِّدَةُ الأَرْجَاءِ قَدْ خُضْتُ حَالَهَا  
ورَوَّيتُ من قَعْرِ لَهَا غَيْرَ مُنْبَطٍ<sup>(١)</sup>  
خَمِيصُ الحَشَى يَرْوَى عَلَى كُلِّ مَشْرَبٍ  
أَمِينًا عَلَى سِرِّ الأَمِينِ المُسَلِّطِ

وقال بعض الكتاب :

وما رَوْضُ الرَّبِيعِ وَقَدْ زَهَاهُ  
نَدَى الأَسْحَارِ يَبْأَرُجُ بِالغَدَاةِ  
بَاضُوعٌ أَوْ بِأَسْطَعٍ مِنْ نَسِيمِ  
تُودِّيهِ الأَفَاوَهُ مِنْ دَوَاةِ

وقال آخر في وصف محبرة :

وَلُجَّةٌ بِبَحْرِ أَجْمٍ العُبا  
بِإِذَا غَاصَ فِيهِ أَخُو غَوْصَةٍ  
سَرِيعُ السَّيَّاحَةِ مَا يَفْتَرُ  
بَدِيعُ الكَلَامِ لَهُ جَوْهَرُ  
وَأَكْرَمُ بِبَحْرِ لَهْ لُجَّةٌ  
جَوَاهِرُهَا حَكْمٌ تَنْفَرُ

٢٢٣  
٧

وقال ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ : مَا أَثَرَتِهُ الأَقْلَامُ لَمْ تَطْمَعِ فِي دَرْسِهِ الأَيَّامُ . وَنَظَرَ  
المَأْمُونُ إِلَى جَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهِ تَخْطُ خَطًّا حَسَنًا ، فَقَالَ فِيهَا :

لإمامة ثم شعر  
لعمامون في القلم

وَزَادَتْ لَدَيْنَا حُطُوءٌ حِينَ أَطْرَقَتْ  
أَصْمٌ سَمِيعٌ سَاكِنٌ مَتَحَرِّكٌ  
وَفِي إِصْبَعِيهَا أَسْمَرُ اللَّوْنِ أَهْيَفُ  
يُنَالُ جَسِمَاتِ الْمُنَى وَهُوَ أَعْجَفُ  
وقال بعض الكتاب :

شعر لبعض  
الكتاب

إِذَا مَا التَّمِينَا وَأَنْتَضِينَا صَوَارِمَا  
تَسَاقَطُ فِي الْقِرْطَاسِ مِنْهَا بَدَائِعُ  
يَكَادُ يُصَمِّمُ السَّامِعِينَ صَرِيرُهَا  
كَيْفَ اللَّأَلَى نَظْمُهَا وَنَثِيرُهَا

قَالَ بَشَرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ : الْقَلْبُ مَعْدَنٌ ، وَالْحِلْمُ<sup>(٣)</sup> جَوْهَرٌ ، وَاللِّسَانُ مُسْتَنْبِطٌ ،  
وَالْقَلَمُ صَائِغٌ ، وَالْخَطُّ صَيْغَةٌ<sup>(٤)</sup> . وَقَالَ مَهَلُ بْنُ هَارُونَ : الْقَلَمُ لِسَانُ الضَّمِيرِ ، إِذَا

ليشعر بن المعتز  
وابن هارون  
وغبرها

(١) الحال : الطين الأسود . ويريد به : المداد . وأنبط الماء ، إذا استنبطه وانتهى

إليه . يريد أنها غير بعيدة الغور . (٢) باد ، أى ظاهر القمر .

(٣) الحِلم : العقل . (٤) في بعض الأصول : « صانع ... صنعة » .

وكان ابن سيرين يكره أن يكتب القرآن مشقاً<sup>(١)</sup> ، وقال : أجود الخطأ أبيضه .  
 وقال سليمان بن وهب : زينوا خطوطكم بإسبال ذوائبها . وقال عمرو بن  
 مسعدة : الخط صورة ضئيلة ، لها معان جلية ، وربما صاق على العيون ، وقد  
 ملأ أقطار الظنون<sup>(٢)</sup> . وذكر على بن عبيدة<sup>(٣)</sup> القلم فقال : أصم يسمع العجوى ،  
 أعيا من باقل ، وأبلغ من سحجان وائل ، يجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ،  
 ويعمل الكتب بين الإخوان السنا ناطقة ، وأعيناً لاحظة ، وربما ضمتها من  
 ودائع<sup>(٤)</sup> القلوب ما لا تبوح به الألسن عند المشاهدة . وقال أحمد بن يوسف  
 الكاتب : ما عبرات الفواني في حدودهن بأحسن من عبرات الأقلام في حدود  
 الكتب . وقال المتأني : الأقلام مطايا الفطن . وتخيّر<sup>(٥)</sup> غلامان في بعض الدواوين  
 فقاما إلى أستاذهما يعرضان عليه خطوطهما ، فكره أن يفضل أحدهما على الآخر ،  
 فقال لأحدهما : أما خطك أنت فوشى محوك . وقال للآخر : وأما خطك أنت  
 فذهب مشبوك ، تكافيتما في غاية ، وتوافيتما في نهاية . وقال آخر : دخلت  
 الديوان فنظرت إلى غلام بيده قلم كأنه قضيب عقيان وعليه مكتوب :

وا بأبي ، وا بأبي من كف من يكتب بي<sup>(٦)</sup>

وقال أبو هفان يصف القلم :

وإذا أمرت على المهارق كفه  
 بأنامل يحملن شحناً مرهفاً<sup>(٧)</sup>  
 ومقصراً ومطوّلاً ومقطّعا  
 وموصّلاً ومُشَتَّتاً ومؤآفاً  
 كالخيتة الرقشاء إلا أنه  
 يستنزل الأروى إليه تالفاً<sup>(٨)</sup>  
 يهفو بها قلم يمتج لها به  
 فيعود سيفاً صارماً ومُتَقَفّاً

١٥

شعر لأبي هفان  
 في وصف القلم

(١) المشق في الكتابة : مد حروفها . (٢) في : « روائع » .

(٣) في بعض الأصول : « على بن عبيد » .

(٤) في بعض الأصول : « أقطار الفنون » . (٥) تخيّر : تفاخر .

(٦) في بعض الأصول : « من كفه تكتب » .

(٧) الشغت (بالفتح ويحرك) : الدقيق الضامر لا عزالا .

(٨) الأروى : جمع كثرة للأروية ، وهي أنثى الوعول .

٢٠

٢٥

شعر لبعضهم  
في وصف الدواة

وقال آخر في وصف الدواة :

ومُسودّة الأرجاء قد خُضتُ حالها  
ورويّت من قعر لها غير مُنَبّط<sup>(١)</sup>  
خميص الحشوي يروى على كل مشرب  
أميناً على سرّ الأمين السَّالِط  
وقال بعض الكتاب :

وما رَوْض الرّبيع وقد زهاه  
ندى الأسحار يَآرَج بالغداة  
بأضوع أو بأسطع من نسيم  
تؤدّيه الأفاوه من دواة  
وقال آخر في وصف محبرة :

ولجة بحرٍ أجمّ العبا  
ب باد<sup>(٢)</sup> وأماجه تزخرُ  
إذا غاص فيه أخو غوصة  
سريعُ السّباحة ما يفتر  
فأنفس بذلك من غائص  
بديعُ الكلام له جَوهر  
وأكرم ببحرٍ له لجة  
جواهرها حكمٌ تنثر

٢٢٣  
٧

لأمة ثم شعر  
للعامون في القلم

وقال ثمامة بن أشرس : ما أثّرته الأقلام لم تطمع في دَرْسه الأيام . ونظر  
للمأمون إلى جارية من جواريه تخطّ خطاً حسناً ، فقال فيها :

وزادت لدينا حُطوة حين أطرقت  
وفي إضبعها أثمرُ اللّون أهيفُ  
أصمُّ سميعٌ ساكنٌ متحرك  
ينال جسيمات المني وهو أعجف  
وقال بعض الكتاب :

شعر لبعض  
الكتاب

إذا ما التقينا وأنتضينا صوارما  
يكاد يُصمّ السامعين صريرُها  
تساقطُ في القِرطاس منها بدائع  
كمثل اللّآلى نَظْمُها ونَثيرُها

قال بشر بن المعتمر : القلب معدن ، والحلم<sup>(٣)</sup> جوهر ، واللسان مُستنبط ،  
والقلم صانع ، والخط صيغة<sup>(٤)</sup> . وقال مهمل بن هارون : القلم لسان الضمير ، إذا

لبشر بن المعتمر  
وابن هارون  
وغیرهما

(١) الحال : الطين الأسود . ويريد به : المداد . وأنبط الماء ، إذا استنبطه واتهى

إليه . يريد أنها غير بعيدة النور . (٢) باد ، أي ظاهر القمر .

(٣) الحكم : العقل . (٤) في بعض الأصول : « صانع ... صنعة » .



رَعَفُ<sup>(١)</sup> أَعْلَنُ<sup>(٢)</sup> أَسْرَارُهُ ، وَأَبَانَ آثَارَهُ . وقالوا : حُسْنُ الْخَطِّ يُفَاضِلُ عَنْ صاحِبِهِ ، وَيُوضِحُ الْحُجَّةَ ، وَيُمْكِنُ لَهُ دَرَكُ الْبُعْثَةِ . وقال آخر : الْخَطُّ الرَدِيُّ زَمَانَةٌ<sup>(٣)</sup> الْأَدِيبِ . وقال الحسن بن وهب : يَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَى خِلَالٍ ، مِنْهَا : جَوْدَةُ بَرَمَى الْقَلَمِ ، وَإِطَالَةُ جِلْفَتِهِ ، وَتَحْرِيفُ قَطْعَتِهِ ، وَحُسْنُ التَّائِي لِإِمْطَاءِ<sup>(٤)</sup> الْأَنَامِلِ ، وَإِرْسَالُ الْمَدَّةِ بِقَدْرِ اتِّسَاعِ الْحُرُوفِ ، وَالتَّحَرُّزُ عِنْدَ فَرَاغِهَا مِنَ الْكَسُوفِ ، وَتَرْكُ الشَّكْلِ عَلَى الْخَطِّ ، وَالْإِعْجَامُ عَلَى التَّصْحِيفِ ، وَأَسْتَوَاءُ الرُّسُومِ ، وَحِلَاوَةُ الْمَقَاطِعِ .

وقال سعيد بن حميد : مَنْ أَدَبَ الْكَاتِبُ أَنْ يَأْخُذَ قَلَمَهُ فِي أَحْسَنِ أَجْزَائِهِ وَأَبْعَدَ مَا يَتِمَكَّنُ الْمَدَادُ فِيهِ ، وَيُعْطِيهِ مِنَ الْقِرْطَاسِ حَقَّهُ . وقال عبد الله بن عباس : كُلُّ كِتَابٍ غَيْرِ مَخْتُومٍ فَهُوَ غُفْلٌ<sup>(٥)</sup> . وفي تفسير قول الله تعالى : (إِنِّي أُلْقِي إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ) . قال : مَخْتُومٌ . ورفع إلى عبد الله بن طاهر قصة قد أكثر صاحبها إعْجَامَها ، فقال : مَا أَحْسَنَ مَا كَتَبْتَ ، إِلَّا أَنْكَ أَكْثَرْتَ شَوْنِيزَهَا . وقال أبو عبيدة<sup>(٦)</sup> : لَا يُقَالُ : كَأْسٌ ، إِلَّا إِذَا كَانَ فِيهَا شَرَابٌ ، وَإِلَّا فَهُوَ زَجَاجَةٌ ؛ وَلَا مَائِدَةٌ ، إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَيْهَا طَعَامٌ ، وَإِلَّا فَهُوَ خِوَانٌ ؛ وَلَا قَلَمٌ ، إِلَّا إِذَا بُرِيَ ، وَإِلَّا فَهُوَ قَصْبَةٌ . وقال آخر : جُلُوسُ الْأَدْبَاءِ عِنْدَ الْوَرَّاقِينَ ، وَجُلُوسُ الْحَمَّانِينَ عِنْدَ الذَّخَّاسِينَ ، وَجُلُوسُ الطُّفَيْلِيِّينَ عِنْدَ الطَّبَّاحِينَ .

وكتب علي بن الأزهر إلى صديق له يسأله أقبلا ما يبعث بها إليه : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّا عَلَى طَوْلِ الْمُبَارَسَةِ لِهَذِهِ الْكِتَابَةِ الَّتِي غَلَبْتَ عَلَى الْأَسْمِ ، وَلَزِمْتَ لَزُومَ الْوَسْمِ ، فَخَلَّتْ مَحَلَّ الْأَنْسَابِ ، وَجَرَتْ مَجْرَى الْأَلْقَابِ ، وَجَدْنَا الْأَقْلَامَ الصُّحْرِيَّةَ<sup>(٧)</sup> أَسْرَعَ

٤٠ (١) رَعَفَ (كَنَصَرَ وَمَنَعَ وَكَرَّمَ وَعَنَى وَمَمَعَ) : خَرَجَ مِنْ أَنْفِهِ الدَّمُ . وَهُوَ شَبْهُ سِيلَانَ الْمَدَادِ مِنَ الْقَلَمِ . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « أَغْلَقَ » : تَحْرِيفٌ . (٣) الزَّمَانَةُ : الْعَامَّةُ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « زَمَانَةُ الْأَدَبِ » . (٤) فِي ي : وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ (ج ٧ ص ٢) : « لِإِمْطَاءِ » . وَهِيَ بِمَعْنَى . (٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « أَغْلَفَ » . (٦) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « أَبُو عَبْدِ اللَّهِ » . (٧) الصُّحْرِيَّةُ . نِسْبَةٌ إِلَى الصُّحْرَةِ ، وَهِيَ جُوبَةُ تَنْجَابٍ وَسُطُّ الْحَرَّةِ وَتَكُونُ أَرْضًا لَبَنَةً تَطْيِفُ بِهَا حَبَارَةٌ .

في الكواغد ، وأسرّ في الجلود ، كما أن البحريّة منها أسلس في القراطيس ،  
 وألين<sup>(١)</sup> في المعاطف ، وأشدّ لتصرف الخطّ فيها ، ونحن في بلد قايل القصب  
 رديثه ، وقد أحييت أن تتقدّم في اختيار أقلام بحريّة<sup>(٢)</sup> ، وتتأنق في انتقائها  
 قبلك ، وتطلبها في مظانها ومنابتها من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن  
 تنيم<sup>(٣)</sup> باختيارك منها الشديدة المخصّص<sup>(٤)</sup> ، الصلبة المعضّ ، النقية الحدود ،  
 القليلة الشحوم ، المكثرة اللحوم ، الضيقة الأجواف ، الرزينة المحمل ؛ فإنها  
 أبقى على الكتابة ، وأبعد من الحفاء ، وأن تقصد بأن تقاينك الرقاق القضبان<sup>(٥)</sup> ،  
 المقومات المتون ، اللبس المعاهد ، الصافية القشور ، الطويلة الأنايب ، البعيدة  
 ما بين الكعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، المستحكمة يابساً ، وهي  
 قائمة على أصولها ، لم تعجل عن إبان ينعمها ، ولم تؤخر إلى الأوقات المخوفة  
 عليها من خضر الشتاء ، وعفن الأنداء ، فإذا استجمعت عندك أصرت بقطعها  
 ذراعا ذراعا ، قطعاً رقيقاً ، ثم عبأت منها حُزماً فيما يصونها من الأوعية ، ووجهتها  
 مع من يؤدي الأمانة في حراستها وحفظها وإيصالها ، وكتبت معه رقعة بعثتها  
 وأصنافها ، بغير تأخير ولا توان ، إن شاء الله تعالى .

٢٢٤  
٢

١٠

### قولهم في الخبر

١٥

قال بعض الكتاب : عطرّوا دفاتر آدابكم بحبّيد الخبر ، فإن الأدب غواني ،  
 والخبر غوالي . ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره ،  
 فقال له :

لبعض الكتاب

لا تجزعن من المداد فإنه عطر الرجال وحلية الكتاب

- (١) في بعض الأصول : « وأسرع » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وصحح الأعشى  
 (ج ٢ ص ٤٥١) ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢١) .  
 (٢) في الأصول : « صرية » . والسياق بعد يقتضى ما أثبتنا .  
 (٣) في صبح الأعشى : « تنيم » .  
 (٤) المخص : قوة الخلق مع ضмор . (٥) في بعض الأصول : « القصبات » .

بين وكيع  
ومات بجرمة

وأنى وكيع بن الجراح رجلٌ يمت إليه بجرمة ، فقال له : وما حُرمتك ؟  
قال له : كنت نكتب من يجرى عند الأعمش ، فوثب وكيع ودخل منزله ،  
نم أخرج له بضعة<sup>(١)</sup> دنانير ، وقال له : أعذر فما أملك غيرها .

### وفي الأقلام

لابن الحرون  
في كتاب  
إلى بعض إخوانه

أهدى ابنُ الحرون<sup>(٢)</sup> إلى رجل من إخوانه من الكتاب أقلاما وكتب  
إليه : إنه لما كانت الكتابة ، أبداك الله ، أعظم الأمور ، وقوام الخلافة ، وعمود  
الملكة ، خصصتُك من آلتها بما يحف تحمله ، وتثقل قيمته ، ويعظم نفعه ،  
ويجلب خطره ، وهى أقلام من القصب النابت في الصخر<sup>(٣)</sup> ، الذى نشف في حر  
المجير ماؤه ، وستره من تلويحه غشاؤه ، فهى كاللآلى المكنونة في الصدف ،  
والأنوار المحجوبة في الشدف ، نيرة القشور ، ذرية الظهور ، فضية الكسور ،  
قد كستها الطبيعة جواهر كالوذى المحبّر ، وفرند الديباج المنير<sup>(٤)</sup> .

### قولهم في الصحف

لبعض الشعراء

نعم الأنيس إذا خلوت كتابُ تلهو به إن ملك الأحبابُ  
لا مُفشيًا سرًّا إذا أستودعته وثقاد منه حكمةٌ وصواب  
وقال آخر :

ولكل صاحب لذة مقترنه<sup>(٥)</sup> أبدا ونزّهة عالم في كتبه

(١) في بعض الأصول : « نفقة » .  
(٢) هو محمد بن أحمد بن الحسين بن الأصبع بن الحرون . وفي بعض الأصول : « ابن  
الحروزي » . وما أثبتنا من سائر الأصول وصحح الأعمى ونهاية الأرب .  
(٣) الصخر : جمع صخرة (انظر الحاشية رقم ٦ من ١٩٩) من هذا الجزء . والذي في  
صبح الأعمى : « الصخرة » . والذي في نهاية الأرب : « الصجرا » .  
(٤) الفرند : الثوب . وفي بعض الأصول : « لفرند » وهو بعناه . والمنير : الذى  
جمل له نير (بالكسر) وهو علم الثوب ، أو القصب والخيوط إذا اجتمعت .  
(٥) في بعض الأصول : « نزه » .

لحيب

وقال حبيب :

مِدَادٌ مِثْلُ خَافِيَةِ الْغُرَابِ      وَقِرْطَاسٌ كَرَقِرَاقِ السَّرَابِ  
وَالْفَاظُ كَالْفَاظِ الْمَثْنَانِي      وَخَطٌّ مِثْلُ وَشْمٍ يَدِ الْكَعْبِ  
كَتَبْتُ وَلَوْ قَدَرْتُ هَوَى وَشَوْقًا      إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي الْكِتَابِ<sup>(١)</sup>

وقال في صحيفة جاءته من عند الحسن بن وهب :

لَقَدْ جَلَّى كِتَابُكَ كُلَّ بَثٍّ      جَوٍّ وَأَصَابَ شَاكِلَةَ الرَّيِّ<sup>(٢)</sup>  
فَضَضْتُ خَتَامَهُ فَتَبَلَّجْتُ لِي      غَرَائِبُهُ عَنِ الْخَبَرِ الْجَلِيِّ  
وَكَانَ أَغْضَى فِي عَيْنِي وَأَنْدَى      عَلَى كِبْدِي مِنَ الزَّهْرِ الْجَنِيِّ  
وَأَحْسَنَ مَوْقِعًا مِنِّي وَعِنْدِي      مِنَ الْبُشْرَى أَنْتَ بَعْدَ النَّحْيِ  
وَضُمَّنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تُضَمَّنْ      صَدُورُ الْغَانِيَاتِ مِنَ الْحُلِيِّ  
فَكَأَنَّ فِيهِ مِنْ مَعْنَى خَطِيرٍ      وَكَأَنَّ فِيهِ مِنْ لَفْظٍ بَهِيٍّ  
فِيَا ثَلَجَ الْفُؤَادَ وَكَانَ رَضْفًا      وَيَا شَبَعِي بَرَوْنَهُ وَرَبِّي<sup>(٣)</sup>  
فَكَمْ أَفْصَحْتَ عَنِ بَرٍّ جَلِيلٍ      بِهِ وَوَأَيْتَ مِنْ وَأَى سَنَى<sup>(٤)</sup>  
كَتَبْتَ بِهِ بِلَا لَفْظٍ كَرِيهِ      عَلَى أُذُنٍ وَلَا خَطٍّ قَيِّ<sup>(٥)</sup>  
رِسَالَةً مِنْ تَمَتُّعٍ مِنْذُ حِينٍ      وَمَتَّعْنَا مِنَ الْأَدَبِ الرَّضَى<sup>(٦)</sup>  
لِئِنْ غَرَبَتْهَا فِي الْأَرْضِ بِكَرًّا      لَقَدْ زُفَّتْ إِلَى قَلْبٍ وَفَى<sup>(٧)</sup>  
وَإِنْ يَكُ مِنْ هَدَايَاكَ الصَّمَايَا      فَرَبِّ هَدِيَّةٍ لَكَ كَالْهَدَى<sup>(٨)</sup>

وقال ابن أبي طاهر في ابن نوبة :

فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدُورُ السَّكْتِ صَادِرَةٌ      مِنْ رَأْيِهِ وَنَدَى كَفَيْهِ عَنِ مُثَلِّ  
عَنِ خَطِّ أَقْلَامِهِ خَطُّ الْقَضَاءِ عَلَى الْإِ      أَعْدَاءِ بِالْمَوْتِ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ<sup>(٩)</sup>

لابن أبي طاهر  
في ابن نوبة

(١) لم يذكر في ديوان أبي تمام البيت الأول والثاني . وذكر هذا البيت الثالث في

قصيدة له يمدح بها محمد بن الهيثم . (٢) جو : شديد . وفي بعض الأصول :

« جرى » . والشاكلة : الحاصرة . (٣) الرضف : المجارة المحمّاة .

(٤) الوأى : الوعد . وفي الأصول : « فكَمْ كَشَفْتَ . . . » . وأُنِيتَ مِنْ رَأْيٍ . . . » .

وما أثبتنا عن الديوان . (٥) قَيِّ ، أصله قَيِّ ، بالهمز ، فسهل

ثم أدغم . والقمى : الصفيير الذليل . (٦) في الديوان : « الرضى » .

(٧) في الديوان : « لقد جلبت على صمم كفى » . (٨) الهدى ، العروس .

(٩) في الديوان : « لقد جلبت على صمم كفى » .

لُعَابِهَا عِلَلٌ فِي الصَّدْرِ تَنْفَعُهُ (١) وَوَمَا كَانَ فِيهِ نَفْعٌ لِلْعِلَلِ  
كَأَنَّ أَسْطَارَهَا فِي بَطْنٍ مُهْرَقِهَا نَوْرٌ يُضَاحِكُ دَمْعَ الْوَكَافِ الْخَضِلِ

للبحترى

وقال البُحْتَرِيُّ فِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتِ :

قَدْ تَصَرَّفْتَ فِي الْكِتَابَةِ حَتَّى عَطَّلَ النَّاسُ فَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ  
فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شِئْتَ أَسْرَوْ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ  
وَبَدِيعٌ كَأَنَّهُ الزَّهَرُ الضَّيْفُ حَكَ فِي رَوْنَقِ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ  
مَا أُعِيرَتْ مِنْهُ بَطُونُ (٢) الْقَرَاظِيدِ وَمَا حُمِلَتْ ظُهُورُ الْبَرِيدِ  
حُجَجٌ تُخْرِسُ الْأَلْدَّ بِالْفُحَا ظِي فُرَادَى كَالْجَوْهَرِ الْمَعْدُودِ  
حُزْنٌ مُسْتَعْمَلُ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنُّبٌ ظُلْمَةٍ التَّعْقِيدِ  
كَالْعَذَارَى غَدَوْنَ فِي الْحُلِّ الْبَيِّضِ (٣) إِذَا رُحْنٌ فِي الْخُطُوطِ الشُّودِ

١٠

لعلى بن الجهم

وقال على بن الجهم في رقعة جاءته بخط حبيد (٤) :

مَا رُقْعَةٌ جَاءَتْكَ مَثْنِيَّةً كَأَنَّهُمَا خَدٌّ عَلَى خَدٍّ  
نَثْرٌ سَوَادٌ فِي بَيَاضٍ كَمَا ذُرٌّ فَتَيْتُ الْمِسْكَ فِي الْوَرْدِ  
سَاهِمَةٌ الْأَسْطُرُ مَصْرُوفَةٌ عَنْ جِهَةِ الْهَزْلِ إِلَى الْجَدِّ  
يَا كَاتِبًا أَسْلَمْنِي عَثْبُهُ إِلَيْكَ حَسْبِي مِنْكَ مَا عِنْدِي

١٥

لأبان بن الجهم  
نواس في الرد عليه

وقال محمد بن إبراهيم بن محمد الشيباني : رفع أبان بن عبد الحميد اللاحق  
إلى الفضل بن يحيى بن خالد رقعة بأبيات له يصف فيها قامته ، وكثافة لحيته ،  
وحلاوة شمائله ، وبراعة أدبه ، وبلاغة قلمه ، فقال :

أَنَا مِنْ بُغْيَةِ الْأَمِيرِ وَكَتَرُ مِنْ كُنُوزِ الْأَمِيرِ ذُو أَرْبَاحٍ  
كَاتِبٌ حَاسِبٌ أَدِيبٌ لَبِيبٌ نَاصِحٌ زَائِدٌ عَلَى الْقَصَاحِ

٢٠

(١) في بعض الأصول : « طلل يبعثه »

(٢) كذا في ديوان البحتري . والذي في الأصول : « ما اعتدت منه في بطون » .

(٣) كذا في بعض الأصول والديوان . والذي في سائر الأصول : « في حل صفر » .

(٤) في بعض الأصول : « جارية » مكان « جيد » .

شاعره مُفلق أخف من الريشة مما<sup>(١)</sup> تكون تحت الجناح  
 لى فى النحو فطنة ونفاذ أنا فيه قلادة بوشاح<sup>(٢)</sup>  
 لورمى بى الأمير أصلحه الله رماحاً صدمت حد الرماح  
 ثم أروى من<sup>(٣)</sup> ابن سيرين فى الفقه بقول منور الإفصاح  
 لست بالضخم فى روائى ولا القذى م ولا بالمجعد الدحاح<sup>(٤)</sup>  
 لحية كثرة وأنف طويل وأتقاد كشـمة المصباح  
 وكثير الحديث من ملح الناس بصير بخافيات ملاح  
 كم وكم قد خبات عندي حديثاً هو عند الأمير كالتفاح  
 أين الناس طائراً يوم صيد فى غدو أو بكرة أو رواح  
 أعلم الناس بالجوارح والصيد والغرد الحسان للملاح  
 كـل هذا جمعت والحمد لله على أننى ظريف المزاح  
 لست بالناسك المشمر نوبته ولا الفاتك الخليع الوقاح  
 لو دعانى الأمير عاين منى شمرياً كالجلجل<sup>(٥)</sup> الصداح<sup>(٦)</sup>  
 قال : فدعاه . فلما دخل عليه أتاه كتاب من إزمينية فرمى به إليه وقال له :  
 أجب . فأجاب بما فى غرضه وأحسن . فأمر له بألف ألف درهم ، وكنا نراه  
 أول داخل وآخر خارج ، وكان إذا ركب فركابه مع ركابه . قال محمد بن يزيد :  
 قبلغ هذا الشعر أبانواس فقال :  
 أنت أولى بقسلة الخط منى يا مسسمى بالجلجل<sup>(٧)</sup> الصداح<sup>(٨)</sup>  
 قبلوا منه حين عز لديهم أخرس القول غير ذى إفصاح

- ٣٠ (١) كذا فى وديوان أبى نواس . وفى سائر الأصول : « لا » .  
 (٢) فى ديوان أبى نواس : « واتقاد » مكان « ونفاذ » . والوشاح (بالضم والكسر) :  
 كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر .  
 (٣) فى بعض الأصول : « من » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والديوان .  
 (٤) الدحاح : القصير . وفى الديوان : « المجعد الدحاح » .  
 (٥) كذا فى الأغاني ( ج ٢٠ ص ٧٥ ) . والشمري ( بفتح الشين والميم المشددة ،  
 وكسرها ) : الماضى فى الأمور المجرب . والذى فى الأصول : « شمرياً كالجلجل » .  
 (٦) فى بعض الأصول : « الصباح » .  
 (٧) فى الأصول : « أما ... : لسمى بالجلجل » . وما أثبتنا عن الديوان .

ثم بالريش شبه النفس في الخفة مما يكون تحت الجناح  
 فإذا الشَّم من شاربِخ رَضوى خِفة عنده نوى المَسباح<sup>(١)</sup>  
 لم يكن فيك غيرُ شَيْئينِ مِمَّا قلتَ في نَعْتِ خَلْقِكَ الدَّحْداح  
 لِحِيمة جَعْدَة وأنفٌ طَوِيلٌ وَسَوَى ذاكَ ذاهِبٌ في الرِّياح  
 فيك ما يَحْمِلُ الملوكَ على الشَّخْصِ فِى وَرُزْمِى بالمَاجِدِ الجَمْعُجَاح  
 بارد الظَّرْفِ مُظْلِمُ اللَّابِ تَيْسًا مُعِيدُ الحَدِيثِ سَمِجُ المِزَاح<sup>(٢)</sup>  
 قال : فبعث إليه أبان بأن لا تُذيعها وَخُذْ الألفَ ألفَ دِرْهم . فبعث إليه  
 أبو نُوَاس : لو أعطيتني مائة ألفِ ألفِ دِرْهم لم أجِدْ بَدَأً من إذاعتها . فيقال :  
 إنَّ الفضل بن يحيى لما سمع شعرَ أبي نُوَاس قال : لا حاجة لي في أبان ، لقد  
 رُمى بخمسة في بيتٍ لا يقبله على واحدةٍ منهم إلا جاهل ، ففيل له : كذب  
 عليه . فقال : قد قبل ذلك ، فأقصاه . وإنما أغرى أبان نُوَاس بهذا الكتابِ أبان  
 بن عبد الحميد اللاحق أن الفضل بن يحيى أعطاه مالا يُفَرِّقه في الشعراء ويُعطى  
 كلَّ واحدٍ على قدره ، فبعث إلى أبي نُوَاس بِدِرْهم زائف ناقص ، وقال :  
 إني أعطيتُ كلَّ شاعرٍ على مقدار شعره ، وكان هذا أوفرَ نصيبك عندي .  
 ١٥ فهجاه لذلك<sup>(٣)</sup>

### (٤) توقيعات الخلفاء

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب إليه سعد بن أبي وقاص في بُنيان يَبْنِيهِ ، فوقع في أسفل كتابه :

(١) يريد بالمسباح : السبعة . (٢) في بعض الأصول والديوان : «مظلم الكذب» .

وبين الشعر هنا وفي الديوان خلاف غير قليل .

(٣) في ي بعد هذا : « تم الجزء السابع والعشرون من كتاب العقد وهو كتاب  
 المحببة الثانية في التوقيعات من تجزئة حمين جزءا يتلوه الجزء الثامن والعشرون  
 باقى كتاب المحببة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتاب  
 وتوقيعات الخلفاء » . (٤) قبل هذا العنوان في ي : « الجزء الثامن والعشرون  
 من كتاب العقد ، وهو باقى كتاب المحببة الثانية في التوقيعات والفصول  
 والصدور وأخبار الكتبة وتوقيعات الخلفاء » ثم « بسم الله الرحمن الرحيم » .

أَبْنِ مَا يُكِنُّكَ مِنَ الْهَوَاجِرِ وَأَذَى الْمَطَرِ . وَوَقَّعَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : كُنْ لِرَعِيَّتِكَ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَمِيرُكَ .

عثمان بن عفان رضى الله عنه

وَقَعَ فِي قِصَّةِ قَوْمٍ تَطَلَّمُوا مِنْ سُرَّوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَمْرٌ بَوَّحٌ .  
أَعْنَاهُمْ : فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ . وَوَقَّعَ فِي قِصَّةِ رَجُلٍ شَكَا عِيْلَةً<sup>(١)</sup> : قَدْ أَمَرْنَاكَ بِمَا يُقِيمُكَ ، وَلَيْسَ فِي مَالِ اللَّهِ فَضْلٌ لِلْمُسْرِفِ .

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وَقَّعَ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمَ . وَوَقَّعَ فِي كِتَابِ جَاءَهُ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : رَأَى الشَّيْخَ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِ<sup>(٢)</sup> الْفَلَامِ .  
وَوَقَّعَ فِي كِتَابِ سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ ، وَكَانَ سَأَلَهُ كَيْفَ يُحَاسَبُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ :  
يُحَاسَبُونَ كَمَا يُرْزَقُونَ . وَوَقَّعَ فِي كِتَابِ الْحَصِينِ بْنِ الْمُنْذِرِ إِلَيْهِ يَذْكُرُ أَنَّ  
السَّيْفَ قَدْ أَكْثَرَ فِي رُبْعَةٍ : بَقِيَّةُ السَّيْفِ أُنْمِ عِدْدًا . وَفِي كِتَابِ جَاءَهُ مِنَ  
الْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ فِيهِ بَعْضُ مَا يَكْرَهُ : مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كَلَهٌ ؟ وَفِي كِتَابِ صَعْصَعَةِ  
ابْنِ صَوْحَانَ يَسْأَلُهُ فِي شَيْءٍ : قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ .

معاوية بن أبي سفيان

كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ فِي أَمْرٍ عَاتَبَهُ فِيهِ ، فَوَقَّعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ :  
بَيْتُ أُمِّيَّةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَشْرَفَ مِنْ بَيْتِ حَبِيبِ<sup>(٣)</sup> . فَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ ، فَأَنْتَ تَرَاهُ .  
وَفِي كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يُقْطِعَهُ مَالًا بِالطَّائِفِ : عِشْ رَجَبًا تَرَى  
عَجْبًا . وَفِي كِتَابِ زِيَادٍ يُخْبِرُهُ بِطَعْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي خِلَافَتِهِ : إِنَّ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عِيْلَةٌ عَلَيْهِ » . (٢) كَذَا فِيمَا مَرَّ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ

وَبَعْضُ الْأَصُولِ هُنَا . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ هُنَا : « جِلْد » .

(٣) هُوَ حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ .



أبا سفيان وأبا الفضل كانا في الجاهلية في مسلاخ واحد ، وذلك حلف لا يحلّه  
سوء أدبك<sup>(١)</sup> . وكتب إليه ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله أن يعينه في بناء  
داره بالبصرة بأثنى عشر ألف جذع : أدارك في البصرة أم البصرة في دارك ؟

### يزيد بن معاوية

• وقع في كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستميحه<sup>(٢)</sup> لرجال من خاصته : أحكم  
لهم بآمالهم إلى منتهى آجالهم . فحكم بتسعمائة ألف ، فأجازها . وكتب إليه مسلم  
ابن عقبة المرسي بالذي صنع أهل الحرّة ، فوقع في أسفل كتابه : فلا تنأس  
على القوم الفاسقين . وفي كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان وقد استبطأه  
في الخراج : قليل العتاب بحكم صرائر الأسباب ، وكثيره يقطع أواخي  
الانتساب . ووقع إلى عبد الرحمن بن زياد ، وهو عامله على خراسان : القرابة  
واشجة ، والأعمال متباينة ، فخذ لرحمك من فطرك . وإلى عبيد الله بن زياد :  
أنت أحد أعضاء ابن عمك فأحرص أن تكون كلها .

### عبد الملك بن مروان

• وقع في كتاب أناته من الحجاج : جئني دماء بني عبد المطلب ، فليس فيها  
شفاء من الطلب . وكتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما  
يقامى منهم ، ويستأذنه في قتل أشrafهم ، فوقع له : إن من يمين السائس  
أن يتألف به المختلفون ، ومن شؤمه أن يختلف به المؤتلفون . وفي كتاب  
الحجاج يخبره بقوة ابن الأشعث : بضعفك قوى ، وبخزقك طلع<sup>(٣)</sup> . ووقع  
في كتاب ابن الأشعث :

٢٠ فما بال من أسى لأجبر عظمه حفاظاً وبنوى من سفاهته كسرى ؟

(١) في بعض الأصول : « رأيك » . (٢) في بعض الأصول : « يستميحه » .

(٣) في بعض الأصول : « وبخزقك خلع » .

ووقع أيضا في كتاب :

كيف يزجون سقاطى بعدما شمل الرأس مشيب وصلع ؟

الوليد بن عبد الملك

كتب إليه الحجاج لما بلغه أنه خرق فيما خلف له عبد الملك ، ينكر ذلك عليه ويُعرفه أنه [على] غير صواب ، فوقع في كتابه : لأجمعن المال جمع من يعيش أبدا ، ولأفرقته نفر يق من يموت غدا . ووقع إلى عمر بن عبد العزيز : قد رأب الله بك الداء ، وأوذم<sup>(١)</sup> بك السقاء .

سليمان بن عبد الملك

كتب قتيبة بن مسلم إلى سليمان يتهذده بالخلع ، فوقع في كتابه : زعم الفرزدق أن سيقتل مربيًا أبشر بطول سلامة يا مربي ١٠ ووقع في كتابه أيضا : العاقبة للمتقين . وإلى قتيبة أيضا جواب وعيده : وإن تصبروا وتقفوا لا يضركم كيدهم شيئا .

عمر بن عبد العزيز

كتب بعض العمال إليه يستأذنه في سرمة مدينته ، فوقع أسفل كتابه : أبنها بالعدل ، ونق طرقها من الظلم . وإلى بعض عماله في مثل ذلك : حصنها ١٥ ونفسك بتقوى الله . وإلى رجل ولأه الصدقات ، وكان دميًا ، فعدل وأحسن : ٢٢٨ ولا أقول للذين تزددى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا . وكتب إليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها ، فوقع له : أرض لهم ما ترضى لنفسك ، وخذهم بمجرأتهم بعد ذلك . وإلى عدى بن أرطاة في أمر عاتبه عليه : إن آخر آية أنزلت : (وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) . وإلى عامله على الكوفة : ٢٢٧ وكتب إليه أنه فعل في أمر كما فعل عمر بن الخطاب : أولئك الذين هدى الله

(١) أوذم : شد .

فبهذا هم أفتده . وإلى الوليد بن عبد الملك ، وعمر عامله على المدينة ، فوقع في كتابه : الله أعلم أنك [ لست ] أول خليفة تموت . وأتاه كتاب عدى يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة ، فوقع في كتابه : لا تطلب طاعة من خذل عليا ، وكان إماما مرضيا . وإلى عامله بالمدينة ، وسأله أن يعطيه موضعا يبنيه ، فوقع : كن من الموت على حذر . وفي قصة متظلم : العدل إمامك . وفي رقة مجبوس : نب تطلق . وفي رقة رجل قتل : كتاب الله بيني وبينك . وفي رقة متنصح : لو ذكرت الموت شغلك عن نصيحتك . وفي رقة رجل شكاه أهل بيته : أنتما في الحق سيان . وفي رقة امرأة حبس زوجها : الحق حبسه . وفي رقة رجل تظلم من ابنه : إن لم أنصفك منه فأنا ظلمتك .

## يزيد بن عبد الملك

١٠

وقع إلى صاحب خراسان : لا يغرنك<sup>(١)</sup> حسن رأى فإنما تُفسده عثرة . وإلى صاحب المدينة : عثرت فأستقل . وفي قصة متظلم : سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . وفي [ قصة ] متظلم شكاه بعض أهل بيته : ما كان عليك لو صفحت عنه وأستوصلتني .

## هشام بن عبد الملك

١٥

في قصة متظلم : أتاك الغوث إن كنت صادقا ، وحل بك النكال إن كنت كاذبا ، فتقدم أو تأخر . وفي قصة قوم شكوا أميرهم : إن صح ما ادعيتهم عليه عزلناه وعاقبناه . وإلى صاحب خراسان حين أسره بمحاربة الترك : أحذر ليالى البيات . وإلى صاحب المدينة وكتب يخبره بوثوب أبناء الأنصار : أحفظ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبهم له . ووقع في رقة مجبوس لزمه الحد : نزل بحذرك الكتاب . ووقع في قصة رجل شكاه إليه الحاجة وكثرة العيال وذَكَرَ أن له حُرمة : لعيلالك في بيت مال

(١) في بعض الأصول : « لا تترك » .

المسلمين منهم ، ولك بحُرْمَتِكَ مِنَّا مثله . وإلى عامله على العراق في أمر  
الحوارج : ضَعَّ سَيْفَكَ فِي كِلَابِ النَّارِ ، وَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِقَتْلِ الْكُفَّارِ . وإلى  
جماعة يشكون تعدّي عاملهم عليهم : لَنَفَوْضَنَكُمْ ، فَإِنِّي خَصَمُ دُونَكُمْ . وفي  
كتاب عامله يُخْبِرُهُ فِيهِ بِقَلَّةِ الْأَمْطَارِ فِي بِلَدِهِ : مُزِمُّهُ بِالْأَسْتِغْفَارِ . وإلى سهل  
ابن سَيَّار : خَفِ اللَّهَ وَإِمَانَكَ فَإِنَّهُ يَأْخُذُكَ عِنْدَ أَوَّلِ زَلَّةٍ .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

وَقَعَ إِلَى مَرْوَانَ : أَرَاكَ تُقَدِّمُ رِجْلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى ، فَإِذَا أَنَاكَ كِتَابِي هَذَا  
فَأَعْتَمِدْ عَلَى أَتَيْهِمَا شِئْتُ . وَإِلَى صَاحِبِ خُرَاسَانَ فِي السُّودَةِ : نَجِّمُ أَمْرٍ أَنْتَ  
عِنْدَهُ نَائِمٌ ، وَمَا أَرَاكَ مِنْهُ أَوْ مَتَى بِسَالِمٍ .

١٠

مروان بن محمد

كُتِبَ إِلَى نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ فِي أَمْرٍ أَبِي مُسْلِمٍ : تَحْوِيلُ<sup>(١)</sup> الظَّاهِرِ يَدْلَ عَلَى ضَعْفِ  
الْبَاطِنِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ . وَوَقَعَ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ أَمِيرِ خُرَاسَانَ : الْأَمْرُ مُضْطَرَّبٌ ،  
وَأَنْتَ نَائِمٌ وَأَنَا سَاهِرٌ . وَإِلَى حَوْثَرَةَ بْنِ مُهَيْلٍ<sup>(٢)</sup> حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى قَحْطَبَةِ : كُنْ  
مِنْ بَيَاتِ الْمَارِقَةِ عَلَى حَذَرٍ . وَوَقَعَ حِينَ أَنَاهُ غَرِقُ<sup>(٣)</sup> قَحْطَبَةِ وَأَنْهَزَامِ ابْنِ هُبَيْرَةَ :  
هَذَا وَاللَّهُ الْإِدْبَارُ ، وَإِلَّا فَنِ رَأَى مَيْتًا هَزَمَ حَيًّا . وَفِي جَوَابِ أَبِيَاتِ نَصْرِ بْنِ  
سَيَّارٍ إِذْ كُتِبَ إِلَيْهِ :

أَرَى خَلَالَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ الْجَزْرِ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامٌ :

الْحَاضِرُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ ، فَأَحْسِمِ التَّوَلُّولَ<sup>(٤)</sup> . فَكُتِبَ نَصْرًا : التَّوَلُّولُ قَدْ  
أُمْتَدَّتْ أَغْصَانُهُ<sup>(٥)</sup> ، وَعَظُمَتْ نِسْكَابَتُهُ . فَوَقَعَ إِلَيْهِ : يَدَاكَ أَوْ كَتَمْنَا وَفُوكَ تَفْخِ<sup>(٦)</sup> .

٢٢٩  
٧

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « نَجْمٌ » . (٢) فِي الْأَصُولِ : « الْحَوْثَرَةُ بْنُ سَهْلٍ » .  
وَمَا أَتَيْنَا عَنْ الطَّبَرِيِّ . (٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « غَزْوٌ » .

(٤) التَّوَلُّولُ : الْحَرَّاجُ ، وَقِيلَ هُوَ يَدٌ صَغِيرٌ صَلْبٌ مُسْتَدِيرٌ عَلَى صَوَرِ شَيْءٍ .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « اشْتَدَّتْ أَغْصَانُهُ » .

(٦) هَذَا مِثْلُ . وَأَصْلُهُ أَنْ رَجُلًا كَانَ فِي جَزِيرَةٍ فَأَرَادَ أَنْ يَجْبُرَ عَلَى زُقٍّ لَمْ يَحْسُنْ

إِحْكَامَهُ ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطَ الْبَحْرَ خَرَجَتْ مِنْهُ الرِّيحُ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْفَرْقِ اسْتَفْتَاهُ  
بِآخِرٍ ، فَقَالَ لَهُ هَذَا الْمِثْلُ .

## توقيعات بني العباس

## السفاح

كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في البناء الذي أمر به ولم يعطوا أنماها ، فوقع : هذا بناء أسس على غير تقوى ؛ ثم أمر بدفع قيم منازلهم إليهم . ووقع في كتاب أبي جعفر وهو يحارب ابن هبيرة بواسط : إن حملك أفسد علك ، وترأخيك أثر في طاعتك ، فخذ لي منك ، ولك من نفسك . ووقع إليه في ابن هبيرة بعد أن راجعه فيه <sup>(١)</sup> غير مرة : لست منك ولست متى إن لم تقتله . وجاءه كتاب من أبي مسلم يستأذنه في الحج وفي زيارته ، فوقع إليه : لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام أو خليفته ، وإذ لك لك . ووقع في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم : من صبر في الشدة شارك <sup>(٢)</sup> في النعمة ؛ ثم أمر بأرزاقهم . وإلى عامل تظلم منه : وما كنت متخذ المضلين عضداً . وفي قوم شكوا غرق <sup>(٣)</sup> ضياعهم في ناحية الكوفة : وقيل بعداً للقوم الظالمين .

## أبو جعفر

وقع في كتابه إلى عبد الله بن علي عمه : لا تجعل للأيام في وفيك نصيباً من حوادثها . ووقع إليه أيضاً : ( أذفع بالتي هي أحسن ) إلى قوله : ( وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ) . فاجعل الحظ لي دونك <sup>(٤)</sup> يكن لك كله . ووقع إلى عبد الحميد <sup>(٥)</sup> صاحب خراسان : شكوت فأشكيتك ، وعتبت فأعتبتك ؛ ثم

(١) في بعض الأصول : « في » . (٢) في بعض الأصول : « شورك » .

(٣) في بعض الأصول : « حرق » .

(٤) في بعض الأصول : « لك دوني » .

(٥) كذا في الأصول .

- خرجت عن العامة، فتأهب لفرار السلامة. وإلى أهل الكوفة، وشكوا عاملهم: كما تكونون يؤمر عليكم. وإلى قوم تظلموا من عاملهم: لا ينال عهدي الظالمين. وفي قصة رجل شكَا عِيْلَةً: سَلَّ اللهُ مِنْ رِزْقِهِ. وفي قصة رجل سألَهُ أَنْ يَبْنِي بِقُرْبِهِ مَسْجِدًا<sup>(١)</sup> فَبَانَ مُصَلَّاهُ عَلَى بُعْدٍ: ذَلِكَ أَعْظَمُ لُتُوْءًا بِكَ. وفي قصة رجل قُطِعَتْ عَنْهُ أَرْزَاقُهُ: (مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا) الآية. وفي قصة رجل شكَا الدِّينَ: إِنْ كَانَ دِينُكَ فِي مَرْضَاةِ اللهِ قَضَاءٌ. وإلى صَارُورَةَ<sup>(٢)</sup> سَأَلَهُ أَنْ يَحْجُجَ: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا). وإلى صَاحِبِ مَصْرَ حِينَ كَتَبَ يَذْكُرُ نَقْصَانَ الثَّقِيلِ: طَهَّرْ عَسْكَرَكَ مِنَ الْفَسَادِ يُعْطِكَ النَّيْلُ الْقِيَادَ. وإلى عَامِلِهِ عَلَى خِصِّ، وَجَاءَهُ مِنْهُ كِتَابٌ فِيهِ خَطَأٌ: اسْتَبْدِلْ بِكَاتِبِكَ وَإِلَّا اسْتَبْدِلْ بِكَ. وإلى صَاحِبِ إِرْمِينِيَّةٍ: إِنْ لِيَ فِي قَفَاكَ عَيْنًا، وَبَيْنَ عَيْنَيْكَ عَيْنًا، وَلَهَا أَرْبَعُ آذَانٍ. وإلى رَجُلٍ اسْتَوْصَلَهُ: لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَاهُ اللهُ. وفي كِتَابِ أَنَاةٍ مِنْ صَاحِبِ الْهِنْدِ يُخْبِرُهُ أَنَّ جُنْدًا شَفَعُوا عَلَيْهِ وَكَسَرُوا أَقْفَالَ بَيْتِ الْمَالِ فَأَخَذُوا أَرْزَاقَهُمْ<sup>(٣)</sup> مِنْهُ: لَوْ عَدَلْتَ لَمْ يَشْفَعُوا، وَلَوْ وَفَيْتَ لَمْ يَهْبُوا.

### المهدي

- ١٥ وقع في قصة متظلمين شكوا بعض عماله: لو كان عيسى عاملكم قدناه إلى الحق كما يُقَادُ الْجَلُّ الْمَخْشُوشُ<sup>(٤)</sup> - يريد عيسى ولده. ووقع إلى صاحب إرمينية، وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ. وإلى صاحب خراسان في أمر جاءه: أنا ساهر وأنت نائم. وفي قصة قوم أصابهم قحط: يُقَدَّرُ لَمْ تَوْتَ سَنَةُ الْقَحْطِ وَالسَّنَةُ الَّتِي تَلِيهَا. وإلى

(١) في بعض الأصول: «منزلاً».

(٢) الصارورة: الذي لم يحج. وفيها لغات أخرى.

(٣) في: «الدراهم».

(٤) الجمل المخشوش: الذي يدخل في عظم أنفه خشبة.

شاعر ، أظنه مروان بن أبي حفصة : أسرفت في مدحك فقصرنا في حبائك .  
 وفي قصة رجل من الغارمين : خذ من بيت مال المسلمين ما تنقضي به دينك ،  
 وتقر به عينك . وفي قصة رجل شكوا الحاجة : أتاك للفتوش . وإلى رجل من  
 بطانته استوصله ليت اسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك . وفي قصة قوم تظلموا  
 من عاملهم وسألوه إشخاصه إلى بابه : قد أنصف القارة من رامها<sup>(١)</sup> . وفي قصة  
 رجل حبس في دم : والسك في القصاص حياة يا أولى الألباب . وإلى صاحب  
 خراسان ، وكتب إليه يخبره بغلاء الأسعار : خذهم بالعدل في المكيال والميزان .  
 وإلى يوسف البرم<sup>(٢)</sup> حين خرج<sup>(٣)</sup> بخراسان : لك أمانى ومؤكّد أيماني .

٥  
٢٣٠  
٢

### موسى الهادي

١٠ كتب إلى الحسن بن قحطبة في أمر راجمه فيه : قد أنكرتك منذ لزمته  
 أبا حنيفة<sup>(١)</sup> ، كفناه الله . وإلى صاحب إفريقية في أمر فرط منه : يا ابن اللّخناء ،  
 أنى تتمرس<sup>(٢)</sup> .

### هارون الرشيد

١٥ وقع إلى صاحب خراسان : داو جرحك لا يتسع . وإلى عامله على مصر : أحذر  
 أن تخرب خزائني وخزانة أخى يوسف ، فياتيك متى<sup>(١)</sup> ما لا قبل لك به ، ومن الله  
 أكثر منه . وقع في قصة [رجل من] البرامكة : أنبئتته الطاعة وحصدته العصية .

(١) القارة : قبيلة ؛ وكانوا رماة في الجاهلية . وزعمون أن رجلين النخبا أحدهما قارى ،  
 واختار الآخر الرماة ، فقال القارى هذا المثل .

(٢) كذا في ي والطبرى ( ق ٣ ص ٤٧٠ ) طبعة أوربة . وهو يوسف بن  
 إبراهيم البرم . وكان خروجه على المهدي بخراسان سنة ستين ومائة . والذي  
 في سائر الأصول : « الروى » .

(٣) في بعض الأصول « ظفر » .

(٤) لعله أبو حنيفة حرب بن قيس . ( انظر الطبرى ) .

(٥) يقال : تمرس الرجل ، إذا مارس الفتن وخرج على إمامه .

(٦) في بعض الأصول : « منه » .

وإلى عامله على فارس : كُنْ مَتَّى عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الْبَيَاتِ . وإلى عامل خراسان :  
 إِنَّ الْمُلُوكَ يُؤَثِّرُ عَنْهُمْ الْحَزْمُ <sup>(١)</sup> . وإلى خزيمة بن خازم ، إِذْ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ وَضَعَ  
 [فِيهِمْ] السِّيفَ حِينَ دَخَلَ أَرْضَ إِرْمِينِيَّةَ : لَا أُمُّ لَكَ ! تَقْتُلُ بِالذَّنْبِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .  
 وَفِي قِصَّةِ مَحْبُوسٍ : مَنْ لَجَأَ إِلَى اللَّهِ نَجَا . وَفِي قِصَّةِ مُتَظَلِّمٍ : لَا يُجَاوِزُ بِكَ الْعَدْلُ ،  
 وَلَا يُقَصِّرُ بِكَ دُونَ الْإِنصَافِ . وإلى صاحب السِّدِّ ، إِذْ ظَهَرَتِ الْعَصْبِيَّةُ <sup>(٢)</sup> : كُلَّ  
 مَنْ دَعَا إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ ، تَعَجَّلْ إِلَى الْمَنِيَّةِ . وإلى عامله على خراسان : كُلُّ مَنْ رَفَعَ  
 رَأْسَهُ فَأَزَلَّهُ عَنْ بَدَنِهِ . وَفِي رُقْعَةٍ مُتَظَلِّمٍ مِنْ عَامِلِهِ عَلَى الْأَهْوَازِ ، وَكَانَ بِالْمُتَظَلِّمِ  
 عَارِفًا : قَدْ وَلَيْتُنَاكَ مَوْضِعَهُ فَتَنَكَّبَ سِيرَتَهُ . وَفِي كِتَابِ بَكَارِ الزُّبَيْرِيِّ <sup>(٣)</sup> إِلَيْهِ  
 يُخْبِرُهُ بِسِرِّ مَنْ أَسْرَارَ الطَّالِبِيِّينَ : حَزَى اللَّهُ الْفَضْلَ خَيْرَ الْجَزَاءِ فِي اخْتِيَارِهِ إِيَّاكَ ،  
 وَقَدْ أَثَابَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَائَةَ أَلْفٍ بِحُسْنِ نِيَّتِكَ . وإلى محفوظ <sup>(٤)</sup> صاحب خراج  
 مصر : يَا مَحْفُوظُ ، اجْعَلْ خَرَجَ مِصْرَ خَرَجًا <sup>(٥)</sup> وَاحِدًا وَأَنْتَ أَنْتَ . وإلى صاحب  
 المدينة : ضَعْ رَجْلَيْكَ عَلَى رِقَابِ أَهْلِ هَذَا الْبَطْنِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَطَالُوا إِلَيَّ بِالشَّهَادِ ،  
 وَنَفَوْا عَنْ عَيْنِي لَدَيْدَ الرِّقَادِ . وَوَقَعَ إِلَى السَّنْدِيِّ بْنِ شَاهِكٍ : خَفِ اللَّهَ وَإِمَامَكَ  
 فَهَمَا نَجَاتُكَ . وإلى سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ فِي كِتَابٍ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِنْهُ يَذْكُرُ فِيهِ وَثُوبَ  
 أَهْلِ دِمَشْقَ : أَسْتَحْيَيْتُ لَشَيْخٍ وَلَدَهُ الْمَنْصُورَ أَنْ يَهْرُبَ عَنْ وَلَدَتِهِ كِنْدَةَ وَطَيْئِهِ ،  
 ١٥ فَهَلَّا قَاتَلْتَهُمْ بِوَجْهِكَ ، وَأَبْدَيْتَ لَهُمْ صَفْعَتَكَ <sup>(٦)</sup> ، وَكَفْتَ كَمْرَوَانَ ابْنَ عَمِكَ  
 إِذْ خَرَجَ مُصَلِّيًا سِيَرَتَهُ مَتَمَثِّلًا بِبَيْتِ الْجَحَافِ بْنِ حُكَيْمٍ :

مُتَقَلِّدِينَ صَفَاتِهَا هُنْدِيَّةً يَتْرُكْنَ مَنْ ضَرَبُوا كُنْ لَمْ يُؤَلِّدْ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عَنْهَا الْحُظْ » . وَلَعَلَّ « الْحُطْ » مُحَرَّفَةٌ عَنْ « الْحَطُّ » ،

يُرِيدُ أَنْ هَفْوَةَ الْمُلُوكِ مَشْهُورَةٌ بِأَثَرِهَا النَّاسَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْمَعْصِيَّة » .

(٣) لَعَلَّهُ بَكَارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِصْعَبِ الزُّبَيْرِيِّ . ( انْظُرِ الطَّاهِرِيَّ ) .

(٤) هُوَ مَحْفُوظُ بْنُ سُلَيْمَانَ . ( انْظُرِ الْوَلَاةَ وَالْقَضَاةَ لِلْكَنْدِيِّ ) .

(٥) الْحَرَجُ : الْإِنَاوَةُ ، كَالْحَرَاجِ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فَرَجٌ ... فَرَجًا » .

(٦) زَيْدٌ فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَبَدَلْتُ لَهُمْ مَنَعَتَكَ » . وَهِيَ كَمَا تَرَى لَا تَلْتَمِمْ مَعَ غَيْرِهَا

مِنَ الْعِبَارَاتِ الَّتِي تَفِيدُ أَمْرَهُ بِاسْتِعْمَالِ الشَّدَةِ وَالْقَسْوَةِ .



فجالد به حتى قُتل<sup>(١)</sup>، لله أم ولدته، وأب أنهضه ! وكتب مُتملك<sup>(٢)</sup> الروم إلى هارون الرشيد : إني متوجه نحوك بكل صليب في مملكتي ، وكل بطل في جُندي . فوقع في كتابه : سيعلم الكافر لمن عُنِيَ الدار . وكتب إليه يحيى بن خالد من الحبس حين أحس بالموت : قد تقدّم الخصم إلى موقف الفصل ، وأنت بالأثر ، والله الحكم العدل ، وستقدّم فتعلم . فوقع فيه الرشيد : الحكم الذي رَضِيته في الآخرة لك هو الذي أعدى الخصم [ في الدنيا ] عليك ، وهو من لا بُدَّ حُكمه ، ولا يُصرف قضاؤه .

### المأمون

وقع إلى [ علي ] بن هشام في أمر تظلم فيه منه : من علامة الشَّرِيف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه ، فأى الرجلين أنت ؟ وإلى هشام<sup>(٣)</sup> : لا أذنيك ولك بباي خصم . وإلى الرُّستمي في قصة من تظلم منه : ليس من المروءة أن تكون آذيتك من ذهب وفضة ، وغريمتك خاو ، وجارك طاو . وفي قصة متظلم من عمرو بن مسعدة : يا عمرو ، أعر نعمتك بالعدل ، فإن الجور يهدمها . وفي قصة متظلم من أبي عباد : يا ثابت ، ليس بين الحق والباطل قرابة . وفي قصة متظلم من أبي عيسى أخيه : فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . وفي قصة متظلم من حميد الطوسي : يا أبا غاسم<sup>(٤)</sup> ، لا تغتر بموضعك من إمامك ، فإنك وأخس عبده في الحق سيان . وإلى طاهر صاحب خراسان : أحمد الله أبا الطيب إذا حلّك من خليفته محل نفسه<sup>(٥)</sup> ، فما لك موضع تسمو إليه نفسك إلا وأنت فوقه عنده . وفي

٢٣١  
٢

١٥

(١) في بعض الأصول بعد قوله « قتل » : « إما يدعة وإما خلة أشد هراشا وأخشن مراسا ولولا أن يقال لقلت رحمه الله »

٢٠

(٢) في ي : « ملك » .

(٣) في ي : « أحمد بن هشام » .

(٤) في بعض الأصول « يا أبا غم » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والأغاني ( ج ١٨ ص ١٠٧ و ١١٢ ) .

(٥) في بعض الأصول : « خليفة محل نفسه من نفسه » .

٢٥

كتاب بشر بن داود : هذا أمان عاقدتُ الله [عليه] في مُناجاتي إياه ، وفي كتاب  
إبراهيم بن جعفر في فُدُك<sup>(١)</sup> حين أمره بردها : قد أرضيت خليفة الله في فُدُك كما  
أرضى الله رسوله<sup>(٢)</sup> فيها . وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطُّوسى : قد احتملنا  
بذائك وشكاسة خُلقك ، فأما ظُلمك للرعية فإنا لا نَحْتَمِلُهُ . ووقع إلى بعض  
عَمَّالِهِ : طالع كل ناحية من نواحيك ، وقاصية من أقاصيك ، بما فيه أَسْتَصْلَحُهَا . ٥  
وكتب إليه إبراهيم بن المهدي في كلام له : إن عَفَرْتَ فبِفَضْلِكَ ، وإن أَخَذْتَ  
فبِحَقِّكَ . فوقع في كتابه : القُدْرَةُ تَذْهَبُ الْخَفِيزَةُ ، وَالنَّدَمُ جُزءٌ مِنَ التَّوْبَةِ ،  
وبينهما عَفْوُ اللَّهِ . ووقع في رُقْعَةٍ مولى طلب كُسوة : لو أَرَدْتَ الْكُسوةَ لَازِمْتَ  
الخدمة ، وَالْكَذْكَ آثَرُ الرُّقَادِ ، فَحُظِّكَ الرُّؤْيَا . ووقع في يوم عاشوراء لبعض  
أَصْحَابِهِ ، وقد وافته الأموال : يُؤْمَرُ لَهُ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ لَطُولَ هِمَّتِهِ<sup>(٣)</sup> . وَلِثَمَاءِ بْنِ ١٠  
أَمْسَرِسَ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ لَتَرَكَ مَا لَا يَبْعُنِيهِ . وَلَأَبَى مُحَمَّدَ الْيَزِيدِي : يُؤْمَرُ لَهُ بِخَمْسِمِائَةِ  
أَلْفٍ لِكِبَرِهِ . وَالْعَلَى بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ لِصَحِيحِ نَيْتِهِ . وَلِإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِخَمْسِمِائَةِ  
أَلْفٍ لِصَدَقِ لَهْجَتِهِ . وَلِلْعَبَّاسِ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ لِفَصَاحَةِ مَنَظِقِهِ . وَلِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي  
خَالِدٍ بِأَلْفٍ لِمُخَالَفَةِ شَهْوَتِهِ . وَلِإِبْرَاهِيمَ بْنِ بُؤْيَةَ كَذَلِكَ لِسُرْعَةِ دَمْعَتِهِ .  
وَلِلْمَرِيَسِيِّ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ لِإِسْبَاغِ وَضُوئِهِ . وَاعْبُدِ اللَّهَ بْنَ بَشَرَ بِمِثْلِهَا لِحَسَنِ وَجْهِهِ . ١٥

(١) فُدُك (بالتحريك) : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة ، أَعْطَاهَا اللَّهُ

عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ صَلَاحًا ، وَادْعَتْ فَاطِمَةَ أَنَّ الرَّسُولَ

تَحْلِيهَا إِيَّاهَا . ثُمَّ أَعْطَاهَا عَمْرًا إِلَى وَرَثَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالْأَوَّلَى هُمُ بْنُ

عَبْدِ الْعَزِيزِ رَدَّهَا إِلَى وَلَدِ فَاطِمَةَ . فَلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ قَبْضَهَا . حَتَّى وَلِيَ السَّفَاحَ فَدَفَعَهَا إِلَى

الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ . فَلَمَّا وَلِيَ النَّصُورَ قَبْضَهَا . فَلَمَّا وَلِيَ الْمَهْدِيَّ أَعَادَهَا . ٣٥

ثُمَّ قَبْضَهَا الْمَهَادِي إِلَى أَيَّامِ الْأَمَوِيِّينَ ، فَكُتِبَ بِهَا سَجَلًا لِبْنِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

( انظر مَجْمَعُ الْبُلْدَانِ ) .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « خَلِيفَتُهُ » .

(٣) فِي ي : « وَوَقَعَ فِي رُقْعَةٍ غَسَّانُ بْنُ عِبَادٍ يَوْضِي لَهُ بِثَلَاثَةِ ... الْحَمْدُ » مَكَانَ قَوْلِهِ :

« وَوَقَعَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ » إِلَى هُنَا .

## توقيعات الأمراء والكبراء

### زياد

وَقَعَ إِلَى بَعْضِ عَمَّالِهِ : قَدْ كُنْتَ عَلَى الدُّعَارِ ، وَإِخَالِكَ دَاعِراً . وَكُتِبَتْ  
إِلَيْهِ عَائِشَةُ فِي وَصَاةِ رَجُلٍ ، فَوَقَعَ فِي كِتَابِهَا : هُوَ بَيْنَ أُبُيَّهِ . وَإِلَى صَاحِبِ  
خُرَّاسَانَ فِي أَمْرِ خَالِفِهِ فِيهِ : أَشْتَرْتُ بَعْضَ دِينَكَ بِبَعْضٍ وَإِلَّا ذَهَبَ كُلُّهُ . وَإِلَى  
عَامِلِهِ بِالْكُوفَةِ : أَمِطِ الْخُدُودَ عَنْ ذَوِي الْمُرُوتِ . وَفِي قِصَّةِ مُتَظَلِّمٍ : أَنَا مَعَكَ .  
وَفِي قِصَّةِ قَوْمٍ رَفَعُوا عَلَى عَامِلٍ [ رَفِيعَةً <sup>(١)</sup> ] : مَنْ أَمَالَهُ الْبَاطِلُ قُوَّتَهُ الْحَقُّ . وَفِي  
قِصَّةِ مُسْتَمْنَحٍ : لَكَ الْمَوَاسَاةُ . وَإِلَى عَامِلِهِ فِي خَوَارِجٍ خَرَجُوا بِالْبَصْرَةِ : الدَّسَاءُ  
تُحَارِبُهُمْ دُونَكَ . وَفِي قِصَّةِ سَارِقٍ : الْقَطْعُ جَزَاؤُكَ . وَفِي قِصَّةِ أَمْرَأَةٍ حُبِسَ  
زَوْجُهَا : حُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ . وَفِي قِصَّةِ قَوْمٍ نَقَبُوا : تُنْقَبُ ظُهُورُهُمْ . وَفِي قِصَّةِ نَبَّاشٍ :  
يُدْفَنُ حَيًّا فِي قَبْرِهِ . وَفِي قِصَّةِ مُتَظَلِّمٍ : الْحَقُّ يَسْعُكَ . وَفِي قِصَّةِ مُتَنَصِّحٍ :  
\* مَهْلًا فَقَدْ أَبْلَغْتَ إِسْمَاعِي <sup>(٢)</sup> \*

وَفِي قِصَّةِ مُتَظَلِّمٍ : كُفَيْتَ . وَفِي قِصَّةِ رَجُلٍ شَكَا إِلَيْهِ عُقُوقَ ابْنِهِ : رَبِّمَا كَانَ  
عُقُوقُ الْوَلَدِ مِنْ سُوءِ تَأْدِيبِ الْوَالِدِ . وَفِي قِصَّةِ رَجُلٍ شَكَا الْحَاجَةَ : لَكَ فِي مَالٍ  
اللَّهُ نَصِيبٌ أَنْتَ آخِذُهُ . وَفِي قِصَّةِ رَجُلٍ جَارِحٍ : الْجُرُوحُ قِصَاصٌ . وَفِي قِصَّةِ  
مُحِبُّوسٍ : التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ . وَفِي قِصَّةِ قَوْمٍ شَكُوا غَرَقَ  
ضِيَاعِهِمْ : لَا نَعْرِضُ فِيمَا تَفَرَّدَ اللَّهُ بِهِ . وَفِي قِصَّةِ قَوْمٍ أَشْتَكُوا اجْتِيَا حِ الْجَرَادِ  
لَزُرُّوهُمْ : لَا حُكْمَ فِيمَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ .

### الحجاج بن يوسف

وَقَعَ فِي كِتَابِ أَتَمِّهِ مِنْ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ يَشْكُو كَثْرَةَ الْجَرَادِ وَذَهَابَ الْغَلَّاتِ ٢٠

(١) الرَفِيعَةُ : مَا رَفَعَ بِهِ عَلَى الرَّجُلِ . (٢) هَذَا عَجَزَ بَيْتِ لَأْبَى قَيْسِ بْنِ الْأَسْلَمِ  
الْأَنْصَارِيِّ وَصَدْرُهُ : \* قَالَتْ وَلَمْ تَقْصِدْ لِقِيلَ الْحَنَّا \* (انظر المفضليات) .

وما حلّ بالناس من القحط : إذا أَرِفَ خراجك فأَظْهر لرعيّتك في مصالحها ،  
 فبیتُ المال أشدَّ اضطِلاعاً بذلك من الأرملة واليتيم وذی العیلة . وفي كتاب  
 قُتَيْبَة إليه أنه على عبور النهر ومُحاربة الترك : لا تُخاطر بالمُسلمين حتى تعرفَ  
 موضعَ قدمك ، ومرمى سهامك . وفي كتاب صاحب الكوفة يُخبره بسوء  
 طاعتهم وما يُقامى من مُداراتهم : ما ظنّك بقوم قتلوا مَنْ كانوا يُعبدونه . وفي  
 قصة محبوس ذكروا أنه تاب : ما على المُحسنين من سبيل . وإلى قُتَيْبَة : خُذ  
 عسكرك<sup>(١)</sup> بتلاوة القرآن ، فإنه أَمْنٌ من حُصونك . وفي كتابه إلى بعض عُماله :  
 إِيَّاكَ والمُلاهي حتى تستنظف<sup>(٢)</sup> خراجك . وفي كتابه إلى ابن أخيه :  
 ما رَكِبَ يهوديٌّ قبلك مَنبراً . وفي كتابه إلى يزيد بن أبي مُسلم : أنت أبو عبيدة  
 هذا القرن .

١٠

### أبو مسلم

وقع في كتاب سليمان بن كثير الخراعي : إِسْكَالُ نَبَأِ مُسْتَقَرٍّ وَسَوْفَ  
 تَعْلَمُونَ . وإلى أبي العباس في يزيد بن عمر بن هُبيرة : قَلَّ طريقُ سَهْلٍ تُلقَى  
 فيه الحجارة إلا عاد وغرا ، والله لا يَصْلُحَ طريقٌ فيه ابنُ هُبيرة أبداً . وإلى ابن  
 قحطبة : لا تَنْسَ نصيبك من الدنيا . وإليه : أدع إلى سبيل ربك بالحسنة  
 والموعظة الحسنة . وإليه : لا تَرَكْنُوا إلى الذين ظلموا فتَمْسِكْ النار . وإلى محمد  
 ابن صُول ، وكتب إليه بسلامة أطرافه : وأما بنعمة ربك فحدث . وكتب إليه  
 قحطبة<sup>(٣)</sup> : إن بعض قُوَّاده خَرَجَ إلى عسكر ابن ضُبارة راغباً ، فوقع في كتابه :  
 (ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كُفْراً) الآية . وإلى عامله ببُلُخ : لا تُؤَخِّرْ عمل  
 اليوم لغد . وإلى أبي سَلَمَةَ الخَلَّال حين أنكر نيته : وإذا لقوا الذين آمنوا

٢٠

(١) في بعض الأصول : « أهل عسكرك » .

(٢) يقال : استنظف الوالى ما عليه من الحراج ، إذا استوفاه .

(٣) هو قحطبة بن شبيب الطائي .

قالوا آمَنَّا وإذا خَلَوْا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم .

### جعفر بن يحيى

- وقع في قصة محبوبوس : لسكن أجل كتاب . وفي مثله : العدل يُوبقه <sup>(١)</sup> ،  
 والتوبة تطلقه . وفي قصة مُتَنَصِّح : بعض الصدق قبيح . وإلى بعض عماله <sup>(٢)</sup> :  
 قد كثر شاكروك ، وقَلَّ شاكروك ، فإما عدلت ، وإما أعتزلت . وفي قصة رجل  
 شكّا بعضَ خَدَمه : خُذْ بِأُذنه ورأسه فهو مالك . وإلى عامل فارس في رجل  
 كتب إليه بالوصاة : كُنْ لَهُ كَأبيه لو كان مكانك . وإلى عامل مصر في رجل  
 من بطانته يُوصيه : إنه رَغِبَ إلى شِعْبِكَ ، فأرغب في اصطناعه . وفي قصة متظلم  
 من بعض عماله : إني ظلمتُكَ دونه . وفي قصة محبوبوس : الجناية حَبَسَتْهُ ، والتوبة  
 تُطْلِقُهُ . وإلى قوم : عَيْنُ الخليفة تَسْكُلُوكُمْ ، ونظروهم يعمّكم . وفي رُقعة صارورة  
 أستاذنه في الحج : مَنْ سافر إلى الله أنجح . وفي قصة رجل شكّا غُزُوبَةَ : الصَّوم  
 لك وجاء <sup>(٣)</sup> . وفي رُقعة رجل سأل ولاية : لا أُولَى بعض الظالمين بعضا . وفي  
 قصة رجل سأله أن يُثَقِّلَ أبنته فقد طالَت غَيْبَتُهُ عنه : غَيْبَةُ يوسف صَلَّى الله عليه  
 وسلم كانت أطول . وفي قصة رجل تظلم من بعض عماله : أنا لمثلُه حتى يَنْصِفَكَ . وفي  
 قصة قوم شكّوا سُوءَ جِوَارِ بعض قرابته : يَرَحِلْ عَنْكُمْ . وفي قصة مُسْتَمْنَحٍ قد  
 كان وَصَلَهُ مِرَاراً : دَعِ الضَّرْعَ يَدِيرَ لغيرك كما دَرَّ لك . وإلى الفضل بن الربيع ،  
 وجاءه منه كتاب غَمّه وأُكْرِبه : كَثُورَةُ مُلَاحَاةِ الرجال ربما أَرَاقتِ الدَّمَاءَ .  
 وإلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه : لَمْ تَزِرْ عَكَ لِنَحْصُوكَ . وإلى بعض عماله :  
 اجعل وسيلتك إلينا ما يزيدك عندنا . وإلى بعض نَدَمائِهِ : لا تَبْعِدْ عَن ضَمِّكَ .  
 ٢٠ ووقع إلى مُتَنَصِّلٍ مِنْ ذَنْبٍ : حُكْمُ الْفَالَتَاتِ خِلَافُ حُكْمِ الْإِصْرَارِ .

(١) في ي : « وأوثقه » .

(٢) في بعض الأصول : « وفي رجل شكّا بعض عماله » .

(٣) وجاء : شبيه بالخصاء .

## الفضل بن سهل

كتب إلى أخيه الحسن : أحمد الله يا أخى ، فما يبيت خليفة الله إلا على  
 ذِكْرِكَ . وإلى طاهر : إِيخَيْرِ مَا اتَّضَعْتُ <sup>(١)</sup> . وإليه : لشر ما سموت . وإلى هرثمة  
 وأشار عليه برأى : لا يُحَلِّ ما عَمَدْت . وفي قصة متظلم : كفى بالله المظلوم ناصراً .  
 وفي قصة رجل نقب بيت المال : يُدْرَأُ عنه الحد إن كان له فيه سهم . ووقع إلى ٥  
 حاجبه : تمهل وتسهل . وإلى صاحب الشرطة : تَرَفَّقْ تَوْفَّقْ . وإلى رجل شكَا  
 غلبة الدين : قد أمرنا لك بثلاثين ألفاً وسدشفعها بمثلها ليرغب المستمنحون <sup>(٢)</sup> .  
 وفي قصة متظلم : طِبْ نفساً فإن الله مع المظلوم . وإلى رجل شكَا إليه الدين :  
 الدين سوء يهيبض الأعناق ، وقد أمرنا بقضائه . وفي قصة قوم قطعوا الطريق :  
 ( إنما جزاء الذين يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً ) . الآية . ١٠  
 وفي أمرى قاتل شهد عليه العدول فشفع فيه : كتابُ الله أحقُّ أن يُتَّبَعَ . وفي  
 قصة رجل شهد عليه أنه شتم أبا بكر وعمر : يُضْرَبُ دون الحد ويُشْتَهَرُ ضَرْبَهُ .

## الحسن بن سهل ذو الرياستين

وقع في قصة متظلم : يُنْظَرُ فيما رفع : فإن الحق منيع ، وإلا فشفاء السقيم <sup>(٣)</sup>  
 دواء السقم . وفي قصة قوم تظلموا من واليهم : الحق أولى بنا ، والعدل بُغيتنا ، ١٥  
 وإن صح ما أدعيتم عليه صرفناه وعاقبناه . وفي قصة امرأة حبس زوجها :  
 الحق يحبسها والإنصاف يُطْلِقُهَا . وفي رُفْعَةِ رائد : قد أمرنا لك بشيء هو دون  
 قَدْرِكَ في الاستحقاق ، وفوق الكفاية مع الاقتصاد . وكتب إليه رجل من  
 الشعراء <sup>(٤)</sup> يقول له :

(١) في بعض الأصول : « ما استطعت » .

(٢) في بعض الأصول : « المتنصعون » .

(٣) في بعض الأصول : « فشأن السليم دواء السقيم » .

(٤) فيما مر من هذا الكتاب ( ج ١ ص ٣١٦ ) أن هذا الشعر للبطين وكان كتب به  
 إلى علي بن يحيى الإرميني .

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَسًا وَلِي وَصِيفٌ وَفِي كَفِّي دَنَانِيرُ  
فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ فَهْمٌ وَمَعْرِفَةٌ رَأَيْتَ خَيْرًا وَلِلْأَحْلَامِ تَعْبِيرُ  
رُؤْيَاكَ فَفَسَّرَ غَدَاً عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجِدُ فِي الْحِلْمِ خَيْرًا وَفِي النَّوْمِ التَّبَاشِيرُ<sup>(١)</sup>  
فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ : أَضْفَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ .  
وَأُطْلِقُ لَهُ مَا أَلْتَمَسَهُ .<sup>(٢)</sup> وَدَخَلَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ<sup>(٣)</sup> عَلَى [ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ ] بَشْرِ بْنِ  
مَرْوَانَ فَأَنشَدَهُ :

أَغْفَيْتُ عِنْدَ الصَّبِيحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنْامُهَا  
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ رُعْتَنِي بِوَلِيدَةٍ رُعْبُوبَةٍ حَسَنٍ عَلَى قِيَامِهَا<sup>(٤)</sup>  
وَبِبَذَرَةٍ حُمِلَتْ إِلَيَّ وَبِنَفْلَةٍ دَهْمَاءَ مُشْرِفَةٍ يَصِصِلُ لِحِجَامِهَا  
فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ يُثَبِّتَ جَنَّةَ عِوَضًا يُصْبِيكَ بَرْدَهَا<sup>(٥)</sup> وَسَلَامِهَا  
لَيْتَ الْمَنَابِرَ يَا بْنَ مَرْوَانَ الْفَنْدَى أَضَحْتُ وَأَنْتَ خَطِيبُهَا وَإِمَامُهَا<sup>(٦)</sup>  
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ بَشْرِ : فِي كُلِّ شَيْءٍ أَصَبْتَ إِلَّا الْبَغْلَةَ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ  
إِلَّا شَهْبَاءَ . فَقَالَ لَهُ : اِسْرَاقِي طَالِقُ إِنْ كُنْتَ رَأَيْتَهَا إِلَّا شَهْبَاءَ ، إِلَّا أَنِّي غَلِطْتُ .

### طاهر بن الحسين

١٥ وَقَعَ فِي كِتَابِ رَجُلٍ تَغْلَمُ مِنْ أَصْحَابِ نَضْرَ بْنِ شَيْبٍ : طَلَبْتَ الْحَقَّ فِي  
دَارِ الْبَاطِلِ . وَفِي قِصَّةِ رَجُلٍ طَلَبَ قِمَالَةً<sup>(٧)</sup> بَعْضَ أَعْمَالِهِ : الْقَبَالَةَ مِفْتَاحَ الْفَسَادِ ،  
وَلَوْ كَانَتْ صَاحِحًا مَا كُنْتُ لَهَا مَوْضِعًا . وَإِلَى السُّنْدِيِّ بْنِ شَاهِكٍ ، وَجَاءَهُ مِنْهُ

(١) رواية هذا المعجز فيما مر \* تعبير ذلك وفي القائل التباشير \*  
(٢) هذا الخبر غريب على هذا الباب ، فهو لابن بشر والباب توقيعات للحسن بن سهل  
فلعل المؤلف ساقه للمشاكسة ، أو لعله كان تحت عنوان آخر .  
(٣) الشاعر هو الحكم بن عبدل . ( انظر ج ١ ص ٣١٦ من هذه الطبعة ) . والأغاني  
( ج ٢ ص ٤٠٧ ) طبعة دار الكتب المصرية . وقد ذكر من هذا الشعر أبيات  
في الأغاني ( ج ١ ص ٢٣ ) طبعة بلاي منسوبة لحزرة بن بيض .  
(٤) جارية رعبوبة : بيضاء حسنة رطبة حلوة . (٥) في بعض الأصول : « درها » .  
(٦) بين الأبيات هنا وفي الأغاني خلاف في بعض الألفاظ . (٧) القباله : الكفالة .

كتاب يستعطفه فيه : عِشْ مَا لَمْ أَرْكَ . وإلى خُزَيْمَةَ بْنِ خَازِم : الأعمال بخواتيمها ، والصَّنِيعَةُ بِأَسَدَامَتِهَا ، وإلى الغَايَةِ مَا جَرَى الْجَوَادُ ، فَحُمِدَ السَّابِقُ ، وَذُمَّ السَّاقِطُ . وإلى العباس بن موسى الهادي وأُسْتُبْطَاهُ فِي خِرَاجِ نَاحِيَّتِهِ :

وَلَيْسَ أَخُو الْحَاجَاتِ مَنْ بَاتَ نَائِمًا وَلَكِنْ أَخُوهَا مَنْ بَلَّيْتُ عَلَى رَحْلِي<sup>(١)</sup>

- وفي رُقْعَةٍ مُتَنَصِّحٍ : سَنَنْظُرُ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وفي قصة • محبوبس : يُطْلَقُ وَيُعْتَقُ . وفي رُقْعَةٍ مُسْتَوْصِلٍ : يُقَامُ أَوْدَهُ .<sup>(٢)</sup> وكتب أبو جعفر إلى عمرو بن عبيد : أبا عثمان ، أعني بأصحابك ، فإنهم أهل العدل ، وأصحاب الصدق ، والمؤثرون له . فوقع في كتابه : أرفع علم الحق يتبعك أهله .

### توقيعات العجم

- وقع أردشير في أُرْزَمَةِ عَمَتِ الْمَمْلُوكَةِ : مِنَ الْعَدْلِ أَنْ لَا يَفْرَحَ الْمَلِكُ وَرَعِيَّتُهُ ٢٣٤  
مَحْزُونُونَ . ثُمَّ أَمَرَ فَفَرَّقَ فِي الْكُورِ جَمِيعَ مَا فِي بُيُوتِ الْأَمْوَالِ . وَرَفَعَ رَجُلًا  
إِلَى كَسْرَى بْنِ قُبَاذٍ رُقْعَةً يُخْبِرُهُ فِيهَا أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ بَطَانَتِهِ قَدْ فَسَدَتْ نِيَّاتِهِمْ  
وَحَبَّئْتُ ضَمَائِرَهُمْ ، مِنْهُمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ . فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ : إِنَّمَا أَمْلَأُ ظَاهِرَ  
الْأَجْسَامِ لَا النِّيَّاتِ ، وَأَحْكُمُ بِالْعَدْلِ لَا بِالْهَوَى ، وَأُفْصِحُ عَنِ الْأَعْمَالِ لَا عَنِ  
الْمِرَاثِ . وَوَقَعَ كَسْرَى فِي رُقْعَةٍ مَذْحٍ : طُوبَى لِلْمَدْحُوحِ إِذَا كَانَ لِلْمَذْحِ مُسْتَحَقًّا ، ١٥  
وَاللِّدَاعَى إِذَا كَانَ لِلْإِجَابَةِ أَهْلًا . وَكَتَبَ إِلَيْهِ مُتَنَصِّحٌ : إِنْ قَوْمًا مِنْ بَطَانَتِهِ  
اجْتَمَعُوا لِلْمُنَادِمَةِ ، فَمَسَاوَهُ وَتَلَمَّوْهُ . فَوَقَعَ : لَنْ كَانُوا نَطَقُوا بِالسُّنَّةِ شَقِيٌّ لَقَدْ  
اجْتَمَعَتْ مَسَاوِيهِمْ عَلَى إِسَانِكَ ، فَجُرْحُكَ أَرْغَبُ<sup>(٣)</sup> ، وَإِسَانُكَ أَكْذَبُ . وَرَفَعَ  
إِلَيْهِ جَمَاعَةً مِنْ بَطَانَتِهِ [ رُقْعَةً ] يَشْكُونَ [ فِيهَا ] سُوءَ حَالِهِمْ . فَوَقَعَ : مَا أَنْصَفَكُمْ  
مِنْ إِلَى الشَّكِيَّةِ أَحْوَجَكُمْ ؛ ثُمَّ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَا وَسَعَهُمْ وَأَغْنَاهُمْ . وَوَقَعَ أَنْوَشِرَوَانُ ٢٠

(١) في بعض الأصول : « وجل » . (٢) يلاحظ أن هذا التوقيع لا يندرج

تحت توقيعات هذا الباب . فلعل مكانه مع توقيعات أبي جعفر فيما مضى من هذا

الكتاب ( ص ٢١١ ) . (٣) أرغب : أوسع .



إلى صاحب خراجة : ما أَسْتَفْزِرُ الخراج بمثل العَدْل ، ولا أَسْتَفْزِرُ بمثل الجور .  
 ووقع في قصة رجل تَظَلَّم منه : لا يَنْبَغِي للملك الظلم ، ومن عنده يُلتَمَس العَدْل ،  
 ولا البخل ، ومن عنده يُتَوَقَّع الجود ؛ ثم أمر بإحضار الرجل وقعد معه بين  
 يدي الموبذ<sup>(١)</sup> . ووقع في قصة محبوبس : مَنْ ركب ما نُهي عنه حيل بينه وبين  
 ما يَشْتَهِي . ورفع إليه بعضُ خَدَمِهِ رقعةً يُخْبِرُهُ فيها بكثرة عِيَالِهِ ، وسُوء حاله ،  
 فَعَرَفَ كَذِبَهُ ، فَوَقَّع : إِنَّ اللَّهَ خَفَّفَ ظَهْرَكَ فَثَقَلْتَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ فَكَفَرْتَهُ ،  
 فَتُبَّ إِلَى اللَّهِ يَتُبُ عَلَيْكَ . ووقع في قصة رجل سعى إليه بباطل : باللسان  
 أَحْفَظْ رَأْسَكَ . ووقع في قصة رجل ذَكَرَ أَنَّ بعضَ قَرَابَةِ الْمَلِكِ ظَلَمَهُ وَأَخْذَمَالَهُ :  
 لا تَصْلَحُ الْعَامَّةُ إِلَّا بِبَعْضِ الْخَفِيفِ عَلَى الْخَاصَّةِ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَجَحَّتْكَ جَمِيعُ  
 ١٠ مَا يَمْلِكُهُ . فلم يتظلم بعدها أحدٌ من قَرَابَتِهِ .

### فصول في المودة

كتب عبد الرحمن بن أحمد الحراني إلى محمد بن سهل : أعزك الله ، إن  
 كل مجازاة قاصرة عن حق السابق<sup>(٢)</sup> إلى أفتتاح الود ، وقد علمت أنني  
 أَسْتَقْبَلْتُكَ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ بما لم تَسْتَدْعِهِ ، وَأَعْتَمَدْتُكَ مِنَ الرَّغْبَةِ فِيكَ  
 ١٥ بما لم تُؤَلِّهِ .

وفصل لأبي علي البصير : قد أَكَّدَ اللَّهُ بَيْنَنَا مِنَ الْوَدِّ<sup>(٣)</sup> ، ما نَأْمَنُ الدَّهْرَ  
 عَلَى حُلِّ عَقْدِهِ ، وَنَقُضِ مِرَاثِهِ ، وما يَسْتَوِي فِيهِ ثِقَتُنَا بَأَنْفُسِنَا لَكَ ، وَثِقَتُنَا<sup>(٤)</sup>  
 بما عندك .

(١) الموبذ : فقيه الفرس ، كالموبدان .

(٢) في ي : « السائل » .

(٣) في بعض الأصول : « المودة » .

(٤) في بعض الأصول : « نفسنا » .

وفصل له : الحالُ فيما بيننا تَحْتَمِلُ الدَّالَّةَ ، وتُوجِبُ الأَنسَ والثِّقَّةَ ، وبَسْطَ اللِّسانِ بِالأَسْتِزَادَةِ ، وأنا أُمْتُ إِلَيْكَ بِالْحَرَمَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، والأسبابُ المؤكِّدَةُ ، التي تُحَلُّ صاحبها محلَّ خاصَّةِ الأهلِ والقِرابَةِ .

وفصل لإبراهيم بن العباس : المودَّةُ يَجْمَعُنَا حَبْلُهَا <sup>(١)</sup> ، والصَّنَاعَةُ تُؤَلِّفُنَا أسبابها ، وما بين ذلك من تراخٍ في إلقاء ، أو تخلفٍ في مُكَاتِبَةٍ ، موضوع ٥  
بيننا يجب العُذْرُ فيه .

وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا صَبَّ إِلَيْكَ ، سامي الطَّرفِ نحوكَ ، وَذِكْرُكَ مُلْصَقٌ بِلِسَانِي ، وَأَسْمُكَ حُلُوٌّ عَلَى لَهْوَائِي ، وَشَخْصُكَ مَائِلٌ بَيْنَ عَيْنِي ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ قَلْبِي ، وَأَخْذَمُ بِمَجَامِعِ هَوَايَ .

وفصل له : لنَحْنُ أَحَقُّ بِأَبْتِدَائِكَ بِمَا ابْتَدَأْتَنَاهُ مِنَ الصَّلَةِ ، إِلَّا أَنْكَ أَحَقُّ ١٠  
بِالْفَضْلِ الَّذِي سَبَقَتْ إِلَيْهِ .

وفصل لسعيد بن حميد : إِنِّي أَهْدَيْتُ مَوْدِقِي إِلَيْكَ رَغْبَةً ، وَرَضَيْتُ بِالْقَبُولِ مِنْكَ مَثْوَةً ، فَصِرْتَ بَقَبُولِهَا قَاضِيًا لِحَقِّ ، وَمَالِكًا لِرَقِّ ، وَصِرْتُ بِالتَّسَرُّعِ إِلَى الْهَدِيَّةِ ، وَالتَّعَنُّظِ <sup>(٢)</sup> لِلْمَثْوَةِ ، مُسْرِعِينَ اللِّسَانَ بِالْجِزَاءِ <sup>(٣)</sup> ، ١٥  
وَالْيَدِينَ بِالْوَفَاءِ .

وفصل له : إِنِّي صَادَفْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي ، فَأَنَا غَيْرُ مَحْمُودٍ عَلَى الْإِتْقَادِ لَكَ بِغَيْرِ زَمَامٍ ، لِأَنَّ النَّفْسَ يَقُودُ بَعْضُهَا بَعْضًا . وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

٢٣٥  
٢

وَالْقَلْبُ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ  
وَالنَّاسُ مِنَ النَّاسِ مَقَائِيسٌ وَأَشْبَاهُ

(١) في بعض الأصول : « محبتها » .

(٢) في بعض الأصول : « والتخير » .

(٣) في بعض الأصول : « بالرضا » .

وفصل ر : لسانى رطب بذكرك ، وقلبي مغمور بمحبتك ، حضرت أو غيبت ، سرت أو قت ، كقول مقل أخى أبى دلف :

لعمري لئن قررت بقربك أعينُ      لقد سخنت بالبين منك عيونُ  
فيسر أو أقم وقف عليك مودتي      مكانك من قلبي عليك موصون

وفصل لإبراهيم بن المهدي : كتابي إليك كتاب مخبر وسائل ؛ فأما الإخبار ، فمن تصرف الخطوب بما<sup>(١)</sup> يوجب العذر عند صديق العزيز على في إبطائي بالتمهيد له ؛ وأما السؤال ، فمن إمساك هذا الأخ الودود المودود عن مثل ذلك ؛ وإن العذر<sup>(٢)</sup> كاشف ما سلف ، مصلح لما استؤنف .

### فصول في الزيارة

١٠ كتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له : نحن في مأذبة لنا تُشرف على روضة تُضاحك الشمس حسناً ، قد باتت السماء تطلها<sup>(٣)</sup> ، فهي شرقة<sup>(٤)</sup> بمائها ، حالية بنوارها ، قبادر إلينا<sup>(٥)</sup> لنكون على [ سواء من ] استمتاع بعضنا ببعض . فكتب إليه : هذه صفة لو كانت في أقاصى الأطراف لوجب أنتجاعها ، وحث المطى في أبتغائها ، فكيف في موضع أنت تشككه ، وتجمع إلى أنيق منظره ، حُسن وجهك ، وطيب شمائلك ، وأنا الجواب .

وفصل : كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى أحمد بن يوسف في المصير إليه ، وعند أحمد بن يوسف إبراهيم بن المهدي فكتب إليه : عندي من أنا عنده ، وحجبتنا عليك<sup>(٦)</sup> إعلامنا إياك .

(١) في بعض الأصول : « على ما » .

(٢) في بعض الأصول : « البقل » .

(٣) في بعض الأصول : « تعلها » .

(٤) في بعض الأصول : « مشرفة » .

(٥) في بعض الأصول : « فأراك فينا » .

(٦) في بعض الأصول : « إليك » .

وفصل : إنه من ظمى شوقه من رؤيتك ، أستوجب الرى من زيارتك .  
نم كتب تحت هذا :

سِرَّ إلينا تقدبك نفسى من الشؤ ، فقد طال عهدنا بالتلاق  
وأجعلن ذاك إن رأيت جوابى فلقد خفت سَطوة الأشتياق

وفصل : إلى الله أشكو شدة الوحشة لعينيك ، وفرط الحزن من فراقك ،  
وظلم الأيام بَعْدك ، وأقول كما قال بعضُ المحدثين :

غضارة دنيا أظلم العيش بعدها . وعند غروب الشمس يُعرف فَقْدُها

وفصل : الشوق إليك وإلى عهد أيا منا التى حسنت [ بك ] حتى كأنها  
أعياد ، وقصرت [ بك ] حتى كأنها ساعات ، بعوت الصافات ؛ ومما يجدده  
ويكثر دواعيه تصاقب الديار ، وقرب الجوار ، تتم الله لنا النعمة المجددة فيك ١٠  
بالنظر إلى الغرة المباركة ، التى لا وحشة معها ولا أنس بعدها .

وفصل : مثلنا - أعزك الله - فى قرب نجاورنا ، وبعد تراورنا ، ما قيل  
فى أهل القبور :

هُم جيرة الأحياء أما مزارهم فدان ، وأما الملقى فبعيد  
وكل علة معك محتملة ، وكل جفوة مغفورة ؛ للشغف بك ، والثقة بحسن ١٥  
نيتك ، وسناخذ بقول أبى قيس بن الأسلت :

ويكرمها جارائها فيزورها وتغفل عن إنيانها فتعذر

وفصل : كتب حكيم إلى حكيم : يا أخى ، إن أيام العمر أقل من أن  
تحتمل الهجر ، والسلام .

وفصل : كتب أحمد بن يوسف : لا تجوز قطيعة [ الصديق ] لأنها لا تخلو من  
أحد وجهين : إما ضعف فى نفس الاختيار ، وإما ملل . وكلاهما لا حجة فيه . ٢٠  
٢٣٦  
٢

وفصل : طال العهد بالأجتماع حتى كدنا نقتاكر عند الالتقاء ، وقد جعلك الله للسُرور نظامًا ، وللأنس تمامًا ، وجعل المشاهد موحشة إذا خات منك . وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الرّيات :

أوجب العذر في تراخي اللقاء ما توالى من هذه الأنواء  
فسلام الإله أهديني متى كل يوم لسيد الوزراء  
لست أدرى ماذا أقول وأشكو من سماء تعوقني عن سماء  
غير أني أدعو على تلك بالشكّل وأدعو لهدى بالبقاء  
وقال آخر :

أزور محمدًا فإذا التقيته تكلمت الضمائر في الصدور  
فأرجع لم أله ولم يلني وقد رضى الضمير عن الضمير

### فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في [ ابن ] أبي الشيص : كتابي إليك خططته بيمينى ، وفرغت له ذهني ، فما ظنك بحاجة هذا موقعها مني ؟ أنراي أقبل العذر فيها ، أو أنصر في الشكر عليها ؟ وابن أبي الشيص قد عرفته و [ عرفت ] نسبه وصفاته ، ولو كانت أيدينا تنبسط ببره ما عدانا إلى غيرنا ، فاكثف بهذا منا .

وفصل : كتابي إليك كتاب مَعْنَى بمن كُتِبَ له ، واثق بمن كُتِبَ إليه ، ولأن يضيع بين الثقة والعناية حامله .

وفصل : كتب العتّابي فسكاد أن يُخل بالمعنى من شدة الاختصار ، فسكتب : حامل كتابي إليك أنا ، فكُنْ له أنا ، والسلام .

وفصل للحسن بن مهمل : فلان قد أستغنى بأصطناعك إياه عن تحريكك إياك في أمره ، فإن الصنعة حُرمة المصنوع إليه ، ووسيلة إلى مُصطنعه ، فبسط الله يدك بالخيرات ، وجعلك من أهلها ، ووصل بك أسبابها .

وفصل له : مُوصِّلُ كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا ، فَكُنْ لَهُ أَنَا ، وَتَأَمَّلْهُ بَعِينَ مُشَاهِدَتِي وَخَلَقْتِي ، فَلَسَانُهُ أَشْكُرُ مَا آتَيْتَ إِلَيْهِ ، وَأَذَمُّ مَا قَصَرْتَ فِيهِ .

### فصول في عتاب

كتب أحمد بن يوسف : لولا حُسن الظنِّ بك — أعزَّكَ اللهُ — لكان في إغضائك عني ما يقبضني عن الطَّلبة إليك ، ولكنَّ أَمْسَكَ بَرَمَقٍ مِنَ الرَّجَاءِ ٥ عَلِمَ بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ ، وَبَسَطُ يَدِكَ إِلَى الَّذِي لَوْ قَبَضَتْهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكَّرًا ، وَسُؤْدُوكَ شَافِعًا .

فصل : ما أبعد البرء من مريض داؤه في دوائه ، وعِلَّتُهُ فِي حَقِيَّتِهِ ، وَأَنَا مِنْكَ كَالْغَاصِّ بِالسَّاءِ لَا مَسَاغَ لَهُ . وَكَأَنَّ الشَّاعِرَ :

كُنْتُ مِنْ كُرْبَتِي أَفْرَأُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ كُرْبَتِي ، فَأَيْنَ الْفِرَارُ ؟ ١٠  
فصل : أَنَا مُنْتَظَرٌ وَاحِدَةً مِنْ اثْنَتَيْنِ : عُتْبَى تَكُونُ مِنْكَ ، أَوْ عُتْبَى تَغْنِي عَنْكَ .

فصل : أَمَا بَعْدَ فَقْدِ كُنْتُ لَنَا كُلُّكَ ، فَاجْعَلْ لَنَا بَعْضَكَ ، وَلَا تَرْضَى إِلَّا بِالْكُلِّ لَكَ مِنْهَا <sup>(١)</sup> .

فصل : أَنَا أَبْقَى عَلَى وَدِّكَ مِنْ عَارِضٍ يَغْيِرُهُ ، أَوْ عِتَابٍ <sup>(٢)</sup> يَقْدَحُ فِيهِ ، ١٥ وَآمُلُ عَائِدًا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ يَغْنِي عَنْ اقْتِضَائِكَ .

فصل : أَلْهَمَكَ اللهُ مِنَ الرُّشْدِ بِحَسَبِ مَا مَنَحَكَ مِنَ الْفَضْلِ . وَلَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ نَزَعَ إِلَى الصَّرْمِ قَلْبَانَهُ عَيْنَانِ الْهَجْرِ لَكُنَّا أَوْلَى بِالذَّنْبِ مِنْهُ ، وَاسْكِنَا رَدَّ عَلِيكَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَنَأْخُذْ لَهَا مِنْكَ .

فصل لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين : أَمَا بَعْدَ ، ٢٠ فَقَدْ عَاقَبَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ ، ابْتَدَأْتُني بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « لَنَا مِنْكَ » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « كِتَاب » .

خبرة ، وأعقبته جفاء من غير ذنب ، فأطمعني أولئك في إخالتي ، وآيسني آخرك  
 من وفائك ، فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأي فيك ،  
 فأقمنا على اختلاف ، أو افترقنا على اختلاف .

فصل : إذا جعلت الظن شاهداً تعدل شهادته ، بعد أن جعلته حاكماً  
 ٥ يحيف في حكومته ، فأين الموثل من جورك ، ولست أسلك طريقاً من العتب  
 عليك ، إلا سده ما أنطوى عليه من مودتك . ولا سبيل إلى شكايته إلا  
 إليك ، ولا استعانة إلا بك ، وما أحق من جعلك على أمره عوناً أن تكون له  
 إلى النجاح سبباً . وقال الشاعر :

عجبتُ لقلبك كيف أنقلبُ ومن طول ودك ، أنى ذهب ؟  
 ١٠ وأعجبُ من ذا وذا أننى أراك بعين الرضا في الغضب

وفصل : إن مسألتى إليك حوائجى مع عتبك على لمن الأوم ، وإن  
 إمساكى عنها فى حال ضرورة إليها مع علمى بكرمك فى الشخط والرضا تعجز ؛  
 غير أنى أعلم أن أقرب الوسائل فى طلب رضاك مُساءلتك ما سَنَح من الحاجة ،  
 إذ كنت لا تجعل عتبك سبباً لمنع معروفك .

١٥ وفصل : لو كانت الشكوك تختلجنى فى صحة مودتك ، وكريم إخالتي ،  
 ودوام عهدك ، لطلعت عتبى عليك فى تواتر كُتُبى وأحقباس جواباتها عنى ؛ ولكن  
 الثقة بما تقدم عندى تعذر ، وتحسن ما يُقبَّحه جفاؤك ، والله يُديم نعمته  
 لك ولنا بك .

٢٠ وفصل لأبن المدير : وصل كتابك المفتوح بالعتاب الجميل ، والتقرير  
 اللطيف : فلولا ما غلب على من السرور بسلامتك ، لتقطعت غماً بعتابك الذى  
 لطف حتى كاد يخفى عن أهل الرقة والفطنة ، وغاظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل  
 والبله . فلا أعذمنى الله رضاك مجازياً على ما أستحقه عتبك ، وأنت ظالم

فيه ، فهو <sup>(١)</sup> وليُّ المخرج منه .

وقال أبو الدرداء : عتابُ الأخ خيرٌ من فقدِهِ . وقال الشاعر :

إذا ذهب العتابُ فليس وُدٌّ      وبقي الودُّ ما بقي العتابُ

وقال آخر في <sup>(٢)</sup> هذا المعنى :

إذا كنت تغضب من غير ذنبٍ      وتعتبُ في كلِّ يومٍ عليَّ ٥  
طلبتُ رضاك فإن عَزَّي      عددتُك ميثماً وإن كنت حياً  
فلا تمعجن بما في يديك      فأكثرُ منه الذي في يديا

وفصل في عتاب : العتابُ قبل العقاب ، فليكن إيقاعك بعد وعيدك ،

ووعيدك بعد وعدك .

١٠ وفصل : قد حمتُ جانبَ الأملِ فيك ، وقطعتُ أسبابَ الرجاءِ منك ،  
وقد أسلمني اليأسُ منك إلى العزاءِ عنك ، فإن ترغَّب من الآن فصمَّح  
لا تتَّربَّ معي ، وإن تماديتَ فهجرتَ لا واصلَ بعده .

### فصول في التنصل

كتب ابن مكرم : لا وعظيمُ أملٍ فيك ، ما أنبتُ فيما بيني وبينك ذنباً  
مُحطّاً ولا متمعّداً ، ولعلَّ قلَّةَ لم ألقِ لها بالاً فأوطى لها اعتذراً ، وإن تسكن ١٥  
فقدَّمته <sup>(٣)</sup> حاسد زخرفها على لسان واش تبذرها إليك في بعضِ غيرةِ تلكِ أصابت  
منى مَقْتلاً ، وشفت منه <sup>(٤)</sup> غليلاً .

وفصل : ليس يُزِيلُنِي عن حُسْنِ الظنِّ بكِ فِعْلُ حَمَلِكِ الأعداءِ عليه ،

ولا يَقْطَعُنِي عن رجائك عَتَبُ حَدَثِ منك عليَّ ، بل أرجو أن يتقاضى كَرَمُكَ

٢٠ إنجازَ وعدك ؛ إذ كان أبلغَ الشُّفَعاءِ إليك ، وأوجبَ الوسائلِ لديك .

(١) في بعض الأصول : « وعتابك » مكان « فهو » .

(٢) في بعض الأصول : « في غير هذا » .

(٣) في بعض الأصول « قبيحة » . (٤) في بعض الأصول : « منك » .



**وفصل :** أنت — أعزك الله — أعلم بالعمو والمعمومة من أن تُجَارِني بالسوء على ذنب لم أجنّه بيد ولا لسان ، بل جفناه على لسان واش . فأما قولك إنك لا تسهل سبيل العذر ، فأنت أعلم بالكرم ، وأزعى لحقوقه ، وأعرف<sup>(١)</sup> بالشرف ، وأحفظ لذماته<sup>(٢)</sup> من أن ترُدَّ يد مؤملاك صِفراً من عَفْوِكَ إذا أَلْتَمَسه ، ومن عُدْرِكَ إذا جعل فضلك شافعاً فيه ، وذريعة له .

**وفصل لإبراهيم بن العباس :** الكريم أوسع ما تكون مغفرته ، إذا ضاقت بالذنب معذرتة .

**وفصل :** يا أخى ، أشكو إلى الله وإليك تحامل الأيام على ، وسوء أثر<sup>(٣)</sup> الدهر عندي ، وأنى مُعلق فى حبال من لا يعرف موضعى ، ولا يحلو عنده موقعى ، أطلبُ منه الخلاص فيزيدنى كُلفاً ، وأزجى منه الحق فيزداد به ضناً ، فالنواء نواء مقيم ، والنّية نية ظاعن ، والزّماع زماع<sup>(٤)</sup> مُرْتَحِل . ما أذهب إلى ناحية من الحيلة إلا وجدتُ من دونها مانعاً من العوائق ، فأحمل الدنب على الدهر ، وأرجع إلى الله بالشكوى<sup>(٥)</sup> ، وأسأله جميل العقبي ، وحسن الصبر .

### فصول فى حسن التواصل

١٥ **المفضل** أن يَخُصَّ بفضله مَنْ شاء ، وله الحمد<sup>(٦)</sup> فيما أعطى . ولا حُجَّة عليه فيما مَنَعَ . [و] كُنْ كيف شئت ، فإنى قد أوليتك<sup>(٧)</sup> خالصة سريرتى ، أرى ببقائك بقاء سرورى ، وبدوام النعمة عندك ، دوامها عندي .

(١) فى بعض الأصول : « وأقعد » .

(٢) الذمات : جمع ذماتة ( بالفتح والكسر ) وهى العهد .

(٣) فى بعض الأصول : « شر » .

(٤) الزماع ( كسحاب وكتاب ) : المضاء فى الأمر والعزم عليه . وفى بعض الأصول :

« وبزمام الرأى » . (٥) فى بعض الأصول : « بالشكر » .

(٦) فى بعض الأصول : « وشاء والله الحمد ثم له فيما » .

(٧) فى بعض الأصول : « واجد أمرى » مكان « قد أوليتك » .

وفصل: قد أغنى الله بكرمك عن الذريعة إليك، والاستعانة عليك، لأن  
حُسن الظن<sup>(١)</sup> فيك، وتأميل<sup>(٢)</sup> نَجح الرغبة إليك، فوق<sup>(٣)</sup> الشفعاء عندك.  
وفصل: قد أفردتك برحائي بعد الله، وتعجّلت راحة اليأس من وجود  
بالوعد، ويضن بالإنجاز، ويحسّن الفضل ويزهّد في أن يتفضل، ويعيب  
الكذب ولا يصدق.

وفصل: صغني — أكرمك الله — من نفسك حيث وضعتُ نفسي من  
رجائك، أصاب الله بمعرفتك مواضعه، وبسط بكل خير يدك.

وفصل: لا أزال — أبقاك الله — أسأل الكتاب إليك. فمرة أتوقّف  
توقّف المخفّف عنك من المؤونة، وسرّة أكتب كتاب الراجع منك إلى الثقة،  
والمُعتمد منك على المقة<sup>(٤)</sup>. لا أعدمنا الله دوام عزّك، ولا سلب الدنيا بهجتها  
بك، ولا أخلانا من الصنع لك، فإننا لا نعرف إلا نِعمتك، ولا نجد للحياة  
طعمًا إلا في ظلك، ولئن كانت الرغبة إلى نقر<sup>(٥)</sup> من الناس خسارة وذلاً، لقد  
جعل الله الرغبة إليك كرامة وعزّاً، لأنك لا تعرف حرّاً قعد به دهره إلا  
سبقت مسألته بالمطية، وصنّت وجهه عن الطلب والذلة.

وفصل: لي عليك حقّ التأميل في الزيادة بما أبتدأت من المعروف، ولك  
على حقّ الأصطناع والفضل، والتّنويه بالاسم والشكر<sup>(٦)</sup>، وليس بمنعني علمي  
بزيادة<sup>(٧)</sup> حقك على ما أبلغه من شُكرك من مُساءلتك المزيد، إذ كنتُ قد

(١) في بعض الأصول: « بالله فيك ».

(٢) في بعض الأصول: « وتأويل ».

(٣) في بعض الأصول: « دون ».

(٤) المقة: المحبة.

(٥) في بعض الأصول: « بشر ».

(٦) في بعض الأصول: « التأمل والشكر بما ابتدأت... بالاسم والزيادة في القدر ».

(٧) في بعض الأصول: « علمك زيادة ».

اتَّهَيْتُ إِلَى مَا بَلَغَهُ الْجُهُودُ ، وَخَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلَةِ الْإِضَاعَةِ وَالْتَقَصِيرِ ؛ وَإِذْ كُنْتُ  
تَسْمَحُ بِالْحَقِّ عَلَيْكَ ، وَتَطْلُبُ نَفْسًا عَنْ حَقِّكَ <sup>(١)</sup> ، وَتُنْكَرُ الْبَسِيرَ ، وَلَا تُنْكَفٍ  
أَحَدًا مُشْكِرًا عَلَى الْكَثِيرِ .

وفصل : لك — أصلحك الله — عندى أيادٍ تشفع لى إلى محبتك ،  
ومعروفٌ يُوجب عليك الرّبَّ <sup>(٢)</sup> والإتمام .

وفصل : أنا أسأل الله أن يُنجز لى ما لم تزل الفِرَاسَةُ تَعِدُنِيهِ فَيْكَ .

وفصل : قد أجلَّ الله قَدْرَكَ عَنْ الْأَعْتِذَارِ ، وَأَغْنَاكَ <sup>(٣)</sup> فِي الْقَوْلِ [ عَنْ  
الاعتلال ] ، وَأَوْجِبْ عَلَيْنَا <sup>(٤)</sup> أَنْ نَقْنَعُ بِمَا فَعَلْتَ ، وَنَرْضَى بِمَا أَتَيْتَ <sup>(٥)</sup> ،  
وَصَلَتْ أَوْ قَطَعَتْ .

### فصول في الشكر

١٠

كتب محمد بن عبد الملك الزيات كتاباً عن المعتصم إلى عبد الله بن طاهر  
الخراسانيّ ، فكان في فصل منه : لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه  
إلا بين نعمة مقصورة عليك ، أو زيادة مُنْتَظَرَةٌ لَهَا [ لِسُكْنَى ] . ثم قال لحمد بن  
إبراهيم بن زياد : كيف ترى ؟ قال : كأنهما قُرْطَانٌ بَيْنَهُمَا وَجْهٌ حَسَنٌ .

وفصل للحسن بن وهب : مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا ، أَوْ نَزَلَتْ  
أَفْدَتْهُ إِيَّاهَا ؛ فَإِنْ شَكَرْتَنِي لَكَ عَلَى مُهْجَةٍ أُخْيَيْتَنِي ، وَحُشَّاشَةٍ أَبْقَيْتَنِي ، وَرَمَقَ  
أَمْسَكَتَنِي بِهِ ، وَفُتَّ بَيْنَ التَّلَافِ وَبَيْنِهِ . فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حَدٌّ تَنْتَهِي  
إِلَيْهِ ، وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ ، وَغَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ ، خِلَا هَذِهِ  
النِّعْمَةِ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الْوَصْفَ ، وَطَالَتِ الشُّكْرَ ، وَتَجَاوَزَتْ كُلَّ قَدَرٍ ، وَأَنْتَ مِنْ

٢٣٩  
٢

(١) في بعض الأصول : « حَقِّكَ عَلَى مَا أَبْلَغَهُ مِنْ شُكْرِكَ وَشُكْرِ الْبَسِيرِ » .

٢٠

(٢) الرب : الزيادة . وفي بعض الأصول : « المودة » .

(٣) في بعض الأصول : « وَأَغْنَانِي » .

(٤) في بعض الأصول : « عَلَيْكَ » . (٥) في بعض الأصول : « أَتَيْتَ » .

وراء كل غاية ؛ رَدَّتْ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ ، وَأَرْغَمَتْ أَنْفَ الْحَسُودِ ، فَنَحْنُ نَلْجَأُ  
مِنْهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ ، وَكَفَفَ كَرِيمٍ . فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ ، وَأَيْنَ يَبْلُغُ  
جَهْدُ الْمُجْتَهِدِ ؟

وقال إبراهيم بن المهدي يشكر المأمون :

- رددت مالي ولم تمنن عليّ به      وقبل ردك مالي قد حققت دمي ٥  
فأبت منك وقد جللتني نعمًا      هي الحياتان من موت<sup>(١)</sup> ومن عدم  
فلو بذلت دمي أبغى رضاك به      والمال حتى أسلّ الفعل من قدمي  
ما كان ذاك سوى عارية رجعت      إليك لو لم تُعْرِها كنت لم تلم  
البرّبي منك وطلّى العذر عندك لي      فيما أتيت فلم تعتب ولم تلم  
وقام عليك بي يحتجّ عندك لي      مقام شاهد عدل غير متهم ١٥

### فصول في البلاغة

- كتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس : وَصَلْ كِتَابُكَ فَمَا رَأَيْتُ  
كِتَابًا أَسْهَلَ فُنُونًا ، وَلَا أَمْلَسَ مُتُونًا ، وَلَا أَكْثَرَ عُيُونًا ، وَلَا أَحْسَنَ مَقَاطِعَ  
وَمَطَالَعٍ ، مِنْهُ ؛ أَنْجَزَتْ فِيهِ عِدَّةُ الرَّأْيِ ، وَبُشِّرَى الْفِرَاسَةِ ، وَعَادَ الظَّنُّ يَقِينًا ،  
وَالْأَمَلُ مَبْلُوغًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ . ١٥

فصل : الْكَلَامُ كَثِيرَةٌ فُنُونُهُ ، قَلِيلَةٌ عُيُونُهُ ؛ فَهُنَا مَا يُفَكِّهُ الْأَسْمَاعَ ،  
وَيُؤَنِّسُ الْقُلُوبَ ، وَمِنْهُ مَا يُحْمَلُ الْأَذَانُ ثِقَلًا ، وَيَمَلَأُ الْأُذْهَانَ وَحْشَةً .

### فصول في المدح

وكتب ابن مكرم إلى أحمد بن المدبر : إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَانِكَ وَنُظْرَانِكَ

(١) في الأمالي (ج ١ ص ١٩٩) : « وفر » . وبين الأبيات هنا وهناك خلاف في  
بعض الألفاظ . وانظر سبط اللاك (ج ١ ص ٤٧٧ - ٤٧٨) .

يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ ، فَإِذَا أُنْتَهَوْا إِلَيْكَ أَقْرَأُوا لَكَ ، وَيَتَنَافَسُونَ [ فِ ] الْمَنَازِلِ ، فَإِذَا بَلَغُواكَ وَقَفُوا دُونَكَ . فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ <sup>(١)</sup> وَفِيكَ ، وَجَعَلْنَا مَنْ يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ ، وَيُقَدِّمُهُ اخْتِيَارَكَ ، وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ مُوَافَقَتِكَ ، وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ .

٥ وفصل ٨ : إِنْ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُتَنَّى عَلَيْكَ أَنَّهُ لَا يَخَافُ الْإِفْرَاطَ وَلَا يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ ، وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِصَةُ الْكَذِبِ ، وَلَا يَنْتَهَى بِهِ الْمَدْحُ إِلَى غَايَةِ الْإِلَاحِ وَجَدَ فَضْلًا تَجَاوَزَهَا . وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنْ الدَّاعِيَ لَا يَبْعُدُ كَثْرَةُ الْمُشَافِعِينَ <sup>(٢)</sup> لَهُ ، وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ .

١٠ وفصل ٩ : إِنْ مِمَّا يُطْمَعُنِي فِي بَقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ ، وَيَزِيدُنِي بِصِيرَةٍ فِي الْعِلْمِ بِدَوَامِهَا لَدَيْكَ ، أَنْكَ أَخَذْتَهَا بِحَقِّهَا ، وَأُسْتَوْجِبْتُهَا بِمَا فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا ؛ وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْنَاسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ ، وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ أَنْ تَتَقَارَبَ <sup>(٣)</sup> ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَقَلَّقِلُ إِلَى مَعْدَنِهِ ، وَيَحْنُ إِلَى غُنْصَرِهِ ، فَإِذَا صَادَفَ مُنْبَتَّهُ ، وَنَزَلَ فِي مَغْرَسِهِ ، ضَرَبَ بِعَرْقِهِ ، وَسَمَقَ <sup>(٤)</sup> بِفَرْعِهِ ، وَتَمَسَّكَ بِتَمَكُّنِ الْإِقَامَةِ ، وَتَبَنَّنَكَ تَبَنُّكَ الطَّبِيعَةِ .

١٥ وفصل ١٠ : إِنِّي فِيمَا أَتَمَاطِي مِنْ مَذْحِكِ كَالْمُخْبِرِ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ الزَّاهِرِ ، وَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ ، الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ نَازِلٍ . وَأَيَقُنْتُ أُنَى حَيْثُ أَنْتَهَى بِي الْقَوْلُ مَنْسُوبٌ إِلَى الْعَجْزِ ، مَقْصَرٌ عَنِ الْغَايَةِ ، فَأَنْصَرَفْتُ مِنَ الشَّيْءِ عَلَيْكَ إِلَى الدَّعَاءِ لَكَ ، وَوَكَّلْتُ الْإِخْبَارَ عَنْكَ إِلَى عِلْمِ النَّاسِ بِكَ .

٢٤٠ وفصل ١١ : لِحَمْدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْكَلْبِ : إِنَّكَ لَزِمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةَ الْمَحْوَدَةِ ، وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا ، وَشَهَرْتَ بِمَحَاسِنِهَا ، فَتَنَافَسَ الْإِخْوَانُ فِيكَ بِبَقْدَرُونَ وَدَّكَ ، وَيَتَمَسَّكُونَ بِحَبْلِكَ ، فَنُ اثْبَتَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَكَ وَدًّا فَقَدْ وَضَعْتَ <sup>(٥)</sup> خُلَّتَهُ مَوْضِعَ حِرْزِهَا .

(١) فِي ي : « مِنْكَ » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْمَتَابِعِينَ » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « تَتَقَارَفُ » . (٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَسَبَقَ » .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَضَعَ » .

وفصل لابن مكرم : السيف العتيق إذا أصابه الصدا أستغنى بالقليل  
من الجلاء حتى تعود جذته ويظهر فرنده ، للين طبيعته ، وكرم جوهره ،  
ولم أصف نفسي لك عجبا<sup>(١)</sup> بل شكرا .

وفصل لـ : زاد معرُوفك عندي عظما ، أنه عندك مستور حقير ، وعند  
الناس مشهور كبير . أخذه الشاعر فقال :

زاد معرُوفك عندي عظما أنه عندك مستور حقير  
تدناساه كأن لم تأت به وهو عند الناس مشهور كبير

وفصل للعقابي : أنت أيها الأمير وارث سلفك ، وبقية أعلام أهل  
بيتك ، المددود به ثلهم ، المجدد به قديم شرفهم ، والمحييا به أيام سقمهم .  
وإنه لم يخمل من كنت وارثه ، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ،  
ولا أتمحت أعلام من خلفته في رتبته .

### فصول في الذم

كتب أحمد بن يوسف : أما بعد ، فإني لا أعرف لل معروف طريقا أو عمرا  
من طريقه إليك ؛ فال معروف لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ؛ وإلما  
غابتك في المعروف أن تحقره ، وفي وليه أن تكفره .

وكتب أبو العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة : أما بعد ، فإني توسلت  
في طلب نائلك بأسباب الأمل ، وذرائع الحمد ، فراراً من الفقر ، ورجاءً للغنى ،  
فازددت بهما بعداً مما فيه تقربت ، وقرباً مما فيه تبعدت . وقد قسمت الأئمة  
بيني وبينك ؛ لأنني أخطأت في سؤالك وأخطأت في منعي ، أمرت باليأس من  
أهل البخل فسألتهم ، ونهيت عن منع أهل الرغبة فمنعهم . وفي ذلك أقول :  
فررت من الفقر الذي هو مدركي إلى بخل محظور النوال منوع

(١) في بعض الأصول : « عجبا بك »

فَأَعْتَبَنِي الْحِزْمَانُ غِيبَ مَطَامِعِي      كَذَلِكَ مَنْ تَلَقَّاهُ غَيْرَ قَنُوعٍ<sup>(١)</sup>  
وغيرُ بَدِيعٍ مَنَعَ ذِي الْبُخْلِ مَالَهُ      كَمَا تَبَذَّلُ أَهْلُ الْفَضْلِ غَيْرُ بَدِيعٍ  
إِذَا أَنْتَ كَشَفْتَ الرِّجَالَ وَجَدْتَهُمْ      لِأَعْرَاضِهِمْ مِنْ حَافِظٍ وَمُضِيعٍ<sup>(٢)</sup>

وفصل لإبراهيم بن المهدي : أما بعد ، فإنك لو عرفت فضل الحسن  
لَتَجَنَّبْتَ شَيْنَ الْقَبِيحِ ، وَرَأَيْتَكَ آثَرُ الْقَوْلِ عِنْدَكَ مَا يَضُرُّكَ ، فَكُنْتُ فِيمَا كَانَ  
مِنْكَ وَمَعًا ، كَمَا قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى :

وَذِي خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ      مُصِيبٌ فَمَا يُبْلِمُ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ  
عَبَاتٌ لَهُ جِلْمًا وَأَكْرَمَتْ غَيْرَهُ      وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ  
فصل : إِنَّ مَوَدَّةَ الْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ ، تَمِيلُ مَعَهُمَا ، وَتَنْصَرِفُ  
فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أَحِلُّ مَوَدَّتِكَ بِالْحُلِّ النَّفِيسِ ، وَأُزِلُّهَا بِالْمَنْزِلِ الرَّفِيعِ ، حَتَّى  
رَأَيْتُ ذَلَّتْكَ عِنْدَ الضَّعَةِ ، وَضَرَعَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَتَغَيَّرَكَ عِنْدَ الْأَسْتِغْنَاءِ ،  
وَأَطْرَاحَكَ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى أَسْبَابِ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ  
مَنْ يَتَصَفَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بَعَيْنَ عَدْلٍ ، لَا يَمِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا يَرَى الْقَبِيحَ حَسَنًا .  
فصل للمعتابي : تَأْتَيْنَا إِفَاقَتَكَ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَتَرْقُبُنَا أُنْتَبَاهَكَ مِنْ  
رَقْدَتِكَ ، وَصَبْرُنَا عَلَى تَجَرُّعِ الْغَيْظِ فَيْكَ ، حَتَّى بَانَ لَنَا الْيَأْسُ مِنْ خَيْرِكَ ،  
وَكُشِفَ لَنَا الصَّبْرُ عَنْ وَجْهِ الْعَلَطِ فَيْكَ . فَهَا أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي  
تَعْدِيكَ لَطَوْرِكَ ، وَأَطْرَاحِكَ حَقَّ مِنْ غِلَطٍ فِي اخْتِيَارِكَ .

### فصول في الأدب

٢٤١  
٢

كُتِبَ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ : إِنَّ مِنْ أَمَارَاتِ الْحَزْمِ وَصَحَّةِ الرَّأْيِ فِي الرَّجُلِ تَرَكَهُ  
الْأَمْسَ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ؛ إِذَا كَانَ ذَلِكَ دَاعِيَةً لِعِنَاءٍ لَا ثَمَرَةَ لَهُ ، وَشَقَاءٍ لَا دَرَكَ  
فِيهِ . وَقَدْ سَمِعْتُ فِي أَمْرٍ تُخْبِرُكَ أَوَائِلُهُ عَنْ أَوَاخِرِهِ ، وَيُنَبِّئُكَ بِذَوِّهِ عَنْ عَوَاقِبِهِ ،  
لَوْ كَانَ لِهَذَا الْخَبَرِ الصَّادِقِ مُسْتَمِيعٌ حَازِمٌ . وَرَأَيْتُ رَائِدَ الْهَوَى مَالَ بَكَ إِلَى

(١) فِي دِيْوَانِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ : « مَنْ يَلْقَاهُ » . (٢) فِي الدِّيْوَانِ : « وَمُذْبِعٌ » .

هذا الأمر ميلاً أيا من رغب فيك ، ودلّ عدوك على معائبك ، وكشف له عن مقاتلك . ولولا علمي بأن غلظة الناصح تؤدي إلى نفع في اعتقاد صواب الرأي ، لكان غير هذا القول أولى بك . والله يوفقك لما يحب ، ويوفق لك ما تحب .

وفصل : أنت رجل لسانك فوق عقلك ، وذكاؤك فوق عزيمتك ، تقدم على نفسك من قدمك على نفسه .

وفصل : من أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يؤخذ بالعين كان أخرى أن يخطئ في أمر دينه وفيما يؤخذ بالعقل .

وفصل : قد حسدك من لا ينام دون الشفاء ، وطلبك من لا ينام دون الظفر ، فاشدد حيازيمك وكن على حذر .

وفصل : قد آن أن تدع ما تسمع بما تعلم ، ولا يكن غيرك فيما يبلغه أوثق من نفسك فيما تعرفه .

وفصل : لست بحال برضى بها حرّ ، ولا يقيم عليها كريم ، وليس يرضى لك بهذا إلا من يتغنى لك أن ترضى به .

وفصل : أنت طالب مقيم ، وأنا دافع مغرم<sup>(١)</sup> ، فإن كنت شاكرًا فيما مضى ، فاعذر فيما بقي .

وفصل للعتابي ، أما بعد ، فإن قريبك من قرب منك خيرُهُ ، وأبْنُ عمك من عمك نفعُهُ ، وعشيرك من أحسن عشرتك ، وأهدى الناس إلى مودتك من أهدى برّه إليك .

٢٠ فصول إلى عليل

ليست حالي — أكرمك الله — في الأغتمام بعلتكم حال المشاركة<sup>(٢)</sup> فيها

(١) المغرم ( كمكرم ، بصيغة اسم المفعول ) : أسير الدين .

(٢) في بعض الأصول : المشاركة .



بأن ينالني نصيبٌ منها وأسلمُ من أكرها ، بل أجمع على منها أني مخصوص بها دونك ، مؤلمٌ منها بما يؤلمك ، فأنا عليلٌ مَضْرُوفُ العِنايةِ إلى عليل ، كأني سليمٌ يسهر على سليم ؛ فأنا أسأل الله الذي جعل عافيتي في عافيتك أن يخصني بها فيك ، فإنها شاملةٌ لي ولك .

• **وفصل :** إن الذي يعلم حاجتي إلى بقائك ، قادر على المدافعة عن حَوَائِكَ<sup>(١)</sup> . فلو قلتُ إن الحق قد سقط عني في عيادتِكَ لأنني عليلٌ بعلتِكَ ، لقام لي بذلك شاهدٌ عدلٌ في ضميرك ، وأثرٌ بادٍ في حالي لِمَينِكَ . وأصدقُ الخبر ما حققته الأثر ، وأفضلُ القول ما كان عليه دليلٌ من العقل .

**وفصل :** لئن تخلَّفتُ عن عيادتِكَ بالْمُذَرِّ الواضحِ مِنَ الْعِلَّةِ لَمَا أَغْفَلَ قَلْبِي ذِكْرَكَ ، ولا لسانِي فَحْصًا عَنْ خَبْرِكَ ، فَحْصٌ مِنْ تَقَسُّمِ<sup>(٢)</sup> جوارحه وصُيُوكَ ، وزاد<sup>(٣)</sup> في ألمها أَلَمُكَ ، ومن تتصل<sup>(٤)</sup> به أحوالُكَ في السَّراءِ والضَّراءِ . ولما بلغتني إفاقتُكَ كتبتُ مُهَيَّنًا بِالْعَافِيَةِ ، مُعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ ، إلا بخبرِ السلامة إن شاء الله .

**ولأحمد بن يوسف :** قد أذهب الله وَصَبَ الْعِلَّةِ ونصبتها ، ووَفَّرَ أَجْرَهَا وثوابها ، وجعل فيها من إرغامِ العدوِّ بعُقبائها ، أضعافَ ما كان عنده من الشرورِ بَقِيحِ<sup>(٥)</sup> أولها .

### فصول إلى خليفة وأمير

منها : كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان : يا أمير المؤمنين ، إن كلَّ من عَنَيْتَ به فِكْرَ تَكَ فَا هُوَ إِلَّا سَعِيدٌ يُوتِرُ ، أَوْ شَقِيٌّ يُوتِرُ .

(١) الحَوَائِدُ : النفس .

(٢) في بعض الأصول : « يجب أن تتقسم » مكان « حص من تقسم » .

(٣) في بعض الأصول : « وإن زاد » .

(٤) في بعض الأصول : « وإن تضل » .

(٥) في بعض الأصول : « يفتح » .

كتب الحسن بن سهل يصف عقل المأمون : وقد أصبح أمير المؤمنين محمود السيرة ، عفيف الطعمة ، كريم الشيمة ، مبارك الضريبة<sup>(١)</sup> ، محمود النقيية ، موفياً بما أخذ الله عليه ، مضطرباً بما حمّله منه ، مؤدياً إلى الله حقه ، مقررّاً له بنعمته ، شاكرّاً لآلائه ، لا يأمر إلا عدلاً ، ولا ينطق إلا فصلاً ، راعياً لدينه وأمانته ، كافياً ليدّه ولسانه .

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات : إن حقّ الأولياء على السلطان تنفيذُ أمورهم ، وتقويمُ أودمهم ، ورياضةُ أخلاقهم ، وأن يميزَ بينهم ، فيقدمَ مُحسنهم ، ويؤخرَ مُسينهم ، ليزدادَ هؤلاء في إحسانهم ، ويزدجرَ هؤلاء عن إساءتهم .  
وفصل له : إن أعظمَ الحقِّ حقّ الدين ، وأوجبَ الحرمة حرمة المسلمين .  
فحقيق لمن راعى ذلك الحق وحفظ تلك الحرمة أن يُراعى له حسب ما راعاه الله به ، ويحفظ له حسب ما حفظ الله على يديه .

وفصل له : إن الله أوجبَ لخلفائه على عبادِهِ حقَّ الطاعة والنصيحة ، ولعبيده على خُلفائه بسطَ العدل والرفقة ، وإحياء السنن الصالحة . فإذا أدى كلٌّ إلى كلٍّ حقه كان سبباً لتمام المعونة ، واتصال الزيادة ، واتساق الكلمة ، ودوام الألفة .

وفصل : ليس من نعمة يُجدّدها الله لأمر المؤمنين في نفسه خاصّة إلا اتصلت برعيته عامّة ، وشملت المسلمين كافة ، وعظمَ بلاء الله عندهم فيها ، ووجب عليهم شكره عليها ؛ لأنّ الله جعل بنعمته تمام نعمتهم ، وبتدبيره ودّبه عن دينه حفظَ حرّيمهم ، وبحياطته حقنَ دماءهم وأمنَ سيولهم . فأطال الله بقاء أمير المؤمنين<sup>(٢)</sup> ، مؤيداً بالفصر ، معزّزاً بالتمسكين ، موصول بالبقاء بالنعيم المقيم .

(١) الضريبة : الطبيعة .

(٢) زيد في بعض الأصول بعد قوله « المؤمنين » : « منطوى القلب على مناسحته » .

ومكانها في الفصل الثاني حيث هي .

**فصل :** الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معقود النية بطاعته ، منطوى القلب على مناصحته ، مشحوذ السيف على عدوه ؛ ثم وهب له الظفر ، ودوخ له البلاد ، وشرّد به العدو ، وخصّه بشرف الفتوح شرقاً وغرباً ، وبرّاً وبحراً .

**وفصل :** أفعال الأمير عندنا متسولة كالأماني ، متصلة كالأيام ، ويحس نواتر الشكر لسكر كريم فقله ، ونواصل الدعاء له مواصلة برّه ؛ إنه الناهض بكلّنا ، والحاامل لأعبائنا ، والقائم بما ناب من حقوقنا .

**وفصل :** أما بعد ، فقد أنتهى إلى أمير المؤمنين كذا فإنكره ، ولا يخلو من إحدى منزلتين ليس في واحدة منهما عذر يوجب حجة ، ويُريل لأئمة : إمّا تقصير في عمل<sup>(١)</sup> دعائك للإخلال بالحزم والتفريط في الواجب ، وإمّا مظاهره لأهل الفساد ومُدهانة لأهل الرّيب . وأية هاتين كانت منك لمُحالة الشكر<sup>(٢)</sup> بك ، وموجبة العقوبة عليك ، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنظرة ، والأخذ بالحجة ، والتقدّم في الإعذار والإنذار . وعلى حسب ما أقبلت من عظيم العثرة يجب<sup>(٣)</sup> أجتهدك في تلافى التقصير والإضاعة ، والسلام .

وكتب طاهر بن الحسين ، حين أخذ بغداد ، إلى إبراهيم بن المهدي :  
 أما بعد ، فإنه عنبري على أن أكتب إلى أحد من بيت الخلافة يغير كلام الإمرة وسلامها ، غير أنه بلغني عنك أنك ماثل الهوى والرأي للنكاث المخلوع ، فإن كان كما بلغني فكثير ما كتبت به قليل<sup>(٤)</sup> لك ، وإن يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . وقد كتبت في أسفل كتابي أبياتاً فتدبرها :

(١) في بعض الأصول : « عمك » .

(٢) النكر : الأمر الشديد .

(٣) في بعض الأصول : « ما يجب » .

(٤) في بعض الأصول : « قليل . . . كثير » .

رُكُوبُكَ الْهَوَىٰ مَا لَمْ تُنْفِ<sup>(١)</sup> فُرْصَتَهُ      جَهْلٌ رَمَى بِكَ بِالْإِقْحَامِ تَغْرِيرُ  
أَهْوَىٰ بَدُنِيَا يُصِيبُ الْخَطِئُونَ بِهَا      حَظًّا الْمُصِيبِينَ وَالْمَغْرُورُ مَغْرُورُ  
فَأَزْرَعُ صَوَابًا وَخُذْ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ      فَلَنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَدْبِيرُ  
فَإِنْ ظَفَرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ      فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوَى الْأَلْبَابِ مَعْدُورُ  
وَإِنْ ظَفَرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَفَرَّتْ بِهِ      قَالُوا جَهْلٌ أَعَانَتْهُ الْمَقَادِيرُ ٥

فصل للحسن بن وهب : أما بعد ، فالحمد لله مُنْتَمِ النَّعْمِ بِرَحْمَتِهِ ، الهادى إلى  
شُكْرِهِ بِفَضْلِهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ، الَّذِى جَمَعَ لَهُ مِنَ  
الْفَضَائِلِ مَا فَرَّقَهُ فِي الرُّسُلِ قَبْلَهُ . وَجَعَلَ ثَرَاتَهُ رَاجِعًا إِلَى مَنْ خَصَّهُ بِخِلَافَتِهِ ،  
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

#### ١٠ فصول لعمر بن بحر الجاحظ

منها فصول في عتاب : أما بعد ، فَإِنَّ الْمُسْكَافَةَ بِالْإِحْسَانِ قَرِيضَةٌ ،  
وَالْتَفَضُّلَ عَلَى [ غَيْرِ ] ذَوَى الْإِحْسَانِ نَافِلَةٌ .  
أما بعد ، فليكن<sup>(٢)</sup> السُّكُوتُ عَلَى لِسَانِكَ ، إِنْ كَانَتْ الْعَافِيَةُ مِنْ شَأْنِكَ .  
أما بعد ، فَلَا تَزْهَدْ فِيمَنْ رَغِبَ إِلَيْكَ فَتَكُونَ لِحَظِّكَ مُعَانِدًا ، وَلِلنِّعْمَةِ  
جَاحِدًا .

١٥ أما بعد ، فَإِنَّ الْعَقْلَ وَالْهَوَىٰ ضِدَّانِ ، فَقَرِّبِ الْعَقْلَ التَّوْفِيقَ ، وَقَرِّبِ  
الْهَوَىٰ الْحِذْلَانَ ، وَالنَّفْسُ طَالِبَةٌ ، فَبَأْيَهُمَا ظَفَرْتَ كَانَتْ فِي حِزْبِهِ .  
أما بعد ، فَإِنَّ الْأَشْخَاصَ كَالْأَشْجَارِ ، وَالْحَرَكَاتِ كَالْأَغْصَانِ ، وَالْأَلْفَاظَ  
كَالْتَمَارِ .

٢٠ أما بعد ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ ، وَالْعُقُولَ مُعَادِنُ ، فَمَا فِي الْوَعَاءِ يَنْفَدُ إِذَا لَمْ  
يُمَدَّهُ الْمَعْدِنُ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « نَلَقَ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : فَلَهَا » .

أما بعد ، فسكني بالتجارب تأديباً ، وبثقل الأيام عِظة ، وبأخلاق من عاشرت معرفة ، وبذِكرك الموت زاجراً .

أما بعد ، فإن احتمال الصبر على لذع الغضب أهون من إطفائه بالشتم والقذع .

أما بعد ، فإن أهل النظر في العواقب أولو الاستعداد للنوائب ، وما عظمت نعمة<sup>(١)</sup> أمرى إلا أستغرقت الدنيا همته ، ومن فرغ لطلب الآخرة شغله جعل الأيام مطايا عمله ، والآخرة مقيلاً مرتحلته .

أما بعد ، فإن الاهتمام بالدنيا غير زائد في الرزق والأجل ، والاستغناء غير ناقص للمقادير .

أما بعد ، فإنه ليس كل من حلم<sup>(٢)</sup> أمسك ، وقد يستجهل<sup>(٣)</sup> الحليم

١٠ حين يستخفه الهجر<sup>(٤)</sup> .

أما بعد : فإن أحببت أن تتم لك المقة في قلوب إخوانك ، فاستقل كثيراً مما توليهم .

أما بعد ، فإن أنظر الناس في العاقبة من لطف حتى كلف حرب عدوه بالصفح والتجاوز ، وأستل حقه بالرفق والتحيب .

١٥ وكتب إلى أبي حاتم السجستاني ، وبلغه عنه أنه نال منه : أما بعد ، فلو كفت عتاً من غزبك لكتنا أهلاً لذلك منك ، والسلام . فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقبيح .

وله فصول في وصاة : أما بعد ، فإن أحق من أسعفته في حاجته ، وأجبتة إلى طلبته ، من توسل إليك بالأمل ، ونزع نحوك بالرجاء .

(١) في بعض الأصول : « بغية » .

(٢) في بعض الأصول : « علم » .

(٣) يقال : استجهله ، إذا حمله على شيء ليس من خلقه فيفضيه .

(٤) في بعض الأصول : « يستحق الهجران » .

أما بعد ، فما أَقْبَحَ الأُحدوثُ من مُستمنحِ حُرْمَتِهِ ، وطالبِ حاجةِ رددَتِهِ ،  
ومُثابرِ حُجْبَتِهِ ، ومُنْبسطِ إِلَيْكَ قَبْضَتِهِ ، ومُقْبِلِ إِلَيْكَ بَعْنَانِهِ لَوِيَّتِ عَنْهُ .  
فَنَقَبَتْ فِي ذَلِكَ ، وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ .

أما بعد ، فَإِنْ فَلَانًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ بِنَا ، يُلْزِمُنَا ذِمَامُهُ عِنْدَنَا بُلُوغَ موافقته  
من أَيْدِيكَ ، وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ الثِّقَةِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ . فَأَوْلُنَا فَيْدَ مَا نَعْرِفُ بِهِ ٥  
مَوْقِعَنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ ، وَيَكُونُ مُكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا .

أما بعد ، فَقَدْ أَتَانَا كِتَابُكَ فِي فَلَانٍ ، وَلَهُ لَدَيْنَا مِنَ الدِّمَامِ مَا يُلْزِمُنَا  
مُكَافَأَتِهِ وَرِعَايَةَ حَقِّهِ ، وَنَحْنُ مِنَ الْعَنَاءِ<sup>(١)</sup> بِأَمْرِهِ عَلَى مَا يُسْكَفِي<sup>(٢)</sup> حُرْمَتَهُ ،  
وَيُؤْدِي شُكْرَهُ .

وله فصول في استعجازِ وهم : أما بعد ، فَقَدْ رَسَفْنَا فِي قِيُودِ مواعيدِكَ ،  
وَطَالَ مُقَامُنَا فِي سُجُونِ مَطْلَاكَ ، فَأَطْلِقْنَا — أَبْثَاكَ اللَّهُ — مِنْ ضَيْقِهَا وَشَدِيدِ  
غَمِّهَا ، بـ « نَعَمْ » مِنْكَ مُثْمَرَةً أَوْ « لَا » مُرِيحَةً .

أما بعد ، فَإِنْ شَجَرَةُ مواعيدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ ، فَلْيَكُنْ ثَمَرُهَا سَالِمًا مِنْ  
جَوَارِحِ الْمَطْلِ .

أما بعد ، فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ بَرَقَ ، فَلْيَكُنْ وَبْلَهَا سَالِمًا مِنْ صَوَاعِقِ  
الْمَطْلِ وَالْإِعْتِلَالِ .

وله فصول في الاعتذار : أما بعد ، فَغَنِمَ الْبَدِيلُ مِنَ الزَّلَّةِ الْإِعْتِذَارَ ،  
وَبُذِنَ الْعِوَضُ مِنَ التَّوْبَةِ الْإِصْرَارَ .

أما بعد ، فَإِنْ أَحَقَّ مِنْ عَطْفَتِكَ عَلَيْهِ بِحِلْمِكَ مَنْ لَمْ يَتَشَفَّعْ إِلَيْكَ بِغَيْرِكَ .  
أما بعد ، فَإِنَّهُ لَا عِوَضَ مِنْ إِخْثَاكَ ، وَلَا خَلْفَ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ ، وَقَدْ  
انْتَقَمْتَ مِنِّي فِي زَلَّتِي بِجَفَائِكَ ، فَأَطْلُقْ أَسِيرَ تَشْوَقِي إِلَى لِقَائِكَ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْمَغْتَبَةُ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « مَا كَانَ فِي » .

१३०

4

20

(٢) في بعض الأصول : « عنك » .

(١) وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص ، وبلغه عنه أمر : وثقت الله لرشدك . بلغني كلامك فإذا أوله بَطَر ، وآخره خَوَر ، ومن أبطره الغنى أذله الفقر ، وهما ضدَّان مُخادعان للمرء عن عقله ، وأولى الناس بمعرفة الدَّواء من يبين له الداء ، والسلام . فأجابه : طاولتك النِّعم وطاولت بك . علو إنصافك يُؤمِّن سطوة جورك ، ذكرت أنى نطقت بما تسكره ، وأنا مخدوع ، وقد علمت أنى ملت إلى محبتك ولم أخدع ، ومثلك من شكر سمي مُعتذر ، وعفا زلة مُعترف (٢) .

(١) هذا الكلام إلى آخر الباب لا يدرج تحت العنوان الذى هو « فصول لعمرو ابن بحر الجاحظ » .

(٢) فى ى بعد هذا : « تم الجزء الثامن والعشرون من كتاب العقد ، وهو باقى كتاب الخنبة الثانية فى التوقيعات بحمد الله وعونه من تجهيزه حسين جزاء وهو السادس من الفرع . يتلوه الجزء التاسع والعشرون من كتاب العقد كتاب المسجدة الثانية فى أيام الخلفاء وتوارى عنهم وأيامهم من تجهيزه حسين جزاء » .



## فرش كتاب المسجدة الثانية

## في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه رحمه الله : قد مضى لنا قولنا في التوقيعات والفصول والصدور والكتابة ، وهذا كتاب ألفناه في أخبار الخلفاء وتواريخهم وأيامهم ، وأسماء كتبهم وحجباهم .

## أخبار الخلفاء

## نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم

رَوَى أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف<sup>(١)</sup> عن أشياخه :  
هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب<sup>(٢)</sup> بن هاشم  
ابن عبد مناف بن قصي<sup>(٣)</sup> بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن  
فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة<sup>(٤)</sup> بن اليأس بن  
مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأمه آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن  
زُهرة بن كلاب بن مرة بن كعب .

مولد النبي صلى الله عليه وسلم — قالوا : ولد رسول الله صلى الله عليه  
وسلم عام الفيل لأثنى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول . وقال بعضهم : ليلتين  
خلتا منه . وقال بعضهم : بعد الفيل بثلاثين يوماً . فهذا جمع ما اختلفوا فيه عن  
مولده<sup>(٥)</sup> . وأوحى الله إليه وهو ابن أربعين عاماً . وأقام بمكة عشرًا ، وبالمدينة

(١) كذا في فهرست ابن النديم . وفي أنساب السمعاني (ص ٥١٥) : « أبي شعيب »  
وفي الأصول : « أبي يوسف » . (٢) اسم عبد المطلب : شيبه ، وقيل عامر .  
(٣) انظر السيرة لابن هشام والمعارف وشرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٨١ .  
(٤) اسم هاشم : عمرو . واسم عبد مناف : المغيرة . واسم قصي : زيد .  
(٥) اسم فهر : قريش ؛ وقيل بل فهر اسمه وقريش لقب له . واسم النضر : قيس .  
واسم مدركة : عامر . (٥) في بعض الأصول : « في مولده » .

عشرا . وقال ابن عباس : أقام بمكة خمس عشرة وبالمدينة عشرا . والمجمع عليه أنه أقام بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشرا .

اليوم والشهر الذي هاجر فيه صلى الله عليه وسلم — هاجر إلى المدينة يوم الاثنين ثلاث عشرة خلت من ربيع الأول . ومات يوم الاثنين ثلاث عشرة خلت من ربيع الأول ، اليوم والشهر الذي هاجر فيه صلى الله عليه وسلم . جعلنا الله ممن يرد حوضه ، وينال مُرافقته في أعلى عليين من درجات الفردوس ، وأسأل الله الذي جعلنا من أمته ولم نره أن يتوفانا على ملته ، ولا يحرمنا رؤيته في الدنيا والآخرة .

٥  
٢٤٦  
٣

صفة النبي صلى الله عليه وسلم — ربيعة بن [أبي] عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض ، مُشرباً حمرة<sup>(١)</sup> ، ضخم الرأس ، أزج<sup>(٢)</sup> الحاجبين ، عظيم العينين ، أدهج أهدب<sup>(٣)</sup> ، شثن<sup>(٤)</sup> الكفين والقدمين . إذا مشى تكفأ كأنما ينحط من صَبَب ، ويمشي في ضُعد كأنما يتقلع من صَخَر . إذا التفت التفت جميعاً . ليس بالجعد القطط ولا السبط<sup>(٥)</sup> . ذا وَفَرَةٍ إلى شحمة أذنيه . ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتطامن . عَرَفَهُ أَطِيبُ مِنَ الْمَسْكِ الْأَذْفَرِ . لم تلد النساء قبله ولا بعده مثله . بين كَتفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ كَبِيضَةُ الْحَمَامَةِ . لا يَضْحَكُ إِلَّا تَبَسُّمًا . في عَنَقِهِ شَعْرَاتٌ بَيْضٌ لَا تَكَادُ تَبِينُ . وقال أنس بن مالك : لم يبلغ الشيبُ الذي كان برسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين شَعْرَةً . وقيل له : يا رسول الله ، عَجَّلَ عَلَيْكَ الشَّيْبُ . قال : شَيَّبَتْنِي هَوْدٌ وَأَخَوَاتُهَا .

هيئة النبي وقدرته صلى الله عليه وسلم — كان صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض ، ويجلس على الأرض ، ويمشي في الأسواق ، ويلبس القباءة ، ويجالس المساكين ، ويقعد القرفصاء ، ويتوسد يده ، ويلتقي أصابعه<sup>(٦)</sup> ،

(١) في بعض الأصول : « بجمرة » . (٢) الزجج في الحاجبين : دقتهما في طول .

(٣) أدهج : أسود العين واسمها . وأهدب : كثير أشعار العينين .

(٤) شثن : غليظ .

(٥) الجعد : القصير ، وكذلك القطط . والسبط (بالفتح) ومحرك وككتف) تقيض الجعد .

(٦) زيد في بعض الأصول بعد قوله « أصابعه » : « ويقضى من نفسه » .

٢٥

ولا يأكل مُمْسَكًا ، ولم يُرَقَطْ ضاحكاً مِنْهُ فيه . وكان يقول : إنما أنا عبدٌ  
آكلُ كما يأكل العبد ، وأشربُ كما يشرب العبد ، ولو دُعيت إلى ذِرَاعٍ  
لأجبت ، ولو أهدى إلى كُرَاعٍ لَقَبَلْتُ .

سُرف بيث النبي صلى الله عليه وسلم — قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
أنا سيّد البشر ولا فخر ، وأنا أفصحُ العرب ، وأنا أوّل مَنْ يقرع باب الجنة ،  
وأنا أوّل مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ التراب . دعا لي إبراهيم ، وبشّرني عيسى ، ورأت  
أُمِّي حين وَضَعَنِي نُوْرًا أضاء لها ما بين المشرق والمغرب . وقال صلى الله عليه  
وسلم : إنّ الله خَلَقَ الخَلْقَ لَجْعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ ، وجعلهم قِرَقًا لَجْعَلَنِي فِي خَيْرِهِمْ  
فِرْقَةً ، وجعلهم قبائل لَجْعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، وجعلهم بُيُوتًا لَجْعَلَنِي فِي خَيْرِ بَيْتٍ ؛  
فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا وَخَيْرُكُمْ نَسَبًا . وقال صلى الله عليه وسلم : أَنَا أَبْنُ القَوَاطِمِ (١)  
والعَوَاتِكِ مِنْ سُلَيْمٍ ، وَأَسْتَرْضَعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ . وقال : نَزَلَ القرآنُ بِأَعْرَبِ  
اللُّغَاتِ ، فَكُلُّ الْعَرَبِ فِيهِ لُغَةٌ ، وَلِبْنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ سَبْعُ لُغَاتٍ . وَبَنُو سَعْدِ  
ابْنِ بَكْرٍ هَوَازِنُ أَفْصَحُ الْعَرَبِ ، فَهَمُ مِنَ الْأَعْجَازِ ، وَهِيَ قَبَائِلُ مِنْ مُضَرٍّ مَتَفَرِّقَةٌ ،  
وَكَانَتْ ظَنَّرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُوَيْبٍ ،  
مِنْ بَنِي نَاصِرَةَ [بْنِ قُصَيَّةِ بْنِ نَصْرٍ] بْنِ سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ بْنِ هَوَازِنَ . وَإِخْوَتُهُ  
فِي الرِّضَاعَةِ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ ، وَأُنَيْسَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، وَخِدَامَةُ (٢) بِنْتُ  
الْحَارِثِ ، وَهِيَ الَّتِي أَتَى بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرِى حُنَيْنٍ ، فَبَسَطَ لَهَا

(١) فِي الْقَامُوسِ (مَادَّةُ فَطَمَ) : « الْقَوَاطِمُ : اللَّاتِي وَلَدَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
قُرَشِيَّةً وَقَيْسِيَّةً وَمَعَانِيَّةً وَأَزْدِيَّةً وَخَزَاعِيَّةً » . ثُمَّ فِي مَادَّةِ (عَتَكَ) : « وَالْعَوَاتِكُ  
فِي جَدَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعٌ ، ثَلَاثٌ مِنْ سُلَيْمٍ : بِنْتُ هَلَالِ بْنِ فَالِجٍ أُمُّ  
وَالِدِ هَاشِمٍ ، وَبِنْتُ مِرَّةِ بْنِ هَلَالِ أُمُّ هَاشِمٍ ، وَبِنْتُ الْأَوْقَسِ بْنِ مِرَّةِ بْنِ هَلَالِ أُمُّ وَهَبِ  
بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ . وَالْبَوَاقِي مِنْ غَيْرِ بَنِي سُلَيْمٍ » .

(٢) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالْإِسَابَةِ ، وَهِيَ بِكُسْرِ الْحَاءِ الْمَجْمُوعَةُ ، كَمَا نَبِهَ عَلَى ذَلِكَ  
السَّهْبِيُّ وَأَبُو ذَرٍّ . وَفِي السِّيَرَةِ : « حَذَافَةٌ » . وَقَدْ ذَكَرَهَا أَيْضًا السَّهْبِيُّ وَأَبُو ذَرٍّ  
وَابْنُ حَبَرٍ عَلَى أَنَّهَا رَوَايَةٌ أُخْرَى ، وَزَادَ أَبُو ذَرٍّ أَنَّهَا هِيَ الصَّوَابُ . وَفِي الطَّبَرِيِّ  
وَالطَّبَقَاتِ : « جِدَامَةٌ » بِالْجِيمِ وَالْدَالِ الْمَهْمَلَتَيْنِ . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « جِدَامَةٌ » .

رداءه ووهب لها أسرى قومها . والعواتك من سليم ثلاث : عاتكة بنت [مرة  
ابن] هلال ، ولدت هاشماً وعبد شمس ونوفلاً<sup>(١)</sup> ؛ وعاتكة بنت الأوقص بن  
هلال ، ولدت وهب بن عبد مناف بن زهرة ؛ وعاتكة بنت [هلال بن] فالج<sup>(٢)</sup> .  
وقال عليّ للأشعث إذ خطب إليه : أغرك ابن أبي قحافة إذ زوجك أم فروة<sup>(٣)</sup> ،  
وإنها لم تكن من الفواطم من قريش ، ولا العواتك من سليم .

٥ أبو النبي صلى الله عليه وسلم — عبد الله بن عبد المطلب ، ولم يكن له  
ولد غيره ، صلى الله عليه وسلم ، وتوفي وهو في بطن أمه . فلما ولد كفله جده  
عبد المطلب إلى أن توفي ، فكفله عمه أبو طالب ، وكان أخا عبد الله لأمه وأبيه ،  
فمن ذلك كان أشفق أعمام النبي صلى الله عليه وسلم عليه وأولاهم به . وأما أعمام  
النبي صلى الله عليه وسلم وعماته ، فإن عبد المطلب بن هاشم كان له من الولد لصلبه  
عشرة من الذكور وستة من الإناث . وأسماء بنيه : عبد الله ، والد النبي عليه  
الصلاة والسلام ، والزبير ، وأبو طالب ، وأسمه عبد مناف ، والعباس ، وضرار ،  
وحزرة ، والمقوم ، وأبو لهب ، وأسمه عبد العزى ، والحرث ، والغيداق ، واسمه  
حجل<sup>(٤)</sup> ، ويقال نوفل . وأسماء بناته ، عمات النبي صلى الله عليه وسلم : عاتكة ،  
والبياض ، وهي أم حكيم ، وبرّة ، وأميمة ، وأروى ، وصفيّة .

١٥

ولد النبي صلى الله عليه وسلم — ولد له من خديجة : القاسم والطيب  
وفاطمة وزينب ورقيقة وأم كلثوم . وولد له من مارية القبطية : إبراهيم . لجميع  
ولده من خديجة غير إبراهيم .

أزواجه صلى الله عليه وسلم — أولهن خديجة بنت خويلد بن أسد بن  
عبد العزى ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت . ثم تزوج سودة بنت زمعة ، وكانت

٢٠

(١) في السيرة لابن هشام : « المطلب » . وفيها أيضاً أن « نوفلاً » أمه واقدة بنت  
عمرو المازنية .

(٢) في الأصول : « فاج » . انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢٥١) من هذا الجزء ، والطبرى .

(٣) كذا في سياتي في الأصول والمعارف والطبرى والاستيعاب . وهي أم فروة بنت

أبي قحافة ، أخت أبي بكر ، أم محمد بن الأشعث . وفي الأصول هنا : « أم وفرة » .

٢٥

(٤) ويقال إن اسم حجل : المغيرة . (انظر القاموس وشرحه مادة حجل) .

تحت السكران بن عمرو ، وهو من مهاجرة الحبشة ، فمات ولم يُعقب ، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعده . ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر بـ كراً ، ولم يتزوج بـ كراً غيرها ، وهي ابنة ست ، وأبنتي عليها ابنة تسع<sup>(١)</sup> ، وتوفي عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة ، وعاشت بعده إلى أيام معاوية ، وماتت سنة ثمان وخمسين وقد قاربت السبعين ، ودُفنت ليلاً بالبقيع ، وأوصت إلى عبد الله بن الزبير . وتزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وكانت تحت خنيس بن<sup>(٢)</sup> خذافة السهمي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله إلى كسرى ، ولا عقب له . ثم تزوج زينب بنت خزيمة ، من بني عامر بن صعصعة ، وكانت تحت عبيدة بن الحارث ابن عبد المطاب ، أول شهيد كان ببدر . ثم تزوج زينب بنت جحش الأسديّة ، وهي بنت عمّة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي أول من مات من أزواجه في خلافة عمر . ثم تزوج أم حبيبة ، وأسمها رَمْلَة بنت أبي سُفْيَان ، وهي أخت معاوية ، وكانت تحت عبيد الله بن جحش الأسدي ، فتنصر ومات بأرض الحبشة . وتزوج أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، وكانت تحت أبي سلمة ، فتوفي عنها وله منها أولاد ، وبقيت إلى سنة تسع وخمسين . وتزوج ميمونة بنت الحارث ، من بني عامر بن صعصعة ، وكانت تحت أبي رُمّ العامري<sup>(٣)</sup> . وتزوج صفية بنت حيي بن أخطب النضرية ، وكانت تحت رجل من يهود خيبر ، يقال له كنانة<sup>(٤)</sup> ، فضرِب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقه وسبى أهله . وتزوج جويرية بنت الحارث ، وكانت من سبى بنى المصطلق . وتزوج خولة بنت حكيم ، وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup> .

٢٠ (١) انظر السيرة لابن هشام .

(٢) في بعض الأصول : « خنيس بن عبد الله بن خذافة » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والسيرة والطبرى .

(٣) في الأصول : « أبي سيرة بن أبي رُمّ » . وما أثبتنا عن السيرة والطبرى .

(٤) هو كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق .

٢٥ (٥) قيل إن التي وهبت نفسها هي ميمونة بنت الحارث ، وقيل أم شريك الأزديّة . (انظر السيرة والمعارف) .

وتزوج امرأة يقال لها عمرة ، فطلقها ولم يكن بها ، وذلك أن أباه قال له : وأزيدك أنها لم تمرض قط . فقال : ما هذه عند الله من خير ، فطلقها . وتزوج امرأة يقال لها : أميمة<sup>(١)</sup> بنت النعمان ، فطلقها قبل أن يطأها . وخطب امرأة من بني مرة بن عوف ، فردّه أبوها ، وقال : إن بها برصا . فلما رجع إليها وجدها برصاء .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وفهرام — كُتِبَ الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وحَنْظَلَةُ بن الربيع الأسدي ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أرتد ولحق بمكة مُشركا . وحاجبه : أبو أنسة<sup>(٢)</sup> ، مولاة . وخادمه : أنس بن مالك الأنصاري ، ويكنى أبا حمزة . وخازنه على خاتمه : معيقب بن أبي فاطمة . ومؤذناه : بلال وابن أم مكتوم . وخُراسه : سعد بن زيد الأنصاري ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص . وخاتمه فضة ، وفصه حبشي مكتوب عليه : محمد رسول الله ، في ثلاثة أسطر : محمد ، سطر ، ورسول ، سطر ، والله ، سطر . وفي حديث أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم : وبه تَخْتَمُ أبو بكر وعمر ، وتَخْتَمُ به عثمان ستة أشهر ، ثم سقط منه في بئر ذي أَرْوَان<sup>(٣)</sup> ، فطلب فلم يوجد .

وفاته النبي صلى الله عليه وسلم — تُوُفِيَ صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ١٥ لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وحُفِرَ له تحت فراشه في بيت عائشة . وصلى عليه المسلمون جميعا بلا إمام ، الرجال ثم النساء ثم الصبيان ، ودُفِنَ ليلة الأربعاء في جوف الليل ، ودخل القبر على ، والفضل وقثم ، أبنا العباس ، وشقران مولاة ، ويقال : أسامة بن زيد ، وهم تولوا غسله وتكفينه وأمره كله ، وكُفِّنَ

(١) كذا في الأصول والمعارف . والذي في السيرة والطبري : أسماء .  
(٢) في الأصول : « أبو أنيسة » . والتصويب عن شرح القاموس ( مادة أنس ) .  
ويقال : « أنسة » .

(٣) ذو أروان : بئر بالمدينة . وقد جاء فيها : ذروان ، وأروان . غير أن الجميع عليه هو أن الحاتم سقط في بئر أريس . ( انظر الطبري والطبقات ومعجم ما استعجم للبكري ومعجم البلدان لياقوت ) .

في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّة<sup>(١)</sup> ، ليس فيها قيصٌ ولا عمامة . وأختلف في سنَّه . فقال عبد الله ابن عباس وعائشة وجريُّ بن عبد الله ومعاوية : توفى وهو ابن ستين سنة . وقال عروة بن الزبير وقتادة : أثنيتين وستين سنة .

### نسب أبي بكر الصديق وصفته

رضى الله عنه

هو عبد الله بن أبي قُحافة ، وأسم أبي قُحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُسرة ، وأمه أُمّ الخير بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُسرة .

وكاتبه : عثمان بن عفَّان . وحاجبه : رشيدٌ ، مولاة . وقيل : كتب له زيد بن ثابت أيضا . وعلى أمره كله وعلى القضاء عمر بن الخطاب ، وعلى بيت المال أبو عبيدة بن الجراح ، ثم وجهه إلى الشام . ومؤذنه : سعد القرظ ، مولى عمار بن ياسر .

قيل لعائشة : صفي لنا أباك . قالت : كان أبيض ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، أحنى لا يستمسك إزاره ، معروق الوجه ، غائر العينين ، نافي الجبهة ، عارى الأشاجع ، أقرع . وكان عمر بن الخطاب أصلع . وكان أبو بكر يحضب بالحناء والسكَم<sup>(٢)</sup> . وقال أبو جعفر الأنصاري : رأيتُ أبا بكر كأنَّ لحيته ورأسه سحر الفضي . وقال أنس بن مالك : قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وليس في أصحابه أشمط<sup>(٣)</sup> غير أبي بكر . فغلَّقها بالحِمْء والسكَم .

(١) يروى : سَحُولِيَّة (بالفتح) : نسبة إلى السحول ، وهو القصار ، لأنه يسحلها ، أي يفسلها ؛ أو إلى سحول ، وهي قرية باليمن . كما يروى : سَحُولِيَّة (بالضم) جمع سحول ، وهو الثوب الأبيض النقي ، ولا يكون إلا من قطن ، وفيه شدوذ ، لأنه نسب إلى الجمع . وقيل إن اسم القرية بالضم أيضا . (انظر النهاية لابن الأثير) .

(٢) السكَم (محركة) : نبت يخلط بالحناء ويحضب به الشعر فيبقى لونه . وإذا طبع أصله بالماء كان مدادا للكتابة .

(٣) الأشمط : الذي يخالط بياض رأسه سواد .

وَتُوفِيَ مَسَاءَ لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ ، لَثَمَانِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ مُجَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةً ثَلَاثَ عَشْرَةَ مِنَ الْقَارِيخِ . فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَتَيْنِ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَعَشَرَ لَيَالٍ . وَكَانَ نَقَشُ خَاتَمِ أَبِي بَكْرٍ : نَعَمْ الْقَادِرُ اللَّهُ .

مَهْوَظَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُروَةَ عَنْ عَائِشَةَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ : مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ . ٥ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ ، فَمَرُّ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ . قَالَ : مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ : قُولِي لَهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ ، فَمَرُّ عُمَرَ ، فَقُلْتُ حَفْصَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مه ! إِنْ كُنْ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ ، مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ . ١٠

أَبُو جَعْدَةَ عَنْ الزُّبَيْرِ قَالَ : قَالَتْ حَفْصَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ مَرَضْتَ فَقَدَّمْتُ أَبَا بَكْرٍ . قَالَ : لَسْتُ الَّذِي قَدَّمْتَهُ ، وَلَسَكِنَّ اللَّهَ قَدَّمَهُ .

أَبُو سَلَمَةَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : صَلَّى أَبُو بَكْرٍ بِالنَّاسِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرِيضٌ سِتَّةَ أَيَّامٍ .

النَّضَرُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ الْحَسَنِ قَالَ : قِيلَ لَعَلِّي : عَلَامَ بَايَعْتَ ١٥ أَبَا بَكْرٍ ؟ فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَمُتْ فَجَاءَهُ ، كَانَ يَأْتِيهِ بِلَالٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي مَرَضِهِ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ ، فَيَأْسِرُ أَبَا بَكْرٍ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ ، وَقَدْ تَرَكَنِي وَهُوَ يَرَى مَكَانِي ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَضِيَ ٢٤٩ الْمُسْلِمُونَ لِدُنْيَاهُمْ مَنْ رَضِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدِينِهِمْ ، فَبَايَعُوهُ ٢٠ وَبَايَعْتُهُ .

وَمِنْ حَدِيثِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ مَكَّةَ ، بَوَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ ، عَبْدُ رَبِّهِ بْنِ قَيْسِ بْنِ السَّائِبِ الْمَخْزُومِيُّ ، فَقَالَ لَهُ



أبو قحافة : مَنْ ولى الأمر بعده ؟ قال : أبو بكر أبُنك . قال : فرضى بذلك بنو عبد مناف ؟ قال : نعم . قال : لا مانعَ لما أعطى الله ولا مُعطىَ لما منع الله .  
جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال : توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو سفيان غائب في مسعاة أخرجه فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أنصرف لقي رجالاً في بعض طريقه مُقبلاً من المدينة ، فقال له : مات محمد ؟ قال : نعم . قال : فمن قام مقامه ؟ قال : أبو بكر . قال أبو سفيان : فما فعل المستضعفان عليّ والعبّاس ؟ قال : جالسين . قال : أما والله لئن بقيتُ لهما لأرفعن من أعقابهما ، ثم قال : إني أرى غيرَها لا يطفئها إلا دم . فلما قدم المدينة جمل يطوف في أزقتها ويقول :

١٠ بني هاشم لا تطمع الناسُ فيكم ولا سَيَاتِيمُ بنِ مُرة أو عدي  
فما الأمرُ إلا فيكم وإليكم وليس لها إلا أبو حسن علي

فقال عمر لأبي بكر : إن هذا قد قدّم وهو فاعلٌ شرّاً ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستألفه على الإسلام ، فدع له ما بيده من الصدقة ، ففعل . فرضى أبو سفيان وبايعه .

#### سقيفة بني ساعدة

١٥

أحمد بن الحارث عن أبي الحسن عن أبي معشر عن القُبَيْري : أن المهاجرين بينما هم في حُجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قبضه الله إليه ، إذ جاء مَعْن بن عدي وعُويم بن ساعدة ، فقالا لأبي بكر : بابُ فُتْنَةٍ إن يُخلقه الله بك ، هذا سعدُ بن عُبادة والأنصار يُريدون أن يُبايعوه . فضى أبو بكر وعمر وأبو عُبَيْدة حتى جاءوا سَقِيفَةَ بني ساعدة ، وسعد على طُنْفَسَةٍ مُتَكَئاً على وسادة ، وبه الحُمى ، فقال له أبو بكر : ماذا ترى أبا ثابت ؟ قال : أنا رجلٌ منكم . فقال حُبَاب بن المُنذر : منا أمير ومنكم أمير ، فإن عمل المهاجري في

الأنصارى شيئاً ردّ عليه ، وإن عمل الأنصارى في المهاجرى شيئاً ردّ عليه ،  
 وإِن لم تفعلوا فأنا جُذيلها المُحكِّك وعُدَّيقها المُرجَّب <sup>(١)</sup> ، لَفُعِيدَنها  
 جَذَعَة <sup>(٢)</sup> . قال عمر : فأردتُ أن أتكلّم ، وكنتُ زوّرتُ كلاماً في نفسى .  
 فقال أبو بكر : على رِسلك يا عمر ، فأتركُ كلمةً كنتُ زوّرتها في نفسى إلا تسكّم  
 بها ، وقال : نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم  
 داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأمشهم برسول الله صلى الله عليه وسلّم رَجاءً ، وأنتم  
 إخواننا في الإسلام ، وشركاؤنا في الدين ، نصرتم وواسيتم ، خزاكم الله خيراً ،  
 فنحنُ الأسراء وأنتم الوزراء ، لا تدين العربُ إلا لهذا الحى من قريش ، فلا  
 تنفَسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضلهم الله به ، فقد قال رسولُ الله صلى الله  
 عليه وسلّم : الأئمة من قريش . وقد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين — يعنى عمرَ  
 ابن الخطاب وأبا عُبَيْدة بن الجراح — فقال عمر : يكون هذا وأنت حى ! ما كان  
 أحدٌ ليؤخرك عن مقامك الذى أقامك فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، ثم  
 صَرَب على يده ببايعه ، وبايعه الناسُ وأزدحموا على أبى بكر . فقالت الأنصار :  
 قتلتم سعداً . فقال عمر : اقتلوه قتلَه الله ، فإنه صاحبُ فتنة . فبايع الناسُ  
 أبا بكر ، وأتوا به المسجدُ يبايعونه ، فسمع العباسُ وعلى التَّكبيرِ فى المسجد ،  
 ولم يفرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال على : ما هذا ؟ قال  
 العباس : ما رُئى مثلُ هذا قطّ ، أما قلتُ لك !

٣٥٠  
٢

ومن حديث الثَّعْمَان بن بَشِير الأنصارى : لما نُقِل رسولُ الله صلى الله  
 عليه وسلّم تسكّم الناس من يقوم بالأمر بعده ، فقال قوم : أبو بكر ، وقال  
 قوم : أبى بن كعب . قال الثَّعْمَان بن بَشِير : فأُتيتُ أُبَيًّا فقلت : يا أبى ،

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٨٦) من هذا الجزء .

(٢) الجذعة : الصغيرة ، وهى من الشياء ما كانت فى الثانية ، ومن ذوات الحافر ما كانت  
 فى الثالثة ، ومن الإبل ما كانت فى الخامسة . وإذا أطفئت حرب بين قوم فقال  
 بعضهم : إن شتّم أعداها جذعة ، فبمعنى شتيناها من جديد .

إِنَّ النَّاسَ قَدْ ذَكَّرُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَخْلِفُ أَبَا بَكْرٍ أَوْ إِيَّاكَ ،  
فَأَنْطَلِقْ حَتَّى نَنْظُرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ . فَقَالَ : إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا أَنَا بِذَاكَرِهِ حَتَّى يَقْبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ،  
ثُمَّ أَنْطَلِقْ . وَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ  
الصُّبْحِ ، وَهُوَ يَحْسُو حَسَوًا فِي قَصْعَةٍ مَشْعُوبَةٍ . فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى أَبِي فَقَالَ :  
هَذَا مَا قُلْتُ لَكَ . قَالَ : فَأَوْصِ بِنَا . فَخَرَجَ يَخْطُ بِرِجْلَيْهِ حَتَّى صَارَ عَلَى الْمَنْبَرِ ،  
ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، إِنَّكُمْ أَصْبَحْتُمْ تَزِيدُونَ ، وَأَصْبَحَتِ الْأَنْصَارُ  
كَأَنَّهُ لَا تَزِيدُ ، أَلَا وَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَتَقِلُّ الْأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا  
كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَسْرَمِ شَيْئًا فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَلْيَعْفُ عَنْ  
مُسِيئِهِمْ ، ثُمَّ دَخَلَ . فَلَمَّا تَوَفَّى قِيلَ لِي : هَاتِيكَ الْأَنْصَارُ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ  
يَقُولُونَ : لِمَنْ أَوْلَى بِالْأَمْرِ ، وَالْمُهَاجِرُونَ يَقُولُونَ : لَنَا الْأَمْرُ دُونَكُمْ . فَأَتَيْتُ  
أَبِيًّا فَقَرَعْتُ بَابَهُ ، فَخَرَجَ إِلَيَّ مُلْتَحِفًا ، فَقُلْتُ : أَلَا أَرَاكَ إِلَّا قَاعِدًا بَيْتِكَ مُغْلَقًا  
عَلَيْكَ بِأَبْنِكَ وَهَؤُلَاءِ قَوْمُكَ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ يُنَازِعُونَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَخَرُجْ إِلَى  
قَوْمِكَ . فَخَرَجَ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فِي شَيْءٍ ، إِنَّهُ لَمْ  
دُونَكُمْ ، يَلْبِهَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلَانِ ، ثُمَّ يُقْتَلُ الثَّالِثُ ، وَيُنَزَّعُ الْأَمْرُ فَيَكُونُ  
هَاهُنَا ، وَأَشَارَ إِلَى الشَّامِ ، وَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لِمَلْبُولٍ بِرَيْقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ وَدَخَلَ .

وَمِنْ حَدِيثٍ حَذِيفَةٍ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
فَقَالَ : إِنِّي لَا أَدْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ ، فَاقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي ، وَأَشَارَ إِلَى  
أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عُمَرَ ، وَمَا حَدَّثَكُمْ أَبُو مَسْعُودٍ فَصَدَّقُوهُ .

الَّذِينَ تَخْلَفُوا عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ — عَلَى وَالْعَبَّاسِ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ .  
فَأَمَّا عَلَى وَالْعَبَّاسِ وَالزُّبَيْرِ ، فَقَعَدُوا فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ  
ابْنَ الْخَطَّابِ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ بَيْتِ فَاطِمَةَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَبَا فَاطِمَةَ لَمْ يَفْعَلْهُمْ . فَأَقْبَلَ

بَقِيسٍ مِنْ نَارٍ عَلَى أَنْ يُضْرَمَ عَلَيْهِمُ الدَّارُ ، فَلَقِيَتْهُ فَاطِمَةُ ، فَقَالَتْ : يَا بْنَ  
الْخَطَّابِ ، أَجِئْتَ لَتُحْرَقَ دَارُنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَوْ تَدْخُلُوا فِيهَا دَخَلْتُ فِيهِ الْأَمَةُ .  
فَخَرَجَ عَلَى حَتَّى دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : أَكْرَهْتَ إِمَارَتِي ؟  
فَقَالَ : لَا ، وَلَسَكُنِّي آلَيْتُ أَنْ لَا أُرْتَدِيَ بَعْدَ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ حَتَّى أَحْفَظَ الْقُرْآنَ ، فَعَلِيهِ حَبَسْتُ نَفْسِي .

وَمِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمْ يُبَايِعْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ  
حَتَّى مَاتَ فَاطِمَةُ ، وَذَلِكَ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ مَوْتِ أَبِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَأَرْسَلَ  
عَلِيٌّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَأَتَاهُ فِي مَنْزِلِهِ فَبَايَعَهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا نَفَسْنَا عَلَيْكَ مَا سَأَلَ  
اللَّهُ إِلَيْكَ مِنْ فَضْلٍ وَخَيْرٍ ، وَلَسَكُنَّا كُنَّا نَرَى أَنْ لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا فَاسْتَبَدَدْتَ  
بِهِ دُونَنَا ، وَمَا نُنْكَرُ فَضْلَكَ . وَأَمَّا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَإِنَّهُ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ .

أَبُو الْمُنْذِرِ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ<sup>(١)</sup> قَالَ : بَعَثَ عُمَرُ رَجُلًا إِلَى الشَّامِ ،  
فَقَالَ : أَدْعُهُ إِلَى الْبَيْعَةِ وَأَحْمِلْ لَهُ بِكُلِّ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ ، فَإِنْ أَتَى فَأَسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَيْهِ .  
فَقَدَّمَ الرَّجُلُ الشَّامَ ، فَلَقِيَهُ بِحُورَانَ فِي حَائِطٍ ، فَدَعَاهُ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَقَالَ : لَا أَبَايَعُ  
قُرَشِيًّا أَبَدًا . قَالَ : فَإِنِ أَقَاتَلْتُكَ . قَالَ : وَإِنْ قَاتَلْتَنِي ! قَالَ : أَنْفَخْتُ أَنْتَ مِمَّا  
دَخَلْتَ فِيهِ الْأَمَةُ ؟ قَالَ : أَمَّا مِنْ الْبَيْعَةِ فَأَنَا خَارِجٌ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ ، فَقَتَلَهُ .

مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رُمِيَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فِي حِمَامٍ بِالشَّامِ ، فَقَتَلَ .  
سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ أَبِي سَيْرِينَ قَالَ : رُمِيَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِسَهْمٍ فَوُجِدَ

٢٥١  
٢

دَفِينًا فِي جَسَدِهِ . فَمَاتَ ، فَبَكَتْهُ الْجَنَّةُ ، فَقَالَتْ :

وَقَتَلْنَا<sup>(٢)</sup> سَيِّدَ الْحَرْزِ رَجَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ

وَرَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْنِ فَلَمْ نُخْطِئِ<sup>(٣)</sup> فُؤَادَهُ

٢٠

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « أَبُو مُحَمَّدٍ عَنْ الْكَلْبِيِّ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « نَحْنُ قَتَلْنَا » .

(٣) فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ( ج ٢ ص ٥٤٠ ) : « فَلَمْ نُخْطِئِ » . وَخَطِيءٌ يَخْطَأُ .  
مِثْلُ أَخْطَأَ يَخْطِئُ .

فضائل أبي بكر رضي الله عنه — محمد بن المنكدر قال : نازع عمر أبا بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنتم تاركوني وصاحبي ؟ إن الله بعثني بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة ، فقالوا جميعاً : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت . وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلسه في الغار ، وأول من صلى معه وآمن به واتبعه . ٥

وقال عمر بن الخطاب : أبو بكر سيدنا ، وأعققت سيدنا . يريد بلالاً . وكان بلال عبداً لأمية بن خلف ، فأشتراه أبو بكر وأعتقه ، وكان من مولدلى مكة ، أبوه رباح ، وأمه حميمة .

وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : من أول من قام معك في هذا الأمر ؟ قال : حرٌّ وعبد . يريد بالحر أبا بكر ، وبالعبد بلالاً . وقال بعضهم : على وخباب . ١٠

أبو الحسن المدائني قال : دخل هارون الرشيد مسجدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إلى مالك بن أنس ، فقيه المدينة ، فأتاه وهو واقف بين قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم [ والمنبر ] ، فلما قام بين يديه وسلم عليه بالخلافة ، قال : يا مالك ، صف لي مكان أبي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة الدنيا . فقال : مكانهما منه يا أمير المؤمنين كمكان قبريهما من قبره . فقال : شفيعتي يا مالك . ١٥

الشعبي عن أبي سلمة<sup>(١)</sup> : إن علياً سئل عن أبي بكر وعمر ، فقال : على الخير سقطت ، كانا والله إمامين صالحين مُصلحين ، خرجا من الدنيا خيصرين . وقال علي بن أبي طالب : سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثني أبو بكر ، وثالث عمر ، ثم خبطتُنا فتنة عمياء كما شاء الله . ٢٠

وقالت عائشة : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري ،

(١) كذا في بعض الأصول : وهو يتفق مع ما في التهذيب (ج ١٢ ص ١١٦) . والذي في سائر الأصول : « أبو سلمة عن الشعبي » .

- فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهدّها ، أشرأبّ النفاق ، وأرندت العرب ، فوالله ما اختلفوا في لفظة إلا طار أبا يحظّها وغنائها (١) في الإسلام .
- فأرسلت إليهم ، فلما حضر وا قالت : إن أبا والله لا تعطوه الأيدي (٢) ، طود منيف ، وظل ممدود ، أنجح إذا كديتم (٣) ، وسبق إذ ونيتم « سبق الجواد إذا استولى على الأمد » (٤) . فقي قريش ناشئا ، وكهفها (٥) كهلا . ينفك عانيها ، ويريش مملقها (٦) ، ويرأب [ صدعها ، ويلمّ ] شعنها . فما برحت شكيمته في ذات الله تشتد حتى اتخذ بفنائها مسجداً يحيى فيه ما أمانت الميطلون . وكان وقيد الجوانح (٧) ، غزير الدمعة ، شجى النسيج . وأصفقت (٨) إليهم نسوان مكة وولدائها يسخرن منه ويستهنون به ، والله يستهزئ بهم ويمدّم ١٠ ولا قصفوا (٩) قناة ، حتى ضرب الحق بجراحه ، وألقى بزكه (١٠) ، ورست أوتادُه . فلما قبض الله نبيّه ضرب الشيطان رواقه ، ومدّ طنبه ، ونصب حباله ، وأجلب بجيله ورجله ، فقام الصديق حاسراً مشمراً . فردّ [ نشر ] الإسلام على غره (١١) .
- (١) تريد أنه كان بين الصواب فيما اختلفوا فيه فيفوز بالثناء والثواب . وفي بعض الأصول : « فوالله ما طاروا في نقطة إلا لحظها وغنائها » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وبلاغات النساء .
- (٢) ولا تعطوه : لا تبخلوه . والذي في سائر الأصول : « لا تعطوه إلى الأبد » .
- (٣) أنجح ، أى أعطى ويسر . وأكدي : منع . والذي في الأصول : « ونجح إذا كديتم » . وما أثبتنا عن بلاغات النساء .
- (٤) الكهف : اللجأ .
- (٥) وقيد الجوانح ، أى عزون القلب ، كأن الحزن قد كسره وضعفه . وما كانت الجوانح تحبس القلب وتحويه ، فأضاف الوقود إليها . وفي بعض الأصول : « وقيد الجوانح » .
- (٦) شجى : ألم .
- (٧) وأصفقت إليه : اجتمعت . ويروى : « وانصفت له » وهي بمعناها . ( انظر لسان العرب مادة صفق ) . وفي بعض الأصول : « قصفوا » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وبلاغات النساء .
- (٨) في بعض الأصول : « فقصوا » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وبلاغات النساء .
- (٩) البرك من البعير : صدره .
- (١٠) الفر ( بالفتح ) : كل كسر متين في ثوب أو جلد ، ومنه : اطو الثوب على غره الأول كما كان مطويا . أرادت عائشة تدبيره أمر الردة ومقابلة دائها بدوائها .

فضائل أبي بكر رضي الله عنه — محمد بن المنكدر قال : نازع عمرُ  
أبا بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنتم تاركوني وصاحبي ؟  
إن الله بعثني بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة ، فقالوا جميعاً : كذبت ،  
وقال أبو بكر : صدقت . وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجليسه  
في الغار ، وأول من صلى معه وآمن به واتبعه .

وقال عمر بن الخطاب : أبو بكر سيّدنا ، وأعققت سيّدنا . يريد بلالاً .  
وكان بلال عبداً لأمية بن خلف ، فأشتراه أبو بكر وأعتقه ، وكان من مؤلّدي  
مكة ، أبوه رباح ، وأمه سحامة .

وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : من أول من قام معك في هذا الأمر ؟  
قال : حرّ وعبد . يريد بالحرّ أبا بكر ، وبالعبد بلالاً . وقال بعضهم :  
على وخبّاب .

أبو الحسن المدائني قال : دخل هارون الرشيدُ مسجد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، فبعث إلى مالك بن أنس ، فقيه المدينة ، فأناه وهو واقف بين قبر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم [ والمنبر ] ، فلما قام بين يديه وسلم عليه بالخلافة ،  
قال : يا مالك ، صف لي مكان أبي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
في الحياة الدنيا . فقال : مكائهما منه يا أمير المؤمنين كمكان قبريهما من قبره .  
فقال : شفيعتي يا مالك .

الشعبي عن أبي سلمة<sup>(١)</sup> : إن عليّاً سئل عن أبي بكر وعمر ، فقال : على  
الخبير سقطت ، كانا والله إمامين صالحين مُصلحين ، خرجا من الدنيا خبيصين .  
وقال علي بن أبي طالب : سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبى  
أبو بكر ، وثلثت عمر ، ثم خبطتُنا فتنةً عمية كما شاء الله .

وقالت عائشة : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري ،

(١) كذا في بعض الأصول : وهو يتفق مع ما في التهذيب (ج ١٢ ص ١١٦) . والذي  
في سائر الأصول : « أبو سلمة عن الشعبي » .

فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهذه ، أشرأب التفاق ، وأردت  
العرب ، فوالله ما اختلفوا في لفظة إلا طارأى بحظها وغنائها <sup>(١)</sup> في الإسلام .  
عمرو بن عثمان عن أبيه عن عائشة ، أنه بلغها أن أناسا يتناولون من أبيها ،  
فأرسلت إليهم ، فلما حضروا قالت : إن أبي والله لا يعطوه الأيدي <sup>(٢)</sup> ، طود  
مُنيف ، وظل ممدود ، أنجح إذا كديتم <sup>(٣)</sup> ، وسبق إذ ونيتم « سبق الجواد إذا  
استولى على الأمد » <sup>(٤)</sup> . فتي قرش ناشئا ، وكهفها <sup>(٥)</sup> كهلا . يَفك عانيها ،  
ويريش مملقها <sup>(٦)</sup> ، ويرأب [ صدعها ، ويَلُم [ شعنها . فما برحت شكيمته  
في ذات الله تشدد حتى اتخذ بفنائها مسجداً يحجي فيه ما أُمات المبطون . وكان  
وقيذ الجوايح <sup>(٧)</sup> ، غزير الدمة ، شجى النسيج . وأصفقت <sup>(٨)</sup> إليه نسوان  
مكة وولدائها يسخرن منه ويستهنون به ، والله يستهزئ بهم ويمدّم  
في طغيانهم يعمهون ، وأكبرت ذلك رجالات قرش ، فما قلوا له صفاة ،  
ولا قصفا <sup>(٩)</sup> قناة ، حتى ضرب الحق بجراحه ، وألقى بركه <sup>(١٠)</sup> ، ورست أوتاده .  
فاما قبض الله نبيه ضرب الشيطان رواقه ، ومدّ طنبه ، ونصب حباله ، وأجلب  
بخيله ورجله ، فقام الصديق حاسراً مشمراً . فردّ [ نشر ] الإسلام على غره <sup>(١١)</sup> ،

(١) تريد أنه كان بين الصواب فيما اختلفوا فيه فيفوز بالثناء والثواب . وفي بعض  
الأصول : « فوالله ما طاروا في نقطة إلا لحظها وغنائها » . وما أثبتنا عن سائر  
الأصول وبلاغات النساء . (٢) كذا في بعض الأصول وبلاغات النساء .  
ولا يعطوه : لا يلبسه . والذي في سائر الأصول : « لا يعطوه إلى الأبد » .

(٣) أنجح ، أى أعطى ويسر . وأكدي : منع . والذي في الأصول : « ونجح إذا  
كديتم » . وما أثبتنا عن بلاغات النساء . (٤) أى إذا بلغ الغاية .

(٥) الكهف : اللجأ . (٦) يرش مملقها ، أى يصلح حاله .

(٧) وقيذ الجوايح ، أى يحزون القلب ، كأن الحزن قد كسره وضعفه . ولما كانت الجوايح  
تحبس القلب وتحويه ، فأضاف الوقوذ إليها . وفي بعض الأصول : « وقيط » .  
قال ابن منظور في مادة وفد : « قال ويقال : تركته وقيذا ووقيظا . قال : الوجه  
عندى والقياس أن يكون الظاء بدلا من الدال » .

(٨) أصفقت إليه : اجتمعت . ويروى : « وانصفت له » وهى بمعنىها . (انظر لسان العرب  
مادة صفق) . وفي بعض الأصول : « تصفقت » .

(٩) في بعض الأصول : « فصموا » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وبلاغات النساء .  
(١٠) البرك من البعير : صدره .

(١١) الفر (بالفتح) : كل كسر متين في ثوب أو جلد ، ومنه : أطو الثوب على غره الأول  
كما كان مطويا . أرادت عائشة تدبيره أمر الردة ومقابلة دائها بدوائها .



وأقام أوده بثقافه ، فابذع<sup>(١)</sup> التفاق بوطئه ، وانتاش<sup>(٢)</sup> الناس بعذله ، حتى أراح الحق على أهله ، وحقن الدماء في أهبها . ثم أنته منيته ، فسدت ثلثته نظيره في الرحمة ، وشقيقه في المدة ، ذلك ابن الخطاب . لله در أم حنبلت له ودزت عليه . ففتح الفتوح ، وشرذ الشرذ ، وبهج الأرض ، فقادت<sup>٥</sup> ككلها<sup>(٣)</sup> ، ولغظت جناها ؛ ترامه ويأبها ، وتريده ويصدف عنها ، ثم تركها كما صحبها . فأروني ماترتابون<sup>(٤)</sup> ؟ وأي يومى أبى تنقمون ؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم ، أم يوم ظعنه إذ نظر لسم<sup>(٥)</sup> ؟ أقول [قولى] هذا وأستغفر الله لى ولكم .

### وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

الليث بن سعد عن الزهرى قال : أهدى لأبى بكر طعاماً وعنده الحارث ابن كلدة فأكل منه ، فقال الحارث : أكلنا سم سنة ، وإنى وإياك لميتان عند رأس الحول . فماتا جميعا فى يوم واحد عند أنقضاء السنة . وإنما سمته يهود كما سمى النبي صلى الله عليه وسلم بخير فى ذراع الشاة . فلما حضرت النبي صلى الله عليه وسلم الوفاة قال : ما زالت أكلة خيبر تعاودنى حتى قطعت أبهرى . وهذا مثل ما قال الله تعالى (ثم لقطعنا منه الوتين) . والأبهر والوتين : عرقان فى الصلب إذا أقطع أحدهما مات صاحبه . ١٥

الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : أغتسل أبو بكر يوم الاثنين لسبع خلون من مجادى الآخرة ، وكان يوماً بارداً ، فحم خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة ، وكان يأمر عمر يصلى بالناس . وتوفى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من مجادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ . وغسلته امرأته أسماء بنت عميس .

٢٠ (١) ابذع : تفرق وتبدد . وفى بلاغات النساء : « ابذع » وهى بمنها .  
(٢) انتاش : أنهض . (٣) بيع الأرض ، أى شقها وأذلها ، تكى عن فتوحه .  
وفاءت أكلها ، أى أظهرت نباتها وخزائنها .  
(٤) كذا فى بعض الأصول ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٣١) وصبح الأعشى (ج ١ ص ٢٤٨) . وفى سائر الأصول : « ماذا ترون » .  
٢٥ (٥) يوم ظعنه ، أى يوم وفاته . وأزادت بنظره لهم : عهده بالخلافة إلى عمر .

وصلى عليه عمر بن الخطاب بين القبر والمنبر ، وكبر أربعاً .  
الزهرى عن سعيد بن المسيب قال : لما توفى أبو بكر أقامت عليه عائشة  
النوح ، فبلغ ذلك عمرَ فنهاه ، فأبين . فقال هشام بن الوليد : أخرج إلى  
بنت أبي جحافة ، فأخرج إليه أم فروة ، فعلاها بالدرّة ضرباً ، فتفرقت النوائح .

وقالت عائشة وأبوها يغمض ، رضى الله عنه :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل<sup>(١)</sup>

قالت عائشة : فنظر إلى وقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم  
أغمى عليه . فقالت :

لعمرك ما يُغنى الثراء عن الفنى إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدر<sup>(٢)</sup>

فنظر إلى كالفصبان وقال : قولى : ( وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك  
ما كنت منه تنجيد ) . ثم قال : انظروا ملاءتين خلتين<sup>(٣)</sup> فاغسلوها وكفنوني  
فيهما ، فإن الحى أحوج إلى الجديد من الميت .

عروة بن الزبير والقاسم بن محمد قالا : أوصى أبو بكر عائشة أن تدفن  
إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما توفى حفر له وجعل رأسه بين  
كَتِفَي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأس عمرَ عند حَقْوَى أبي بكر . وبقى  
١٥ فى البيت موضع قبر . فلما حضرت الوفاة الحسن بن على أوصى بأن يدفن مع  
جدّه فى ذلك الموضع . فلما أراد بنو هاشم أن يحفروا له تمنعهم مروان ، وهو والى  
المدينة فى أيام معاوية . فقال أبو هريرة : علام تمنعه أن يدفن مع جدّه ؟ فأشهد  
لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحسن والحسين سيّدا شباب  
أهل الجنة . قال له مروان : لقد ضيّع الله حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم  
٢٠ إذ لم يروه غيرك . قال : أنا والله لقد قلت ذلك ، لقد صحبته حتى عرفت من

(١) هذا البيت لأبى طالب ، عم النبي صلى الله عليه وسلم من قصيدة له يدفع به عن الرسول

صلى الله عليه وسلم . ( انظر السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٩١ — ٢٩٩ طبعة الحلبي ) .

(٢) البيت لحاتم بن عبد الله من أبيات له . ( انظر ج ١ ص ٣٣٥ — ٣٣٧ ) من

هذه الطبعة . (٣) فى بعض الأصول : « ملاءتى خلق » .

أحبَّ ومن أبغض ، ومن نفى ومن أقرَّ ، ومن دعا له ومن دعا عليه . قال :  
 وسطح قبر أبي بكر كما سطح قبر النبي صلى الله عليه وسلم ورش بالماء .  
 هشام بن عروة عن أبيه : إن أبا بكر صلى الله عليه ليلاً ودُفن ليلاً . ومات  
 وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ولها مات النبي صلى الله عليه وسلم . وعاش أبو حنيفة  
 بعد أبي بكر أشهراً وأياماً ، ووهب نصيبه في ميراثه لولد أبي بكر . وكان نقش  
 خاتم أبي بكر : نعم القادر الله . ولما قبض أبو بكر سجد بشوب ، فأرتجت المدينة  
 من البكاء ، ودَهِش القوم كيوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجاء  
 علي بن أبي طالب باكياً مسرعاً مسترجعاً حتى وقف بالباب وهو يقول : رَحِمَكَ  
 الله أبا بكر ، كنت والله أول القوم إسلاماً ، وأصدقهم إيماناً ، وأشدَّهم يقيناً ،  
 وأعظمهم غناء ، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدثهم على  
 الإسلام ، وأحماهم عن أهله ، وأنسبهم برسول الله خلقاً وفضلاً وهدياً وسمتاً ؛  
 فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيراً . صدقت رسول الله  
 حين كذبه الناس ، وواسيته حين بخلوا ، وقت ممه حين قعدوا ، وسمك الله في  
 كتابه صدقاً ، فقال : (والذي جاء بالصدق وصدق به) يريد محمداً ويريدك .  
 كنت والله للإسلام حصناً ، وللكافرين ناكباً ، لم تضلل حجتك ، ولم تضعف  
 بصيرتك ، ولم تجبن نفسك . كنت كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله  
 القواصف . كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضعيفاً في  
 بدنك ، قوياً في دينك ، متواضعاً في نفسك ، عظيماً عند الله ، جليلاً في الأرض ،  
 كبيراً عند المؤمنين . لم يكن لأحد عندك مطعم ولا هوى ، فالضعيف عندك  
 قوياً ، والقوى عندك ضعيف ، حتى تأخذ الحق من القوى وتأخذه للضعيف ،  
 فلا حرمك<sup>(١)</sup> الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك .

القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين أنها دخلت على أبيها في مرضه الذي

(١) في بعض الأصول : « حرمنا » .

تُوفى فيه فقالت : يا أبت ، أعهد إلى خاصتك ، وأنفذ رأيك في عامتك<sup>(١)</sup> ،  
وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك ، إنك محذور ومتصل بي لوعتك ،  
وأرى تحاذل أطرافك وأنتقاع لونك ، فإلى الله تعزيتي عنك ، ولديه ثواب  
حزني عليك . أرقاً فلا أرقاً<sup>(٢)</sup> ، وأشكو فلا أشكي . قال : فرفع رأسه ،  
وقال : يا أمته<sup>(٣)</sup> ، هذا يوم يُخلى<sup>(٤)</sup> لي فيه عن غطائي ، وأشهد جزائي ؛ إن فرحاً  
فدائم ، وإن ترحاً فمقيم . إني اضطلمت بإمامة<sup>(٥)</sup> هؤلاء القوم حين كان  
النكوص إضاعة ، والحزل<sup>(٦)</sup> تفریطاً ؛ فشهيدي الله ، ما كان بقلبي<sup>(٧)</sup> إلا إياه ،  
فتبلمت بصحفتهم ، وتعلت بدرّة لقحتهم ، فأقت صلاي<sup>(٨)</sup> معهم ، لا مُحْتَالاً  
أشيراً ، ولا مُكاثراً بطراً . لم أعد سدّ الجوعة ، وتورية العورة<sup>(٩)</sup> ، وإقامة  
القوام ، من طوى مُعض<sup>(١٠)</sup> ، تهفو منه الأحشاء ، وتحف له الأمعاء ،  
فاضطرت إلى ذلك اضطرار الجرض<sup>(١١)</sup> إلى [الماء] اللعيف الآجن . فإذا أنامت  
فردى إليهم تحفتهم وعبدتهم ولقحتهم ورحام ودنارة ما فوق أفتيت بها البرد ،  
وونارة ما تحتي اتفتيت بها أذى الأرض ، كان حشوها قطع السعف .  
قال : ودخل عليه عمر فقال : يا خليفة رسول الله ، لقد كلفت القوم بعدك  
تعباً ، ووليتهم نصباً ، فهيات من شق غبارك ! فكيف للحاق بك !

- ١٥ ( ١ ) في بلاغات النساء : « حامتك . . سامتك . والحامة : العامة ، والسامة : الخاصة .  
( ٢ ) أي أسكن نفسي فلا تسكن .  
( ٣ ) هي وإن كانت بنته إلا أنها أم المؤمنين ، فهو يخاطبها بهذا .  
( ٤ ) فيها مر ( ج ٣ ص ٢٣١ من هذه الطبعة ) : « يحل فيه عن » .  
( ٥ ) في بعض الأصول : « أطلعت أمانة » . ( وانظر ج ٣ ص ٢٣١ من هذه الطبعة ) .  
٢٠ ( ٦ ) الحزل ، أي التراجع . ( وانظر ج ٣ ص ٢٤١ من هذه الطبعة ) .  
( ٧ ) في بعض الأصول : « بقلبي » .  
( ٨ ) الصلا : وسط الظهر من الإنسان ومن كل ذي أربع . وإقامة صلاه ، كناية  
عن مساواته بينهم وبين نفسه .  
( ٩ ) تورية العورة ، أي سترها . وفي بعض الأصول : « ووري » .  
٢٥ ( ١٠ ) كذا في بعض الأصول وبلاغات النساء . ومعض : موجع . والذي في سائر  
الأصول : « عقص » .  
( ١١ ) كذا في بعض الأصول . والجرض : الذي يبتلع ريقه بجهد . والذي في سائر الأصول :  
« المتبرض » . والتبرض : التبغ في العيش بالبلغة وتطلبه من هنا وهنا قليلا قليلا .

## استخلاف أبي بكر لعمر

عبد الله بن محمد التميمي عن محمد بن عبد العزيز: إن أبا بكر الصديق حين حضرته الوفاة كتب عهده وبعث به مع عثمان بن عفان ورجل من الأنصار ليقرأه على الناس، فلما اجتمع الناس قاما فقالا: هذا عهد أبي بكر، فإن قرأ به نقرأه، وإن تنكروه نرجعه. فقال: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا عهد أبي بكر بن أبي قحافة عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها، حيث يؤمن الكافر، ويتقى الفاجر، ويصدق الكاذب. إني أمرت عليكم عمر بن الخطاب، فإن عدل وأتقى فذاك ظني به ورجائي فيه، وإن بدّل وغير فالحير أردت، ولا يعلم الغيب إلا الله.

- ١٠ (١) قال أبو صالح: أخبرنا محمد بن وضاح، قال: حدثني محمد بن زُمع (٢) بن المهاجر التميمي قال: حدثني الليث بن سعد عن علوان عن صالح بن كيسان عن حميد ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، أنه دخل على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مُفَيْقا، فقال: أصبحت بحمد الله بارئًا. قال أبو بكر: أترأه؟ قال: نعم. قال: أما إني على ذلك لشديد الوجع، ولما لقيت منكم يامعشر المهاجر بن أشد على من وجعي. إني ولّيت أمركم خيركم في نفسي فكلّكم ورم من ذلك أنفه، يريد أن يكون له الأمر [من دونه]، ورأيت الدنيا مُقبلة، ولن (٣) تقبل — وهي مُقبلة — حتى تتخذوا سُتُور الحرير ونضائد الديباج، وتألّموا الأضطجاع على الصوف الأذري (٤) كما يألّم أحدكم الأضطجاع على شوك السعدان. والله لأن يُقدّم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خير له من أن ينحوض في غمرة الدنيا.
- ٢٠ ألا وإنكم أول ضالّ بالناس غدا فتصدّوهم عن الطريق يمينا وشمالا. ياهادي الطريق

(١) انظر الكامل للمبرد والطبري وإيجاز القرآن (ص ١١٦) فبين النصوص خلاف.

(٢) في بعض الأصول: «زمج». وانظر تهذيب التهذيب والسكندی.

(٣) في بعض الأصول: «ولما». (٤) نسبة إلى أذريجان.

- إنما هو الفجر أو البجر<sup>(١)</sup> . قال : فقلت له : خَفَضَ عليك بِرَحْمِكَ اللهُ ، فإن هذا يَهِيضُكَ على ما بك ، إنما الناس في أمرك بين رجلين ، إما رجل رأى ما رأيت فهو معك ، وإما رجل خالفك فهو يُشِيرُ عليك برأيه ، وصاحبك كما تُحِبُّ ، ولا نَعْلَمُكَ أردت إلا الخير ، ولم تزل صالحاً مُصلِحاً ، مع أنك لا تَأْسَى على شيء من الدنيا .
- فقال : أجل ، إني لا آسَى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتُن وودتُ أني ٥ تركتُهن ، وثلاث تركتهن ووددتُ أني فعلتُهن ، وثلاث وددتُ أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن . فأما الثلاث التي فعلتُهن ووددتُ أني تركتُهن : فوددتُ أني لم أكتشف بيت فاطمة عن شيء ، وإن كانوا أغلقوه على الحرب ؛ ووددتُ أني لم أكن حَزَرْتُ الفُجَاءَةَ<sup>(٢)</sup> السُّلَمَى ، وأنى قتلته سريجاً أو خَلَيْتَهُ نَحِيحاً<sup>(٣)</sup> ؛ ووددتُ أني يوم سقيفة بني ساعدة قد رميتُ الأمر في عُنُقِ أحد ١٠ الرجلين ، فكان أحدها أميراً وكنتُ له وزيراً — يعني بالرجلين عمر بن الخطاب وأبي عُبَيْدَةَ بن الجراح — وأما الثلاث التي تركتُهن ووددتُ أني فعلتُهن : فوددتُ أني يوم أُتيت بالأشعث بن قيس أسيراً ضربتُ عنقه ؛ فإنه يُخِيلُ إلي أنه لا يرى شراً إلا أعان عليه ؛ ووددتُ أني يوم سِيرتُ خالد بن الوليد إلى أهل الرِّدَّةِ أَمَتِ بَذَى الْقَصَّةِ<sup>(٤)</sup> ؛ فإن ظفر المسلمون ظفروا وإن أنهمزوا كنتُ ١٥ بصدد لقاء أو مدد ؛ وودتُ أني وجهت خالد بن الوليد إلى الشام ووجهتُ عمر

(١) البجر (بالفتح والضم) : الداهية والأمر العظيم . أي إن انتظرت حتى يضيء الفجر بصرت الطريق ، وإن خبطت الظلمات أفضت بك إلى المسكروه . وروى : « البجر » بالحاء المهملة . يريد فحرات الدنيا . شبهها بالبحر لتحير أهلها فيها .

(٢) في الأصول : « النحام » . والتصويب عن الطبري . وكان من حديث الفجاءة هذا أنه أتى أبا بكر فادعى الإسلام وطلب إليه جهاد من ارتد وأن يحمله ، فحمله وأعطاه سلاحاً ، فشد غارة على كل مسلم . ولما أمكنت أبا بكر الفرصة منه أوقد ناراً ثم رمى به فيها مقموطاً .

(٣) سريجاً : سريجاً . ونحيجا : وشيكا . وفي بعض الأصول : « شديدنا » مكان « سريجنا » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والطبري وابن عساكر في ترجمة أبي بكر . ٢٥

(٤) ذو القصصة : موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً . وبه نزل أبو بكر في خلافته لما وجه خالد بن الوليد لقتال أهل الردة . (انظر معجم البلدان) .

ابن الخطاب إلى العراق ، فأكون قد بسطت يديّ كلمتيهما في سبيل الله . وأما  
الثلاث التي وددت أني أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم : فإني وددتُ  
أنى سألته : لمن هذا الأمر من بعده فلا يُنازعه أحد ، وأنى سألته هل للأُنصار  
في هذا الأمر نصيب فلا يُظلموا نصيبهم منه ، ووددتُ أنى سألته عن بنت الأَخ  
والعمة ، فإنّ في نفسي منهما شيئاً .

### نسب عمر بن الخطاب وصفته

أبو الحسن عليّ بن محمد قال : هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى  
ابن رياح بن عبد الله بن قُسط بن رزاح بن عديّ بن كعب بن لؤى بن غالب  
ابن فهر بن مالك . وأمه حنّمة بنت هاشم <sup>(١)</sup> بن المغيرة بن عبد الله بن عمر <sup>(٢)</sup>  
بن مخزوم . وهاشم هو ذو الرُّمحين . قال أبو الحسن : كان عمر رجلاً آدم مُشرباً  
مُحمرّاً طويلاً أصلع له خفافان <sup>(٣)</sup> ، حسن الخدين والأنف والعينين ، غليظ القدمين  
والكفّين ، مُجدول اللّحم ، حسن الخلق ، ضخم الكراديس <sup>(٤)</sup> ، أعسر يسر <sup>(٥)</sup> ،  
إذا مشى كأنه راكب . ولى الخلافة يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من مُجاذى الآخرة  
سنة ثلاث عشرة من التاريخ . وطعن ثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث  
وعشرين من التاريخ . فعاش ثلاثة أيام ، ويقال سبعة أيام .  
معدان بن أبي حفصة <sup>(٦)</sup> ، قال : قُتل عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من  
ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، في رواية الشعبي .  
ولها مات أبو بكر ، ولها مات النبي صلى الله عليه وسلم .

٢٥٥  
٢

(١) وقيل بنت هشام أخت أبي جهل ( انظر الاستيعاب والسيرة ) .  
(٢) في بعض الأصول : « عمرو » وهو تحريف . ( انظر السيرة ) .  
(٣) الخفاف ( ككتاب ) : الطرة من الشعر حول رأس الأُسلع .  
(٤) الكراديس : رؤوس العظام ؛ واحداً كردوس .  
(٥) أعسر يسر ، أى يعمل به يديه جميعاً .  
(٦) في بعض الأصول : « صفحة » . ولعله « معدان بن أبي طلحة » . ( انظر الطبرى ) .

## فضائل عمر بن الخطاب

أبو الأشهب<sup>(١)</sup> عن الحسن<sup>(٢)</sup> ، قال : عاتب عُمَيْنَةُ عُمَانُ ، فقال له : كان عمر خيراً لنا منك ؛ أعطانا فأغنانا ، وأخشاننا فأثقتنا . وقيل لعثمان : ما لك لا تكون مثل عمر ؟ قال : لا أستطيع أن أكون مثل أئمان الحكيم .

- القاسم بن عمر قال : كان إسلام عمر فتحة ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة . وقيل : إن عمر خطب امرأة من ثقيف وخطبها المغيرة ، فزوجهها المغيرة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألا زوجتم عمر ؛ فإنه خير قريش أولها وآخرها ، إلا ما جعل الله لرسوله .

- الحسن بن دينار عن الحسن ، قال : ما فضل عمرُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أطولهم صلاة ، وأكثرهم صياماً ؛ ولكنه كان أزهدهم في الدنيا ، وأشدّهم في أمر الله . وتظلم رجل من بعض عمّال عمر ، وأدعى أنه ضربه وتعدّى عليه ، فقال : اللهم إني لا أحلّ لهم أشعارهم ولا أبشارهم . كل من ظله أميرُه فلا أميرَ عليه دوني ، ثم أقاده منه .

- عَوَانَةُ<sup>(٣)</sup> عن الشعبي قال : كان عمر يطوف في الأسواق ، ويقرأ القرآن ، ويقضى بين الناس حيث أدركه الخصوم .

وقال المغيرة بن شعبه ، وذكر عُمرَ ، فقال : كان والله فضل يمنعه [من] أن يخذع ، وعقل يمنعه [من] أن يخذع . فقال عمر : است يخب ولا الخب يخذعني .

عكرمة عن ابن عباس ، قال قال : بينما أنا أمشي مع عمر بن الخطاب في خلافته وهو عامد الحاجة له وفي يده الدرة ، فأنا أمشي خلفه وهو يحدث نفسه

٢٠ (١) هو أبو الأشهب المطاردى جعفر بن حيان . (انظر المعارف) .

(٢) هو الحسن البصري .

(٣) هو عوانة بن الحكم الكلابي .



ويضرب وحشياً قدميه بديرته ، إذ التفت إلى ، فقال : يا ابن عباس ، أندري ما حملني على مقالتي <sup>(١)</sup> التي قلت يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا . قال : الذي حملني على ذلك أنني كنت أقرأ هذه الآية : (وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) فوالله إني كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمته حتى يشهد علينا بأخف أعمالنا ، فهو الذي دعاني إلى ما قلت .

أبن دأب قال : قال ابن عباس : خرجت أريد عمر في خلافته ، فالفيتته راكباً على حمار قد أرسنه بحبل أسود ، وفي رجله نعلان مخصوفتان ، وعليه إزار قصير وقميص قصير ، قد أنكشفت منه ساقاه ، فشبت إلى جنبه وجعلت أجيد الإزار عليه ، فجعل يضحك ويقول : إنه لا يطيعك . حتى أتى العالية ، فصنع له قوم طعاماً من خبز ولحم ، فدعوه إليه ، وكان عمر صائماً ، فجعل يئبد إلى الطعام ويقول : كل لي ولك .

ومن حديث ابن وهب عن الليث [ بن سعد ] : أن أبا بكر لم يكن يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يجرى عليه من الفداء درهما ، إلا أنه أستاذ منه مالاً ، فلما حضرته الوفاة أمر عائشة برده . وأما عمر بن الخطاب فكان يجرى على نفسه درهمين كل يوم . فلما ولي عمر بن عبد العزيز قيل له : لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب ؟ قال : كان عمر لا مال له ، وأنا مالى بغنيتي ؛ فلم يأخذ منه شيئاً .

(١) يريد مقالته : إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ، ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، قد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات . والله ليرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليقطن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

أبو حاتم عن الأصمعي ، قال : قال عمر وقام على الرِّدم<sup>(١)</sup> : أين حَقَّك يا أبا سفيان مما هنا ؟ قال : مما تحت قدميك إلى . قال : طالما كنت قديمَ الظلم ، ليس لأحد فيما وراء قدمي حق ، إنما هي منازل الحاج .  
قال الأصمعي : وكان رجلٌ من قريش قد تقدَّم صدرٌ من داره عن قدمي عمر فهدمه . وأراد أن يُغَوِّر البئر ، فقبل له : في البئر للناس منفعة ، فتركها .  
قال الأصمعي : إذا ودَّع الحاجُّ نم بات خلفَ قدمي عمر لم أرَ عليه أن يرجع .  
يقول : قد خرج من مكة .

### مقتل عمر

أبو الحسن : كان للمغيرة بن شعبة غلام نصراني يقال له : فيروز أبو لؤلؤة ، وكان نجاراً لطيفاً ، وكان خِراجُه<sup>(٢)</sup> ثقيلاً ، فشكا إلى عمر ثقل الخراج ، وسأله أن يكلم مولاَه أن يُخَفِّف عنه من خِراجِه ، فقال له : وكم خِراجك ؟ قال ثلاثة دراهم في كل شهر . قال وما صناعتك ؟ قال : نجار . قال : ما أرى هذا ثقيلاً في مثل صناعتك . فخرج مُغَضِّباً ، فأستلَّ<sup>(٣)</sup> خنجرًا محدودَ الطرفين . وكان عمر قد رأى في المنام ديكا أحمر ينقره ثلاث نقرات ، فتأوله رجلاً من العجم يقطعنه ثلاثَ طعنات . فقطعنه أبو لؤلؤة بخنجره ذلك في صلاة الصُّبح ثلاثَ طعنات ،  
إحداها بين سُرَّتِه وعانته ، فخرقت الصَّفاق ، وهي التي قتلتَه . وطعن في المسجد معه ثلاثة عشر رجلاً ، مات منهم سبعة . فأقبل رجلٌ من بني تميم ، يقال له خِطَّان ، فألقى كِسَاءه عليه ثم أحتمضنه . فلما علم العليج أنه مأخوذ طعن نفسه . وقَدَّم عمر مُهَيَّيًّا يصلي بالناس ، فقرأ بهم في صلاة الصُّبح : ( قل هو الله أحد ) في الرَّكعة الأولى ، و ( قل يأيُّها الكافرون ) في الرَّكعة الثانية . واحتُمِل عمر إلى بيته ،  
٢٠

(١) الرِّدم : موضع بمكة . (٢) ضبطه التهانوي ، بالعبارة ، بالكسر .

(٣) في بعض الأصول : « فاستعمل » .

فعاش ثلاثة أيام ثم مات . وقد كان أستاذن عائشة أن يُدفن في بيتها مع صاحبيه ، فأجابته وقالت : والله لقد كنت أردت ذلك المضع لنفسي ولأثرته اليوم على نفسي . فكانت ولاية عمر عشر سنين . صلى عليه صهيب بين القبر والمنبر ، ودُفن عند غروب الشمس كاتبه : زيد بن ثابت ، وكتب له معيقب أيضا . وحاجبه : يرفأ ، مولاه . وخازنه : يسار . وعلى بيت ماله : عبد الله ابن الأرقم .

وقال الليث بن سعد : كان عمر أول من جند الأجناد ، ودوّن الدواوين ، وجعل الخلافة شورى بين ستة من المسلمين ، وهم : علي وعثمان وطاحه والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، ليختاروا منهم رجلا يولونه أمر المسلمين . وأوصى أن يحضر عبد الله بن عمر معهم ، وليس له من أمر الشورى شيء .

#### أمر الشورى في خلافة عثمان بن عفان

صالح بن كيسان قال : قال ابن عباس : دخلت على عمر في أيام طمئنته ، وهو مضطجع على وسادة من آدم ، وعنده جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فقال له رجل : ليس عليك بأس . قال : لئن لم يكن علي اليوم ليكون بعد اليوم ، وإن الحياة لنصيباً من القلب ، وإن الموت لكربة ، وقد كنت أحب أن أنجي نفسي وأنجو منكم ، وما كنت من أمركم إلا كالفرق يرى الحياة فيرجوها ، ويخشى أن يموت دونها ، فهو يركض بيديه ورجليه ؛ وأشد من الفرق الذي يرى الجنة والنار وهو مشغول . ولقد تركت زهرتك كما هي ، ما لبستها فأخلفتها ، ومرتكم يانعة في أكامها ما أكلتها ، وما جنيت ما جنيت إلا لكم ، وما تركت وراني دزها ما عدا ثلاثين أو أربعين درهما ، ثم بكى وبكى الناس معه . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أبشر ، فوالله لقد مات رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو عنك راضٍ ، ومات أبو بكر وهو عنك راضٍ ، وإن المسلمين راضون عنك . قال : المَرُور والله من غررتموه ، أما والله لو أن لي ما بين المشرق والمغرب لافتديتُ به من هَول المَطْلَع .

داود بن أبي هند عن قتادة قال : لما ثقل عمر قال لولده عبد الله : ضَع خَدِّي على الأرض . فَكَرِهَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ . فَوَضَعَ عَمْرُ خَدَّهُ على الأرض ٥ وقال : ويلٌ لعمر ولأم عمر إن لم يَعْفُ الله عنه .

أبو أمية بن يعلَى عن نافع قال : قيل لعبد الله بن عمر : تُفَسِّلُ الشهداء ؟ قال : كان عمر أفضل الشهداء ، فُفَسِّلُ وَكُنْفُ وَصُلِّيَ عليه .

يونس عن <sup>(١)</sup> الحسن ، وهشام بن عروة عن أبيه ، قال <sup>(٢)</sup> : لما طعن عمر بن الخطاب قيل له : يا أمير المؤمنين ، لو استخلفت ؟ قال : إن تركتكم فقد ترككم مَنْ هو خيرٌ مِنِّي ، وإن استخلفتُ فقد استخلف عليكم من هو خيرٌ مِنِّي ، ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيًّا لاستخلفته ، فإن سألتني ربِّي قلت : سمعتُ نبيَّك يقول : إنه أمينُ هذه الأمة ؛ ولو كان سالمٌ مولِيَّ أبي حذيفة حيًّا لاستخلفته ، فإن سألتني ربِّي قلت : سمعتُ نبيَّك يقول : إن سالمًا لِيُحِبَّ الله حُبًّا لو لم يَخْفِه ما عصاه . قيل له : فلو أنك عهدتَ إلى عبد الله فإنه له أهلٌ في دينه وفضله ١٥ وقديم إسلامه . قال : يَحْسَبُ آلُ الخطاب أن يُحَاسِبَ منهم رجلٌ واحد عن أمة محمد صَلَّى الله عليه وسلم ، ولوددتُ أني نَجوتُ من هذا الأمر كفافًا لا لي ولا عليَّ . ثم راحوا فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو عهدتَ ؟ فقال : قد كنتُ أجمعتُ بعد مقالتي لَكُمْ أن أُولَى رجلاً أُمركم أرجو أن يَحْمِلَكُمْ على الحقِّ — وأشار

٢٠ (١) في بعض الأصول : « بن » مكان « عن » . وهو تحريف . وروى عن الحسن البصري يونس بن أبي إسحاق ويونس بن أبي الفرات ؛ كما يروى عنه من أصحابه يونس بن عبيد ، وقد يكون هو المعنى هنا . ( انظر الطبري ) .

(٢) في بعض الأصول : « قال » .

إلى عليّ - ثم رأيتُ أن لا أتحمّلها حتياً وميتاً ، فعليكم بهؤلاء الرّهط الذين  
 قال فيهم النبيّ صلى الله عليه وسلم . إنهم من أهل الجنة ، منهم سعيد بن زيد  
 ابن عمرو بن نفيل ، ولستُ مُدخِله فيهم ، ولكن الستّة : عليّ وعثمان ، أبنا  
 عبد مناف ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
 والزبير ، حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمّته ، وطلحة الخير ،  
 فليختاروا منهم رجلاً ، فإذا ولّوكم والياً فأحسنوا مؤازرته . فقال العباس لعليّ :  
 لا تدخل معهم . قال : أكره الخلاف . قال : إذن ترى ما تسكره . فلما  
 أصبح عمرُ دعا عليّاً وعثمان وسعداً والزبير وعبد الرحمن ، ثم قال : إني نظرتُ  
 فوجدتُكم رؤساء الناس وقادتهم ، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ، وإني  
 لا أخاف الناس عليكم ، ولكني أخافكم على الناس ، وقد قبض رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض ، فأجتمعوا إلى حُجرة عائشة باذنها ،  
 فمشاوروا وأختاروا منكم رجلاً ، وليُصلّ بالناس صُهيّب ثلاثة أيام ، ولا يأتي  
 اليومُ الرابع إلا وعليكم أميرٌ منكم ، ويحضركم عبدُ الله مُشيراً ، ولا شيء له من  
 الأمر ، وطلحةٌ شريككم في الأمر ، فإن قديم في الأيام الثلاثة <sup>(١)</sup> فأحضروه أمرهم ،  
 وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فأمضوا أمرهم . ومن لي بطلحة ؟ فقال سعد :  
 أنا لك به إن شاء الله . ثم قال لأبي طلحة الأنصاري <sup>(٢)</sup> : يا أبا طلحة ، إن الله قد  
 أعزّ بكم الإسلام ، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار وكونوا مع هؤلاء الرّهط  
 حتى يختاروا رجلاً منهم . وقال المقداد بن الأسود الكندي : إذا وضعتموني  
 في حفرتي فاجمع هؤلاء الرّهط حتى يختاروا رجلاً منهم . وقال لصُهيّب : صلّ  
 بالناس ثلاثة أيام ، وأدخل عليّاً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن وطلحة ، إن

(١) في بعض الأصول : « في الثلاثة أيام » .

(٢) هو أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود ، كان من فضلاء الصحابة . مات سنة

أربع وثلاثين ، وقيل غير ذلك . ( انظر الاستيعاب ) .

- حَضَرَ ، [ بيت عائشة ] وأَحْضَرَ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ ، وليس له في الأمر شيء ، وقُمَ على رؤسهم ، فإن اجتمع خمسةٌ على رأى واحد وأبى واحدٌ فاشدَّخ رأسه بالسيف ، وإن اجتمع أربعةٌ فَرَضُوا وأبى الاثنان فأضرب رأسيهما ، فإن رضى ثلاثةٌ رجلاً وثلاثةٌ رجلاً فحَكَّمُوا عَبْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ ، فإن لم يَرْضُوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقيين ، إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس وخرجوا . فقال على قوم معه من بنى هاشم : إن أطيع فيكم قومكم فلن يؤمروكم أبداً . وتلقاه العباس فقال له : عدلتَ عَمَّا . قال له : وما أعلمك ؟ قال : قرن بى عثمان ، ثم قال : إن رضى ثلاثةٌ رجلاً وثلاثةٌ<sup>(١)</sup> رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، [ فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن صهر عثمان ، لا يختلفون ] ، فلو كان الآخرون معى ما نفعانى .
- ١٠ فقال العباس : لم أدفعك فى شيء إلا رجعتَ إلى مستأخراً بما أكره ، أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم [ أن تسأله فيمن ] هذا الأمر فأبيت ، وأشرتُ عليك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعاجل الأمر فأبيت ، وأشرتُ عليك حين سَمَّاكَ عمر فى الشورى أن لا تدخل معهم فأبيت ، فاحفظ عني واحدة : كل ما عَرَضَ عليك القوم فأمسك إلى أن يوتوك ، واحذر هذا الرهط فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به<sup>(٢)</sup> غيرنا . فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدَّى على عثمان أبيهما يصلى عليه . فقال عبد الرحمن : كلا كما يحب الأمر ، لستأمن هذا فى شيء . هذا ضُهِيب ، أستخلفه عمرُ يصلى بالناس ثلاثاً حتى يجتمع الناس على إمام . فصلى عليه ضُهِيب . فلما دُفِنَ عمر جمع المقداد بن الأسود أهل الشورى فى بيت عائشة بإذنهما وهم خمسة ، معهم ابنُ عمر ، وطلحة غائب ،
- ٢٠

(١) فى بعض الأصول : « رجلان ... ورجلان » مكان : « ثلاثة وثلاثة » .

(٢) فى بعض الأصول : « فيه » .

وأمرُوا أبا أطلحة<sup>(١)</sup> فحججهم . وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا  
بالباب ، فحصبهما سعد وأقامهما ، وقال : تريدان أن تقولاً : حضرنا وكُنَّا  
في [ أهل ] الشورى ! فتنافس القوم في الأمر ، وكثر بينهم الكلام ، كلٌّ يرى  
أنه أحقُّ بالأمر . فقال أبو طلحة : أنا كنتُ لأن تدفعوها أخوفَ مني  
لأن تنافسوها<sup>(٢)</sup> ، لا والذي ذهب بنفس محمد لا أزيدكم على الأيام الثلاثة  
التي أمر بها عمر أو أجلس في بيتي . فقال عبد الرحمن : أيكم يخرج منها  
نفسه ويتقلدها على أن يؤلفها أفضلكم ؟ فلم يجبه أحد . قال : فأنا أتخلع منها .  
قال عثمان : أنا أولُ من رضى ، فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم  
يقول : عبدُ الرحمن أمينٌ في السماء أمينٌ في الأرض . فقال القوم : رضينا ،  
وعلى ساكت . فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟ قال : إن أعطيتني مؤثقا  
لتؤثرن الحق ، ولا تتبع الهوى ، ولا تحصى ذارحم ، ولا تألو الأمة نصحاً .  
قال : أعطوني موثيقكم على أن تكونوا معي على من نسل ، وأن ترضوا بما  
أخذتُ لكم . فتوثق بعضهم من بعض وجعلوها إلى عبد الرحمن . فخلأ بعلي ،  
فقال : إنك أحقُّ بالأمر لقربك وسابقتك وحسن أثرك ، ولم تبعد ، فن أحقُّ  
بها بمدك من هؤلاء ؟ قال : عثمان<sup>(٣)</sup> . ثم خلا بعثمان فسأله عن مثل ذلك . فقال :  
على . ثم خلا بسعد ، فقال : عثمان<sup>(٤)</sup> ، ثم خلا بالزبير . فقال : عثمان<sup>(٥)</sup> .

(١) كذا في الطبري . وفي الأصول : « أبا فروة » .

(٢) في بعض الأصول : « لا تندفعوا فإني أخاف أن تنافسوها » مكان قوله « أنا

كنت ... تنافسوها » . (٣) في بعض الأصول : « على » .

(٤) في بعض الأصول : « على » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والطبري .

(٥) زيد في بعض الأصول بعد قوله عثمان ما يأتي : « فقال عمار بن ياسر لعبد الرحمن : إن

أردت أن لا يختلف عليك اثنان فقل عليا . وقال ابن أبي سرح : إن أردت أن

لا يختلف عليك قرشي فقل عثمان . وقال عبد الرحمن : والله ما خلعت نفسي وأنا

أرى فيه خيراً ؛ لأنني علمت أنه لا يلي بعد أبي بكر وعمر أحد يرضى الناس أمره .

فلما أحدث عثمان ما أحدث من تولية الأحداث من أهل بيته وتقديم قرابته ، قيل

لعبد الرحمن : هذا كله فلك ، قال : لم أظن هذا به ، ولكن الله على أن أكلمه

أبدا . فأتى عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان ، ودخل عليه عثمان عائداً ، فتحول عنه

إلى الحائط ولم يكلمه » . ثم اضطربت في سرد الحديث على غير ما أثبتنا فقدمت وأخرت .

- أبو الحسن قال : لما خاف علي بن أبي طالب عبد الرحمن بن عوف والزبير وسعدا أن يكونوا مع عثمان لقي سعدا ومعه الحسن والحسين ، فقال له : ( اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ) . أسألك برحم أبي هذين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرحم عمي حمزة منك أن لا تكون مع عبد الرحمن ظهيرا علي عثمان ، فإني أدلى إليك بما لا يدلى به عثمان . ٥
- ثم دار عبد الرحمن ليلته تلك على مشايخ قريش يشاورهم ، فكأهم يشير بعثمان ، حتى إذا كان في الليلة التي استكمل في صبيحتها الأجل أتى منزل المسور بن مخرمة بعد هجعة من الليل فأيقظه ، فقال : ألا أراك [إلا] نائما ولم أذق في هذه الليالي نوما ، فأنطلق فادع لي الزبير وسعدا ، فدعا بهما . فبدأ بالزبير في مؤخر المسجد ، فقال [ له ] : خل بني عبد مناف لهذا الأمر . فقال : نصيبي لعلي . فقال ١٠ لسعد : أنا وأنت كالآلة فاجعل نصيبك لي فأختار . قال : أما إن اخترت نفسك فنع ، وأما إن اخترت عثمان فعلي أحب إلي منه . قال : يا أبا إسحاق ، إني قد خلعت نفسي منها على أن أختار ، ولو لم أفعل وجعل إلي الخيار ما أردتها ، إني رأيت كأني في روضة خضراء كثيرة العشب ، فدخل فحل لم أر مثله ١٥ فخلا أكرم منه ، فمركأته سهم لا يلتفت إلى شيء مما في الروضة حتى قطعها ، ودخل بعير يتلوه فأتبع أثره حتى خرج إليه من الروضة ، ثم دخل فحل عبقرى يجر خطامه يلتفت يمينا وشمالا ويمضي قصد الأولين ، ثم خرج من الروضة ، ثم دخل بعير رابع قرع في الروضة ، ولا والله لا أكون البعير الرابع ، ولا يقوم بعد أبي بكر وعمر أحد فيرضى الناس عنه . ثم أرسل المسور إلى علي ، وهو لا يشك أنه صاحب الأمر . ثم أرسل المسور إلى عثمان فواجه طويلا حتى ٢٠ فرق بينهما أذان الصبح . فلما صلاوا الصبح جمع إليه الرهط وبعث إلى من حضره من المهاجرين والأنصار ، وإلى أمراء الأجناد ، حتى ارتج المسجد بأهله



فقال : أيها الناس ، إنَّ الناس قد أَحَبُّوا أن تلحق أهلُ الأمصار بأمصارهم وقد عَلِمُوا مَنْ أَمِيرُهُمْ . فقال عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ : إنَّ أَرَدْتَ أَنْ لَا يَخْتَلِفَ الْمُسْلِمُونَ فَبَايَعِ عَلِيًّا . فقال المِقْدَادُ بْنُ الْأَسود : صَدَقَ عَمَّارُ ، إنَّ بَايَعْتَ عَلِيًّا فَلَنَا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا . قال ابنُ أَبِي سَرْحٍ : إنَّ أَرَدْتَ أَنْ لَا يَخْتَلِفَ قَرِيشٌ فَبَايَعِ عُثْمَانَ ، إنَّ بَايَعْتَ عُثْمَانَ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا . فَشَتَمَ عَمَّارُ بْنُ أَبِي سَرْحٍ ، وقال : متى كُنْتَ تَنْصَحُ الْمُسْلِمِينَ ! فَتَكَلَّمَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو أُمَيَّةَ . فقال عَمَّارُ : أيها الناس ، إنَّ اللَّهَ أَكْرَمَنَا بِنَبِيِّنَا وَأَعَزَّنَا بِدِينِهِ ، فَأَنَّى تَهْزِفُونَ هَذَا الْأَمْرَ عَنْ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ! فقال له رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ : لَقَدْ عَدَوْتَ طَورَكَ يَا بَنَ سُمَيَّةَ ، وَمَا أَنْتَ وَتَأْمِيرُ قَرِيشٍ لِأَنْفُسِهَا . فقال سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، أُرْعِ قَبْلَ أَنْ يَفْتِنَ النَّاسُ . [ فقال عبد الرحمن : إني قد نظرت وشاورت ] ، فلا تجعلُ أيها الرهطُ على أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا . ودعا عَلِيًّا فقال : عَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ لَتَعْمَلَنَّ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَسِيرَةِ الْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ ؟ قال : أَعْمَلُ بِمَبْلَغِ عِلْمِي وَطَاقَتِي . ثم دعا عُثْمَانَ ، فقال : عَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ لَتَعْمَلَنَّ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَسِيرَةِ الْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ ؟ فقال : نَعَمْ ، فَبَايَعَهُ . فقال عَلِيٌّ : حُبُّوهُ مُحَابَاةً ، لَيْسَ ذَا بَأْوَلٍ يَوْمَ تَظَاهَرْتُمْ فِيهِ عَلَيْنَا ، أَمَّا وَاللَّهِ مَا وَلَّيْتَ عُثْمَانَ إِلَّا لِيَرْدَ الْأَمْرِ إِلَيْكَ ، وَاللَّهِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ . فقال عبدُ الرحمن : يَا عَلِيٌّ ، لَا تَجْعَلْ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا ، فَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ وَشَاوَرْتُ النَّاسَ فَإِذَا هُمْ لَا يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ أَحَدًا . فخرج عَلِيٌّ وَهُوَ يَقُولُ : سَيَبْلُغُ الْكِتَابُ أَجَلَهُ . فقال المِقْدَادُ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتَهُ مِنَ الَّذِينَ يَقْضُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ . فقال : يَا مِقْدَادُ ، وَاللَّهِ لَقَدْ اجْتَهَدْتُ لِلْمُسْلِمِينَ . قال : لئن كُنْتَ أَرَدْتَ بِذَلِكَ اللَّهَ فَأَتَاكَ اللَّهُ نَوَابَ الْحَسَنِينَ . ثم قال : مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا أُوْنِي أَهْلُ هَذَا الْبَيْتِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ ، [ إني لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلا ما أقول إنَّ أحدا أعلم ] منه ، وَلَا أَقْضَى

بالعدل ، ولا أعرف بالحق ، أما والله لو أجد أعوانا ! قال له عبد الرحمن :  
يا مقداد ، اتق الله فإني أخشى عليك الفتنة .

قال : وقدم طلحة في اليوم الذي بُيع فيه عثمان ، فقبل له : إن الناس  
قد بايعوا عثمان . فقال : أكل قريش رضوا به ؟ قالوا : نعم . وأتى عثمان ،  
فقال له عثمان : أنت على رأس أمرك . قال طلحة : فإن أبيت أردّها ؟ قال :  
نعم . قال : أكل الناس بايعوك ؟ قال : نعم . قال : قد رضيت ، لا أرغب  
عما اجتمعت الناس عليه ، وبايعه .

وقال المنيرة بن شعبة لعبد الرحمن : يا أبا محمد ، قد أصبت إذ بايعت عثمان  
ولو بايعت غيره ما رضينا . قال : كذبت يا أعور ، لو بايعت غيره لباعته  
وقلت هذه المقالة .

١٠

وقال عبد الله بن عباس : ما شئت عمر بن الخطاب يوماً فقال لي :  
يا ابن عباس ، ما يمنع قومك منكم وأنتم أهل البيت خاصة ؟ قلت : لا أدرى .  
قال : لست أدرى ، إنكم فضلتهم بالنبوة ، فقالوا : إن فضلوا بالخلافة مع النبوة  
لم يُبقوا لنا شيئاً ، وإن فضل النصيبين بأيديكم ، بل ما إخالها إلا مجتمعة لكم  
وإن نزلت على رغم أنف قريش .

١٥

فلما أحدث عثمان ما أحدث من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجلة  
من أصحاب محمد ، قيل لعبد الرحمن : هذا عملك ، قال : ما ظننت هذا ، ثم مضى  
ودخل عليه وعاتبه ، وقال : إنما قدّمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر ،  
نخالفتهما وحابيت أهل بيتك وأوطأتهم رقاب المسلمين . فقال : إن عمر كان  
يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله . قال عبد الرحمن : لله على أن  
لا أكلّم أبداً ، فلم يكلمه أبداً حتى مات ، ودخل عليه عثمان عائداً له في مرضه ،  
فتحوّل عنه إلى الحائط ولم يكلمه .

٢٠

ذكروا أن زيادا أوفد ابن حصين<sup>(١)</sup> على معاوية ، فأقام عنده ما أقام ، ثم إن معاوية بعث إليه ليلا ، فخلا به ، فقال له : يا ابن حصين ، قد بلغني أن عندك ذهنا وعقلا ، فأخبرني عن شيء أسألك عنه . قال : سئلي عما بدا لك . قال : أخبرني ما الذي شئت أمر المسلمين وفرق أهواءهم<sup>(٢)</sup> وخالف بينهم ؟ قال : نعم ، قتل الناس عثمان . قال : ما صنعت شيئا . قال : فسير طلحة والزبير وعائشة وقتال علي إياهم . قال : ما صنعت شيئا . قال : فسير طلحة والزبير وعائشة وقتال علي إياهم . قال : ما صنعت شيئا . قال : ما عندي غير هذا يا أمير المؤمنين . قال : فأنا أخبرك ، إنه لم يشئت بين المسلمين ولا فرق أهواءهم [ولا خالف بينهم] إلا الشورى التي جعلها عمر إلى ستة نفر ، وذلك أن الله بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فعمل بما أمره الله به ، ثم قبضه الله إليه ، وقدم أبا بكر للصلاة ، فرضوه لأمر دنيهم إذ رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر دينهم ، فعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بسيرة ، حتى قبضه الله ، وأستخلف عمر ، فعمل بمثل سيرته ، ثم جعلها شورى بين ستة نفر ، فلم يكن رجل منهم إلا رجاها لنفسه ورجاها له قومه ، وتطلعت إلى ذلك نفسه . ولو أن عمر أستخلف عليهم كما أستخلف أبو بكر ما كان في ذلك اختلاف .

وقال المغيرة بن شعبه : إن لعند عمر بن الخطاب ، ليس عنده أحد غيري ، إذا أتاه آت فقال : هل لك يا أمير المؤمنين في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يزعمون أن الذي فعل أبو بكر في نفسه وفيك لم يكن له ، وأنه كان بغير مشورة ولا مؤامرة ، وقالوا : تعالوا نتعاهد أن لا نعود إلى مثلها . قال عمر : وأين هم ؟ قال : في دار طلحة . فخرج نحوهم وخرجت معه ، وما أعلمه يبصرني من شدة الغضب ، فلما رأوا كرهوه وظنوا الذي جاء له . فوقف عليهم ، وقال : أنتم القائلون ما قلتم ؟ والله لن<sup>(٣)</sup> تتحابوا حتى يتحاب الأربعة : الإنسان والشیطان

(١) هو عمران بن حصين .

(٢) في بعض الأصول : « وملائم » مكان « وفرق أهواءهم » .

(٣) في بعض الأصول : « لا » .

- يُغَوِّيه وهو يَلْعَنُه ، والنار والماء يطْفِئُها وهي تُحْرِقُه ، ولم يَبَأَنَّ لَكُمْ بَعْدُ ، وقد  
 أَنَّ مِيعَادُكُمْ مِيعَادُ الْمَسِيحِ <sup>(١)</sup> متى هو خارج . قال : ففَتَفَرَّقُوا فَسَلَكَ كُلُّ وَاحِدٍ  
 مِنْهُمْ طَرِيقًا . قَالَ الْمَغِيرَةُ : ٦ ثُمَّ [ قَالَ لِي : أَذْرِكُ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ فَأَخْبِسَهُ عَلَيَّ .  
 فَقُلْتُ : لَا يَفْعَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ مُفِدٌ <sup>(٢)</sup> . فَقَالَ : أَذْرِكُ . وَإِلَّا قُلْتُ  
 لَكَ يَا ابْنَ الدَّبَّاعَةِ . قَالَ : فَأَذْرَكْتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : قِفْ مَكَانَكَ لِإِمَامِكَ وَأَحْلَمْ ٥  
 فَإِنَّهُ سُلْطَانٌ وَسَيَنْدُمُ وَتَنْدُمُ . قَالَ : فَأَقْبَلَ عُمَرَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا خَرَجَ هَذَا الْأَمْرُ  
 إِلَّا مِنْ تَحْتِ يَدِكَ . قَالَ عَلِيٌّ : أَتَقَى أَنْ لَا <sup>(٣)</sup> تَكُونَ الَّذِي نَطِيعُكَ فَفَقَتَنِيكَ . قَالَ :  
 وَتُحِبُّ أَنْ تَكُونَ هُوَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنَّا نَذْكُرُكَ الَّذِي نَسِيتَ . فَالْتَفَتَ إِلَى  
 عُمَرَ فَقَالَ : أَنْصَرَفَ ، فَقَدْ سَمِعْتَ مِنِّي عِنْدَ الْغَضَبِ مَا كَفَاكَ . فَتَنَحَّيْتُ قَرِيبًا ،  
 وَمَا وَقَفْتُ إِلَّا خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ فَأَكُونَ قَرِيبًا ، فَتَكَلَّمَا كَلَامًا غَيْرَ ١٠  
 غَضْبَانِينَ وَلَا رَاضِيَيْنِ ، ثُمَّ رَأَيْتُهُمَا يَضْحَكَانِ وَتَفَرَّقَا . وَجَاءَنِي عُمَرُ ، فَشَبَّتُ  
 مَعَهُ وَقُلْتُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ، أَغَضَبْتَ ؟ قَالَ : فَأَشَارَ إِلَى عَلِيٍّ وَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا  
 دُعَابَةُ فِيهِ مَا شَكَكْتُ فِي وِلَايَتِهِ ، وَإِنْ نَزَلْتُ عَلَى رَغَمِ أَنْفِ قُرَيْشٍ .
- الْعُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ : إِنَّ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ : كُنْتُ مَعَ مُعَاوِيَةَ فِي دَارِ  
 كِنْدَةَ ، إِذَا أَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَمُحَمَّدٌ ، بَنُو عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقُلْتُ : ١٥  
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَشْعَارًا وَأَبْشَارًا ، وَلَيْسَ مِثْلُهُمْ كَذِبٌ ، وَهُمْ  
 يَزْعُمُونَ أَنَّ آبَاءَهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . فَقَالَ : إِلَيْكَ مِنْ صَوْتِكَ ، فَقَدْ قَرُبَ الْقَوْمُ ، فَإِذَا  
 قَامُوا فَذَكَّرْنِي بِالْحَدِيثِ ، فَلَمَّا قَامُوا قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ  
 مِنَ الْحَدِيثِ ؟ قَالَ : كُلُّ الْقَوْمِ كَانَ يَعْلَمُ وَكَانَ أَبُوهُمْ مِنْ أَعْلَاهُمْ . ثُمَّ قَالَ :  
 قَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَإِنِّي عِنْدَهُ إِذَا جَاءَهُ عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ٢٠  
 وَسَعْدُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، فَاسْتَأْذَنُوا ، فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَدَخَلُوا وَهُمْ يَتَدَانَعُونَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْمَسِيحُ » بِالْهَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

(٢) مُفِدٌ : غَضْبَانٌ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فَوَاللَّهِ مَا غَدَدْتُ أَبْنِيَهُمْ » .

(٣) أَيْ لَوْلَا نَسْكَوْنُ .

وَيَضْحَكُونَ ، فلما رآهم عمرُ نَكَّسَ ، ففعلوا أَنَّهُ على حاجة ، فقاموا كما دخلوا .  
 فلما قاموا أَتبعهم بصره ، فقال : فِتْنَةٌ <sup>(١)</sup> ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِمْ ، وقد كَفَانِي اللَّهُ  
 شَرَّهُمْ . قال : ولم يكن عمر بالزَّجَلِ يُسألُ عَمَّا لَا يُفَسِّرُ . فلما خرجتُ جعلتُ  
 طريقى على عثمان فُحْدِثَتِ الحديثَ وسألته السَّترَ . قال : نعم ، على شريطة .  
 قلت : هـى لك . قال : تَسْمَعُ ما أَخْبَرُكَ به وتَسْكُتُ إذا سَكْتُ . قلت : نعم .  
 قال : ستة يُقَدِّحُ بِهِمْ زِنَادُ الْفِتْنَةِ بِحَرَى الدَّمِ مِنْهُمْ على أربعة . قال : ثم سَكْتُ .  
 وخرجتُ إلى الشام ، فلما قَدِمْتُ على عمر فَحْدِثْتُ مِنْ أَمْرِهِ ما حَدَّثَ ، فلما  
 مضتُ الشُّورى ، ذَكَرْتُ الحديثَ ، فَأَتَيْتُ بَيْتَ عُثْمَانَ وَهُوَ جَالِسٌ وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ ،  
 فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، تَذَكَّرَ الحديثَ الَّذِى حَدَّثْتَنِى ؟ قال : فَأَزَمَ عَلَى الْقَضِيبِ  
 عَضًا ، ثُمَّ أَقْلَعَ عَنْهُ وَقَدْ أَثَّرَ فِيهِ ، فَقَالَ : وَيَحْكُ يَا معاوية ، أَى شَيْءٍ ذَكَرْتَنِى !  
 لَوْلَا أَن يَقُولَ النَّاسُ خَافَ أَن يُؤْخَذَ عَلَيْهِ لَخَرَجْتُ إِلَى النَّاسِ مِنْهَا . قال :  
 فَأَبَى قَضَاءُ اللَّهِ إِلَّا مَا تَرَى .

ومما فَعَّمِ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ أَنَّهُ آوَى طَرِيدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ ، وَلَمْ يُؤْوَهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ ، وَأَعْطَاهُ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَسَيَّرَ  
 أَبَا ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ ، وَسَيَّرَ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسٍ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الشَّامِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ  
 عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ صَلَةً فَأَعْطَاهُ أَرْبَعًا مِائَةَ أَلْفٍ ، وَتَصَدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَهْزُورٍ — مَوْضِعُ سَوْقِ الْمَدِينَةِ — عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَأَقْطَعَهَا الْحَارِثُ بْنُ  
 الْحَكَمِ ، أَخَا مَرْوَانَ ، وَأَقْطَعَ فَذَكَ <sup>(٢)</sup> مَرْوَانَ ، وَهِيَ صَدَقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَافْتَتَحَ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَأَخَذَ خُمْسَهُ فَوَهَبَهُ لِمَرْوَانَ . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ  
 حَنْبَلٍ <sup>(٣)</sup> الْجُمُعَى : ٢٠

(١) فى بعض الأصول : « فتية » .

(٢) انظر الحاشية ( رقم ١ ص ٢١٦ ) من هذا الجزء .

(٣) فى بعض الأصول : « جعل » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والمعارف والطبرى .

فَأَخْلَفُ بِاللَّهِ رَبِّ الْأَنَا . مَا كَتَبَ<sup>(١)</sup> اللَّهُ شَيْئًا سُدِّي  
وَلَكِنْ خُلِقْتُ لَنَا فِتْنَةً . لَكِي نُبْتَلَى بِكَ أَوْ تُبْتَلَى  
فَإِنَّ الْأَمِينِينَ قَدْ بَيَّنَّا . مَنَارًا لِحَقِّ عَلَيْهِ الْهُدَى  
فَمَا أَخْذًا دِرْهَمًا غِيْلَةً . وَمَا تَرَكَ دِرْهَمًا فِي هَوَى  
وَأَعْطَيْتَ مَرْوَانَ خُمْسَ الْعِبَا . دِهْيَاتِ شَاوُكٍ مِنْ شَأَى<sup>(٢)</sup> ٥

### نسب عثمان وصفته

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .  
أُمُّهُ أَرْوَى بِنْتُ كُرَيْزٍ بِنْتُ رَبِيعَةَ بِنْتُ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ . وَأُمُّهَا الْبَيْضَاءُ بِنْتُ  
عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ ، عَمَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ عُثْمَانُ أَبْيَضَ مُشْرَبًا  
صُفْرَةً ، كَأَنَّهَا فِضَّةٌ وَذَهَبٌ ، حَسَنَ الْقَامَةِ ، حَسَنَ السَّاعِدِينَ ، سَبَطَ الشَّعْرَ ،  
أَصْلَعَ الرَّأْسَ ، أَجْمَلَ النَّاسِ إِذَا أَعْتَمَّ ، مُشْرِفَ الْأَنْفِ ، عَظِيمَ الْأَرْزَنِ ، كَثِيرَ  
شَعْرِ السَّاقَيْنِ وَالذَّرَاعَيْنِ ، ضَخْمَ السِّكَرَادِيسِ ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَفْكَبَيْنِ . وَلَمَّا  
أَسَنَّ شَدَّ أَسْنَانَهُ بِالذَّهَبِ ، وَسَلَسَ بَوَؤُهُ ، فَكَانَ يَقْوَضًا لِكُلِّ صَلَاةٍ . وَلِي  
الْخِلَافَةِ مُذْ سَلَخَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ ، وَقُتِلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَبِيحَةَ عِيدِ  
الْأَضْحَى سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ حَسَنٌ :  
١٥

ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُثْوَانَ الشُّجُودَ بِهِ . يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا<sup>(٣)</sup>  
لَنَسْمَعَنَّ وَشَيْكًَا فِي دِيَارِهِمْ<sup>(٤)</sup> . اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَا

فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا . وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ  
سَنَةً . وَكَانَ عَلَى شُرْطَتِهِ — وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ صَاحِبَ شُرْطَةٍ — عُبَيْدُ اللَّهِ

(١) في بعض الأصول : « ما ترك » .

(٢) في بعض الأصول : « تشاء » .

(٣) هذا البيت ليس من أبيات الديوان .

(٤) في الديوان : « في دياركم » .

ابن قنفذ<sup>(١)</sup> . وعلى بيت المال ، عبد<sup>(٢)</sup> الله بن أرقم ، ثم أستمعاه . وكتبه :  
سروان . وحاجبه : حمران ، مولاه .

### فضائل عثمان

سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر ، قال : أصاب الناس مجاعة في  
غزوة تبوك ، فأشترى عثمان طعاماً على ما يصلح العسكر ، وجّهز به عيراً . فنظر  
النبي صلى الله عليه وسلم إلى سواد مُقبل ، فقال : هذا جمل أشقر قد جاءكم  
بميرة<sup>(٣)</sup> . فأنيخت الرّكائب ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إلى السماء  
وقال : اللهم إني قد رضيتُ عن عثمان فارضَ عنه . وكان عثمان حليماً سخياً  
مُحبباً إلى قریش ، حتى كان يقال : « أحبك والرّحمن ، حبّ قریش عثمان » .  
وزوّجه النبي صلى الله عليه وسلم رُقِيّة أبنته ، فماتت عنده ، فزوّجه أم كلثوم  
أبنته أيضاً .

الزهري عن سعيد بن المسيّب<sup>(٤)</sup> ، قال : لما ماتت رُقِيّة جَزَعَ عثمانُ عليها ،  
وقال : يا رسول الله ، انقطع صِهْرِي منك . قال : إنَّ صهرَك مَتَى لا ينقطع ،  
وقد أمرني جبريلُ أن أزوجهك أختها بأمر الله .

عبد الله بن عباس قال : سمعتُ عثمان بن عفان يقول : دخل عليّ رسولُ  
الله صلى الله عليه وسلم في هذا البيت ، فرآني ضجيجاً<sup>(٥)</sup> لأم كلثوم ، فاستعبر<sup>(٦)</sup> .  
فقلت : والذي بعثك بالحق ما أضطجعتُ عليه<sup>(٧)</sup> أننى بعدها . فقال : ليس لهذا

(١) الذي في الاشتقاق لابن دريد : « قنفذ بن عمير بن جدعان » .

(٢) في بعض الأصول : « عبید » .

(٣) في بعض الأصول : « بخير » .

(٤) المسيّب ، كحدث ، بصيغة اسم الفاعل ، ويفتح .

(٥) في بعض الأصول : « ضججعا » .

(٦) في بعض الأصول : « فاستعفر » .

(٧) عليه ، أى على فراش رقية . وفي بعض الأصول : « ما أضجعت على » .

أُستعبرت<sup>(١)</sup> ، فإن الثياب للحى والميت الحجر ، ولو كن يا عثمان عشرين  
لزوجتكم واحدة بعد واحدة .

وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على عثمان فأبى منها ، فشكاه عمر  
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : سيزوج الله أبنيتك خيراً من عثمان ،  
ويزوج عثمان خيراً من أبنيتك . فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة ،  
وزوج أبنته من عثمان بن عفان .

[ومن حديث الشعبي أن النبي عليه السلام] دخل عليه عثمان ، فسوى  
نوبه عليه وقال : كيف لا أستحي ممن تستحي منه الملائكة !

#### مقتل عثمان بن عفان

الرياشي عن الأصمعي قال : كان القواد الذين ساروا إلى المدينة في أمر  
عثمان أربعة : عبد الرحمن بن عديس التميمي ، وحكيم بن جبلة العبدي ،  
والأشتر النخعي ، وعبد الله بن فديك الخزاعي . فقدموا المدينة فحاصروه ،  
وحاصره معهم قوم من المهاجرين والأنصار ، حتى دخلوا عليه فقتلوه والمصحف  
بين يديه . ثم تقدموا إليه وهو يقرأ يوم الجمعة صبيحة النحر ، وأرادوا أن يقطعوا  
رأسه ويذهبوا به ، فرمت نفسها عليه امرأته نائلة بنت الفرافصة ، وابنة شيبه بن  
ربيعة<sup>(٢)</sup> ، فتركوه وخرجوا . فلما كان ليلة السبت أنتدب لدفنه رجال ، منهم : جبير  
ابن مطعم ، وحكيم بن حزام ، وأبو جهم<sup>(٣)</sup> بن حذيفة ، وعبد الله بن الزبير ،  
فوضعوه على باب صغير ، وخرجوا به إلى البقيع ، ومعهم نائلة بنت الفرافصة  
بيدها السراج . فلما بلغوا به البقيع منعهم من دفنه فيه رجال من بني ساعدة ،

١٠ (١) في بعض الأصول : « استغفرت » .

(٢) هي رملة بنت شيبه بن ربيعة . وفي بعض الأصول : « علي » تحريف . ( انظر  
الطبري والطبقات ) .

(٣) في الإصابة والطبقات والطبري : « وأبو جهم » .



فردّوه إلى حُشّ كوكب<sup>(١)</sup> ، فدفنوه فيه ، وصلى عليه جُبَيْر بن مُطْعِم ، ويقال :  
حَكِيم بن حِزَام . ودخلت القبرَ نائلة بنت الفرافصة ، وأمُّ البنين بنت عُيينة<sup>(٢)</sup> ،  
زوجتاه ، وهما دلتاه في القبر .

والحُشّ : البستان . وكان حُشّ كوكب ، اشتراه عثمان ، فجعله أولاده

٥ مقبرة للمسلمين .

يعقوب بن عبد الرحمن : عن محمد بن عيسى الدمشقي عن محمد بن عبد الرحمن  
ابن أبي ذئب عن محمد بن شهاب الزهري قال : قلتُ لسعيد بن المسيّب : هل  
أنت تُخبرني كيف قُتل عثمان ؟ وما كان شأن الناس وشأنه ؟ ولم خذله أصحاب محمد  
صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : قُتل عثمان مظلوماً ، ومن قتله كان ظالماً ، ومن خذله  
كان معذوراً . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : إن عثمان لما ولى كرهه ولايته نفرٌ من  
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن عثمان كان يُحب قومه ، فوَلَّى الناسَ  
أثنى عشرة سنةً ، وكان كثيراً ما يُوتى بنى أمية ، ممن لم يكن له من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم صُحبة ، وكان يجيء من أمرائه ما يُنكره<sup>(٣)</sup> أصحابُ محمد ، فكان  
يُستعْتَب فيهم فلا يعزّهم . فلما كان في الحججِ الآخرة<sup>(٤)</sup> استأثر ببنى عمه فولاهم  
١٥ وأمرهم بتقوى الله ، فخرجوا . وولى عبد الله بن أبي سرح مصرَ ، فكث عليها  
سِنين ، فجاء أهلُ مصر يشكونه ويتظالمون منه . ومن قبل ذلك كانت من عثمان  
هناة إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذرٍّ وعمار بن ياسر . فكانت هُذيل وبنو  
زُهرة في قلوبهم ما فيها لابن مسعود . وكانت بنو غِفَار وأحلافها ومن غَضِبَ لأبي  
ذرٍّ في قلوبهم ما فيها . وكانت بنو تَخْزُوم قد حَنَقَتْ على عثمان بما نال<sup>(٥)</sup> عمار بن

٢٠ (١) كوكب ، الذي أُضيف إليه «حش» اسم رجل من الأنصار . وحش كوكب :  
عند بقيع الفرقد ، اشتراه عثمان بن عفان وزاده في البقيع . (انظر معجم البلدان) .

(٢) في الأصول : « عتبة » .

(٣) في بعض الأصول : « ما يكره » .

(٤) في بعض الأصول : « الباقية » .

٢٥ (٥) في بعض الأصول : « بحال » مكان « بما نال » .

يامر . وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح ، فكتب إليه عثمان كتاباً  
 يتهدده ، فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عثمان عنه ، وضرب رجلاً ممن أتى  
 عثمان ، فقتله . فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل إلى المدينة ، فنزلوا المسجد ،  
 وشكوا إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواقيت الصلاة ما صنع ابن  
 أبي سرح . فقام طلحة بن عبيد الله فكلّم عثمان بكلام شديد . وأرسلت إليه  
 عائشة : قد تقدّم إليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل  
 هذا الرجل فأبيت أن تعزله ، فهذا قد قتل منهم رجلاً ، فأنصفهم من عاملك .  
 ودخل عليه عليّ ، وكان متكلّم القوم ، فقال : إنما سألوكم رجلاً مكان رجل ،  
 وقد أدعوا قبله دماً ، فاعزله عنهم ، وأفض بينهم ، وإن وجب عليه حق فأنصفهم  
 منه . فقال لهم : أختاروا رجلاً أوله عليكم مكانه . فأشار الناس عليهم بمحمد  
 ابن أبي بكر . فقالوا : أستمعل علينا محمد بن أبي بكر . فكتب عهده وولاه ،  
 وأخرج معهم عدّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي  
 سرح . فخرج محمد ومن معه ، فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم  
 بغلام أسود على بعير يخبط الأرض خبطاً ، كأنه رجل يطلب أو يطلب . فقال  
 له أصحاب محمد : ما قصّتك ؟ وما شأنك ؟ كأنك هارب أو طالب . فقال : أنا  
 غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر . فقالوا : هذا عامل مصر معنا .  
 قال : ليس هذا أريد . وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر ، فبعث في طلبه ،  
 فأتى به ، فقال له : غلام من أنت ؟ قال : فأقبل مرّة يقول : غلام أمير  
 المؤمنين ، ومرّة : غلام مروان ، حتى عرفه رجل منهم أنّه لعثمان . فقال له محمد :  
 إلى من أرسلت ؟ قال : إلى عامل مصر . قال : بماذا ؟ قال : برسالة . قال : معك  
 كتاب ؟ قال : لا . ففتشوه فلم يوجد معه شيء إلا إداوة قد ببست فيها شيء .  
 يتقلقل ، فخرّكوه ليخرج فلم يخرج ، فشقوا الإداوة ، فإذا فيها كتاب من عثمان  
 إلى ابن أبي سرح . فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ثم فكّت

الكتاب بمحضهم ، فإذا فيه : إذا جاءك محمد وفلان وفلان فاحتل لقتلهم ، وأبطل كتابهم ، وقرّ على عملك حتى يأتيتك رأى ، واحتبس من جاء يتظلم منك ليأتيتك في ذلك رأى إن شاء الله . فلما قرءوا الكتاب فرغوا وعزموا على الرجوع إلى المدينة ، وختم محمد الكتاب بخواتم القوم الذين أرسلوا معه ، ودفعوا الكتاب إلى رجل منهم ، وقدموا المدينة فجمعوا علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم فكروا الكتاب بسحضر منهم وأخبرهم بقصة الغلام ، وأقرعهم الكتاب . فلم يبق أحد في المدينة إلا خنق على عثمان ، وأزداد من كان منهم غاضباً لأن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر غاضباً وحنقاً ، وقام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلحقوا منازلهم ، ما منهم أحد إلا وهو مغتم بما قرءوا في الكتاب . وحاصر الناس عثمان ، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بن تميم وغيرهم ، وأعان طليحة بن عبيد الله على ذلك . وكانت عائشة تقرّضه<sup>(١)</sup> كثيراً . فلما رأى ذلك على بمث إلى طليحة والزبير وسعد وعمار ونقر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلهم بدرى ، ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير ، وقال له على : هذا الغلام غلامك ؟ قال : نعم . والبعير بعيرك ؟ قال : نعم . والخاتم خاتمك ؟ قال : نعم . فأنت كتبت الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله : ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت الغلام إلى مصر قط . وأما الخط فعرّفوا أنه خط مروان ، وشكّوا في أمر عثمان وسألوه أن يدفع إليهم مروان ، فأبى . وكان مروان عنده في الدار . فخرج أصحاب محمد من عنده غاضباً : وشكّوا في أمر عثمان ، وعلموا أنه لا يحلف باطلاً ، إلا أن قوما قالوا : لا نبرئ عثمان إلا أن يدفع إلينا مروان ، حتى نمتحنه ونعرف أمر هذا الكتاب ، وكيف يأمر بقتل رجال من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق ! فإن بك عثمان كتبه عزلناه ، وإن بك مروان كتبه على لسانه نظرنا

(١) التقرّض : المدح والذم ، والمراد هنا الثانى .

في أسره ، ولزموا بيوتهم . وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان ، وخشى عليه القتل . وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء ، فأشرف عليهم ، فقال : أفيكم علي ؟ قالوا : لا . قال : أفيكم سعد ؟ قالوا : لا . فسكت ثم قال : ألا أحد يبلغ علياً فيسقيناه ماء ؟ فبلغ ذلك علياً ، فبعث إليه ثلاث قِربَ مملوءة ماء ، فما كادت تصل إليه ، وجرح بسببها عِدَّة من موالى بنى هاشم وبنى أمية ، حتى وصل إليه الماء . ٥ فبلغ علياً أن عثمان يراد قتله ، فقال : إنما أردنا منه مروان ، فأما قتل عثمان فلا . وقال للحسن والحسين : أذهبا بسيئتيكما حتى تقوموا على باب عثمان فلا تدعأ أحداً يصل إليه بمكروه . وبعث الزبيرُ ولده ، وبعث طلحةُ ولده على كره منه . وبعث عِدَّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم لينمعو الناس أن يدخلوا على عثمان ، وسألوه إخراج مروان . ورعى الناس عثمان بالسهم حتى خُضب الحسن بن علي بالدماء على بابه ، وأصاب مروان سهمٌ في الدار ، وخُضب محمد بن طلحة ، وشُجَّ قنبر ، مولى علي . وخشى محمد بن أبي بكر أن تعصب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها ، فأخذ بيدى رجلين فقال لهما : إذا جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن والحسين كشف الناس عن عثمان وبطل ما تريد ، واسكن مروان بنا حتى نتسورَ عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد . فتسورَ محمد بن أبي بكر وصاحبا من دار رجل من الأنصار . ويقال من دار محمد بن حزم الأنصارى . ومما يدل على ذلك قولُ الأحرص : لا ترثين الحزيم ظفرت به طراً ولو طرح الحزيم في النار (١) الناخسين بمروان بذى خُشب والمُدخلين على عثمان في الدار (٢)

٢٦٥  
٢

(١) انظر الأغاني (ج ١ ص ٢٣ ، ج ٤ ص ٢٣٨) طبعة دار الكتب فيين الروايتين خلاف .

(٢) ذوخشب : دار على مسيرة ليلة من المدينة . والناخسين بمروان . يريد الطاردين لمروان

والمزبحين له ؟ يقال : نخس بفلان ، إذا نخس دابته من خلفه وطرده وسيره في البلاد .

يشير إلى قصة طرد مروان من ذي خُشب بعد أن مضى إليها ونخس حرث رقاصة

به حتى كاد يسقط عن ناقته . (انظر الأغاني ج ١ ص ٢٣ طبعة دار الكتب) . ٢٥

فدخلوا عليه وليس معه إلا امرأته نائلة بنت الفرافصة ، والمصحف في حجره ، ولا يعلم أحد ممن كان معه ، لأنهم كانوا على البيوت . فتقدم إليه محمد وأخذ بلحيته ، فقال له عثمان : أرسل لحيتي يا بن أخي فلو رآك أبوك لساء مكانك . فتراخت يده من لحيته ، وعمر الرجلين فوجاه بمشاقص معهما حتى قتلاه ، وخرجوا هاربين من حيث دخلوا . وخرجت امرأته فقالت : إن أمير المؤمنين قد قتل . فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحا ، فأكبوا عليه يبكون . وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة ، فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا ، فأسترجعوا . وقال علي لأبنائه : كيف قتل أمير المؤمنين وأتما على الباب ؟ ورفع يده فلطم الحسين ، وضرب صدر الحسن ، وشتم محمد بن طلحة ، ولعن عبد الله بن الزبير . ثم خرج علي وهو غضبان يرى أن طلحة أعان عليه . فلقبه طلحة فقال : مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين ؟ فقال : عليك وعليهما لعنة الله ، يقتل أمير المؤمنين ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدرى ، ولم تقم بينة ولا حجة ! فقال طلحة : لودفع مروان لم يقتل . فقال : لودفع مروان قتل قبل أن تثبت عليه حجة . وخرج علي فأتى منزله . وجاءه القوم كلهم يهرعون إليه ، أصحاب محمد وغيرهم ، يقولون : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . فقال : ليس ذلك إلا لأهل بدر ، فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليا ، فقالوا : ما نرى أحدا أولى بها منك ، فمد يدك نبأبعك . فقال : أين طلحة والزبير وسعد ؟ فكان أول من بايعه طلحة بلسانه ، وسعد بيده . فلما رأى ذلك علي خرج إلى المسجد ، فصعد المنبر ، فكان أول من صعد طلحة فبايعه بيده ، وكانت إصبه شلاء ، فتطير منها علي ، وقال : ما أخلقه أن ينسكت . ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي جميعا . ثم نزل ، ودعا الناس ، وطلب مروان فهرب منه .

وخرجت عائشة باكية تقول : قُتل عثمان مظلوما ! فقال لها عمار : أنتِ بالأمس تُحرضين عليه ، واليوم تبكين عليه ! وجاء عليٌّ إلى امرأة عثمان ، فقال لها : من قتل عثمان ؟ قالت : لا أدري ، دخل رجلان لا أعرفهما إلا أن أرى وجوههما ، وكان معهما محمد بن أبي بكر ، وأخبرته بما صنع محمد بن أبي بكر . فدعا عليٌّ بمحمد ، فسأله عما ذكرت امرأة عثمان . فقال محمد : لم تكذب ، وقد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله ، فذكر لي أبي ، فقمت وأنا تائب ، والله ما قتلته ولا أمسكته . فقالت امرأة عثمان : صدق ، ولكنه أدخلهما .

المُعتمر عن أبيه عن الحسن : إن محمد بن أبي بكر أخذ بلحية عثمان ، فقال له : يابن أخي ، لقد قعدت متى مقعداً ما كان أبوك ليقعده . وفي حديث آخر : إنه قال : يابن أخي ، لوراك أبوك لساءه مكانك . فأستترخت يده ، وخرج ١٠ محمدٌ . فدخل عليه رجلٌ والمصحف في حجره ، فقال له : بيني وبينك كتابُ الله ، فخرج وتركه . ثم دخل عليه آخر ، فقال : بيني وبينك كتابُ الله ، فأهوى إليه بالسيف ، فألقاه بيده ، فقطعها . فقال : أما إنها أول يد خطت المُفَصَّل (١)

٢٦٦  
٢

#### ١٥ القواد الذين أقبلوا إلى عثمان

الأصمعي عن أبي عوانة قال : كان القواد الذين أقبلوا إلى عثمان : علقمة ابن عثمان ، وكنانة بن بشر ، وحكيم بن جبلة ، والأشتر النخعي ، وعبدُ الله ابن بُذيل .

وقال أبو الحسن : لما قدم القواد قالوا لعلّي : قم معنا إلى هذا الرجل . قال : لا والله لا أقوم معكم . قالوا : فلم كتبت إلينا ؟ قال : والله ما كتبتُ إليكم كتاباً قط . قال : فنظر القوم بعضهم إلى بعض ، وخرج عليٌّ من المدينة .

٢٠

(١) المُفَصَّل : القرآن . وكان عثمان من كتاب الوحي .

الأعمش عن عُيينة عن مسروق قال : قالت عائشة : مُصْتَمَوْهُ <sup>(١)</sup> مَوْصُ الإِنَاءِ  
حتى تركتموه كالشَّوْبِ الرَّحِيضِ <sup>(٢)</sup> نَقِيًّا مِنَ الدَّنَسِ ، ثُمَّ عَدَوْتُمْ فَقَتَلْتُمُوهُ ! فَقَالَ  
مَرْوَانُ : فَقُلْتُ لَهَا : هَذَا عَمَلُكَ ، كَتَبْتَ إِلَى النَّاسِ تَأْمُرِيهِمْ بِالْخُرُوجِ عَلَيْهِ .  
فَقَالَتْ : وَالَّذِي آمَنَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَكَفَرَ بِهِ الْكَافِرُونَ مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ بِسِوَادِ فِي  
بَيَاضٍ ، حَتَّى جَلَسْتُ فِي مَجْلِسِي هَذَا . فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ كُتِبَ عَلَى لِسَانِ  
عَلِيٍّ وَعَلَى لِسَانِهَا ، كَمَا كُتِبَ أَيْضًا عَلَى لِسَانِ عُثْمَانَ مَعَ الْأَسْوَدِ إِلَى عَامِلِ مِصْرَ .  
فَكَانَ اخْتِلَافُ هَذِهِ الْكُتُبِ كُلِّهَا سَبَبًا لِلْفِتْنَةِ .

وقال أبو الحسن : أَقْبَلُ أَهْلَ مِصْرَ عَلَيْهِمُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَلَوِيُّ ،  
وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلَيْهِمُ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ الْقَبْدِيُّ ، وَأَهْلُ الْكُوفَةِ عَلَيْهِمُ الْأَشْجَرُ  
١٠ — وَأَسْمُهُ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ النَّخَعِيُّ — فِي أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ .

قال أبو الحسن : لَمَّا قَدِمَ وَفَدُ أَهْلُ مِصْرَ دَخَلُوا عَلَى عُثْمَانَ فَقَالُوا : كَتَبْتَ  
فِينَا كَذًا وَكَذَا ؟ قَالَ : إِنَّمَا هُمَا أَتْنَتَانِ ، أَنْ تُقِيمُوا رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،  
أَوْ يَمْنِيَنَّ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا كَتَبْتُ وَلَا أَثْنَيْتُ وَلَا عَلِمْتُ ، وَقَدْ  
يُكْتَبُ الْكِتَابُ عَلَى لِسَانِ الرَّجُلِ ، وَيُنْقَشُ الْخَاتَمُ عَلَى الْخَاتَمِ . قَالُوا : قَدْ  
١٥ أَحْلَى اللَّهُ دَمَكَ ، وَحَصَرُوهُ فِي الدَّارِ . فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى الْأَشْجَرِ ، فَقَالَ لَهُ :  
مَا يَرِيدُ النَّاسُ مِنْي ؟ قَالَ : وَاحِدَةٌ مِنْ ثَلَاثٍ لَيْسَ عَنْهَا بُدٌّ . قَالَ : مَا هِيَ ؟ قَالَ :  
يُخَيِّرُونَكَ بَيْنَ أَنْ تَخْلَعَ لَهُمْ أَمْرَهُمْ فَتَقُولَ : هَذَا أَمْرُكُمْ فَقَلَّدُوهُ مِنْ شَتْمٍ ؛ وَإِمَّا أَنْ  
تَقْتَصَّ مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَإِنْ أَبَيْتَ فَالْقَوْمُ قَاتِلُوكَ . قَالَ : أَمَا أَنْ أَخْلَعَ لَهُمْ أَمْرَهُمْ ،  
فَمَا كُنْتُ لِأَخْلَعَ سِرًّا لَا سِرَّ بَلَنِيهِ اللَّهُ فَتَكُونَ سُنَّةً مِنِّي بَعْدِي ، كَمَا كَرِهَ الْقَوْمُ  
٢٠ إِمَامَهُمْ خَلَعُوهُ ؛ وَأَمَا أَنْ أَقْتَصَّ مِنْ نَفْسِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ صَاحِبِي بَيْنَ

(١) الموص : غسل لين ، والدلك باليد .

(٢) الرحيض : الفسول . وفي بعض الأصول : « الرحض »

يدى قد كانا يُعاقبان ، وما يقوى بدنى على القصاص ؛ وأما أن تقتلوني ، فلئن قتلتموني لا تتجاثون بعدى أبداً ولا تُصلّون بعدى جميعاً أبداً .

قال أبو الحسن : فوالله لن يزالوا على التّوى جميعاً ، وإن قلوبهم مختلفة .

وقال أبو الحسن : أشرف عليهم عثمان وقال : إنه لا يحل سفك دم امرئ

- مُسلم إلا في إحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس ، فهل أنا في واحدة منهن ؟ فما وجد القوم له جواباً . ثم قال : أنشدكم الله ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حِراء ومعه تسعة من أصحابه أنا أحدهم ، فنزلزل الجبلُ حتى همت أحجاره أن تتساقط ، فقال : اسكن حِراء ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : شهدوا لي وربّ السكبة .

١٠

قال أبو الحسن : أشرف عليهم عثمان فقال : السلام عليكم ، فما ردّ أحدٌ عليه السلام . فقال : أيها الناس ، إن وجدتم في الحق أن تضعوا رجلي في القبر فضمّوها . فما وجد القوم له جواباً . ثم قال : أستغفر الله إن كنت ظلمتُ ، وقد غفرتُ إن كنت ظلمت .

- يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عاصم بن ربيعة قال : كنتُ مع عثمان في الدار فقال : أعزم على كل من رأى أن لي عليه سماعاً وطاعة أن يكف يده ويُلق سلاحه . فألقى القوم أسلحتهم .

- ٢٦٧  
٣ ابن أبي عروبة عن قتادة : إن زيد بن ثابت دخل على عثمان يوم الدار ، فقال : إن هذه الأنصار بالباب وتقول : إن شئتُ كنّا أنصار الله مرتين . قال : لا حاجة لي في ذلك ، كُفّوا .

٢٠

ابن أبي عروبة عن يعلى بن حكيم عن نافع : إن عبد الله بن عمر لبس



دِرْزَعَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ يَوْمَ الدَّارِ ، فَمَزَمَ عَلَيْهِ عُمَانُ أَنْ يَخْرُجَ وَيَضَعَ سِلَاحَهُ وَيَكُنَّ يَدُهُ ، فَفَعَلَ .

مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ قَالَ قَالَ سَلِيطُ : نَهَانَا عُمَانُ عَنْهُمْ ، وَلَوْ أَذِنَ لَنَا عُمَانُ فِيهِمْ لَضَرَبْنَا هَمَّ حَتَّى نُخْرِجَهُمْ مِنْ أَقْطَارِنَا .

### مَا قَالُوا فِي قَتْلَةِ عُمَانِ

الْعُتْبِيُّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثَ : لَقِيتُ الزُّبَيْرَ قَادِمًا ، فَقُلْتُ : أبا عبد الله ، مَا بِالْأُكْ؟ قَالَ : مَطْلُوبٌ مَغْلُوبٌ ، يَغْلِبُنِي أُنْبَى ، وَيَطْلِبُنِي ذَنْبِي . قَالَ : فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَقُلْتُ : أبا إسحاق ، مَنْ قَتَلَ عُمَانَ ؟ قَالَ : قَتَلَهُ سَيْفٌ سَلَّمَتْهُ عَائِشَةُ ، وَشَحَذَهُ طَلْحَةُ ، وَسَمَّاهُ عَلِيٌّ . قُلْتُ : فَمَا حَالُ الزُّبَيْرِ ؟ قَالَ : أَشَارَ بِيَدِهِ وَصَمَّتْ بِلِسَانِهِ .

وَقَالَتِ عَائِشَةُ : قَتَلَ اللَّهُ مَذْمُومًا بِسَمِيحَةٍ عَلَى عُمَانِ ، تَرِيدُ مُحَمَّدًا أَخَاهَا ، وَأَهْرَقَ دَمَ ابْنِ مُبْدِيلٍ عَلَى ضَلَالَتِهِ ، وَسَاقَ إِلَى أَعْيُنِ بَنِي تَمِيمٍ هَوَانًا فِي بَيْتِهِ ، وَرَمَى الْأَشْتَرِ بِسَهْمٍ مِنْ سَهَامِهِ لَا يُشَوِّى . قَالَ : فَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَدْرَكَتْهُ دَعْوَةُ عَائِشَةَ .

سَمْعِيَانُ الثَّوْرِيُّ قَالَ : لَقِيَ الْأَشْتَرُ مَسْرُوقًا فَقَالَ لَهُ : أبا عائشة ، مَا لِي أَرَاكَ غَضَبِيَانٍ عَلَى رَبِّكَ مِنْ يَوْمِ قَتَلَ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ ؟ لَوْ رَأَيْتَنَا يَوْمَ الدَّارِ وَنَحْنُ كَأَحْبَابِ عِجْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ !

وَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ لِعُمَارِ بْنِ يَاسِرٍ : تَقَدَّ كُنْتُ عِنْدَنَا مِنْ أَفْضَلِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِكَ إِلَّا ظِمٌّ الْحَمَارِ<sup>(١)</sup> فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ، يُعْرِضُ لَهُ

٢٠ (١) هُوَ أَعْيُنُ بْنُ ضَبِيعَةَ الْمَجَاشِعِيِّ ، مِنْ بَنِي تَمِيمٍ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : هُوَ أَعْيُنُ بْنُ تَمِيمٍ . تَحْرِيفٌ . ( انْظُرِ الطَّبْرِي ) .

(١) مِنْ أَمْتَانِهِمْ : أَقْصَرُ مِنْ ظِمٍّ الْحَمَارِ ، لِأَنَّهُ لَا يَصْبِرُ عَلَى الْعَطَشِ أَكْثَرَ مِنْ يَوْمٍ . وَالظِمُّ : مَا بَيْنَ الْقَمَرَيْنِ ، طَوِيلًا كَانَ أَوْ قَصِيرًا . وَأَقْصَرُ الْأَطْيَاءِ ظِمٌّ الْحَمَارِ . يَرِيدُ : لَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِكَ إِلَّا يَسِيرٌ .

بقتل عثمان . قال عمار : أى شئ أحب إليك ؟ مودة على دَخَلَ أو هَجَرَ جميل ؟  
قال : هَجَرَ جميل . قال : فله على ألا أكلمك أبدا .

دخل المغيرة بن شعبه على عائشة فقالت : يا أبا عبد الله ، لو رأيتنى يوم الجمل  
وقد نفذت النصال<sup>(١)</sup> هودجى حتى وصل بعضها إلى جلدى . قال لها المغيرة :  
وددت والله أن بعضها كان قتلك . قالت : يرحمك الله ، ولم تقول هذا ؟ قال :  
لعلها تكون كفارة في سعيك على عثمان . قالت : أما والله لئن قلت ذلك لما علم  
الله أنى أردت قتله ، ولكن علم الله أنى أردت أن يُقاتل فقتلت ، وأردت  
أن يُرمى فرميت ، وأردت أن يُعصى فعصيت ، ولو علم منى أنى أردت  
قتله لأقتلت .

وقال حسان بن ثابت لعلى : إنك تقول : ما قتلت عثمان ولكن خذلته ،  
ولم أمر به ولكن لم أنه عنه ، فانخاذل شريك القاتل ، والساكت شريك القاتل .  
أخذ هذا المعنى كعب بن جعيل التغلبي ، وكان مع معاوية يوم صفين ، فقال  
في على بن أبي طالب :

وما في على لمستحدث<sup>(٢)</sup> مقال سوى عصمه<sup>(٣)</sup> المحدثينا  
وإيثاره<sup>(٤)</sup> لأهالى الذنوب ورفع القصاص عن القاتلينا  
إذا سئل عنه زوى وجهه<sup>(٥)</sup> وعمى الجواب على السائلينا  
فليس براض ولا ساخط ولا فى النّها ولا الأمرينا

(١) يقال : نفذ السهم الرمية ، إذا خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر  
وسأثره فيها . وفى بعض الأصول : « أنفذت النصل » .

(٢) فى الكامل للعبد ( ص ١٨٤ ) طبعة أوربة وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد  
( ج ١ ص ١٥٨ ) : « لمستعجب » .

(٣) فى الكامل وابن أبي الحديد : « ضمه » .

(٤) فى الكامل وابن أبي الحديد : « وإيثاره اليوم أهل » .

(٥) فى الكامل وابن أبي الحديد : « حذا شبهة » . وحدا : ساق .

ولا هو ساء<sup>(١)</sup> ولا سره ولا آمن بعض ذا أن يكونا<sup>(٢)</sup>  
<sup>(٣)</sup> وقال رجل من أهل الشام في قتل<sup>(٤)</sup> عثمان رضى الله تعالى عنه :

خذلته الأنصار إذ حضر المو ت وكانت ثقاة الأنصار  
 صربوا بالبلاء فيه مع النّاس وفي ذاك للبرية عار  
 حُرمة البلاد من حُرْم الاله ووال من الولاية وجار  
 أين أهل الحياء إذ مُنِع الما ء قَدَنه الأسماع والأبصار  
 من عذيري من الزبير ومن طَل حة هاجا أمراً له إعصار  
 تركوا الناس دونهم عبرة العج ل فشبت وسط المدينة نار  
 هكذا زاعت اليهود عن الحسق بما<sup>(٥)</sup> زخرت لها الأخبار  
 ثم وافي محمد بن أبي بكر ر جهاراً وخلفه عمار  
 وعلى في بيته يسأل النّاس من ابتداء وعنده الأخبار  
 باسطاً لتي يريد يديه وعليه سَكينة ووقار  
 يرقب الأمر أن يُزف إليه بالذي سببت له الأقدار  
 قد أرى كثرة الكلام قبيحاً كل قول يشينه إكثار

٥

٢٦٨  
٢

١٠

وقال حسان يرفى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه :

١٥

من سره الموت صبراً لا مزاج له فليأت مأسدة في دار عثماناً  
 صبراً فدى لكم أمي وما ولدت قد ينفع الصبر في المكروه أحياناً  
 لعلكم أن تروا يوماً بمغيفة خليفة الله فيكم كالذي كانا  
 إني لمنهم<sup>(٦)</sup> وإن غابوا وإن شهدوا ما دمت حيّاً وما سُميت حسّاناً

٢٠ (١) ساء، أى ساءه، خذف الهمزة وسهل . وفي الكامل وابن أبي الحديد : « ساء » .

(٢) في الكامل وابن أبي الحديد : « ولا يد من بعض » .

(٣) نسب هذا الشعر في مروج الذهب للمسمودي (ج ١ ص ٤٤٢ طبعة البهية)  
 لحسان بن ثابت .

(٤) في بعض الأصول : « قتلة » (٥) في بعض الأصول : « حسبا » .

(٦) أى إني لمنهم برى . . . ٢٥

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ما كان شأنُ عليٍّ وأبنِ عَفَّانا  
 لتسمعنَ وشيكا في ديارهمُ اللهُ أكبرُ يا ثاراتِ عُثمانَا  
 ضَحَّوْا بأشْمَطِ عُنوانِ السُّجودِ به يُقَطَّعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحًا وقرآنا

### في مقتل عثمان بن عفان

أبو الحسن عن مسleme عن ابن عون<sup>(١)</sup> : كان ممن نصر عُثمانَ سُبُعانةً ، فيهم  
 الحسنُ بنُ عليٍّ ، وعبدُ الله بن الزُّبير . ولو تركهم عُثمانُ لضرُّوهم حتى أخرجوهم  
 من أقطارها .

أبو الحسن عن جُبَيْر بن سِيرين قال : دخل ابنُ بُدَيْلٍ على عُثمانَ وبِيده  
 سيفٌ ، وكانت بينهما شَحْناءٌ ، فضرَّ به بالسيف ، فألقاه بيده فقطَّعها ، فقال :  
 ١٠ أما إنها أولُ كفٍ خَطَّتْ المُفَصَّلَ<sup>(٢)</sup> .

أبو الحسن قال : يومُ قتلِ عُثمانَ يقال له : يومُ الدار . وأغلق على ثلاثة  
 من القتلى : غلامٌ أسود كان لعُثمانَ ، وكفانة بنِ بِشْرٍ ، وعُثمانُ .

أبو الحسن قال : قال سلامة بن رَوْح الخُزاعي لعُمرو بن العاص : كان  
 بينكم وبين الفتنة بابٌ فكسرتُموه فما حَلَمَكم على ذلك ؟ قال : أردنا أن نُخرج  
 الحق من حَفيرة<sup>(٣)</sup> الباطل وأن يكون الناس في الحق سواء .

١٥ مجالد عن الشَّعبي قال : كتب عُثمانُ إلى مُعاوية : أن أمدني . فأمدَّه  
 بأربعة آلاف مع يزيد بن أسد بن كُرز البَجَلِي<sup>(٤)</sup> . فتلَّقاه الناس بقتل عُثمانَ  
 فأنصرف ، فقال : لو دخلتُ المدينة وعُثمانُ حيٌّ ما تركتُ بها مُحْتَلفًا إلا قتلته ،  
 لأن الخاذل والقاتل سواء .

٢٠ قيس بن رافع قال قال زيد بن ثابت : رأيتُ عليًّا مُضطجعاً في المسجد ،

(١) في بعض الأصول : « ابن عوف » .

(٢) المفصل : القرآن . وكان عُثمانُ من كتاب الوحي . (٣) الحفيرة الحفرة .

(٤) في الأصول : « العجل » ، وما أثبتنا من الطبري .

فقلت : أبا الحسن ، إن الناس يَرَوْنَ أنك لو شئت رددت الناس عن عُمان .  
فجلس ، ثم قال : والله ما أمرتهم بشيء ولا دخلتُ في شيء من شأنهم . قال :  
فأنيت عُمان فأخبرته ، فقال :

وَحَرَّقَ قَيْسٌ عَلَى الْبَلَاءِ دَ حَتَّى إِذَا أَضْطَرَمْتُ أَجْذَمًا<sup>(١)</sup>

الفضل عن كثير عن سعيد المقبري قال : لما حَصَرُوا عُمانَ وَمَنَعُوهُ الماءَ ،  
قال الزُّبَيْر : وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ، كما فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ .  
ومن حديث الزُّهري قال : لما قَتَلَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَوْمَ  
الْحَرَّةِ<sup>(٢)</sup> ، قال عبدُ الله بن عمر : فَعَلِمَهُمْ فِي عُمانَ وَرَبَّ السَّكْبَةِ .

ابن سيرين عن ابن عباس قال : لو أمطرت السماء دماً لَقَتَلْتُ عُمانَ لِسكانِ  
قَلِيلًا لَهُ . ١٠

أبو سعيد مولى أبي حذيفة<sup>(٣)</sup> قال : بَعَثَ عُمانُ إِلَى أَهْلِ السَّكُوفَةِ : مَنْ كَانَ  
يُطالِبُنِي بِدِينَارٍ أَوْ دِرْهَمٍ أَوْ لُطْمَةٍ فَلْيَأْتِ بِأَخَذِ حَتْمَهُ ، أَوْ يَتَصَدَّقْ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي  
الْمُتَصَدِّقِينَ . قال : فَبَكَى بَعْضُ الْقَوْمِ ، وَقَالُوا : تَصَدَّقْنَا .

ابن عون<sup>(٤)</sup> عن ابن سيرين قال : لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ عَلَى عُمانَ مِنْ طَلْحَةَ . ١٥

أبو الحسن قال : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : لِيُعْلَبَنَّ مُعَاوِيَةُ وَأَصْحَابُهُ  
عَلِيًّا وَأَصْحَابُهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا) .  
أبو الحسن قال : كَانَ مُنَافَاةُ الْأَنْصَارِيِّ عَامِلًا لِعُمَانِ ، فَلَمَّا أَتَاهُ قَتَلَهُ بِكِي ،

(١) البيت للربيع بن زياد العبسي . والإجذام : الإمراع . يقول : أذهب قيس بن زهير  
لبلاء على فلما استعرت هرب ، وذلك لأن قيساً ترك أرض العرب وانتقل إلى عمان  
بعد إثارة الفتن في سبيل داحس . والذي في الأصول : «أحجما» مكان «أجذما» .  
وما أثبتنا عن شرح الحماسة .

(٢) هي حرة واقم ، إحدى حرق المدينة ، وهي الشرقية . وفي هذه الحرة كانت  
وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ . (انظر معجم البلدان) .

(٣) في الطبري : «أبو سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري» .

(٤) في بعض الأصول : «ابن عوف» . وما أثبتنا عن سائر الأصول والطبري .

وقال : اليوم انتزعت خلافة النبوة من أمة محمد وصار الملك بالسيف ، فمن غلب على شيء أكله .

- أبو الحسن عن أبي مخنف عن عُمير بن وَغلة عن الشعبي : أن نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان كتبت إلى معاوية كتاباً مع النعمان بن بشير ، وبعثت إليه بقميص عثمان مخصوباً بالدماء ، وكان في كتابها : من نائلة بنت الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد : فإني أدعوكم إلى الله الذي أنعم عليكم ، وعلّمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، ونصركم على العدو ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، وأنشدكم الله وأذكركم حقه وحقّ خليفته أن تنصروه بعزم الله عليكم ، فإنه قال : ( وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تنفي إلى أمر الله ) . فإن أمير المؤمنين بُغى عليه ، ولو لم يكن لعثمان عليكم إلا حقّ الولاية لحقّ على كل مسلم رجوا إمامته أن ينصره ، فكيف وقد علمتم قدمه في الإسلام ، وحسن بلائه ، وأنه أجاب الله ، وصدق كتابه وأتبع رسوله ، والله أعلم به إذا انتخبه ، فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة . وإني أقص عليكم خبره ، إني شاهدة أمره كلّ : إن أهل المدينة حصروه ١٥ في داره وخرسوه ليلهم ونهارهم ، قياماً على أبوابه بالسلاح ، يمنعونه من كل شيء قدروا عليه ، حتى تمنعوه الماء ، فكث هو ومن معه خمسين ليلة ؛ وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى عليّ ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وطلحة والزبير ، فأمرهم بقتله ، وكان معهم من القبائل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل وطوائف من جهينة ومزينة وأنباط يثرب ، فهؤلاء كانوا أشدّ الناس عليه . ثم إنه حصر ٢٠ فرشق بالنبل والحجارة ، فجرح ممن كان في الدار ثلاثة نفر معه ، فأتاه الناس يضرخون إليه ليأذن لهم في القتال ، فنهاهم وأمرهم أن يردوا إليهم نبلهم ، فردوها عليهم ؛ فما زادهم ذلك في القتل إلا جراً ، وفي الأمر إلا

إغراقاً، فحرقوا باب الدار. ثم جاء نفرٌ من أصحابه فقالوا: إن ناساً يريدون أن يأخذوا بين الناس بالعدل فاخرج إلى المسجد يأتوك. فانطلق فجلس فيه ساعة وأسلحه القوم مُطلةً عليه من كل ناحية، فقال: ما أرى اليوم أحداً يعدل، فدخل الدار. وكان معه نفرٌ ليس على عاتقهم سلاح، فلبس درعه وقال لأصحابه: لولا أنتم ما لبست اليوم درعى. فوثب عليه القوم، فكلمهم ابنُ الزبير، وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة بعث بها إلى عثمان: عليكم عهدُ الله وميثاقه أن لا تقرُّوه بسوء حتى تكلموه وتخرجوا، فوضع السلاح، ولم يكن إلا وضعه. ودخل عليه القوم يُقدِّمهم محمد بن أبي بكر، فأخذ بلحيته، ودَعَوْهُ بِاللَّعْب. فقال: أنا عبدُ الله وخليفته عثمان. فضربوه على رأسه ثلاث ضربات، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات، وضربوه على مقدم العين فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم، فسقطت عليه وقد أثخنوه وبه حياة، وهم يريدون أن يقطعوا رأسه فيذهبوا به، فأتته ابنةُ شيبه بن ربيعة فألقت بنفسها معه، فوطئها وطئاً شديداً، وعُربنا من حُلِينا. وحُرمة أمير المؤمنين أعظم، فقتلوا أمير المؤمنين في بيته مهجوراً على فراشه. وقد أرسلت إليكم بشو به عليه دمه، فإنه والله إن كان أثم من قتله فما سلم من خذله، فانظروا أين أتم من الله. وأنا أشتكى كل ما مسنا إلى الله عز وجل، وأستضرخ بصالحى عباده. فرحم الله عثمان ولعن قتلته وصرعهم في الدنيا مصارع الحزنى والمذلة، وشقى منهم الصدور.

١٥  
٢٠ أرواحهم. خلف رجال من أهل الشام أن لا يمضوا غسلاً حتى يقتلوا علياً أو تقتل

وقال الفرزدق في قتل عثمان:  
إن الخلاف لما أظعنت ظعنت  
عن أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا  
صارت إلى أهلها منهم ووارثها  
لما رأى الله في عثمان ما أتهكوا

السَّافِكِي دِمِهِ ظُلْمًا وَمَقْصِيَّةً أَيَّ دِمٍ لَا هُدُوءَ مِنْ غِيَمِهِمْ سَفَكُوا  
وقال حسان :

إِنْ تُمَسِّ دَارُ بَنِي عُمَانَ خَاوِيَةً      بَابٌ صَرِيحٌ وَبَيْتٌ مُحَرَّقٌ خَرِبُ  
فَقَدْ يُصَادَفُ بِأَغْنَى الْخَيْرِ حَاجَتَهُ      فِيهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمَجْدُ وَالْحَسَبُ  
يَا مَعْشَرَ النَّاسِ ابْذُؤْا ذَاتَ أَنْفُسِكُمْ      لَا يَسْتَوِي الْحَقُّ عِنْدَ اللَّهِ وَالْكَذِبُ <sup>(١)</sup> ٥

### تبرؤ على من دم عثمان

قال علي بن أبي طالب على المنبر : والله لئن لم يدخل الجنة إلا من قتل عثمان لا دخلتها أبداً ، ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عثمان لا دخلتها أبداً . وأشرف علي من قصر له بالكوفة ، فنظر إلى سفينة في دجلة فقال : والذي أرسلها في بحره مُسَخَّرَةٌ بأمره ما بدأت في أمر عثمان بشيء ، ولئن شاءت بنو أمية لأباهلنهم <sup>(٢)</sup> عند الكعبة خمسين يمينا ما بدأت في حق عثمان بشيء . فبلغ هذا الحديث عبد الملك بن مروان فقال : إني لا أحسبه صادقا .

قال معبد الخزاعي : لقيت عليا بعد الجمل ، فقلت له : إني سألتك عن مسألة كانت منك ومن عثمان ، فإن نجوت اليوم نجوت غداً إن شاء الله . قال : سل عما بدا لك . قلت : أخبرني أي منزلة وسعتك إذ قتل عثمان ولم تنصره ؟ ١٥ قال : إن عثمان كان إماماً وإنه نهى عن القتال ، وقال : مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ فَلَيْسَ مِنِّي ، فلو قاتلنا دونه عصينا . قال : فأى منزلة وسعت عثمان إذ استسلم حتى قتل ؟ قال : المنزلة التي وسعت ابن آدم ، إذ قال لأخيه : ( لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ) . قلت : فهلا وسعتك هذه المنزلة يوم الجمل ؟ قال : إنا قاتلنا يوم الجمل من ظلمنا ، قال ٢٠

(١) انظر ديوان حسان (ص ٢٨) طبعة أوربة . فبين الشعر هنا وهناك خلاف يسير في الألفاظ .

(٢) الباهلة : أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .



الله : (ولمن أنتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيلُ على الذين يظلمون الناسَ ويَبْغون في الأرضَ بغيرِ الحقِّ أولئك لهم عذابٌ أليمٌ . ولمن صبرَ وعَفِرَ إنَّ ذلكَ لمن عَزَمَ الأمورَ) . فقاتلنا نحنَ مَنْ ظَلَمنا وصبرَ عثمانُ ، وذلكَ من عَزَمَ الأمورَ .

- ٥ - ومن حديث بكر بن حماد : إن عبد الله ابن الكواء سأل علي بن أبي طالب يوم صفين ، فقال له : أَخْبِرْنِي عن نَجْرِكَ هذا ، تضرب الناسَ بعضهم ببعض ، أَعهدُ إليك عهدَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أم رأى أُرثأيتَه ؟ قال علي : اللهم إني كنتُ أولَ مَنْ آمَنَ به فلا أكونَ أولَ مَنْ كَذَبَ عليه ، لم يكن عندى فيه عهدٌ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان عندى فيه عهدٌ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لما تركتُ أخا تيمٍ وعدى على منابرها ؛ ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان نبي رحمة ، مَرَضَ أياماً وليالى ، قدَّم أبا بكر على الصلاة ، وهو يرانى ويرى مكانى . فلما توفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، رَضِيناهُ لأمرِ دُنْيانا إذ رَضِيَه رسولُ الله لأمرِ دِيننا . فسَلَّمْتُ له <sup>(١)</sup> وبايَعْتُ وسمعتُ وأطعْتُ ، فكنتُ آخذُ إذا أعطانى ، وأغزو إذا أغزانى ، وأقيم الحدودَ بين يديه . ثم أتته مَنِيَّتُهُ ، فرأى أنْ عمرَ أطوقَ لهذا الأمرِ من غيره ، ووالله ما أراد به المحابة ، ولو أرادها لجعلها فى أَحَدٍ وَلَدِيه . فسَلَّمْتُ له وبايَعْتُ وأطعْتُ وسمعتُ ، فكنتُ آخذُ إذا أعطانى ، وأغزو إذا أغزانى ، وأقيم الحدودَ بين يديه . ثم أتته مَنِيَّتُهُ ، فرأى أنه من استخلف رجلاً فعمل بغير طاعة الله عَذَبَ الله به فى قبره ، فجعلها شُورى بين سِتَّةِ نفرٍ من أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . وكنتُ أَحَدَهُمْ ، فأخذ عبدُ الرحمن مَواثيقنا وعهودنا على أنْ يَخْلَعَ نفسه ويَنظُرَ لعامةِ المسلمين ، فَبَسَطَ يَدَه إلى عثمانَ فبايَعَه . اللهم إن قلتُ إني لم أجِدْ فى نفسى فقد كَذَبْتُ ، ولكننى نظرتُ فى أمرى فوجدتُ طاعَتِي قد تقدَّمتْ مَعْصِيَتِي ، ووجدتُ الأمرَ الذى كان بيدى قد صار بيدَ غيرى . فسَلَّمْتُ وبايَعْتُ وأطعْتُ

(١) فى بعض الأصول : « عليه » .

- وسمعتُ، فكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأقيم الحدود بين يديه .  
ثم نَقِمَ الناس عليه أموراً فقتلوه . ثم بقيتُ اليومَ أنا ومُعاوية ، فأرى نفسي أحقَّ  
بها من مُعاوية ؛ لأنني مُهاجِرٌ وهو أعرابيٌّ ، وأنا ابنُ عمِ رسولِ الله وصهره ،  
وهو طليقُ ابنِ طليق . قال له عبدُ الله بنُ الكَوَّاء : صدقتَ ، ولكن طلحةَ  
والزُّبير ، أما كان لهما في هذا الأمر مثلُ الذي لك ؟ قال : إن طلحةَ والزُّبير  
بايعاني في المدينة ونكثا بيَّعتي بالعراق ، فقاتلتُهما على نكثهما ، ولو نكثا بيعة  
أبي بكر ومُحمَّد لقاتلتُهما على نكثهما كما قاتلتُهما . قال : صدقتَ ، ورجع إليهِ .  
وأستعمل عبدُ الملك بنُ مَرْوان نافعَ بنَ علقمة بنَ صَفْوان على مكة ، فخطب  
ذات يوم ، وأبانُ بنُ عثمان قاعدٌ عند أصلِ المنبر ، فنال من طلحةَ والزُّبير ، فلما  
نزل قال لأبان : أرضعتك من المدهنين في [أمر] أمير المؤمنين ؟ قال : لا ،  
ولكنك سُوتني ، حَسبي أن يكونا بريئين من أمره . وعلى هذا المعنى قال إسحاق  
ابن عيسى : أُعيد عليًّا بالله أن يكون قتلُ عثمان ، وأُعيد عثمان أن يكون قتله  
عليٌّ . وهذا الكلامُ على مذهب قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن أشد الناس  
عذاباً يوم القيامة رجلٌ قتل نبيًّا أو قتله نبيٌّ .
- ١٥ سعيد بن جُبَيْر عن أبي الصَّهْبَاء : إن رجالاً ذكروا عُثمانَ فقال رجلٌ من  
القوم : إني أعرفُ لكم رأيَ عليٍّ فيه . فدخل الرجلُ على عليٍّ ، فقال من  
عثمان ، فقال عليٌّ : دَع عَنْكَ عُثمانَ ، فوالله ما كان بأشرَّنا ، ولكنه وَلِيٌّ فَأَسْتَأْذِرُ  
غَرَمَنَا فَأَسَاءَ الْحَرَمَانُ<sup>(١)</sup> .
- وقال عثمان بن حُنَيْف<sup>(٢)</sup> : إني شهدتُ مشهداً أجمع فيه عليٌّ وعُمَار ومالك  
الأشتر وصَفْصعة ، فذكروا عثمانَ ، فوقع فيه عُمَار ، ثم أخذ مالكٌ لحذاً حَذَوْهُ ،  
٢٠ ووجهُ عليٍّ يَتَمَعَّرُ<sup>(٣)</sup> ، ثم تكلمَ صَعَصعة ، فقال : ما على رجلٍ يقول : كان والله

(١) في بعض الأصول : « نغدنا فأسأنا الحَدْع » .

(٢) في بعض الأصول : « حبيب » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

(٣) يتمعر : يتغير غيظاً .

أَوَّلَ مَنْ وَلِيَ فَاُسْتَأْثِرَ ، وَأَوَّلَ مَنْ تَفَرَّقَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ! فَقَالَ عَلِيٌّ : إِلَى  
أَبَا الْيَقْظَانِ ، لَقَدْ سَبَقَتْ لِعُمَانَ سَوَابِقُ لَا يُعَذِّبُهُ اللَّهُ بِهَا أَبَدًا .

مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ قَالَ : قَالَ لِي عَلِيٌّ يَوْمَ الْجَمَلِ : أَنْطَلِقْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَبْلِغْهُمْ  
كِتَابِي وَقَوْلِي . فَقُلْتُ : إِنْ قَوْمِي إِذَا أَتَيْتُهُمْ يَقُولُونَ : مَا قَوْلُ صَاحِبِكَ فِي عُثْمَانَ ؟  
فَقَالَ : أَخْبِرْهُمْ أَنَّ قَوْلِي فِي عُثْمَانَ أَحْسَنُ الْقَوْلِ ، إِنْ عُثْمَانُ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .  
جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ : مَا عَلِمْتُ أَنْ عَلِيًّا أَتَاهُمْ فِي دَمِ  
عُثْمَانَ حَتَّى يُبَوِّعَ ، فَلَمَّا بَوِّعَ أَتَاهُمُ النَّاسُ .

مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ : إِنِّي عَنْ يَمِينِ عَلِيٍّ يَوْمَ الْجَمَلِ وَابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ يَسَارِهِ ، إِذَا  
سَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : عَائِشَةُ تَلْعَنُ قَتْلَةَ عُثْمَانَ . فَقَالَ عَلِيٌّ : لعن الله  
قَتْلَةَ عُثْمَانَ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ وَالْبَحْرِ وَالْبَرِّ .

#### ما نَقِمَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ

ابْنُ دَابٍ قَالَ : لَمَّا أَنْكَرَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ مَا أَنْكَرُوا مِنْ تَأْمِيرِ الْأَحْدَاثِ  
مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَى الْجَلَّةِ الْأَكْبَارِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالُوا  
لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : هَذَا عَمَلُكَ وَأَخْتِيَارُكَ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ . قَالَ : لَمْ أَظُنْ هَذَا بِهِ .  
وَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي إِنَّمَا قَدَّمْتُكَ عَلَى أَنْ تَسِيرَ فِينَا بِسِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ  
وَعُمَرَ ، وَقَدْ خَالَفْتَهُمَا . فَقَالَ : عَمْرُ كَانَ يَقْطَعُ قَرَابَتَهُ فِي اللَّهِ وَأَنَا أَصْلُ قَرَابَتِي فِي  
اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ : اللَّهُ عَلَى أَنْ لَا أَكَلِّكَ أَبَدًا . فَمَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَهُوَ لَا يُكَلِّمُ  
عُثْمَانَ .

وَلَمَّا رَدَّ عُثْمَانُ الْحَكَمَ بِنَ أَبِي الْعَاصِي ، طَرِيدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَطَرِيدَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : مَا يَنْقِمُ  
النَّاسُ مِنِّي ! إِنِّي وَصَلْتُ رَحِمًا وَقَرَبْتُ قَرَابَةً<sup>(١)</sup> .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عَيْنًا » .

حُصَيْنُ بْنُ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ : مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ مَنْزِلِهِ .  
فَقَالَ : كُنْتُ بِالشَّامِ فَقَرَأْتُ هَذِهِ الْآيَةَ : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا  
يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : إِنَّمَا هِيَ فِي أَهْلِ  
الْكِتَابِ . فَقُلْتُ : إِنَّهَا لَفَيْنَا وَفِيهِمْ . فَبَكَتُنِي إِلَى عُمَانَ : أَقْبِلْ . فَلَمَّا قَدِمْتُ  
رَكِبَتُنِي النَّاسُ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْني قَطً ، فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى عُمَانَ . فَقَالَ : لَوْ  
أَعْتَرَزْتَ فَكُنْتَ قَرِيبًا . فَنَزَلْتُ هَذَا الْمَنْزِلَ ، فَلَا أَدْعُ قَوْلِي ، وَلَوْ أَمَرُوا عَلَى  
عَبْدٍ حَبَشِيٍّ لَأَطَعْتُ .

الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : (وَاتَّقُوا فِتْنَةً  
لَا تُصِيبُنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) . قَالَ : لَقَدْ نَزَلَتْ وَمَا نَذَرِي مِنْ يَخْتَلِفُ لَهَا .  
فَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَلَمْ جِئْتَ إِلَى الْبَصْرَةِ ؟ قَالَ : وَيَحْكُ ، إِنَّمَا  
نَنْظُرُ وَلَا نُبْصِرُ .

أَبُو نَضْرَةَ<sup>(١)</sup> عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : إِنْ نَاسًا كَانُوا عِنْدَ فُسْطَاطٍ  
عَائِشَةٍ وَأَنَا مَعَهُمْ بِمَكَّةَ ، فَمَرَّ بِنَا عُمَانُ ، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا لَعَنَهُ غَيْرِي ،  
فَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَكَانَ عُمَانُ عَلَى الْكُوفَةِ أَجْرًا مِنْهُ عَلَى  
غَيْرِهِ ، فَقَالَ : يَا كُوفِي ، أَنْتُمْ مَنِي ؟ فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ كَانَ يَتَهَدَّدُهُ . قَالَ : فَقِيلَ  
لَهُ : عَلَيْكَ بَطْلَحَةٌ . قَالَ : فَأَنْطَلِقُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُمَانَ . فَقَالَ عُمَانُ : وَاللَّهِ  
لَأَجْلِدَنَّ مِائَةَ سَوْطٍ . قَالَ بَطْلَحَةٌ : وَاللَّهِ لَا تَجْلِدُنِي مِائَةً إِلَّا أَنْ يَكُونَ زَانِيًا .  
قَالَ : وَاللَّهِ لَأَحْرِمَنَّ عَطَاءَهُ . قَالَ : وَاللَّهُ يَرْزُقُهُ .

وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي أَبِي قَتِيْبَةَ<sup>(٢)</sup> عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ : خَرَجَ  
عَلَيْنَا ابْنُ مَسْعُودٍ وَنَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْكُوفَةِ ، وَأَمِيرُ الْكُوفَةِ  
الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، فَقَدِيتُ مِنْ بَيْتِ مَالِكُمْ

(١) هُوَ الْمُنْذَرُ بْنُ مَالِكِ الْعَبْدِيُّ (انظر الطبري وتهذيب التهذيب) .

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ هُنَا . وَفِي سِيَاقِي بَعْدَ قَلِيلٍ : «أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ» . وَقَدْ كَانَتْ

وفاة الأعْمَشِ سنة ١١٥ هـ أَيَّ قَبْلَ وَفاةِ أَبِي قَتِيْبَةَ بِنَحْوِ ثَمَانِينَ سَنَةً .

الليلة مائة ألف لم يأتني بها كتاب من أمير المؤمنين ولم يكتب لي بها برامة .  
قال : فكتب الوليد بن عتبة إلى عثمان في ذلك ، فنزعه عن بيت المال .

ومن حديث الأعشى يرويه أبو بكر بن أبي شذبة قال : كتب أصحاب  
عثمان عيبه وما ينقم الناس عليه في صحيفة ، ثم قالوا : من يذهب بها إليه ؟ قال  
عمار : أنا . فذهب بها إليه . فلما قرأها قال : أرغم الله أنفك . قال : وأنف  
أبي بكر وعمر . قال : فقام إليه فوطئه حتى غشى عليه . ثم ندم عثمان وبعث  
إليه طلحة والزبير يقولان له : اختر إحدى ثلاث : إما أن تغفر ، وإما أن  
تأخذ الأرض<sup>(١)</sup> ، وإما أن تقتص . فقال : والله لا قبلت واحدة منها حتى ألقى  
الله . قال أبو بكر : فذكرت هذا الحديث للحسن بن صالح ، فقال : ما كان  
على عثمان أكثر مما صنع . ١٠

٢٧٣  
٢

ومن حديث الليث بن سعد قال : مرَّ عبد الله بن عمر بحذيفة فقال :  
لقد اختلف الناس بعد نبيهم ، فما منهم أحد إلا أعطى من دينه ما عدا  
هذا الرجل .

وسئل سعد بن أبي وقاص عن عثمان فقال : أما والله لقد كان أحسننا  
وُضوءاً ، وأطولنا صلاة ، وأتقانا لكتاب الله ، وأعظمنا نفقة في سبيل الله .  
نم ولي فأنكروا عليه شيئاً ، فأتوا إليه أعظم مما أنكروا . ١٥

وكتب عثمان إلى أهل الكوفة حين ولّاهم سعيد بن العاص : أما بعد .  
فإني كنت وليتكم الوليد بن عتبة غلاماً حين ذهب شرخه ، وثاب حلمه ،  
وأوصيته بكم ولم أوصكم به ، فلما أعيتكم علانيته طعنتم في سيرته . وقد وليتكم  
سعيد بن العاص ، وهو خير عشيرته ، وأوصيكم به خيراً فأستوصوا به خيراً . ٢٠

وكان الوليد بن عتبة أخا عثمان لأمه ، وكان عامله على الكوفة ، فصلّى بهم  
الصبح ثلاث ركعات وهو سكران ، ثم التفت إليهم فقال : وإن شئتم زدّكم .

فقامت عليه البيّنة بذلك عند عثمان ، فقال اطلحة : قم فاجلده . قال : لم أكن  
من الجالدين . فقام إليه على سجده .  
وفيه يقول الخطيئة :

- شهد الخطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعدو  
(١) ليزيدهم خيراً ولو قُبِلوا لجمعت (٢) بين الشفع والوتر  
مسكوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري
- ابن داب قال : لما أنكر الناسُ على عثمان ما أنكروا واجتمعوا إلى عليّ  
وسألوه أن يلقى لهم عثمان . فأقبل حتى دخل عليه فقال : إن الناس ورائي قد  
كلموني أن أكلك ، والله ما أدري ما أقول لك ، ما أعرف شيئاً تُنكره ،  
ولا أعلمك شيئاً تجهله ، وما ابن الخطاب أولى بشيء من الخير منك ، وما تُصرك  
من عبي ، وما تفعلك من جهل ، وإن الطريق ابين واضح . تعلم يا عثمان أن  
أفضل الناس عند الله إمامٌ عدل ، هُدى وهُدًى ، فأحيا سنة معلومة ، وأمات بدعة  
مجهولة ؛ وأن شر الناس عند الله إمامٌ ضلالة ، ضل وأضل ، فأحيا بدعة مجهولة ،  
وأمات سنة معلومة . وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يُؤتى  
بالإمام الجائر يوم القيامة ليس معه ناصرٌ ولا له عاذرٌ فيلقى في جهنم فيدور دور  
الريحى يترطم بجمرة النار إلى آخر الأبد . وأنا أحذرك أن تكون إمام هذه  
الأمّة المقتول ، يُفتح به باب القتل والقتال إلى يوم القيامة ، يمرّج به أمرهم  
ويعرجون . فخرج عثمان ، ثم خطب خطبته التي أظهر فيها التوبة .
- وكان عليّ كلما أشتكى الناس إليه أمر عثمان أرسل ابنه الحسن إليه ،  
فلما أكثر عليه قال له : إن أباك يرى أن أحداً لا يعلم ما يعلم ، ونحن أعلم بما نفعل ،  
فسكرت عينا . فلم يبعث عليّ ابنه في شيء بعد ذلك .

(١) قبل هذا البيت في الأغاني (ج ٤ ص ١٧٨ طبعة بلاق) :

نادى وقد تمت صلاتهم أزيدكم مثلاً وما يدري

(٢) في الأغاني : « فأبوا أباهب ولو أذنوا \* لقرنت » .

وذكروا أن عثمان صَلَّى المصْرَنَم خَرَجَ إِلَى عَلِيٍّ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ ، وَمَرَّوَانُ  
مَعَهُ ، فَرَأَاهُ ثَقِيلًا . فَقَطَّلِي : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا مَا أَرَى مِنْكَ مَا كُنْتُ أَتُكَلِّمُ بِمَا أُرِيدُ  
أَنْ أَتُكَلِّمَ بِهِ ، وَاللَّهِ مَا أَذْهَبَ إِلَيَّ يَوْمَئِذٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَوْ أَبْغَضُ ، أَوْ يَوْمَ حَيَاتِكَ  
أَوْ يَوْمَ مَوْتِكَ ؟ أَمَّا وَاللَّهِ لَنْ بَقِيَتْ لِي أَعْدَمُ شَأْمًا يَبْغُذُكَ كَغَفَا (١) ، وَيَتَخَذُكَ  
عَضْدًا ، وَلَنْ مِتُّ لِأَجْنَمٍ بِكَ . فَحَظِّي مِنْكَ حَظَّ الْوَالِدِ الْمُسْتَفْقِ مِنَ الْوَلَدِ الْعَاقِ ،  
إِنْ عَاشَ عَقَّهُ ، وَإِنْ مَاتَ فَجَعَلَهُ . فَلَمِيتُكَ جَعَلْتَ لَنَا مِنْ أَمْرِكَ عَلَمًا نَقِفُ عَلَيْهِ  
وَنُصْرَفُهُ ، إِمَّا صَدِيقُ مُسَالِمٍ وَإِمَّا عَدُوٌّ مُعَانِدٍ ، وَلَمْ تَجْعَلْنِي كَالْمُخْتَنِقِ بَيْنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ ، لَا يَرْقَى بِيَدٍ ، وَلَا يَهْبِطُ بِرَجُلٍ . أَمَّا وَاللَّهِ لَنْ قَتَلْتُكَ لَا أَصِيبُ مِنْكَ  
خَلْفًا ، وَلَنْ قَتَلْتُنِي لَا أَصِيبُ مِنِّي خَلْفًا ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَبْقَى بِعَدْلِكَ . قَالَ مَرَّوَانُ :  
أَيُّ وَاللَّهِ وَأُخْرَى ، إِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا وَرَاءَ ظَهْرِنَا حَتَّى تُكْسِرَ رِمَاحُنَا وَتَقْطَعَ  
سَيْوفُنَا ، فَمَا خَيْرُ الْعَيْشِ بَعْدَ هَذَا . فَضَرَبَ عُثْمَانُ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ : مَا يُدْخِلُكَ  
فِي كَلَامِنَا ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : إِنْ وَاللَّهِ فِي شُغْلٍ عَنْ جَوَابِكَ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ  
أَبُو يُوسُفَ : ( فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ) .

٢٧٤  
٢

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ : أَرْسَلَ إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لِي : اكْفِنِي ابْنَ عَمِّكَ .  
فَقُلْتُ : إِنَّ ابْنَ عَمِّي لَيْسَ بِالرَّجُلِ يُرَى لَهُ وَلَكِنَّهُ يَرَى لِنَفْسِهِ ، فَأَرْسَلَنِي إِلَيْهِ  
بِمَا أَحْبَبْتُ . قَالَ : قُلْ لَهُ فَلْيَخْرُجْ إِلَى مَالِهِ بِالْيَتْبَعِ فَلَا أَغْنَمَ بِهِ  
وَلَا يَغْنَمُ بِي . فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : مَا آتَخَذَنِي عُثْمَانُ إِلَّا نَاصِحًا ،  
ثُمَّ أَنشَدَ يَقُولُ :

فَكَيْفَ بِهِ أَنِّي أَدَاوِي جِرَاحَهُ      فَيَدَوِّي فَلَا مُلَّ الدَّوَاءِ وَلَا الدَّاءِ  
أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ لِيَخْتَبِرُ الْقَوْمَ . فَأَتَيْتُ عُثْمَانَ ، فَخَذْتُهُ الْحَدِيثَ كُلَّهُ إِلَّا الْبَيْتَ الَّذِي  
أَنشَدَهُ . وَقَوْلُهُ : إِنَّهُ لِيَخْتَبِرُ الْقَوْمَ . فَأَنشَدَ عُثْمَانُ :

فَكَيْفَ بِهِ أَنِّي أَدَاوِي جِرَاحَهُ      فَيَدَوِّي فَلَا مُلَّ الدَّوَاءِ وَلَا الدَّاءِ  
وَجَعَلَ يَقُولُ : يَا رَحِيمُ ، انصُرْنِي ، يَا رَحِيمُ ، انصُرْنِي ، يَا رَحِيمُ ، انصُرْنِي .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « كَهْفَا » .

قال : فخرج عليّ إلى يَنْبُع ، فسكتب إليه عثمان حين اشتد الأمر : أما بعد .  
فقد بلغ السيل الزُّبى ، وجاوز الحزام الطُّبين ، وطَمِعَ في مَنْ كان يَضْمَنُ  
عن نفسه :

فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيف ولم يغلبك مثل مُغْلَبٍ<sup>(١)</sup>  
فأقبل إلىّ على أيّ أمريك أحببتَ ، وكُن لي أم عليّ ، صديقاً كنت  
أم عدوّاً :  
فإن كنت ما كولا فكن خير آكلٍ وإلا فأدركني ولما أُمِرَّ<sup>(٢)</sup>

### خلافة علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

- قال : لما قُتل عثمان بن عفان ، أقبل الناس يُهْرَعُونَ إلى علي بن أبي طالب  
فتراكت عليه الجماعة في البيعة ، فقال : ليس ذلك إليكم ، إنما ذلك لأهل بَدْر  
ليُبايعوا . فقال : أين طلحة والزبير وسعد ؟ فأقبلوا فبايعوا ، ثم بايعه المهاجرون  
والأنصار ، ثم بايعه الناس . وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة  
سنة خمس وثلاثين ، وكان أول من بايع طلحة ، فكانت إصبعة شلاء ، فتطير  
منها عليّ ، وقال : ما أخلقه أن يَنْسَك . فكان كما قال عليّ رضي الله عنه . ١٥

### نسب علي بن أبي طالب وصفته

هو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وأمه فاطمة  
بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . وصفته ، كان أصلع بطيئاً حمشاً<sup>(٣)</sup> الساقين .

(١) هذا البيت لامرئ القيس من قصيدة مطلعها :

٢٠ خليلي سراي عليّ أم جندب لنقض حاجات الفؤاد المغلب  
( انظر العقد الثمين ص ١١٦ — ١١٧ طبعة أوربة ) .

(٢) هذا البيت من أبيات للمزق العبدى قالها لعمر بن هند . ( انظر ج ٢ ص ١٦٣  
— ١٦٤ من هذه الطبعة ) .

(٣) حمش الساقين : دقيقهما .



صاحبُ شُرطته مَعْقِل بن قيس الرِّياحى ، ومالك بن حَبِيب اليزْجى ، وكانْبهُ  
سعيد بن نمران<sup>(١)</sup> ، وحاجْبُهُ قُنْزَر ، مولاه . وقُتِل يوم الجمعة بالكوفة ، وهو  
خارج إلى المسجد لصلاة الصبح ، لسبع بَقَيْن من شهر رمضان ، فكانت خلافته  
أربع سنين وتسعة أشهر ، صَلَّى عليه ولدهُ الحسن ، ودُفِن بِرَحْبَةِ الكوفة ،  
ويقال في الحِف<sup>(٢)</sup> الحِيرة ، وعُمِّي قبره . واختلف في سنه ، فقال الشعبي : قُتِل  
على رَحْمَةِ الله وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ووُلِدَ على بِمَكَّة في شعب بنى هاشم .

### فضائل على بن أبى طالب

كرم الله وجهه

أبو الحسن قال : أسلم على وهو ابنُ خمس عشرة سنة ، وهو أول من شهد  
أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله . ٢٧٥  
١٠

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ . اللهم  
والِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ . وقال له النبي صَلَّى الله عليه وسلم : أما تَرْضَى  
أن تكون مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ؟ وبهذا الحديث  
سَمَّيْتُ الشَّيْعَةَ عَلَى بن أبى طالب الوَصِيَّ ، وتأولوا فيه أنه أَسْتَخْلَفَهُ عَلَى أُمَّتِهِ إِذْ  
جَعَلَهُ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ؛ لِأَنَّ هَارُونَ كَانَ خَلِيفَةَ مُوسَى عَلَى قَوْمِهِ إِذَا  
غَاب عَنْهُمْ . وقال السيد الحُمَيْرى رحمه الله تعالى : ١٥

إِنِّي أُدِينُ بِمَا دَانَ الْوَصِيُّ بِهِ . وَشَارَكْتُ كَفَّهُ كَفِّي بِصَفِينَا

وَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا وَالْحُسَيْنَ وَالْحُسَيْنَ فَأَلْقَى عَلَيْهِمُ  
كِسَاءَهُ وَضَمَّهُمْ إِلَى نَفْسِهِ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ( إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ  
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ) . فَتَأَوَّلَتِ الشَّيْعَةُ الرِّجْسَ هَاهُنَا بِالْخَوْضِ فِي غَمَرَةٍ<sup>(٣)</sup> ٢٠

(١) كذا في الطبري . والذي في الأصول هنا : « سعيد بن مهران » . وانظر الحاشية

( رقم ٢ ص ١٦٤ ) من هذا الجزء .

(٢) اللحن (بالكسر) : الصقع . (٣) في بعض الأصول : « في عشرة » .

الدُّنْيَا وَكُدُورَتِهَا<sup>(١)</sup> وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْرٍ: لَا أُعْطِينَ الرَّابَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَا يُمَسِّي حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لَهُ. فَدَعَا عَلِيًّا، وَكَانَ أَرْمَدَ، فَتَفَلَّ فِي عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ قِهِ دَاءَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ. فَكَانَ يَلْبَسُ كِسْوَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ وَكِسْوَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ وَلَا يَبْصُرُهُ.

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ: ذُكِرَ عَلِيٌّ عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ، وَلَا رَأَيْتُ أَمْرَأَةً كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرَأَتِهِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَنَا أَخُو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنُ عَمِّهِ، لَا يَقُولُهَا بَعْدِي إِلَّا كَذَابٌ.

الشَّعْبِيُّ قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِثْلَ الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَحَبُّهُ قَوْمٌ فَكَفَرُوا فِي حُبِّهِ، وَأُبْغِضَهُ قَوْمٌ فَكَفَرُوا فِي بُغْضِهِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَبُوهَا خَيْرٌ مِنْهُمَا.

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَسِّمُ بَيْتَ الْمَالِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ حَتَّى لَا يُبْقِيَ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ يُفَرِّشُ<sup>(٢)</sup> لَهُ وَيَقِيلُ فِيهِ. وَيَتِمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ:

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ<sup>(٣)</sup>

كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذَا دَخَلَ بَيْتَ الْمَالِ وَنَظَرَ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الذَّهَبِ

وَالْفِضَّةِ قَالَ:

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: «وَلَنَاتِهَا». (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ: «يَرِشُ».

(٣) هَذَا مِثْلُ، وَأَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ، وَذَلِكَ أَنَّ جَذِيمَةَ أَمْرَأَةَ النَّاسِ أَنْ

يَجْتَنُوا لَهُ الْكُفَاةَ، فَكُلُّ مَنْ وَجَدَ خِيَارًا أَثَرَهُ نَفْسَهُ إِلَّا عَمْرًا. يَقُولُ: هَذَا مَا

اجْتَنَيْتُهُ وَلَمْ أَخَذْ لِنَفْسِي خَيْرًا مَا فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ مَائِلَةٌ إِلَى فِيهِ بِأَكْلِهِ. (انظر

فَرَاهِدَ اللَّائِي ج ٢ ص ٣٤٩).

أَبِيضَى وَأَصْفَرَى وَغُرَى غَيْرَى إِنِّي مِنَ اللَّهِ بِكُلِّ خَيْرٍ  
ودخل رجل على الحسن بن أبي الحسن البصرى فقال : يا أبا سعيد ، إنهم  
يزعمون أنك تبغض علياً . قال : فبكى الحسن حتى أخضلت لحيته ، ثم قال :  
كان علي بن أبي طالب سهماً صائباً من سراحي الله على عدوه ، ورباني هذه الأمة ،  
وذا فضلها وسابقتها ، وذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن  
بالثومة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا الملوثة<sup>(١)</sup> في ذات الله ، ولا السروفة  
لمال الله . أعطى القرآن عزائمه فغاز منه برياض مؤنقة [ وأعلام بيّنة ] ، ذلك  
علي بن أبي طالب يا لُكع .

### يوم الجمل

١٠ أبو اليقظان قال : قَدِمَ طلحةُ بن عُميد الله والزبير بن العوام وعائشة أم  
المؤمنين البصرة . فتلقاهم الناس بأعلى المزبد ، حتى لورموا بحجر ما وقع إلا على  
رأس إنسان ، فتكلم طلحة وتكلمت عائشة ، وكثر اللفظ ، فجعل طلحة يقول :  
أيها الناس ، أنصتوا . وجعلوا يركبونه ولا ينصتون . فقال : أف أف ! فراش  
نار ، وذباب طمع . وكان عثمان بن حنيف الأنصارى عامل علي بن أبي طالب  
على البصرة ، فخرج إليهم في رجاله ومن معه ، فتوقفوا حتى زالت الشمس ، ثم  
أصطلحوا ، وكتبوا بينهم كتاباً أن يكفوا عن القتال حتى يقدم علي بن أبي طالب ،  
وعثمان بن حنيف دار الإمارة والمسجد الجامع وبيت المال ، فكفوا . ووجه  
علي بن أبي طالب الحسن أبنته وعمار بن ياسر إلى أهل الكوفة يستنفرانهم ،  
فتفرعوا سبعة آلاف من أهل الكوفة . فقال لهم عمار : أما والله إنى لأعلم أنها  
زوجته في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها لتتبعوه أو تتبعضوها . وخرج  
علي في أربعة آلاف من أهل المدينة ، فيهم ثمانمائة من الأنصار ، وأربعمائة  
من شهد بيعة الرضوان مع النبي صلى الله عليه وسلم . ورواية علي مع ابنه محمد

(١) في بعض الأصول : « الملوثة » . وانظر ( ج ٢ ص ٢٢٩ ) من هذه الطبعة .

ابن الحنفية ، وعلى ميمنته الحسن ، وعلى ميسرته الحسين ، وعلى الخليل عمار بن ياسر ، وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر ، وعلى المقدمة عبد الله بن عباس . ولواء<sup>(١)</sup> طلحة والزبير مع عبد الله بن حكيم بن حزام ، وعلى الخليل طلحة بن عبيد الله ، وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير . فالتقوا بموضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة يوم الخميس . وكانت الوقعة يوم الجمعة . ٥

وقالوا : لما قدم علي بن أبي طالب البصرة قال لأبن عباس : أنت الزبير ولاتأت طلحة ، فإن الزبير ألين ، وأنت تجد طلحة كالثور عاقصاً بقرنه يركب الصموبة ، ويقول : هي أسهل ، فأقرنه السلام ، وقُلْ له : يقول لك ابن خالك : عرفتنى بالحجاز ، وأنكرتنى بالعراق ، فما عدا ما<sup>(٢)</sup> بدا ؟ قال ابن عباس : فأتيته فأبلغته . فقال : قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ، ودم خليفة ، واجتماع ١٠ ثلاثة ، وأنفراد واحد ، وأم مبرورة ، ومُشاورة العشيرة ، ونشر المصاحف ، نُحِلَّ ما أحلَّت ، ونُحرِّم ما حرَّمت .

وقال علي بن أبي طالب : ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتى أدركه ابنه عبد الله فلفقه عنّا .

وقال طلحة لأهل البصرة وسألوه عن بيعة علي فقال : أدخلوني في حُسٍّ ١٥ ثم وضِعوا اللج على قفي فقالوا : بايع وإلا قتلناك . قوله : اللج ، يريد السيف ، وقوله : قفي ، لغة طيِّ ، وكانت أمّه طائية .

وخطبت عائشة أهل البصرة يوم الجمل فقالت : أيها الناس ، صه صه ، كأنما قطعت الألسن في الأفواه . ثم قالت : إن لي عليكم حُرمة الأمومة ، وحق<sup>(٣)</sup> الموعظة ، لا يتهمني إلا من عصى ربّه . مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ٢٠ سحري ونحري ، وأنا إحدى نسائه في الجنة ، له ادخرني ربّي وسلّمني<sup>(٤)</sup> من كل

(١) في بعض الأصول : « وأبو » . (٢) في بعض الأصول : « مما » .

(٣) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٢٨) من هذا الجزء .

(٤) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٢٩) من هذا الجزء .

بُضْع<sup>(١)</sup> ، وبني مَيْزٍ بَيْنَ مُنَافِقِكُمْ وَمُؤْمِنِكُمْ ، وبني أَرْخَصَ لَكُمْ فِي صَعِيدِ الْأَنْبَاءِ<sup>(٢)</sup> .  
ثم أبي ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَثَانِي أَثْنَيْنِ فِي الْغَارِ ، وَأَوَّلُ مِنْ سُمِّيَ صِدِّيقًا ، مَضَى  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاضِيًا عَنْهُ ، وَطَوَّقَهُ طَوَّقُ<sup>(٣)</sup> الْإِمَامَةِ . ثُمَّ أَضْطَرَبَ  
حَبْلُ الدِّينِ فَفَسَكَ أَبِي بَطْرَفِيهَ ، وَرَتَقَ لَكُمْ أَثْنَاءَهُ<sup>(٤)</sup> ، فَوَقَمَ<sup>(٥)</sup> النِّفَاقَ ، وَأَغَاضَ نَبِيْعَ  
الرَّدَّةِ ، وَأَطْلَأَ مَا حَشَتِ<sup>(٦)</sup> يَهُودَ ، وَأَنْتَمَ يَوْمَئِذٍ جُحِظَ الْعَيُونَ ، تَنْظُرُونَ الْعُدُوَّةَ<sup>(٧)</sup> ،  
وَتَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ، فَرَأَبَ الثَّأْيَ<sup>(٨)</sup> ، وَأَوَذَمَ الْعَطْلَةَ<sup>(٩)</sup> ، وَأَنْتَاشَ<sup>(١٠)</sup> مِنَ الْهُوَّةِ ،  
وَأَجْتَحَى<sup>(١١)</sup> دَفِينَ الدَّاءِ ، حَتَّى أَعْطَنَ الْوَارِدَ<sup>(١٢)</sup> ، وَأَوْرَدَ الصَّادِرَ ، وَعَلَّ  
النَّاهِلَ ، فَتَقَبَّضَهُ اللَّهُ وَاطْمَأَنَّ عَلَى هَامَاتِ النِّفَاقِ ، مُذْ كَيْفًا نَارَ الْحَرْبِ لِلْمُشْرِكِينَ .  
وَأَنْتَظَمْتَ طَاعَتَكُمْ بِحَبْلِهِ . ثُمَّ وَلَّى أَمْرَكُمْ رَجُلًا مَرْغِيًّا إِذَا رُكِنَ إِلَيْهِ ، بَعِيدًا

١٠ (١) كَذَا فِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ ، أَيْ مِنْ كُلِّ نِكَاحٍ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا  
بِكُرَامٍ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ . وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ : « بَضَاعَةٌ » .

(٢) تَغْيِيرٌ إِلَى حَدِيثِ الْإِفْكَ وَنَزُولِ الْوَحْيِ بِبِرَائَتِهَا ، فِيهِ تَمْيِيزُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ وَثَقُوا مِنْ  
بِرَائَتِهَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى اتِّهَامِهَا .

(٣) فِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ : « وَهَفَ » مَكَانَ « طَوَّقَ » وَالْوَهْفُ : الثَّقَلُ . وَفِي لِسَانِ  
الْعَرَبِ ( مَادَهُ وَهَفَ ) : « قَلَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَفَ الْأَمَانَةَ » .  
وَفِي رِوَايَةٍ : وَهَفَ الدِّينَ . أَيْ قَلَدَهُ الْقِيَامَ شَرَفَ الدِّينَ بَعْدَهُ ... وَقِيلَ وَهَفَ  
الْأَمَانَةَ ، ثَقَلَهَا .

(٤) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَبِلَاغَاتِ النِّسَاءِ . وَالرَّتْقُ : ضِدُّ الْفَتْقِ . وَأَثْنَاءُ الشَّيْءِ :  
قَوَاهُ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « وَزَيْنَ لَهُ أَقْيَاهُ » .

(٥) وَقَمَهُ : قَهَرَهُ وَأَذَلَهُ . وَفِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ : « وَقَذَ » . وَالْوَقْذُ : السَّكْسَرُ وَالْدَفْعُ .  
(٦) حَشَّ النَّارَ : أَوْقَدَهَا .

(٧) الْعُدُوَّةُ : الْوُثْبَةُ . وَفِي الْأَصُولِ : « النَّفْرَةُ » . وَمَا أُثْبِتْنَا عَنْ بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ .  
وَانْظُرِ الْحَاشِيَةَ ( رَقْمُ ٨ ص ١٢٩ ) مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

(٨) رَأَبَ : أَصْلُهُ . وَالثَّأْيُ ( بِالْفَتْحِ وَالتَّحْرِيكِ ) : الْإِفْسَادُ .

(٩) الْعَطْلَةُ ( كَفَرَحَةٍ ) مِنَ الدَّلَاءِ : الَّتِي انْقَطَعَ وَذَمُّهَا ، وَهِيَ السِّيُورُ بَيْنَ آذَانِ الدَّلُو  
وَالْعِرَاقِ . وَأَوَذَمَهَا : شَدَّهَا . وَفِيهَا مَرٌّ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ ( ص ١٢٩ ) : « وَأَوَذَ  
مِنْ الْفَلْظَةِ » .

(١٠) أَنْتَاشَ : أَخْرَجَ .

(١١) أَجْتَحَى : اسْتَأْصَلَ .

(١٢) أَعْطَنَ الْوَارِدَ : حَبَسَ لِبَلِّهِ عَنِ الْمَلَأِ . وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ تَأْمِينِ السَّبِيلِ . ٣٠

ما بين اللَّابَتَيْنِ<sup>(١)</sup> إِذَا ضَلَّ ، عَرُوكَةَ لِلأَذَاةِ بِجَنِّهِ<sup>(٢)</sup> ، يَقْظَانِ اللَّيْلَ فِي نُصْرَةِ  
الإِسْلَامِ ، فَسَلَّكَ مَسَلَّكَ السَّابِقِينَ ، ففَرَّقَ شَمْلَ الْفِتْنَةِ ، وَجَمَعَ أَعْضَادَ مَا جَمَعَ  
الْقُرْآنُ ، وَأَنَا نُصَّبُ الْمَسْأَلَةَ عَنْ مَسِيرِي<sup>(٣)</sup> هَذَا . لَمْ أَلْتَمَسْ إِثْمًا ، وَلَمْ أُؤَرِّثْ<sup>(٤)</sup>  
فِتْنَةً أَوْ طُغْمَكُوهَا . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا صِدْقًا وَعَدْلًا ، وَإِعْذَارًا وَإِنْذَارًا<sup>(٥)</sup> ،  
وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَنْ يَخْلِفَهُ فِيكُمْ بِأَفْضَلِ خِلَافَةِ الْمُرْسَلِينَ .

٢٧٧  
٣

وَكَتَبْتُ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ  
إِذْ عَزِمْتُ عَلَى الْخُرُوجِ يَوْمَ الْجَمَلِ : مِنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَّا بَعْدُ ،  
إِنَّكَ<sup>(٦)</sup> سُدَّةٌ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أُمَّتِهِ ، حِجَابٌ<sup>(٧)</sup> مَضْرُوبٌ  
عَلَى حُرْمَتِهِ . قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنُ ذِيكَ فَلَا تَنْذَحِيهِ<sup>(٨)</sup> ، وَسَكَّرَ خَفَارَتَكَ فَلَا  
تَبْتَذِلُهَا<sup>(٩)</sup> . فَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ . لَوْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
أَنَّ النِّسَاءَ يَحْتَمِلْنَ الْجِهَادَ عَهْدَ إِلَيْكَ . أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ قَدْ نَهَاكَ عَنِ الْفِرَاطَةِ<sup>(١٠)</sup>  
فِي الْبِلَادِ<sup>(١١)</sup> ، فَإِنْ عَمِدَ الدِّينَ<sup>(١٢)</sup> لَا يَثْبُتُ بِالنِّسَاءِ إِنْ مَالٌ ، وَلَا يُرَأْبُ بِهِنَ

- (١) اللَّابَتَانِ : مَثْنَى اللَّائِيَةِ ، وَهِيَ الْحُرَّةُ . تَرِيدُ أَنَّهُ وَاسِعَ الْحِيلَةِ حِينَ يَضِلُّ النَّاسُ .  
(٢) الْعَرُوكَةُ : الدَّلَالَةُ . وَيُقَالُ : عَرَكْتُ بِجَنِّهِ مَا كَانَ مِنْ صَاحِبِهِ ، كَأَنَّهُ حَكَمَ حَتَّى عَفَا .  
تَصِفُهُ بِالْإِحْتِمَالِ .  
(٣) أَيْ أَنَّهَا عَرْضَةٌ لِأَن تَسْأَلَ عَنْ خُرُوجِهَا لَمْ تَخْرُجْ .  
(٤) أُؤَرِّثُ : أَشْعَلُ وَأَوْقَدُ .  
(٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَتَعَذَّرَا » .  
(٦) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فَقَدْ هَتَكْتَ » مَكَانَ « إِنَّكَ سُدَّةٌ » وَمَا أَثْبَتْنَا عَنْ سَائِرِ  
الْأَصُولِ وَبَلَاغَاتِ النِّسَاءِ .  
(٧) فِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ : « حِجَابُكَ » .  
(٨) فَلَا تَنْذَحِيهِ ، أَيْ لَا تَوَسَّعِيهِ بِخُرُوجِكَ إِلَى الْبَصْرَةِ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « ذِيْلَاكَ  
فَلَا تَسْجُدِيهَا » .  
(٩) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَسَكَّرَ : حَبَسَ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « سَكَّرْتُ أَبْصَارَنَا » أَيْ  
حَبَسْتُ عَنْ النَّظَرِ ، أَوْ غَطَيْتُ وَغَشَيْتُ . وَفِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ وَلسَانَ الْعَرَبِ (مَادَةُ  
عَقَرٍ) : « وَسَكَّنَ اللَّهُ عَقِيرَكَ فَلَا تَصْغُرِيهَا » أَيْ أَسْكَنْكَ اللَّهُ بَيْنَكَ وَعَقَارِكَ  
وَسَكَّرَكَ فِيهِ فَلَا تَبْزِيهِ . وَالْعَقِيرُ : مَصْفَرٌ مُشْتَقٌّ مِنْ عَقَرِ الدَّارِ .  
(١٠) الْفِرَاطَةُ : التَّقَدُّمُ . (١١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فِي الدِّينِ » .  
(١٢) فِي الْأَصُولِ : « الدِّينُ » . وَمَا أَثْبَتْنَا مِنْ بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ .

إن أنصدع؟ جهاد النساء غرض الأطراف، وضم الثيول، وقصر الموادة.  
ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك ببعض هذه الفلوات  
ناصة<sup>(١)</sup> قعودا، من منهل إلى منهل؟ وغدا تردين على رسول الله صلى الله  
عليه وسلم. وأقسم لو قيل لي: يا أم سلمة، ادخلي الجنة، لاستحييت أن ألقى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتكة حجابا ضربه على. فاجعله سترك،  
وقاعة البيت حصنك؛ فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة ما قعدت عن  
نصرتهم. ولو أني حدثتك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لنهيشتني<sup>(٢)</sup> نهش الحية الرقشاء المطرقة. والسلام.

فأجابتها عائشة: من عائشة أم المؤمنين إلى أم سلمة، سلام عليك، فإني  
أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو. أما بعد. فما أقبلني لو عظمت، وأعرفني لحق  
نصيحتك، وما أنا بمُعتمرة<sup>(٣)</sup> بعد تعريج، ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه بين  
فئتين متشاجرتين من المسلمين، فإن أقعد فعن غير حرج، وأن أمض فإلى  
ما لا غنى بي عن الأزد ياد منه. والسلام.

وكتبت عائشة إلى زيد بن صوحان إذ قدمت البصرة: من عائشة أم  
المؤمنين إلى أبنها الخالص زيد بن صوحان، سلام عليك. أما بعد، فإن أباك كان  
رأسا في الجاهلية وسيدا في الإسلام، وإنك من أبيك بمنزلة المصلى من السابق،  
يقال كاد أو لحق، وقد بلغك الذي كان في الإسلام من مصاب عثمان بن عفان،  
ونحن قادمون عليك، والعيان أشفي لك من الخبر. فإذا أتاك كتابي هذا فتبسط  
الناس عن علي بن أبي طالب، وكُن مكانك حتى يأتيك أمرى، والسلام.

فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة أم المؤمنين. سلام عليك،  
أما بعد، فإنك أمرت بأمرنا وبغيره، أمرت أن تقرى في بيتك، وأمرنا

(١) القعود (بالفتح): من الإيل يقتعه الراعى في كل حاجة. وناصة: اسم فاعل  
من النص، وهو أن تستخرج من الناقة أقصى سيرها.

(٢) في بعض الأصول: «لنهيشت». وما أثبتنا من سائر الأصول والإمامة والسياسة.

(٣) الاعتبار: الزيارة. تريد أنها ليست راجعة عما عزمتم عليه.

أن يُقاتل الناس حتى لا تكون فتنة . فتركت ما أمرت به ، وكتبت تنهيما عما أمرنا به ، والسلام .

- وخطب على رضى الله عنه بأهل الكوفة يوم الجمل إذ أقبلوا إليه مع الحسن بن علي فقام فيهم خطيباً ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين ، أما بعد . فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين كافة ، والناس في اختلاف ، والعرب بشر المنازل ، مستضعفون لما بهم ، فرأب الله به الشأى ، ولأم به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به السبيل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الموقرة<sup>(١)</sup> للقلوب ، والصفائن المشحنة<sup>(٢)</sup> للصدور ، ثم قبضه الله تعالى مشكوراً سعيه ، مَرْضياً عمله ، مَغْفُوراً ذنبه ، كريماً عند الله نُزله . فيألفها من مُصيبة عمت المسلمين ، وخَصَّت الأقر بين .
- ١٠ . وَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ فَسَارَ فِينَا بَسِيرَةَ رِضَا ، رَضِيَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ . ثُمَّ وَلَّى عُمَرَ فَسَارَ بِسِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . ثُمَّ وَلَّى عُثْمَانَ فَنَالَ مِنْكُمْ وَنَلِمَ مِنْهُ . ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، أَنْتَمُوهُ فَقَتَلْتُمُوهُ ، ثُمَّ أَتَيْتُمُونِي فَقُلْتُمْ : لَوْ بَايَعْتُنَا ؟ فَقُلْتُ : لَا أَفْعَلُ ، وَقَبِضْتُ يَدِي فَبَسَطْتُمُوهَا ، وَنَارَعْتُمْكُمْ كَفَى فُجَذِبْتُمُوهَا ، وَقُلْتُمْ : لَا نَرْضَى إِلَّا بِكَ ، وَلَا نَجْتَمِعُ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَتَرَاكُمْ عَلَى تَرَاكُمِ الْإِبِلِ الْهِيمَ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ ٢٧٨  
٣ . وَرُودِهَا ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْكُمْ قَاتِلِي وَأَنْ بَعْضَكُمْ قَاتِلِي بَعْضًا ، فَبَايَعْتُمُونِي ، وَبَايَعَنِي طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ، ثُمَّ مَا لَيْثًا أَنْ أَسْتَأْذِنَانِي إِلَى الْعُمْرَةِ . فَسَارَا إِلَى الْبَصْرَةِ فَقَاتَلَا بِهَا الْمُسْلِمِينَ ، وَفَعَلَا بِهَا الْأَفَاعِيلَ ، وَهَمَا يَعْلَمَانِ وَاللَّهُ أَنِّي لَسْتُ بِدُونِ مَنْ مَضَى ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطْعَا قَرَابَتِي ، وَنَسَكْنَا بَيْعَتِي ، وَآلَبَا عَلَى عَدَوِّي . اللَّهُمَّ فَلَا تُحْكَمْ لَهَا مَا أُرْمَا ، وَأَرِهَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا عَمَلَا .
- ٣٠ . وَأَمَلَى عَلَى بَنِي مُحَمَّدٍ عَنْ مَسْلَمَةٍ<sup>(٣)</sup> بَنِي مُحَارِبٍ عَنْ دَاوُدَ عَنْ أَبِي هِنْدٍ عَنْ أَبِي

(١) في بعض الأصول : « الواغرة » .

(٢) المشحنة ، أى الموقرة ؛ يقال : شحن عليه ، كفرح : إذا حقد . وفى بعض

الأصول : « المحشنة » . من الحشنة (بالكسر) : الحقد .

(٣) فى الأصول : « سلمة » . وما أثبتنا عن الطبرى .



حَرْبٍ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ إِلَى عَائِشَةَ فَقُلْنَا : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَخْبِرِينَا عَنْ مَسِيرِكَ هَذَا . عَهْدُ عَهْدَهُ إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أَمْ رَأَى رَأْيَتِيهِ ؟ قَالَتْ : بَلِ رَأَى رَأْيَتَهُ حِينَ قَتَلَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، إِنَّا نَقَمْنَا عَلَيْهِ ضَرْبَهُ بِالسَّوْطِ ، وَمَوْقِعَ الْمَسْحَةِ الْمُحْصَاةِ ، وَإِمْرَةَ سَعِيدٍ وَالْوَلِيدِ <sup>(١)</sup> ، فَعَدَوْتُمْ عَلَيْهِ فَأَسْتَحْلَلْتُمْ مِنْهُ الثَّلَاثَ الْحَرَمَ : حُرْمَةَ الْبَلَدِ وَحُرْمَةَ الْخِلَافَةِ وَحُرْمَةَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، بَعْدَ أَنْ مُضْتَمَوْهُ كَمَا يُمَاصُّ <sup>(٢)</sup> الْإِنَاءَ ، فَفَضَّيْنَا لَكُمْ مِنْ سَوْطِ عُثْمَانَ ، وَلَا نَقْضُ لِعُمَانَ مِنْ سَيْفِكُمْ ؟ قُلْنَا : مَا أَنْتِ وَسَيْفُنَا وَسَوْطُ عُثْمَانَ ، وَأَنْتِ حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! أَمْرُكَ أَنْ تَقْرَأِي فِي بَيْتِكَ فَجِئْتِ تَضْرِبِينَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ! قَالَتْ : وَهَلِ أَحَدٌ يِقَاتِلُنِي أَوْ يَقُولُ غَيْرَ هَذَا ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَتْ : وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ هَلِ أَنْتِ مُبْلَغٌ عَنِّي يَا عِمْرَانُ ؟ قَالَ : لَسْتُ مُبْلَغًا عَنْكَ حَرْفًا وَاحِدًا . قُلْتُ <sup>(٣)</sup> : لَسْتُ مُبْلَغٌ عَنْكَ ، فَهَاتِ مَا شِئْتِ . قَالَتْ : اللَّهُمَّ اقْتُلْ مُذَمِّمًا قِصَاصًا بِعُمَانَ ، وَأَرْمِ الْأَشْتَرِ بِسَهْمٍ مِنْ سَهَامِكَ لَا يُشَوِّى ، وَأَذْرِكْ عِمَارًا بِخَفَرِهِ بِعُمَانَ <sup>(٤)</sup> .

أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَنَحْنُ نُرِيدُ الْحِجَّ ، فَأَنْطَلَقْتُ فَأَتَيْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَرَى هَذَا <sup>(٥)</sup> إِلَّا مَقْتُولًا ، فَمَنْ تَأْمَرَانِي بِهِ كَمَا تَرْضِيَانِهِ لِي ؟ قَالَا : نَأْمُرُكَ بِعَلِيٍّ . قُلْتُ : فَتَأْمَرَانِي بِهِ وَتَرْضِيَانِهِ لِي ؟ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : ثُمَّ أَنْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ مَكَّةَ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ بِهَا إِذْ أَتَانَا قَتْلُ عُثْمَانَ وَبِهَا عَائِشَةُ

(١) سعيد ، هو ابن العاص . والوليد ، هو ابن عقبة . وقد وليا الكوفة لعثمان ،

وليها الوليد ثم وليها سعيد فأتيا ما أنكره الناس عليهما . (انظر مروج الذهب) .

(٢) الموص : غسل لبن ، والدلك باليد . ( وانظر ص ٢٩٢ من هذا الجزء ) .

(٣) الضمير في قلت : « لوالد أبي الأسود » الذي خرج مع ابن حصين وابن حنيف إلى عائشة . وقد تقدم ذكره في أول هذا الخبر .

(٤) يقال : خفر به خفرا وخفورا ، إذا نقض عهده وغدره . ( انظر القاموس مادة

خفر ) . وفي بعض الأصول : « بجيرته على عثمان » . وقد مر هذا الخبر عن

عائشة (ص ٢٩٤) من هذا الجزء مع قليل من الاختلاف .

(٥) يريد عثمان بن عفان .

أم المؤمنين ، فانطلقت إليها فقلت : مَنْ تأمريني أن أبايع ؟ قالت : على بن أبي طالب .  
قلت : أتأمريني به وترضينه لي ؟ قالت : نعم . قال : فمررتُ على عليّ بالمدينة  
فبايعته ، ثم رجعتُ إلى البصرة ، وأنا أرى أن الأمر قد أستمقام ؛ فمارعنا إلا  
قدومُ عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير قد نزلوا جنابَ الحَرَبية<sup>(١)</sup> . قال : فقلت :  
ما جاء بهم ؟ قالوا : قد أرسلوا إليك يستنصرونك على دم عُثمان ، إنه قُتل مظلوما .  
قال : فأتاني أفضع أمر لم يأتني قطُّ . قلت : إنَّ خِذلان هؤلاء ومعهم أم المؤمنين  
وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد ، وإنَّ قتال ابن عم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بعد أن أمروني ببيعةته لشديد . قال : فلما أتيتهم قالوا :  
جئناكَ نَسْتَصْرخُكَ على دم عُثمان ، قُتل مظلوماً . قال : فقلت : يا أم المؤمنين ،  
أُنشدك الله ، أقلت لك : مَنْ تأمريني به وترضينه لي ، فقلت : عليّ ؟ قالت : بلى ،  
ولكنه بدل . قلت : يا زبير ، يا حواري رسول الله ، ويا طلحة ، نَشَدْتِكم بالله ،  
قلتُ لكم : مَنْ تأمراني به وترضيانه لي ، فقلتما عليّ ؟ قالوا : بلى ، ولكنه بدل .  
قال : والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ، ولا أقاتل عليّاً ابن عم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، ولكن أختاروا مني إحدى ثلاث خصال : إما أن تفتحوا  
لي باب الجسر فألحق بأرض الأعاجم حتى يقضى الله من أمره ما يقضى ، وإما  
أن ألحق بمكة فأكون بها ، أو أتحوّل فأكون قريباً ؟ قالوا : نأتمر ثم نرسل  
إليك . قال : فأنتمروا وقالوا : نفتح له باب الجسر فيلحق به المفارق والحاذل ،  
أو يلحق بمكة فيفحشكم في قُريش ويُخبرهم بأخباركم ، اجعلوه هاهنا قريباً حيث  
تنظرون إليه . فأعزل بالجلحاء ، من البصرة على فرسخين ، واعتزل معه زهاء  
سنة آلاف من بني تميم .

## مقتل طلحة

أبو الحسن قال : كانت وقعة الجمل يوم الجمعة في النصف من جمادى الآخرة ،

(١) الحَرَبية ( بلفظ التصغير ) : موضع بالبصرة ، وعنده كانت وقعة الجمل بين علي  
وعائشة . ( انظر معجم البلدان ) .

التَّقُوا فَنَكَانَ أَوَّلَ مَضْرُوعٍ فِينَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، أَنَاهُ سَهْمٌ غَرَبٌ <sup>(١)</sup>  
فَأَصَابَ رُكْبَتَهُ ، فَسَكَانَ إِذَا أَمْسَكُوهُ فَتَرَ الدَّمَ ، وَإِذَا تَرَكَوهُ أَنْفَجَرَ ، فَقَالَ  
لَهُمْ : أَتَرَكَوهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ سَهْمٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ .

حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال طلحةُ يومَ الجَل :  
نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكَسْمِيِّ <sup>(٢)</sup> لَمَّا طَلَبْتُ <sup>(٣)</sup> رِضًا بَنِي حَزْمٍ <sup>(٤)</sup> بَرَّغَمِي

اللَّهُمَّ خُذْ مِنِّي لِعُمَانَ حَتَّى يَرْضَى .

ومن حديث أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ قَالَ : لَمَّا رَأَى مِرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ يَوْمَ  
الْجَلِ طَالِحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ : لَا أَتَنْتَظِرُ بَعْدَ الْيَوْمِ بِثَأْرِي فِي عُثْمَانَ ، فَانْتَزَعَ  
لَهُ سَهْمًا <sup>(٥)</sup> فَقَتَلَهُ .

ومن حديث سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ : لَمَّا أَنْقَضَى يَوْمُ الْجَلِ خُرُجَ عَلِيٍّ بْنِ  
أَبِي طَالِبٍ فِي لَيْلَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَمَعَهُ مَوْلَاهُ وَبِيَدِهِ شِمْعَةٌ يَتَصَفَّحُ وَجْهَهُ الْقَتْلَى ،  
حَتَّى وَقَفَ عَلَى طَالِحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي بَطْنٍ وَادٍ مُتَعَفِّرًا ، فَعَمِلَ يَمْسَحُ الْغُبَارَ عَنْ  
وَجْهِهِ وَيَقُولُ : أَعَزَّزَ عَلَيَّ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَنْ أُرَاكَ مُتَعَفِّرًا تَحْتَ نَجْمِ السَّمَاءِ وَفِي بَطْنِ  
الْأَوْدِيَةِ ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ . شَقِيتُ نَفْسِي وَقَتَلْتُ مَعْشَرِي ، إِلَى اللَّهِ  
أَشْكُو بُحْرِي وَبُحْرِي <sup>(٦)</sup> . ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ وَطَالِحَةُ  
وَالزُّبَيْرُ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ : ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى  
سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ) وَإِذَا لَمْ نَسْكُنْ نَحْنُ فَمَنْ هُمْ ؟

(١) سهم غرب ، بالإضافة وفتح غرب ويحرك ، وسهم غرب ، نعمنا : أى لا يدري راميها .

(٢) الكسبي الذى يضرب به المثل في الندامة ، رجل رام رى بعد أن أسدف الليل

غيراً فأصابه ، وظن أنه أخطأه فكسر قوسه ، وقيل قطع إصبعه ، ثم ندم من الندم

حين نظر إلى الغير مقتولا وسهمه فيه .

(٣) في بعض الأصول : « شربت » . وما أثبتنا من سائر الأصول والرواج ( ج ٢ ص ١١ ) .

(٤) في بعض الأصول « جرم برغمي » .

(٥) انتزع له سهماً : رماه به . وفي بعض الأصول : « فانتزعه بسهم » .

(٦) عبره وبجره : عيوبه وأحزانه ، وما أبدى وما أخفى .

أبو إدريس عن إيث بن طلحة عن مطرف: أن علي بن أبي طالب أجاس طلحة يوم الجمل ومسح الغبار عن وجهه وبكى عليه .

ومن حديث سُفيان: أن عائشة بنت طلحة كانت ترى في نومها طلحة ، وذلك بعد موته بعشرين يوماً<sup>(١)</sup> ؛ فكان يقول لها: يا بُنية ، أخرجيني من هذا الماء الذي يؤذيني . فلما أُنقِيت من نومها جمعت أعوانها ثم نهضت فنبشتة ، فوجدته صحيحاً كما دُفن لم تنحسر له شعرة ، وقد اخضر جنبه كالساق من الماء الذي كان يسيل عليه ، فلفته في الملاحف واشترت له عرصة بالبصرة فدفتته فيها ، وبنت حوله مسجداً . قال: فلقد رأيت المرأة من أهل البصرة تقبل بالقارورة من البان فتصبها على قبره حتى تفرغها ، فلم يزلن يفعلن ذلك حتى صار تراب قبره مسكاً أذفر .

١٠

ومن حديث الحشني قال: قال لما قُتل طلحة بن عبيد الله يوم الجمل وجدوا في تركته ثلثمائة دينار من ذهب وفضة . والبهار: مزود من جلد عجل<sup>(٢)</sup> . وقع قوم في طلحة عند علي بن أبي طالب فقال: أما والله لن قُلت فيه إنه لسكا قال الشاعر:

فَقَى كَانَ يُدْنِيهِ الْفَتَى مِنْ صَدِيقِهِ    إِذَا مَا هُوَ أَسْتَعْفَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ ١٥  
كَأَنَّ الثَّرِيًّا عُلِّقَتْ فِي يَمِينِهِ    وَفِي خَدِّهِ الشَّعْرَى وَفِي الْآخِرِ الْبَدْرُ

### مقتل الزبير بن العوام

شريك عن الأسود بن قيس قال: حدثني من رأى الزبير يوم الجمل يقبض الخيل بالرمح قعصاً ، فنوّه به علي: أبا عبد الله ، أتذكر يوماً أتانا النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أناجيك فقال: أناجيه ! والله ليقاتلنك وهو ظالم لك . قال: ٢٠  
فصرف الزبير وجهه دابته وأنصرف .

(١) في بعض الأصول: « سنة » .

(٢) قال ابن منظور مادة (بهر): البهار (بالضم): شئ يوزن به ، وهو ثلثمائة رطل .

ثم ساق هذا الكلام . فقال: « إن ابن الصعبة ، يعني طلحة بن عبيد الله — كان

يقال لأمة الصعبة — ترك مائة دينار ، وفي كل دينار ثلاثة قناطير ذهب وفضة . فجعله وعاء » . ٢٥

قال أبو الحسن : لما أبحاز الزبير يومَ الجمل مرَّ بماء لبني تميم ، فقبل  
للأحقف بن قيس : هذا الزبير قد أقبل . قال : وما أصنع به أن جمع بين  
هذين الغزيين<sup>(١)</sup> وترك الناس وأقبل -- يريد بالغزيين<sup>(٢)</sup> المعسكرين -- وفي مجلسه  
عمر بن جرموز الجاشعي ، فلما سمع كلامه قام من مجلسه وأتبعه حتى وجده  
وإدى السباع نائماً فقتله ، وأقبل برأسه إلى علي بن أبي طالب . فقال علي : أبشر  
بالنار ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بشروا قاتل الزبير بالنار .  
فخرج عمرو بن جرموز وهو يقول :

أتيتُ عليّاً برأس الزبير وقد كنتُ أحسبها زلفه  
فبشّر بالنار قبل العيان فبئس بشارة ذى التحفة

ومن حديث ابن أبي شيبه قال : أقبل رجلٌ بسيف الزبير إلى الحسن بن  
علي ، فقال : لا حاجة لي به ، أدخله إلى أمير المؤمنين . فدخل به إلى علي ، فناوله  
إياه وقال : هذا سيف الزبير . فأخذه علي ، فنظر إليه ملياً ثم قال : رحم الله  
الزبير . لطالما فرّج به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت  
أمرأة الزبير<sup>(٣)</sup> ترثيه :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة<sup>(٤)</sup> يوم الهياج وكان غير مُعَدِّد  
يا عمرو لو نَهَمْتَهُ لوجدته لا طائشاً رَعِشَ الجنان ولا اليد  
تَكَلَّمْتُكَ أملك أن قتلت لُسلماً حَلَّتْ عليك عُقوبة المتعمّد

وقال جرير ينعى على ابن مجاشع قتل الزبير رضى الله تعالى عنه :  
إني تُذَكِّرني الزبيرَ حمامةٌ تدعو ببطن الواديين<sup>(٥)</sup> هديلاً<sup>(٦)</sup>

٢٠ (١) الغزي : جمع غاز . وفي بعض الأصول « الغازين » .

(٢) هي عائكة بنت زيد بن نفل ، أخت سميد بن زيد .

(٣) فارس بهمة : لا يثنى عن شيء أراد .

(٤) كذا في الأصول . والذي في الأغاني وديوان جرير ومعجم البلدان في رسم « النخلتين »

« تدعو بمجمع نخلتين » . والنخلتان : عن يمين بستان ابن عامر ، إحداها النخلة

القمالية . والذي في الكامل للمبرد : « تدعو بأعلى الأيكين » .

٢٥ (٥) الهديل : فرخ ترعم الأعراب أنه كان في عهد نوح عليه السلام مات عطشا فلا زالت

الطائم يندبته .

قالت قُريش ما أذلَّ مُجاشعاً جاراً وأكرمَ ذا القَتِيلِ قَتِيلاً  
لو كُنتَ حرّاً يا بنَ قَيْنٍ<sup>(١)</sup> مُجاشعٌ شَيِّعَتِ ضَيْفَكَ فَرَسَخاً أو مِيلاً  
أفبعَدَ قَتْلَكُمْ<sup>(٢)</sup> خليلَ محمدٍ تَرْجُو الْقَيُونَ<sup>(٣)</sup> مع الرسولِ سَبِيلاً<sup>(٤)</sup>

- هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال : دعاني أبي يومَ الجمل  
فَقَمْتُ عن يمينه ، فقال : إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم ، وما أراني إلا  
سأقتل مظلوما ، وإن أكبر همي ديني ، فيبيع مالي ثم أنقض ديني ، فإن فضل  
شيء فثلثه لولدي ، وإن عجزت عن شيء يا بُني فاستعين مولاي . قلت : ومن  
مولاك يا أبت ؟ قال : الله . قال عبدُ الله بن الزبير : فوالله ما بقيتُ بعد ذلك  
في كربة من دينه أو عُسرة إلا قلت : يامولى الزبير ، أنقض عنه دينه ، فيقضيه .  
قال : فقتل الزبير ونظرتُ في دينه فإذا هو ألف ومائة ألف . قال : فبيعت  
١٠ ضَيْعَةً له بالغابة<sup>(٥)</sup> بألف ألف وستائة ألف ، ثم ناديتُ : مَنْ كان له قبل الزبير  
شيء فليأتنا نَقْضُهُ . فلما قضيتُ دينه أتاني إخواني فقالوا : أقسم بيننا ميراثنا .  
قلت : والله لا أقسم حتى أنادي أربع سنين بالمواسم : من كان له على الزبير  
شيء فليأتنا نَقْضُهُ . قال : فلما مضت الأربع السنين أخذت الثلث لولدي ، ثم  
قسمتُ الباقي . فصار لكل امرأة من نسائه — وكان له أربع نسوة — في ربع  
١٥ الثمن ألف ألف ومائة ألف . فجميع ما ترك مائة ألف ألف وسبعمائة ألف ألف .  
ومن حديث ابن أبي شَيْبَةَ قال : كان عليٌّ يُخرج مُناديه يومَ الجمل يقول :  
لا يُسلَبن قَتِيل ، ولا يُتبع مُذْبِر ، ولا يُجهز على جريح .

(١) في بعض الأصول « قيس » . وما أثبتنا من سائر الأصول والديوان .

٢٠ (٢) في الكامل : « مترككم » . وفي لسان العرب مادة سبل : « مقتلكم »

(٣) في بعض الأصول : « العيون » . وما أثبتنا من سائر الأصول والديوان والكامل  
ولسان العرب .

(٤) سبيلا ، أي سببا ووصلة .

(٥) الغابة : موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة . ( انظر معجم

البلدان ) .

قال . وخرج كعب بن ثور من البصرة قد تقلد المصحف في عنقه ، فجعل ينشره بين الصفيين ويناشد الناس في دمائهم ، إذ أتاه سهم فقتله وهو في تلك الحال لا يدري من قتله .

وقال علي بن أبي طالب يوم الجمل للأشتر ، وهو مالك بن الحارث ، وكان على الميمنة : احمل . فحمل ، فكشف من بإزائه . وقال لهائم بن عتبة ، أحد بني زهرة بن كلاب ، وكان على الميسرة : احمل . فحمل ، فكشف من بإزائه . فقال علي لأصحابه : كيف رأيتم ميسرتي وميمنتي !

٢٨١  
٢

ومن حديث الجمل<sup>(١)</sup>

الحشني عن أبي حاتم السجستاني قال : أنشدني الأصمعي عن رجل شهيد الجمل يقول<sup>(٢)</sup> :

شهدت الحروب وشيبتني فلم تر عيني كيوم الجمل  
أضر<sup>(٣)</sup> على مؤمن فتنه وأفتك منه لحرق بطل<sup>(٤)</sup>  
فليت الظامينة في بيتها وليتك عسكر لم تر تحمل

ابن منيّة<sup>(٥)</sup> وهبه لعائشة وجعل له هودجاً من حديد ، وجّه من ماله خمسمائة فارس بأسلحتهم وأزودتهم . وكان أكثر أهمل البصرة مالا . وكان علي بن

(١) في بعض الأصول : « الجمل » . تحريف .

(٢) روى المسعودي في الكلام على يوم الجمل هذه الأبيات لامرأة من عبد القيس خرجت تطوف بين القتل فوجدت ابنين لها قتلا ، وقد كان قتل زوجها وأخوان لها فيمن قتل قبل مجيء علي البصرة .

(٣) كذا في المروج وفي الأصول : « أنير » .

(٤) الحرق (بالكسر) : السخي والفتي الحسن الكريم الخليفة . ورواية هذا الشطر في المروج : \* وأقتله لشجاع بطل \*

(٥) في الأصول : « منيه » تحريف (انظر المعارف والطبرى والمشتبه) . ومنية ، أمه . وهي منية بنت الحارث بن جابر ، من بني مازن . وقد مر ذكره في الجزء الأول من هذه الطبعة (س ٢٩٩ - ٣٠٠) .

- أبى طالب يقول: بُليت بأَنْضَ<sup>(١)</sup> الناس وأنطق الناس وأطوع الناس فى الناس .  
 يزيد بأَنْضَ<sup>(٢)</sup> الناس : يعلى بن مُنية ، وكان أكثر الناس ناضاً<sup>(٣)</sup> ؛ ويريد  
 بأنطق الناس : طلحة بن عبید الله ؛ وأطوع الناس فى الناس عائشة أم المؤمنين .  
 أبو بكر بن أبى شذبة عن محمد بن عبید الله عن التميمي قال : كانت  
 راية على يوم الجبل سوداء ، وراية أهل البصرة كالجل .  
 الأعمش عن رجل ستمه قال : كنت أرى علياً يوم الجبل يحمل فيضرب  
 بسيفه حتى ينفثي ، ثم يرجع فيقول : لا تلوموني ولوموا هذا ، ثم يعود ويقومه .  
 ومن حديث أبى بكر بن أبى شذبة قال : قال عبد الله بن الزبير : التقيت  
 مع الأشتر يوم الجبل ، فما ضربته ضربة حتى ضربني خمسة أو ستة ، ثم جرّ  
 برجلي فالتقاني فى الخندق ، وقال : والله لولا قربك من رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ما اجتمع فيك عضو إلى آخر .  
 أبو بكر بن أبى شذبة قال : أعطت عائشة الذى بشرها بحياة ابن الزبير ،  
 إذ التقى مع الأشتر يوم الجبل ، أربعة آلاف .  
 سعيد عن قتادة قال : قُتل يوم الجبل مع عائشة عشرون ألفاً ، منهم ثمانمائة  
 من بنى ضبة .  
 وقالت عائشة : ما أنكرت رأس جملى حتى فقدت أصوات بنى عدى<sup>(٤)</sup> .  
 وقتل من أصحاب على خمسمائة رجل ، لم يعرف منهم إلا علباء<sup>(٥)</sup> بن الهيثم  
 وهند الجملى ، قتلهما ابن اليتربى<sup>(٦)</sup> ، وأنشأ يقول :
- (١) أنض ، أى أكثر الناس ناضاً . والناس من المتاع : ما تحول ورقاً أو عيناً . وعن  
 الأصمعي : اسم الدراهم والدنانير عند أهل الحجاز الناض والنض . وفى بعض الأصول :  
 « أفضى » وما أتينا من سائر الأصول والمعارف .  
 (٢) فى بعض الأصول « بأفضى » انظر الحاشية السابقة .  
 (٣) انظر الحاشية رقم ١ .  
 (٤) فى الطبرى : « ما زال رأس جملى معتدلاً حتى قتلت بنو ضبة حولى » .  
 (٥) كذا فى الطبرى ، وكذا جاء فيما مر ( ج ٣ ص ٣٤٣ من هذه الطبعة ) . وفى  
 اللسان ( مادة جل ) : « علباء » دون ذكر أبيه . والذى فى الأصول هنا : « عمار  
 ابن الحارث » . (٦) هو محبيرة بن اليتربى .



إِنِّي لَمَنْ يَجْهَلُنِي ابْنُ الْيَثْرِى (١) قَتَلْتُ عِلْبَاءَ (٢) وَهَنْدَ الْجَلِي (٣)  
عبدُ الله بن عَوْن عن أبي رجاء قال : لقد رأيت الجمل حينئذ وهو كظهور  
الْقَنْهَذِ مِنَ النَّبْلِ ، وَرَجُلٌ (٤) مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ آخِذٌ بِخُطَامِهِ وَهُوَ يَقُولُ :  
نَحْنُ بَنُو ضَبَّةٍ أَصْحَابُ الْجَمَلِ الْمَوْتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ  
تَنْقَمِي ابْنُ عَفَّانَ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ (٥)

غُنْدَرٌ (٦) قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ  
سَلَمَةَ ، وَكَانَ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَالْحَارِثُ بْنُ سُوَيْدٍ ، وَكَانَ مَعَ  
طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، وَتَذَاكَرُوا وَقْعَةَ الْجَمَلِ ، فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ سُوَيْدٍ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ  
مِثْلَ يَوْمِ الْجَمَلِ ، لَقَدْ أَشْرَعُوا رِمَاحَهُمْ فِي صُدُورِنَا وَأَشْرَعْنَا رِمَاحَنَا فِي صُدُورِهِمْ ،  
وَلَوْ شَاءَتِ الرِّجَالُ أَنْ تَمْشِيَ عَلَيْهَا لَمْشَتِ ، يَقُولُ هَؤُلَاءِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ،  
وَيَقُولُ هَؤُلَاءِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَشْهَدْ ذَلِكَ الْيَوْمَ ،  
وَأَنِّي أَعْمَى مَقْطُوعُ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ : وَاللَّهِ مَا يُسِرُّنِي  
أَنِّي غَنَيْتُ عَنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَا عَنْ مَشْهَدِ شَهِدِهِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِحُمْرِ النَّعَمِ .  
عَلِيٌّ بْنُ عَاصِمٍ عَنْ حُصَيْنٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو جَحِيمَةَ الْبَكَّاءُ قَالَ : إِنِّي لَأَمِنُ  
الْصَّفَّ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِذْ عُقِرَ بِأَمِّ الْمُؤْمِنِينَ جَهْلُهَا ، فَرَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ

٢٨٢  
٢

١٥

(١) انظر اللسان والجزء الثالث من هذه الطبعة (س ٣٤٣) في صدر البيت خلاف في الرواية .

(٢) في الأصول : « عمار » . انظر الحاشية (رقم ٥ س ٣٢٦ من هذا الجزء) .

(٣) هو هند بن عمرو . وزاد الطبري على هذا الرجز بيتا وهو :

\* وابنا اصوحان على دين علي \*

٣٠

يريد زيد بن صوحان ، وكان ثالث من قتلهم ابن اليتري في هذا اليوم .

(٤) اسم هذا الرجل الحارث . (انظر الطبري) .

(٥) في مروج الذهب :

رَدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ يَجَلُّ عِثَانَ رَدَّوهُ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ

(٦) هو محمد بن جعفر البصري ، مولى هذيل . وغندر ، كجندب وقنغد : سمين ناعم ،

٢٥

وهو لقبه . وكان أكثر من السؤال في مجلس ابن جريج ، فقال له : ما تريد يا غندر ؟

فلزمه . (انظر المعارف والطبري والقاموس وشرحه مادة غندر) .

وعمار بن ياسر يشتركان بين الصفيين أيهما يسبق إليها ، فقطعا عارضة الرجل وأحتملاها في هودجها .

ومن حديث الشعبي قال : من زعم أنه شهد الجمل من أهل بدر إلا أربعة ، فكذبه ، كان علي وعمار في ناحية ، وطلحة والزبير في ناحية .

- ٥ أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثني خالد بن مخلد عن يعقوب عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبي رزي قال : انتهى عبد الله بن مبدل إلى عائشة وهي في الهودج ، فقال : يا أم المؤمنين ، أنشدك بالله ، أنعلمين أني أتيتك يوم قتل عثمان فقلت لك : إن عثمان قد قتل فما تأمريني [ به ] . فقلت لي : الزم عليا ؟ فوالله ما غير ولا بدّل . فسكتت . ثم أعاد عليها . فسكتت . ثلاث مرات . فقال : اعقروا الجمل ، فمقرّوه . فنزلت أنا وأخوها محمد بن أبي بكر فأحتملنا الهودج ١٠ حتى وضعناه بين يدي علي ، فسرّ به ، فأدخل في منزل عبد الله بن مبدل . وقالوا : لما كان يوم الجمل ما كان ، وظفر علي بن أبي طالب دنا من هودج عائشة ، فكلّمها بكلام . فأجابته : ملكك فأسجع . فجهرّها علي بأحسن الجهاز وبعت معها أربعين امرأة — وقال بعضهم : سبعين امرأة — حتى قدّمت المدينة .

١٥

- عكرمة عن ابن عباس قال : لما انقضى أمر الجمل دعا علي بن أبي طالب بأجرتين فعلاهما ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أنصار المرأة ، وأصحاب الهيمية ، رعا فجئتم ، وعقر فهُزمت ، نزاتم شرّ بلاد ، أبعداها من السماء ، بها مغيض كل ماء ، ولها شرّ أسماء ، هي البصرة والبصرة والموتفسكة وتدمر ، أين ابن عباس ؟ قال : فدُعيت له من كل ناحية ، فأقبلت إليه ، فقال : انت ٢٠ هذه المرأة ، فلترجع إلى بيتها التي أمرها الله أن تقرّ فيه . قال : فجئت فاستأذنت عليها ، فلم تأذن لي ، فدخلت بلا إذن ومددت يدي إلى وسادة في البيت فجلست عليها . فقالت : تالله يا ابن عباس ما رأيت مثلك ! تدخل

ببئنا بلا إذننا ، وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا . فقلت : والله ما هو ببيتك ، ولا ببيتك إلا الذي أمرك الله أن تقرى فيه فلم تفعل ، إن أمير المؤمنين يأمرك أن ترجع إلى بلدك الذي خرجت منه . قالت : رحم الله أمير المؤمنين ، ذاك عمر بن الخطاب . قلت : نعم ، وهذا أمير المؤمنين على بن أبي طالب . قالت : أبيت أبيت . قلت : ما كان إياؤك إلا فواق ناقة بكيفة<sup>(١)</sup> ، ثم صرت ما تحلين ولا تمرين<sup>(٢)</sup> ، ولا تأمرين ولا تنهين . قال : فبكت حتى علا نحيبها . ثم قالت : نعم ، أرجع ؛ فإن أبغض البلدان إلى بلد أنتم فيه . قلت : أما والله ما كان ذلك جزاؤنا منك إذ جعلناك للمؤمنين أمّا ، وجعلنا أباك لهم صديقاً . قالت : أتمنّى على رسول الله يا بن عباس ؟ قلت : نعم ، نعم عليك بمن لو كان منك بمنزلة منّا لمننت به علينا . قال ابن عباس : فأبيت عليك فأخبرته ، فقبل بين عيني ، وقال : بأبي ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم .

ومن حديث ابن أبي شيبه عن ابن فضيل عن عطاء بن السائب : أن قاضياً من قضاة أهل الشام أتى عمر بن الخطاب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيت رؤيا أفزعتنى . قال : وما رأيت ؟ قال : رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين . قال : فمع أيهما كنت ؟ قال : مع القمر على الشمس . قال عمر بن الخطاب : ( وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ) فانطلق ، فوالله لا تعمل لى عملاً أبداً . قال : فبلغنى أنه قتل مع معاوية بصفين .

أبو بكر بن أبي شيبه قال : أقبل سليمان بن صرد<sup>(٣)</sup> ، وكانت له صحبة مع

(١) الفواق (ضم الفاء وفتحها) : ما بين الحلبتين من الوقت ، لأن الناقة تحلب ثم تترك سوية يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب . ويقال : ما أقام عنده إلا فواقاً ، أى قدر ما بين الحلبتين . والبكيفة من النوق : التي قل لبنها .

(٢) يقال : فلان ما يمر وما يحلى ، ( مضارع أمر وأحلى ) أى ما يتكلم بحلو ولا مر ، ولا يفعل فعلاً حلواً ولا مرا . فإن نفيت عنه أن يكون مرا مرة وحلوا أخرى ، قلت : ما يمر وما يحلو ( مضارع مر وحلا ) .

(٣) هو سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون بن منقذ بن ربيعة . ومات في ربيع الآخر سنة خمس وستين . ( انظر تهذيب التهذيب ) .

النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى علي بن أبي طالب بعد وقعة الجمل ، فقال له :  $\frac{٢٨٣}{٢}$  تنأناث<sup>(١)</sup> وترحزحت وتربصت ، فكيف رأيت الله صنع ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن الشوط بطين<sup>(٢)</sup> ، وقد بقي من الأمور ما تعرف به عدوك من صدiqueك .

وكتب علي بن أبي طالب إلى الأشعث بن قيس بعد الجمل ، وكان والياً لعمان على أذربيجان : سلام عليك ، أما بعد . فلولا هَنَات كُنَّ منك لكنت أنت المُقَدَّم في هذا الأمر قبل الناس ، ولعلَّ أَمْرَكَ يحمل بعضه بعضاً إن اتقيت الله ، وقد كان من بيعة الناس إيئاي ما قد بلغك ، وقد كان طلحة والزبير أول من بايعني ثم نكثا بيعتي من غير حَذْث ولا سبب ، وأخرجنا أم المؤمنين ، فساروا إلى البصرة ، وسرت إليهم فيمن بايعني من المهاجرين والأنصار ، فالتقينا ، فدعوتهم إلى أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه ، فأبوا ، فأبلغت في الدعاء وأحسنْتُ في البُقيَا ، وأمرت ألا يُذَفَّ<sup>(٣)</sup> على جريح ولا يُتبع مُنهزم ولا يُسلب قَتيل ، ومن ألقى سلاحه وأغلق بابه فهو آمن . واعلم أن عملك ليس لك بطُمة ، إنما هو أمانة في عنقك ، وهو مال من مال الله ، وأنت من خزانة عليه حتى تُؤديه إلى إن شاء الله ، ولا قُوَّةَ إلا بالله .

١٥ فلما بلغ الأشعث كتاب علي قام فقال : أيها الناس ، إن عثمان بن عفان ولائي أذربيجان فهلك ، وقد بقيت في يدي ، وقد بايع الناس علياً وطاعتنا له واجبة ، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما كان ، وهو المأمون على من غاب من ذلك المجلس ، ثم جلس .

### قولهم في أصحاب الجمل

٢٠ أبو بكر بن أبي شَيْبة قال : سئل علي عن أصحاب الجمل : أمشركون هم ؟ قال : من الشُّرك فَرُّوا . قال : فمُناققون هم ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً . قال : فما هم ! قال : إخواننا بَغَوْا علينا .

(١) تنأناث : قصرت ومجرت . (٢) بطين ، أي بعيد .

(٣) ذف على الجريح : أجهز .

وسرّ عليّ بقتلى الجمل فقال : اللهم اغفر لنا ولهم ، ومعه محمد بن أبي بكر وعمار ابن ياسر ، فقال أحدها لصاحبه : أما تسمع ما يقول ! قال : اسكت لا يزيدك . وكيع عن مسعر عن <sup>(١)</sup> عبد الله بن رباح عن عمار قال : لا تقولوا : كفر أهل الشام ، ولكن قولوا : فسقوا وظلموا .

وسئل عمار بن ياسر عن عائشة يوم الجمل فقال : أما والله إنا لنعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتتبعونه أم تنفرونها . وقال عليّ بن أبي طالب يوم الجمل : إن قوماً زعموا أنّ البغي كان منا عليهم ، وزعمنا أنه منهم علينا ، وإنما اقتتلنا على البغي ولم نقتل على التكفير .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : أول ما تكلمت به الخوارج يوم الجمل قالوا : ما أحلّ لنا دماءهم وحرّم علينا أموالهم ! فقال عليّ : هي الشنة في أهل القبلة . قالوا : ما ندري ما هذا ؟ قال : فهذه عائشة رأس القوم ، أنتسأهمون عليها ! قالوا : سبحان الله ! أمنا . قال : فهي حرام ؟ قالوا : نعم . قال : فإنه يحرم من أبنائها ما يحرم منها .

قال : ودخلت أم أوفى العبديّة على عائشة بعد وقعة الجمل فقالت لها : يا أمّ المؤمنين ، ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً ؟ قالت : وجبت لها النار . قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكبر عشرين ألفاً في صعيد واحد ؟ قالت : خذوا بيد عدوة الله .

وماتت عائشة في أيام معاوية ، وقد قاربت السبعين وقيل لها : تدفيني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : لا ، إني أحدثُ بعده حدثاً فادفِنُونِي مع إخوتي بالبقيع .

(١) في بعض الأصول : « مسعدة بن عبد الله ... الخ » . تحريف ، فوكيع يروي عن مسعر بن حبيب فيمن يروي عنه . كما يروي مسعر بن حبيب عن عمار بن ياسر . ( انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٠٦ وج ١٢ ص ١٢٣ ) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : يا مُحِيرَاء ، كَأَنِّي بِكَ تَنْبَحُكَ  
 كِلَابُ الْحَوْبِ<sup>(١)</sup> . تَقَاتِلِينَ عَلِيًّا وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمَةٌ . وَالْحَوْبُ ، بَضْمُ الْحَاءِ وَتَثْقِيلُ  
 الْوَاوِ ، وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْحَوْبَ مَاءٌ فِي طَرِيقِ الْبَصْرَةِ . قَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشَّيْعَةِ :  
 ٢٨٤  
 ٢  
 إِنِّي أَدِينُ بِحُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ وَبَنِي الْوَصِيِّ شَه-وَدِهِمُ وَالْغَيْبِ  
 وَأَنَا الْبَرِيُّ مِنَ الزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَمِنْ التِّي تَبَحَّتْ كِلَابُ الْحَوْبِ ٥

### أخبار على ومعاوية

كَتَبَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ وَجْهَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ  
 فِي أَخْذِ بَيْعَتِهِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ يُمَاطِلُهُ بِالْبَيْعَةِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ : سَلَامٌ  
 عَلَيْكَ ، فَإِذَا أَنْتَ كِتَابِي هَذَا فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ ، وَخَيْرُهُ بَيْنَ حَرْبِ  
 مُجَلِيَّةٍ ، أَوْ سَلْمٍ مُحْظِيَّةٍ<sup>(٢)</sup> . فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سِوَاءِ إِنْ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
 الْخَائِنِينَ ، وَإِنْ اخْتَارَ السَّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ وَأَقْبَلْ إِلَيَّ .

وَكَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى مُعَاوِيَةَ بَعْدَ وَقْعَةِ الْجَلِ : سَلَامٌ عَلَيْكَ . أَمَّا بَعْدُ . فَإِنْ  
 بَيْعَتِي بِالْمَدِينَةِ لَزِمَتْكَ وَأَنْتَ بِالشَّامِ ، لِأَنَّهُ بَايَعَنِي الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُمَانَ  
 عَلَى مَا بَوَّعُوا عَلَيْهِ . فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ ، وَإِنَّمَا  
 الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ  
 ١٥ ذَلِكَ اللَّهُ رَضًا ، وَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ رَدَّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ عَنْهُ ؛ فَإِنْ أُبِيَ  
 قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلَاةَ اللَّهِ مَا تَوَلَّى وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ  
 مَصِيرًا . وَإِنْ طَلَحْتَ وَالزُّبَيْرِ بَايَعَانِي ثُمَّ نَقَضَا بَيْعَتَهُمَا ، وَكَانَ نَقْضُهُمَا كَرْدَهُمَا<sup>(٣)</sup> ،  
 فَجَاهَدْتُهُمَا بَعْدَ مَا أَعْذَرْتَ إِلَيْهِمَا ، حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ .

(١) هذا غير ما ذكره ياقوت في معجمه واللسان والصباح وفيها : « الحوَاب » بالهمز .  
 وذكره البكري في معجم ما استعجم فقال : « الحوَاب » بزيادة هزة بين الواو والياء .  
 قال ابن الأنباري : وتخفف الهمزة ، فيقال : حَوْب .

(٢) كذا في كتاب صفين . والذي في بعض الأصول : « معضلة ... مجزئة » . والذي  
 في سائر الأصول : « محربة » . (٣) في بعض الأصول : « كردها » .

فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أحب الأمور إلى قبولك العافية . وقد  
أكثر في قتلة عثمان ، فإن أنت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما  
دخل فيه المسلمون ، ثم حاكمت القوم إلى ، حملتك وإياهم على كتاب الله . وأما  
تلك التي تريد ها فهي خدعة الصبي عن اللبن . ولعمري لئن نظرت بعقلك دون  
هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان . وأعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحمل  
لهم الخلافة ولا يدخلون في الشورى ، وقد بعثت إليك وإلى من قبلك جرير بن  
عبد الله ، وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فبايعه ولا قوة إلا بالله .

فكتب إليه معاوية : سلام عليك . أما بعد ، فاعمرى لو بايعك الذين  
ذكرت وأنت برىء من دم عثمان لكنت كأبي بكر وعمر وعثمان ، ولكنتك  
أغريت بدم عثمان وخذلت الأنصار ، فأطاعتك الجاهل ، وقوى بك الضعيف .  
وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت  
شورى بين المسلمين . وإنما كان الحجازيون هم الحكماء على الناس والحق  
فيهم ، فلما فارقه كان الحكماء على الناس أهل الشام . ولعمري ما حجتك على  
أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ، ولا حجتك على كحجتك على طلحة  
والزبير ، [ إن ] كانا بايعاك فلم أبايحك أنا . فأما فضلك في الإسلام وقرابتك  
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلست أدفعه .

فكتب إليه علي : أما بعد . فقد أتانا كتابك ، كتاب أمرى . ليس له  
بصر يهديه ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجابه ، وقاده فأتبعه . زعمت أنك  
إنما أفسد عليك بيعتي خفوري<sup>(١)</sup> لعثمان . ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين  
أوردت كما أوردوا ، وأصدرت كما أصدروا . وما كان الله ليجمعهم على ضلالة  
ولا ليضرهم بالعمى . وما أمرت فلزمتني خطيئة الأمر ، ولا قتلت فأخاف

(١) يقال : أخفر الذمة ، إذا لم يف بها : والخفور ، هو الإخفار نفسه من قبل المخفر ،  
من غير فعل . ويقال : خفرت ذمة فلان ( البناء للمجهول ) خفورا ، إذا لم يوف  
بها ولم تتم . وفي بعض الأصول : « خفري » .

على نفسه قصاص القتلى . وأما قولك إن أهل الشام هم حكام أهل الحجاز .  
فهاهنا رجالاً من أهل<sup>(١)</sup> الشام يُقبل في الشورى أو تحمل له الخلافة ، فإن سميت  
كذلك المهاجرون والأنصار . ونحن نأتيك به من أهل<sup>(٢)</sup> الحجاز . وأما قولك :  
ادفع إلى قتله عثمان . فما أنت وذاك ؟ وهاهنا بنو عثمان ، وهم أولى بذلك منك .  
فإن زعمت أنك أقوى على طلب دم عثمان منه ، فأرجع إلى البيعة التي لزمتهك  
وحاكم القوم إلى . وأما تمييزك بين أهل الشام والبصرة ، وبينك وبين طلحة  
والزبير . فلعمرى ما الأمر هناك إلا واحد ، لأنها بيعة عامة لا يتأتى فيها النظر  
ولا يستأنف فيها الخيار . وأما قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقديمي  
في الإسلام ، فلو استطعت دفعه لدفعته .

وكتب معاوية إلى علي : أما بعد . فإنك قتلت ناصرك ، واستنصرت  
وانترك . فأيم الله لأرغميكن بشهاب تزكيه الريح ولا يطفئه الماء . فإذا وقع  
وقب<sup>(٣)</sup> ، وإذا مس ثقب ، فلا تحسبني كسحيم أو عبد القيس أو حلوان السكاهن .  
فأجابه علي : أما بعد . فوالله ما قتل ابن عمك غيرك ، وإني أرجو أن  
ألحقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته . وإن السيف الذي ضربت به  
أهلك<sup>(٤)</sup> لمعي دائم . والله ما استحدثت ذنباً ، ولا استبدلت نبياً ، وإني على  
المنهاج الذي تركتموه طائعين ، وأدخلتم فيه كارهين .

وكتب معاوية إلى علي بن أبي طالب : أما بعد . فإن الله أصطفى محمداً  
وجعله الأمين على وحيه ، والرسول إلى خلقه ، وأختار له من المسلمين أعواناً  
أيده بهم ، وكانوا في منازلهم عنده على قدر فضايلهم في الإسلام ، فسكان  
أفضلهم في الإسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة ، وخليفة الخليفة ، والخليفة  
الثالث ، فكلهم حسدت ، وعلى كلهم بغيت . عرفنا ذلك في نظرك الشرر ،

(١) في بعض الأصول : « قريش » .

(٢) وقب : دخل ونفذ .

(٣) في بعض الأصول : « أبك وأهلك » .



وتنفُسك الصُّعداء ، وإبطائك على الخلفاء ، وأنت في كل ذلك تُقاد كما يُقاد البعير  
 لمُخشوش<sup>(١)</sup> ، حتى تُبايع وأنت كاره . ولم تكن لأحد منهم أشدَّ حسداً منك  
 لأبن عمك عُمَان ، وكان أحقَّهم أن لا تفعل ذلك في قرابته وصهره . فقطعت رحمته ،  
 وقبَّحت محاسنه ، وألَّبت عليه الناس ، حتى ضُربت إليه آباط الإبل ، وشُهر  
 عليه السلاح في حرم الرسول ، فقتل معك في الحلة وأنت تسمع في داره الهائعة<sup>(٢)</sup> ،  
 لا تُؤدِّي عن نفسك في أمره بقول ولا فعل برّ . أقسم قسماً صادقاً لو قت في أمره  
 مقاماً واحداً تنهين الناس عنه ما عدل بك ممن قبَلنا من الناس أحد ، ولمّا ذلك  
 عنك ما كانوا يعرفونك به من المُجانبة لعُمَان ، فهم بطانتك وعُضدك وأنصارك .  
 فقد بلغني أنك تَدْتَفِي من دمه ، فإن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلته نقتلهم به ،  
 ثم نحن أسرعُ الناس إليك ، وإلا فليس لك ولا لأصحابك عندنا إلا السيف .  
 والذي نفس معاوية بيده لأُطلبن قتلة عُمَان في الجبال والرمال والبر والبحر  
 حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله .

فأجابه عليّ : أما بعد . فإن أخا خوّلان قدِم عليّ بكتاب منك تذكّر فيه  
 محمداً صلى الله عليه وسلم وما أنعم الله به عليه من الهدى والوحي . فالحمد لله  
 الذي صدّقه الوعد ، وتَمَّ له النصر ، ومكّنه في البلاد ، وأظهره على الأعداء من  
 قومه ، الذين أظهروا له التَّكذيب ، ونابدوه بالعداوة ، وظاهروا على إخراجهِ  
 وإخراج أصحابه ، وألبوا عليه العرب ، وحزّبوا الأحزاب ، حتى جاء الحق وظهر  
 أمر الله وهم كارهون . وذكرت أن الله اختار من المسلمين أعواناً أيده بهم ،  
 فسكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم  
 في الإسلام<sup>(٣)</sup> وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة من بعده .

(١) يقال : خشت البعير فهو مخشوش ، إذا جعلت في أنفه خشاشاً ، وهو ما يدخل

في عظم أنف البعير من خشب .

(٢) الهائعة : الصوت الشديد تفرع منه .

(٣) في بعض الأصول : « أفضلهم ابن عمك في الإسلام » .

- ولعمري إن كان مكانهما<sup>(١)</sup> في الإسلام لعظيما ، وإن كان المصاب بهما<sup>(٢)</sup> أجرحا في الإسلام شديدا ، فرحمهما الله وغفر لهما . وذكرت أن عثمان كان في الفضل ثالثا ، فإن كان محسنا فسيلقى رباً شكوراً يضاعف له الحسنات ويجزيه الثواب العظيم ، وإن يك مسيئاً فسيلقى رباً غفوراً ، لا يتعاضمه ذنب يغفره . ولعمري إني لأرجو إذا الله أعطى الأسهم<sup>(٣)</sup> أن يكون سهمنا أهل البيت أوفر نصيب . وأيم الله ، ما رأيت ولا سمعت بأحد كان أنصح لله في طاعة الله ورسوله ، ولا أنصح لرسول الله في طاعة الله ، ولا أصر على البلاء والأذى في مواطن الخوف ، من هؤلاء ، النفر من أهل بيته ، الذين قتلوا في طاعة الله : عبيدة بن الحارث يوم بدر ، وحزرة بن عبد المطلب يوم أحد ، وجعفر وزيد يوم مؤتة . وفي المهاجرين خير كثير ، جزاهم الله بأحسن أعمالهم . وذكرت إبطائي عن الخلفاء وحسدى إياهم . والبغى عليهم . فأما البغى ، فعاذ الله أن يكون . وأما الكراهة لهم ، فوالله ما أعتذر للناس من ذلك . وذكرت بغيي على عثمان وقطعي رحمه ، فقد عمل عثمان بما قد علمت ، وعمل به الناس ما قد بلغك . فقد علمت أني كنت من أسره في غزاة ، إلا أن تجنني ، فتجن ما شئت . وأما ذكرك قتلة عثمان وما سألت من دفعهم إليك ، فإنني نظرت في هذا الأمر وضربت أنفه وعينه ، فلم يسمعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك ، وإن لم تنزع عن غيئك لنعرفتك عما قليل يطلبونك ولا يكلفونك أن تطلبهم في سهل ولا جليل ، ولا بر ولا بحر . وقد كان أبوك أوسفيان أتاني حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبسط يدك أبايعك ، فأنت أحق الناس بهذا الأمر . فكنت أنا الذي أبيت عليه مخافة الفرقة بين المسلمين ، لقرب عهد الناس بالكفر . فأبوك كان أعلم بحقي منك ، وإن تعرف من حق ما كان أبوك يعرفه تصب رشداً ، وإلا فقتستعين الله عليك .

(١) في بعض الأصول : « مكانهم » .

(٢) في بعض الأصول : « بهم » .

(٣) في بعض الأصول : « الإسلام » .

وكتب<sup>(١)</sup> عبدُ الرحمن بن الحكم إلى معاوية :

ألا أبلغ معاوية بن حرب كتاباً من أخى ثقةً يلوم<sup>(٢)</sup>  
فإنك والكتاب إلى على كدابةٍ وقد حِلِمَ الأديم<sup>(٣)</sup>

يوم صفين

أبو بكر بن أبي شيبه قال : خرج على بن أبي طالب من الكوفة إلى معاوية في خمسة وتسعين ألفاً ، وخرج معاوية من الشام في بضع وثمانين ألفاً ، فالتقوا بصفين . وكان عسكر على يُسمى الزحرحة ، لشدة حرركته ، وعسكر معاوية يسمى الخضرية ، لاسوداده بالسلاح والدروع .  
أبو الحسن قال : كانت أيام صفين كلها موافقة ، ولم تكن هزيمة بين الفريقين إلا على حامية ثم يكرّون . ١٠

أبو الحسن قال : كان مُنادى على يخرج كل يوم وينادى : أيها الناس ، لا تُجهزُن على جريح ، ولا تبعُن مولياً ، ولا تسلبن قتيلًا ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن .

أبو الحسن قال : خرج معاوية إلى على يوم صفين ، ولم يُبايعه أهل الشام بالخلافة ، وإنما بايعوه على نصرة عثمان والطلب بدمه . فلما كان من أمر الحكمين ما كان ، بايعوه بالخلافة . فكتب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص يدعو إلى القيام معه في دم عثمان : سلام عليك . أما بعد . فإن أحق الناس بنصرة عثمان أهل الشورى من قريش ، الذين أثبتوا حقه ، واختاروه على غيره ، ونصرة طلحة والزبير ، وهما شريكك في الأمر ، ونظيرك في الإسلام . ١٥

٢٠ (١) نسب هذا الشعر في اللسان ( مادة حلم ) للوليد بن عقبة يحض فيه معاوية على قتال على عليه السلام .

(٢) رواية بحز هذا البيت في اللسان : \* بأنك من أخى ثقة مليح \*

(٣) حلم الأديم ، أن يقع فيه دود فينتقب . يقول : أنت تسمى في إصلاح أمر قد تم فساد ، كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم ، فلا ينتفع به .

وَحَفَّتْ لَئِكَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَا تَسْكُرْهُ مَارْضُوا ، وَلَا تَرَدَّ مَا قَبِلُوا ، وَإِنَّمَا  
نُرِيدُ أَنْ نَرُدَّهَا سُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ . وَالسَّلَامُ .

فَأَجَابَهُ سَعْدٌ : أَمَّا بَعْدُ . فَإِنْ عَمَّرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُدْخَلْ فِي الشُّوَرَى  
إِلَّا مَنْ تَعَلَّقَ لَهُ الْخِلَافَةُ ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَوْلَى بِهَا مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا بِاجْتِمَاعِنَا  
عَلَيْهِ . غَيْرَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ فِيهِ مَا فِينَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِينَا مَا فِيهِ ، وَلَوْ لَمْ يَطْلُبْهَا وَلَزِمَ  
بَيْتَهُ لَطَلَبَتْهُ الْعَرَبُ وَلَوْ بِأَقْصَى الْيَمَنِ . وَهَذَا الْأَمْرُ قَدْ كَرِهْنَا أَوَّلَهُ وَكَرِهْنَا  
آخِرَهُ . وَأَمَّا طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَلَوْ لَزِمَا بَيْتَهُمَا لَكَانَ خَيْرًا لَهَا . وَاللَّهُ يَغْفِرُ  
لَأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنْتَ .

وَكُتِبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ : أَمَّا بَعْدُ . فَإِنَّمَا أَنْتَ يَهُودِيٌّ  
ابْنُ يَهُودِيٍّ ، إِنْ ظَفَرَ أَحَبُّ الْفَرِيقَيْنِ إِلَيْكَ عَزَلَكَ وَاسْتَبْدَلَ بِكَ ، وَإِنْ ظَفَرَ  
أَبْغَضُ الْفَرِيقَيْنِ إِلَيْكَ قَتَلَكَ وَنَكَلَ بِكَ . وَقَدْ كَانَ أَبُوكَ أَوْتَرَ قَوْسَهُ وَرَمَى  
غَرَضَهُ ، فَأَكْثَرَ الْحَزَّ وَأَخْطَأَ الْمَفْصِلَ ، نَخَذَلَهُ قَوْمُهُ ، وَأَدْرَكَهُ يَوْمُهُ ، ثُمَّ مَاتَ  
طَرِيدًا بِحَوْرَانٍ <sup>(١)</sup> .

فَأَجَابَهُ قَيْسٌ : أَمَّا بَعْدُ . فَأَنْتَ وَثْقَى ابْنِ وَثْقَى . دَخَلْتَ فِي الْإِسْلَامِ كُرْهًا ،  
وَخَرَجْتَ مِنْهُ طَوْعًا ، لَمْ يَقْدَمْ إِيْمَانُكَ ، وَلَمْ يُحْذَرْ نِفَاقُكَ . وَنَحْنُ أَنْصَارُ الدِّينِ  
الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ ، وَأَعْدَاءُ الدِّينِ الَّذِي دَخَلْتَ فِيهِ . وَالسَّلَامُ .

وَخَطَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَصْحَابَهُ يَوْمَ صِفِّينَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ  
الْمَوْتَ طَالِبٌ لَا يُعْجِزُهُ هَارِبٌ ، وَلَا يَفُوتُهُ مُقِيمٌ ، أَقْدِمُوا وَلَا تَنْكَلُوا ، فَلَيْسَ  
عَنِ الْمَوْتِ تَحْيِيسٌ . وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ ، إِنْ ضَرَبَ سَيْفُ أَهْوَنُ  
مِنْ مَوْتِ الْفِرَاشِ . أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا السِّیُوفَ بِوُجُوهِكُمْ ، وَالرِّمَاحَ بِصُدُورِكُمْ ،  
وَمَوَعِدِي وَإِيَّاكُمْ الرَّايَةُ الْحُمْرَاءُ <sup>(٢)</sup> .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ خَطِيبًا يَخْطُبُنَا ! يَا مَرْئِنَا أَنْ

(١) حوران (بالفتح) : كورة واسعة من أعمال دمشق .

(٢) يريد راية معاوية .

نتقى السيوف بوجوهنا ، والرماح بصدورنا ، ويعدنا راية بيننا وبينها مائة ألف سيف .

قال أبو عبيدة في التاج : جمع علي بن أبي طالب رياسة بكر كلهم يوم صفين الحُصَيْن بن المُنْذِر بن الحارث بن وَعْلَةَ ، وجعل ألويتها تحت لوائه ، وكانت له راية سوداء يَخْفِق ظِلُّهَا إِذَا أَقْبَلَ ، فلم يُغن أحدٌ في صفين غناؤه . فقال فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لَمَنْ رَايَةً سَوْدَاءَ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَّمَهَا حُصَيْنٌ تَقَدَّمَا  
يُقَدِّمُهَا فِي الصَّفِّ حَتَّى يُزِيرَهَا حِيَاضُ الْمَنَآيَا تَقْطُرُ السَّمَّ وَالْدَّمَ  
جَزَى اللَّهُ عَنِّي وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ رِبْعَةٌ خَيْرًا مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمًا<sup>(١)</sup>

١٠ وكان من همدان في صفين حُسن . فقال فيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

لَهْمْدَانُ أَخْلَاقٌ وَدِينٌ يَزِينُهُمْ وَأَسْأَلُ إِذَا لَاقَوْا وَحُسْنُ كَلَامٍ  
فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لَهْمْدَانُ ادْخُلُوا بِسَلَامٍ

أبو الحسن قال : كان علي بن أبي طالب يخرج كلَّ غداة لصفين في ١٥ سَرَّعَانَ الْحَيْلِ<sup>(٢)</sup> فيقف بين الصفين ثم ينادي : يا معاوية ، علام يقتل الناس ؟ ابرُزْ إلَيَّ وأبرُزْ إليك فيكون الأمرُ لمن غلب . فقال له عمرو بن العاص : أنصفك الرجلُ . فقال له معاوية : أردتها يا عمرو ، والله لا رضيتُ عنك حتى تُبارزَ عليًّا . فبرز إليه متفكرًا ، فلما غَشِيَهُ عَلِيٌّ بِالسَّيْفِ رَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَأَبْدَى لَهُ سَوَاتِهِ ، فَضْرَبَ عَلِيٌّ وَجْهَ فَرَسِهِ وَأَنْصَرَفَ عَنْهُ . فجلس معه معاوية يومًا فنظر إليه فضحك . فقال عمرو : أضحك الله سنَّكَ ، ما الذي أضحكك ؟ قال : من حضور ذهنك يوم بارزت عليًّا إِذْ أَتَقَيَّتَهُ بَعُورَتُكَ . أما والله

(١) رواية هذا البيت في الطبري :

جَزَى اللَّهُ قَوْمًا صَابَرُوا فِي لِقَائِهِمْ لَدَى الْمَوْتِ قَوْمًا مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمًا

(٢) سرعان الحيل : أوائلها .

لقد صادفت مَنَّا كَرِيماً ، ولولا ذلك لَحَرَمَ رَفَعِيكَ<sup>(١)</sup> بِالرُّمَحِ . قال عمرو بن العاص : أما والله إني عن يمينك إذ دعاك إلى البراز فأحولت عيناك : وَرَبَّأ سَحْرُكَ<sup>(٢)</sup> ، وبدا منك ما أكره ذكره لك .

وذُكِرَ عمرو بن العاص عند علي بن أبي طالب ، فقال فيه علي : عجيباً لأبن النابغة<sup>(٣)</sup> ! يزعم أنني بلقائه أَعَافِسُ وَأُمَارِسُ<sup>(٤)</sup> ، أنني وشئتُ القول أكذبُهُ ، إنه يسأل فيلحُف ، ويسأل فيبخل . فإذا أحمرَّ البأس ، وحسَى الوطيس ، وأخذت السيوفُ مأخذها من هامِ الرجال ، لم يكن له همٌّ إلا نَزَعُهُ<sup>(٥)</sup> ثيابه ، ويمنح الناس أسنمه ، أغصه<sup>(٦)</sup> الله وترَّحه<sup>(٧)</sup> .

#### مقتل عمار بن ياسر

العتبي قال : لما ألتقى الناسُ بصَفَيْنَ نَظَرَ معاويةُ إلى هاشم<sup>(٨)</sup> بن عُتبة الذي يقال له : المِرْقَال ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : أَرْقُلْ لِيَمُوتَ . وكان أعورَ ، والرايةُ بيده ، وهو يقول<sup>(٩)</sup> :

أعور يَبْغِي نَفْسَهُ مَحْلاً      قد عالجَ الحَيَاةَ حَتَّى مَلَأَ  
لَا بُدَّ أَنْ يَفْلُ أَوْ يُفْلَا

فقال معاويةُ لعمرو بن العاص : يا عمرو ، هذا المِرْقَال ، والله لئن زَحَفَ بالراية زَحْفًا إنه ليومُ أهل الشام الأطول . ولكني أرى ابنَ السوداء إلى

(١) الرفع (بالتحريك ويضم) : أصل الفخذ .

(٢) السحر (بالفتح ويحرك ويضم) : الرثة . وربما : اتفتح فرما .

(٣) في بعض الأصول : « الباغية » تحريف .

(٤) المعافسة : المعالجة . والممارسة : المداعبة .

(٥) في بعض الأصول : « غرفة » .

(٦) في بعض الأصول : « غصه » . (٧) ترحه : أحزنه .

(٨) في بعض الأصول : « هشام » وما أثبتنا من سائر الأصول والمعارف والكمال .

والإصابة واللسان (مادة رقل) .

(٩) في رواية أن هذا الشعر لعمار بن ياسر يخاطب به المِرْقَال . (انظر الإصابة في ترجمة المِرْقَال) .

جنبه ، بمعنى عماراً ، وفيه عجلة في الحرب ، وأرجو أن تُقدمه إلى الهلكة .  
وجعل عمار يقول : أبا عتبة ، تقدم . فيقول : يا أبا اليفظان ، أنا أعلم بالحرب  
منك ، دعني أزحف بالراية زحفاً . فلما أضجره وتقدم ، أرسل معاوية خيلاً  
فاختطفوا عماراً ، فكان يُسمّى أهل الشام قتل عمار فتتح الفُوح .

٥ أبو بكر بن أبي شعبة : عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب عن  
أسود بن مسعود عن حنظلة بن حويلد قال : إني جالسٌ عند معاوية إذ أتاه  
رجلان يختصمان في رأس عمار ، كل واحد منهما يقول : أنا قتلته . فقال لهما  
عبد الله بن عمرو بن العاص : ليطلب به أحداً نفساً لصاحبه ، فإني سمعتُ  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : تقتلك الفئة الباغية .

١٠ أبو بكر بن أبي شعبة عن ابن علقمة عن ابن عون عن الحسن عن أم سلمة  
قالت : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقتل عماراً الفئة الباغية .  
أبو بكر قال : حدثنا علي بن حمص عن أبي معشر عن محمد بن عمار<sup>(١)</sup> قال :  
ما زال جدّي خزيمه بن ثابت كافاً سلاحه يوم صقيين حتى قُتل عمار ، فلما قُتل  
سل سيفه وقال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقتل عماراً الفئة  
الباغية . فما زال يُقاتل حتى قُتل .

٢٠ أبو بكر عن غندر عن شعبة<sup>(٢)</sup> عن عمرو بن مَرْزُوق عن عبد الله بن  
سَلَمَةَ قال : رأيتُ عماراً يومَ صِفِّينَ شيخاً آدم طويلاً أخذاً الحربة بيده ،  
ويده تُرعد ، وهو يقول : والذي نفسي بيده ، لقد قاتلتُ بهذه الحربة مع  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ مراتٍ وهذه الرابعة . والذي نفسي بيده  
لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سمعات هجر اعرفتُ أنا على حق وأنهم على باطل .

(١) في الأصول : « عبادة » . وما أثبتنا من الطبري .

(٢) في الأصول هنا : « غندر عن عمرو بن شعبة » والمعروف أن غندر يروي عن

شعبة وقد مرّت روايته عنه ( ص ٣٢٧ ) من هذه الجزء . ثم إن المراجع إلى ابن

أبيدنا فقد من اسمه عمرو بن شعبة .

ثم جعل يقول : صبراً عباد الله ، الجنة تحت ظلال السيوف .

أبو بكر بن أبي شيبه عن وكيع عن سفيان عن حبيب عن أبي البختري<sup>(١)</sup> قال : لما كان يوم صفين واشتدت الحرب دعا عمارٌ بشربة لبن وشربها وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن .

٩

أبو ذر عن محمد بن يحيى عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن جدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده بالمدينة أمر باللبن يُضرب وما يُحتاج إليه ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رداءه ، فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أرويتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويعملون :

١٠

لئن قعدنا والنبي يعمل ذاك إذا لعمل مُضلل

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلاً نظيفاً مُتَنظِّفاً ، فكان يحمل الأبنية ويُجافي بها عن ثوبه ، فإذا وضعها نقض كفيته ونظر إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء من التراب نفذه . فنظر إليه على رضى الله عنه فأنشده :

٢٨٩  
٣

لا يستوى من يعمر المساجدا يذاب فيها ركاماً وساجداً

وقائماً طوراً وطوراً قاعداً ومن يرى عن التراب حائداً

فسمعه عمار بن ياسر فجعل يرتجزها وهو لا يدري من يعنى . فسمعه عثمان ، فقال : يا ابن سمية ، ما أعرفني بمن تُعرِّض ، ومعه جريدة ، فقال : لتكفن أولاً عترض بها وجهك . فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل حائط ، فقال : عمار جلدة ما بين عيني وأنفي ، فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني ، وأشار بيده فوضعها بين عينيه . فسكف الناس عن ذلك ، وقالوا لعمار : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غَضِبَ فيك ونخاف أن ينزل فينا

٢٠



قرآن . فقال : أنا أرضيه كما غضب . فأقبل عليه فقال : يا رسول الله ، مالي ولأصحابك ؟ قال : وما لك ولهم ؟ قال : يريدون قتلى ، يحملون ابنة ويحملون على آيئتين . فأخذ به وطاف به في المسجد ، وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول : يا بن سُمَيَّة ، لا تقتلك أصحابي ، واسكن تفتلك الفئة الباغية .  
 فلما قُتل بصفين ورؤي هذا الحديث عبدُ الله بن عمرو بن العاص ، قال معاوية : هم قتلوه لأنهم أخرجوه إلى القتل . فلما بلغ ذلك عليًّا قال : ونحن قتلنا أبطاً حمزة لأننا أخرجناه .

#### من حرب صفين

أبو الحسن قال : كانت أيامُ صفين كلها موافقةً ، ولم تكن هزيمة في أحد الفريقين إلا على حامية ثم يكرّون<sup>(١)</sup> .

أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ قال : انفضت وقعة صفين عن سبعين ألف قتيل ، خمسين ألفاً من أهل الشام ، وعشرين ألفاً من أهل العراق . ولما أنصرف الناس من صفين قال عمرو بن العاص :

شَبَّتْ الحربُ فأعددتُ لها مُشْرِفَ الحارِثِ مَحْبُوكَ الشَّيْبِ<sup>(٢)</sup>  
 يَصِلُ الشَّرُّ بِشَرٍّ فَإِذَا وَثْبُ الخَيْلِ مِنَ الشَّرِّ مَمَّجٍ<sup>(٣)</sup>  
 جُرْشُعٌ<sup>(٤)</sup> أعظمه جُفْرَتُهُ<sup>(٥)</sup> فَإِذَا أَبْقَلَ مِنَ المَاءِ خَرَجٌ<sup>(٦)</sup>  
 وقال عبدُ الله بن عمرو بن العاص<sup>(٧)</sup> :

فإن شهدتُ جُمْلَ مَقَامِي وَمَشْهَدِي بصفين يوماً شاب منها الذوائبُ

- (١) مر هذا الخبر (ص ٣٣٧) من هذا الجزء مع خلاف قليل .  
 (٢) الشَّيْبُ : الوسط ، وما بين السكاهل إلى الظهر .  
 (٣) الممَّج : سرعة السر . (٤) جرشع : عظيم الصدر .  
 (٥) الجفرة : وسط الفرس . وفي بعض الأصول : « حفرة » .  
 (٦) يريد أنه إذا ركض وعرق خرج في حديثه ونشاطه وفات غيره . وفي هذا المعنى قول سلمة بن الحرشب :  
 من التلغفات بجانيها إذا ما بل محزماً الحميم  
 (٧) نسب هذا الشعر في شرح نهج البلاغة (ج ٢ ص ٢٨٢) لمحمد بن عمرو بن العاص .

عَشِيَّةَ جَا<sup>(١)</sup> أَهْلُ الْعِرَاقِ كَأَنَّهُمْ سَحَابُ خَرِيفٍ صَفَقَتُهُ الْجَنَائِبُ<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا قُلْتُ قَدْ وُلُّوا سِرَاعًا بَدَتْ لَنَا<sup>(٣)</sup> كِتَابٌ مِنْهُمْ وَازْجَمَحَتْ كِتَابٌ  
 فَدَارَتْ رَحَانًا وَأَسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ سِرَاةَ النَّهَارِ مَا تَوَلَّى الْمَنَّاكِبِ  
 وَقَالُوا لَنَا إِنَّا نَرَى أَنْ تُبَايَعُوا عَلِيًّا فَقُلْنَا بَلْ نَرَى أَنْ تُضَارَبُوا

وقال السيد الحميري ، وهو رأس الشيعة ، وكانت الشيعة من تعظيمها له ٥  
 تَلَقَّى لَهُ وَسَادًا بِمَسْجِدِ الْكُوفَةِ :

إِنِّي أُدِينُ بِمَا دَانَ الْوَصِيُّ بِهِ وَشَارَكَتْ كَفَّهُ كَفِّي بِصَفِيٍّ  
 فِي سَفْكَ مَا سَفَكَتَ مِنْهَا إِذَا احْتَضَرُوا وَأَبْرَزَ اللَّهُ لِلْقِسْطِ الْمَوَازِينَا  
 تِلْكَ الدِّمَاءُ مِمَّا يَا رَبِّ فِي عُنُقِي ثُمَّ أَسْقِنِي مِثْلَهَا آمِينَ آمِينَ  
 آمِينَ مِنْ مِثْلِهِمْ فِي مِثْلِ حَالِهِمْ فِي فِتْنَةٍ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ شَارِينَا ١٠  
 لَيْسُوا يُرِيدُونَ غَيْرَ اللَّهِ رَبَّهُمْ نَعْمُ الْمُرَادُ تَوْخَاهُ الْمُرِيدُونَ  
 وَقَالَ النَّجَاشِيُّ يَوْمَ صِفِّينَ ، وَكَتَبَ بِهَا إِلَى معاوية<sup>(٤)</sup> :

٢٩٠  
 ٢

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ<sup>(٥)</sup> الْمُبْدَى عِدَاوَتُهُ أَنْظِرْ لِنَفْسِكَ أَمَى الْأَمْرِ تَأْتَمِرُ  
 فَإِنْ نَفَسْتَ عَلَى الْأَقْوَامِ تَجْدَمُ فَابْسُطْ يَدَيْكَ فَإِنَّ الْخَيْرَ مُبْتَدِرُ  
 وَأَعْلَمُ بَأَنَّ عَلَى الْخَيْرِ مِنْ نَفَرٍ شَمُّ الْعَرَانِينَ لَا يَعْلُوهُمْ بَشَرُ ١٥  
 نَعْمُ الْفَتَى أَنْتَ<sup>(٦)</sup> إِلَّا أَنْ يَبْنِكَ كَمَا تَفَاضَلُ ضَوْءُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ  
 وَمَا إِخْلَاكَ إِلَّا لَسْتَ مُنْتَهِيًا حَتَّى يَنَالَكَ مِنْ أَظْفَارِهِ ظُفْرُ

(١) في شرح نهج البلاغة : « غداة غدا » مكان « عشيّة جا » .

(٢) الجنائب : جمع جنوب ، والجنوب من الرياح حارة . وصفقت الرياح السحاب ، إذا

٢٠

صرمته واختلفت عليه . ورواية يحز هذا البيت في الأصل :

\* سحاب ربيع رفعته الجنائب \*

وما أثبتنا من شرح نهج البلاغة .

(٣) في شرح نهج البلاغة :

\* إِذَا قُلْتُ يَوْمًا قَدْ دَنُوا بَرَزَتْ لَنَا \*

٢٥

(٤) وكان معاوية قد تهدده . ( انظر شرح نهج البلاغة ) .

(٥) في شرح نهج البلاغة : « الرجل » .

(٦) في الأصول : « هو » . وما أثبتنا من شرح نهج البلاغة .

### خبر عمرو بن العاص مع معاوية

سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ قَالَ : عَلِمَ مُعَاوِيَةُ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْهُ عَمْرُو بْنُ يَتِمَّ لَهُ أَسْرٌ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَمْرُو ، أَتَبْعُنِي . قَالَ : لِمَاذَا ؟ لِلْآخِرَةِ ؟ فَوَاللَّهِ مَا مَعَكَ آخِرَةٌ ، أَمْ الدُّنْيَا ؟ فَوَاللَّهِ لَا كَانَ حَتَّى أَكُونَ شَرِيكَكَ فِيهَا . قَالَ : فَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . قَالَ : فَأَكْتُبْ لِي مِصْرَ وَكُوزَهَا . فَكْتُبْ لَهُ مِصْرَ وَكُوزَهَا ، وَكْتُبْ فِي آخِرِ الْكِتَابِ : وَعَلَى عَمْرٍو السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ . قَالَ عَمْرُو : وَأَكْتُبْ : إِنْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَا يَنْقُصَانِ مِنْ شَرْطِهِ شَيْئًا . قَالَ مُعَاوِيَةُ : لَا يَنْظُرُ الذَّامِنُ إِلَى هَذَا . قَالَ عَمْرُو : حَتَّى تَكْتُبَ . قَالَ : فَكْتُبْ ، وَاللَّهِ مَا يَجِدُ بَدَأًا مِنْ كِتَابَتِهَا .

١٠. وَدَخَلَ عَتَبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَهُوَ يَكْلُمُ عَمْرًا فِي مِصْرَ ، وَعَمْرُو يَقُولُ لَهُ : إِنَّمَا أَبَايَعُكَ بِهَا دِينِي . فَقَالَ عَتَبَةُ : أَتُتِمِّنُ الرَّجُلَ بَدِينِهِ فَإِنَّهُ صَاحِبٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكُتِبَ عَمْرُو إِلَى مُعَاوِيَةَ :

١٥. مُعَاوِيَةُ لَا أُعْطِيكَ دِينِي وَلَمْ أَنْلِ بِهِ مِنْكَ دُنْيَا ، فَانْظُرْ نَ كَيْفَ تَصْنَعُ ؟ وَمَا الدِّينُ وَالْدُّنْيَا سِوَايَ وَإِنِّي لَأَخْذُ مَا تُعْطِي وَرَأْسِي مُقْتَنِعٌ فَإِنْ تُعْطِنِي مِصْرًا فَأَرْبَحُ صَفْقَةً أَخَذْتُ بِهَا شَيْخًا يَغُصُّ وَيَنْفَعُ

وَقَالُوا : لَمَّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَامَ مَعَهُ فِي شَأْنٍ عَلَى ، بَعْدَ أَنْ جَعَلَ لَهُ مِصْرَ طُعْمَةً ، قَالَ لَهُ : إِنْ بِأَرْضِكَ رَجُلًا لَهُ شَرَفٌ وَأَسَمٌ ، وَاللَّهِ إِنْ قَامَ مَعَكَ اسْتَهْوَيْتَ بِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ ، وَهُوَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ . فَلَمَّا أَتَاهُ وَسَّعَ لَهُ بَيْتَهُ وَبَيْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، فَجَلَسَ بَيْنَهُمَا . فَحَمَدَ اللَّهُ مُعَاوِيَةَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ فَضْلَ عِبَادَةِ وَمُسَابَقَتَهُ ، وَذَكَرَ فَضْلَ عُثْمَانَ وَمَا نَالَهُ ، وَحَضَّهُ عَلَى الْقِيَامِ مَعَهُ . فَقَالَ عِبَادَةُ : قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، أَتَدْرِي إِنْ لَمْ جَلَسْتُ بَيْنَكُمَا

في مكانكما؟ قالوا: نعم، لفضلك وسابقتك وشرفك. قال: لا والله، ما جلستُ بينكما لذلك، وما كنتُ لأجلس بينكما في مكانكما، ولكن بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك إذ نظر إليكما تسيران، وأتما تتحدثان، فالتفت إلينا فقال: إذا رأيتموها اجتمعا ففرقوا بينهما، فإنهما لا يجتمعان على خير أبداً. وأنا أنها كما عن اجتماعكما. فأما ما دعوتاني إليه من القيام معكما، فإن لكما عدواً هو أغلظ أعدائكما، وأنا كامنٌ من ورائكم في ذلك العدو، إن اجتمعتم على شيء دخلتُ فيه.

### أمر الحكمين

أوالحسن قال: لما كان يوم الحرير<sup>(١)</sup>، وهو أعظم يوم بصفين، زحف أهل العراق على أهل الشام فأزالوهم عن سراكزم، حتى أتوها إلى سُرَادِقِ معاوية، فدعا بالفرس وهم بالهزيمة، ثم ألتفت إلى عمرو بن العاص، وقال له: ما عندك؟ قال: تأمر بالمصاحف فتُرفع في أطراف الرماح، ويقال: هذا كتاب الله يحكم بيننا وبينكم. فلما نظر أهل العراق إلى المصاحف أرتدوا وأختلفوا، وقال بعضهم: ٢٩١  
نجاكمهم إلى كتاب الله. وقال بعضهم: لا نجاكمهم، لأننا على يقين من أمرنا وليسنا على شك. ثم أجمع رأيهم على التحكيم. فهم على أن يُقدم أبا الأسود الدؤلي، فأبى الناس عليه. فقال له ابن عباس: أجعلني أحد الحكمين، فوالله لأفتن لك حبلاً لا ينقطع وسطه ولا يُنشر طرفاه. فقال له علي: لست من كيدك ولا من كيد معاوية في شيء، لا أعطيه إلا السيف حتى يغلبه الحق. قال: وهو والله لا يُعطيك إلا السيف حتى يغلبك الباطل. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك تطاع اليوم وتُعصى غداً، وإنه يُطاع ولا يُعصى. فلما أُنشِر عن علي أصحابه قال: لله بلاء ابن عباس، إنه لينظر إلى الغيب بستر رقيق. قال: ثم

(١) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٥) من هذا الجزء.

اجتمع أصحاب البرانس<sup>(١)</sup>، وهم وجوه أصحاب علي، على أن يقدموا أبا موسى الأشعري، وكان مبرنسا، وقالوا: لا نرضى بغيره، فقدمه علي. وقدم معاوية عمرو بن العاص. فقال معاوية لعمرو: إنك قد رميت برجل طويل اللسان قصير الرأي فلا ترمه بعقلك كله. فأخلى لهما مكان يجتمعان فيه، فأمله عمرو بن العاص ثلاثة أيام، ثم أقبل إليه بأنواع من الطعام يشبهه بها، حتى إذا استبطن أبو موسى باجاء عمرو، فقال له: يا أبا موسى، إنك شيخ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذو فضلها وذو سابقتها، وقد ترى ما وقعت فيه هذه الأمة من الفتنة العمياء التي لا بقاء معها، فهل لك أن تكون ميمون هذه الأمة فيحققن الله بك دماءها، فإنه يقول في نفس واحدة: (ومن أحيائها فكأنما أحيى الناس جميعاً)، فكيف بمن أحيى أنفس هذا الخلق كله! قال له: وكيف ذلك؟ قال: تلج أنت علي بن أبي طالب، وأخلع أنا معاوية بن أبي سفيان، ونختار لهذه الأمة رجلاً لم يحضر في شيء من الفتنة، ولم يغمس يده فيها. قال له: ومن يكون ذلك؟ وكان عمرو بن العاص قد فهم رأى أبي موسى في عبد الله بن عمر، فقال له: عبد الله بن عمر. فقال: إنه لكما ذكرت، ولكن كيف لي بالوثيقة منك؟ فقال له: يا أبا موسى، ألا يذكر الله تطمين القلوب، خذ من اليهود والمواثق حتى ترضى. ثم لم يبق عمرو بن العاص عهداً ولا موثقاً ولا يميناً مؤكدة حتى حلف بها، حتى بقي الشيخ مبهوتاً، وقال له: قد أجبت. فنودي في الناس بالاجتماع إليهما، فاجتمعا. فقال له عمرو: قم فاخطب الناس يا أبا موسى. فقال: قم أنت أخطبهم. فقال: سبحان الله! أنا أتقدمك وأنت شيخ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لا فعلت أبداً! قال: أو عسى في نفسك أمر؟ فزاده إيماناً وتوكيداً. حتى قام الشيخ فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني قد اجتمعت أنا وصاحبي علي أن أخلع

(١) البرانس: جمع برنس، وهو: قلنسوة طويلة، كان الناسك يلبسوها في صدر

أنا علي بن أبي طالب ويعزل هو معاوية بن أبي سفيان ، ونجعل هذا الأمر  
لعبد الله بن عمر ، فإنه لم يحضر في فتنة ، ولم يغمس يده في دم امرئ مسلم .  
ألا وإني قد خلعتُ علي بن أبي طالب كما أختاع سيفي هذا ، ثم خلع سيفه من  
عاتقه ، وجلس ، وقال لعمر : قم . فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ،  
وقال : أيها الناس ، إنه كان من رأى صاحبي ما قد سمعتم ، وإنه قد أشهدكم أنه  
• خلع علي بن أبي طالب كما يخلع سيفه ، وأنا أشهدكم أني قد أثبت معاوية بن  
أبي سفيان كما أثبت سيفي هذا ، وكان قد خلع سيفه قبل أن يقوم إلى الخطبة ،  
فأعاده على نفسه . فاضطرب الناس ، وخرجت الخوارج . وقال أبو موسى  
لعمر : لعنك الله ! فإن مثلك كمثل السكب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه  
يلهث . قال عمرو : لعنك الله ! فإن مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا .

١٠

وخرج أبو موسى من فوره ذلك إلى مكة مستعيذاً بها من علي ، وحلف أن  
لا يكاهه أبداً . فأقام بمكة حيناً حتى كتب إليه معاوية : سلام عليك ، أما بعد ،  
فلو كانت النية تدفع الخطأ لنجا المجتهد وأعذر الطالب ، والحق لمن نصب له  
فأصابه ، وليس لمن عرض له فأخطأ . وقد كان الحكمان إذا حكما على علي  
لم يكن له الخيار عليهما ، وقد اختاره القوم عليك ، فأكره منهم ما كرهوا منك ،  
وأقبل إلى الشام فإني خير لك من علي ، ولا قوة إلا بالله .

١٥

فكتب إليه أبو موسى : سلام عليك ، أما بعد ، فإني لم يكن مني في علي  
إلا ما كان من عمرو فيك ، غير أنني أردت بما صنعت ما عند الله ، وأراد به  
عمرو ما عندك . وقد كان بيني وبينه شروط وشورى عن تراض ، فلما رجع  
عمرو رجعت . أما قولك : إن الحكامين إذا حكما على رجل لم يكن له الخيار  
• عليهما . فإنما ذلك في الشاة والبعير والدينار والدرهم . فإما أمر هذه الأمة ، فليس  
لأحد فيما يكره حكم ، ولن يذهب الحق عجز عاجز ولا خدعة فاجر . وأما دعاؤك  
إياي إلى الشام ، فليس لي رغبة عن حرم إبراهيم .

٢٠

فبلغ علياً كتاب معاوية إلى أبي موسى الأشعري فكتب إليه : سلامٌ عليك ، أما بعد . فإنك أمرؤ ظلمك الهوى واستدرجك الغرور ، حَقَّق بك حُسْنَ الظن لزومك بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن ، فاستَقِلَّ الله يُقِلَّك ؛ فإن الله يَغْفِر ولا يَغْفِل ، وأحبُّ عباده إليه التوابون . وكتبه سماك بن حرب .

فكتب إليه أبو موسى : سلامٌ عليك . فإنه والله لولا أني خشيتُ أن يرفعك مني منَعُ الجواب إلى أعظم مما في نفسك لم أجيبك ، لأنه ليس لي عندك عُذرٌ يَنْفَعُنِي ولا قُوَّةٌ تَمْنَعُنِي . وأما قولك « ولزومي بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن » فإنني اعتزلتُ<sup>(١)</sup> أهل الشام ، وانقطعتُ عن أهل العراق ، وأصبت أوقاماً صَغُروا من ذنبي ما عَظَّمْتُمْ ، وعَظَّمُوا من حَقِّي ما صَغَّرْتُمْ ، إذ لم يكن لي منكم وليٌّ ولا نصير . ١٠

وكان علي بن أبي طالب إذ وجهه الحسكان قال لهما : إنما حُكْمُنَا كما بكتاب الله ، فتَحْيِيَانِ ما أحيا القرآن ، وَتُمِيتَانِ ما أمات . فلما كاد عمرو بن العاص لأبي موسى اضطرب الناس على علي واختلقوا ، وخرجت الخوارج ، وقالوا : لا حُكْمَ إلا الله ، فجعل علي يتمثل بهذه الأبيات :

لِي زَلَّةٌ إِلَيْكُمْ فَأَعْتَذِرُ سَوْفَ أَكَيْسُ بَعْدَهَا وَأُنَشِئُ  
وَأُجْمِعُ الْأَمْرَ الشَّتِيتَ الْمُنْتَشِرَ ١٥

أبو الحسن قال : لما قَدِمَ أبو الأسود الدؤلي على معاوية عام الجماعة ، قال له معاوية : بلغني يا أبا الأسود أن علي بن أبي طالب أراد أن يجعلك أحد الحكمين ، فما كنت تحكم به ؟ قال : لو جعلني أحدهما لجمعتُ ألفاً من المهاجرين وأبناء المهاجرين ، وألفاً من الأنصار وأبناء الأنصار ، ثم ناشدتهم الله : المهاجرون وأبناء المهاجرين أولى بهذا الأمر أم الطلقاء ؟ قال له معاوية : الله أبوك ! أي حكم كنت تكون لو حكمت !

(١) في بعض الأصول : « أسلمت » .

## احتجاج على وأهل بيته في الحكمين

أبو الحسن قال : لما أنقضى أمرُ الحكمين وأختلف أصحابُ عليّ قال بعض الناس : ما منع أمير المؤمنين أن يأمر بعض أهل بيته فيحكم ، فإنه لم يبق أحدٌ من رؤساء العرب إلا وقد تكلم . قال : فبينما عليّ يوماً على المنبر إذ التفت إلى الحسن أبنه فقال : قم يا حسن فقل في هذين الرجلين : عبد الله بن قيس وعمر بن العاص . فقام الحسن فقال : أيها الناس ، إنكم قد أكثرتم في هذين الرجلين ، وإنما بُعثا ليحكمَا بالسكتاب على الهوى ، فحكمَا بالهوى على السكتاب . ٢٩٣  
٢ ومن كان هكذا لم يُسمَّ حَكَمًا ، ولكنه محكوم عليه . وقد أخطأ عبد الله بن قيس إذ جعلها لعبد الله بن عمر ، فأخطأ في ثلاث خصال : واحدة ، أنه خالف أباه ، إذ لم يرضه لها ، ولا جعله من أهل الشورى ؛ وأخرى ، أنه لم يستأمره في نفسه ؛ وثالثة ، أنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يعقدون الإمارة ويحكمون بها على الناس . وأما الحكومة ، فقد حَكَمَ النبي عليه الصلاة والسلام سعد بن معاذ في بني قريظة ، فحكم بما يرضى الله به ولا شك ، ولو خالف لم يرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> ، ثم جلس . فقال لعبد الله بن عباس : قم . فقال عبد الله بن عباس ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن ١٥ للحق أهلاً أصابوه بالتوفيق ، فالناس بين راضٍ به وراغبٍ عنه ، فإنه بعث عبد الله بن قيس بهدًى إلى ضلالة ، وبعث عمرو بن العاص بضلالة إلى هدى ، فلما ألتقيا رجع عبد الله بن قيس عن هدهاء وثبت عمرو على ضلاله . وأيم الله ، إن كنا حكمنا بما سارا به ، لقد سار عبد الله وعليّ إمامه ، وسار عمرو ومعاوية إمامه ، فما بعد هذا من عيب يُنتظر ؟ فقال عليّ لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب : قم . ٢٠ فقام فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس ، إن هذا الأمر كان المنظر فيه

(١) يشير إلى حكم سعد في بني قريظة بقتل الرجال وتقسيم الأموال وسبي النراري والنساء ثم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (سموات) . (انظر السيرة لابن هشام) .



إلى عليّ ، والرضا إلى غيره . فَجِئْتُمْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ مُبْرَسًا فَقُلْتُمْ :  
لَا تَرْضَى إِلَّا بِهِ . وَأَيْمَنَ اللَّهُ ، مَا اسْتَفَدْنَا بِهِ عِلْمًا ، وَلَا أَنْتَظَرْنَا مِنْهُ غَائِبًا ، وَمَا نَعْرِفُهُ  
صَاحِبًا . وَمَا أَفْسَدَا بِمَا فَعَلَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، وَمَا أَصْلَحَا أَهْلَ الشَّامِ ، وَلَا وَضَعَا  
حَقَّ عَلِيٍّ ، وَلَا رَفَعَا<sup>(١)</sup> بَاطِلَ مَعَاوِيَةَ ، وَلَا يُذْهِبُ الْحَقُّ رُقِيَةَ رَاقٍ ، وَلَا نَفْثَةَ  
شَيْطَانٍ ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَمْسَ .

### احتجاج عليّ على أهل النهروان

قالوا : إِنَّ عَلِيًّا لَمَّا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ أَهْلُ النَّهْرَوَانِ وَالْقُرَى وَأَصْحَابُ الْبَرَانِسِ ،  
وَزَلُّوا قَرْيَةً يُقَالُ لَهَا حَرُورَاءُ ، وَذَلِكَ بَعْدَ وَقْعَةِ الْجَلِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ مِنْ  
أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُمْ : يَا هَؤُلَاءِ ، مَنْ زَعَيْمُكُمْ ؟ قَالُوا : ابْنُ الْكُوءَاءِ . قَالَ :  
فَلْيَبْرُزْ إِلَيَّ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكُوءَاءِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : يَا ابْنَ الْكُوءَاءِ ،  
مَا أَخْرَجَكُمْ عَلَيْنَا بَعْدَ رِضَاكُمْ بِالْحَكَمَيْنِ ، وَمُقَامِكُمْ بِالْكُوفَةِ ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ بَنِي  
عَدُوًّا لَا نَشْكُ فِي جِهَادِهِ ، فَزَعَمْتَ أَنْ قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلَاهُمْ فِي النَّارِ ، فَبَيْنَمَا  
نَحْنُ كَذَلِكَ إِذَا أُرْسِلَتْ مُنَافِقًا ، وَحَكَمْتَ كَافِرًا ، وَكَانَ مِمَّا<sup>(٢)</sup> شَكَّكَ فِي أَمْرِ اللَّهِ  
أَنْ قُلْتَ لِلْقَوْمِ حِينَ دَعَوْتَهُمْ : كِتَابُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، فَإِنْ قَضَى عَلِيٌّ بَايَعْتُمْكُمْ ،  
وَإِنْ قَضَى عَلَيْكُمْ بَايَعْتُمُونِي . فَلَوْلَا شَكُّكَ لَمْ تَفْعَلْ هَذَا وَالْحَقُّ فِي يَدِكَ . فَقَالَ  
عَلِيٌّ : يَا ابْنَ الْكُوءَاءِ ، إِنَّمَا الْجَوَابُ بَعْدَ الْفَرَاغِ ، أَفَرَأَيْتَ فَأَجِيبُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .  
قَالَ عَلِيٌّ : أَمَا قَتَلْتُكَ مَعَ عَدُوًّا لَا نَشْكُ فِي جِهَادِهِ ، فَصَدَقْتَ ، وَلَوْ شَكَّكَتُ  
فِيهِمْ لَمْ أَقَاتِلَهُمْ . وَأَمَا قَتَلْنَا وَقَتَلَاهُمْ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مَا يُسْتَعْنَى بِهِ عَنْ  
قَوْلِي ؛ وَأَمَا إِرْسَالِي الْمُنَافِقِ وَتَحْسِكِيمِي الْكَافِرِ ، فَأَنْتَ أُرْسِلْتَ أَبَا مُوسَى  
مُبْرَسًا ، وَمَعَاوِيَةَ حَكَمَ عَمْرًا ، أَتَيْتَ بِأَبِي مُوسَى مُبْرَسًا ، فَقُلْتَ : لَا تَرْضَى  
إِلَّا أَبَا مُوسَى ، فَهَلَا قَامَ إِلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ ؟ قَالَ : يَا عَلِيٌّ ، لَا نَطْطِي هَذِهِ الدِّثْيَةَ  
فَاتِّبَاهَا ضَلَالَةً . وَأَمَا قَوْلِي لِمَعَاوِيَةَ : إِنْ جِئْتَنِي إِلَيْكَ كِتَابُ اللَّهِ تَبِعْتُكَ ، وَإِنْ  
(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَضَعَا » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « مِنْ » .

جَرَّكَ إِلَى تَبَعْتَنِي . زَعَمْتَ أَنِّي لَمْ أُعْطِ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ شَيْكَ ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَوْثَقَ مَا فِي يَدِكَ هَذَا الْأَمْرُ ، فَخَذَّنِي وَيَحْكُ عَنْ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ وَمُشْرِكِي الْعَرَبِ ، أَمْ أَقْرَبُ إِلَى كِتَابَةِ اللَّهِ أَمْ مُعَاوِيَةُ وَأَهْلُ الشَّامِ ؟ قَالَ : بَلِ مُعَاوِيَةُ وَأَهْلُ الشَّامِ أَقْرَبُ . قَالَ عَلِيٌّ : فَأَرْسَلُ اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوْثَقَ بَمَا فِي يَدَيْهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ أَنَا ؟ قَالَ : بَلِ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ : أَفَرَأَيْتَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَبْنِ يَقُولُ : ( قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَنْبِئَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) . أَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُؤْتَى بِكِتَابٍ هُوَ أَهْدَى بَمَا فِي يَدَيْهِ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَلِمَ أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ الْقَوْمَ مَا أُعْطَاهُمْ ؟ قَالَ : إِنْصَافًا وَحُجَّةً . قَالَ : فَإِنِّي أُعْطِيتُ الْقَوْمَ مَا أُعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ ابْنُ السَّكَوَاءِ : فَإِنِّي أَخْطَأْتُ ، هَذِهِ وَاحِدَةٌ ، زِدْنِي . قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا أُعْطِيتُ مَا نَقَمْتُمْ عَلَيَّ ؟ قَالَ : ١٠ تَحْكُمُ الْحَكَمَاءُ ، نَظَرْنَا فِي أَمْرِنَا فَوَجَدْنَا تَحْكِيمَهُمْ شُكًّا وَتَنْذِيرًا . قَالَ عَلِيٌّ : فَهِيَ سُمِّيَ أَبُو مُوسَى حَكَمًا : حِينَ أُرْسِلَ ، أَوْ حِينَ حَكَمَ ؟ قَالَ : حِينَ أُرْسِلَ . قَالَ : أَلَيْسَ قَدْ سَارَ وَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَأَنْتَ تَرْجُو أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ عَلِيٌّ : فَلَا أَرَى الضَّلَالَ فِي إِرْسَالِهِ . فَقَالَ ابْنُ السَّكَوَاءِ : سُمِّيَ حَكَمًا حِينَ حَكَمَ . قَالَ : نَعَمْ ، إِذَا فُارِسَالَهُ كَانَ عَدْلًا . أَرَأَيْتَ يَا ابْنَ السَّكَوَاءِ لَوْ أَنَّ ١٥ رَسُولَ اللَّهِ بَعَثَ مُؤْمِنًا إِلَى قَوْمٍ مُشْرِكِينَ يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، فَارْتَدَّ عَلَى عَقْبِهِ كَافِرًا ، كَانَ يَضُرُّ نَبِيَّ اللَّهِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا كَانَ ذَنْبِي أَنْ كَانَ أَبُو مُوسَى ضَلَّ ، هَلِ رَضِيتُ حُكُومَتَهُ حِينَ حَكَمَ ، أَوْ قَوْلَهُ إِذْ قَالَ ؟ قَالَ ابْنُ السَّكَوَاءِ : لَا ، وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ مُسْلِمًا وَكَافِرًا يَحْكُمَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ . قَالَ عَلِيٌّ : وَبِذَاكَ يَا ابْنَ السَّكَوَاءِ ! هَلِ بَعَثَ عَمْرًا غَيْرُ مُعَاوِيَةَ ، وَكَيْفَ أَحْكَمُهُ ٢٠ وَحُكْمُهُ عَلَى خَرْبِ عُنُقِي ؟ إِنَّمَا رَضِيَ بِهِ صَاحِبُهُ كَمَا رَضِيتَ أَنْتَ بِصَاحِبِكَ ، وَقَدْ يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ يَحْكُمَانِ فِي أَمْرِ اللَّهِ . أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا مُؤْمِنًا تَزَوَّجَ يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً فَخَافَا شِقَاقَ بَيْنَهُمَا ، فَفَزَعَ النَّاسُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ،

وفي كتابه ( فابعثوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ) فجاء رجل من اليهود أو رجل من النصارى ورجل من المسلمين الذين يجوز لها أن يحكما في كتاب الله ، فحكما . قال ابن الكواء : وهذه أيضا ، أمهلنا حتى ننظر . فانصرف عنهم على . فقال له صمصمة بن صوحان : يا أمير المؤمنين ، أئذن لي في كلام القوم . قال : نعم ، ما لم تبسط يدا . قال : فنأدى صمصمة ابن الكواء ، فخرج إليه ، فقال : أنشدكم بالله يا معشر الخارجين ألا تكونوا عارًا على من يفرزوا غيره ، وألا تخرجوا بأرض تسموا بها بعد اليوم ، ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل . فقال له ابن الكواء : إن صاحبك لقينا بأمر قولك فيه صغير ، فأمسك .

١٠ قالوا : إن علينا خرج بعد ذلك إليهم فخرج إليه ابن الكواء ، فقال له على : يا ابن الكواء ، إنه من أذنب في هذا الدين ذنبًا يكون في الإسلام حدًا استتبناه من ذلك الذنب بعينه ، وإن توبتك أن تعرف هدى ما خرجت منه وضلال ما دخلت فيه . قال ابن الكواء : إننا لا نُنكر أنا قد فُتينا . فقال له عبد الله بن عمرو بن جرموز : أدركنا والله هذه الآية ( أَلَمْ يَأْمُرْ ) . أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ) . وكان عبد الله من قراء أهل حرّوراء ، فرجعوا فصلوا خلف على الظهر ، وأنصرفوا معه إلى الكوفة ، ثم اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم ، ولأم بعضهم بعضًا . فقال زيد بن عبد الله الراسبي ، وكان من أهل حرّوراء ، يُشكّكهم :

٢٠ شَكَّكُمْ وَمِنْ أَرْضِي ثَبِيرًا مَكَانَهُ      وَلَوْلَمْ تَشْكُوا مَا انْتَفَيْتُمْ عَنِ الْحَرْبِ  
وَتَحْكِيكُمْ عَمْرًا عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ      وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ خُطْبًا مِنْ الْخُطْبِ  
فَأَنكَصَهُ لِلْعَقَبِ لَمَّا خَلَا بِهِ      فَأَصْبَحَ يَهُوَى مِنْ ذُرَى حَالِقِ صَنْبِ

وقال الراسبي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ حُكْمَهُ      وَعَمَّرُوْهُ وَعَبَدُ اللَّهَ مُخْتَلِفَانِ

٢٩٥  
٢

وقال مُسلم بن يزيد الثقفي ، وكان من عُباد حُرُوراء :  
 وإن كان ما عَيْنَاه عَيْنًا فَحَسْبُنَا      خَطَايَا بِأَخْذِ النَّصْحِ مِنْ غَيْرِ نَاصِحٍ  
 وإن كان عَيْنًا فَأَعْظَمَنَّ بَتْرَكُنَا      عَلِيًّا عَلَى أَمْرِ مِنَ الْحَقِّ وَاضِحٍ  
 ونحنُ أَنَاسٌ بَيْنَ بَيْنٍ وَعَلَّيْنَا      سُرْرَنَا بِأَمْرِ غَيْبِهِ غَيْرُ صَالِحٍ  
 نَمُ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ فَقَتَلَهُم بِالنَّهْرِ وَأَنْ .

### خروج عبد الله بن عباس على عليّ

قال أبو بكر بن أبي شذبة : كان عبدُ الله بن عباسٍ من أحبِّ الناسِ إلى  
 عمر بن الخطاب ، وكان يُقدِّمه على الأكبر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ،  
 ولم يستعمله قط ، فقال له يوماً : كذبتُ أَسْتَعْمِلُكَ وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تَسْتَحِلَّ  
 الْفِيءَ عَلَى التَّأْوِيلِ . فلما صار الأمرُ إلى عليّ استعمله على البصرة . فاستحلَّ ١٠  
 الْفِيءَ عَلَى تَأْوِيلِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ  
 وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى) ، واستحلَّه من قرابته من رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم .

وَرَوَى أَبُو مَخْنَفٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ :  
 مَرَّ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ فَقَالَ لَهُ : لَوْ كُنْتَ مِنَ الْبَهَائِمِ لَكُنْتَ ١٥  
 حِمْلًا ، وَلَوْ كُنْتَ رَاعِيًا مَا بَلَغْتَ الْمَرْعَى <sup>(١)</sup> . فَكَتَبَ أَبُو الْأَسْوَدِ إِلَى عَلِيٍّ :  
 أَمَا بَعْدَ . فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ وَالْيَا مُؤْتَمِنًا ، وَرَاعِيًا مَسْثُولًا ، وَقَدْ بَلَوْنَاكَ ، رَحِمَكَ  
 اللَّهُ ، فَوَجَدْنَاكَ عَظِيمَ الْأَمَانَةِ ، نَاصِحًا الْأُمَّةَ ، تُؤَفِّرُهُمْ فَيَنْهَمُ ، وَتَكْفُتُ نَفْسُكَ  
 عَنْ دُنْيَاهُمْ ، فَلَا تَأْكُلُ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا تَرْتَشِي بِشَيْءٍ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَابْنُ عَمِّكَ  
 قَدْ أَكَلَ كُلَّ مَا تَحْتَ يَدَيْهِ مِنْ غَيْرِ عِلْمِكَ ، فَلَمْ يَسْعَ عَنِ كِتْمَانِكَ ذَلِكَ . فَاظْطَرَّ ، ٢٠  
 رَحِمَكَ اللَّهُ ، فِيمَا هَذَا ، وَكَتَبَ إِلَيَّ بِرَأْيِكَ ، فَمَا أَحْبَبْتُ أَتَّبِعَهُ إِنْ  
 شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ .

(١) وزاد الطبري على هذا : « وَلَا أَحْسَنْتُ مَهْنَتَهُ فِي الْمَشْيِ » .

فكتب إليه عليّ: أما بعد . فثلك نصيح الإمام والأمة ، ووالى على الحق ، وفارق الجور . وقد كتبت لصاحبك بما كتبت إلى فيه ، ولم أعلمه بكتابك إلى . فلا تدع إعلامي ما يكون يحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاح ، فإنك بذلك جدير ، وهو حق واجب لله عليك . والسلام .

٥ وكتب عليّ إلى ابن عباس : أما بعد . فإنه قد بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلته فقد أسخطت الله ، وأخرت أمانتك ، وعصيت إمامك ، وخنت المسلمين . بلغني أنك خربت الأرض ، وأكلت ما تحت يدك . فأرفع إلى حسابك ، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس . والسلام .

١٠ وكتب إليه ابن عباس : أما بعد . فإن كل الذي بلغك باطلٌ ، وأنا لما تحت يدي ضابط ، وعليه حافظ ، فلا تصدق على الظنين .

فكتب إليه عليّ: أما بعد . فإنه لا يسعني تركك حتى تعلمني ما أخذت من الجزية من أين أخذته ، وما وضعت منها أين وضعته . فاتق الله فيما أنعمت عليك عليه وأسترعتك إياه ، فإن المتاع بما أنت رازمه<sup>(١)</sup> قليل ، وتبعاته وبيلة لا تبديد . والسلام .

١٥ فلما رأى أن علياً غير مُقلع عنه ، كتب إليه : أما بعد . فإنه بلغني تعظيمك على سرزنة مال بلغك أنى رزائه<sup>(٢)</sup> أهل هذه البلاد . وأيم الله ، لأن ألقى الله بما في بطن هذه الأرض من عقيانها<sup>(٣)</sup> ومخبئها ، وبما على ظهرها من طلاعها<sup>(٤)</sup> ذهباً ، أحب إلى من أن ألقى الله وقد سَفَكَت دماء هذه الأمة لأنال بذلك الملك والإمرة . أبعث إلى عمالك من أحببت فإني طاعن . والسلام .

٢٠ فلما أراد عبد الله المسير من البصرة دعا أخواله بنى هلال بن عامر بن

(١) رازمه ، أى جامع .

(٢) يقال : رزأ المال رزعا ومرزنة ، إذا أصاب منه شيئا .

(٣) العقيان (بالكسر) : الذهب .

(٤) طلاع الشيء : ككتاب : ملؤه .

صَمْعَةَ لِيَنْعُوهُ . فَجَاءَ الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَلَالِيُّ فَأَجَارَهُ ، وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ  
يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَزِينَ<sup>(١)</sup> . وَكَانَ شَجَاعًا بَيْسًا ، فَقَالَتْ بَنُو هَلَالٍ : لَا غَنَى  
بِنَا عَنْ هَوَازِنَ . فَقَالَتْ هَوَازِنُ : لَا غَنَى بِنَا عَنْ بَنِي سُلَيْمٍ . ثُمَّ أَتَتْهُمْ قَيْسٌ . فَلَمَّا  
رَأَى اجْتِمَاعَهُمْ لَهُ حَمَلَ مَا كَانَ فِي بَيْتِ مَالِ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ فِيْمَا زَعَمُوا سِتَّةَ آلَافٍ  
أَلْفٍ ، فَجَعَلَهُ فِي الْغَرَائِرِ .

قال : لَخَذْتَنِي الْأَزْرَقُ الْيَشْكُرِيُّ ، قَالَ : سَمِعْنَا أَشْيَاخَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ  
قَالُوا : لَمَّا وَضَعَ الْمَالُ فِي الْغَرَائِرِ نَمَّ مَضَى بِهِ ، تَبِعَتْهُ الْأَخْنَاسُ<sup>(٢)</sup> كُلُّهَا بِالْخُفِّ ،  
عَلَى أَرْبَعِ فَرَاسِخٍ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَوَاقَوْهُ . فَقَالَتْ لَهُمْ قَيْسٌ : وَاللَّهِ لَا تَصْلُوا إِلَيْهِ  
وَمِمَّا عَيْنُ تَطْرَفٍ . فَقَالَ ضَمْرَةُ ، وَكَانَ رَأْسَ الْأَزْدِ : وَاللَّهِ إِنْ قَيْسًا لِإِخْوَتِنَا  
فِي الْإِسْلَامِ ، وَجِيرَانِنَا فِي الدَّارِ ، وَأَعْوَانِنَا عَلَى الْعَدُوِّ . إِنْ الَّذِي تَذْهَبُونَ بِهِ  
الْمَالُ ، لَوُرِّدَ عَلَيْكُمْ لِسْكَانُ نَصِيصِكُمْ مِنْهُ الْأَقْلُ ، وَهُمْ خَيْرُ لَكُمْ مِنَ الْمَالِ . قَالُوا :  
فَمَا تَرَى ؟ قَالَ : انْصَرَفُوا عَنْهُمْ . فَقَالَتْ بَكْرُ بْنُ وَاثِلٍ وَعَبْدُ الْقَيْسِ : نَعَمْ الرَّأْيُ  
رَأَى ضَمْرَةَ ، وَاعْتَزَلُوهُمْ . فَقَالَتْ بَنُو تَمِيمٍ : وَاللَّهِ لَا تُفَارِقُهُمْ حَتَّى تَقَاتِلَهُمْ عَلَيْهِ .  
فَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : أَنْتُمْ وَاللَّهِ أَحَقُّ أَلَّا تُقَاتِلُوهُمْ عَلَيْهِ ، وَقَدْ تَرَكَ قِتَالَهُمْ  
مَنْ هُوَ أَبْعَدُ مِنْكُمْ رَحِمًا . قَالُوا : وَاللَّهِ لَنُقَاتِلَنَّهُمْ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا نَعَاوَنُكُمْ<sup>(٣)</sup> عَلَى  
قِتَالِهِمْ ، وَأَنْصَرِفْ عَنْهُمْ . فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ ابْنُ الْمَجَاعَةِ<sup>(٤)</sup> فَقَاتَلَهُمْ . فَحَمَلَ عَلَيْهِ الضَّحَّاكُ  
ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَطَعَنَهُ فِي كَتِفِهِ فَصَرَعَهُ ، فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ بِغَيْرِ قَتْلِ . وَحَمَلَ  
سَلْمَةُ بْنُ ذُو رِبِ السَّعْدِيِّ عَلَى الضَّحَّاكِ فَصَرَعَهُ أَيْضًا ، وَكَثُرَتْ بَيْنَهُمُ الْجِرَاحُ  
مِنْ غَيْرِ قَتْلِ . فَقَالَ الْأَخْنَاسُ<sup>(٢)</sup> الَّذِينَ اعْتَزَلُوا : وَاللَّهِ مَا صَنَعْتُمْ شَيْئًا . اعْتَزَلْتُمْ  
قِتَالَهُمْ وَتَرَكْتُمُوهُمْ يَتَشَاجِرُونَ . فَجَاءُوا حَتَّى صَرَفُوا وَجُوهَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ ،

(١) فِي الْأَصُولِ هُنَا : « رَزِينَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » وَمَا أَثْبَتْنَا مِنَ الطَّبَرِيِّ وَمِمَّا سَاقَى .

(٢) يُرِيدُ أَخْنَاسَ الْبَصْرَةِ ، وَهِيَ خَمْسَةٌ ، فَالْجَنَسُ الْأَوَّلُ الْعَالِيَةُ ، وَالْجَنَسُ الثَّانِي بَكْرُ بْنُ

وَاثِلٍ ، وَالْجَنَسُ الثَّلَاثُ تَمِيمٌ ، وَالْجَنَسُ الرَّابِعُ عَبْدُ الْقَيْسِ ، وَالْجَنَسُ الْخَامِسُ الْأَزْدُ .

(٣) كَذَبًا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَالطَّبَرِيِّ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « لَا نَعَاوَنُكُمْ » .

(٤) فِي الْأَصُولِ : « ابْنُ مَحْدَبَةَ » وَمَا أَثْبَتْنَا مِنَ الطَّبَرِيِّ .

وقالوا لبني تميم : والله إن هذا اللؤم قبيح ، لنحن أسخى أنفساً منكم حين تركنا أموالنا لبني عمكم ، وأنتم تقاتلونهم عليها ، خلأوا عنهم وأرواحهم ، فإن القوم فُدحوا . فانصرفوا عنهم ، ومضى معه ناسٌ من قيس ، فيهم الضحالك بن عبد الله وعبد الله بن رزين ، حتى قدموا الحجاز ، فبزل مكة ، فجعل راجز لعبد الله بن عباس يسوق له في الطريق ويقول :

صَبَّحْتُ مِنْ كَاطِمَةِ الْقَصْرِ الْحَرْبِ . مع ابن عباس بن عبد المطلب<sup>(١)</sup>

وجعل ابن عباس يرتجز ويقول :

أَوَى إِلَى أَهْلِكَ يَا رَبَّ أَوَى فَقَدْ حَانَ لَكَ الْإِيَابُ  
وجعل أيضاً يرتجز ويقول :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيساً إِنَّ يَصْدُقُ الطَّيْرُ نَبْكَ<sup>(٢)</sup> لَيْبِئَا  
فقيل له : يا أبا العباس ، أمثلك برُفث في هذا الموضع ؟ قال : إنما الرفث ما يقال عند النساء .

قال أبو محمد : فلما نزل مكة اشترى من عطاء بن جبير مولى بني كعب ، من جواربه ثلاث مولدات حجازيات ، يقال لهن : شادن ، وحوراء ، وفُتون .

بثلاثة آلاف دينار . ١٥

وقال سليمان بن أبي راشد عن عبد الله بن عبيد عن أبي السكون قال : كنت من أعوان عبد الله بالبصرة ، فلما كان من أمره ما كان أتيتُ عليماً فأخبرته فقال : ( وَاتْلُ عَلَيْهِ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَأَنْسَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ) . ثم كتب معه إليه : أما بعد ، فإني كنتُ أشركتك في أمانتي ، ولم يكن من أهل بيتي رجل أوثقَ عندي منك بمواساتي ومؤازرتي . ٢٠

(١) كاطمة : على سيف البحر من البصرة على مرحلتين . وفيها ركام كثير وماؤها شروب . ورواية البيت في السكامل :

صَبَّحْتُ مِنْ كَاطِمَةِ الْخَصْرِ الْحَرْبِ بِحَمَلِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ  
يريد : ابن عباس . وقد ساقه المبرد شاهداً على إقامة العرب المضاف إليه مقام المضاف .

(٢) في عيون الأخبار ( ج ١ ص ٣٣١ ) : « نل » .

بأداء الأمانة ، فلما رأيت الزمان قد كَلَبَ عَلَى ابن عمك ، والعدو قد حَرَدَ ،  
 وأمانة الناس قد خَرَبَتْ ، وهذه الأمة قد فُتِنَتْ ، قَلَبْتَ لابن عمك ظهر الحن ،  
 وفارقتَه مع القوم المغارقين ، وخَذَلْتَهُ أسوأ خِذْلَانٍ ، وَخُنْتَهُ مع مَنْ خان . ٢٩٧  
 فإِذَا ابن عمك آسَيْتَ ، وَلَا الأمانة إِلَيْهِ أَدَيْتَ ، كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ  
 رَبِّكَ ، وَإِنَّمَا كِدْتَ أمةَ مُحَمَّدٍ عَنْ دُنْيَاهُمْ ، وَغَدَرْتَهُمْ عَنْ فَيْتِهِمْ . فلما أَمَكْنَتْكَ  
 الْفُرْصَةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ ، أَسْرَعْتَ الْغَدْرَةَ ، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ ، فَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ  
 عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَأَنْقَلَبْتَ بِهَا إِلَى الْحِجَازِ ، كَأَنَّكَ إِنَّمَا خُزْتَ عَنْ أَهْلِكَ مِيرَاثَكَ  
 مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ . سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ ، أَمَا تَخَافُ الْحِسَابَ ! أَمَا  
 تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا وَتَشْرَبُ حَرَامًا ! وَتَشْتَرِي الْإِيمَاءَ وَتَسْكُحُهُمْ بِأَمْوَالِ  
 الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، الَّتِي أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ! فَاتَّقِ اللَّهَ وَأَدِّ  
 إِلَى الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ ، فَإِنَّكَ وَاللَّهِ لَنْ تَفْعَلَ وَأَمَكْنِي اللَّهُ مِنْكَ لِأُعْذِرَنَّ إِلَى اللَّهِ  
 فِيكَ . فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهَا عِنْدِي  
 هَوَادَةٌ ، وَلَمَا تَرَكْتُهُمَا حَتَّى آخِذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا . وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَمَا بَعْدَ . فَقَدْ بَلَغْنِي كِتَابُكَ تُعْظِمُ عَلَى أَمَانَةِ  
 الْمَالِ الَّذِي أَصَبْتُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْبَصْرَةِ . وَلَعُمْرِي إِنْ حَقَّ فِي بَيْتِ مَالِ اللَّهِ ١٥  
 بِأَكْثَرُ مِنَ الَّذِي أَخَذْتُ . وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ الْعَجَبَ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْكَ ، إِذَا تَرَى  
 نَفْسَكَ فِي بَيْتِ مَالِ اللَّهِ أَكْثَرَ مِمَّا لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، قَدْ أَفْلَحَتْ إِنْ كَانَ  
 تَمَتُّعُكَ الْبَاطِلَ وَأَدْعَاؤُكَ مَا لَا يَكُونُ يُنْجِيكَ مِنَ الْإِنِّمِ ، وَيُحِلُّ لَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ  
 عَلَيْكَ . عَمَّرَكَ اللَّهُ ! إِنَّكَ لَأَنْتَ الْبَعِيدُ <sup>(١)</sup> ، قَدْ بَلَغْنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مَكَّةَ وَطَنًا ،  
 وَضَرَبْتَ بِهَا عَظْمًا ، تَشْتَرِي الْمَوْلِدَاتِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَالطَّائِفِ ، وَتَخْتَارُهُنَّ عَلَى  
 عَيْنِكَ ، وَتُعْطِي بَهَنَ <sup>(٢)</sup> مَالٍ غَيْرِكَ . وَإِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ ، مَا أَحَبُّ

(١) أَيُّ الْبَعِيدِ عَنِ الصُّوَابِ . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ « بِهَا » .



أَنْ مَا أَخَذْتَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ لِي حَلَالًا أَدْعُهُ مِيرَاثًا لِعَقْبِي . فَمَا بَالُ اغْتِبَاطِكَ بِهِ  
تَأْكُلُهُ حَرَامًا ! ضَحَّ زُوَيْدًا<sup>(١)</sup> . فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى ، وَغَرَضْتَ عَلَيْكَ  
أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادَى فِيهِ بِالْحَمْسَةِ ، وَيَتَمَتَّى الْمُضِيعُ التَّوْبَةَ ، وَالظَّالِمُ الرَّجْعَةَ .  
فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَدْعُنِي مِنْ أَسَاطِيرِكَ لِأَحْلِلَنَّهُ إِلَى  
مَعَاوِيَةَ يُقَاتِلَكَ بِهِ . فَكَفَّ عَنْهُ عَلِيٌّ .

### مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

سُعْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ : كَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يُخْرِجُ  
بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ . فَقَالَ أَنَسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : نَحْشَى أَنْ يُصِيبَهُ بِمَضْعُودِهِ ، وَلَكِنْ  
تَعَالَوْا نَحْرُسْهُ . فَخَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِنَا ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَكَتَمْنَاهُ .  
فَعَزَمَ عَلَيْنَا . فَأَخْبَرْنَاهُ . فَقَالَ : تَحْرُسُونِي مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ؟  
قُلْنَا : مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ . قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ يُقْضَى فِي الْأَرْضِ حَتَّى يُقْضَى فِي السَّمَاءِ .  
الْتِمِئْتُ بِإِسْنَادٍ لَهُ قَالَ : لَمَّا تَوَاعَدَ ابْنُ مُلْجَمٍ وَصَاحِبَاهُ بِقَتْلِ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ  
وَعُمُرُو بْنِ الْعَاصِ ، دَخَلَ ابْنُ مُلْجَمٍ الْمَسْجِدَ فِي بُرُوعِ الْفَجْرِ الْأَوَّلِ ، فَدَخَلَ  
فِي الصَّلَاةِ تَطَوُّعًا ، ثُمَّ أَفْتَتَحَ فِي الْقِرَاءَةِ ، وَجَمَلَ يُكْرِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ ( وَمَنْ  
النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ) . فَأَقْبَلَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ مَخْفِقَةً<sup>(٢)</sup> ،  
وَهُوَ يُوقِظُ النَّاسَ لِلصَّلَاةِ ، وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ . فَمَرَّ بِابْنِ مُلْجَمٍ  
وَهُوَ يَرْدُدُ هَذِهِ الْآيَةَ ، فَظَنَّ عَلِيٌّ أَنَّهُ يَنْسِي فِيهَا ، فَفَتَحَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : ( وَاللَّهِ  
رَمَوْفٌ بِالْعِبَادِ ) . ثُمَّ أَنْعَرَفَ عَلِيٌّ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الدَّارَ ، فَأَتْبَعَهُ فَضْرَبَهُ عَلِيٌّ  
قَرْنَهُ ، وَوَقَعَ السِّيفُ فِي الْجِدَارِ ، فَأَطَارَ فِدْرَةً<sup>(٣)</sup> مِنْ آخِرِهِ ، فَأُتْبِدِرَهُ النَّاسُ فَأَخَذُوهُ ،  
وَوَقَعَ السِّيفُ مِنْهُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، احْذَرُوا السِّيفَ فَإِنَّهُ مَسْمُومٌ .  
قَالَ : فَأَتَى بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ : احْبِسُوهُ ثَلَاثًا وَأَطْعَمُوهُ وَاسْقُوهُ ، فَإِنْ أَعَشَ أَرَفَيْتُهُ .

(١) ضَحَّ ، أَمْرٌ مِنَ الضَّحِيَّةِ ، أَيْ لَا تَعْجَلْ فِي ذَبْحِهَا . ثُمَّ اسْتَخِيرَ فِي النَّهْيِ عَنِ الْعَجَلَةِ فِي الْأَمْرِ .

(٢) الْخَفِيقَةُ ( كَكَنْسَةِ ) : الدَّرَّةُ أَوْ سُوطٌ مِنْ خَشَبٍ .

(٣) فِدْرَةٌ ، بِالسَّكْسَرِ ، أَيْ قِطْعَةٌ .

رَأَيْتُ ، وَإِنْ أُمْتُ فَأَقْتُلُوهُ وَلَا تَمْتَلُوا بِهِ . فَمَاتَ مِنْ تِلْكَ الضَّرْبَةِ . فَأَخَذَهُ عَبْدُ اللَّهِ  
 ٢٩٨  
 ٧ ابن جعفر فَقَطَعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، فَلَمْ يَفْزَعْ ، ثُمَّ أَرَادَ قَطْعَ لِسَانِهِ فَفَزَعَ . فَقِيلَ لَهُ :  
 لِمَ لَمْ تَفْزَعْ أَقَطَعَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَفَزَعْتَ لِقَطْعِ لِسَانِكَ ؟ قَالَ : إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ  
 لَا تَعْرِى سَاعَةً لَا أَذْكَرُ اللَّهَ فِيهَا . ثُمَّ قَطَعُوا لِسَانَهُ وَضَرَبُوا عُنُقَهُ .

وَتَوَجَّهَ الْخَارِجِيُّ الْآخَرُ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهِ سَبِيلًا . وَتَوَجَّهَ الثَّالِثُ إِلَى  
 عمرو فوجدَه قد أغفل تلك الليلة فلم يخرج إلى الصلاة ، وقَدَّمَ مكانه رجلاً يقال  
 له خَارِجَةٌ ، فَضَرَبَهُ الْخَارِجِيُّ بِالسَّيْفِ وَهُوَ يَظُنُّهُ عمرو بن العاص ، فَقَتَلَهُ . فَأَخَذَهُ  
 النَّاسُ ، فَقَالُوا : قَتَلْتَ خَارِجَةً . قَالَ : أَوَلَيْسَ عمرو ؟ قَالُوا لَهُ : لَا . قَالَ : أَرَدْتُ  
 عمروً وَأَرَادَ اللَّهُ خَارِجَةً .

وفي الحديث : إِنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيٍّ : أَلَا أَخْبِرُكَ بِأَشَدِّ  
 ١٥ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : فَإِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَاقِرُ نَاقَةِ ثَمُودَ ، وَخَاضِبُ حَلِيقَتِكَ بِدَمِ رَأْسِكَ .  
 وَقَالَ كَثِيرٌ عَزَّةً :

أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ      وَوَلَاةَ الْعَهْدِ أَرْبَعَةٌ سِوَاهِ  
 ١٥ عَلِيٍّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ      هُمُ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ  
 فَسَبَطُ سَبَطِ إِيْمَانٍ وَبَرٍّ      وَسَبَطُ غَيْبَتِهِ كَرٍّ بِلَاءِ  
 وَسَبَطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى      يَقُودَ الْحَيْلَ يَقْدُمُهَا الْوَاءُ  
 تَغَيَّبَ لَا يَرَى عَنْهُمْ زَمَانًا      بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلُ وَمَاءُ

قال الحسن بن عليٍّ صبيحةَ الليلة التي قُتِلَ فيها عليٌّ بن أبي طالب رضي الله  
 ٢٠ الله عنه : حَدَّثَنِي أَبِي الْبَارِحَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : يَا بُنَى ، إِنِّي صَلَّيْتُ الْبَارِحَةَ  
 مَا رَزَقَ اللَّهُ ، ثُمَّ نَمْتُ نَوْمَةً فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَكَوْتُ  
 لَهُ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ أَصْحَابِي وَقِلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الْجِهَادِ ، فَقَالَ لِي : ادْعُ اللَّهَ أَنْ  
 يُرِيحَكَ مِنْهُمْ ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ .

وقال الحسنُ صبيحةَ تلك الليلة : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ قُتِلَ فِيكُمْ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيكفنه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فلا يفتنى حتى يفتح الله له ، ما ترك إلا ثلثمائة درهم .

### خلافة الحسن بن علي

٥ ثم بويج للحسن بن علي . وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في شهر رمضان سنة أربعين من التاريخ ، فكتب إليه ابن عباس : إن الناس قد ولوك أمرهم بعد علي ، فأشدد عن يمينك ، واجاهد عدوك ، واستر من الظنين ذنبه بما لا يثلم دينك ، وأستعمل أهل البيوتات تستصلح من عشارهم .

١٠ ثم اجتمع الحسن بن علي ومعاوية بمسكن ، من أرض السواد من ناحية الأنبار ، وأصطلحا ، وسلم الحسن الأمر إلى معاوية ، وذلك في شهر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، ويسمى عام الجماعة . فكانت ولاية الحسن سبعة أشهر وسبعة أيام ، ومات الحسن في المدينة سنة تسع وأربعين ، وهو ابن ست وأربعين سنة . وصلى عليه سعيد بن العاص ، وهو والي المدينة . وأوصى أن يدفن مع جده في بيت عائشة ، ففعله مروان بن الحكم فردوه إلى البقيع .

١٥ وقال أبو هريرة لمروان : علام تمنع أن يدفن مع جده ؟ فلقد أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة . فقال له مروان : لقد ضيع [ الله ] حديث نبيي إذ لم يروه غيرك . قال : أما إنك إذ قلت ذلك لقد صحبته حتى عرفت من أحب ومن أبغض ، ومن نفي ومن أقر ، ومن دعا له ومن دعا عليه .

٢٠ ولما بلغ معاوية موت الحسن بن علي خرو ساجدا لله ، ثم أرسل إلى ابن عباس ، وكان معه في الشام ، فهبأه وهو مستبشر ، وقال له : إن كم سنة مات أبو محمد ؟ فقال له : سنة كان يسمع في قریش ، فالعجب من أن يحمله مثلك ! قال : بلغني

أنه ترك أطفالا صفاراً . قال : كُلُّ ما كان صغيراً يَكْبُرُ ، وإنَّ طِفْلاً لَسَكُولٌ ،  
وإن صغيرنا لكبير . ثم قال : ما لي أراك يا معاوية مُسْتَبْشِراً بموت الحسن  
ابن علي ؟ فوالله لا ينسأ في أجلك ، ولا يَسُدُّ حُفْرَتَكَ ، وما أَقْلُ بقاءك وبقاءنا  
بهذه . ثم خرج ابنُ عباس ، فبعث إليه معاوية ابنه يزيد ، فقام بين يديه ففَرَّاه  
وأستعبر لموت الحسن ، فلما ذهب أتبعه ابنُ عباس بهمره ، وقال : إذا ذهب  
آل حَرْب ذهب الحِلْم من الناس .

ثم اجتمع الناسُ على معاوية سنة إحدى وأربعين ، وهو عام الجماعة ،  
فبايحه أهلُ الأمصار كلها ، وكتب بينه وبين الحسن كتاباً وشروطاً ، ووصله  
بأربعين ألفاً . وفي رواية أبي بكر بن أبي شيبة أنه قال له : والله لأُجيزنك  
بجائزة ما أُجِزْتُ بها أحداً قبلك ، ولا أُجِيزُ بها أحداً بعدك ، فأصر له  
بأربعائة ألف .

### خلافة معاوية

هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .  
وكُنيتُه أبو عبد الرحمن ، وأمه هند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .  
ومات معاوية بدمشق يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين ، وصلى عليه  
الضحاك بن قيس ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، ويقال ابن ثمانين سنة .  
كانت ولايته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة وعشرين يوماً . صاحب  
شرطته يزيد بن الحارث العبسي . وعلى حرسه — وهو أول من اتخذ حرساً —  
رجل من الموالي يقال له المختار . وحاجبه سعد ، مولاه . وعلى القضاء أبو إدريس  
الغولاني . وولد له عبد الرحمن وعبد الله ، من فاختة بنت قرظة<sup>(١)</sup> . أما عبد الرحمن  
فمات صغيراً ، وأما عبد الله فمات كبيراً ، وكان ضعيفاً ولا عقب له من الذكور .

(١) في بعض الأصول : « قرظة » .

وكان له بنت يقال لها عاتكة ، تزوجها يزيد بن عبد الملك ، وفيها يقول الشاعر<sup>(١)</sup> :  
يا بيت عاتكة الذي أتعرّضُ حذر العدا وبه الفؤاد موكّل<sup>(٢)</sup>  
وزيد بن معاوية ، وأمه أبنه بحدل<sup>(٣)</sup> ، كلمية .

### فضائل معاوية

ذكر عمرو بن العاص معاوية فقال : احذروا قرّم<sup>(٤)</sup> قريش وأبن كرمها ،  
من بضحك عند الغضب ، ولا ينام إلا على الرضا ، ويتناول ما فوقه من تحتة .  
سئل عبد الله بن عباس عن معاوية ، فقال : سما بشيء أمره ، وأستفهم  
عليه بشيء أعلنه ، فحاول ما أمر بما أعلن فقال . كان حله قاهراً لنفسه ،  
وجوده غالباً على منعه ، يصل ولا يقطع ، ويجمع ولا يفرق ، فأستقام له أمره ،  
وجرى إلى مدته . قيل : فأخبرنا عن ابنه . قال : كان في خير سبيله ، وكان  
أبوه قد أحكمه ، وأمره ونهاه ، فتملق بذلك ، وسلك طريقاً مذكّلاً له .

وقال معاوية : لم يكن في الشباب شيء إلا كان مني فيه مستمتع ، غير  
أنني لم أكن صرعة ولا نسكحة<sup>(٥)</sup> ولا سبياً .  
قال الأصمعي : السب : كثير السباب .

١٥ (١) الشاعر هو الأحوص بن محمد الأنصاري . وهذا البيت مطاع قصيدة له مدح بها عمر

ابن عبد العزيز في عروض قصيدة سليمان ابن أبي دباس التي يقول فيها :

يا بيت خنساء الذي أتجنب ذهب الشباب وحبسها لا يذهب

انظر الأغاني ( ج ١٨ ص ١٩٥ ) طبعة بلاق .

(٢) عاتكة ، قيل عبوز كبيرة ، وقيل هي عاتكة بنت عبد الله بن معاوية . وروى

إسحاق بن عبد الملك أن الأحوص كان ليلاً وأن عاتكة التي كان يشيب بها

ليست عاتكة بنت عبد الله بن معاوية إنما هو رجل كان ينزل قري كانت بين

الأشراف كني عنه عاتكة . وأتعرّض : أتجنبه ، وأكون بمنزلة عنه . ( انظر الأغاني )

(٣) هي ميسون بنت بحدل .

(٤) كذا في بعض الأصول . وفي عيون الأخبار ( ج ١ ص ٩ ) : « آدم » . وانظر

الخبر ( ج ١ ص ٢٩ ) من هذه الطبعة . والذي في سائر الأصول : « دم » .

(٥) الصرعة ( كهمة ) : من يصرع الناس . ( وبالضم ) : من يصرعه الناس . والنسكة

( كهمة ) : الكثير النكاح .

ميمون بن مهران قال : كان أول من جلس بين الخطبتين معاوية ، وأول من وضع شرف العطاء الأمين معاوية .

وقال معاوية : لا زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معاوية ، إذا ملكت فأحسن .

العتبي عن أبيه قال : قال معاوية لأقرش : ألا أخبركم عنى وعنكم ؟ قالوا : بلى . قال : فأننا أطير إذا وقعتم ، وأقع إذا طرتم ، ولو وافق طيراني طيرائكم سةطنا جميعاً .

قال معاوية : لو أن بينى وبين الناس شجرة ما انقطعت أبداً . قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : كنت إذا مدوها أرخيتها ، وإذا أرخوها مددتها .

وقال زياد : ما غلبنى أمير المؤمنين معاوية قط إلا فى أمر واحد ، طلبت رجلاً من عمالى كسر على الخراج فلجأ إليه ، فكتبته إليه : إن هذا فساد عملى وعملك . فكتب إلى : إنه لا ينبغي لنا أن نسوس الناس سياسة واحدة ، لا نلين جميعاً فيمرح الناس فى العصية ، ولا نشدد جميعاً فنحمل الناس على المهالك ، ولكن تكون أنت للشدّة والفظاظة والفاظة ، وأكون أنا للرافة والرحمة .

### أخبار معاوية

١٥

قدم معاوية للمدينة بعد عام الجماعة ، فدخل دار عثمان بن عفان ، فصاحت عائشة بنت عثمان وبكت ونادت أباه . فقال معاوية : يا بنة أخى ، إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً ، وأظهرنا لهم حملاً تحته غضب ، وأظهروا لنا ذلاً تحته حقد ، ومع كل إنسان سيفه ، ويرى موضع أصحابه ، فإن نكثناهم نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلمينا تكون أم لنا . لأن تكونى ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكونى امرأة من عرض الناس .

القعقدي قال : لما قدم معاوية للمدينة قال : أيها الناس ، إن أبا بكر رضى الله عنه لم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته ولم يردّها ، وأما عثمان

فقال منها ونالت منه ، وأما أنا فمالت بي وملت بها ، وأنا ابنها ، فهي أمي وأنا ابنها ، فإن لم تجدوني خيركم فأنا خيركم . ثم نزل .

قال جويرية بن أسماء . نال بُسرُ بن أرطاة<sup>(١)</sup> من علي بن أبي طالب عند معاوية ، وزيد بن عمر بن الخطاب جالس ، فعلا بُسرًا ضربًا حتى شجّه . فقال معاوية : يا زيد ، عمدت إلى شيخ قریش وسيد أهل الشام فضررتَه ! وأقبل على بُسر وقال : تشتم عليًا وهو جدُّه وأبوه الفاروق على رؤوس الناس ! أنسكت تراه يصبر على شتم علي ! وكانت أم زيد أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب . ولما قدم معاوية مكة ، وكان عمر قد استعمله عليها ، دخل على أمه همد ، فقالت له : يا بني . إنه قلما ولدت حرة مثلك ، وقد استعملك هذا الرجل ، فأعمل بما وافقه ، أحببت ذلك أم كرهته . ثم دخل على أبيه أبي سفيان ، فقال له : يا بني . إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا ، فرغمهم سبهم وقصر بنا تأخيرنا ، فصرنا أتباعًا وصاروا قادة ، وقد قلدوك جسيما من أمرهم ، فلا تخالفن رأيهم ، فإنك تجرى إلى أمد لم تبلغه ، ولو قد بلغت لتنفست فيه . قال معاوية : فعميت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ .

العقبى عن أبيه : أن عمر بن الخطاب قدِم الشام على حمار ومعه عبد الرحمن ابن عوف على حمار ، فتلقاها معاوية في موكب نبيل ، فجاوز عمر حتى أخبر فرجع إليه ، فلما قرب منه نزل ، فأعرض عنه عمر ، فجعل يمشي إلى جنبه راجلا . فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتعبت الرجل . فأقبل عليه عمر فقال : يا معاوية ، أنت صاحب الموكب آنفًا مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ولم ذلك ؟ قال : لأننا في بلاد لا يمتنع فيها من جواسيس العدو ، فلا بد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان ، فإن أمرتني بذلك أقمت عليه ، وإن نهيتني عنه انتهيت . قال : إن كان الذي قلت حقًا فإنه رأي أريب ، وإن كان باطلا فإنها خدعة أديب ، ولا آمرك به ولا أنهك عنه .

(١) في الأصول : « بسر بن أرطاة » تصحيف (انظر الطبري والمعارف) .

فقال عبد الرحمن بن عوف: لحسن ما صدر من هذا الفتى عما أوردته فيه . قال :  
 لِحَسَن مَّصَادِرِهِ وَمَوَارِدِهِ جِشْمَانَاهُ مَا جِشْمَانَاهُ .  
 وقال معاوية لابن السكواء : يا ابن السكواء ، أنشدك الله ، ما علمك في ؟  
 قال : أنشدتني الله ! ما أعلمك إلا واسع الدنيا ضيق الآخرة .

- ولما مات الحسن بن علي حجج معاوية ، فدخل المدينة وأراد أن يلعن هاشمًا  
 على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقبل له : إن هاشمًا سعد بن أبي وقاص ،  
 ٣٠١ ولا تراه يرضى بهذا ، فأبعث إليه وخذ رأيه . فأرسل إليه وذكر له ذلك .  
 فقال : إن فعلت لأخرجن من المسجد ، ثم لا أعود إليه . فأمسك معاوية عن  
 لعنه حتى مات سعد . فلما مات لعنه على المنبر ، وكتب إلى عماله أن يلعنوه على  
 المنابر ، ففعلوا . فسكتت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى معاوية : إنكم  
 ١٠ تلعنون الله ورسوله على منابركم ، وذلك أنكم تلعنون على بن أبي طالب ومن  
 أحبه ، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله ، فلم يلتفت إلى كلامها .

وقال بعض العلماء لولده : يا بُني ، إن الدنيا لم تكن شيئًا إلا هدمه الدين ،  
 وإن الدين لم يكن شيئًا فهدمته الدنيا ، ألا ترى أن قومًا لعنوا عليًا ليخففوا  
 منه فكانوا أخذوا بنافذته جرمًا إلى السماء .

- ١٥ ودخل صعصعة بن صوحان على معاوية ومعه عمرو بن العاص جالس على  
 سريره ، فقال : وسمع له على ثرايبه فيه . فقال صعصعة : إني والله أترابي ، منه  
 خلفت ، وإليه أعود ، ومنه أبعث ، وإنك لمارج من مارج من نار .  
 العتبي عن أبيه ، قال : قال معاوية لعمرو بن العاص : ما أعجب الأشياء ؟  
 قال غلبه من لاحق له ذا الحق على حقه . قال معاوية : أعجب من ذلك أن  
 ٢٠ يُعطى من لاحق له ما ليس له بحق من غير غلبة .

وقال معاوية : أعنت على علي بأربعة ، كنت أكرم سرّي وكان رجلاً  
 يُظهري ، وكنت في أصلح جُند وأطوعه وكان في أخبث جُند وأغصاه ،



وتركته وأصحاب الجمل وقلت : إن ظفروا به كانوا أهونَ عليّ منه ، وإن ظفروا بهم أغترب بها في دينه ، وكنت أحبّ إلى قریش منه . فيالك من جامع إلى ومفرّق عنه !

العتبي قال : أراد معاوية أن يُقدّم أبنه يزيد على الصائفة<sup>(١)</sup> ، فسكره

ذلك يزيد ، فأبى معاوية إلا أن يفعل ، فكتب إليه يزيد يقول :

نَجِيٌّ لَا يَزَالُ يُعَدُّ ذَنْبًا لِنَقْطَعُ وَصْلَ حَبْلِكَ مِنْ حَبَالِي

فَيُوشِكُ أَنْ يُرِيحَكَ مِنْ أَدَانِي نَزُولِي فِي الْمَسَالِكِ وَارْتَحَالِي

وتجهّز للخروج ، فلم يتخلّف<sup>(٢)</sup> عنه أحد ، حتى كان فيمن خرج أبو أيوب

الأنصاريّ صاحب النبيّ صلى الله عليه وسلم .

١٠ قال العتبي : وحدّثني أبو إسحاق<sup>(٣)</sup> إبراهيم قال : أرسل معاوية إلى ابن

عبّاس ، قال : يا أبا العباس ، إن أحببتَ خرجت<sup>(٤)</sup> مع ابن أخيك فيأنس بك

ويقرّبك وتشيّر عليه برأيك . ولا يدخل الناسُ بينك وبينه فيدشغلوا كلّ واحد

منكم عن صاحبه . وأقلّ من ذكر حقلك ؛ فإنه إن كان لك فقد تركته لمن هو

أبعد منّا حبّاً ، وإن لم يكن لك فلا حاجة بك إلى ذكره ، مع أنه صائر إليك ،

١٥ وكل آت قريب ، ولتجدن<sup>(٥)</sup> ، إذا كان ذلك ، خيراً لكم منا .

فقال ابن عبّاس : والله لئن عظمت عليك النعمة في نفسك لقد عظمت

عليك في يزيد . وأما ما سألتني من السكف عن ذكر حقّي ، فأبى لم أنعمد سببي

وأنا أريد أن أنتصر بلساني . ولئن صار هذا الأمرُ إلينا ثم وليكم من قومي

متلى كما ولينا من قومك مثلك لا يرى أهلُك إلا ما يُحِبُّون .

٢٠ قال : نخرج يزيد ، فلما صار على الخليج<sup>(٦)</sup> ثقل أبو أيوب الأنصاريّ ،

(١) الصائفة : الجيش يغزو صيفاً . (٢) في بعض الأصول : « يتخلّف » .

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خراش . وفي بعض الأصول : « أبو إبراهيم » .

(٤) في بعض الأصول : « أن تخرج » . مكان « خرجت » .

(٥) في بعض الأصول : « ولتجدنا » .

(٦) الخليج : بحر دون القسطنطينية . ( انظر معهم البلدان ) .

- فأتاه يزيد عانداً ، فقال : ما حاجتك أبا أيوب ؟ فقال : أئما دُنياكم فلا حاجة لي فيها ، ولكن قدَّمنى ما استطعت في بلاد العدو ، فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يُدفن عند سور القسطنطينية رجلٌ صالح ، أرجو أن أكون هو . فلما مات أسريزیدُ بتكفينه وحمل على سريره ، ثم أخرج الكتائب فجعل قيصر يرى سريراً يُحمل والناس يقتتلون . فأرسل إلى يزيد : ما هذا الذي أرى ؟ قال : صاحبُ نبيِّنا وقد سألنا أن نقدِّمه <sup>(١)</sup> في بلادك ، ونحن مُنفذون وصيته أو تلحق أرواحنا بالله . فأرسل إليه : العجبُ كل العجب . كيف يدَّعى <sup>(٢)</sup> الناسُ أباك وهو يرسلُك ، فتعمد إلى صاحب نبيِّك فتدفنه في بلادنا ، فإذا وليتُ أخرجنه إلى السكلاب ! فقال يزيد : إني والله ما أردتُ أن أودعه بلادكم حتى أودع كلامي آذانكم ، فإنك <sup>(٣)</sup> كافر بالذي أكرمتُ هذا له ، لئن بلغني أنه نبش من قبره أو مثل به ، لا تركتُ بأرض العرب نصرانيًّا إلا قتلته ، ولا كنيسة إلا هدمتها . فبعث إليه قيصر : أبوك كان أعلم بك ، فوحي المسيح لأحفظه بيدي سنة . فلقد بلغني أنه بُني على قبره قبة يسرج فيها إلى اليوم .

### طلب معاوية البيعة ليزيد

- أبو الحسن المدائني قال : لما مات زياد ، وذلك سنة ثلاث وخمسين ، أظهر معاوية عهداً مُفتعلاً ، فقرأه على الناس ، فيه عقدُ الولاية ليزيد بعده ، وإنما أراد أن يُسهل بذلك بيعة يزيد . فلم يزل يروضُ الناسَ لبيعته سبع سنين ، ويُشاور ، ويُعطى الأقارب ويُداني الأبعد ، حتى أستوثق له من أكثر الناس . فقال لعبد الله بن الزبير : ما ترى في بيعة يزيد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إني أناديك ولا أناجيك ، إن أخاك من صدقك ، فانظر قبل أن تتقدم . وتفكر .

(١) في بعض الأصول : « تدفنه » .

(٢) يقال : دهاه ، إذا نسبته إلى الدهاء . يريد أن اختيار أبيه له لم يكن عن جودة رأي ولا أرب .

(٣) في بعض الأصول : « غياني » .

قَبْلَ أَنْ تَنْتَدِمَ ، فَإِنَّ النَّظَرَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ ، وَالتَّفَكُّرَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ . فَضَحَكَ مَعَاوِيَةُ وَقَالَ : نَعْلَبُ رَوَاحُ ، تَعَلَّمْتَ السَّجْعَ <sup>(١)</sup> عِنْدَ السَّكْبَرِ ، فِي دُونَ مَا سَجَّعْتَ <sup>(٢)</sup> بِهِ عَلَى ابْنِ أَخِيكَ مَا يَكْفِيكَ . ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْأَحْنَفِ فَقَالَ : مَا تَرَى فِي بَيْعَةِ يَزِيدَ ؟ قَالَ : نَخَافُكُمْ إِنْ صَدَقْنَاكُمْ ، وَنَخَافُ اللَّهَ إِنْ كَذَبْنَا .

٥ فلما كانت سنة خمس وخمسين <sup>(٣)</sup> كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يَفِدُوا عَلَيْهِ . فَوَفِدَ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ مِصْرٍ قَوْمٌ ، وَكَانَ فِيهِمْ وَفَدٌ عَلَيْهِ مِنَ الْمَدِينَةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ ، فَنَحَلَهُ بِهِ مَعَاوِيَةُ وَقَالَ لَهُ : مَا تَرَى فِي بَيْعَةِ يَزِيدَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ رَشْدًا مِنْ نَفْسِكَ سِوَى نَفْسِي ، وَإِنْ يَزِيدُ أَصْبَحَ غَنِيًّا فِي الْمَالِ ، وَسَيِّطًا فِي الْحَسَبِ <sup>(٤)</sup> ، وَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُ كُلِّ رَاعٍ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَانْظُرْ مَنْ تَوَلَّى أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ . فَأَخَذَ مَعَاوِيَةُ بَهْرَ <sup>(٥)</sup> حَتَّى تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ ، وَذَلِكَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ أَمْرٌ نَاصِحٌ ، قُلْتَ بِرَأْيِكَ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ إِلَّا ذَلِكَ . [ ثُمَّ ] قَالَ مَعَاوِيَةُ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا ابْنِي وَأَبْنَاؤُهُمْ ، فَأَبْنَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَبْنَائِهِمْ ، أَخْرِجْ عَنِّي .

١٥ ثُمَّ جَلَسَ مَعَاوِيَةُ فِي أَصْحَابِهِ وَأَذِنَ لِلْوُفُودِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ أَنْ يَقُولُوا فِي يَزِيدَ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ وَالٍ بَعْدَكَ ، وَالْأَنْفُسُ يُغْدِي عَلَيْهَا وَيُرَاحُ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَالَ : ( كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ) . وَلَا نَدْرِي مَا يَخْتَلِفُ بِهِ الْعَصْرَانِ ، وَيَزِيدُ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي حُسْنِ مَقْدِنِهِ ، وَقَصْدِ سِيرَتِهِ <sup>(٦)</sup> ، مِنْ أَفْضَلِنَا حِلْمًا ،

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الشَّجَاعَةُ » بِالشَّيْنِ . وَلَعَلَّهَا : السَّجَاعَةُ ، بِوَزْنِ كِتَابَةِ ، كَالْحَبَاطَةِ وَالْحَيَاكَةِ ، غَيْرَ أَنَّ كِتَابَ اللَّغَةِ لَمْ تَذْكُرْهَا .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « تَشَجَّعْتَ » ،

(٣) فِي الْمَرْجُوحِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ . غَيْرَ أَنَّ مَا فِي الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي حَيَاةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، أَيْ قَبْلَ سَنَةِ خَمْسِينَ ، وَكَانَتْ وَفَاةُ الْحَسَنِ سَنَةَ ٤٩ .

(٤) أَيْ أَوْسَطَهُمْ نَسَبًا وَأَرْفَهُمْ مَجْدًا . (٥) الْبَهْرُ : السُّكْرُ وَالْمَجِبُ .

(٦) قَصْدُ سِيرَتِهِ ، أَيْ اسْتِقَامَتِهَا .

وأحكمنا علماً ، فوله عهدك ، وأجعل له علماً بعدك . وإنا قد بَلَوْنَا الجماعةَ والألقةَ  
فوجدناه أحقن للدماء ، وآمن للشُّبُل ، وخيراً في العاجلة والآجلة <sup>(١)</sup> .

ثم تكلم عمرو بن سعيد فقال : أيها الناس ، إن يزيدَ أَمَلٌ تأملونه ، وأجل  
تأملونه <sup>(٢)</sup> ؛ طويل الباع ، رَحْبُ الذراع ؛ إذا صِرْتُمْ إلى عدله وَسِعَكُمْ ، وإن  
طلبتم رفده أغناكم ؛ جَدَعَ قارح ، سَوِّقَ فسبِق ، ومُوجِدَ قَمَجِد ، وقُورِعَ  
فقرع ، خلف من أمير المؤمنين ولا خلف منه . فقال : أجلس أبا أمية ، فلقد  
أوسعت وأحسنّت .

ثم قام يزيدُ بن المَقَمَع <sup>(٣)</sup> فقال : أمير المؤمنين هذا ، وأشار إلى معاوية ، فإن  
هلك فهذا ، وأشار إلى يزيد ، فمن أبى فهذا ، وأشار إلى سيفه . فقال معاوية :  
أجلس ، فإنك سيّد الخطباء .

ثم تكلم الأحنف بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم بيزيد في ليله  
ونهاره ، وسره وعلايته ، ومدخله ومخرجه ، فإن كنت تعلمه الله رضا وهذه  
الأمّة ، فلا تُشاور الناس فيه ، وإن كنت تعلم منه غير ذلك ، فلا تُزوده الدنيا  
وأنت تذهب إلى الآخرة .

قال : فتفرّق الناس ولم يذكروا إلا كلامَ الأحنف .

قال : ثم بايع الناسُ يزيدَ بن معاوية ، فقال رجل ، وقد دُعِيَ إلى البيعة :  
اللهم إني أعوذ بك من شر معاوية . فقال له معاوية : تعوذ من شر نفسك ،  
فإنه أشدّ عليك ، وبايع . قال : إني أبايع وأنا كاره للبيعة . قال له معاوية :  
بايع أيها الرجل فإن الله يقول : (فَمَنْ أَشْرَ مِنْ شَرِّ نَفْسٍ أَنْ تَكْفُرَ) وَيَجْمَلُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا  
كثيراً .

ثم كتب إلى مروان بن الحكم ، عامله على المدينة : أن أدعُ أهلَ المدينة إلى

(١) في بعض الأصول : « والماقية » .

(٢) يشير إلى ما ينتظر من طول مدة ولايته ، فقد ولي حدثاً .

(٣) في عيون الأخبار : « المقمّع » .

بِيعَة يَزِيدَ ، فَإِنْ أَهْلَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ قَدْ بَايَعُوا . نَخْطُهُمْ مِروانَ خَضِبَهُمْ عَلَى  
 الطَّاعَةِ وَحَذَرَهُمُ الْفِتْنَةَ وَدَعَاهُمْ إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ ، وَقَالَ : سُنَّةُ أَبِي بَكْرٍ الْهَادِيَةُ لِلْهُدَى .  
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَذَبْتَ ! إِنْ أَبَا بَكْرٍ تَرَكَ الْأَهْلَ وَالْعَشِيرَةَ ،  
 وَبَايَعَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، رَضِيَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ ، وَأَخْتَارَهُ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ مِروانُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ هَذَا الْمُتَكَلِّمَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ  
 فِيهِ : (وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفِ لِسْكَمَا أُمِدَّا نِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ  
 مِنْ قَبْلِي) . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : يَا بَنِي الزُّرْقَاءِ ، أَفِينَا تَقُولُ الْقُرْآنَ ! وَتَكَلِّمُ  
 الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَأَنْكُرُوا بَيْعَةَ يَزِيدَ ،  
 وَتَفَرِّقُوا النَّاسَ . فَكَتَبَ مِروانُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِذَلِكَ . فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ  
 فِي أَلْفٍ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا تَلَقَّاهُ النَّاسُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْحُسَيْنِ قَالَ : مَرْحَبًا بِسَيِّدِ  
 شِبَابِ الْمُسْلِمِينَ ، فَرَبَّوْا دَابَّةً لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ . وَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ : مَرْحَبًا  
 بِشَيْخِ قَرِيشٍ وَسَيِّدِهَا وَابْنِ الصَّدِيقِ . وَقَالَ لِأَبْنِ عُمَرَ : مَرْحَبًا بِصَاحِبِ رَسُولِ  
 اللَّهِ وَابْنِ الْفَارُوقِ . وَقَالَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ : مَرْحَبًا بِأَبْنِ حِوَارِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنِ عَمَتِهِ ، وَدَعَا لَهُمْ بِدَوَابٍ حَمَلَهُمْ عَلَيْهَا . وَخَرَجَ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ  
 فَقَضَى حَاجَتَهُ ، وَلَمَّا أَرَادَ الشُّخُوصُ أَمْرَ بَأْتِقَالِهِ فَقَدِّمَتْ ، وَأَمْرَ بِالْمِنْهَرِ فَقَرَّبَ  
 مِنَ السَّكْبَةِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ الزُّبَيْرِ  
 فَاجْتَمَعُوا . وَقَالُوا لِأَبْنِ الزُّبَيْرِ : اكْفِنَا كَلَامَهُ ، فَقَالَ : عَلَى أَنْ لَا تُخَالِفُونِي . قَالُوا :  
 لَكَ ذَلِكَ . ثُمَّ أَتَوْا مُعَاوِيَةَ ، فَرَحَّبَ بِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ : قَدْ عَلِمْتُمْ نَظْرِي لَكُمْ ،  
 وَتَعَطُّفِي عَلَيْكُمْ ، وَصِلَانِي أَرْحَامَكُمْ ، وَيَزِيدُ أَخُوكُمْ وَابْنُ عَمِّكُمْ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ  
 أَنْ أُقَدِّمَهُ بِاسْمِ الْخِلَافَةِ وَتَكُونُوا أَنْتُمْ تَأْمُرُونَ وَتَنْهَوْنَ . فَسَكَتُوا ، وَتَكَلَّمَ ابْنُ  
 الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ : نُحْيِيكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ ، أَيُّهَا أَخَذْتَ فَهِيَ لَكَ رَغْبَةٌ وَفِيهَا  
 خِيَارٌ : فَإِنْ شِئْتَ فَأَصْنَعْ فِيمَا مَاصَّنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَبْضَهُ  
 اللَّهُ وَلَمْ يَسْتَمْخِطْ ، فَدَعِ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَخْتَارَ النَّاسُ لِأَنْفُسِهِمْ ؛ وَإِنْ شِئْتَ

- فما صنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصية قریش وترك من ولده ومن رهطه الأذنين من كان لها أهلاً ؛ وإن شئت فما صنع عمر ، صيها إلى ستة نفر من قریش يختارون رجلاً منهم وترك ولده وأهل بيته وفيهم من لو وليها لكان لها أهلاً . قال معاوية : هل غير هذا ؟ قال : لا . ثم قال للآخرين : ما عندكم ؟ قالوا : نحن على ما قال ابن الزبير . فقال معاوية : إني أتقدم إليكم ، وقد أعذر من أنذر ، إني قاتل مقاتلة ، فأقسم بالله لئن رد علي رجل منكم كلمة في مقامى هذا لاترجع إليه كلمته حتى يضرب رأسه ، فلا ينظر أمرؤ منكم إلا إلى نفسه ، ولا يبقى إلا عليها . وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفيهما ، فإن تكلم بكلمة يرُدُّ بها عليه قوله قتلاه . وخرج وأخرجهم معه حتى رقى المنبر ، وحفَّ به أهل الشام ، وأجتمع الناس ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إنا وجدنا أحاديث ١٠ الناس ذات عوار ، قالوا : إن حسيناً وابن أبى بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا يزيد ، وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا نبرم أمراً دونهم ، ولا نقضى أمراً إلا عن مشورتهم ، وإني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين ، فبايعوا وسلموا وأطاعوا . فقال أهل الشام : وما يعظم من أمر هؤلاء ، أئذن لنا فنضرب أعناقهم ، لا نرضى حتى يبايعوا علانية ! فقال معاوية : سبحان الله ! ١٥ ما أسرع الناس إلى قریش بالشر وأحلى دماءهم عندهم ! أنصتوا ، فلا أسمع هذه المقالة من أحد . ودعا الناس إلى البيعة فبايعوا . ثم ثرَّبت رواحله ، فركب ومضى . فقال الناس للحسين وأصحابه : قلتم : لا نبايع ، فلما دُعيتُمْ وأرضيتُمْ بآيتم ! قالوا لم نفعل . قالوا : بلى ، قد فعلتم وبايعتم ، أفلا أنكرتم ! قالوا : خفنا القتل وكادكم بنا وكادنا بكم . ٢٠

### وفاة معاوية

عن الهيثم بن عدى قال : لما حضرت معاوية الوفاة ، ويزيد غائب ، دعا الضحاك بن قيس الفهري ومسلم بن عقبة الرضى ، فقال : أبلغا عني يزيد وقولا

له : انظر إلى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك ، فمن أتاك منهم فأكرمه ،  
ومن قعد عنك فتمعه هذه . وانظر أهل العراق ، فإن سألوك عزل عامل في كل  
يوم فأعزله ، فإن عزل عامل واحد أهون من سلّ مائة ألف سيف ، ولا تدري  
على من تكون الدائرة ؛ ثم انظر إلى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار ، فإن  
رأيت من عدوك ريب فأرمه بهم ؛ ثم اردد أهل الشام إلى بلادهم ، ولا يقيموا  
في غيره فيتأذّبوا بغير أدبهم . لست أخاف عليك إلا ثلاثة : الحسين بن علي ،  
وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر . فأما الحسين بن علي ، فأرجو أن  
يسكفيك الله ، فإنه قتل<sup>(١)</sup> أباه وخذل أخاه ؛ وأما ابن الزبير ، فإنه خبّ صب<sup>(٢)</sup> ،  
وإن ظفرت به فقطعه إرباً إرباً ؛ وأما ابن عمر ، فإنه رجل قد وقذه<sup>(٣)</sup> الورع ،  
نخل بينه وبين آخرته يحلّ بينك وبين دنياك . ثم أخرج إلى يزيد يريد  
بكتاب يستقدمه ويستحثه . فخرج مسرعاً . فتلقاه يزيد ، فأخبره بموت معاوية ،  
فقال يزيد :

جاء البريد بقرطاس يحبّ به      فأوجس القلب من قرطاسه قرعاً  
قلنا لك الويل ماذا في صحيفتك      قالوا الخليفة أسمى مُثبِتاً وجهاً  
فادت الأرض أو كادت تميد بنا      كأن أغبر من أركانها أنقلها  
ثم أنبعثنا إلى خوص مزمنة      نرى العجاج بها ما نأثلي سرعاً<sup>(٤)</sup>  
فما نبالي إذا بلفن أرحلنا      ما مات منهم بالمؤماة أو ظلمنا  
أودى ابن هذد وأودى المجد يتبعه      كذلك كئنا جميعاً قاطنين معا  
أغز أبلج يستسقى الغمام به      لو فارغ الناس عن أحلامهم<sup>(٥)</sup> قرعاً

٢٠ (١) الضمير في « قتل » و « خذل » . يعود إلى لفظ الجلالة .  
(٢) الحب : ضد الفر ، وهو الخداع . والضب : المراءوغ .  
(٣) وقذه الورع ، أي أسكنه وأثخنه وبلغ منه مبلغاً يمنعه من انتهاك ما لا يحل ولا  
يجمل . وفي بعض الأصول : « قرقره » ، تحريف .  
(٤) خوص : جمع خوصاء . يريد نوقاً غائرة العيون من كثرة الأسفار . والسرع  
(بفتح السين ، وبكسر الفتح) : من مصادر سرع .  
(٥) كئنا في بعض الأصول ، وهي أيضاً كئذا في شعر الأعشى . والذي في سائر الأصول :  
« أخلاقهم » .

لا يَرَقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَى وَلَوْ جَهِدُوا . أَنْ يَرَقَعُوهُ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعَا .  
 قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ : قَالَ الشَّافِعِيُّ : سَرَقَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنَ الْأَعَشَى .  
 ابْنُ دَابٍ قَالَ : لَمَّا هَلَكَ مُعَاوِيَةُ خَرَجَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفِهْرِيُّ وَعَلَى  
 عَاتِقِهِ ثِيَابٌ حَتَّى وَقَفَ إِلَى جَانِبِ الْمَنِيرِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ مُعَاوِيَةُ كَانَ  
 إِنْفٌ <sup>(١)</sup> الْعَرَبِ وَمَلِكُهَا ، أَطْفَأَ اللَّهُ بِهِ الْفِتْنَةَ ، وَأَحْيَا بِهِ الشُّنَّةَ ، وَهَذِهِ أَكْفَانُهُ  
 وَنَحْنُ مُدْرَجُونَ فِيهَا وَنُحْلُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، فَمَنْ أَرَادَ حُضُورَهُ صَلَاةَ الظُّهْرِ  
 فَلْيَخْضُرْهُ . وَصَلَّى عَلَيْهِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ الْفِهْرِيُّ .

ثُمَّ قَدِمَ يَزِيدُ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَقْدَمْ أَحَدٌ عَلَى تَعْرِيقِهِ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ  
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامٍ <sup>(٢)</sup> السُّلُولِيُّ فَقَالَ :

أَصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا مِقَّةٍ وَأَشْكُرُ حِبَاءَ الَّذِي بِالْمُلُوكِ حَبَابًا كَا ١٠  
 لَا رُزْءَ أَعْظَمُ فِي الْأَقْوَامِ قَدْ عَلِمُوا مِمَّا رُزْتُ وَلَا عَقْبِي كَعُقْبَا كَا  
 أَصْبَحْتَ رَاعِيَّ أَهْلِ الْأَرْضِ <sup>(٣)</sup> كُلَّهُمْ فَأَنْتَ تَرَعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرَعَا كَا  
 وَفِي مُعَاوِيَةَ الْبَاقِي لَمَّا خَلَفَ إِذَا بَقِيتَ فَلَا <sup>(٤)</sup> نَسْمَعُ بِمَنْعَا كَا  
 فَافْتَتَحَ الْخَطِيبَاءَ السِّكْلَامَ . ثُمَّ دَخَلَ يَزِيدُ فَأَقَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَخْرُجُ لِلنَّاسِ ،  
 ثُمَّ خَرَجَ وَعَلَيْهِ أَمْرُ الْحَزْنِ ، فَصَعِدَ الْمَنِيرَ ، وَأَقْبَلَ الضَّحَّاكَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ الْمَنِيرِ ١٥  
 وَخَافَ عَلَيْهِ الْحَصَرَ . فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : يَا ضَحَّاكُ ، أَجِئْتَ تَعْلَمُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ  
 السِّكْلَامَ إِنْهُمْ قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَا شَاءَ صَنَعَ ، مَنْ شَاءَ أَعْطَى وَمَنْ

(١) فِي الطَّبْرِيِّ : « مَمُود » . وَفِيهِ غَيْرُ هَذَا خِلَافٌ كَثِيرٌ .

(٢) فِي الْأَصُولِ هُنَا : « هَلَال » . وَقَدْ مَرَّ ( مَس ) ٨٨ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَمِنْ ٣٠٨ مِنْ

الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ ) .

(٣) فِيمَا سَبَقَ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ : « أَهْلُ الدِّينِ » .

(٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ هُنَا وَفِيمَا سَبَقَ . يَرِيدُ بِمُعَاوِيَةَ الْبَاقِي ، يَزِيدُ ابْنَهُ . جَعَلَ سِيرَتَهُ مِنْ سِيرَةِ

أَبِيهِ فَقِي وَلَايَتِهِ وَحَيَاتِهِ اتِّصَالَ لَوْلَايَةِ مُعَاوِيَةَ وَحَيَاتِهِ . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « تَعَيَّتْ

وَلَا » . وَعَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ . فَهُوَ يَرِيدُ مُعَاوِيَةَ بْنَ يَزِيدَ ، يَقُولُ : الْمُلُوكُ

فِيكُمْ وَفِي أَهْقَابِكُمْ فَهُوَ فِي عَقَبِ مُعَاوِيَةَ بِعَدَدِكَ . ثُمَّ دَعَا لَهُ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ بِقَوْلِهِ :

« وَلَا نَسْمَعُ بِمَنْعَا كَا » .



شاه منيع ، ومن شاء خَفَضَ ومن شاء رَفَعَ . إن معاوية بن أبي سفيان كان حَبِلاً من حبال الله ، مَدَّهُ الله ما شاء أن يَمُدَّهُ ، ثم قَطَعَهُ حين شاء أن يَقَطَعَهُ ، فسكان دون مَنْ قَبْلَهُ ، وخيراً ممن يَأْتِي بعده ، ولا أَرْكَبُهُ وقد صار إلى رَبِّهِ ، فإن يَعْفُ عنه فَبِرِّمَتِهِ ، وإن يُعَذِّبْهُ فَبِذَنْبِهِ . وقد وَلَّيْتُ بعِدة الأَمْرَ ، ولستُ أَعْتَدِرُ من جهل ، ولا أُنِي عن طلب ، وعلى رِسَالِكُمْ ، إذا كَرِهَ الله شيئاً غَيَّرَهُ ، وإذا أَرَادَ شيئاً يَسَّرَهُ .

### خلافة يزيد بن معاوية وسنه وصفته

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمه مَيْسُون بنت بَحْدَل [بن أنيف بن دجلة] بن قُنافة ، أحد بني حارثة بن جَنَاب<sup>(١)</sup> . وكُنْيَتُهُ أبو خالد ، وكان آدمَ جَعْدًا مَهْضُومًا أَحْوَرَ الْعَيْنِ ، بوجهه آثار جُدْرِي ، حسن اللّحية خَفِيفُهَا ، وَلِيَ الخِلافةَ في رَجَبِ سنة ستين ، ومات في النِّصْفِ من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، ودُفِنَ بِحَوَارِينَ<sup>(٢)</sup> ، خارجاً من المدينة . وكانت ولايته أربع سنين وأياماً . وكان على شَرْطَتِهِ مُحمَّد بن حُرَيْث بن بَحْدَل . وكاتبه وصاحب أمره سَرْجُون بن منصور . وعلى القضاء أبو إدريس الخَوْلَاني . وعلى الخراج مَسْلَمَةُ بن حديدة الأزدي .

أورد يزيد : معاوية وخالد وأبو سفيان ، وأُمُّهُم فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ، وعبد الله وعمر ، أمهما أم كلثوم بنت عبد الله بن عباس . وكان عبد الله ولده ناسكاً ، ولده خالد عالماً ، لم يكن في بني أمية أزهَدَ من هذا ولا أعلم من هذا .

الأصمعي عن أبي عمرو قال : أعرق الناس في الخلافة عائكة بنت يزيد

(١) في بعض الأصول : « جناب » . وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

(٢) حوارين ، هو بهم أوله ، وبكسر ، وتخفيف الواو وكسر الراء وياء ما كتبه ونون .

ابن معاوية بن أبي سفيان ، أبوها خليفة ، وجدّها معاوية خليفة ، وأخوها  
معاوية بن يزيد خليفة ، وزوجها عبد الملك بن مروان خليفة ، وأرباؤها<sup>(١)</sup> : الوليد  
وسليمان وهشام .

### مقتل الحسين بن علي

- علي بن عبد العزيز قال : قرأ علي أبو عبيد القاسم<sup>(٢)</sup> بن سلام وأنا نسمع ،  
فسالته : تروى عنك كما قرىء عليك ؟ قال : نعم . قال أبو عبيد : لما مات  
معاوية بن أبي سفيان وجاءت وفاته إلى المدينة ، وعليها يومئذ الوليد بن عتبة ،  
فأرسل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ، فدعاهما إلى البيعة ليزيد ، فقالا :  
بالغد إن شاء الله على ردوس الناس ، وخرجنا من عنده . فدعا الحسين برواحله ،  
فركبها وتوجه نحو مكة على المنهج الأكبر ، وركب ابن الزبير برذونا له وأخذ  
طريق العرج<sup>(٣)</sup> حتى قدم مكة . وصرت حسين حتى أتى على عبد الله بن مطيع وهو  
على بئر له ، فنزل عليه ، فقال للحسين : يا أبا عبد الله ، لا سقانا الله بسدك ماء  
طيباً ، أين تريد ؟ قال : العراق . قال : سبحان الله ! لم ؟ قال : مات معاوية  
وجاءني أكثر من خيل صُحف . قال : لا تفعل أبا عبد الله ، فوالله ما حفظوا  
أباك وكان خيراً منك ، فكيف يحفظونك ، ووالله لئن قتلت لا بقيت حرمة  
بعدك إلا استُحلت . فخرج حسين حتى قدم مكة ، فأقام بها هو وابن الزبير .  
قال : فقدم عمرو بن سعيد في رمضان أميراً على المدينة والموسم ، وعزل الوليد بن  
عتبة . فلما استوى على المنبر رَعَفَ<sup>(٤)</sup> . فقال أعرابي : مه ! جاءنا والله بالدم ! قال :  
فتلقاه رجل بعمامة . فقال : مه ! عم الناس والله ! ثم قام فخطب ، فناولوه عصا لها

٢٠ (١) أرباؤها : أولادها ، جمع ربيب .

(٢) في بعض الأصول : « أبو القاسم عبد الله بن سلام » . تحريف . قال عبد العزيز  
يروى عن أبي عبيد .

(٣) العرج : قرية جامعة في واد نواحي الطائف .

(٤) رَعَفَ ( كَنَصَرَ وَمَنَعَ وَكَرَّمُ وَصَمَّ ) : خرج من أنفه الدم .

شعبتان . فقال : تشعب الناس والله ! ثم خرج إلى مكة ، فقدمها قبل [يوم] التروية<sup>(١)</sup> بيوم ، ووفدت الناس للحسين يقولون : يا أبا عبد الله ، لو تقدمت فصليت بالناس فأزلتهم بدارك ؟ إذ جاء المؤذن فأقام الصلاة ، فتقدم عمرو بن سعيد فكبر ، فقيل للحسين : اخرج أبا عبد الله إذ أبيت أن تتقدم . فقال : الصلاة في الجماعة أفضل . قال : فصلي ، ثم خرج . فلما انصرف عمرو بن سعيد بلغه أن حسيناً قد خرج . فقال : اطلبوه ، أركبوا كل بمسير بين السماء والأرض فاطلبوه . قال : فمجب الناس من قوله هذا ، فطلبوه ، فلم يدركوه . وأرسل عبد الله بن جعفر أبنيه عوناً<sup>(٢)</sup> ومحمداً ليردّا حسيناً . فأبى حسين أن يرجع . وخرج ابن عبد الله بن جعفر معه . ورجع عمرو بن سعيد إلى المدينة ، وأرسل إلى ابن الزبير ليأتيه ، فأبى أن يأتيه . وأمتنع ابن الزبير برجال من قريش وغيرهم من أهل مكة . قال : فأرسل عمرو بن سعيد لهم جيشاً من المدينة ، وأمر عليهم عمرو بن الزبير ، أخا عبد الله بن الزبير ، وضرب على أهل الديوان القنقش إلى مكة ، وهم كارهون للخروج ، فقال : إما أن تأتونني بأدلاء<sup>(٣)</sup> وإما أن تخرجوا . قال : فبعثهم إلى مكة ، فقاتلوا ابن الزبير ، فانهزم عمرو بن الزبير ، وأمره أخوه عبد الله ، فحبسه في السجن .

وقد كان بعث الحسين بن عليّ مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى أهل الكوفة ليأخذ بيعتهم ، وكان على الكوفة حين مات معاوية ، فقال : يا أهل الكوفة ، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلينا من ابن بنت محمد . قال : فبلغ ذلك يزيد فقال : يا أهل الشام ، أشيروا عليّ ، من استعمل على الكوفة ؟ فقالوا : نرضى من رضى به معاوية ؟ قال : نعم . قيل له : فإن الهلك بإمرة

(١) يوم التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذي الحجة . سمي به لأن الحاج يتروون فيه من الماء وينفضون إلى منى ولا ماء بها فيتزودون ربه من الماء ، أي يسقون ويستقون .

(٢) في الأصول : « عونا » . وما أثبتنا من المعارف والطبرى .

(٣) في بعض الأصول : « بدلاء » .

- عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ عَلَى الْمَرَاقِبِ قَدْ كُتِبَ فِي الدِّيَّوَانِ ، فَأُسْتَقْعِلَهُ عَلَى السَّكُوفَةِ .  
 فَقَدِمَهَا قَبْلَ أَنْ يَتَقَدَّمَ حُسَيْنٌ . وَبَايَعَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنْ  
 أَهْلِ السَّكُوفَةِ ، وَخَرَجُوا مَعَهُ يَرِيدُونَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ، فَعَمَلُوا كُلُّهُمْ إِلَى  
 زُقَاقٍ انْسَلَّ مِنْهُمْ نَاسٌ ، حَتَّى بَقِيَ فِي شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ . قَالَ : فَعَمَلُ النَّاسِ يُزْمُونَهُ  
 بِالْأَجْرِ مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ دَخَلَ دَارَ هَانِيٍّ بْنِ عُرْوَةَ الْمُرَادِيِّ ،  
 وَكَانَ لَهُ شَرَفٌ وَرَأْيٌ ، فَقَالَ لَهُ هَانِيٌّ : إِنَّ لِي مِنْ ابْنِ زِيَادٍ مَكَانًا ، وَإِنِّي سَوْفَ  
 أَتَمَارِضُ ، فَإِذَا جَاءَ يَعُودُنِي فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ . قَالَ : فَبَايَعَ ابْنُ زِيَادٍ أَنَّ هَانِيَّ بْنَ عُرْوَةَ  
 مَرِيضٌ يَقِي الدَّمَ ، وَكَانَ شَرِبَ الْمَغْرَةَ<sup>(١)</sup> فَعَمَلُ يَتَقِيُوها ، فَجَاءَهُ ابْنُ زِيَادٍ يَعُودُهُ .  
 وَقَالَ هَانِيٌّ : إِذَا قُلْتَ لَكُمْ : أَسْقُونِي ، فَأَخْرُجْ إِلَيْهِ فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ ، يَقُولُهَا الْمُسْلِمُ  
 ابْنُ عَقِيلٍ . فَلَمَّا دَخَلَ ابْنُ زِيَادٍ وَجَلَسَ ، قَالَ هَانِيٌّ : أَسْقُونِي ، فَنَتَبَّطُوا عَلَيْهِ .  
 فَقَالَ : وَيَحْكُمُ ! أَسْقُونِي وَلَوْ كَانَ فِيهِ نَفْسِي . قَالَ : فَخَرَجَ ابْنُ زِيَادٍ وَلَمْ يَصْنَعْ الْآخَرَ  
 شَيْئًا . قَالَ : وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ ، وَلَسَكَنَ أَخْذَ بَقْلِهِ . وَقِيلَ لَابْنِ زِيَادٍ مَا أَرَادَهُ  
 هَانِيٌّ<sup>(٢)</sup> ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ . فَقَالَ : إِنِّي شَاكٍ لَا أُسْتَطِيعُ . فَقَالَ : أَتُنُونِي بِهِ وَإِنْ  
 كَانَ شَاكِيًّا . فَأُسْرِجَتْ لَهُ دَابَّةٌ ، فَرَكِبَ وَمَعَهُ عَصَا ، وَكَانَ أَعْرَاجٌ ، فَعَمَلُ يَسِيرُ  
 قَلِيلًا قَلِيلًا ، ثُمَّ يَقِفُ وَيَقُولُ : مَا أَذْهَبُ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى ابْنِ  
 زِيَادٍ . فَقَالَ لَهُ : يَا هَانِيٌّ ، أَمَا كَانَتْ يَدُ زِيَادٍ عِنْدَكَ بَيْضَاءً ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ :  
 وَيَدِي ؟ قَالَ : بَلَى . ثُمَّ قَالَ<sup>(٣)</sup> لَهُ هَانِيٌّ : قَدْ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي وَلَأَبِيكَ ، وَقَدْ أَمْنَتْكَ  
 فِي نَفْسِي وَمَالِي<sup>(٤)</sup> . قَالَ : أَخْرَجَ ، فَخَرَجَ . فَتَنَاوَلَ الْعَصَا مِنْ يَدِهِ وَضَرَبَ بِهَا  
 وَجْهَهُ حَتَّى كَسَرَهَا ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ . وَأُرْسِلَ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ ،  
 فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِسَيْفِهِ ، فَمَا زَالَ يِقَاتِلُهُمْ حَتَّى أَتَّخَذُوهُ بِالْجِرَاحِ ، فَأَسْرَوْهُ . وَأَتَى بِهِ  
 ابْنُ زِيَادٍ ، فَقَدَّمَهُ لِيَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ لَهُ : دَعْنِي حَتَّى أُوصِيَ ، فَقَالَ لَهُ : أَوْصِ .

(١) المغرة (بالفتح وبمحرک) : طين أحمر يصبغ به .

(٢) في بعض الأصول : « ابن هاني » . تحريف .

(٣) في بعض الأصول : « فقال » . (٤) في بعض الأصول : « في نفسك ومالك » .

فنظر في وجوه الناس ، فقال لعمر بن سعد<sup>(١)</sup> : ما أرى قرشيًا هنا غيرك ، فاذن مني حتى أكلمتك . فدنا منه ، فقال له : هل لك أن تكون سيد قريش ما كانت قريش ؟ إن حسينًا ومن معه ، وهم يسمعون إنسانا ما بين رجل وأمرأة ، في الطريق ، فارددهم واكتب لهم ما أصابني ، ثم ضرب عنقه . فقال عمر<sup>(٢)</sup> لابن زياد : أتدري ما قال لي ؟ قال : اكتبتم على ابن عمك . قال : هو أعظم من ذلك . قال : وما هو ؟ قال : قال لي : إن حسينًا أقبل ، وهم يسمعون إنسانا ما بين رجل وأمرأة ، فارددهم واكتب إليهم بما أصابني . فقال له ابن زياد : أما والله إذ ذلك عليه لا يقايله أحد غيرك . قال : فبعث معه جيشًا ، وقد جاء حسينًا الخبر وهم بشراف<sup>(٣)</sup> ، فهم بأن يرجع ومعه خمسة من بني عقيل ، فقالوا : ترجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من السكتب ما نشق به . فقال الحسين لبعض أصحابه : والله مالي على هؤلاء من صبر . قال : فلقية الجيش على خيولهم وقد نزلوا بكرة بلاء . فقال حسين : أي أرض هذه ؟ قالوا : كربة بلاء ، قال : أرض كرب وبلاء . وأحاطت بهم الخيل . فقال الحسين لعمر بن سعد<sup>(٤)</sup> : يا عمر<sup>(٥)</sup> ، اختر مني إحدى ثلاث خصال : إما أن تتركني أرجع كما جئت ، وإما أن تسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده ، وإما أن تسيرني إلى الترك أقاتلهم حتى أموت . فأرسل إلى ابن زياد بذلك ، فهم أن يسيره إلى يزيد . فقال له شمر بن ذى الجوشن : أمكنك الله من عدوك فتسيره . إلا أن ينزل في حكمك . فأرسل إليه بذلك . فقال الحسين : أنا أنزل على حكم ابن مسر جانة ! والله لا أفعل ذلك أبدا . قال : وأبطأ عمر<sup>(٦)</sup> عن قتاله . فأرسل ابن زياد إلى شمر بن ذى الجوشن ، وقال له : إن تقدم عمر<sup>(٦)</sup> وقاتل ، وإلا فاتركه وكن مكانه . قال : وكان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلًا

(١) في الأصول « عمرو بن سعيد » . وما أثبتنا من الطبري والمعارف .

(٢) في الأصول : « عمرو » . انظر الحاشية السابقة .

(٣) شراف ( بفتح أوله وتخفيف ثانيه ) : ماء بحد . ( انظر معجم البلدان ) .

(٤) في الأصول : « عمرو بن سعيد » . ( انظر الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة ) .

(٥) في الأصول : « عمرو » ، تحريف .

من أهل الكوفة ، فقالوا : يعرض عليكم ابنُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال فلا تقبلون منها شيئاً ! فتصهروا مع الحسين ، فقاتلوا . ورأى رجل من أهل الشام عبد الله بن حسن بن علي ، وكان من أجل الناس ، فقال : لأقتلن هذا الفتى . فقال له رجل : ويحك ! ما تصنع به ؟ دعه . فأبى وحمل عليه فضربه بالسيف فقتله ، فلما أصابته الضربة ، قال : يا عمه ، قال : لبنيك صوتاً قل ناصره ، وكثروا تره . وحمل الحسين على قاتله فقطع يده ، ثم ضربه ضربة أخرى فقتله ، ثم أقتلوا .

علي بن عبد العزيز قال : حدثني الزبير قال حدثني محمد بن الحسن <sup>(١)</sup> قال : لما نزل عمر بن سعد بالحسين وأيقن أنهم قاتلوه ، قام في أصحابه خطيباً ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد نزل بي ما ترون من الأمر ، وإن الدنيا قد تغيرت وتفسدت ، وأدبر معروفها واشتملت <sup>(٢)</sup> ، فلم يبق منها إلا صُبابَة كصُبابَة الإناء الأخنس <sup>(٣)</sup> ، عيش كالمرعى الوبيل . ألا ترون الحق لا يعمل به ، والباطل لا ينهى عنه ؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله ، فأبى لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا ذلاً ونكدماً .

١٥ قُتِلَ الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة ، يوم عاشوراء ، سنة إحدى وستين بالطف من شاطئ الفرات ، بموضع يدعى كربلاء . وولد لخمس ليالٍ من شعبان سنة أربع من الهجرة . وقُتِلَ وهو ابن ست وخمسين سنة ، وهو صابغ بالسواد ، قتل سنان بن أبي أنس <sup>(٤)</sup> ، وأجهز عليه خولة <sup>(٥)</sup> بن يزيد الأصبحي ، من حمير . وحز رأسه وأتى به عبید الله وهو يقول :

(١) في الأصول : « محمد بن الحسين » . تحريف . فالذي يروي عنه الزبير بن بكار هو ابن الحسن . انظر تهذيب التهذيب والفهرست .

(٢) اشتملت : تفرقت . وفي بعض الأصول : « واشتمزت »

(٣) الخنس في الإنسان : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع فليل في الأرنبة . ويريد بالإناء الأخنس : القصير . أو الذي قد تأخرت جوانبه فهو أقل سعة من غيره .

٢٥ وصبابته دون الصبايات قلة . وفي رواية : « الإناء وخسيس عيش » .

(٤) كذا في الأصول والمعارف . والذي في الطبري : « سنان بن أنس »

(٥) في الطبري : « خولي » .

أَوْقِرْ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحِبَّيَا  
خَيْرَ عِبَادِ اللَّهِ أُمًّا وَأَبَا

فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : إِذَا كَانَ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا وَخَيْرَ عِبَادِ اللَّهِ ، فَلِمَ قَتَلْتَهُ ؟ قَدَمُوهُ فَأَضْرَبُوا عُنُقَهُ ، فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ .

٥ رَوْحُ بْنُ زَنْبَاعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْغَازِ بْنِ رَبِيعَةَ الْجُرَشِيِّ قَالَ : إِنِّي لَعِنْدَ يَزِيدَ ابْنِ مَعَاوِيَةَ إِذَا أَقْبَلَ زَخْرُ بْنُ قَيْسِ الْجُعْفِيِّ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيَّ يَزِيدَ ، فَقَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا زَخْرُ ؟ فَقَالَ : أُبَشِّرُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَتْحِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ ، قَدِمَ عَلَيْنَا الْحُسَيْنُ فِي سَبْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَسِتِّينَ رَجُلًا مِنْ شِيعَتِهِ ، فَهَرَزَنَا إِلَيْهِمْ وَسَلَّانَاهُمْ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا وَيَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ الْأَمِيرِ أَوِ الْقِتَالِ ، فَأَبَوْا إِلَّا الْقِتَالَ ، فَغَدَوْنَا عَلَيْهِمْ مَعَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، فَأَحْطَنَّا بِهِمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، حَتَّى أَخَذَتِ السِّيُوفُ مَا خَذَهَا مِنْ هَامِ الرِّجَالِ ، فَجَعَلُوا يَلُودُونَ مَنَا بِالْأَكَامِ وَالْخُفَرِ ، كَمَا يَلُودُ الْحَيَّامُ مِنَ الصَّقَرِ ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا نَحْرُ جَزُورٍ أَوْ قَوْمٌ قَامُوا<sup>(٢)</sup> حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى آخِرِهِمْ ، فَهَاتَيْتُكَ أَجْسَامَهُمْ مُجْزَرَةً<sup>(١)</sup> ، وَهَامَهُمْ مُرْمَلَةً<sup>(٣)</sup> ، وَخَدَوْدَهُمْ مُعْفَرَةً ، تَهْمُرُهُمُ الشَّمْسُ ، وَتَسْفِي عَلَيْهِمُ الرِّيحُ بِقَاعٍ سَبَسَبَ ، زُؤَارِهِمُ الْعُقْبَانُ وَالرَّخَمُ . قَالَ : قَدَمَعْتَ عَيْنَا يَزِيدَ ، وَقَالَ : لَقَدْ كُنْتُ أَقْنَعُ مِنْ طَاعَتِكُمْ بِدُونِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ ، لَعَنَ اللَّهُ أَبْنَ سُمَيَّةَ ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ صَاحِبَهُ لَتَرَكْتُهُ ، رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَغَفَرَ لَهُ .

عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الضَّحَّاكِ بْنِ عَثْمَانَ الْخُرَاعِيِّ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : خَرَجَ الْحُسَيْنُ إِلَى السَّكُوفَةِ سَاطِطًا لَوْلَايَةِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ . فَكَتَبَ يَزِيدُ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، وَهُوَ وَالِيهِ بِالْعِرَاقِ : إِنَّهُ بَلَّغْنِي أَنَّ حُسَيْنًا سَارَ إِلَى السَّكُوفَةِ ، وَقَدْ

٢٠ (١) كَذَا فِي الطَّبَرِيِّ . وَقَوْمٌ ، مِنْ مَصَادِرِ قَامَ . يُقَالُ : قَامَ قَوْمًا وَقَوْمَةً وَقِيَامًا وَفَادَةً ، إِذَا انْتَصَبَ . أَيْ الزَّمَنَ الَّذِي يَكُونُ لِنَحْرِ الْجَزُورِ أَوْ لِنَهْوِضِ النَّاهِضِ . بِصَفَةِ بِالْقَصْرِ . وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ : « نَوْمٌ نَائِمٌ » . تَحْرِيفٌ .

(٢) مُجْزَرَةٌ ، أَيْ مَقْطُوعَةٌ ، وَالتَّضْعِيفُ الْمُبَالَغَةُ .

(٣) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ . وَمُرْمَلَةٌ ، لِأَنَّ اسْمَ مَفْعُولٍ مِنْ رَمَلَ (الْمُضْعَفُ) الرَّجُلُ الطَّامُ ،

إِذَا جَعَلَ فِيهِ الرَّمْلَ . يُرِيدُ أَنَّ الرَّمْلَ قَدْ مَلَأَ فَتَحَاتِ الرَّأْسِ وَمَنَافِذَهُ وَمَدَاخِلَهُ .

وَلِأَنَّ اسْمَ فَاعِلٍ مِنْ أَرَمَلَ الْمُهْمُ ، إِذَا تَلَطَّخَ بِالْأَمِّ . وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « مُزْمَلَةٌ »

بِالزَّأَى الْمَجْمُوعَةِ

أُبْتُلِيَ بِهِ زَمَانُكَ بَيْنَ الْأَزْمَانِ ، وَبِلَدِّكَ بَيْنَ الْبُلْدَانِ ، وَأَبْتُلِيَتْ بِهِ مِنْ بَيْنِ الْعُمَالِ ،  
وَعِنْدَهُ تُعْتَقُ أَوْ تُعَوَّدُ عَبْدًا . فَقَتَلَهُ عَمِيدُ اللَّهِ وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ وَثَقَلَهُ <sup>(١)</sup> إِلَى يَزِيدَ . فَلَمَّا  
وُضِعَ الرَّأْسُ بَيْنَ يَدَيْهِ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ حُصَيْنِ بْنِ الْحُجَّامِ الْمُرِّي <sup>(٢)</sup> :

نَفَلَقَ هَامًا مِنْ رَجَالِ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ فِي السَّبْيِ : كِتَابُ اللَّهِ أَوْلَى بِكَ مِنَ الشَّعْرِ ،  
يَقُولُ اللَّهُ : ( مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ  
قَبْلُ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لَسَى لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا  
بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ) . فَغَضِبَ يَزِيدُ وَجَعَلَ يَبْعَثُ بِإِخِيَّتِهِ ،  
ثُمَّ قَالَ : غَيْرُ هَذَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْلَى بِكَ وَبِأَبِيكَ ، قَالَ اللَّهُ : ( وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ  
مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ) . مَا تَعْرُونَ يَا أَهْلَ الشَّامِ فِي هَؤُلَاءِ ؟  
فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ : لَا تَتَّخِذْ مِنْ كُلِّبٍ سَوْءَ جَرِّوَا . قَالَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ :  
انْظُرْ مَا كَانَ يَصْنَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمْ لَوْ رَأَاهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ  
فَأَصْنَعَهُ بِهِمْ . قَالَ : صَدَقْتَ ، خَلَوْا عَنْهُمْ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِمُ الْقِيَابَ . وَأَمَّا  
عَلَيْهِمُ الْمَطْبِخُ وَكَسَامُ وَأُخْرِجْ إِلَيْهِمْ جَوَائِزَ كَثِيرَةً . وَقَالَ : لَوْ كَانَ بَيْنَ ابْنِ  
كِسْرَجَانَةَ وَبَيْنَهُمْ نَسَبٌ مَا قَتَلَهُمْ . ثُمَّ رَدَّهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ .

الرَّيَاشِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي رَجَاءٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو مَعْمَرٍ عَنْ يَزِيدَ  
ابْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَتَى بَنُو يَزِيدَ بْنَ  
مَعَاوِيَةَ بِمَدِّ مَا قَتَلُوا الْحُسَيْنَ ، وَنَحْنُ اثْنَا عَشَرَ غُلَامًا ، وَكَانَ أَكْبَرَنَا يَوْمَئِذٍ عَلِيُّ  
ابْنُ الْحُسَيْنِ ، فَأَدْخَلْنَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَغْلُولَةً يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ ، فَقَالَ  
لَنَا : أَخْرِزْتُ أَنْفُسَكُمْ عَمِيدُ أَهْلِ الْعِرَاقِ ! وَمَا عَلِمْتُ بِخُرُوجِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَلَا بِقَتْلِهِ .  
أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ <sup>(٣)</sup> سَفْيَانَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ

(١) الثَّقَلُ (مَحْرُكَةٌ) : مَتَاعُ الْمَسَافِرِ وَحَشْمُهُ وَكُلُّ شَيْءٍ نَقِيسٌ مَصُونٌ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « الْحَاحِمُ الْمَزْنِي » . وَمَا أَتَيْنَا مِنَ الطَّبَرِيِّ وَالْحَمَاسَةِ وَالِاشْتِقَاقِ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عَنْ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَهُوَ إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الطَّلَفَانِيُّ

يُرْوَى عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عَيْبَةَ . ( انْظُرِ التَّهْذِيبَ ج ١ ص ٢٢٦ ) .



الحسن البصري ، قال : قُتِلَ مع الحسين ستة عشر من أهل بيته . والله ما كان على الأرض يومئذ أهل بيت يشبهون بهم . وحمل أهل الشام بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على أحقاب الإبل . فلما أدخلن على يزيد ، قالت فاطمة بنت الحسين : يا يزيد ، أبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا ! قال : بل حرائر كرام ، ادخلي على بنات عمك تجدن فيهن ما فعلن ما فعلت . قالت فاطمة : فدخلت إليهن فما وجدت فيهن سفينة إلا ملقمة<sup>(١)</sup> تبكي . وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترني الحسين ومن أصيب معه :

عَيَّنِي أَبِي بِمَعْرَةٍ وَعَوِيلٍ      وَانْدَبَنِي إِنْ نَدَبْتَ آلَ الرَّسُولِ  
سَلَّمَ كَلِّمَ لَصَلْبٍ عَلَيَّ      قَدْ أُصِيبُوا وَخَسَّ الْعَقِيلُ

ومن حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : كان عندي النبي صلى الله عليه وسلم ومعى<sup>(٢)</sup> الحسين ، فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذته فبكي ، فتركته فدنا منه ، فأخذته فبكي ، فتركته . فقال له جبريل : أتحميه يا محمد ؟ قال : نعم . قال : أما إن أمتك ستقتله وإن شئت أريقك من ثربة الأرض التي يقتل بها . فبسط جناحه ، فأراه منها . فبكي النبي صلى الله عليه وسلم . محمد بن خالد قال : قال إبراهيم النخعي : لو كنت فيمن قتل الحسين ودخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ابن لهيعة عن أبي الأسود<sup>(٣)</sup> قال : لقيت رأس الجالوت<sup>(٤)</sup> ، فقال : إن بيني وبين داود سبعين أبا ، وإن اليهود إذا رأوني عظموني وعرفوا حقّي وأوجبوا حفظي ، وإنه ليس بينكم وبين نبيكم إلا أب واحد قتلتم ابنه .

٢٠ (١) التمدت المرأة : ضربت صدرها في النياحة . وفي بعض الأصول : « ملقمة » .

(٢) في بعض الأصول : « ومعى » .

(٣) لعنه محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ( انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٧٤ ) .

(٤) الجالوت : الجالية من اليهود ، أي الذين جاؤا عن أوطانهم بيت المقدس ، ورأس

الجالوت : رئيسهم . وكان من ولد داود عليه السلام . ( انظر مفاتيح العلوم

للخوارزمي ص ٣٤ - ٣٥ ) .

ابن عبد الوهاب عن يسار بن عبد الحكم قال : أُنْتَهَبَ عَسْكَرُ الْحُسَيْنِ فَوُجِدَ فِيهِ طَيْبٌ ، فَمَا تَطَيَّبَتْ بِهِ أَمْرَأَةٌ إِلَّا بَرَّصَتْ .

جعفر بن محمد عن أبيه قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وهم صغار ، ولم يُبايع قطُّ صغيراً إلا هم .

علي بن عبد العزيز عن الزبير عن مُصعب بن عبد الله قال : حَجَّ الْحُسَيْنُ خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ حِجَّةً مُلَبَّياً مَاشِياً .

وقيل لعلَّ بن الحسين : ما كان أَقْلٌ وَلَدٍ أَيْبُكَ ! قال : العَجَبُ كَيْفَ وُلِدَتْ لَهُ ؟ كَانَ يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَ رَكْعَةٍ ، فَتَى كَانَ يَتَفَرَّغُ لِلنِّسَاءِ .

يحيى بن إسماعيل عن <sup>(١)</sup> الشَّعْبِيِّ أَنَّ سَالِمًا قَالَ : قِيلَ [لَأَبِي : عَبْدُ اللَّهِ] بَنَ

عمر : إِنْ الْحُسَيْنِ تَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَلَحِقْهُ عَلَى ثَلَاثِ سَرَاحِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ غَائِبًا عِنْدَ خُرُوجِهِ ، فَقَالَ أَيْنَ تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : أُرِيدُ الْعِرَاقَ ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ كُتُبَ الْقَوْمِ ، ثُمَّ قَالَ : هَذِهِ بَيْعَتُهُمْ وَكُتُبُهُمْ . فَنَاشَدَهُ اللَّهُ أَنْ يَرْجِعَ ، فَأَبَى . فَقَالَ : أَحَدُكَ بِحَدِيثٍ مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا قَبْلَكَ : إِنْ جَبَرِيلُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَاخْتَارَ الْآخِرَةَ ، وَإِنْ سَأَلَكَ بِضْعَةٍ مِنْهُ ، فَوَاللَّهِ لَا يَلِيهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ أَبَدًا ، وَمَا صَرَفَهَا اللَّهُ عَنْكُمْ إِلَّا لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، فَأَرْجِعْ ، فَأَنْتَ تَعْرِفُ غَدْرَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَمَا كَانَ يَلْقَى أَبُوكَ مِنْهُمْ . فَأَبَى فَاعْتَمَقَهُ ، وَقَالَ : اسْتَوْدَعْتُكَ اللَّهَ مِنْ قَتِيلٍ .

وقال الفرزدقُ : خَرَجْتُ أُرِيدُ مَكَّةَ ، فَإِذَا بِقِيَابٍ مَضْرُوبَةٍ وَفَسَاطِيطٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنِ هَذِهِ ؟ قَالُوا : لِلْحُسَيْنِ ، فَمَدَلْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قُلْتُ : مِنَ الْعِرَاقِ . قَالَ : كَيْفَ تَرَكْتَ النَّاسَ ؟ قُلْتُ : الْقُلُوبُ مَعَكَ ، وَالسِّيُوفُ عَلَيْكَ ، وَالنَّصْرُ مِنَ السَّمَاءِ .

٣١٠  
٢

(١) رواية هذا السند في الأصول : « يحيى بن إسماعيل عن سالم أن الشعبي » صوابه ما أنبتنا . إذ يحيى بن جرير بن عبد الله البجلي السكوفي تلميذ للشعبي . ( انظر التهذيب ١١ : ١٨٩ ) .

(٢) هو سالم بن عبد الله بن عمر ، ويكنى أبا عمر ، وكان من خيار الناس وفقهائهم . وكان أبوه يلام في حبه . ومات في المدينة سنة ستة ومائة . ( انظر المعارف ) .

### تسمية من قتل مع الحسين بن علي

رضي الله عنهما من أهل بيته ومن أسر منهم

قال أبو عبيد : حدثنا حجاج عن أبي معشر قال : قتل الحسين بن علي ، وقتل معه عثمان بن علي ، وأبو بكر بن علي ، وجعفر بن علي ، والعباس بن علي<sup>(١)</sup> ، وكانت أمهم أم البنين بنت حرام الكلابية ، وإبراهيم بن علي ، لأم ولد له ، وعبد الله بن حسن ، وخمسة من بني عقيل بن أبي طالب ، وعون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وثلاثة من بني هاشم . فجميعهم سبعة عشر رجلا . وأسر اثنا عشر غلاما من بني هاشم ، فيهم : محمد بن الحسين ، وعلي بن الحسين ، وفاطمة بنت الحسين . فلم تقم لبني حرب قائمة حتى سلمهم الله لمُلكهم . ١٠

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف : جفني دماء أهل هذا البيت ، فإني رأيت بني حرب سلبوا مُلكهم لما قتلوا الحسين .

### حديث الزهري في قتل الحسين

رضي الله عنه

حدثنا أبو محمد عبد الله بن ميسرة قال : حدثنا محمد بن موسى الحرشي قال : حدثنا حماد بن عيسى الجهنني عن عمر بن قيس ، قال : سمعت ابن شهاب الزهري يحدث [ عن ] سعيد بن المسيب<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال حماد بن عيسى : وحدثني به عباد بن بشر عن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . ٢٠

(١) في بعض الأصول : « وعلى والعباس » مكان والعباس بن « تحريف .

(٢) في بعض الأصول : « لا يلدغ » .

وقالاً<sup>(١)</sup> : قال الزهري : خرجتُ مع قُتَيْبَةَ أُرَيْدُ الْمَصِيصَةَ<sup>(٢)</sup> ، فَقَدِمْنَا عَلَى  
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سُرَوَانَ ، وَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ فِي إِيوَانٍ لَهُ ، وَإِذَا سَمَاطَانُ  
 مِنَ النَّاسِ عَلَى بَابِ الْإِيوَانِ ، فَإِذَا أَرَادَ حَاجَةً قَالَهَا لِلَّذِي يَلِيهِ ، حَتَّى تَبْلُغَ الْمَسْأَلَةَ  
 بَابَ الْإِيوَانِ ، وَلَا يَمْشِي أَحَدٌ بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ . قَالَ الزُّهْرِيُّ : فَجِئْنَا فَقُمْنَا عَلَى بَابِ  
 الْإِيوَانِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِلَّذِي عَنْ يَمِينِهِ : هَلْ بَلَّغَكُمْ أَيْ شَيْءٍ أَصْبَحَ فِي ٥  
 بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَيْلَةَ قُتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ؟ قَالَ : فَسَأَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ،  
 حَتَّى بَلَغَتِ الْمَسْأَلَةَ الْبَابَ ، فَلَمْ يَرَدْ أَحَدٌ فِيهَا شَيْئًا . قَالَ الزُّهْرِيُّ : فَقُلْتُ : عِنْدِي  
 فِي هَذَا عِلْمٌ . قَالَ : فَرَجَعْتُ الْمَسْأَلَةَ رَجُلًا عَنْ رَجُلٍ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ .  
 قَالَ : فَدُعِيتُ ، فَخَشِيتُ بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ ، فَلَمَّا أَتَيْتُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ .  
 فَقَالَ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ . ١٠  
 قَالَ : فَعَرَّفَنِي بِالنَّسَبِ<sup>(٣)</sup> ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ طَلَابَةً لِلْحَدِيثِ ، [ فَعَرَّفْتُهُ ] . فَقَالَ :  
 مَا أَصْبَحَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ يَوْمَ قُتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؟ — وَفِي رِوَايَةٍ  
 عَلَى بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>  
 ابْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ عَنْ الزُّهْرِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : اللَّيْلَةُ الَّتِي قُتِلَ فِي صَبِيحَتِهَا الْحُسَيْنُ  
 ابْنُ عَلِيٍّ — قَالَ الزُّهْرِيُّ : نَعَمْ ، حَدَّثَنِي فَلَانٌ — وَلَمْ يُسَمِّهِ لَنَا — أَنَّهُ ١٥  
 لَمْ يُرْفَعْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، الَّتِي صَبِيحَتُهَا قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ<sup>(٥)</sup> ، حَجَرٌ  
 فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَّا وَجَدَ تَحْتَهُ دَمٌ عَبِيْطٌ<sup>(٦)</sup> . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : صَدَقْتَ ، حَدَّثَنِي  
 الَّذِي حَدَّثْتُكَ ، وَإِنِّي وَإِيَّاكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَعَرِيْبَانِ . ثُمَّ قَالَ لِي : مَا جَاءَ بِكَ ؟  
 قُلْتُ : [ جِئْتُ ] مُرَابِطًا . قَالَ : الزَّمِ الْبَابَ ، فَأَقِمْتُ عِنْدَهُ ، فَأَعْطَانِي مَالًا كَثِيرًا .

(١) أَيِ عُمَرَ بْنِ قَيْسٍ وَبِشْرِ بْنِ عَقِيلٍ .

(٢) الْمَصِيصَةُ (بِالْفَتْحِ وَتَشْدِيدِ الْعَصَادِ الْأَوَّلِيِّ ، وَلِيلٍ بِتَخْفِيفِهَا ، وَالْأَصْحَحُ الْأَوَّلُ) : مَدِينَةُ  
 عَلَى شَاطِئِ جَبْعَانَ مِنْ نَهْرِ الشَّامِ . (انظر معجم البلدان) .

(٣) يَرِيدُ سَنَدَ مَا يَرَوِي . (٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ... الخ » .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ » مَكَانَ « الْحُسَيْنِ بْنِ  
 عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » .

(٦) دَمٌ عَبِيْطٌ : طَرِيٌّ .

قال : فاستأذنته في الخروج إلى المدينة ، فأذن لي ومعي غلام لي ، ومعي مال كثير في عيبة ، ففقدت العيبة ، فاتهمت الغلام ، فوعده وتواعده ، فلم يُقر لي بشيء . قال : فصرعته وقعدت على صدره ووضعت مرفقي على وجهه ، وغمرته غمرة وأنا لا أريد قتله ، فمات تحتي ، وسقط في يدي . وقدمت المدينة فسألت سعيد بن المسيب وأبا عبد الرحمن وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ، فكلمهم قال : لا تعلم لك توبة . فبلغ ذلك علي بن الحسين ، فقال : صلى به . فأتيتُه فقصصت عليه القصة . فقال : إن لذنبك توبة ، صم شهرين متتابعين وأعتق رغبة مؤمنة وأطعم ستين مسكيناً ، ففعلت . ثم خرجت أريد عبد الملك ، وقد بلغه أني أتلفت المال ، فأقمت ببابه أياماً لا يؤذن لي بالدخول ، فجلست إلى معلم لولده ، وقد حذق ابن عبد الملك عنده ، وهو يعلم ما يتكلم به بين يدي أمير المؤمنين إذا دخل عليه ، فقلت لمؤدبه : ما <sup>(١)</sup> تأمل من أمير المؤمنين أن يصلحك به فلك عندي ، ذلك على أن تكلم الصبي إذا دخل علي أمير المؤمنين ، فإذا قال <sup>(٢)</sup> له : سل حاجتك ، يقول له : حاجتي أن ترضى عن الزهري . ففعل ، فضحك عبد الملك وقال : أين هو ؟ قال : بالباب . فأذن لي ، فدخلت ، حتى إذا صرت بين يديه ، قلت : يا أمير المؤمنين ، حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يبلغ المؤمن من جحر ممرتين .

### وقعة الحرة

أبو اليقظان قال : لما حضرت معاوية الوفاة دعا يزيد ، فقال له : إن لك من أهل المدينة يوماً ، فإذا فعلوا فأرهم بمسلم بن عقبة ، فإنه رجل قد عرفنا نصيحته . فلما كانت سنة ثلاث وستين ، قدم عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة عاملاً عليها يزيد بن معاوية ، وأوفد على يزيد وفدًا من رجال المدينة ،

(١) في بعض الأصول : « كم » .

(٢) في بعض الأصول : « فقال » . مكان قوله « فإذا قال » .

ففيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة ، معه ثمانية بنين له ، فأعطاه مائة ألف [ درهم ] ، وأعطى بنيته كل رجل منهم عشرة آلاف ، سوى كسوتهم وحملاتهم <sup>(١)</sup> . فلما قدم عبد الله بن حنظلة المدينة ، أتاه الناس ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بنى هؤلاء لجاهدته بهم . قالوا : فإنه قد بلغنا أنه أكرمك وأجازك وأعطاك . قال : قد فعل ، وما قبلت ذلك منه إلا أن اتقوى به عليه — أي على قتال يزيد — وحضر الناس على يزيد فأجابوه . فسكتب عثمان بن محمد إلى يزيد بما أجمع عليه أهل المدينة من الخلاف . فسكتب إليهم يزيد بن معاوية : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد . فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال . وإني قد لبستكم فأخلفتكم ، ورفعتكم على رأيي ، ثم على عيني ، ١٠ ثم على فمي ، ثم على بطني ، والله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أول بها عددكم ، وأثركم بها أحاديث ، تنتسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود . فلما أتاهم كتابه حمى القوم ، فقدمت الأنصار عبد الله بن حنظلة على أنفسهم ، وقدمت قريش عبد الله بن مطيع ، ثم أخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة ، ومروان بن الحكم ، وكل من كان بها من بني أمية . وكان عبد الله ١٥ ابن عباس بالطائف ، فسأل عنهم ، فقبل له : أستمعوا عبد الله بن مطيع على قريش ، وعبد الله بن حنظلة على الأنصار . فقال : أميران ! هلاك القوم . ولما بلغ يزيد ما فعلوا أمر عقبة فضربت له خارجاً عن قهره ، وقطع <sup>(٢)</sup> البعوث على أهل الشام ، فلم تمض ثلاثة حتى توافت الحشود . فقدم عليهم مسلم ابن عقبة المرسي ، فتوجه إليهم . وقد عمد أهل المدينة فأخرجوا إلى كل ماء لهم ٢٠ بينهم وبين الشام ، فصبوا فيه رقاً من قطران وغوروه ، فأرسل الله عليهم المطر ، فلم يستقوا شيئاً حتى وردوا المدينة .

(١) الحملان ( بالضم ) : ما يحمل عليه من الدواب ، في الهبة خاصة .

(٢) قطع ، أي فرض .

قال أبو اليقظان وغيره : إن يزيد بن معاوية وثى مسلم بن عقبة ، وهو قد أشتكى ، فقال له : إن حدث بك حدث فاستعمل حصين بن نمير . فخرج حتى قدم المدينة ، فخرج إليه أهلها في عدة وهيئة وجوع كثيرة لم ير مثلها . فلما رأهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم . فأمر مسلم بن عقبة بسريره فوضع بين الصفاين وهو عليه مريض ، وأمر مناديا ينادى : قاتلوا عن أميركم أو دعوهم .

٣١٢  
٢

٥

فجند الناس في القتال ، فسمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة ، فإذا [ هم ] قد أقبح عليهم بنو حارثة أهل الشام ، وهم على الجدر ، فأنهزم الناس . وعبد الله بن حنظلة متساند إلى بعض بنيهم ينط نوماً ، فلما فتح عينيه فرأى ما صنعوا أمر أكبر بنيه ، فتقدم حتى قتل ، فلم يزل يقدم واحداً واحداً حتى أتى على آخرهم ، ثم كسر غمد سيفه ، وقاتل حتى قتل . ودخل مسلم بن عقبة المدينة ، وتقلب على أهلها ، ثم دعاهم إلى البيعة على أنهم خول ليزيد ابن معاوية يحكم في دماهم وأموالهم وأهلهم ، فبايعوا ، حتى أتى بعبد الله ابن زمة ، فقال له : على أنك خول لأمير المؤمنين يحكم في مالك ودمك وأهلك . قال : لن أبايع على أنى برغم أمير المؤمنين يحكم في دمي ومالي وأهلي . فقال مسلم بن عقبة : أضربوا عنقه ، فوثب مروان بن الحكم فضمه إليه ، وقال : نبيائك على ما أحببت . فقال <sup>(١)</sup> : لا والله لا أقبلها إياه أبداً ، إن تمنع وإلا فاقتلوها جميعاً . فتركه مروان وضرب عنقه . وهرب عبد الله بن مطيع حتى لحق بمكة ، فكان بها حتى قتل مع عبد الله بن الزبير في أيام عبيد الملك بن مروان ، وجعل يُقاتل أهل الشام وهو يقول :

٢٠

أنا الذي فررت يوم الحرّ والشيخ لا يفر إلا مرّه

فاليوم أجرى كرهة بفرّه لا بأس بالكره بعد الفرّه

أبو عقيل الدورقي <sup>(٢)</sup> قال : سمعت إيا نصره يحدث ، قال : دخل أبو سعيد

(١) فقال ، أي مسلم .

(٢) في الأصول : « الزرقى » . والتصويب من الطبرى .

الخُدْرَى يَوْمَ الْحَرَّةِ فِي غَارٍ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَفِي عُنُقِ أَبِي سَعِيدٍ السَّيْفُ ، فَوَضَعَ أَبُو سَعِيدٍ السَّيْفَ وَقَالَ : بُؤْ يَا بُنَى وَإِنَّمَا فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ الذَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ . فَقَالَ : أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرَى أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَسْتَغْفِرُ لِي . قَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ .

٥ وَأَمْرُ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ بِقَتْلِ مَعْقِلِ بْنِ سِنَانِ الْأَشْجَعِيِّ ، صَبْرًا ، وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْجَهْمِ بْنِ حُذَيْفَةَ [ الْقُدْوَى ] <sup>(١)</sup> ، صَبْرًا . وَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ قَتْلِ يَوْمِ الْحَرَّةِ مِنْ قَرِيشٍ وَالْأَنْصَارِ ثَلَاثًا مِائَةً رَجُلٍ وَسِتَّةَ رَجَالٍ . وَمِنْ الْمَوَالِي وَغَيْرِهِمْ أَضْعَافُ هَؤُلَاءِ . وَبَعَثَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ بِرُءُوسِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى يَزِيدَ ، فَلَمَّا أَلْقِيَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ جَعَلَ يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ يَوْمَ أَحَدَ :

١٠ <sup>(٢)</sup> لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ  
لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحًا وَقَالُوا لِيَزِيدَ : لَا فَشَلْ  
فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ارْتَدَدْتَ عَنِ الْإِسْلَامِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : بَلَى ، نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ . قَالَ : وَاللَّهِ لَا سَاكِنَتُكَ أَرْضًا أَبَدًا ، وَخَرَجَ عَنْهُ .

١٥ وَلَمَّا انْقَضَى أَمْرُ الْحَرَّةِ تَوَجَّهَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى مَكَّةَ يُرِيدُ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَهُوَ ثَقِيلٌ ، فَلَمَّا كَانَ بِالْأَبْوَاءِ <sup>(٣)</sup> حَضَرَهُ أَجَلُهُ ، فَلَمَّا حُصِّنَ ابْنُ زُبَيْرٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أُرْسَلْتُ إِلَيْكَ فَلَا أَدْرِي أَقَدَّمْتُكَ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ أَمْ أَقَدَّمْتُكَ فَأَضْرَبَ عُنُقُكَ ؟ قَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، أَنَا سَهْمُكَ فَارِمِي حَيْثُ شِئْتَ . قَالَ : إِنَّكَ أَعْرَابِي جَلْفٌ جَافٍ ، وَإِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ قَرِيشٍ لَمْ يَمَكِّنْهُمْ أَحَدًا قَطُّ مِنْ أُذُنِهِ إِلَّا غَلَبُوهُ عَلَى رَأْيِهِ ، فَسِرْ بِهَذَا الْجَيْشِ ، فَإِذَا لَقِيتَ الْقَوْمَ فَأَيَّاكَ أَنْ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ صَبْرًا وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ صَبْرًا » تَحْرِيفٌ .  
(٢) هَذَا الْبَيْتُ لِابْنِ الزُّبَيْرِ . وَهُوَ مِنْ أَيْيَاتِهِ الْمَعْرُوفَةِ فِي يَوْمِ أَحَدَ . ( انْظُرِ السِّيرَةَ لِابْنِ هِشَامٍ ج ٣ ص ١٤٤ ) طَبْعَةُ الْحَلَبِيِّ . وَثَانِي الْبَيْتَيْنِ فِيمَا يَظْهَرُ لِيَزِيدَ .  
(٣) الْأَبْوَاءُ : مِنْ أَعْمَالِ الْفَرَعِ مِنَ الْمَدِينَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجَحْفَةِ مِمَّا يَلِي الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةَ عَشْرَ وَمِائَةً مِيلًا . وَقَبْلَ : الْأَبْوَاءِ جَبَلٌ عَلَى يَمِينِ آدَةَ وَيَمِينِ الطَّرِيقِ لِلْمَصْعَدِ إِلَى مَكَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ . ٢٥



تُمَكِّنُهُمْ مِنْ أَذْنِكَ ، لَا يَكُنْ إِلَّا عَلَى الْوَقَافِ ، ثُمَّ الثَّقَافُ <sup>(١)</sup> ، ثُمَّ الْأَنْعَرَفُ .  
 وَمَاتَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ ، لَا رَحِمَهُ اللَّهُ . وَمَضَى حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ بِمَجِيشِهِ ذَلِكَ . فَلَمْ  
 يَزَلْ مُحَاصِرًا لِأَهْلِ مَكَّةَ حَتَّى مَاتَ يَزِيدُ ، لَا رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَذَلِكَ خَمْسُونَ يَوْمًا .  
 وَنَصَبَ الْجَانِيقُ عَلَى الْكَعْبَةِ وَحَرَّقَهَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِحَمْسِ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ٣١٣  
 سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ ، وَفِيهَا مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بِحُجَّارِينَ . ٥

### وفاة يزيد بن معاوية

مَاتَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بِحُجَّارِينَ مِنْ بِلَادِ حِمصَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ مُعَاوِيَةُ  
 ابْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ . وَأَمَّ يَزِيدُ مِيسُونَ بِنْتَ  
 بَحْدَلِ السَّكَلَبِيِّ ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ ثَلَاثَ سَنِينَ  
 وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا . ١٠

### خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية

وَأَسْتَخْلَفَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ ،  
 وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَمَاتَ بَعْدَ أَبِيهِ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَلَمْ يَزَلْ مَرِيضًا  
 طَوْلَ وَلَايَتِهِ لَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قِيلَ لَهُ : لَوْ عَهَدْتَ إِلَى رَجُلٍ  
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ وَأَسْتَخْلَفْتَ خَلِيفَةً ؟ قَالَ : لَمْ أَتَفَعَّ بِهَا حَتَّى ، فَلَا أَقْلِيدُهَا مِيتًا ، ١٥  
 لَا يَذْهَبُ بَنُو أُمِيَّةَ بِحُلَاوَتِهَا وَتَجَرَّعَ مَرَارَتِهَا ، وَلَكِنْ إِذَا مِتَ فَلْيُصَلِّ عَلَى  
 الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ ، وَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ حَتَّى يَخْتَارَ النَّاسُ لِأَنْفُسِهِمْ .  
 فَلَمَّا مَاتَ صَلَّى عَلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ بِدِمَشْقَ ،  
 حَيْثُ <sup>(٢)</sup> قَامَتِ دَوْلَةُ بَنِي مُرَوَّانَ .

٢٠ (١) الْوَقَافُ : أَنْ تَقِفَ مَعَهُ وَتَقِفَ مَعَكَ فِي حَرْبٍ أَوْ خُصُومَةٍ . وَالثَّقَافُ : الْجَلَادُ .  
 (٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « حَتَّى » .

## فتنة ابن الزبير

- قال علي بن عبد العزيز: حدثنا أبو عبيد عن حمّاج عن أبي معشر، قال: لما مات مُسلم بن عُمَيَّة سار حُصَيْن بن نُمَيْر حتى أتى مكة، وابن الزبير بها، فدعاهم إلى الطاعة، فلم يُجيبوه، فقاتلهم وقاتله ابنُ الزبير، فقتل المُنذر بن الزبير يومئذ ورجلان من إخوانه، ومُصعب بن عبد الرحمن بن عوف، والمسور بن حُرمة. وكان حُصَيْن بن نُمَيْر قد نَصَبَ الجَوانِيقَ على أبي قُبَيْس وعلى قُعَيْقَعان<sup>(١)</sup>، فلم يكن أحدٌ يقدر أن يطوف بالبيت. فأسند ابنُ الزبير ألواحًا من ساجٍ على البيت، وألقى عليها الفرش والقطائف<sup>(٢)</sup>، فكان إذا وقع عليها الحجرُ نبا عن البيت. فكانوا يطوفون تحت الألواح، فإذا سمعوا صوتَ الحجر حين يقع على الفرش والقطائف كَبَرُوا، وكان ابنُ الزبير قد ضَرَبَ فُسْطَاطًا في ناحية، فسكَّما جُرح رجل من أصحابه أدخله ذلك الفسْطاط، فجاء رجلٌ من أهل الشام بنار في طرف سنانها، فأشعلها في الفسْطاط، وكان يومًا شديد الحر، فتمزَّق الفسْطاط، فوقعت النار على السكبة، فأحترق الخشب والسقف، وأنصدع الرُّكن، واحترقت الأستار وتساقطت إلى الأرض. قال: ثم اقتصلوا مع أهل الشام أيامًا بعد حريق السكبة.
- قال أبو عبيد: أحترقت السكبة يوم السبت لست خَلَوْنَ من ربيع الأول سنة أربع وستين، فجلس أهلُ مكة في جانب الحجر<sup>(٣)</sup> ومعهم ابنُ الزبير، وأهل الشام يرمونهم بالنبل والحجارة، فوقعت نبلٌ بين يدي ابنِ الزبير، فقال: في هذه خبر. فأخذها فوجد فيها مكتوبًا: مات يزيدُ بن معاوية يوم الخميس لأربع عشرة نَحْلَت من ربيع الأول. فلما قرأ ذلك قال: يا أهل الشام، يا أعداء

(١) أبو قبَيْس: اسم الجبل الصَّرف على مكة، وجهه إلى قُعَيْقَعان ومكة بينهما، أبو قبَيْس من شرقها وقُعَيْقَعان من غربها.

(٢) القطائف: جمع قطيفة، وهي دثار نخل.

(٣) الحجر (هنا): حجر السكبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم

عليه السلام.

الله ، ومُحرَّق بيت الله ، علامَ تُقاتلون وقد مات طاغيتكم !

فقال حُصَيْن بن نُمَيْر : موعِدُكَ البطحاء <sup>(١)</sup> الليلةَ أبا بكر . فلما كان الليلُ خرج ابنُ الزُّبَيْر بأصحابه ، وخرج حُصَيْن بأصحابه إلى البطحاء . ثم ترك كُلَّ واحد منهما أصحابه وأنفردا فنزلا . فقال حُصَيْن : يا أبا بكر ، أنا سيِّد أهل الشام لا أدافع ، وأرى أهلَ الحِجاز قد رَضُوا بك ، فتعالَ أبايُفك الساعةَ ويهدر كلُّ شيءٍ أصبناه يومَ الحرَّة ، ونخرج معي إلى الشام ، فإني لا أحب أن يكون الملك بالحِجاز . فقال : لا والله لا أفعل ولا آمنُ من أخاف الناسَ وأحرق بيتَ الله وأتَهك حرْمته . قال : بل <sup>(٢)</sup> فأفعل على أن لا يختلف عليك أثنان . فأبى ابنُ الزُّبَيْر . فقال له حُصَيْن : لعنك الله ولعن من زعم أنك سيِّد ! والله لا تفلح أبدا ! اركبوا بأهل الشام . فركبوا وأنصرفوا . ٣١٤  
١٠

أبو عُبَيْد عن الحِجَّاج عن أبي مَعْشَر قال : حَدَّثَنَا بعضُ المَشِيخَةِ الذين حَضَرُوا قِتَالَ ابنِ الزُّبَيْر ، قال : غلب حُصَيْن بن نُمَيْر على مَكَّة كُلِّهَا إِلَّا الحِجْر . قال : فوالله إني لجالس عنده ، ومعه نفر من القرشيين : عَبْدُ اللَّهِ بن مُطِيع والخِثَار بن أَبِي عُبَيْد ، والمِسْور بن مَخْرَمَة ، والمُنْذِر بن الزُّبَيْر : إذ هَبَّت رُويْحَة ، فقال الخِثَار : والله إني لأرى في هذه الرُّويْحَة النَّصْر ، فاحملوا عليهم . فحملوا عليهم حتى أخرجوهم من مَكَّة ، وقتل الخِثَارُ رجُلًا ، وقتل ابنُ مُطِيع رجُلًا ، ثم جاءنا على إثر ذلك موتُ يزيدَ بعد حَرِيقِ السَّكْبَةِ بِأَحْدَى عَشْرَةِ لَيْلَةٍ ، وأنصرف حُصَيْن بن نُمَيْر وأصحابه إلى الشام ، فوجدوا مُعَاوِيَةَ بن يزيد قد مات ولم يَسْتَخْلَف ، وقال : لا أَتَحْمَلُهَا حَيًّا وَمَيِّتًا . ١٥

فلما مات مُعَاوِيَةُ بن يزيد بايع أهلُ الشام كُلَّهُم ابنَ الزُّبَيْر إِلَّا أَهْلَ الْأَرْدُن <sup>(٣)</sup> ، وبايع أهلُ مِصْرَ أيضًا ابنَ الزُّبَيْر . واستخلف ابنُ الزُّبَيْر الضَّحَّاك بن قَيْس ٢٠

(١) البطحاء : كل موضع منسجم ، ومنه بطحاء مَكَّة . (٢) في بعض الأصول : « بل » . (٣) الأردن : كورة واسعة ، وكانت أحدُ أَجْنَادِ الشام ، منها النُفُور وطَبْرِيَّة وصور وعكا وما بين ذلك . انظر معجم البلدان .

الفهرى على أهل الشام . فلما رأى ذلك رجالُ بنى أمية وناسٌ من أشرف أهل الشام ووجوههم ، منهم روح بن زنباع وغيره ، قال بعضهم لبعض : إن الملك كان فينا أهل الشام ، فانتقل عنا إلى الحجاز ، لا نرضى بذلك ، هل لكم أن تأخذوا رجلاً منا فينظر في هذا الأمر ؟ فقال <sup>(١)</sup> : أستخيروا الله . قال : فرأى القوم أنه غلامٌ حدث السن ، خرجوا من عنده ، وقالوا : هذا حدث . فأتوا عمرو بن سعيد بن العاص ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر ، فأروه حدثاً . فجاءوا إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر ، فأروه حدثاً حرباً على هذا الأمر . فلما خرجوا من عنده قالوا : هذا حدث . فأتوا مروان بن الحكم ، فإذا عنده مصباح ، وإذا هم يسمعون صوته بالقرآن ، فاستأذنوا ودخلوا عليه ، فقالوا : يا أبا عبد الملك ، ارفع رأسك لهذا الأمر . فقال : أستخيروا ٥  
الله وأسألوا أن يختار لأمة محمد صلى الله عليه وسلم خيرها وأعدلها . فقال له روح بن زنباع : إن معي أربعمائة من جُذام ، فإنا أمرهم أن يتقدموا في المسجد غداً ، ومُر أنت أبنك عبد العزيز أن يخطب الناس ويدعوهم إليه ، فإذا فعل ذلك تنادوا من جانب المسجد : صدقت صدقت ، فيظن الناس أن أمرهم واحد .  
فلما اجتمع الناس قام عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ما أحدٌ أولى ١٥  
بهذا الأمر من مروان كبير قریش وسيدها ، والذي نفسى بيده لقد شابت ذراعاه من السكر . فقال الجذاميون : صدقت صدقت . فقال خالد بن يزيد : أمر دُرّ بلبل . فبايعوا مروان بن الحكم . ثم كان من أمره مع الضحاك بن قيس بمرج راهط ما سيأتى ذكره بعد هذا في دولة بنى مروان .

## ٢٠ دولة بنى مروان ووقعة مرج راهط

أبو الحسن قال : لما مات معاوية بن يزيد اختلف الناس بالشام ، فكان أول من خالف من أمراء الأجناد النعمان بن بشير الأنصارى ، وكان على شخص ،

(١) أى روح بن زنباع .

فدعا لابن الزبير، فبلغ خبره زفر بن الحارث السكلابي، وهو بقنسرين<sup>(١)</sup>،  
فدعا إلى ابن الزبير أيضاً بدمشق سرّاً، ولم يظهر ذلك لمن بها من بني أمية  
وكلب. وبلغ ذلك حسان بن مالك بن جندل السكابي، وهو بفلسطين، فقال  
لروح بن زنباع: إني أرى أمراء الأجناد يُبَايعون لابن الزبير، وأبناء قيس  
بالأردن كثير، وهم قومي، فأنا خارج إليها وأقم أنت بفلسطين، فإن جُلَّ أهلها  
قومك من نخم وجذام، فإن خالفك أحد فقاتله بهم. فأقام روح بفلسطين،  
وخرج حسان إلى الأردن. فقام نائل<sup>(٢)</sup> بن قيس الجذامي، فدعا إلى ابن الزبير،  
وأخرج روح بن زنباع من فلسطين، ولحق بحسان بالأردن. فقال حسان:  
يا أهل الأردن، قد علمتم أن ابن الزبير في شقاق ونفاق وعصيان لخلفاء الله ومفارقة  
لجماعة المسلمين، فانظروا رجلاً من بني حرب فبأيوه. فقالوا: اختر لنا من  
شدت من بني حرب وجئنا هذين الرجلين الغلامين: عبد الله وخالد، ابني  
يزيد بن معاوية، فإننا نسكركم أن يدعوا الناس إلى شيخ، ونحن ندعو إلى صبي.  
وكان هوى حسان في خالد بن يزيد، وكان ابن أخته. فلما رموه بهذا الكلام  
أمسك، وكتب إلى الضحاك بن قيس كتاباً يعظم فيه بني أمية وبلاءهم عنده،  
ويذم ابن الزبير ويذكر خلافه للجماعة، وقال لرسوله: اقرأ الكتاب على  
الضحاك بمحضر بني أمية وجماعة الناس. فلما قرأ كتاب حسان تكلم الناس  
فصاروا فرقتين، فصارت اليمانية مع بني أمية، والقيسية زُبَيْرِيَّةً، ثم اجتمعوا<sup>(٣)</sup>  
بالفعل ومشى بعضهم إلى بعض بالسيوف، حتى حَجَزَ بينهم خالد بن يزيد،  
ودخل الضحاك دار الإمارة، فلم يخرج ثلاثة أيام. وقدم عبيد الله بن زياد،  
فكان مع بني أمية بدمشق. فخرج الضحاك بن قيس إلى الكرج — مرج

(١) قنسرين: كورة بالشام منها حلب. وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة  
من جهة حصص. وما زالت عامرة إلى سنة ٣٥١ أو سنة ٣٥٥ عندما خربها  
الروم وأحرقوا مساجدها فلم تعمر بعد ذلك. (انظر معجم البلدان).  
(٢) في بعض الأصول: «نائل». وما أثبتنا من سائر الأصول والطبقات والمشتبه.  
(٣) اجتمعوا بالفعل، أي تضاربوا بها.

راهط — فمسكر فيه ، وأرسل إلى أمراء الأجناد فأَتَوْهُ ، إلا ما كان من كَلْب .  
 ودعا مروانُ إلى نفسه ، فبايعته بنو أمية وكَلْب وغسان والتَّسَكاسُك وطَيِّئ ، فمسكر  
 في خمسة آلاف . وأقبل عبيد بن يزيد من حوران في ألفين من مواليه وغيرهم  
 من بني كَلْب ، فلحق بمروان . وغلب يزيدُ بن أبي أنيس على دمشق ، فأخرج  
 منها عامل الضحاك . وأمد مروان رجالاً وسلاح كثير . وكتب الضحاك إلى أمراء  
 الأجناد ، فقدم عليه زفر بن الحارث من قنسرين ، وأمدّه النعمان بن بشير  
 بشرَحْبِيل بن ذى السكلاع في أهل حِمْص ، فتوافوا عند الضحاك بمرج راهط ،  
 فكان الضحاك في ستين ألفاً ، ومروان في ثلاثة عشر ألفاً ، أكثرهم رجالة ، وأكثرُ  
 أصحاب الضحاك رُكبان . فاقتتلوا بالمرج ، عشرين يوماً ، وصبر الفريقان . وكان على  
 ميمنة الضحاك زيادُ بن عمرو بن معاوية العقيلي <sup>(١)</sup> ، وعلى ميسرة بكر بن أبي بشير  
 الهلالي . فقال عبيد الله بن زياد لمران : إنك على حق وابن الزبير ومن دعا إليه على  
 الباطل ، وهم أكثر من أعداء وعدداً ، ومع الضحاك فرسان قيس ، وأعلم أنك لا تنال  
 منهم ما تريد إلا بمكيدة ، وإنما الحرب خدعة ، فأدعهم إلى المودعة ، فإذا أمنوا  
 وكفوا عن القتال ، فسكروا عليهم . فأرسل مروان الشُّعراء <sup>(٢)</sup> إلى الضحاك يدعوه  
 إلى المودعة ووضع الحرب حتى ينظر . فأصبح الضحاك والقيسية قد أمسكوا عن  
 القتال ، وهم يطعمون أن يبايع مروان لابن الزبير ، وقد أعد مروان أصحابه ، فلم يشع  
 الضحاك وأصحابه إلا والخيل قد شددت عليهم ، ففزع الناس إلى راياتهم من غير  
 استعداد وقد غشيتهم الخيل ، فنادى الناس : أبا أنيس ، أعجز بعد كَيْس —  
 وكنية الضحاك : أبو أنيس — فاقتتل الناس ولزم الناس راياتهم ، فترجل مروان ،  
 وقال : قَبَّحَ اللهُ من ولاهم اليومَ ظهراً حتى يكون الأمرُ لإحدى الطائفتين .  
 فقتل الضحاكُ بن قيس ، وصبرت قيسُ عند راياتها يقاتلون ، فنظر رجلٌ من بني

(١) في بعض الأصول : « زياد بن الضحاك العقيلي » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

(٢) في بعض الأصول : « بشرا » . وفي بعض آخر : « بشيرا » . تحريف .

عُقيل إلى ما تلقى قيس عند راياتها من القتل ، فقال : اللهم ألعنها من رايات !  
واعترضها بسيفه ، فجعل يقطعها ، فإذا سقطت الراية تفرق أهلها . ثم انهزم  
الناس ، فنادى مُنَادِيٌ مَرُوان : لا تتبعوا من ولّاكم اليوم ظهره . فزعموا أن  
رجالا من قيس لم يصحكوا بعد يوم المّرج حتى ماتوا جرعاً على من أصيب من  
فرسان قيس يومئذ . فقتل من قيس يومئذ ممن كان يأخذ شرف العطاء ثمانون  
رجلا ، وقتل من بني سليم ستمائة ، وقتل لمروان ابن يقال له عبد العزيز<sup>(١)</sup> . وشهد  
مع الضحّاك يوم مّرج راهط عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان . فلما انهزم  
الناس ، قال له عبيد الله بن زياد : أرتد خلتى ، فارتد ، فأراد عمرو بن  
سعيد أن يقتله . فقال له عبيد الله بن زياد : ألا تكف يا لطيم الشيطان<sup>(٢)</sup> !  
وقال زفر بن الحارث ، وقد قتل ابنه يوم المّرج :

أمرى لقد أبقت وقعة راهط بمروان صدعاً بيننا مُقنائيا<sup>(٣)</sup>  
فلم بُرّ منى زلّة قبل هذه فرارى وتركى صاحبي ورائيا  
أذهب يوم واحد إن أسأته بصلح أياي وحسن بلائيا  
أنترك كلباً لم تنكها رماحنا وتذهب قتل رايط وهى ما هيا  
وقد تنبت الخضراء في دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا  
فلا صلح حتى ندعس الخيل بالقنا وتثار من أبناء كلب نسايا<sup>(٤)</sup>

فلما قتل الضحّاك وانهزم الناس ، نادى مروان أن لا يتبع أحد . ثم  
أقبل إلى دمشق فدخلها ونزل دار معاوية بن أبي سفيان دار الإمارة ، ثم جاءته  
بيعة الأجناد ، فقال له أصحابه : إنا لا نتخوف عليك إلا خالد بن يزيد ، فمزّج أمه ،

٢٠ (١) انظر الطبرى ، فى مقتل عبد العزيز بن مروان فى هذه الواقعة خلاف . ثم فيه  
أن مروان أمر أهل الشام بعد البيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وجعلهما  
وليي عهده .

(٢) يقال لمن به لقوة أو شر إذا سب : يا لطيم الشيطان . ( انظر ما يعول عليه ) .

(٣) فى بعض الأصول : « لمروان ... متبايناً » وما أثبتنا من سائر الأصول

والأغاني ( ج ١٧ ص ١١٢ طبعة بلاى ) . (٤) الدعس : الطعن . ٢٥

فإنك تكسره بذلك، وأمه أبنه [أبى] <sup>(١)</sup> هاشم بن عتبة بن ربيعة . فتزوجها مروان ، فلما أراد الخروج إلى مصر قال لخالد : أعزني سلاحاً إن كان عندك ، فأعاره سلاحاً ، وخرج إلى مصر ، فقاتل أهلها وسبى بها ناساً كثيراً ، فأفتدوا منه . ثم قدم الشام ، فقال له خالد بن يزيد : رد على سلاحى . فأبى عليه . فألح عليه خالد . فقال له مروان ، وكان فتحاشا : يا بن رطبة الاست <sup>(٢)</sup> . قال : فدخل إلى أمه فبكى عندها وشكا إليها ما قاله مروان على رؤس أهل الشام . فقالت له : لا عليك ، فإنه لا يعود إليك بمثلها . فلبث مروان بعد ما قال لخالد ما قال أياماً ، ثم جاء إلى أم خالد فرقد عندها ، فأمرت جواريتها فطرحن عليه الوسائد <sup>(٣)</sup> ، ثم غطته حتى قتله ، ثم خرجن فصحن وشققن ثيابهن : يا أمير المؤمنين ! يا أمير المؤمنين ! ثم قام عبد الملك بالأمر بعده ، فقال لفاخته <sup>(٤)</sup> أم خالد : والله ١٠ لولا أن يقول الناس إنى قتلت أبى امرأة اقتلتك بأمير المؤمنين .

وولد مروان بن الحكم بن العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بمكة . ومات بالشام ، ثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين ، وهو ابن ثلاث وستين سنة . وصلى عليه ابنه عبد الملك بن مروان . وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً . وكان على شرطته يحيى بن قيس الشيبانى . وكانت به ١٥ مارجون بن منصور الرومى . وحاجبه أبو سهل الأسود ، مولاة .

### ولاية عبد الملك بن مروان

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية . ويكنى : أبا الوليد .

(١) التكملة من الطبرى .

(٢) ذكر الطبرى شيئاً غير هذا فقال : « فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة كثيرة وهو عسى بين الصفين فقال : إنه والله ما علمت لأحق ، فقال : يا بن رطبة الاست ، يقصده ليقطه من أعين أهل الشام » . ثم ذكر باقى القصة متفقاً مع الأصول .

(٣) فى بعض الأصول . « الشواذك » .

(٤) كذا فيما مر من هذا الجزء والطبرى . وفى الأصول هنا : « عاتكة أم خالد » .



ويقال له : أبو الأملاك ؛ وذلك أنه ولي الخلافة أربع من ولده : الوليد وسليمان  
وزيد وهشام . وكان تدعى أخته فيقع عليها الذباب ، فكان يُلقَّب : أبا الذباب .  
أمه عائشة بنت [ معاوية بن ] <sup>(١)</sup> المغيرة بن أبي العاص بن أمية . وله يقول ابن <sup>(٢)</sup>  
قيس الرقيات :

أنت ابنُ عائشة التي فضلت أروم نساها <sup>(٣)</sup>  
لم تلتفت للداتها ومشت على غلوائها  
ولدت أغرَّ مباركاً كالشمس وسط سماءها

ويُؤمَّع عبدُ الملك بدمشق لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين ، ٣١٧  
٢  
ومات بدمشق للنصف من شوال سنة ست وثمانين ، وهو ابن ثلاث وستين  
سنة ، فصلَّى عليه الوليدُ بن عبد الملك . ووُلد عبدُ الملك بالمدينة سنة ثلاث  
وعشرين ، ويقال سنة ست وعشرين . ويقال وُلد لسبعة أشهر . وكان على  
شُرطته ابنُ أبي كُبشة السَّكسكى ، ثم أبو نائل بن رباح بن عُبيدة الغساني ، ثم  
عبدُ الله بن يزيد الحكيم . وعلى حرسه الريَّان . وكاتبه على الخراج والجند سرجون  
ابن منصور الرُّومي . وكاتبه على الرسائل أبو زُرعة ، مولاه . وعلى الخاتم قبيصة  
ابن ذؤيب . وعلى بُيوت الأموال والخزائن رجاء بن حيوة . وحاجبه أبو يوسف ، ١٥  
مولاه . ومات عبدُ الملك سنة ست وثمانين ، وهو ابن ثلاث وستين سنة . وصلى  
عليه الوليدُ ابنُه <sup>(٤)</sup> . وكانت ولايته ، منذ أجمَعَ عليه ، ثلاث عشرة سنة وثلاثة  
أشهر ، ودُفن خارجَ باب المدينة . وفي أيام عبد الملك حُوِّلت الدواوينُ إلى  
العربية عن الرُّومية والفارسية ، حوَّلتها عن الرُّومية سليمان بن سعد <sup>(٥)</sup> ، مولى  
خُشين <sup>(٦)</sup> . وحوَّلتها عن الفارسية صالحُ بن عبد الرحمن ، مولى عُتبة ، امرأة من ٢٠

(١) التكهة من الطبرى . (٢) في الأصول : « أبو » . تحريف .

(٣) الأروم : جمع أرومة ، وهى الأصل .

(٤) تقدم خبر موت عبد الملك قبل ذلك بأسطر .

(٥) فى بعض الأصول : « سعيد » وما أثبتنا من سائر الأصول والفهرست لابن النديم .

(٦) فى بعض الأصول : « حسين » تصحيف .

بني مرة . ويقال : حُولت في زمن الوليد .

ابن وهب عن ابن لهيعة قال : كان معاوية فرض للموالي خمسة عشر ، فبلغهم عبد الملك عشرين ، ثم بلغهم سليمان خمسة وعشرين ، ثم قام هشام فأتم للأبناء منهم ثلاثين .

وكتب عبد الله بن عمر إلى عبد الملك بن مروان يبيعه لما قُتل ابن الزبير ، وكان كتابه إليه يقول : لعبد الملك بن مروان ، من عبد الله بن عمر : سلام عليك ، فإني أقررت لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وبيعة نافع مولاى على مثل ما بايعتك عليه .

وكتب محمد بن الحنفية يبيعه لما قُتل ابن الزبير ، وكان في كتابه : إني اعترزت الأمة عند اختلافها ، فقمعت في البلد الحرام الذي من دخله كان آمناً ، لأخرز ديني وأمنع دمي ، وتركت الناس ( قل كل يعمل على شاكلته ، فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ) . وقد رأيت الناس قد اجتمعوا عليك ، ونحن عصاة من أمتنا لا نفارق الجماعة ، وقد بعثت إليك مقار رسولاً لياخذ لنا منك ميثاقاً ، ونحن أحق بذلك منك . فإني أبيت فأرض الله وأسمعه ، والعاقبة للمتقين .

١٥

فكتب إليه عبد الملك : قد بلغني كتابك بما سألته من الميثاق لك وللعصابة التي معك . فلك عهد الله وميثاقه أن لا تهاج في سلطاننا غائباً ولا شاهداً ، ولا أحد من أصحابك ما وقوا ببيعتهم ، فإن أحببت المقام بالحجاز فأقم ، فلن ندع صلتك وبرك ، وإن أحببت المقام عندنا فاشخص إلينا ، فلن ندع مواساتك . ولعمري لن أجتأك إلى الذهب في الأرض خائفاً لقد ظلمناك ، وقطعنا رحمتك . فأخرج إلى الحججاج فبايع . فإنك أنت الحمود عندنا ديناً ورأياً ، وخير من ابن الزبير وأرضى وأتقى .

٢٠

وكتب إلى الحججاج بن يوسف : لا تعرض لحمد ولا لأحد من أصحابه ،

وكان في كتابه : جنبني دماء بني عبد المطلب ، فليس فيها شفاء من الحرب <sup>(١)</sup> ،  
وإني رأيتُ بني حَرْبٍ سُلِمُوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن علي . فلم يتعرض  
الحجاج لأحد من الطالبين في أيامه .

أبو الحسن المدائني قال : كان يقال : معاوية أحلم ، وعبدُ الملك أحزم .  
خطب الناسَ عبدُ الملك فقال : أيها الناس ، ما أنا بالخليفة المستضعف  
— يريد عثمان بن عفان — ولا بالخليفة المداهن — يريد معاوية بن أبي سفيان  
— ولا بالخليفة المأفون — يريد يزيد بن معاوية — فمن قال رأسه كذا قلنا  
بسيئنا كذا ، ثم نزل .

وخطب عبد الملك على المنبر فقال : أيها الناس ، إن الله حدَّ حدوداً وفرضَ  
فروضاً ، فما زِلتم تزدادون في الذَّبِّ وزداد في العقوبة ، حتى اجتمعنا نحن  
وأنتم عند السيف .

أبو الحسن المدائني قال : قدِمَ عمرُ بنُ علي بن أبي طالب على عبد الملك ،  
فسأله أن يُصِرَّ إليه صدقة علي . فقال عبدُ الملك متمثلاً بأبيات ابن  
أبي الحقيق <sup>(٢)</sup> :

إني إذا مالتُ دَواعِيَ الهوى وَأَنْصَتُ السامِعُ قاتِلُ  
وأعتلجُ الناسُ بآرائهم نَقَضَى بِحُكْمٍ عَادِلٍ فاضِلُ <sup>(٣)</sup>  
لا يجعلُ الباطلُ حقاً ولا نَرَضَى بَدُونِ الحقِّ للباطلِ

لا ، لعمرى ، لا نُخرجها من ولد الحسين إليك . وأمر له بصلة . [ ورجع .  
وقال عبد الملك بن سروان لأبي بن خريم : إن أباك وعملك كانت لهما صحبة  
نخذ هذا المال فقاتل ابن الزبير . فأبى فشتمه عبد الملك ] . فخرج وهو يقول :

(١) الحرب (بالعربك) : الغضب .  
(٢) في الأصول : « ابن الحقيق » تحريف . وهو الربيع بن أبي الحقيق من بني قريظة .  
(انظر الأغاني في ج ٢١ ص ٩١ — ٩٣) . طبعة أوربة .  
(٣) اعتلجوا : التحموا صراخاً وفتلاً

فلستُ بقاتلٍ رجلاً يُصلى على سلطان آخر من قریش

له سباطانهُ وعلى إثمى مِعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفْهٍ وَطَيْشٍ

وقال أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمٍ أَيْضاً :

إِنِّ لِلْمَنَّةِ هَيْطًا بَيْنَا فَرُودَ الْمَيْلِ مِنْهَا يَفْتَدِلُ<sup>(١)</sup>

فَإِذَا كَانَ عَطَاءٌ فَانْتَهَزَ وَإِذَا كَانَ قِتَالٌ فَلَمَّعَتِ

إِثْمًا يُوقِدُهَا فُرْسَانُنَا حَطَبَ النَّارِ فَدَعَا نَشْتَعِلُ

وقال زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ أَعْبَدُ الْمَلِكُ بْنُ مَرْوَانَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَصَرَكَ عَلَى

كُفْرِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ أَبُو زُعَيْرَةَ : مَا كَرِهَ ذَلِكَ إِلَّا كَافِرٌ . فَقَالَ زُفَرٌ : كَذَبْتَ ،

قَالَ اللَّهُ لَنَبِيِّهِ : ( كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

لَسَكَارِهُونَ ) .

وَبَعَثَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى الْمَدِينَةِ حُبَيْشَ بْنَ دُلْجَةَ الْقَيْسِيُّ فِي سَبْعَةِ

آلَافٍ . فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ وَجَلَسَ عَلَى مَنبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَعَا

بِحُبَيْزٍ وَلَحْمٍ فَأَكَلَ ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ عَلَى الْمَنبَرِ ، ثُمَّ دَعَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ

صَاحِبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : تَبَايَعَ أَعْبَدُ الْمَلِكُ بْنُ مَرْوَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

بِهِدَى اللَّهِ عَلَيْكَ وَمِيثَاقِهِ ، وَأَعْظَمَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فِي الْوَفَاءِ ، فَإِنْ

خُنْتُنَا فَهَرَأَقَ اللَّهُ دَمَكَ عَلَى ضَلَالَةٍ . قَالَ : أَنْتَ أَطَوَّقُ لَذَلِكَ مَتًى ، وَلَكِنْ أَبَايَعُهُ

عَلَى مَا بَايَعْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ<sup>(٢)</sup> ، عَلَى السَّمْعِ

وَالطَّاعَةِ .

ثُمَّ خَرَجَ ابْنُ دُلْجَةَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ إِلَى الرَّبَذَةِ ، وَقَدِمَ عَلَى أَثَرِهِ مِنَ الشَّامِ

(١) هَيْطٌ : ضَجِيجٌ وَشَرٌّ وَجَلْبَةٌ .

(٢) الْحُدَيْبِيَّةُ ( بِضَمِّ الْحَاءِ وَفَتْحِ الدَّالِ وَيَاءِ سَاكِنَةٍ وَيَاءِ مُوَحَّدَةٍ مَكْسُورَةٍ وَيَاءِ . وَمِنْهُمْ

مَنْ خَفَّفَهَا وَمِنْهُمْ مَنْ شَدَّهَا ) : قَرْيَةٌ مَتَوَسِّطَةٌ سَمِيَتْ بِئِثْرَ هُنَاكَ عِنْدَ مَسْجِدِ الشَّجَرَةِ

الَّتِي بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَهَا . وَبَيْنَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَمَكَّةَ بِرَحْلَةٍ وَبَيْنَهَا

وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ تَسْعَ مَرَاكِلَ . ( انْظُرْ مَعْجَمُ الْبَلَدَانِ ) .

وجلان، مع كل واحد منهما جيش، ثم اجتمعوا جميعاً في الرَبْدَة<sup>(١)</sup>، وذلك في رمضان سنة خمس وستين. وأميرهم ابن دُلْجَة.

وكتب ابن الزبير إلى العباس بن سهل الساعدي بالمدينة أن يسير إلى حُبَيْش بن دُلْجَة. فسار حتى أقيمه بالرَبْدَة. وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة — وهو عامل ابن الزبير على البصرة — مدداً إلى العباس بن سهل<sup>(٢)</sup>، حُفَيْف بن السَّجَف في تسعمائة من أهل البصرة. فساروا حتى انتهوا إلى الرَبْدَة. فبات أهل البصرة وأهل المدينة يقرءون القرآن ويصلّون. وبات أهل الشام في المعازف والخمر، فلما أصبحوا غدوا على القتال، فقتل حُبَيْش بن دُلْجَة ومن معه. ففتح من منهم خمسمائة رجل من أهل الشام على عمود الرَبْدَة، وهو الجبل الذي عليها، وفيهم يوسف أبو الحجاج، فأحاط بهم عباس بن سهل، فطلبوا الأمان، فقال: أنزلوا على حُكْمِي، فنزلوا على حكمه، فضرب أعناقهم أجمعين. ثم رجع عباس بن سهل إلى المدينة، وبعث عبد الله بن الزبير ابنه حمزة عاملاً على البصرة، فاستضعفه القوم، فبعث أخاه مُصْعَب بن الزبير، فقدم عليهم، فقال: يا أهل البصرة، بلغني أنه لا يقدم عليكم أمير إلا لقتلتموه، إني ألقب لكم نفسي: أنا القصاب.

### خبر المختار بن أبي عبيد

ثم أرسل عبد الله بن الزبير إبراهيم بن محمد بن طلحة أميراً على الكوفة، ثم عزله وأرسل المختار بن أبي عبيد. وأرسل عبد الملك عبيد الله بن زياد إلى الكوفة. فبلغ المختار إقبال عبيد الله بن زياد، فوجه إليهم إبراهيم بن الأشتر

٢٠ (١) الرَبْدَة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز. (انظر معجم البلدان).

(٢) في بعض الأصول: «العباس بن سهل بن حنيف بن السَّجَف» تحريف. والتصويب من الطبري. وفي بعض الأصول: «مدوا إلى العباس بن سهل، وهو حنيف بن السَّجَف في تسعمائة من أهل البصرة».

في جيش ، فالتقوا بالجازر<sup>(١)</sup> ، وقتل عبيد الله بن زياد وحُصَيْن بن نمر وذا الكلاع وعامة من كان معهم . وبعث برءوسهم إلى عبد الله بن الزبير .  
 أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا شريك بن عبد الله عن أبي الجويرية الجرمي قال : كنتُ فيمن سار إلى أهل الشام يوم الجازر مع إبراهيم بن الأشتر فلقيناهم بالزَّاب ، فهبَّت الرياحُ لنا عليهم ، فأدبروا ، فقتلناهم عَشِيقَتَنَا ولبتُنا • حتى أصبحوا . فقال إبراهيم : إني قتلت البارحة رجلاً فوجدتُ عليه ريح طيب ، فالتمسوه ، فما أراه إلا ابن سرجانة . فانطلقنا فإذا هو والله مَمَكُوس في بطن الوادي .

ولما التقى عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن الأشتر بالزَّاب ، قال : من هذا الذي يُقاتلني ؟ قيل له : إبراهيم بن الأشتر . قال : لقد تركته أميس صبيئاً ١٠ يلعب بالحمام .

قال : ولما قُتل ابن زياد بعث المختار رأسه إلى علي بن الحسين بالمدينة . قال الرسول : قدمتُ به عليه انتصاف النهار وهو يتغذى ، قال : فلما رآه قال : سبحان الله ! ما اغتر بالدُّنيا إلا من ليس لله في عنقه نعمة ! لقد أدخل رأس ١٥ أبي عبد الله على ابن زياد وهو يتغذى . وقال يزيد بن مفرغ<sup>(٢)</sup> :

إِنَّ الذي عاش ختاراً بذمته وماتَ عبداً قَتِيلُ الله بالزَّابِ

ثم إن المختار كتب كتاباً إلى ابن الزبير ، وقال لرسوله : إذا جئت مكة فدفعْتَ كتابي إلى ابن الزبير فأنت المهدى — يعني محمد بن الحنفية — فأقرأ عليه السلام وقل له : يقول لك أبو إسحاق : إني أحبك وأحب أهل بيتك . قال : فأنا ، فقال له ذلك . فقال : كذبت وكذب أبو إسحاق ، وكيف ٢٠

(١) الجازر : قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن . ( انظر معجم البلدان ) .

(٢) في بعض الأصول : يزيد بن معن ، وما أثبتنا من سائر الأصول والأغاني . ( ج ١٧ ص ٦٨ ) طبعة بلاق .

يُحِبُّني وَيُحِبُّ أَهْلَ بَيْتِي وَهُوَ يُجْلِسُ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ <sup>(١)</sup> عَلَى وَسَائِدِهِ وَقَدْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ !  
فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ رَسُولُهُ وَأَخْبَرَهُ . قَالَ الْخُتَارُ لِأَبْنَيْ عَمْرٍو <sup>(٢)</sup> صَاحِبِ حَرَسِهِ : اسْتَاجِرْ  
لِي نَوَاحِيَّ بَيْكَيْنِ الْحُسَيْنِ عَلَى بَابِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ ، فَفَعَلَ . فَلَمَّا بَكَيْنِ ، قَالَ عُمَرُ  
لِابْنِهِ حَفْصٍ : يَا بَنِي ، أَنْتَ الْأَمِيرُ ، فَقُلْ لَهُ : مَا بَالُ النَوَاحِيَّ بَيْكَيْنِ الْحُسَيْنِ عَلَى  
بَابِي ؟ فَأَنَاهُ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ . فَقَالَ : إِنَّهُ أَهْلٌ أَنْ يُبَكِّيَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ .  
انْهَبْ عَنْ ذَلِكَ . قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ دَخَلَ أَبَا عَمْرٍو صَاحِبَ حَرَسِهِ ، فَقَالَ لَهُ : اذْهَبْ  
إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ فَأَتْنِي بِرَأْسِهِ . فَأَنَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : قُمْ إِلَيَّ أَبَا حَفْصٍ . فَقَامَ إِلَيْهِ وَهُوَ  
مُتَلَحِّفٌ بِمَلْحَفَةٍ ، فَجَلَّهَ بِالسَّيْفِ ، فَقَتَلَهُ وَجَاءَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْخُتَارِ . ثُمَّ قَالَ : انْتَوْنِي  
بَابَ عَمْرٍو <sup>(٣)</sup> . فَلَمَّا حَضَرَهُ قَالَ : أَتَعْرِفُ هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، رَحِمَهُ اللَّهُ . قَالَ : أَتُحِبُّ  
أَنْ تُلْحِقَكَ بِهِ ؟ قَالَ : لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ . فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ عُنُقُهُ .

ثُمَّ إِنَّ الْخُتَارَ لَمَّا قَتَلَ ابْنَ مَرْجَانَةَ وَعُمَرَ بْنَ سَعْدٍ جَعَلَ يَتَّبِعُ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ بْنِ  
عَلِيٍّ وَمَنْ خَذَلَهُ ، فَقَتَلَهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَأَمَرَ الْحُسَيْنِيَّةَ ، وَهِيَ الشَّيْعَةُ ، أَنْ يَطُوفُوا فِي  
أَرْقَةِ الْمَدِينَةِ بِاللَّيْلِ وَيَقُولُوا : يَا ثَارَاتِ الْحُسَيْنِ ! فَلَمَّا أَفْنَاهُمْ وَدَانَتْ لَهُ الْعِرَاقُ ، وَلَمْ  
يَكُنْ صَادِقُ النِّيَّةِ وَلَا صَحِيحَ الْمَذْهَبِ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَأْصِلَ النَّاسَ ، فَلَمَّا أَدْرَكَ  
بُغْيَتَهُ أَظْهَرَ قُبْحَ نَيْتِهِ لِلنَّاسِ ، فَادَّعَى أَنَّ جَبْرِيلَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ وَيَأْتِيهِ بِالْوَحْيِ مِنْ  
اللَّهِ . وَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ : بَلِّغْنِي أَنَّكُمْ تَكْذِبُونَنِي وَتَكْذِبُونَ رَسُولِي ،  
وَقَدْ كَذَبْتَ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ قَبْلِي ، وَأَسْتُ نَحِيرٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ . فَلَمَّا انْتَشَرَ ذَلِكَ  
عَنْهُ كَتَبَ أَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَى ابْنِ الزَّيْبِرِ ، وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ . وَبَرَزَ إِلَيْهِ  
الْخُتَارُ ، فَأَسْلَمَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ ، وَوُجَّهَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ ، فَقَتَلَهُ مُصَافٍ  
وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ » . انْظُرِ الْخَاشِيَةَ . (رَقْمُ ١ ص ٣٧٩ .  
مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

(٢) فِي الْمَعَارِفِ : « أَبُو عَمْرٍو مَوْلَى بَيْتِلَةَ » .

(٣) هُوَ حَفْصُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ . وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ : « بَابُ مَرْجَانٍ » . تَحْرِيفٌ .

(انْظُرِ الْمَعَارِفَ) .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : قيل لعبد الله بن عمر : إن المختار ليزعم أنه يوحى إليه . قال : صدق ، الشياطين يوحون إلى أوليائهم .

وقتل مصعب من أصحاب المختار ثلاثة آلاف . ثم حج سنة إحدى وسبعين ، فقدم على أخيه عبد الله بن الزبير ومعه وجوه أهل العراق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد جئت بك وجوه أهل العراق ، ولم أدع لهم [ بها ] نظيراً ، فأعطهم من المال . قال : • جئني بعبيد أهل العراق لأعطيتهم من مال الله ، وددت أن لي بكل عشرة منهم رجلاً من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم . فلما انصرف مصعب ومعه الوفد من أهل العراق ، وقد حرمهم عبد الله بن الزبير ما عنده ، فسدت قلوبهم ، فراسلوا عبد الملك بن مروان حتى خرج إلى مصعب فقتله <sup>(١)</sup> .

١٠ علي بن عبد العزيز عن حجاج <sup>(٢)</sup> عن أبي معشر قال : لما بعث مصعب برأس المختار إلى عبد الله بن الزبير فوضع بين يديه ، قلل : ما من شيء خدثني به كعب الأحمار إلا قد رأيته ، غير هذا ، فإنه قال لي : يقتلك شاب من ثقيف ، فأراني قد قتلته .

وقال محمد بن سيرين ، لما بلغه هذا الحديث : لم يعلم ابن الزبير أن أبا محمد قد خبي له .

١٥

ولما قتل مصعب المختار بن أبي عبيد ودانت له العراق كلها : الكوفة والبصرة ، قال فيه عبيد الله بن قيس الرقيات :

كيف نومي على الفراش ولما تشمّل الشام غارة شعواء  
تذهل الشيخ عن بنيته وتبدي عن خدام العقيلة العذراء <sup>(٣)</sup>

٢٠ (١) انظر (ج ٢ ص ٩٨) من هذه الطبعة ، فبين الخبر هنا وهناك بعض خلاف .

(٢) لعنه حجاج بن المنهال . انظر معجم الأدياء (ج ٥ ص ٢٤٧ طبعة مرجليوث والطبري .

(٣) الخدام : جمع خدمة (بالحرريك) وهو الخلخال ، والعقيلة : السكرانة المخدرة . وخدام هاهنا في نية عن خدامها . وغدى « تبدي » يعني تكشف .

(انظر لسان العرب مادة خدم) .



إنما مصعبٌ شهابٌ . من الله تجلت عن وجهه الظلماء  
وتزوج مصعب — لما ملك العراق — عائشة بنت طلحة وسكينة بنت  
الحسين ، ولم يكن لها نظير في زمانهما . وقتل مصعب امرأة المختار ، وهي ابنة  
الثعمان بن بشير الأنصاري ، فقال فيها عمر بن أبي ربيعة الخزومي :

٥  
إن من أعظم المصائب عندي قتل حوراء غادة عيطبول<sup>(١)</sup>  
قتلت باطلاً على غير ذنب إن لله درها من قتل  
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جرؤ الذبول

### مقتل عمرو بن سعيد الأشدق

١٠  
أبو عبيد عن حجاج عن أبي معشر قال : لما قدم مصعب بوجوه أهل  
العراق على أخيه عبد الله بن الزبير فلم يعطهم شيئاً أبغضوا ابن الزبير ، وكتبوا  
عبد الملك بن مروان ، فخرج يريد مصعب بن الزبير ، فلما أخذ في جهازه  
وأراد الخروج ، أقبلت عائكة بنت يزيد بن معاوية في جواربها ، وقد تزينت  
بالخلج ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، لو قعدت في ظلال ملكك ووجهت إليه  
كلمياً من كلابك لكفاك امرأة . فقال : هيهات ! أما سمعت قول الأول :

١٥  
قوم إذا ما غزوا شذوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار  
فلما أتى عليها وعزم ، بكيت وبكى معها جواربها . فقال عبد الملك : قاتل  
الله ابن أبي حنيفة<sup>(٢)</sup> كأنه ينظر إلينا حيث يقول :

إذا ما أراد الغزو لم يثن هممه حصان عليها نظم در يزينا  
نهته فلما لم تر النهى عاقه بكيت فيكي مما دهاها قطينها<sup>(٣)</sup>

٢٠  
(١) العيطبول ، كثير بنون : المرأة الفتية الجميلة المتلثة الطويلة العنق .  
(٢) كلما في بعض الأصول . وابن أبي حنيفة ، هو كثير عزة . وفي بعض آخر : « ابن  
أبي ربيعة » . وقد جاء البيان في الأمل ( ج ١ ص ١٣ طبعة دار الكتب المصرية )  
منسوباً أيضاً لكثير . والذي في سائر الأصول : « ابن أبي ربيعة » .  
(٣) القطين : الإماء والحشم الأحرار والحشم المالك والحشم والأتباع وأهل الدار ،  
لواحد والجمع .

٣٢١  
 ٧ ثم خرج يُريد مصعب ، فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو بن سعيد دمشق وخالف عليه ، فقبل له : ما تصنع ، أتريد العراق وتدع دمشق ؟ أهل الشام أشد عليك من أهل العراق ؟ فرجع مكانه ، فحاصر أهل دمشق حتى صالح عمرو بن سعيد على أنه الخليفة بعده ، وأن له مع كل عامل عاملاً . ففتح له دمشق ، وكان بيت المال بيد عمرو بن سعيد ، فأرسل إليه عبد الملك : أن أخرج للحرس أرزاقهم . فقال : إذا كان لك حرس فإن لنا حرساً أيضاً . فقال عبد الملك : أخرج لحرسك أيضاً أرزاقهم . فلما كان يوم من الأيام أرسل عبد الملك إلى عمرو بن سعيد نصف النهار أن أئتني أبا أمية حتى أدبر معك أموراً . فقالت له امرأته : يا أبا أمية ، لا تذهب إليه فإنه يخوف عليك منه . فقال : أبو الذباب ! والله لو كنت ناعماً ما أبغضني . قالت : والله ما آمنه عليك ، وإني لأجد ربح دم مسفوح . فما زالت به حتى صر بها بقائم سيفه فشجها . فخرج وخرج معه أربعة آلاف من أبطال أهل الشام الذين لا يُقدر على مثلهم ، مسلحين ، فأخذوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك ، فقالوا : يا أبا أمية ، إن رابك ربب فأسمعنا صوتك . قال : فدخل ، فجعلوا يصيحون : أبا أمية ! أسمعنا صوتك ، وكان معه غلام أسحم شجاع ، فقال له : اذهب إلى الناس فقل لهم : ليس عليه بأس . فقال له عبد الملك : أمكراً عند الموت أبا أمية ! خذوه ، فأخذوه . فقال له عبد الملك : إني أقسمت إن أمكنتني منك يد أن أجعل في عنقك جامعة ، وهذه جامعة<sup>(١)</sup> من فضة أريد أن أبر بها قسماً . قال : فطرح في رقبته الجامعة ، ثم طرحه<sup>(٢)</sup> إلى الأرض بيده . فأنكسرت ثنيتته ، فجعل عبد الملك ينظر إليه . فقال عمرو : لا عليك يا أمير المؤمنين ، عظم أنكسر . قال : وجاء المؤذنون فقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين ، لصلاة الظهر ، فقال لعبد العزيز بن مروان : اقتله حتى أرجع إليك من الصلاة . فلما

(١) الجامعة : الفل .

(٢) في بعض الأصول : « نزه » .

أراد عبد العزيز أن يضرب عنقه ، قال له عمرو : نشدتك بالرحم يا عبد العزيز أن لا تقتلني من بينهم ، فجاء عبد الملك فرآه جالسا ، فقال : مالك لم تقتله ! لعنك الله ولعن أمّا ولدك . ثم قال : قدّموه إليّ ، فأخذ الحربة بيده ، فقال [ عمرو ] : فعلتها يا ابن الزرقاء ! فقال له عبد الملك : إني لو علمت أنك تبقى ويصلح لي ملكي لقد يتك بدم الناظر <sup>(١)</sup> . ولكن قلما اجتمع فجلاّن في ذود <sup>(٢)</sup> إلا عدا أحدها على الآخر ، ثم رفع إليه الحربة فقتله . وقعد عبد الملك برعد ، ثم أمر به فأدرج في بساط وأدخل تحت السرير . وأرسل إلى قبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، فدخل عليه ، فقال : كيف رأيتك في عمرو بن سعيد الأشدق ؟ قال : وأبصر قبيصة رجلا عمرو تحت السرير ، فقال : أضرب عنقه يا أمير المؤمنين . قال : جزاك الله خيرا ، أما علمت أنك لموفق . قال قبيصة : أطرح رأسه وانثر على الناس الدنانير يتشاغلون بها . ففعل ، وأفترق الناس ، وهرب يحيى بن سعيد بن العاص حتى لحق بعبد الله بن الزبير بمكة ، فكان معه <sup>(٣)</sup> .

وأرسل عبد الملك بن مروان بعد قتله عمرو بن سعيد إلى رجل كان يستشيره ويصدر عن رأيه إذا ضاق عليه الأمر ، فقال له : ما ترى ما كان من فعلي بعمرو ابن سعيد ؟ قال : أمرت قد فأت دركه . قال : لتقولن . قال : حرّم لو قتلته وحيت أنت . قال : أولست بحمي ؟ قال : هيهات ! ليس بحمي من أوقف نفسه موقفا لا يؤثق منه بعهد ولا عقد . قال : كلام لو تقدّم سبأه فملي لأمسكت .

ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عمرو بن سعيد ، صعد المنبر ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن عبد الملك بن مروان قتل لطيم الشيطان ، كذلك نولى بعض الظالمين بعضا عما كانوا يكسبون .

٣٢٢  
٢

(١) الناظر : العين .

(٢) الذود : معتلّب الدابة .

(٣) ساق المسعودي خبر مقتل عمرو بن سعيد ، وهو يختلف عنه هنا كثيرا . ( انظر مروج الذهب ج ١ ص ١١٧ — ١١٨ طبعة البهية ) .

## مقتل مصعب بن الزبير

فلما استقرت البيعة لعبد الملك بن مروان أراد الخروج إلى مصعب بن الزبير ، فجعل يستنفر أهل الشام فيبسطون عليه ، فقال له الحجاج بن يوسف : سأطني عليهم ، فوالله لا أخرجهم معك . قال له : قد سلطتك عليهم . فكان الحجاج لا يمر على باب رجل من أهل الشام قد تخلف عن الخروج إلا أحرق عليه داره . فلما رأى ذلك أهل الشام خرجوا ، وسار عبد الملك حتى دنا من العراق . وخرج مصعب بأهل البصرة والكوفة ، فالتقوا بين الشام والعراق . وقد كان عبد الملك كتب كتباً إلى رجال من وجوه أهل العراق يدعوهم فيها إلى نفسه ويجعل لهم الأموال ، وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر بمثل ذلك ، على أن يتخذوا مصعباً إذا التقوا . فقال إبراهيم بن الأشتر لمصعب : إن عبد الملك قد كتب إلى هذا الكتاب ، وقد كتب إلى أصحابي بمثل ذلك ، فادعهم الساعة فاضرب أعناقهم . قال : ما كنت لأفعل ذلك حتى يستبين لي أمرهم . قال : فأخري . قال : ما هي ؟ قال : أحسنهم حتى يستبين لك ذلك . قال : ما كنت لأفعل . قال : فعليك السلام ، والله لا تراني بعد في مجلسك هذا أبداً . وقد كان قال له : دغني أدعو أهل الكوفة بما شرطه الله . فقال : لا والله ، قتلتمهم أمس واستنصرهم اليوم<sup>(١)</sup> ! قال : فما هو إلا أن التقوا فحولوا وجوههم وصاروا إلى عبد الملك . وبقي مصعب في شردمة قليلة . فجاءه عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، وكان مع مصعب<sup>(٢)</sup> ، فقال : أين الناس أيها الأمير ؟ فقال : قد غدرتم بأهل العراق ! فرفع عبيد الله السيف ليضرب مصعباً ، فبدره مصعب

٢٠ (١) يشير إلى حروبه مع المختار بالكوفة سنة سبع وستين وتبع مصعب الشيعة

بالتفعل بالكوفة . (انظر صروج الذهب ج ٢ ص ١١٤)

(٢) كان عبيد الله زياد بن ظبيان أخ اسمه الثاني بن زياد قتله مصعب . وكان الثاني من

سادات ربيعة وزعماء بكر بن وائل . ولهذا تحيز ما كان في عسكر مصعب بن ربيعة

وأضاف عبيد الله بن زياد بن ظبيان رايتهم إلى عسكر عبد الملك . (انظر صروج

فَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى الْبَيْضَةِ ، فَنَشِبَ السَّيْفُ فِي الْبَيْضَةِ ، فِجَاءَ غِلَامٍ أُعْبِيدَ اللَّهُ  
[ ابن زياد بن ظبيان ] فَضْرِبَ مُصْعَبًا بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ <sup>(١)</sup> . ثُمَّ جَاءَ عُبَيْدُ اللَّهِ بِرَأْسِهِ  
إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سُرَوَانَ وَهُوَ يَقُولُ :

نَطِيعُ مُلُوكِ الْأَرْضِ مَا أَقْسَطُوا النَّاسَ <sup>(٢)</sup> وَأَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمَحَارِمِ  
قَالَ : نَلْعَا نَظُرَ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى رَأْسِ مُصْعَبٍ حَرًّا سَاجِدًا . فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ [ ابن  
زياد ] بِنَ ظَبْيَانَ ، وَكَانَ مِنْ قُتَاكِ الْعَرَبِ : مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ قَطُّ نَدِمْتُ عَلَى  
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سُرَوَانَ إِذَا تَبَيْتُهُ بِرَأْسِ مُصْعَبٍ فَخَرًّا سَاجِدًا أَنْ لَا أَكُونَ ضَرِبْتُ  
عُنُقَهُ ، فَأَكُونَ قَدْ قَتَلْتُ مَلِكِي الْعَرَبِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ عُبَيْدُ اللَّهِ  
[ ابن زياد ] بِنَ ظَبْيَانَ :

١٠ هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ فَأَدْمَنْتُ الْبُكَاءَ لِأَقَارِبِهِ  
فَأَوْرَدْتُهُ فِي النَّارِ بِكَرٍّ بَنٍ وَائِلٍ وَالْحَقُّ مَنْ قَدْ خَرَّ شُكْرًا بِصَاحِبِهِ  
الرَّيَاشِي عَنْ الْأَصْحَمِيِّ قَالَ : لَمَّا أَتَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِرَأْسِ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ  
نَظَرَ إِلَيْهِ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ : مَتَى تَلَدَ قُرَيْشٌ مِثْلَكَ ! وَقَالَ : هَذَا سَيِّدُ شَبَابِ قُرَيْشٍ .  
وَقِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ : أَسْكَانَ مُصْعَبٌ يَشْرَبُ الطَّلَا <sup>(٣)</sup> ؟ فَقَالَ : لَوْ عَلِمَ مُصْعَبٌ  
١٥ أَنَّ الْمَاءَ يُفْسِدُ مِرْوَدَهُ مَا شَرِبَهُ .  
وَلَمَّا قَتَلَ مُصْعَبٌ دَخَلَ النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُهْنِئُونَهُ ، وَدَخَلَ مَعَهُمْ  
شَاعِرٌ فَأَنشَدَهُ :

اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا قُوَّةَ لَهَا وَقَدْ أَرَادَ الْمُلْحِدُونَ عَوَاقِبَهَا  
عَنْكَ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا سَوَاقِبَهَا إِلَيْكَ حَتَّى قَلْدُوكَ طَوَاقِبَهَا  
٢٠ فَأَمْرُهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ .

(١) انظر المروج والطبري والأغانى ( ج ١٧ ص ١٦٢ - ١٦٤ ) فقد سبق فيها  
مقتل مصعب بروايات أخرى .

(٢) في مروج الذهب :

\* ناعطى الملوك الحق ما قسطوا لنا \*

(٣) الطلاء ( ككساء ) : الحر .

وقالوا : كان مُصعب أجَلَ الناس ، وأسخى الناس ، وأشجع الناس ، وكان  
تحتَه عقيلتا قريش : عائشة بنت طلحة ، وسكينة بنت الحسين .

ولما قُتل مُصعب خرجت سَكينة بنت الحسين تُريد المدينة ، فأطاف بها  
أهلُ العراق ، وقالوا : أحسن الله صحابتك يا بنة رسول الله . فقالت : لا جزاكم  
الله عني خيرا ، ولا أخلف عليكم بخير من أهل بلد ، قتلتم أبي وجدي وعمي  
وزوجي ، أبتتموني صغيرة وأرملتموني كبيرة .

ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل مُصعب صعد المنبر فجلس عليه ، ثم سكت ،  
فجعل لونه يحمر مرة ويصفر مرة ، فقال رجل من قريش لرجل إلى جنبه :  
ماله لا يتكلم ! فوالله إنه للخطيب اللبيب . فقال له الرجل : لعله يريد أن يذكر  
مقتل سيّد العرب فيشهد ذلك عليه ، وغير معلوم . ثم تكلم فقال : الحمد لله الذي  
له الخلقُ والأمر ، والدنيا والآخرة ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك من  
يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء . أما بعد . فإنه لم يعز من كان الباطل  
معه ، ولو كان معه الأنعام طرا ، ولم يذل من كان الحق معه ، ولو كان فردا . ألا  
وإن خيرا من العراق أنا أنا فأحزننا وأفرحنا ، فأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم  
لوعة يجدها حميمه ، ثم برّ عوى ذوو الأبواب إلى الصبر وكريم الأجر ؛ وأما الذي  
أفرحنا ، فإن قتل مُصعب له شهادة وأنا ذخيرة . أسلمه الطعام ، الصلِّم<sup>(١)</sup> الآذان ،  
أهلُ العراق ، وباعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه ، فإن يُقتل فقد  
قُتل أخوه وأبوه وابن عمه ، وكانوا الخيارَ الصالحين . أما والله لا نموت حتف<sup>(٢)</sup>  
[ أنوفنا ]<sup>(٣)</sup> كما يموت بنو سروان ، ولسكن قعصا<sup>(٤)</sup> بالرماح وموتنا تحت ظلال

(١) الصلِّم : جمع أصل ، وهو المقطوع الأذن والأنف من أصله . وفي بعض الأصول :  
« الصم » .

(٢) في بعض الأصول : « جيفة » . وفي بعضها « خيفة » .

(٣) يقال : مات فلان حتف أنفه ، إذا مات على فراشه ، كأنه سقط لأنفه فأت .

(٤) القعص : الموت الوحى . ومات قعصا : أصابته ضربة أو رمية فأت مكانه .

السيوف ، فإن تقبل الدنيا على لم آخذها مأخذ الأشر البطر ، وإن تدبر عني لم أبك عليها بكاء الخرف<sup>(١)</sup> ، فالزائل العقل .

ولما توطد لابن الزبير أمره وملك الحرمين والمراقين أظهر بعض بني هاشم الطمن عليه ، وذلك بعد موت الحسن والحسين ، فدعا عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية وجماعة من بني هاشم إلى بيعته ، فأبوا عليه ، فجعل يشتمهم ويتناولهم على المنبر ، وأسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته ، فعوتب على ذلك ، فقال : والله ما يمنعني أني لا أذكره علانية من ذكره سرا وأصلي عليه ، ولكن رأيت هذا الحي من بني هاشم إذا سمعوا ذكره أشرأبت أعناقهم<sup>(٢)</sup> ، وأبغض الأشياء إلى ما يسرهم . ثم قال : لتبايعن أو لأحرقنكم بالنار . فأبوا عليه ، فحبس محمد بن الحنفية في خمسة عشر من بني هاشم في السجن ، وكان السجن الذي حبسهم فيه يقال له سجن عارم<sup>(٣)</sup> . فقال في ذلك كثير عزّة ، وكان ابن الزبير يدعى العائد ، لأنه عاذ بالبيت :

تُخَبِّرُ مَنْ لاقَيْتَ أَنَّكَ عَائِدٌ      بل العائد المظلوم في سجن عارم  
سَمِيَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى وَأَبْنُ عَمِّهِ      وفكّك أغلال وقاضى مَغارم  
وكان أيضاً يدعى المُجِلّ ، لإحلاله القتال في الحرم . وفي ذلك يقول رجل من الشعراء في رَملة بنت الزبير :

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُعْنَى غَزَلٍ      بذكر المُحِلّة أخت المُحلّ  
ثم إن المختار بن أبي عبيد وجه رجلا يشق بهم من الشيعة ، يَكْنُونُ النهارَ ويسرون الليل ، حتى كسروا سجن عارم وأسّخرجوا منه بني هاشم ، ثم ساروا بهم إلى ما منهم .

وخطب عبد الله بن الزبير بعد موت الحسن والحسين ، فقال : أيها الناس ،

(١) كذا في الأغاني : والذي في الأصول : « الحزب » . والذي في الطبري : « الحرق » . (٢) في بعض الأصول : « قلوبهم » . (٣) سجن عارم ، بالكوفة .

إن فيكم رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره ، فقاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفقي بزواج المتعة . وهبئذ الله بن عباس في المسجد ، فقام . وقال لعكرمة : أرقم وجهي نحوه يا عكرمة ، ثم قال هذا البيت <sup>(١)</sup> :

إن يأخذ الله من عيني نورها ففي فؤادي وعقلي <sup>(٢)</sup> منهما نور  
وأما قولك يا بن الزبير إني قاتلت أم المؤمنين ، فأنت أخرجتها وأبوك وخالك ،  
وبنا سُميت أم المؤمنين ، فسكننا لها خير بنين ، فتجاوز الله عنها . وقاتلت أنت  
وأبوك علياً ؛ فإن كان علي مؤمناً ، فقد ضللتهم بقتالكم المؤمنين ، وإن كان كافراً ،  
فقد يؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف . وأما المتعة ، فإني سمعتُ علي بن  
أبي طالب يقول : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيها فأفتيتُ بها ،  
ثم سمعته ينهى عنها ، وأول نجمر سَطَعَ في المتعة مجرَّ آل الزبير <sup>(٣)</sup> .

### مقتل عبد الله بن الزبير

أبو عبيد <sup>(١)</sup> عن حجاج عن أبي معشر قال : لما بايع الناسُ عبد الملك بن مروان بعد قتل مُصعب بن الزُّبير ودخل الكوفة ، قال له الحجاج : إني رأيتُ في المنام كأنني أسلخُ ابن الزُّبير من رأسه إلى قدميه . فقال له عبد الملك : أنت له ، فاخرج إليه . فخرج إليه الحجاج في ألف وخمسمائة ، حتى نزل الطائف . وجعل عبد الملك يرسل إليه الجيوش رسلًا بعد رسل <sup>(٢)</sup> ، حتى توافى إليه الناسُ قدر ما يظن أنه يقوى على قتال ابن الزُّبير ، وكان ذلك في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين . فسار الحجاج من الطائف حتى نزل مِثْنَى ، فحجَّ بالناس ،

(١) البيت لحسان بن ثابت . (انظر الأمل ج ٣ ص ١٥) .

(٢) في الأغاني : « وقلبي » .

(٣) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٤) من هذا الجزء .

(٤) في بعض الأصول : « أبو عبيدة » .

(٥) الرسل ( بالتحريك ) : القطيع من كل شيء .



وابن الزبير محصور ، ثم نصب الحجاج الجانيق على أبي قبيس وعلى قعيقان<sup>(١)</sup> ونواحي مكة كلها ، يرمى أهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التي قُتل فيها صبيحتها ابن الزبير ، جمع ابن الزبير من كان معه من القرشيين فقال : ما ترون ؟ فقال رجل من بني مخزوم من آل بني ربيعة : والله لقد قاتلنا معك حتى لا نجد مقيلاً ، ولئن صبرنا معك ما نزيد على أن نموت ، وإنما هي إحدى خصلتين : إما أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا ، وإما أن تأذن لنا فنخرج . فقال ابن الزبير : لقد كُفْتُ عاهدتُ الله أن لا يبايعني أحدٌ فأقبله بيعته إلا ابن صفوان . فقال ابن صفوان : أما أنا فإني أقاتل معك حتى أموت بموتك ، وإنها لتأخذني الحفيظة أن أسلمك في مثل هذه الحالة . وقال له رجل آخر : اكتب إلى عبد الملك بن مروان . فقال له : كيف أكتب : من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الملك بن مروان ؟ فوالله لا يقبل هذا أبداً ، أم أكتب : لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير ؟ فوالله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحب إلي من ذلك . فقال عروة بن الزبير ، وهو جالس معه على السرير : يا أمير المؤمنين ، قد جعل الله لك أسوة . قال : من هو ؟ قال : حسن بن علي ، خلع نفسه وبايع معاوية . فرفع ابن الزبير رجله فضرب بها عروة حتى ألقاه عن السرير ، وقال : يا عروة ، قلبى إذا مثل قلبك ! والله لو قبلت ما تقولون ما عشت إلا قليلاً ، وقد أخذت الدنية ، وإن ضربة بسيف في عز خير من لطفة في ذل . فلما أصبح دخل عليه بعض نسائه ، وهي أم هاشم بنت منصور بن زياد القرظية ، فقال لها : أصنعى لنا طعاماً ، فصنعت له كبدًا وسناماً . فأخذ منه لقمة فلا كها ثم ألقاها ، ثم قال : أسقوني لبنًا . فأتى بلبن فشرب منه . ثم قال : هيئوا لي غسلاً ، فأغسل ثم تحنط وتطيب ، ثم نام نومة ، وخرج ودخل على أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين ، وهي عمياء ، وقد بلغت مائة سنة ، فقال : يا أماء ،

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٣٩٢) من هذا الجزء .

ما ترين ، قد خذني الناس وخذلني أهل بيتي ؟ فقالت : لا يلعبن بك صبيان  
 بنى أمية ، عَشْرُ كَرِيمًا ومُتْ كَرِيمًا . فخرح فأسند ظهره إلى الكعبة ومعه  
 نفرٌ يسير ، فجعل يُقاتلهم ويَهْزِمُهم وهو يقول : ويله ! يا له فتحًا لو كان له  
 رجال ! فناداه الحجاج : قد كان لك رجال فضيعةتهم . وجعل ينظر إلى أبواب  
 المسجد والناس يَهْجُمُونَ عليه فيقول : مَنْ هؤلاء ؟ فيقال له أهل مصر . قال :  
 قتلة عثمان ! فحمل عليهم ، وكان فيهم رجل من أهل الشام ، يقال له خلبوب ،  
 فقال لأهل الشام : أما تستطيعون إذا وليَّ<sup>(١)</sup> ابنُ الزبير أن تأخذوه بأيديكم ؟  
 قالوا : ويُمكنك أنت أن تأخذَه بيديك ؟ قال نعم . قالوا : فثأرك . فأقبل وهو  
 يريد أن يحتضنه ، وابنُ الزبير يرتجز ويقول :

\* لو كان قرني واحدًا كفيته \* ١٠

فصر به ابنُ الزبير بالسيف فقطع يده . فقال خلبوب : حس . قال ابنُ الزبير :  
 اصبر خلبوب . قال : وجاءه حجر من حجارة المنجنيق ، فأصاب قفاه فسقط .  
 فأقتحم أهلُ الشام عليه . فما فهموا قتله حتى سمعوا جارية تَبْكِي وتقول : وأمير  
 المؤمنين ! فخرَّ وأرأسه وذهبوا به إلى الحجاج . وقتل معه عبدُ الله بن صفوان ،  
 ومحمارة بن حزم ، وعبدُ الله بن مطيع . ١٤

قال أبو معشر : وبعث الحجاجُ برءوسهم إلى المدينة . فنصبوها للناس ،  
 فجعلوا يُقرَّبون رأسُ ابنِ صفوان إلى ابنِ الزبير ، كأنه يساره ، ويلعبون بذلك .  
 ثم بعث برءوسهم إلى عبد الملك بن مروان . فخرجت أسماء إلى الحجاج ، فقالت  
 له : أتأذن لي أن أدفنه فقد قضيت أربك منه ؟ قال : لا . ثم قال لها :  
 ما ظنك برجل قتل عبد الله بن الزبير ؟ قالت : حَسْبُهُ الله<sup>(٢)</sup> . فلما منعها أن تدفنه  
 قالت : أما إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج من ثقيف  
 رجلان : الكذاب والمبير ، فأما الكذاب فالمُختار ، وأما المبير فانت . فقال  
 الحجاج : اللهم مُبِيرٌ لا كَذَّاب .

(١) ولي : أدبر . في بعض الأصول : « ولا تم » . (٢) أى انتقم الله منه .

ومن غير رواية أبي عبيد قال : لما نصب الحجاج المجانيق لقتال عبد الله بن الزبير أظلمت سحابة فأرعدت وأبرقت وأرسلت الصواعق ، ففزع الناس وأمسكوا عن القتال . فقام فيهم الحجاج فقال : أيها الناس ، لا يهولكم هذا ، فإنني أنا الحجاج بن يوسف ، وقد أصحرت<sup>(١)</sup> لربي ، فلوركبنا عظيمًا لحال بيننا وبينه .  
ولسكنها جبال تهامة لم تزل الصواعق تنزل بها . ثم أمر بكرسي فطرح له ، ثم قال : يا أهل الشام ، قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين . فكان أهل الشام إذا رموا السكبة يرتجزون ويقولون هذا :

خطارة مثل الفتيق المزيد يرمى بها عواذ أهل المسجد<sup>(٢)</sup>

ويقولون أيضا : درى عقاب<sup>(٣)</sup> ، بلبن وأشخاب . فلما رأى ذلك ابن الزبير خرج إليهم بشيعة ، فقاتلهم حيناً . فناداه الحجاج : ويلك يا ابن ذات النطاقين ! أقبل الأمان وأدخل في طاعة أمير المؤمنين . فدخل على أمه أسماء ، فقال لها : سمعت — رحك الله — ما يقول القوم وما يدعونني إليه من الأمان ؟ قالت : سمعتهم لعنهم الله ! فما أجعلهم وأعجب منهم إذ يُعبرونك بذات النطاقين ! ولوعاموا ذلك لسكان ذلك أعظم فخر عندهم . قال : وما ذاك يا أماء ؟ قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره مع أبي بكر ، فهيأت لها سفرة ، فطلبها شيثا يرتبطانها بها ، فما وجداه ، فقطعت من مئزرى لذلك ما احتاجا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إن لك به نطاقين في الجنة . فقال عبد الله : الحمد لله حمدا كثيرا ، فما تأمرني به ، فإنهم قد أعطوني الأمان ؟ قالت : أرى أن تموت كريما ، ولا تتبع فاسقا ثانيا ، وأن يكون آخر نهارك أكرم من أوله . فقبل رأسها وودعها ، وضمته إلى نفسها . ثم خرج من عندها ،

(١) أصح : برز .

(٢) الخطارة الناقة تخطر بذنبها في السير نشاطا . والفتيق : الفعل السكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم .

(٣) عقاب : اسم ناقة . وأشخاب : جمع شخب ، وهو ما امتد من اللبن . وهذا من أمثال الخنثين . ( انظر بجمع الأمثال )

فَصَعَدَ الْمَنْبَرُ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْمَوْتَ قَدْ تَفَشَّى كُمْ  
 سَحَابُهُ ، وَأَخَذَ بِكُمْ زِيَابُهُ <sup>(١)</sup> ، وَأَجْتَمَعَ بَعْدَ تَفَرُّقٍ ، وَأَرْجَحَنَ بَعْدَ تَمَشُّقٍ <sup>(٢)</sup> ،  
 وَرَجَسَ <sup>(٣)</sup> بِحُكْمِ رَعْدِهِ ، وَهُوَ مُفْرَغٌ عَلَيْكُمْ وَذَقَهُ <sup>(٤)</sup> ، وَقَادَ إِلَيْكُمْ الْبَلَايَا تَتَّبِعُهَا  
 الْمُنَايَا ، فَاجْعَلُوا السِّیُوفَ لَهَا غُرَضًا ، وَأَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِالصَّبْرِ ، وَتَمَثَّلْ بِأَبْيَاتٍ ، ثُمَّ  
 أَفْتَحْهُمْ يُقَاتِلْ وَهُوَ يَقُولُ :

قَدْ جَدَّ أَصْحَابُكَ خَرَبَ الْأَعْنَاقِ وَقَامَتِ الْحَرْبُ لَهَا عَلَى سَاقٍ  
 ثُمَّ جَعَلَ يُقَاتِلُ وَحْدَهُ وَلَا يَهْتَدِي شَيْءٌ ، كَلَّمَا أَجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَرَّتْهُمْ وَزَادَهُمْ ،  
 حَتَّى أَتَى الْجُرَاحَاتِ وَلَمْ يَسْتَطِعِ النَّهْوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْحِجَّاجُ ، فَدَعَا بِالنَّطْعِ ،  
 فَخَرَّ رَأْسَهُ هُوَ بِنَفْسِهِ فِي دَاخِلِ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ - لَا رَحِمَ اللَّهُ الْحِجَّاجَ - ثُمَّ بَعَثَ  
 ١٠ رَأْسَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَن ظَهَرَ بِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ فَاسْتَأْذَنَ  
 عَلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ لِيَعْرِىَ بِهَا ، فَأُذِنَتْ لَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا حِجَّاجُ ، قَتَلْتَ  
 عَبْدَ اللَّهِ ؟ قَالَ : يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ ، إِنِّي قَاتِلُ الْمُلْحِدِينَ . قَالَتْ : بَلْ <sup>(٥)</sup> أَنْتَ قَاتِلُ  
 الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْحِدِينَ . قَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ مَا صَنَعْتُ بِابْنِكَ ؟ قَالَتْ : رَأَيْتُكَ  
 أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دَنِيَاهُ وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ ، وَلَا ضَيْرَ أَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْكَ ،  
 فَقَدْ أَهْدَى رَأْسَ مُحَمَّدٍ بْنِ زَكَرِيَّا إِلَى بَغْيٍ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ .  
 ١٥ هَاشِمُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ عُثْمَانُ اسْتَخْلَفَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى  
 الدَّارِ يَوْمَ الدَّارِ ، فَبِذَلِكَ أَدْعَى ابْنُ الزُّبَيْرِ الْخِلَافَةَ .  
 مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ : لَمَّا نَصَبَ الْحِجَّاجُ رَايَةَ الْأَمَانِ وَتَصَرَّمَ النَّاسُ عَنْ ابْنِ  
 الزُّبَيْرِ قَالَ أَعْيَدَ اللَّهُ بْنُ صَفْوَانَ : قَدْ أَقْلَمْتُكَ بَيْعَتِي وَجَعَلْتُكَ فِي سَعَةِ ، فَخَذَ  
 ٢٠ لِنَفْسِكَ أَمَانًا . فَقَالَ : مَهْ ، وَاللَّهِ مَا أُعْطِيْتُكَ إِيَّاهَا حَتَّى رَأَيْتُكَ أَهْلًا لَهَا ، وَمَا رَأَيْتُ  
 أَحَدًا أَوْلَى بِهَا مِنْكَ ، فَلَا تُضْرِبْ هَذِهِ الصَّلَاةَ لِقِيَانِ بَنِي أُمَيَّةٍ أَبَدًا ، وَأَشَارَ إِلَى

(١) الزِّيَابُ (كسواء) : السحاب الأبيض .

(٢) أى اجتمع وتقل بعد تفرق .

(٣) رجس : رعد شديد . (٤) الودق : المطر .

(٥) فى بعض الأصول : « بلى » .

رأسه : قال : أخذت سليمان بن عبد الملك حديثه ، فقال : إني كنت لأراه  
 أعرج جيانا . فلما كانت الليلة التي قُتل في صباحها ابن الزبير ، أقبل عبد الله  
 ابن صفوان ، وقد دنا أهل الشام من المسجد ، فاستأذن . فقالت الجارية : هو  
 نائم . فقال : أوليلة نوم هذه ؟ أيقظيه ، فلم تفعل . فأقام ، ثم استأذن . فقالت :  
 هو نائم ، فانصرف . ثم رجع آخر الليل وقد هجم القوم على المسجد . فخرج إليه ،  
 فقال : والله ما نمت منذ عقلت الصلاة نومي هذه الليلة وليلة الليل ، ثم دعا  
 بالسواك ، فاستاك متمكنا ، ثم توضأ متمكنا ، ولبس ثيابه ، ثم قال : أنظرني حتى  
 أودع أم عبد الله ، فلم يبق شيء ، وكان يكوه أن يأتيها فتعزم عليه أن يأخذ  
 الأمان ، فدخل عليها وقد كُفَّ بصرها ، فسلم ، فقالت : من هذا ؟ فقال :  
 عبد الله ، فشمتته ، ثم قالت : يا بني ، مت كريما . فقال لها : إن هذا قد أمتنى  
 — يعني الحجاج — قالت : يا بني ، لا ترض الدينية ، فإن الموت لا يد منه .  
 قال : إني أخاف أن يُمثل بي . قالت : إن السكّيش إذا ذبح لم يأمن السليخ .  
 قال : فخرج ، فقاتل قتالا شديدا . فجعل يهزمهم ، ثم رجع ويقول : ياله  
 فتحا لو كان له<sup>(١)</sup> رجال ! أو كان المصعب أخى حيا ! فلما حضرت الصلاة صلى  
 صلاته ، ثم قال : أين باب أهل مصر ؟ حنقا لعثمان<sup>(٢)</sup> . فقاتل حتى قتل ، وقتل  
 معه عبد الله بن صفوان . وأتى برأسه الحجاج وهو فاتح عينيهِ وفاه . فقال : هذا  
 رجل لم يكن يعرف القتل ولا ما يصير إليه المقتول ، فلذلك ففتح عينيهِ وفاه .  
 هشام بن عروة عن أبيه : إن عبد الله بن الزبير كان أول مولود ولد  
 في الإسلام ، فلما ولد كبر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولما قُتل كبر الحجاج  
 ابن يوسف وأهل الشام معه . فقال ابن عمر : ما هذا ؟ قالوا : كبر أهل الشام  
 لقتل عبد الله بن الزبير . قال : الذين كبروا لمولده خير من الذين كبروا لقتله .  
 أيوب عن أبي قلابة : شهدت ابنة أبي بكر غسلت أبنها ابن الزبير بعد

(١) في بعض الأصول : « لك » .

(٢) يسأل عن مكان أهل مصر من الصفوف لينال منهم ، تأرا بعثمان .

٣٢٧  
٢

شهر ، وقد تقطعت أوصاله وذُهب برأسه ، وكفنته وصأت عليه .

هشام بن عروة قال : قال عبد الله بن عباس للجائز به <sup>(١)</sup> : جفني خشبة ابن الزبير . فلم يشعر ليلة حتى عثر فيها ، فقال : ما هذا ؟ فقال : خشبة ابن الزبير . فوقف ودعاه ، وقال : لئن علمت رجلاك لطلما وقفت عليهما في صلاتك . ثم قال لأصحابه : أما والله ما عرفته إلا صواماً قواماً ، ولكنني مازلت أخاف عليه منذ رأيتُه [ أن ] تعجبه بغلات معاوية الشهب . قال : وكان معاوية قد حجج فدخل المدينة وخلفه خمس عشرة بغلة شهباء عليها رحائل الأرجوان ، فيها الجواري عليهن الجلابيب والمعصفرات ، ففتن الناس .

### أولاد عبد الملك بن مروان

الوليد ، وسليمان ، من الممبسية <sup>(٢)</sup> ، ويزيد ، وهشام ، وأبو بكر ، ومسلمة ، ١٠  
وسعيد الخير ، وعبد الله ، وعنبرسة ، والحجاج ، والمُنذر ، ومروان الأكبر ،  
ومروان الأصغر — ولم يعقب مروان الأكبر — ومحمد <sup>(٣)</sup> ، ومعاوية ، ذكرج <sup>(٤)</sup> .

### وفاة عبد الملك بن مروان

توفي عبد الملك بن مروان بدمشق للنصف من شوال سنة ست وثمانين ،

(١) في بعض الأصول : « للجائز » .

(٢) هي ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عيس بن يقظ . وقد ذكر ابن جرير الطبري مع الوليد وسليمان من ولادة هذه مروان الأكبر وعائشة (انظر الطبري) .

(٣) في بعض الأصول : « ويزيد » . تحريف .

(٤) يقال . درج القوم ، إذا انقرضوا . وفلان : لم يخلف نسلاً . والذي في بعض الأصول : « وداود » . والذي في سائر الأصول : « وداود ولم يعقب داود » . والتصويب من الطبري . وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه المعارف وابن جرير في الطبري : أولاد عبد الملك . ولم يذكر من بينهم داود ، كما ذكر ابن قتيبة قبيصة بدلاً من معاوية . وذكر له بنتين هما عائشة وفاطمة وزاد الطبري عليهما أم كلثوم . فارجع إليهما .

وهو ابن ثلاث وستين ، وصلى عليه الوليد بن عبد الملك . ووُلد عبدُ الملك في المدينة في دار مروان سنة ثلاث وعشرين ، وكتب عبدُ الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي ، وكان عامله على المدينة ، أن يدعو الناس إلى البيعة لابنيه الوليد وسليمان . فباع الناس ، غير سعيد بن المسيب ، فإنه أبى وقال : لا أبايع وعبدُ الملك حتى . فضربه هشام ضرباً مبرحاً ، وألبسه المسوح<sup>(١)</sup> ، وأرسله إلى ثقيفة بالمدينة يمتلونه عندها ويصلبونه ، فلما انتهوا به إلى الوضع ردوه . فقال سعيد : لو علمت أنهم لا يصلبوني ما لبست لهم الثبائن<sup>(٢)</sup> . وبلغ عبدُ الملك خبره فقال : قَبَّحَ اللهُ هشاماً ، مثل سعيد بن المسيب يُضرب بالسياط ! إنما كان ينبغي له أن يدعوهم إلى البيعة فإن أبى يضرب عنقه .

وقال للوليد : إذا أنا مت فضعني في قبري ولا تنصر علي عَيْنِيكَ عَصْر الأمة ، ولسكن شمر ، وأنتز ، والبس للناس جلد النمر ، فمن قال برأسه كذا فقل بسيفك كذا .

### ولاية الوليد بن عبد الملك

ثم تُويع للوليد بن عبد الملك في النصف من شوال سنة ست وثمانين . وأم الوليد ولادة بنت العباس بن جَزْء<sup>(٣)</sup> بن الحارث بن [زُهَيْر بن]<sup>(٤)</sup> جَذِيعَة<sup>(٥)</sup>

- (١) المسوح : جمع مسح (بالكسر) وهو كساء من شعر .  
(٢) كذا في بعض الأصول وحلية الأولياء . والثبان (كرمان) : سراويل صغير يستمر العورة المفلطة . والذي في سائر الأصول : « الثياب » . والعبارة في حلية الأولياء : « لو علمت أني لا أقتل ما اشتهرت بهذا الثبان » . وقد ذكر الحافظ القصة برواية أخرى فقال : قال رجاء حدثني الأيليون الذين كانوا في القسوط بالمدينة قالوا : علمنا أنه لا يلبس الثبان طائفاً ، فقلنا له : يا أبا محمد ، إنه القتل فاستر عورتك . فليس ؛ فلما ضرب قلنا له : إما خذ عناك . قال : يا معجزة أهل أبله ، لو لا أني ظننت أنه القتل ما لبسته . (انظر حلية الأولياء ج ٢ ص ١٧١ — ١٧٢) .  
(٣) في الأصول : « حري » . وما أثبتنا من الطبري .  
(٤) التكملة من الطبري .  
(٥) في الأصول : « خزبة » وما أثبتنا من الطبري . وانظر الحاشية (رقم ٢ ص ٤٢٠) من هذا الجزء ففيها نسب ولادة كاملاً .

العَبْسِيُّ . وكان على شرطته كُفْب بن حَمَاد ، ثم عَزَلَه وولَّى أبا نَاضِل بن رِيَّاح  
ابن عُبَيْدَةَ الفَسَّانِي .  
ومات الوليد يَوْمَ السَّبْتِ في النِّصْفِ من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ،  
وهو ابن أربع وأربعين . وصلى عليه سليمان . وكانت ولايته عشر سنين  
غيرَ شهر .

### ولد الوليد بن عبد الملك

عبد العزيز ، ومحمد ، وعُتْبَيْسَةُ ، ولم يُعَقِّبُوا — وأُمُّهم أُمُّ البُنَيْنِ بنت عبد العزيز  
ابن مروان — والعباس ، وبه كان يُكْنَى ، ويقال : إنه كان أكبرهم ، وعمر<sup>(١)</sup> ،  
وبشر ، وزَوْج ، ونَمَام ، ومُبَشَّر ، وحَزْم<sup>(٢)</sup> ، وخالد ، ويزيد ، ويحيى ، وإبراهيم ،  
وأبو عُبَيْدَةَ ، ومَسْرُور ، [ومَنْصُور] ، ومَرْوَان<sup>(٣)</sup> ، وصَدَقَةُ ، لأمهات أولاد . ١٠  
وأُمُّ أَبِي عُبَيْدَةَ قَزَارِيَّة . وكان أبو عُبَيْدَةَ ضَعِيفًا . وولى الخلافة من ولد الوليد  
إبراهيم ، شهرين ثم خُلِعَ . وولى يزيد السكامل شهرًا ثم مات . وكان تمام  
ضَعِيفًا ، هجَاه رجل فقال :

بنو الوليد كرامٌ في أرومتهم نالوا السكارم طرًا غير تمام

ومَسْرُور بن الوليد ، كان ناسكًا ، وكانت عنده بنتُ الحجاج . وكان بشر ١٥  
من فتيانهم ، وزَوْج من غلمانهم ، والعباس من فرسانهم ؛ وفيه يقول  
الفرزدق :

إن أبا الحارث العباس فائله مثلُ السَّمَكِ الذي لا يُخْلِفُ المَطَرَا

وكانت تحتَه بنتُ قَطْرِى بن الفُجَاجَةِ ، سبأها وتزوجها . وله منها : المؤمل

والحارث . وكان عمر من رجالهم ، كان له تسمعون ولدًا ، سقون منهم كانوا يركبون ٣٢٨  
٢

(١) في بعض الأصول : « عمرو » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

(٢) كذا في الأصول . وقد ذكر الطبرى أولاد الوليد متفقًا مع الأصول إلا في حزم  
هذا فذكر مكانه عبد الرحمن .

(٣) في بعض الأصول : « محمد » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .



معه إذا ركب . وقال رجل من أهل الشام : ليس من ولد الوليد أحدٌ إلا ومن رآه يحسب أنه من أفضل أهل بيته ، ولو وزن بهم أجمعين عبد العزيز لرجحهم . وفيهم يقول جرير :

وبنو الوليد من الوليد بمنزل كالبدر حُفَّ بواضحات الأنجم  
وعبد العزيز بن الوليد أراد أبوه أن يُبايع له بعد سليمان فأبى عليه سليمان .  
وحدث الهيثم بن عدى عن ابن عيَّاش<sup>(١)</sup> قال : لما أراد الوليد أن يبايع لابنه عبد العزيز بعد سليمان أبى ذلك سليمان وشتم عليه ، ف قيل للوليد : لو أمرت الشعراء أن يقولوا في ذلك لعله كان يسكت ، فتشهد عليه بذلك . فدعا الأقبيل القيني<sup>(٢)</sup> ، فقال له : أرتجز بذلك وهو يسمع . فدعا سليمان فسايره ، والأقبيل خلفه ، فرفع صوته وقال :

إنَّ وليَّ العهد لابن أمه ثم ابنه وليَّ عهد عمه  
قد رضى الناسُ به فسمَّه فهو يضمُّ الملك في مضمِّه  
يا ليتها قد خرجت من فمه

فالتفت إليه سليمان ، وقال : يا ابن الخبيثة ، من رضى بهذا !

### أخبار الوليد

أبو الحسن المدائني قال : كان الوليد أسنَّ ولد عبد الملك وكان يُحبه ، ففراخى في تأديبه لشدة حبه إياه ، فكان لحنًا .

وقال عبد الملك : أضربنا في الوليد حُبنا له . فلم يُوجَّهه إلى البادية . وقال الوليد يوماً وعنده عمر بن عبد العزيز : يا غلام ، ادع لي صالح . فقال الغلام :

(١) كذا في بعض الأصول : والمعروف أن الهيثم يروى عن ابن عيَّاش والذي في سائر الأصول : « عدى عن سليمان عن ابن عيَّاش » . ويظهر أن عبارة « عن سليمان » قُفرت إلى هذا المكان مما قبلها أو بعدها .

(٢) كذا في بعض الأصول ولسان العرب ( ج ١٦ ص ١٤٦ ) . والذي في سائر الأصول : « العتي » .

يا صالحا . فقال له الوليد : أنقص ألفا . فقال عمر بن العزيز : وأنت يا أمير المؤمنين  
فزد ألفا .

وكان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم ، وأكثرهم فتوحا ، وأعظمهم  
نفقة في سبيل الله ، بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ، ووضع المنابر ، وأعطى  
المجذومين حتى أغناهم عن سؤال الناس ، وأعطى كل مقعد خادما ، وكل ضرير  
قائدا . وكان يمر بالبقال <sup>(١)</sup> فيتناول قبضة فيقول : بكم هذه ؟ فيقول : بقلس ،  
فيقول : زد فيها فإنك تريح .

ومرّ الوليد بعلم كُتّاب فوجد عنده صبيّة ، فقال : ما تصنع هذه عندك ؟  
فقال : أعلمها الكتابة والقرآن . قال : فاجعل الذي يُعلمها أصغر منها سنا .  
وشكا رجل من بني مخزوم ديناً لزمه ، فقال : نقضيه عنك إن كنت لذلك  
مستحقا . قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أكون مستحقا في منزلي وقرايتي ؟  
قال : قرأت القرآن ؟ قال : لا . قال : أذن مني ، فدنا منه ، فمزع العمامة عن  
رأسه بقضيب في يده ، ثم قرعه به قرعة ، وقال لرجل من جلسائه : ضم إليك  
هذا العليج ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن . فقام إليه آخر ، فقال : يا أمير المؤمنين ،  
أقض ديني ، فقال له : اقرأ القرآن ؟ قال : نعم . فاستقرأه عشرا من الأنفال ١٥  
وعشرا من براءة ، فقرأ . فقال : نعم ، نقضى دينك وأنت أهل لذلك .  
وركب الوليد بعيرا وحادا يحدو بين يديه ، والوليد يقول :

يا أيها البكر الذي أراكا ويحك تعلم الذي علّاكا  
خليفة الله الذي أمتطاكا لم يحب بكر مثل ما حباكا

## ٢٠ ولاية سليمان بن عبد الملك

أبو الحسن المدائني : ثم يبيع سليمان بن عبد الملك في ربيع الأول سنة ست  
وتسعين . ومات سنة تسع وتسعين بدابق <sup>(٢)</sup> ، يوم الجمعة لعشر خلون من صفر ،

(١) في المقاموس ( مادة بقل ) « والبقال لبيع الأطعمة ، عامية ، والصحيح البدال » .

(٢) دابق ( بكسر الباء ، وقد روى بفتحها ، وآخره قاف ) : قرية قرب حلب ، بينها

وبين حلب أربعة فراسخ ، وبها قبر سليمان بن عبد الملك . ( انظر معجم البلدان ) .

وهو ابن ثلاث وأربعين . وصلى عليه عمر بن عبد العزيز . وكانت ولايته سنتين وعشرة أشهر ونصفاً . ولد سليمان بن عبد الملك بالمدينة في بني حديلة<sup>(١)</sup> . ومات بدابق من أرض قنسرين ، وكان سليمان فصيحاً جميلاً وسيماً ، نشأ بالبادية عند أخواله بني عبس . وكانت ولايته يمتناً وبركة ، أفتتحها بخير وختمها بخير .  
 ٥ فاما افتتاحه فيها بخير ، فرد المظالم ، وأخرج المسجونين ، وبغزة مسلمة بن عبد الملك الصائفة حتى بلغ القسطنطينية . وأما ختمها بخير ، فاستخلافه عمر بن عبد العزيز .  
 وليس يوماً وأعتم بعمامة ، وكانت عنده جارية حجازية ، فقال لها : كيف ترين الهيئة ؟ فقالت : أنت أجمل العرب ، لولا ! قال : على ذلك لتقولين . قالت :  
 أنت<sup>(٢)</sup> نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان  
 أنت خلوت من العيوب ومما يكره الناس غير أنك فاني  
 قال : فتنقص عليه ما كان فيه ، فما لبث بعدها إلا أياماً حتى توفي رحمه الله .

وتفاخر ولد لعمر بن عبد العزيز وولد سليمان بن عبد الملك ، فذكر ولد عمر فضل أبيه وخاله . فقال له ولد سليمان : إن شئت فأقتل وإن شئت فأكثر ، فما كان أبوك إلا حسنة من حسنات أبي .  
 ١٥

محمد بن سليمان قال : فعل سليمان في يوم واحد ما لم يفعل عمر بن عبد العزيز في طول عمره : أعتق سبعين ألفاً ما بين مملوك ومملوكة وبتتهم<sup>(٣)</sup> ، أي كساهم .  
 والبت<sup>(٤)</sup> : الكسوة .

(١) في الأصول : « جديلة » . والتصويب من معجم البلدان لياقوت ( ج ٢ ص ٢٢٧ ) .

(٢) الشعر لموسى شهور . ( انظر الأغاني : ج ٩ ص ٩٩ طبعة بلاق ) والشعر والشعراء ( ص ٣٠٧ ) .

(٣) في اللسان ( مادة بت ) : « وفي حديث علي عليه السلام : إن طائفة جاءت إليه فقال لغير : بتهم . أي أعطهم البتوت » .

(٤) « البت » : ضرب من الطيالة يسمى الساج مربع غليظ أخضر . وفي بعض الأصول : « وبتهم ... والبت » . تحريف .

## ولد سليمان

أيوب ، وأمه أم أبان بنت الحكم بن العاص ، وهو أكبر ولد سليمان  
وولي عهده ، مات في حياة سليمان ، وله يقول جرير :

إن الإمام الذي تُرجى فواضله      بعد الإمام ولي العهد أيوب  
وعبد الواحد ، وعبد العزيز ، أمهما أم عامر بنت عبد الله بن خالد بن أسيد<sup>(١)</sup> . ٥  
وفي عبد الواحد يقول القطامي :

أهل المدينة لا يحزنُك حالهم      إذا تخطَّأ عبد الواحد الأجلُ  
قد يدرك المتأني بعض حاجته      وقد يكون مع المستعجل الزلل  
ولما مات أيوب ، ولي عهد سليمان بن عبد الملك قال [ ابن ] عبد الأعلى  
برثيه ، وكان من خواصه :

ولقد أقولُ لذي الشَّامة إذ رأى      جَزَعِي وَمَنْ يَذُقُ الحوادثِ يَجْزَعُ  
أُبَشِّرُ فقد قرع الحوادثُ مَرْوَتِي      وَأَفْرَحُ بِمَرْوَتِكَ التي لم تُفْرَحْ  
إِنْ عِشْتَ تُفْجِعُ بِالْأَحْيَةِ كُلَّهُم      أَوْ يُفْجِعُوا بِكَ إِنْ بِهِمْ لم تُفْجِعْ  
أيوبُ مَنْ بَشَمَتْ بِمَوْتِكَ لم يُطَقْ      عَنْ نَفْسِهِ دَفْعاً وَهَلْ مِنْ مَدْفَعِ ١٠

## أخبار سليمان بن عبد الملك

١٥ أبو الحسن المدائني قال : لما بلغ فتية بن مسلم أن سليمان بن عبد الملك  
عزله عن خراسان وأستعمل يزيد بن المهلب ، كتب إليه ثلاث صحف ، وقال  
للرسول : ادفع إليه هذه ، فإن دفعها إلى يزيد فأدفع إليه هذه ، فإن شتمني  
فأدفع إليه هذه . فلما سار الرسول إليه دفع الكتاب إليه ، وفيه : يا أمير  
المؤمنين ، إن من بلائي في طاعة أبيك وأخيك كمت وكيت . فدفع كتابه ٢٠  
إلى يزيد . فأعطاه الرسول الكتاب الثاني ، وفيه : يا أمير المؤمنين ، كيف

(١) في بعض الأصول : « عبد الأسد » مكان « أسيد » .

تأمين ابن دحمة<sup>(١)</sup> على أسرارك وأبوه لم يأمنه على أمهات أولاده ؟ فلما قرأ الكتاب شتمه وناول له يزيد . فأعطاه الثالث وفيه : من قتيبة بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فوالله لأوثقن له أخية<sup>(٢)</sup> لا ينزعها المهر الأرن<sup>(٣)</sup> . فلما قرأها قال سليمان : عجلنا على قتيبة ، يا غلام ، جدد له عهداً على خراسان .

٣٣٠  
٢

ودخل يزيد بن أبي مسلم ، كاتب الحجاج ، على سليمان . فقال له سليمان : أترى الحجاج أستقر في قعر جهنم ، أم هو يهوى فيها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، فضعه من النار حيث شئت . قال : فأمر به إلى الحبس ، فسكان فيه طول ولايته .

قال محمد بن يزيد الأنصاري : فلما ولي عمر بن عبد العزيز ، بعثني . فأخرجت من السجن من حبس سليمان ، ما خلا يزيد بن أبي مسلم فقد ركد . فلما مات عمر بن عبد العزيز ولأه يزيد بن عبد الملك إفريقية ، وأنا فيها ، فأخذت فأتيت بي إليه في شهر رمضان عند الليل ، فقال : محمد بن يزيد ؟ قلت : نعم . قال : الحمد لله الذي مكنتني منك بلا عهد ولا عقد ، فطالما سألت الله أن يمكنتني منك . قلت : وأنا والله طالما استعذت بالله منك . قال : فوالله ما أعاذك الله مني ، ولو أن ملك الموت سألني إليك لسبقته . قال : فأقيمت صلاة المغرب ، فصلى ركعة ، فثارت عليه الجند فقتلوه ، وقالوا لي : خذ<sup>(٤)</sup> أي طريق شئت .

١٠

١٤

وأراد سليمان بن عبد الملك أن يحجر على يزيد بن عبد الملك ، وذلك أنه

(١) هي دحمة بنت جندب ، أم يزيد بن المهلب . وفي بعض الأصول : « دحمة » تحريف . ( أنظر القاموس مادة دحم ) .

٢٠

(٢) الأخية : عود يعرض في طائط ويدفن طرفاه فيه بصير وسطه كالعمود تشد إليه الدابة . وقيل هو أن يدفن طرفاً قطعة من الحبل في الأرض وفيه عصية أو حجير يظهر منه مثل عمود تشد إليه الدابة . والذي في الأصول : « أخية » صوابه ما أثبتنا .

٢٤

(٣) الأرن ( كفرج ) : النشيط . وفي بعض الأصول : « الأرن مؤاخاة » . (٤) في بعض الأصول : « خذ إلى الطريق أي طريق شئت » .

تزوج سعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان فأصدقها عشرين ألف دينار ،  
وأشترى جارية<sup>(١)</sup> بأربعة آلاف دينار . فقال سليمان : لقد هممت أن أضرب  
على يد هذا السفیه ، ولكن كيف أصنع بوصية أمير المؤمنين بابني عاتكة :  
يزيد وسروان !

- وحبس سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير وأوحى إليه : أغرم ديتك  
خمسین مرة . فقال موسى : ما عندي ما أغرمه . فقال : والله لتغرمها  
مائة مرة . فحملها عنه يزيد بن المهلب ، وشكر ما كان من موسى إلى أبيه  
المهلب أيام بشر بن مروان ، وذلك أن بشراً هم<sup>(٢)</sup> بالمهلب ، فكتب إليه  
موسى يحذره ، فتمارض المهلب ولم يأت به حين أرسل إليه .
- وكان خالد بن عبد الله القسري والياً على المدينة للوليد ، ثم أقره سليمان ،  
وكان قاضي مكة طلحة بن هرم ، فاختصم إليه رجل من بني شيبه ، الذين  
إليهم مفتاح الكعبة ، يقال له الأعجم ، مع ابن أخ له في أرض لها ، ففضى للشيخ  
على ابن أخيه ، وكان متصلاً بخالد بن عبد الله ، فأقبل إلى خالد فأخبره ، فحال  
خالد بين الشيخ وبين ما قضى له القاضي . فكتب القاضي كتاباً إلى سليمان  
يشكو له خالداً ، ووجه الكتاب إليه مع محمد بن طلحة . فكتب سليمان إلى  
خالد : لا سبيل لك على الأعجم ولا ولده . فقدم محمد بن طلحة بالكتاب على  
خالد وقال : لا سبيل لك علينا ، هذا كتاب أمير المؤمنين . فأمر به خالد فضرب  
مائة سوط قبل أن يقرأ كتاب سليمان . فبعث القاضي ابنه المضروب إلى سليمان ،  
وبعث ثيابه التي ضرب فيها يداها . فأمر سليمان بقطع يد خالد . فكلّمه يزيد  
ابن المهلب ، وقال : إن كان ضربه يا أمير المؤمنين بعد ما قرأ الكتاب يقطع يده ،  
وإن كان ضربه قبل ذلك فغفوا أمير المؤمنين أولى بذلك . فكتب سليمان  
إلى داود بن طلحة بن هرم : إن كان ضرب الشيخ بعد ما قرأ الكتاب الذي

(١) هي حباة . (انظر الطبري) .

(٢) في بعض الأصول : « اهتم » .

أرسلته فاقطع يده ، وإن كان ضربه قبيل أن يقرأ كتابي فاضربه مائة سوط : فأخذ داود بن طلحة ، لما قرأ الكتاب ، خالداً فاضربه مائة سوط . فجزع خالد من الضرب ، فجعل يرفع يديه ، فقال له الفرزدق : ضم إليك يدك يا ابن النصارانية . فقال : ليمننا الفرزدق ، وضم يديه <sup>(١)</sup> . وقال الفرزدق :

عمرى لقد صبت على متن خالد شأيب لم يضبين من صب القطر  
فلولا يزيد بن المهلب خلقت بكفك فتخاء الجفاح إلى الوكر  
فردت أم خالد <sup>(٢)</sup> عليه تقول :

عمرى لقد باع الفرزدق عرضه بحسف وصلى وجهه حامى الجر  
فكيف يساوى خالداً أو يشينه تخيص من التقوى بطين من الجر  
وقال الفرزدق أيضاً في خالد القسرى :

سلوا خالداً ، لا قدس الله خالداً متى ملكت قسراً قريشاً تدينها ؟  
أقبل رسول الله أو بعد عهده فتلك قريش قد أغت سميتها  
رجونا هداة ، لا هدى الله قلبه وما أمه بالأم يهدى جنيتها  
فلم يزل خالد محبوباً بمكة حتى حج سليمان وكلمه فيه الفضل <sup>(٣)</sup> بن المهلب .  
فقال سليمان : لا ط لك بك الرّحم أبا عثمان ، إن خالداً جرّ عني غيظاً . قال :  
يا أمير المؤمنين ، هبني ما كان من ذنبه . قال : قد فعلت ، ولا بد أن يمشى  
إلى الشام راجلاً . فمشى خالد إلى الشام راجلاً . وقال الفرزدق يمدح سليمان  
ابن عبد الملك :

سليمان غيث المؤمنين ومن به عن البائس المسكين حلت سلاسه  
وما قام من بعد النبي محمد وعثمان فوق الأرض راع يماثله  
جملت مكان الجور في الأرض مثله من العدل إذ صارت إليك محامله

(١) في بعض الأصول : « وضعت يدي » .

(٢) في بعض الأصول : « أم الضحاك » .

(٣) كذا في بعض الأصول والطبرى . والذي في سائر الأصول : « الفضل بن المهلب » .

وقد علموا أن لن يميل بك الهوى وما قلت من شيء فإنك فاعله  
 زياد عن مالك : إن سليمان بن عبد الملك قال يوماً لعمر بن عبد العزيز :  
 كذبت ! قال : والله ما كذبت منذ شذذت على إزارى ، وإن فى غير هذا  
 المجلس السعة ، وقام مغضباً ، فتجهز يريد مصر . فأرسل إليه سليمان ، فدخل  
 عليه ، فقال له : يا بن عمى ، إن المعاتبة تشق على ، ولكن والله ما أهمنى أمر<sup>٥</sup>  
 قط من دينى ودنياى إلا كنت أول من أذكره لك .

### وفاة سليمان بن عبد الملك

قال رجاء بن حيوة : قال لى سليمان : إلى من ترى أن أعهد ؟ فقلت : إلى  
 عمر بن عبد العزيز . قال : كيف نصنع بوصية أمير المؤمنين بابى عاتكة ، من  
 كان منهما حياً ؟ قلت : تجعل الأمر بعده ايزيد . قال : صدقت . قال : ١٠  
 فكتب عهداً لعمر ثم ليزيد بعده .  
 ولما ثقل سليمان قال : أثبتونى بقمص بنى أنظار إليها . أتانى بها ، فثمرها  
 فراها قصاراً ، فقال :

إن بنى صبيبة صغار أفلح من كان له كبار

فقال له عمر : (أفلح من تزكئ . وذكر اسم ربه تعالى) . ١٥

وكان سبب موت سليمان بن عبد الملك أن نصرانياً أتاه وهو يداوى بزنبيل  
 مملوء بيضاً وآخر مملوء تيناً . قال : قشروا ، فقمشروا . فجعل يأكل بيضة وتينة ،  
 حتى أتى على الزنبيلين . ثم أتوه بقصعة مملوءة مخاً بسكر ، فأكله . فأنجم  
 فمضى فمات .

ولما حجَّ سليمان بن عبد العزيز مكة ، فقال له عمر بن عبد العزيز : لو أنيت  
 الطائف . فأتاها ، فلما كان بسحق<sup>(١)</sup> لقيه ابن أبي الزهيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ،

(١) كذا فى الأصول . ولم نثر على مكان بهذا الاسم فى العاجم التى بين أيدينا .



اجعل بعض منزلك على . قال : كُلك منزلي ، فرمى بنفسه على الرَّمْل . فقيل له : يُسابق إليك الوطاء ؟ فقال : الرَّمْل أحبُّ إليَّ ، وأعجبه بَرْدُهُ ، فالزق بالرَّمْل بطنه . قال : فأنتي إليه بخمسة رُمَّانات فأكلها ، ثم قال : أعندكم غيرُ هذه ؟ فجعلوا يأتونه بخمسة بعد خمس ، حتى أكل سبعين رُمَّانة . ثم أتوه بجذى وست دجاجات فأكلهن . وأتوه بزبيب من زبيب الطائف ، فثب بين يديه ، فأكل عاتته ، ونعس . فلما أتته ، أتوه بالغداء ، فأكل كما أكل الناس . فأقام يومه ، ومن غد قال لعمر : أرانا قد أضررنا بالقوم . وقال لابن أبي الزهير : أتبعني إلى مكة ، فلم يفعل . فقالوا له : لو أتيتَه ؟ فقال : أقول ماذا : أعطني ثمن قرأى الذى قرئتُكه !

٣٣٢  
٢

- ١٠ العُتْبَى عن أبيه عن الشَّمرِ دل وكيلى [ آل ] (١) عمرو بن العاص قال : لما قدِم سليمان بن عبد الملك الطائف دخل هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب أبنة بستاناً لعمر . قال : فجال فى البُستان ساعة ثم قال : ناهيك بعالِكم هذا ما لا أتم ألقى صدره على غصن وقال : ويلك يا شمرُ دل ! ما عندك شىء تطعمنى ؟ قلت : بلى ، والله عندى جذى كانت تغدو عليه بقرة وتروح أخرى . قال : عجِّل به ، ويحك ! فأتيته به كأنه عُكَّة (٢) ستم ، فأكله ، وما دعا عُمَرَ ولا أبنة ، حتى إذا بقى الفخذ ، قال : هلم أبا حفص . قال : أنا صائم ، فأنى عايه . ثم قال : ويلك يا شمرُ دل ! ما عندك شىء تطعمنى ؟ قلت : بلى والله ، دجاجتان هنديةتان كأنهما رَأَى النعام (٣) ، فأتيته بهما ، فكان يأخذ برجل الدجاجة فيلقى عظامها نقيّة ، حتى أتى عليهما . ثم رفع رأسه فقال : ويلك يا شمرُ دل ! ما عندك شىء تطعمنى ؟ قلت : بلى ، عندى حريرة (٤) كأنها قرأضة ذهب . قال : عجِّل بها ، ويلك !

١٥

٢٠

(١) الكلمة من عيون الأخبار (ج ٣ ص ٢٢٧) .

(٢) العكّة : وعاء السمن ، وهى أصغر من القرية .

(٣) رَأَى النعام : ولده .

(٤) الحريرة : ضرب من الطعام يتخذ من الدقيق يطبخ بلبن أو دسم .

فَأَنبَتَهُ بَعْسٌ<sup>(١)</sup> يَغِيْبُ فِيهِ الرَّأْسُ ، فَيَجْعَلُ يَتَلَقَّمُهَا<sup>(٢)</sup> بِيَدِهِ وَيَشْرَبُ . فَلَمَّا فَرَغَ تَجَشَّأَ فَكَأَنَّمَا صَاحَ فِي جُبٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا غَلَامُ ، أَفَرِغْتَ مِنْ غَدَائِي ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : ثَمَانُونَ قِدْرًا . قَالَ : اانْتَنِي بِهَا قِدْرًا قِدْرًا . قَالَ : فَأَكْثَرُ مَا أَكَلُ مِنْ كُلِّ قِدْرٍ ثَلَاثَ لُقْمٍ ، وَأَقْلُ مَا أَكَلُ لُقْمَةً . ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَاسْتَلَقَى عَلَى فِرَاشِهِ ، ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ ، وَوَضَعْتَ الْخِوَانَاتِ ، وَقَعَدَ بِأَكْلِ<sup>(٣)</sup> ، فَمَا أَفْكَرْتُ شَيْئًا مِنْ أَكْلِهِ .

### خلافة عمر بن عبد العزيز

المدائني قال : هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وكُنْيَتُهُ أَبُو حَفْصٍ . وَأُمُّهُ أُمُّ عَاصِمٍ بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . وَوَلَّى الْخِلَافَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَشْرَ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ . وَمَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَسْتُ بِقَيْنٍ ١٠ مِنْ رَجَبِ بَدِيٍّ سَمْعَانَ<sup>(٤)</sup> مِنْ أَرْضِ دِمَشْقٍ<sup>(٥)</sup> سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ : تَمَّتْ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ الْأَرْبَعِينَ . وَمَاتَ لَهُ . وَكَانَ عَلَى شُرْطَنِهِ يَزِيدُ بْنُ بَشِيرٍ السَّكِنَانِي . وَعَلَى حَرَسِهِ عُمَرُو بْنُ الْمُهَاجِرِ ؛ وَيُقَالُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْهَلَالِيُّ . وَكَانَ كَاتِبَهُ عَلَى الرِّسَالِ ١٥ ابْنُ أَبِي رُقَيْةٍ ، وَكَاتِبُهُ أَيْضًا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ . وَعَلَى خَاتَمِ الْخِلَافَةِ نَعِيمُ ابْنُ أَبِي سَلَامَةَ . وَعَلَى الْخَرَاجِ وَالْجُنْدِ صَالِحُ بْنُ أَبِي جُبَيْرٍ . وَعَلَى إِذْنِهِ أَبُو عُبَيْدَةَ الْأَسْوَدُ ، مَوْلَاهُ .

(١) العس (بالضم) : القدح الكبير .

(٢) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : وَتَلَقَّمُ الشَّيْءَ : أَكَلَهُ بِسُرْعَةٍ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : ٢٠ « يَقْلَعُهَا » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَأَذِنَ لِلنَّاسِ مَكَانَ « يَا كَلِ » .

(٤) دِيرِ سَمْعَانَ (بِكْسَرِ السِّينِ وَفَتْحِهَا) : بَنُواحِي دِمَشْقَ فِي مَوْضِعِ نَزْلِ وَبْسَانِينَ

بِحَدِيقَةٍ . وَعِنْدَهُ قُصُورٌ وَدُورٌ . وَعِنْدَهُ قَبْرُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « حَصَصَ » . وَحَصَصَ بَيْنَ حَلَبِ دِمَشْقَ . ٢٥

يعقوب بن داود الثقفى عن أشياخ من ثقيف قال : قرئ عهد عمر بالخلافة ، وعمر في ناحية ، فقام رجل من ثقيف يقال له : سالم ، من أحوال عمر ، فأخذ بضبعه <sup>(١)</sup> فأقامه . فقال عمر : أما والله ما الله أردت بهذا ، ولن تضيب بها متى دنيا .

أبو بشر الخراساني قال : خطب عمر بن عبد العزيز الناس حين استخلف فقال : أيها الناس ، والله ما سألت الله هذا الأمر قط في سر ولا علانية ، فن كان كارهاً لشيء مما وليته فالآن . فقال سعيد بن عبد الملك : ذلك أمرع فيما تكره ، أتريد أن تحتلف ويضرب بعضنا بعضاً ؟ قال رجل : سبحان الله ! وليها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ولم يقولوا هذا ويقولوه عمر !

#### أخبار عمر بن عبد العزيز

بشر بن عبد الله بن عمر قال : كان عمر يخلو بنفسه ويبتكي ، فتسمع تحية بالبعاء وهو يقول : أبعد الثلاثة الذين واريهم <sup>(٢)</sup> بيدى : عبد الملك والوليد وسليمان !

وقدم رجل من خراسان على عمر بن العزيز حين استخلف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني رأيت في منامى قاتلاً يقول : إذا ولي الأشج من بني أمية يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . فولى الوليد ، فسألت عنه ، فقيل لى : ليس بأشج ، ثم ولى سليمان ، فسألت عنه فقيل : ليس بأشج . ووليت أنت ، فكنت الأشج . فقال عمر : تقرأ كتاب الله ؟ قال : نعم . قال : فبالذى أنعم به عليك ، أحق ما أخبرتنى ؟ قال : نعم . فأمره أن يقيم في دار الضيافة . فبكث نحواً من شهرين ، ثم أرسل إليه عمر ، فقال : هل تدري لم احتبسناك ؟ قال : لا . قال : أرسلت إلى بلدك لتسأل عنك ، فإذا ثناء صديقك وعدوك عليك سواء ، فأصرف راشداً .

(١) الضبع : العضد كلها ، أو وسطها .

(٢) في بعض الأصول : « بوأتهم » .

وكان عمرُ بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يُجْرى على نفسه من النفي، درهماً. وكان عمرُ بن الخطاب يُجْرى على نفسه من ذلك درهمين في كلِّ يوم. فقيل لعمر بن عبد العزيز: لو أخذت ما كان يأخذ عمرُ بن الخطاب؟ فقال: إن عمر بن الخطاب لم يكن له مال وأنا مالى يُغْنينى.

- ولما ولي عمرُ بن عبد العزيز قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أعدنى<sup>(١)</sup> على هذا، وأشار إلى رجل. قال: فبم؟ قال: أخذ مالى وضرب ظهري. فدعا به عمر، فقال: ما يقول هذا؟ قال صدق، إنه كتب إلى الوليد بن عبد الملك، وطاعتمكم فريضة. قال: كذبت، لا طاعة لنا عليكم إلا في طاعة الله، وأمر بالأرض فردت إلى صاحبها.

- ١٠ عبد الله بن المبارك عن رجل أخبره، قال: كنت مع خالد بن يزيد بن معاوية في صحن بيت المقدس، فلقينا عمرُ بن عبد العزيز ولا أعرفه، فأخذ بيد خالد، وقال: يا خالد، أعلينا عين؟ قلت: عليكما من الله عينٌ بصيرة وأذنٌ سمعية. قال: فاستلَّ يده من يد خالد وأرعد ودمعت عيناه ومضى. فقلت لخالد: من هذا؟ قال: هذا عمرُ بن عبد العزيز، إن عاش فيؤشك أن يكون إماماً عدلاً.

١٥

وقال رياح بن عبيدة: اشتريت لعمر قبل الخلافة موطراً<sup>(٢)</sup> فأنجمته، فاستغشفته وقال: لقد اشتريته خشناً جداً، واشتريت له بعد الخلافة كساءً بثمانية دراهم، فاستلانه وقال: لقد اشتريته ليناً جداً.

ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر وعليه رِبْطَةٌ<sup>(٣)</sup> من رباط مصر، فقال:

- ٢٠ بكم أخذت هذه يا أبا سعيد؟ قال: بكذا وكذا. قال: فلو نقيت من ثمنها

(١) أعداه عليه: نصره وأعاناه وقواه.

(٢) المطرف (كسكرم بصيغة اسم المفعول): رداء من خز صبيغ ذو أعلام.

(٣) الربطة: كل ملالة غير ذات لفقين كلها تسج واحد وقطعة واحدة، أو كل ثوب اثنين رقيقين.

ما كان ناقصاً من شرفك . فقال مسيلة : إن أفضل الاقتصاد ما كان بعد  
الجدة ، وأفضل العفو ما كان بعد القدرة ، وأفضل اللين <sup>(١)</sup> ما كان بعد الولاية .  
وكان امرؤ غلام يقال له دِرْهم يحتطب له ، فقال له يوماً : ما يقول الناس  
يا دِرْهم ؟ قال : وما يقولون ؟ الناس كلهم بخير وأنا وأنت بشر . قال : وكيف  
ذلك ؟ قال : إني عهدتُك قبل الخلافة عَطِراً لباساً ، فاره المَرْكَب ، طَيِّب  
الطعام ، فلما وليت رجوتُ أن أستريح وأتخلص ، فزاد على شدة وصيرتُ أنت  
في بلاء . قال : فانت حر ، فاذهب عني ، ودعني وما أنا فيه حتى يجعل الله  
لي منه تخرجاً .

ميمون بن مهران قال : كنتُ عند عمر فكثير بكأوه ومسألته ربه الموت ،  
١٠ فقلت : لِمَ تسأل الموت ! وقد صنع الله على يدك خيراً كثيراً ، أخيا بك سُنفا  
وأما بك بدعا . قال : أفلا أكون مثل العبد الصالح حين أفرجه الله عيِّنه وجمع  
له أمره ، قال : ( رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ) .

ولما ولي عمر بن عبد العزيز قال : إن مدك <sup>(٢)</sup> كانت مما آفأ الله على رسوله ،  
١٤ فسألتها فاطمة رسول الله . فقال لها : مالك أن تسأليني ولا لي أن أعطيك . فكان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فيها حيث أمره الله . ثم ولي أبو بكر وعمر  
وعثمان فكانوا يضعونها المواضع التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم  
٣٣٤  
٢  
ولي معاوية فأقطعها مروان ، ووهبها مروان لعبد الملك وعبد العزيز ، فقسمنها  
بيننا أنا والوليد وسليمان . فلما ولي الوليد سألتُه نصيبه فوهبه لي ، وما كان  
٢٠ لي مالٌ أحب إلي منها ، وأنا أشهدكم إني قد رددتها إلى ما كانت عليه على  
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في بعض الأصول : «واليد» .

(٢) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢١٦) من هذا الجزء .

وقال عمر : الأمور ثلاثة ، أمر استبان رُشدُهُ فَأُتْبِعَهُ ، وأمر استبان ضُرُّهُ فَأُجْتَنِبَهُ ، وأمر أشكل أمرُهُ عَلَيْكَ فَرُدَّهُ إِلَى اللَّهِ .

وكتب عمر إلى بعض عُمَّالِهِ : الموالى ثلاثة : مَوَالِي رَحِمٍ ، ومَوَالِي عَتَاقَةٍ ، ومَوَالِي عَقْدٍ ، فَمَوَالِي الرَّحِمِ يَرِثُ وَيُورِثُ ، ومَوَالِي الْعَتَاقَةِ يُورِثُ وَلَا يَرِثُ ، ومَوَالِي الْعَقْدِ لَا يَرِثُ وَلَا يُورِثُ ، وميراثه لعصبته .

وكتب عمر إلى عُمَّالِهِ : مُرُّوا مَنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَضَعُوا الْعِمَامَ ، وَيَلْبَسُوا الْأَكْسِيَّةَ ، وَلَا يَتَشَبَّهُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا تَتْرَكُوا أَحَدًا مِنَ الْكُفَّارِ يَسْتَعْجِدُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وكتب عمر بن العزيز إلى عَدِيٍّ بْنِ أَرْطَاةٍ عَامِلِهِ عَلَى الْعِرَاقِ : إِذَا أَمَكَّنْتُكَ الْقُدْرَةُ عَلَى الْخَلْقِ فَادْكُرْ قُدْرَةَ الْخَالِقِ الْقَادِرِ عَلَيْكَ ، وَأَعْلَمْ أَنَّ مَالَكَ عِنْدَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِمَّا لَكَ عِنْدَ النَّاسِ .

وكتب عمرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عُمَّالِهِ : مُرُّوا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَجْرَارِهِمْ وَلَا مِمَالِيكِهِمْ ، صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا ، ذَكَرًا وَلَا أُنْثَى ، إِلَّا أَخْرَجَ عَنْهُ صَدَقَةَ فِطْرِ رَمَضَانَ : مُدَّيْنِ مِنْ قَحْ ، أَوْ صَاعًا <sup>(١)</sup> مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ قِيَمَةَ ذَلِكَ نِصْفَ دَرَاهِمٍ . فَأَمَّا أَهْلُ الْعَطَاءِ فَيُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ أَعْطِيَاتِهِمْ ، عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَعِيَالَتِهِمْ <sup>(٢)</sup> . وَأَسْتَعْمَلُوا عَلَى ذَلِكَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْأَمَانَةِ يَقْبِضَانِ مَا أُجْتَمَعَ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ يُقَسِّمَانِهِ فِي مَسَاكِينِ <sup>(٣)</sup> أَهْلِ الْحَاضِرَةِ . وَلَا يُقَسَّمُ عَلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ .

وكتب عبد الحميد بن عبد الرحمن إلى عمر : إِنْ رَجُلًا شَتَمَكَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ . فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ : لَوْ قَتَلْتَهُ لَأَقْدَمْتُكَ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُقْتَلُ أَحَدٌ بِشْتَمِ أَحَدٍ إِلَّا رَجُلٌ شَتَمَ نَبِيًّا .

وكتب رجل من عُمَّالِ عُمَرَ إِلَى عُمَرَ : إِنَّا أَتَيْنَا بِسَاحِرَةٍ فَأَلْقَيْنَاهَا فِي الْمَاءِ ،

(١) الصاع : أربعة أمداد ، ويقدر بالسكيل المصري بقدرين وثلاث .

(٢) في بعض الأصول « عيالاتهم » . (٣) في بعض الأصول « مسكنة » .

فطفت على الماء ، فما ترى فيها ؟ فكتب إليه : اسنما من الماء في شيء ، إن قامت عليها بنية وإلا خلت سبيلها .

وكان عمر بن العزيز يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على المدينة في المظالم فيراده فيها . فكتب إليه : إنه يُخيل لي أني لو كتبت لك أن تعطي رجلاً شاة لكتبت إلى : أذكر أم أنثى ؟ ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت إلى : أصغيرة أم كبيرة ؟ ولو كتبت بأحدهما لكتبت : ضائفة أم معز ؟ فإذا كتبت إليك فنفذ ولا ترد علي . والسلام .

وخطب عمر فقال : أيها الناس ، لا تستصغروا الذنوب ، وألتمسوا تمحيص ما سلف منها بالتوبة منها . إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين . وقال عز وجل : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصبروا على ما فعلوا وهم يعلمون) .

وقال عمر لبني مروان : أدوا ما في أيديكم من حقوق الناس ولا تلجئوني إلى ما أكره فأحملكم على ما تكرهون . فلم يجبه أحد منهم . فقال : أجيئوني . فقال رجل منهم : والله لا نخرج من أموالنا التي صارت إلينا من آباءنا ، فننقير أبناءنا ونكفر آباءنا ، حتى تزيل رءوسنا [ أجسادنا ] . فقال عمر : أما والله لولا أن تستعينوا علي بمن أطلب هذا الحق له لأضربت خدودكم عاجلاً ، ولكنني أخاف الفتنة ، ولئن أبقي الله لأردن إلى كل ذي حق حقه إن شاء الله . وكان عمر إذا نظر إلى بعض بني أمية ، قال : إني أرى رقاباً سترد إلى أربابها .

ولما مات عمر بن عبد العزيز قعد مسامحة على قبره ، فقال : أما والله ما أمنت

الرق حتى <sup>(١)</sup> رأيت هذا القبر .

٣٣٥  
٢

(١) في بعض الأصول : « حين » .

العُمَيّ قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان بن عبد الملك  
تبعه الأمويون ، فلما دخلوا إلى منزله ، قال له الحاجب : الأمويون بالباب .  
قال وما يريدون ؟ قال : ما عودتهم الخلفاء قبلك . قال ابنه عبد الملك ، وهو  
إذ ذاك ابن أربع عشرة سنة : ائذن لي في إبلاغهم عنك . قال : وما تبذلهم ؟  
قال : أقول : أني يُقرنكم السلام ويقول لكم : ( إني أخاف إن عصيت ربي  
عذاب يوم عظيم ) .

زياد عن مالك قال : قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه : يا أبت ،  
مالك لا تفقد الأمور ، فوالله ما أبالي لو أن القُدور غلت بي وبك في الحق . قال  
له عمر : لا تعجل يا بني ، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة ،  
وأنا أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعونه جملة ، ويكون من  
ذلك فتنة .

ولما نزل بعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز الموت قال له عمر : كيف تجدك  
يا بني ؟ قال : أجذني في الموت ، فأحسنني ، فثواب الله خير لك مني . فقال :  
يا بني ، والله لأن تسكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك . قال :  
أما والله لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب ، ثم مات . فلما  
فرغ من دفنه وقف على قبره وقال : يرحمك الله يا بني ، فلقد كنت ساراً مولوداً ،  
وباراً ناشئاً ، وما أحب أني دعوتك فأجبتني ، فرحم الله كل عبد ، من خير  
أو عبد ، ذكر أو أنثى ، دعا لك برحمة — فكان الناس يترحمون على عبد الملك  
ليدخلوا في دعوة عمر — ثم انصرف . فدخل الناس يعزّونه ، فقال : إن الذي  
نزل بعبد الملك أمره لم نزل نعرفه ، فلما وقع لم ننكره .

وتوفيت أخت لعمر بن عبد العزيز ، فلما فرغ من دفنها دنا إليه رجل  
فعزّاه ، فلم يردّ عليه ، ثم آخر فلم يردّ عليه . فلما رأى الناس ذلك أمسكوا  
ومشوا معه . فلما دخل الباب أقبل على الناس بوجهه فقال : أدركتُ الناس  
وهم لا يعزّون في المرأة إلا أن تسكون أمّاً .



### وفاة عمر بن عبد العزيز

مرض عمر بن عبد العزيز بأرض حصص ، ومات بدير سمعان<sup>(١)</sup> ، فبصرى  
الفاطس أن يزيد بن عبد الملك ستمه ، دس إلى خادم كان يخدمه ، فوضع السم  
على ظفر إبهامه ، فلما استسقى عمر غمس إبهامه في الماء ثم سقاه ، فمرض  
مرضه الذي مات فيه . فدخل عليه مسلمة بن عبد الملك فوقف عند رأسه  
وقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنا خيراً ، فلقد عطفنا علينا قلوباً كانت  
عنا نافرة ، وجعلت لنا في الصالحين ذكراً .

زياد عن مالك قال : دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في  
المرضة التي مات فيها ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنك فطمت أفواه ولدك عن  
هذا المال ، وتركتهم عالة ، ولا بد لهم من شيء يصلحهم ، فلو أوصيت بهم  
إلى أو إلى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤوتهم إن شاء الله . فقال عمر :  
أجاسوني ، فأجلسوه ، فقال : الحمد لله ، أبالققر<sup>(٢)</sup> تخوفني يا مسلمة ، أما ما ذكرت  
أنى فطمت أفواه ولدى عن هذا المال وتركتهم عالة ، فإني لم أمنعهم حقاً هو لهم  
ولم أعطهم حقاً هو لغيرهم ، وأما ما سألت من الوصاة إليك أو إلى نظرائك  
من أهل بيتي ، فإن وصيتي بهم إلى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى  
الصالحين ، وإنما بنو عمر أحد رجلين : رجل أتى الله فجعل الله له من أمره  
يسراً ورزقه من حيث لا يحتسب ، ورجل غير وفجر ، فلا يكون عمر أول  
من أعانه على ارتكابه ، ادعوا إلى بيتي . فدعواهم ، وهم يومئذ اثنا عشر غلاماً ،  
فجعل يصعد بصره فيهم ويصوبه حتى اغرورقت عيناه بالدمع ، ثم قال : بنفسى  
فتية تركتهم ولا مال لهم . يا بيتي ، إني قد تركتكم من الله بخير ، انكم لا تمرون  
على مسلم ولا معاهد إلا ولستم عليه حق واجب إن شاء الله ، يا بيتي : مثلت

(١) انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٣١ من هذا الجزء .

(٢) في بعض الأصول : أبالققر .

رأى بين أن تفتقروا في الدنيا وبين أن يدخل أبوك النار ، فكان أن تفتقروا  
إلى آخر الأبد خيراً من دخول أبيكم يوماً واحداً في النار ، قومي طابني غصمكم  
الله ورزقكم . قال : فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا أفتقر .

واشترى عمر بن عبد العزيز من صاحب دير سمعان<sup>(١)</sup> موضع قبره بأربعين  
درهما . ومرض تسعة أيام . ومات رضي الله عنه يوم الجمعة لحس بقين من رجب  
سنة إحدى ومائة . وصلى عليه يزيد بن عبد الملك .

وقال جرير بن الخطفي يرثي عمر بن عبد العزيز :

يَنْقَى الثَّمَاةُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا      يَأْخِرُ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَأَعْتَمَرَ  
حُمَلَتْ أُمراً عظيماً فأصطبرت له      وسرت فينا بحكم الله يا عمرا  
فالشَّمْسُ طالعةٌ ليست بكاسفةً      تبكي عليك نجوم الليل والقمر<sup>(٢)</sup>  
وأشدُّ أبو عبيد الأعرابي<sup>(٣)</sup> في عمر بن عبد العزيز :  
مُتَقَابِلُ<sup>(٤)</sup> الأعرابي في الطَّيِّبِ الطَّابِ<sup>(٥)</sup>

بين أبي العاص وآل الخطَّاب

قال أبو عبيدة يقال : طيب وطاب ، كما يقال : ذيم وذام<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٤٣١) من هذا الجزء .

(٢) في انتصاب القمر والنجوم وجوه ثلاثة : أحدها أنه أراد : الشمس طالعة وليست  
مع طلوعها كاسفة لنجوم الليل والقمر الآن عظم الرزء قد سلها ضوءها . والوجه  
الثاني أن يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم لا أكلك الأبد والدمر ، فكانت  
أخبر بأن الشمس تبكيه ما طالعت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث أن يكون  
القمر ونجوم الليل يأكبن الشمس على هذا الموتي ، فيكهن ، أي علقتم في البقاء .  
( انظر أمالي المرتضى ص ٢٩ ) .

(٣) في الأصول : « الأعرابي » . تحريف . وقد مر هذا البيت ( ج ٣ ص ٤٥١ ) .  
من هذه الطبعة منسوباً لأعرابي في مدح عمر بن عبد العزيز .

(٤) مقابل الأعرابي ، أي شريف من قبل أبيه وأمه فهو ابن عبد العزيز بن مروان  
بن الحكم بن أبي العاص ، وأمه أم عاص بنت عامر بن عمر بن الخطاب .

(٥) في اللسان مادة طيب : « في الطاب الطاب » .

(٦) القديم والدام : الغيب . وفي بعض الأصول : « ذيم وديم » بالبدال المهملة .

### خلافة يزيد بن عبد الملك

ثم ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحسك . وأمه عائكة بنت يزيد ابن معاوية ، يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة . ومات ببلاد البلقاء<sup>(١)</sup> يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وهو ابن أربع وثلاثين سنة . صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك . وكانت ولايته أربع سنين وشهراً . وفيه يقول جرير :

مُرِبَتْ سِرْبَالُ مَلِكٍ غَيْرِ مُنْقَصِبٍ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ إِنَّ الْمَلِكَ مُؤْتَشِبٌ<sup>(٢)</sup>

وكان على شرطته كعب بن مالك القنسي . وعلى الحرس غيلان أبو سعيد ، مولاه . وعلى خاتم الخلافة مطر ، مولاه ، وكان فاسقاً . وعلى الخاتم الصغير بكير أبو الحجاج . وعلى الرسائل والجند والخراج صالح بن جبير الهمداني ، ثم عزله وأستعمل أسامة بن زيد ، مولى كلب . وعلى الخزائن ويوت الأموال هشام ابن مصاد . وحاجبه خالد ، مولاه .

وكان يزيد بن عبد الملك صاحب لهُو ولذات ، وهو صاحب حُبابة وسلامة . وفي ولايته خرج يزيد بن المهلب .

### أسماء ولد يزيد

١٥

الوليد ويحيى وعبد الله والفهر<sup>(٣)</sup> وعبد الجبار وسليمان وأبو سفيان وهاشم وداود ، ولا عقب له ، والعوام ، ولا عقب له .

وكتب يزيد بن عبد الملك إلى عمال عمر بن عبد العزيز : أما بعد ، فإن عمر كان مغروراً ، غررتموه أتم وأصحابكم ، وقد رأيت كُتُبكم إليه في انكسار

(١) البلقاء : كورة من أعمال دمشق : بين الشام ووادي القرى . (انظر معجم البلدان) .

(٢) المؤتشب : المخلوط غير الصريح في نسبه . يقول : إن ملكك خالص لك عن أبائك

لا تشوبه شائبة اعتداء واغتصاب .

(٣) في بعض الأصول هنا : « والفهر » .

الخراج والضريبة . فإذا أناكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهدته وأعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى ، أخصبوا أم أجذبوا ، أحبوا أم كرهوا ، حيوا أم ماتوا ، والسلام .

أبو الحسن المدائني قال : لما ولي يزيد بن عبد الملك ، وجهه الجيوش إلى يزيد بن المهلب ، فعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش ، وللعباس بن الوليد على أهل دمشق خاصة . فقال له العباس : يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق [ قوم ] أرجاف <sup>(١)</sup> ، وقد خرجنا إليهم محاربين والأحداث تحدث ، فلو عهدت إلى عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . قال : غداً إن شاء الله . وبلغ مسلمة الخبر ، فأتاه فقال له : يا أمير المؤمنين ، أولاد عبد الملك أحب إليك أم أولاد الوليد ؟ قال : ولد عبد الملك . قال : فأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال : بل أخى ، إذا لم يكن <sup>(٢)</sup> ولدى ، أحق بها من ابن أخى . قال : يا أمير المؤمنين ، فإن أبنك لم يبلغ ، فبايع لهشام بن عبد الملك ولائك الوليد من بعده . قال : غداً إن شاء الله . فلما كان من الغد بايع لهشام ولأبنة الوليد من بعده ، والوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة . فلما انقضى أمر يزيد بن المهلب وأدرك الوليد ندم [ يزيد ] على استخلاف هشام ، فكان إذا نظر إلى أبنه الوليد قال : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك .

قال : ولما قتل يزيد بن المهلب جمع يزيد بن عبد الملك العراق لأخيه مسلمة بن عبد الملك . فبعث هلال بن أحوز المازني إلى قنديل <sup>(٣)</sup> في طلب آل المهلب ، فالتقوا ، فقتل الفضل بن المهلب ، وانهزم الناس ، وقتل هلال بن أحوز خمسة من ولد المهلب ، ولم يفتش <sup>(٤)</sup> النساء ولم يعرض لهن ، وبعث العمال

(١) يقال : أرجف القوم ، إذا غاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن .

(٢) في بعض الأصول : « إذ كان » مكان « إذا لم يكن » .

(٣) قنديل : مدينة بالسند ، وهي قصبة لولاية يقال لها التدعة كانت فيها وقعة لهلال

بن أحوز الشاري على آل المهلب . ( انظر معجم البلدان ) .

(٤) في بعض الأصول : « ولم يفتش على النساء » .

والأشهرى إلى يزيد بن عبد الملك .

قال : حدثني جابر بن مسلم قال : لما دخلوا عليه قام كثير بن أبي جمعة<sup>(١)</sup> ،  
الذي يقال له كثير عزة ، فقال :

٥  
حليم إذا ما نال عاقب مجللاً أشد عقاب أو عفا لم يترب  
فغفوا أمير المؤمنين وحسبة فما تكتب من صالح لك يكتب  
أساءوا فإن تغفر فإنك قادر وأعظم حلم حسبة حلم مغضب  
نفتهم قریش عن أباطح مكة وذو يمن بالمشرفي المشط  
فقال يزيد : لاطت بك الرحم ، لا سبيل إلى ذلك ، من كان له قبل  
آل المهلب دم فليتم . فدفعهم إليهم حتى قتل نحو ثمانين .  
١٠ قال : وبلغ يزيد بن عبد الملك أن هشاماً يتنقصه ، فكتب إليه : إن  
مثلي ومثلك كما قال الأول :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد  
أعل الذي ينبغي ردای ويرتجى به قبل موتی أن يكون هو الردی<sup>(٢)</sup>  
فكتب إليه هشام : إن مثلي ومثلك كما قال الأول :  
١٥ ومن لم يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب  
ومن يتتبع جاهداً كل عثرة يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب  
فكتب إليه يزيد : نحن مغتفرون ما كان منك ، ومكذبون ما بلغنا  
عنك ، مع حفظ وصية أئينا عبد الملك ، وما حص عليه من صلاح ذات البين .  
وإني لأعلم أنك كما قال معن بن أوس :

- ٢٠ (١) في بعض الأصول : « حاد » . تحريف .  
(٢) ساق القالي في كتابه الأمالي ( ج ٣ ص ٢١٨ ) هذين البيتين مع خلاف في رواية  
هذا البيت وهو كما في الأمالي :  
فما عيش من يرجو ردای بضارى وما عيش من يرجو ردای بمخلد  
وزاد عليهما ثالثاً وهو :  
فقل للذي يغنى خلاف الذى مضى تجهز لأخرى مثلها فكأن قد  
٢٥ (٣) في الأمالي : « ولا يسلم » .

لأمرُك ما أذري وإني لأوجل<sup>(١)</sup> على أينما تعدو المنية أول  
 وإني على أشياء منك تربيته قديماً لذو صفح على ذاك مجمل<sup>(٢)</sup>  
 ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني يمينك فانظر أي كفت تبدل  
 إذا سؤنتني يوماً صفحت<sup>(٣)</sup> إلى غد ليعقب يوماً منك آخر مقبيل  
 إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل  
 ويركب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل  
 وفي الناس إن رئت حبالك واصل وفي الأرض عن دار القلي متحوّل  
 فلما جاءه الكتاب رحل هشام إليه : فلم يزل في جواره إلى أن مات  
 يزيد ، وهو معه في عسكره مخافة أهل البغي .

محمد بن الغاز<sup>(٤)</sup> قال : حدثنا أبو سعيد عبد الله بن شبيب قال : حدثني  
 الزبير بن بكار قال : كان يزيد بن عبد الملك كلفاً بحبابة كلفاً شديداً ، فلما  
 توفيت أكتب عليها يتشممها أياماً حتى أتت ، فأخذ في جهازها وخرج بين  
 يدي نعشها ، حتى إذا بلغ القبر نزل فيه . فلما فرغ من دفنها لصق به<sup>(٥)</sup>  
 مسلة أخوه يعزّيه ويؤنسه<sup>(٦)</sup> . فقال : قاتل الله ابن أبي جعدة ! كأنه كان يرى  
 ما نحن فيه حيث يقول :

فإن تسل نفسك النفس أو تدع الهوى فبالتيأس تسلو<sup>(٧)</sup> عنك لا بالتجلد  
 وكل خليل زارني فهو قاتل من أجلك : هذا ميّت اليوم أو غد

(١) في بعض الأصول : « لأوحد » . وفي بعض آخر : « لأوجد » . والتصويب من  
 سائر الأصول وشعر معن طبع ليبزج والأمالى .

(٢) كذا في بعض الأصول وشعر معن والأمالى والذي في سائر الأصول : « قديماً » .  
 ولا صلح على ذاك مجمل .

(٣) في الأصول : « رجعت » . وما أثبتنا من شعر معن والأمالى .

(٤) في بعض الأصول : « محمد بن الغازي » تحريف .

(٥) في بعض الأصول : « إليه » .

(٦) في بعض الأصول : « ويؤنسه » .

(٧) في بعض الأصول : « أسلو » .

قال : وطعن<sup>(١)</sup> في جنازتها ، فدفنناه إلى سبعة عشر يوماً .

خلافة<sup>(٢)</sup> هشام بن عبد الملك بن مروان

ثم بُويع هشام بن عبد الملك بن مروان — يُكنى أبا الوليد . وأمه أم هشام بنت [ هشام بن ] إسماعيل بن هشام الخزومي — يوم الجمعة لخمس ليالي بقين من شعبان سنة خمس ومائة . ومات بالرصافة يوم الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة . وصلى عليه الوليد بن يزيد . وكانت خلافته عشرين سنة .

أسماء ولد هشام بن عبد الملك

معاوية وخلف ومسلمة ومحمد وسليمان وسعيد وعبد الله ويزيد — وهو الأبكم — ومروان وإبراهيم ويحيى<sup>(٣)</sup> ومُنذر وعبد الملك والوليد وقريش وعبد الرحمن<sup>(٤)</sup> .

وكان على شرطته كعب بن عامر العبسي . وعلى الرسائل سالم ، مولاه . وعلى خاتم الخلافة الربيع ، مولى لبني الحريش ، وهو الربيع بن سابور . وعلى الخاتم الصغير أبو الزبير ، مولاه . وعلى ديوان الخراج وألجند أسامة بن زيد<sup>(٥)</sup> ، ثم عزله وولى الخشحات . وعلى إذه غالب بن مسعود ، مولاه .

أخبار هشام بن عبد الملك

أبو الحسن المدائني ، قال : كان عبد الملك بن مروان رأى في منامه أن

(١) طعن (بالبناء للجهول) : أي أصابه الطاعون . (٢) في بعض الأصول : « ولاية » . (٣) في بعض الأصول : « ومحمد » . وما أثبتنا من سائر الأصول وجمهرة أنساب العرب . (٤) ذكر ابن حزم أولاد هشام ستة عشر كما في الأصول . غير أنه ذكر عثمان وعبد الله مكان إبراهيم ومنذر . وذكرهم اليعقوبي في تاريخه عشرة فلم يذكر يحيى وعثمان وخلفا والوليد وعبيد الله وعبد الملك . ووافقه في ذلك ابن قتيبة في المعارف فذكر أنهم عشرة واجتراً بذكر بعضهم . (٥) في بعض الأصول : « أسامة بن يزيد » .

عائشة بنت [هشام بن] إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي فلقّت رأسه فقطعته عشرين قطعة . فغمّه ذلك ، فأرسل إلى سعيد بن المسيّب ، فقضّها عليه . فقال سعيد : تلد غلاماً يملك عشرين سنة . وكانت عائشة أم هشام حَقَّاء ، فطلّقها عبدُ الملك الحُمَيقها ، وولدت هشاماً وهي طالق ، ولم يكن في ولد عبد الملك أكلٌ من هشام .

قال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك بعد أن سَخَطَ على خالد بن عبد الله القسريّ وسلّطَ عليه يوسف بن عمر عامله على العراق ، فلما دخلتُ عليه استدنانى حتى كنتُ أقربَ الناس إليه ، فتنفّس الصُّعداء ، ثم قال : يا خالد ، ربّ خالد قعد مقعدك هذا أشهى إلى حديثنا منك . فعلمتُ أنه يريد خالد بن عبد الله القسريّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أفلا تُعيده ؟ قال : ١٠ هيهات ، إن خالداً أدلّ فأملّ ، وأوجف فأعجف <sup>(١)</sup> ، ولم يدع لمراجع <sup>(٢)</sup> مرّجعا ، على أنه ما سألتني حاجة قط . فقلت : يا أمير المؤمنين ، فلو أدنيتّه فتفضّلت <sup>(٣)</sup> عليه ؟ قال : هيهات ! وأنشد :

إذا أنصرفتُ نَفْسِي عن الشَّيْءِ لم تَسْكُنْ

عليه <sup>(٤)</sup> بوجه آخر الدَّهر تَقْبِيْلُ ١٥

قال أصبغ بن الفرج : لم يكن في بني مروان من ملوكها أعطر ولا ألبس من هشام ، خرج حاجاً فحمل ثياب طهره <sup>(٥)</sup> على ستانة جمل . ودخل المدينة ، فقال لرجل : انظر من في المسجد . فقال : رجل طويل أدلم <sup>(٦)</sup> . قال : هذا سالم بن عبد الله ، أدعه . فأتاه ، فقال : أجِبْ أمير المؤمنين وإن شئتُ أرسل

(١) الإيجاف : سرعة السير . والإيجاف : الإهزال . وفي بعض الأصول : « وأرجف » . مكان « وأوجف » . تحريف .

(٢) في بعض الأصول : « لمراجع » . (٣) في بعض الأصول : « قد أدبته فلو تفضّلت » .

(٤) في بعض الأصول : « تسكن إليه » . وما أتينا من سائر الأصول وشعر معن .

(٥) في بعض الأصول : « ظهره » .

(٦) كذا في بعض الأصول . والأدلم : الآدم والشديد السواد . والذي في سائر الأصول : ٢٥ « آدم آدم » .



فَتَوَتَّى بَنِيَابِكَ . فقال : ويحك ! أتيتُ اللهَ زائراً في رداءٍ وميَّصٍ ولا أدخلُ  
بهما على هشام ! فدخل عليه ، فوصله بعشرة آلاف . ثم قَدِمَ مكةَ فَقَضَى  
حُجَّه ، فلما رجع إلى المدينة ، قيل له : إنَّ سالماً شديداً ألَّجَعَ ، فدخل عليه  
وسأله عن حاله . ومات سالمٌ فصلى عليه هشام ، وقال : ما أذكرى بأبي الأسيرين  
أنا أسراً : بحِجَّتِي أم بصَلَاتِي على سالم .

٣٣٩  
٢

قال : ووقف هشامُ يوماً قريباً من حائطٍ فيه زيتون له ، فسمع نفضَ  
الزيتون ، فقال لرجل : أنطلق إليهم فقل لهم : التقطوه ولا تنفضوه ، فتفقدوا  
غُيُونَهُ ، وتكسروا غُصُونَهُ .

وخرج هشامٌ هارباً من الطاعون ، فانتهى إلى دير فيه راهب ، فأدخله  
الراهبُ بُستانه ، فجعل يَنْتَقِي له أطيبَ الفاكهة والبالغ منها . فقال هشام :  
يا راهب ، هَبْنِي بِبُستانِكَ هذا . فلم يُجِبْهُ . فقال : مالك لا تتكلم ؟ فقال :  
وَدِدْتُ أَنَّ الناسَ كلَّهم ماتوا غيرك . قال : ولم ؟ قال : لعلك أن تشبع . فالتفت  
هشامٌ إلى الأبرش فقال : أسمع ما يقول ؟ قال الأبرش : بلى والله ، ما<sup>(١)</sup> لفيك  
حرٌّ غيره .

الْعُتْبِيُّ قال : إني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيمُ  
ابن محمد بن طلحة وصاحب حرس هشام حتى قعدا بين يديه ، فقال الحرسيُّ<sup>(٢)</sup> :  
إن أمير المؤمنين جرّاني<sup>(٣)</sup> في خصومة بينه وبين إبراهيم . قال القاضي : شاهد بك  
على الجراية<sup>(٤)</sup> . فقال : أتراني قلتُ على أمير المؤمنين ما لم يقل ، وليس بيني وبينه  
إلا هذه الستارة ؟ قال : لا ، ولكنه لا يثبت الحقُّ لك ولا عليك إلا ببينة .  
قال : فقام ، فلم يلبث حتى قَعَقَعَت الأبوابُ وخرج الحرسيُّ ، فقال : هذا أمير

(١) في بعض الأصول : « إن » .

(٢) الحرسي : واحد حرس السلطان .

(٣) يقال : جرى ( بالتضعيف ) وأجرى ، إذا أرسل وكسلا . وفي بعض الأصول :

« جرّاني » بالهمز . تصحيف .

(٤) الجراية ( بالفتح والكسر ) : الوكالة . وفي بعض الأصول : « الجراة » .

المؤمنين . قال : فقام القاضى ، فأشار إليه فقعده ، وبسط له مِصلى فقعده عليه هو وإبراهيم ، وكنا حيث نسمع بعض كلامهما ونخفى علينا البعض . قال : فتكلما وأحضرت البينة ، ففضى القاضى على هشام : فتكلم إبراهيم بكلمة فيها بعض الخرق ، فقال : الحمد لله الذى أبان للناس ظلمك . فقال هشام : لقد هممت أن أضربك ضربةً يَنْتثر منها لحمك عن عظمك . قال : أما والله لئن فعلت لتفعلته بشيخ كبير السن ، قريب القرابة ، واجب الحق . قال له : استرها على يا إبراهيم . قلت : لا ستر الله على ذنبى<sup>(١)</sup> إذا يوم القيامة . قال : إني مُعطيك عليها مائة ألف . قال إبراهيم : فسترتها عليه طول حياته ثمأ لما أخذت منه وأدعتها عنه بعد موته تزييناً له .

وذكروا عن الهيثم بن عدى قال : كان سعيد بن هشام بن عبد الملك عاملاً لأبيه على حمص ، وكان يُرمَى بالنساء والشراب ، فقدم حمص<sup>(٢)</sup> هشام ، فلقبه أبو جعد الطائي<sup>(٣)</sup> فى طريق ، فقال له : هل ترى أن أُعطيك هذه الفرس ، فإنى لا أعلم مكان مثلها ، على أن تُبلغ هذا الكتاب أمير المؤمنين ، ليس فيه حاجة بمسألة دينار ولا درهم ؟ فأخذها وأخذ الكتاب . فلما قدم على هشام سأله : ما قصة هذه الفرس ؟ فأخبره . فقال : هاكِ الكتاب ، فإذا فيه :

أُبلِغَ إليك أمير المؤمنين فقد أمددتنا بأمر ليس عَمِيناً  
طَوَّراً يُخَالِفُ عَمراً فى حَلِيلَتِهِ وعند ساحتِهِ يُسْقَى الطَّلَا<sup>(٤)</sup> دِيناً  
فلما قرأ الكتاب بعث إلى سعيد فأشخصه ، فلما قدم عليه علاه بالخيزرانة وقال : يا ابن الخبيثة ، تزنى وأنت ابن أمير المؤمنين ! وبلك ! أنجزت أن تفجر فجور قريش ؟ أو تدرى ما فجور قريش لا أم لك ؟ قتل هذا ، وأخذ مال هذا ، والله لا تلى لى عملاً حتى تموت . قال قال : فما ولى له عملاً حتى مات .

(١) فى بعض الأصول : « دينى » . (٢) فى بعض الأصول : « خصى » .

(٣) فى بعض الأصول : « أبو الجعد الطائي » .

(٤) الطلاء ( ككساء ، وقصر للشعر ) : الحُر .

أحمد بن عُميد قال: أخبرني هشام الكلبى عن أبي محمد بن سفيان القرشي<sup>(١)</sup> عن أبيه قال: كنتُ عند هشام بن عبد الملك وقد وفد عليه وفدُ أهل الحجاز، وكان شبابُ الكتّاب إذا قدم الوفدُ حضروا لأستماع بلاغة خطبائهم، فحضرتُ كلامهم، حتى قام محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي<sup>(٢)</sup>، وكان أعظم القوم قدراً وأكبرهم سناً، فقال: أصلى الله أمير المؤمنين، إن خطباء قريش قد قالت فيك ما قالت، وأكثرت وأطنبت، والله ما بلغ قائلهم قدرك، ولا أحصى خطيبهم فضلك، وإن أذنت في القول قلت؟ قال: قل وأوجز. قال: تولى الله يا أمير المؤمنين بالحسنى، وزينتك بالتقوى، وجمع لك خير الآخرة والأولى، إن لى حوائج، أفأذكرها؟ قال: هاتها. قال: كبر سقى، ونال الدهر متى، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى، ويثني فقرى، فعل. قال: وما الذى يثني فقرى، ويجبر كسرك؟ قال: ألف دينار وألف دينار وألف دينار. قال: فأطرق هشام طويلاً ثم قال: يا بن أبي الجهم، بيت المال لا يحتمل ما ذكرت، ثم قال له: هيه. قال: ما هيه؟ أما والله إن الأمر لواحد<sup>(٣)</sup>، ولكن الله آترك بمجلسك، فإن تعطينا فحقنا أدبت، وإن تمنعنا ففسأل الله الذى بيده ما حوت. يا أمير المؤمنين، إن الله جعل العطاء محبة، والمنع مبغضة. والله لأن أحببك أحب إلى من أن أبغضك. قال: ألف دينار لماذا؟ قال: أقضى بها ديناً قدحان قضاؤه، وقد عتاني حمله، وأضر بي أهله. قال: فلا بأس، ندمس كربة، ونؤدى أمانة. وألف دينار لماذا؟ قال: أزوج بها من بلغ من ولدى. قال: نعم المسلك سلسكت، أغضضت بصراً، وأعففت ذكراً، وأمّرت<sup>(٤)</sup> نسلاً. وألف دينار لماذا؟ قال: أشتري بها أرضاً

(١) لعله زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. (انظر الطبرى).  
(٢) ليس هو محمد بن أبي الجهم الذى مر ذكره في هذا الجزء. فقد توفى هذا الأخير سنة ٦٣ أى قبل موت هشام بسنوات عدة.

(٣) في بعض الأصول: «لوا إلى أحد».

(٤) كذا في بعض الأصول وصحح الأعشى (ج ١ ص ٢٦٤) والأمال (ج ١ ص ١٤٧). وأمّرت: أكرّرت. والذى في سائر الأصول: «رفت».

يعيش بها ولدى ! وأستعين بفضلها على نوائب دهرى ، وتكون ذخراً لمن بعدى <sup>(١)</sup> .  
 قال : فإنا قد أمرنا لك بما سألت . قال : فالحمد لله على ذلك ، وخرج .  
 فأتبعه هشام بصرة ، وقال : إذا كان القرشى فليكن مثلاً هذا ، ما رأيت  
 رجلاً أوجز في مقال ولا أبلغ في بيان منه . ثم قال : أما والله إنا لنعرف الحق  
 إذا نزل ، ونسكركه الإسراف والبخل ؛ وما نعطى تبذيراً ، ولا نمنع تقشيراً ؛  
 وما نحن إلا خزائن الله في بلاده ، وأمناءه على عباده ؛ فإذا أذن أعطينا ، وإذا  
 منع أئبنا ؛ ولو كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ؛ ما جئنا قائلًا ،  
 ولا ردّدنا سائلًا . ونسأل الذى بيده ما أستحفظنا أن يُجرّبه على أيدينا . فإنه  
 يَبْسُط الرِّزْق لمن يشاء ويَقْدِر ، إنه بعباده خبير بصير . فقالوا : يا أمير المؤمنين ،  
 لقد تكلمت فأبلغت ، وما بلغ في كلامه ما قصصت . قال : إنه مُبْتَدَى وليس  
 المُبْتَدَى كالمُتَقَدِّى <sup>(٢)</sup> .

وذكروا أن العباس بن <sup>(٣)</sup> الوليد وجماعة من بنى مروان اجتمعوا عند هشام ،  
 فذكروا الوليد بن <sup>(٤)</sup> يزيد وعابوه وذمّوه ، وكان هشام يُبْفِضُه <sup>(٥)</sup> ، ودخل الوليد ،  
 فقال له العباس : يا وليد ، كيف حُبِّكَ للروميّات ، فإن أباك كان مشغوقاً بهن ؟  
 قال : كيف لا يكون وهن يلدن مثلك ؟ قال : ألا تسكت يا ابن البظراء ؟  
 قال : حسبك أيها المُفْتَخِر علينا بخِتان أمه .

وقال له هشام : ما شرابك يا وليد ؟ قال : شرابك يا أمير المؤمنين ، وقام  
 فخرج . فقال هشام : هذا الذى زعمتموه أحق !  
 وقرب الوليد بن يزيد فرسه لجمع جراميزه <sup>(٦)</sup> ووثب على سرجه ، ثم التفت

٢٠ (١) في بعض الأصول : « بنى » .

(٢) في بعض الأصول : « إنه مبتلى وليس المبتلى كالمتلى » .

(٣) في بعض الأصول : « عباس والوليد » . تحريف .

(٤) في بعض الأصول : « أمورا من يزيد » مكان « الوليد بن يزيد » .

(٥) في بعض الأصول : « ينفضه » .

٢٥ (٦) جراميز الرجل : جسده وأعضاؤه . ويقال : جمع جراميزه ، إذا نقبض لئيب .

إلى ولد هشام ، وقال له : هل يقدر أبوك أن يصنع مثل هذا ؟ قال : لأبي مائة عبد يصنعون مثل هذا . فقال الناس : لم ينصفه في الجواب .

العُتْبِيُّ عن أبيه ، قال : سمعت معاوية بن عمرو<sup>(١)</sup> بن عُتْبَةَ يحدث ، قال :  
إني لقاعد بباب هشام بن عبد الملك ، وكان الناس يتقرَّبون إليه بعيب الوليد  
ابن يزيد ، قال : فسمعتُ قومًا يعيَّبونه ، فقلت : دَعُونَا مِنْ عَيْبٍ مَنْ يَلْزِمُنَا  
مَذْحُهُ ، وَوَضَعَ مَنْ يَجِبُ عَلَيْنَا رَفْعُهُ . وكانت للوليد بن يزيد عيون لا يبرحون  
بباب هشام ، فنقلوا إليه كلامي وكلام القوم ، فلم ألبث إلا يسيرًا حتى راح  
إلى مولى للوليد ، قد ألتحف على ألف دينار ، فقال لي : يقول لك مولاي :  
أنفق هذه في يومك ، وغداً أمامك . قال : فمُلِئْتُ رُغْبًا مِنْ هِشَامٍ وَخَشِيتُ  
سَطَوَتَهُ ، ورماه الله بالعلَّة فدفقاه لثانية عشر يوماً بعد ذلك اليوم . فلما قام  
الوليد بعده دخلت عليه ، فقال لي : يا بن عُتْبَةَ ، أترأى ناسياً قعودك بباب  
الأحول يَهْدِمُنِي وَيَنْدِنُنِي ، وَيَضَعُنِي وَتَرْفَعُنِي ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ،  
شاركت قومك في الإحسان<sup>(٢)</sup> ، وتفردت دونهم بإحسانك إليّ ، فلست  
أحمد لك نفسي في اجتهاد ، ولا أعذرُها في تقصير ، وتشهد بذلك السنة الجائزين  
بنا ، ويصدق قولهم الفِعالُ منا<sup>(٣)</sup> . قال : كذلك أتم لنا آل أبي سفيان ، وقد  
أقطعُكَ ما لي بالبنين<sup>(٤)</sup> وما أعلم لقرشي مثله .

وقال عبد الله بن عبد الحكم<sup>(٥)</sup> فقيه مصر : سمعتُ الأشياخ يقولون : سنة  
خمس وعشرين ومائة أُدبِل من الشرف وذُهِبت المروءة ، وذلك عند موت  
هشام بن عبد الملك .

٢٠ (١) كذا في بعض الأصول والطبرى . والذي في سائر الأصول « معاوية بن عمر » .  
(٢) في بعض الأصول : « في إحسانك إليهم » مكان « في الإحسان »  
(٣) في بعض الأصول : « في الفِعال منا » .  
(٤) البنية (بالتحريك وكسر النون وياء مشددة) : اسم ناحية من نواحي دمشق .  
(٥) كذا في بعض الأصول والديباج المذهب ، والذي في سائر الأصول . « عبد الله  
ابن الحكم » ٢٥

قال أبو الحسن المدائني: مات هشام بن عبد الملك بالذبح يوم الأربعاء، بالزُصافة في ربيع الآخر لست خلون منه، سنة خمس وعشرين ومائة، وصلى عليه مسلمة بن هشام أو بعض ولده، واشترى له كفن من السوق.

### خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

٥. بُويع للوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة. وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف، أختي الحجاج بن يوسف. وقُتل بالبحراء<sup>(١)</sup>، من تدمر على ثلاثة أميال، يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة، وهو ابن خمس وثلاثين، أو ست وثلاثين.

١٠. قال حاتم بن مسلم: ابن خمس وأربعين وأشهر. وكانت ولايته سنة وشهرين وأثنين وعشرين يوماً. فأول شيء نظر فيه الوليد أن يكتب إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك أن يأتي الزُصافة يُخفي ما فيها من أموال هشام وولده، ويأخذ عماله وحشمه، إلا مسلمة بن هشام، فإنه كتب إليه أن لا يعرض له ولا يدخل منزله. وكان مسلمة كثيراً ما يكلم أباه في الرفق بالوليد. ففعل العباس ما أمره به. وكتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر، فقدم عليه من العراق، فدفع إليه خالد بن عبد الله القسري ومحمداً وإبراهيم، أبا هشام بن إسماعيل المخزومي، وأمره بقتلهم. فحدث أبو بشر بن السري قال: رأيتهم قدم بهم يوسف بن عمر الحيرة، وخالد في عباءة في شق محمل، فعد بهم حتى قتلهم. ثم عكف الوليد على البطالة وحُب القيان والملاهي والشراب ومعاشقة

النساء، فتمسَّق<sup>(٢)</sup> سعدى<sup>(٣)</sup> بنت سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، فزوجها. ثم تمسَّق<sup>(٢)</sup> أختها سلمى، فطلق أختها سعدى وتزوج سلمى، فرجعت

(١) في بعض الأصول: «المجرأ» وما أنبتنا من سائر الأصول والطبرى ومجم البلدان.

(٢) في بعض الأصول: «فتماسق».

(٣) في الأغاني (ج ١٧ ص ٩٩) طبعة بلاق: «سعدة».

سُعدى إلى المدينة فتزوّجت بشر بن الوليد بن عبد الملك . ثم ندم الوليد على فراقها وكلف محبتها ، فدخل عليه أشعب المصحبك ، فقال له الوليد : هل لك على أن تبلغ سعدى عنى رسالة ولك عشرون ألف درهم ؟ قال : هاتها ، فدفعها إليه . فقَبَضَهَا وقال : ما رسالتك ؟ قال : إذا قدمت المدينة فاستأذن عليها ، وقل لها : يقول لك الوليد :

أُسْعِدِي مَا إِلَيْكَ <sup>(١)</sup> لِنَاسِبِيلٍ وَلَا <sup>(٢)</sup> حَتَّى الْقِيَامَةِ مِنْ تِلَاقٍ

بَلَى ، وَلَهْلَ دَهْرًا أَنْ يُؤَاتَى بِمَوْتٍ مِنْ حَلِيلِكَ أَوْ فِرَاقٍ <sup>(٣)</sup>

فأتاها أشعب فاستأذن عليها ، وكان نساء المدينة لا يجتنبن عنه ، فقالت له : ما بدا لك في زيارتنا يا أشعب ؟ قال : يا سيدتى ، أرسلنى إليك الوليد برسالة . قالت : هاتها . فأنشدها البيتين . فقالت لجواريتها : خذنى هذا الخبيث . وقالت : ما جرّأك على مثل هذه الرسالة ؟ قال : إنها بعشرين ألفاً معجّلة مقبوضة . قالت : والله لأجلدك أو لتبلغننه كما أبلغتنى عنه . قال : فاجعلى لى جملاً . قالت : بساطى هذا . قال : فقوى عنه . فقامت عنه ، وطوى البساط وضّمه ، ثم قال : هاتى رسالتك . فقالت له : قل له :

أَتَبْكِي عَلَى سَعْدَى <sup>(٤)</sup> وَأَنْتِ تَرَكَتَهَا فَقَدْ ذَهَبَتْ سَعْدَى <sup>(٥)</sup> ، فَمَا أَنْتِ صَانِعٌ ؟

فلما بلغه الرسالة كظم الغيظ على أشعب ، وقال : أختر إحدى ثلاث خصال : ولا بدّ لك من إحداها : إما أن أقتلك ، وإما أن أطرحك للسباع فتأكلك ، وإما أن ألقىك من هذا القصر ؟ فقال أشعب : يا سيدى ، ما كنت لتعذب عينين نظرتا إلى سعدى . فضحك وخرى سبيله ، وأقامت عنده سلمى حتى قُتل عنها . وهو القائل فى سلمى :

شاع شعري في سلمى وظهر ورّواه كل بدو وحضر

(١) فى الأغاني : « أسعدة هل » مكان « أسعدى ما » .

(٢) فى الأغاني : « وهل » . (٣) فى الأغاني : « طلاق » .

(٤) فى الأغاني : « البنى » . وصدر البيت لقيس بن ذريح فى لبناء . وعجزه « وكنت

كأت حتفه وهو طائع » . (انظر الأغاني خ ٨ ص ١٣٢ طبعة بلاق) .

وتَهَادَتْهُ الْغَوَانِي بَيْنَهَا وَتَغَنَّيْنَ بِهِ حَتَّى اُنْتَشَرَ  
لَوْ رَأَيْنَا مِنْ سُلَيْمَى أَثَرًا لَسَجَدْنَا أَلْفَ أَلْفٍ لِلْأَثَرِ  
وَأَتَّخَذْنَاهَا إِمَامًا مُرْتَضَى وَلَسَكَانَتْ حَجَّانَا وَالْمُعْتَمِرُ  
إِنَّمَا بَنَتْ سَعِيدَ قَرْهٍ هَلْ حَرَجْنَا إِنْ سَجَدْنَا لِلْقَمَرِ

وفيهما يقول قبل تزوجه لها :

حَدَّثُوا أَنَّ سُلَيْمَى خَرَجَتْ يَوْمَ الْمُصَلَّى

فَإِذَا طَيْرٌ مَلِيحٌ فَوْقَ غُصْنٍ يَتَغَلَّى

قُلْتُ : يَا طَيْرُ أَذْنُ مَتَى فَدَنَا نِم تَدَلَّى

قُلْتُ هَلْ تَعْرِفُ سَلَمَى قَالَ لَا نِم تَوَلَّى

فَنَفَكَ فِي الْقَلْبِ كَلَمًا<sup>(١)</sup> بَاطِنًا نِم تَخَلَّى<sup>(٢)</sup>

وقال في سلمى قبل تزوجه لها :

لَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُنِي بِسَلَمَى<sup>(٣)</sup> أَلَيْسَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ

وَيَأْتِي بِي وَيَطْرَحُنِي عَلَيْهَا فَيُوقِظُنِي وَقَدْ قُضِيَ الْقَضَاءُ

وَيُرْسِلَ دِيمَةً مِنْ بَعْدِ هَذَا فَمَخَّسَلْنَا وَلَيْسَ بِنَا عَنَاءُ

وقال فيها بعد تزوجه لها :

أَنَا فِي بُعْدِي بِدَيْهَا وَهِيَ فِي يُسْرَى بِدَيْهَا

إِنِّ هَذَا الْقَضَاءُ غَيْرُ عَدَلٍ يَا أُخْتِي

لَيْتَ مَنْ لَامَ مُحِبًّا فِي الْهَوَى لَاقَى مِنْيْهَا

فَأَسْتَرَحَ النَّاسُ مِنْهُ مَيِّتَةً غَيْرَ سَوِيَّةٍ

قال : ولهج الوليدُ بالنساء والشراب والصنيد ، فأرسل إلى المدينة فحملوا

له المغننين ، فلما قرأوا منه أمر أن يدخلوا الصكر ليلا ، وكره أن يراهم الناس ،

(١) نكأ ، بالهمز وسهل للشعر . وفي بعض الأصول : « فطامى القلب كلا » .

(٢) في الأغاني : « تعلى » .

(٣) في بعض الأصول : « لعل الله أن يأتي بسلمى » .



فأقاموا حتى أمسوا غير محمد بن عائشة<sup>(١)</sup> ، فإنه دخل نهرا ، فأمر الوليد بحبسه ، فلم يزل محبوباً حتى شرب الوليد يوماً فطرب ، فكأه معبد ، فأمر الوليد بإخراجه ، ودعاه فغناه فقال :

أنت ابن مُسَلِّطِحِ البِطَاحِ ولم تطرُقِ عليك الحُيَّ والوُجُ<sup>(٢)</sup>  
فرضى عنه ، وكان سعيد الأصوص ومعبّد جين قدما على الوليد نزلا  
في الطريق على غدير وجارية تستقي ، فزاغت فأنكسرت الجرة فجلست تنقي :  
يا بيت عائكة الذي أتعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكّل<sup>(٣)</sup>

٣٤٣  
٧

فقال لها : يا جارية ، لمن أنت ؟ فقالت : كنت لآل الوليد [ بن عتبة ]  
بالمدينة فاشتراني مولاى ، وهو من بنى عامر بن صعصعة ، أحد بنى الوحيد من  
بنى كلاب ، وعنده بنت عم له فوهبني لها ، فأمرتني أن أستقي لها . فقالا لها :  
فمن الشعر ؟ قالت : سمعت بالمدينة أن الشعر للأصوص ، والغناء لمعبد . فقال  
معبد للأصوص : قل شيئا أغنى عليه . فقال :

إن زين الغدير من كسر الجرة وغنى غناء فحل مجيد  
قلت : من أنت يا مليحة ؟ قالت : كنت فيما مضى لآل الوليد  
ثم قد صرنت بعد عزّ قريش في بنى عامر لآل الوحيد  
وغنائى لمعبد ونشيدى لقى الناس الأصوص الصنديد  
فتضاجت ثم قلت أنا الأصوص والشيخ معبد فأعيدى  
فأعادت وأحسنتم ثم ولت تهادى فقلت أم سعيد

١٥

(١) في بعض الأصول : « محمد بن أبي عائشة » . وما أتينا من سائر الأصول والأغانى .  
(٢) الأساطيح : الطول والعرض . والحنى : الأرفة . والوج : معاطف الوادى . والبيت  
لطريق بن إسماعيل الثقفى من قصيدة له في مدح الوليد بن يزيد . ( انظر الأغانى ج ٤  
ص ٨ مطبعة بلاق ) . وقد نسب ابن منظور في اللسان ( مادة سلط ) لابن قيس  
الرفيات . ورواية اللسان « معطف » مكان « تطرق » .

٢٠

(٣) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٣٦٣ من هذا الجزء .

يَقْصُرُ الْمَالَ عَنْ شِرَاكِ وَلَكِنْ أَنْتَ فِي ذِمَّةِ الْإِمَامِ الْوَلِيدِ<sup>(١)</sup>  
وَأَمَّ سَمْعِدْكَ كَانَتْ لِلْأَحْوَصِ بِالْمَدِينَةِ . فَفَتَى مَعْبِدٌ عَلَى الشَّعْرِ . فَقَالَ :  
مَا هَذَا ؟ فَأَخْبَرَاهُ ، فَأَشْتَرَاهَا الْوَلِيدُ .

قال أبو الحسن : وقال ابن أبي الزناد : إني كنتُ عند هشام وعنده  
الزُّهري ، فذكر الوليد ، فتنقصناه وطابه عيباً شديداً ، ولم أعرض لشيء مما  
كانا فيه ، فاستأذن فأذن له ، فدخل وأنا أعرفُ الغضب في وجهه ، فجلس  
قليلاً ثم قام . فلما مات هشام : كتب بي فحملت إليه فرحب بي ، وقال : كيف  
حالك يا ابن ذكوان ؟ وألطف المسألة . ثم قال : أتذكر هشاماً الأحول ، وعنده  
الفاسقُ الزُّهري وهما يعيبياني ؟ فقلت : أذكر ذلك ولم أعرض لشيء مما كانا  
فيه . قال : صدقت ، أرايت الغلام الذي كان على رأس هشام قائماً ؟ قلت :  
نعم . قال : فإنه نَمَّ إلى بما قالاه . وإيم الله لو بقي الفاسقُ الزُّهري لقتلته . قلت :  
قد عرفتُ الغضبَ في وجهك حين دخلت . قال : يا ابن ذكوان ، ذهب  
الأحولُ . قلت : يطيل الله عُمرَكَ ، ويُتَمِّعَ الأمةَ ببقائك . ودعا بالعشاء فتعشينا ،  
وجاءت المغرب فصلينا ، وتحدثنا حتى حانت العشاء الآخرة فصلينا وجلس . فقال :  
أُسْقِي ، لِحَاءَ وَابْنِ ، مُعْطَى ، وَحِجَى ، بثلاث جوار ، فصفين بيني وبينه حتى شرب ،  
وَذَهَبَ<sup>(٢)</sup> ، فتحدثنا ، وأُسْقِي ، فصنعوا مثل ذلك . فما زال كذلك يَسْتَسْقِي  
وَيَتَحَدَّثُ وَيَصْنَعُونَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَأَحْصَيْتُ لَهُ سَبْعِينَ قَدْحاً .  
على بن عياش قال : إني عند الوليد بن يزيد في خلافته إذ أتى  
شُرَاعَةً<sup>(٣)</sup> مِنَ السَّكُوفَةِ ، فَوَاللَّهِ مَا مَالَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا عَنْ مَسِيرِهِ<sup>(٤)</sup> حَتَّى قَالَ لَهُ :

(١) في الأغاني « أنت في ذمة الإمام يزيد » . وقد ساق أبو الفرج هذا الخبر مع خلاف

فيه وذكر يزيد بن عبد الملك مكان الوليد .

(٢) في بعض الأصول : « وذهب » . وفي بعض آخر : « وذهب » .

(٣) وكان من الحبان الندماء ، من أصحاب والية بن الحباب ومطيع بن زياد وحماد مجرد .

وفي بعض الأصول « يا ابن شراعة » . ( انظر الأغاني والأمل ) .

(٤) في بعض الأصول : « مسيره » .

يا شُرَاعَة، إني والله ما بعثتُ إليك لأسألك عن كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال : والله لو سألتني عنهما لوجدتني فيهما حماراً ، قال : إنما أرسلتُ إليك لأسألك عن القهوة . قال : دَهْقَانُهَا <sup>(١)</sup> الخبير ، ولَقَمَانُهَا الحكيم ، وطَبِيبُهَا العليم . قال : فأخبرني عن الشراب ؟ قال : يسأل أمير المؤمنين عما بدا له . قال : ما تقول في الماء ؟ قال : لا بُد لي منه ، والحمارُ شريكِي فيه . قال : ما تقول في اللبن ؟ قال : ما رأيته قطُّ إلا أَسْتَحْيَيْتُ من أُمِّي أطول ما أَرْضَعْتَنِي به . قال : ما تقول في السَّوِيق ؟ قال : شرابُ الحزين والمستعجل والمريض . قال : فَنَبِيذُ التمر ؟ قال : سريعُ المَلِّ <sup>(٢)</sup> ، سريعُ الأنفِشاش . قال : فَنَبِيذُ الزَّيْب ؟ قال : تَلَهَّوْا <sup>(٣)</sup> به عن الشراب . قال : ما تقول في الخمر ؟ قال : أَوَّه <sup>(٤)</sup> ! تلك صَدِيقَةُ رُوحِي . قال : وأنت والله صديقُ رُوحِي . قال : فأني الحِجَالِسُ أَحَبُّ ؟ قال : ما شَرِبْتُ الكأسُ قطُّ على وَجْهِ أَحْسَنَ من السماء <sup>(٥)</sup> .

قال أبو الحسن : كان أبو كامل مُضْحَكَا غَزَلَا مُخَفِّيَا ، ففَتْنَى الوليدَ يوماً فطَرِبَ ، فأعطاه قَلَنْسُوءَ بَرُّودَا <sup>(٦)</sup> كانت عليه ، فكان أبو كامل لا يلبسها إلا في عيد ، ويقول : كَسَانِيهَا أمير المؤمنين ، فأَنَا أَصُونُهَا ، وقد أَمَرْتُ أَهْلِي إِذَا مِتُّ أَنْ تُوَضَّعَ في أَكْفَانِي . وله يقول الوليد :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي أَبَا كَامِلٍ      أَنِّي إِذَا مَا غَابَ كَالْهَابِلِ <sup>(٧)</sup>  
وَزَادَنِي شَوْقًا إِلَى قُرْبِهِ      مَا قَدْ مَضَى مِنْ دَهْرِنَا الْهَائِلِ <sup>(٨)</sup>

(١) الدهقان (بالكسر والضم) : القوي على التصرف مع حدة .  
(٢) في بعض الأصول : « الامتلاء » .  
(٣) في أكثر الأصول : « حاموا » . (٤) في بعض الأصول : « أواه » تحريف .  
(٥) ساق أبو الفرج هذا الخبر في كتاب الأغاني ( ج ٦ ص ١٢٤ — ١٢٥ طبعة بلاق ) مع خلاف كثير .  
(٦) أي ليس فيها زئير .  
(٧) في الأغاني : « كالهامل » .  
(٨) رواية الأغاني :  
قَدْ زَادَنِي شَوْقًا إِلَى قُرْبِهِ      مَعَ مَا بَدَأَ مِنْ رَأْيِهِ الْفَاضِلِ

إني إذا عايطته مُرَّةً<sup>(١)</sup> ظَلْتُ بيوم الفَرَحِ الجاذل  
قال : وجلس الوليدُ يوماً وجاريةٌ تُغَنِّيهِ ، فأنشدها الوليدُ :

\* قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ \*

قالت الجارية المغنية : لو أنممت الشعر غنيتُ به . قال : لستُ أروية ، وكتب  
إلى حماد الرواية فحُمل إليه : فلما دخل عليه قال له الوليد :

\* قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ \*

فأنشد حماد الرواية<sup>(٢)</sup> :

ثم نادى ألا اصبحوني فقامتُ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ  
فَدَمَّتْهُ<sup>(٣)</sup> عَلَى عُقَارِ كَعَيْنِ الدَّيْكِ صَفَى سُلَافَهُ الرَّاوُوقِ  
مُرَّةً قَبْلَ مَرْجِهَا فَإِذَا مَا مَرْجَتْ لَدَى طَعْمِهَا مَن يَذُوقُ  
وكتب الوليدُ إلى المدينة ، فحُمل إليه أشعب ، فألبسه سراويل جلد قِرْدٍ  
له ذَنَبٌ ، وقال له : ارقص وغنَّ صوتاً يُعْجِبُنِي ، فإن فعلتَ أعطيتُكَ ألفَ درهمٍ .  
فرقص وغنَّى ، فأعجبه ، فأعطاه ألفَ درهمٍ . وأنشد الوليدُ هذا الصوتُ :

عَلَّلَانِي وَأَسْـقِيَانِي مِنْ شَرَابِ أَصْفَهَانِي  
مِنْ شَرَابِ الشَّيْخِ كِمَرَى أَوْ شَرَابِ الْهُرْمُزَانِ<sup>(٤)</sup>  
إِنِّ بِالْكَأْسِ لِمُسْكَا أَوْ بِكَفِّي مِنْ سَقَانِي  
إِنَّمَا الْكَأْسُ رِيْعٌ يُتْعَاطَى بِالْبَنَانِ

(١) في بعض الأصول « مرة »

(٢) في بعض الأصول : « فأنشد الوليد : قينة في يمينها إبريق . فاستنشد حمادا ، الرواية

فقال . والشعر لعدي بن زيد . ورواية الشطر الأول من البيت الأولى في الأغاني  
(ج ٦ ص ١٢٣ طبعة بلاق)

\* ثم تاروا إلى الصبوح فقامت \*

وفي (ج ٦ ص ١٦٨) وشعراء النصرانية :

\* ودعوا إلى الصبوح يوما فجاءت \*

(٣) قدمته (بالفاء) : وضعت في فم القدماء . والفدام (ككتاب) : ما يوضع في فم  
الإبريق كالصفاء . والذي في الأصول والأغاني : « قدمته » (بالقاف) .

(٤) في الأغاني (ج ٩ ص ١٣٠) طبعة دار الكتب : « والقيروان » والشعر لعمر بن  
ابن سعيد بن زيد .

وقال أيضاً :

وصفراء في السكاس كالزغفران سبأها الدهاقين<sup>(١)</sup> من عسقلان  
لها حَبَبٌ كَلَا<sup>(٢)</sup> صَفَقَتْ تراها كلمة برقي يمانى  
وقال أيضاً :

ليت حظى اليوم من كل معاش لى وزاد  
قهوة أبذل فيها طارف بعد<sup>(٣)</sup> تلادى  
فيظل<sup>(٤)</sup> القلب منها هائماً فى كل وادى  
إن فى ذاك فلاحى وصلاحي ورشادى  
وقال :

أمدح السكاس ومن أعمالها وأهيج قوماً قتلونا بالعطش  
إنما السكاس ربيع باكر فإذا ما لم نذقها لم نعيش<sup>(٥)</sup>  
وبلغ الوليد أن الناس يعيبونه ويتنقصونه بالشراب وطلب اللذات ،  
فقال فى ذلك :

واقعد قضيت ، ولم يجعل لمتى<sup>(٦)</sup> شيب ، على رغم العدا لذنابى  
من كاعبات كالذمتى ومناصف ومراكب للصيد والنشوات  
فى فتية تانى الهوان<sup>(٧)</sup> وجوههم شم الأنوف ججاج سادات

(١) فى الأغاني (ج ١ ص ١٥٧ طبعة دار الكتب المصرية) : « التجبي » .  
(٢) كذا فى مروج الذهب (ج ٢ ص ١٨٦) . وفى بعض الأصول : « فارة ربح » .  
والذى فى سائر الأصول : « قاد رمح » .  
(٣) فى الأغاني (ج ٦ ص ١٢٤ طبعة بلاق) : « ثم » .  
(٤) فى بعض الأصول : « فيزال » .  
(٥) الشعر لثابتة بن شيبان كما فى الأغاني (ج ٦ ص ١٥١ طبعة بلاق) . ورواية غير  
هذا البيت فيه :

\* فإذا ما غاب عنا لم نعيش \*

(٦) فى الأغاني (ج ٧ ص ١٢ طبعة دار الكتب المصرية) : « وإن يجعل لمتى » .  
(٧) فى بعض الأصول : « الشمس » .

إِنْ يُطْلَبُوا بِتَرَاتِهِمْ يُعْطَوْا بِهَا<sup>(١)</sup> أَوْ يُطْلَبُوا لَا يُدْرِكُوا بِتَرَاتٍ  
 وَقَالَ معاويةُ بْنُ عمرو بْنِ عُتْبَةَ<sup>(٢)</sup> للوليد بن يزيد حين تَغَيَّرَ لَهُ النَّاسُ وَطَعَنُوا  
 عَلَيْهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ يُنْطَقُ بِالْأَنْسِ<sup>(٣)</sup> بِكَ ، وَتُسَكَّنُ<sup>(٤)</sup> الْهَيْبَةُ لَكَ ،  
 وَأَرَاكَ تَأْمَنُ أَشْيَاءَ أَخَافُهَا عَلَيْكَ ، أَفَاسْكُتُ مُطِيعاً أَمْ أَقُولُ مُشْفِئاً ؟ قَالَ : كُلُّ  
 مَقْبُولٍ مِنْكَ ، وَلِلَّهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٌ نَحْنُ صَائِرُونَ إِلَيْهِ . فَقُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ .  
 وَقَالَ الوليدُ إِذَا أَكْثَرَ النَّاسُ الْقَوْلَ فِيهِ :

خُذُوا مُلْكَكُمْ لَا تَنْتَبِثْ اللَّهُ مُلْكَكُمْ ثَبَاتًا يُسَاوِي مَا حَيَّيْتُ عِقَالًا<sup>(٥)</sup>  
 دَعُوا لِي سُلَيْمِي مَعَ طَلَاءٍ وَقَيْنِيَّةٍ وَكَأْسٍ<sup>(٦)</sup> ، أَلَا حَسْبِي بِذَلِكَ مَا لَا  
 أَبَالُمُلْكَ أَرْجُو أَنْ أَخْلُدَ فِيكُمْ أَلَا رَبُّ مُلْكٍ قَدْ أُزِيلَ فَرَالَا  
 أَلَا رَبُّ دَارٍ قَدْ تَحْمَلُ أَهْلَهَا فَأُخِصْتُ قَفَارًا وَالْقِفَارُ<sup>(٧)</sup> حِلَالَا  
 قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْرَقُ : دَخَلْتُ عَلَى مَنْصُورِ بْنِ جُهْوَ السَّكَلَبِيِّ<sup>(٨)</sup> بَعْدَ  
 قَتْلِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ ، وَعِنْدَهُ جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْوَلِيدِ ، فَقَالَ لِي : أَسْمِعْ مِنْ  
 هَاتَيْنِ الْجَارِيَتَيْنِ مَا يَقُولَانِ . قَالَتَا : قَدْ حَدَّثْنَاكَ . قَالَ : بَلْ حَدَّثَاهُ كَمَا حَدَّثْتَانِي .  
 قَالَتْ إِحْدَاهُمَا : كُنَّا أَعَزَّ جَوَارِيهِ عِنْدَهُ ، فَتَسَكَّحَ هَذِهِ وَجَاءَ الْمُؤَدِّثُونَ يُوْذِنُونَهُ  
 بِالصَّلَاةِ ، فَأَخْرَجَهَا وَهِيَ سَكْرَى جُنْبَةً مَتَلَثِّمَةً فَصَلَّتْ بِالنَّاسِ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « يَنْوَالُهُمْ بِعَطُونِهَا » .

(٢) فِيمَا مَرَّ (ج ١ ص ١٢) مِنْ هَذِهِ الطَّبَعَةِ : « عَمْرُو بْنُ عُتْبَةَ » وَانْظُرِ الْحَاشِيَةَ  
 (رَقْم ٨) فِي الْمَوْضِعِ الْمُنْتَدِمِ .

(٣) كُنْذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : وَفِيمَا مَرَّ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَعَيُونُ الْأَخْبَارِ (ج ٢ ص ٩٢) .  
 وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصُولِ : « الْأَمْنُ » .

٣٠

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَتُسَقِّنِي إِلَيْكَ » مَكَانَ « وَتُسَكَّنُنِي » .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ « قَبَالَا » .

(٦) فِي الْأَغَانِي (ج ٨ ص ٧٩ طَبْعَةُ دَارِ السَّكَبِ) : « وَالطَّلَاءُ وَقَيْنَةٌ وَكَأْسٌ »

(٧) فِي أَكْثَرِ الْأَصُولِ : « وَالْدِيَارُ خِلَالَا » .

(٨) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « مَنْصُورُ بْنُ جُهْوَ الْأَزْدِيُّ » . وَمَا أَثْبَتْنَا مِنْ سَائِرِ الْأَصُولِ  
 وَالطَّبَرِيِّ وَابْنِ عَسَاكِرَ (ج ٤ ص ٤١٩) . وَكَانَ خَرَجَ مَعَ يَزِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ ،  
 وَوَلَّاهُ يَزِيدُ الْعِرَاقَيْنِ وَجَمَعَ لَهُ الْمَصْرَيْنِ : السَّكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ . وَكَانَ مِنْ سَبِي  
 فِي قَتْلِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ .

٣٥

### مقتل الوليد بن يزيد

إسماعيل بن إبراهيم قال : حدثني عبد الله بن واقد الجرمي ، وكان شهيداً قتل الوليد ، قال : لما أجمعوا على قتله ، قلدوا أمرهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فخرج يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فأتى أخاه العباس ليلاً فشاوره في قتل الوليد ، فنهاه عن ذلك ، فأقبل يزيد ليلاً حتى دخل دمشق في أربعين رجلاً ، فكسروا باب المقصورة ، ودخلوا على واليها فأوثقوه ، وحمل يزيد الأموال على العجل إلى باب المضمار ، وعقد لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ونادى مناديه : من أنتدب إلى الوليد فله ألفان ، فأنتدب معه الفارجل ، وضم مع عبد العزيز بن الحجاج يعقوب بن عبد الرحمن ، ومنصور بن جمهور<sup>(٢)</sup> . وبلغ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ذلك ، فتوجه من البلقاء إلى حمص ، وكتب إلى العباس بن الوليد أن يأتيه في جند من أهل حمص ، وهو منها قريب ، وخرج الوليد حتى انتهى إلى قصر في بركة ورمل من تدبر على أميال ، وصبتحت الخيل الوليد بالبحراء<sup>(١)</sup> . وقدم العباس بن الوليد بغير خيل ، فحبسه عبد العزيز ابن الحجاج خلفه ، ونادى منادى عبد العزيز : من أتى العباس بن الوليد فهو آمن ، وهو بيننا وبينكم . وظن الناس أن العباس مع عبد العزيز ، فتفرقوا عن الوليد ، وهجم عليه الناس . فكان أول من هجم عليه السري بن زياد بن أبي كبشة السكسكي ، وعبد السلام اللخمي ، فأهوى إليه السري بالسيف ، وضربه عبد السلام على قرنه فقتل .

قال إسماعيل : وحدثني عبد الله بن واقد قال : حدثني يزيد بن أبي فروة مولى بني أمية ، قال : لما أتى يزيد برأس الوليد بن يزيد ، قال لي : انصبه للناس ، قلت : لا أفعل ، إنما ينصب رأس الخارج . خلف لئيبين ولا ينصبه

(١) في بعض الأصول : « الصخراء » . . ( انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٥٢ من هذا الجزء ) .

(٢) انظر الحاشية ( رقم ٨ ص ٤٦٠ ) . من هذا الجزء .

غبرى . فوُضع على رُمح ونُصب على دَرَج مَسْجِد دِمَشق . ثم قال : أذهب ٣٤٦  
فطُف به في مدينة دِمَشق .

خليفة بن خياط قال : حَدَّثَنِي الوليد بن هشام عن أبيه قال : لما أحاطوا  
بالوليد أخذ المصحف وقال : أقتل كما قُتل ابن عمي عثمان .

أبو الحسن المدائني قال : كان الوليد صاحبَ لُهو وصَيِّد وشَراب ولذات .  
فلما ولي الأمرَ جعل يَكْره المَواضع التي يراه الناسُ فيها ، فلم يدخل مَدِينَةَ  
من مَدائن الشَّام حتى قُتل ، ولم يزل يَتَنَقَّل ويتصَيَّد حتى ثَقُل على الناس وعلى  
جُنْدِهِ . وأشدُّ على بني هشام <sup>(١)</sup> وأضرَّ بهم ، وصَرَب سليمان بن هشام مائة سوط ،  
وحلق رأسه وإِيجيته ، وغَرَبَه إلى عُمان ، فلم يزل مَحْبُوساً حتى قُتل الوليد . وحَبَسَ  
يزيد بن هشام ، وهو الأَقَم ، فرماه بنو هشام <sup>(١)</sup> وبنو الوليد . وكان أشدَّهم قولا  
فيه يزيد بن الوليد ، وكان الناسُ إلى قوله أَمِيل ، لأنه كان يُظْهِرُ النَّسَك . ولما  
دفع الوليدُ خالد بن عبد الله القسريَّ إلى يوسف بن عمر فقتله ، غَضِبَتْ لَهُ  
الْيَمَانِيَّة كُلُّهَا وَغَيْرُهُمْ ، فَأَتَوْا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فأَرَادُوهُ عَلَى الْبَيْعَةِ  
وخلع الوليد ، فَأَمْتَنَعَ عَلَيْهِمْ وَخَافَ أَنْ لَا تُتَابِعَهُ النَّاسُ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ النَّاسُ بِهِ  
حتى بايعوه سِرًّا .

ولما قُتل الوليد بن يزيد قام يزيد بن الوليد خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه  
ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ أَشْرَأَ وَلَا بَطَرَأَ ، وَلَا حِرْصاً عَلَى الدُّنْيَا ،  
وَلَا رَغْبَةً فِي الْمُلْكِ ، وَمَا بِي إِطْرَاءُ نَفْسِي ، وَتَرْكِيَّةُ عَمَلِي ، وَإِنِّي لَمُظْلَمٌ لِنَفْسِي  
إِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي رَبِّي ، وَلَكِنِّي خَرَجْتُ غَضَباً لِّلَّهِ وَدِينِهِ ، وَدَاعِيَا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ  
وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، حِينَ دَرَسْتُ مَعَالِمُ الْهُدَى ، وَطَفِي نُورُ التَّقْوَى ، وَظَهَرَ الْجَبَّارُ  
الْعَنِيدُ ، الْمُسْتَحِلُّ لِلْحُرْمَةِ ، وَالرَّاكِبُ لِلْبِدْعَةِ ، وَالْمُغَيِّرُ لِلْسُنَّةِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ  
أَشْفَقْتُ أَنْ غَشِيَتْكُمْ ظُلْمَةٌ لَا تُقْلَعُ عَنْكُمْ ، عَلَى كَثَرَةِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَقَسْوَةِ مِنْ

(١) في بعض الأصول : « بني هاشم » .



قلوبكم ، وأشفقتُ أن يدعوا كثيرا من الناس إلى ما هو عليه فيجيبه من أجابه  
منكم ، فاستخرتُ الله في أمري ، وسألتُهُ أن لا يَكَلِّفني إلى نفسي ، ودعوتُ  
إلى ذلك مَنْ أَجَابني من أهل وأهل ولايتي ، وهو ابنُ عَمِّي في نسبي ، وكُفِّنِي  
في حَسْبِي ، فأراح الله منه العباد ، وطَهَّر منه البلاد ، ولَايَةً من الله وَعَوْنًا<sup>(١)</sup> ، بلا  
حَوْلٍ مِنَّا وَلَا قُوَّةَ ، وَلَكِنْ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ، وولايته وَعَوْنِهِ<sup>(٢)</sup> . أيها الناس :  
إِن لَكُمْ عَلَيَّ إِنْ وَلَّيْتُ أُمُورَكُمْ أَنْ لَا أَضَعَّ لِبَنَةِ عَلِيٍّ لِبْنَةً ، وَلَا حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ ،  
وَلَا أَثْقُلَ مَا لَا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، حَتَّى أَسُدَّ ثَغْرَهُ ، وَأَقْدِمَ بَيْنَ أَهْلِهِ مَا يَقْوُونَ بِهِ ،  
فَإِنْ فَضَلَ رَدُّهُ إِلَى أَهْلِ الْبَلَدِ الَّذِي يَلِيهِ ، وَمَنْ هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ  
الْمُهَيْمِنَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَكُونُوا فِيهِ سَوَاءً ، وَلَا أُجَرِّكُمْ فِي بُعُوثِكُمْ<sup>(٣)</sup> فَتَفْتَنُوا  
وَيُفْتِنَ أَهَالِيَكُمْ ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ بَيْعَتِي عَلَى الَّذِي بَذَلْتُ لَكُمْ فَأَنَا لَكُمْ بِهِ ، وَإِنْ  
مِلْتُ فَلَا بَيْعَةَ لِي عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَحَدًا هُوَ أَقْوَى عَلَيْهَا مِنِّي فَأَرْدْتُمْ بَيْعَتَهُ فَأَنَا  
أَوْلُ مَنْ يَابِيعُ وَدَخَلَ فِي طَاعَتِهِ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

وقال خالفُ بن خليفة في قتل الوليد بن يزيد : لَقِيتُ<sup>(٤)</sup> خالد بن عبد الله :  
لَقَدْ سَكَّغْتُ كَلْبًا وَأَسَيَّافًا<sup>(٥)</sup> مَذْهَجَ صَدْدِي كَانَ يَرْقُو<sup>(٦)</sup> لَيْلَهُ غَيْرَ رَاقِدٍ  
تَرَكَنَا<sup>(٧)</sup> أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ<sup>(٨)</sup> مُكَبِّئًا عَلَى خَيْشُومِهِ غَيْرَ سَاجِدٍ  
فَإِنْ تَقَطَّعُوا مِنَّا مَنَاطَ قِلَادَةٍ قَطَعْنَا بِهَا مِنْكُمْ مَنَاطَ قِلَادَةٍ  
وَإِنْ تَشَقَّلُوا عَنْ أَذَانٍ<sup>(٩)</sup> فَإِنَّا شَقَلْنَا الْوَالِيدَ عَنْ غِنَاءِ الْوَلَادِ

(١) فيما سبق من هذا الجزء (ص ٩٦) . « وعزما » .

(٢) فيما سبق من هذا الجزء (ص ٩٦) . « وعزته » .

(٣) جر الجيش : حبسه في أرض العدو ولم يفرقه . وفي بعض الأصول : « ولا أحد يعوزكم » .

(٤) في بعض الأصول : « يقول في قتل » مكان « لقيت » .

(٥) في الطبري (ج ٦ ص ٥٦٣) طبعه الاستقامة : « وإسباق » .

(٦) زفا الصدى : صاح .

(٧) في بعض الأصول : « تركن » . (٨) في بعض الأصول : « جلية » .

(٩) كذا في بعض الأصول ، والذي في سائر الأصول والطبري : « وإن تشقلوا عن ندانا » .

## ولاية يزيد الناقص

نم يُويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك في أول رجب سنة ست وعشرين ومائة. وأمه أبنة يزْدجرد بن كسرى<sup>(١)</sup>، سماها قتيبة بن مسلم بخراسان وبعث بها إلى الحجاج بن يوسف، فبعث بها الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك، فأتخذها فولدت له يزيد الناقص، ولم تلد غيره. ومات يزيد بن الوليد بدمشق لعشرين بقين من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة، وهو ابن خمس وثلاثين سنة. وصلى عليه أخوه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك.

قال عبد العزيز: يُويع وهو ابن تسع وثلاثين سنة، ومات ولم يبلغ الأربعين، وعلى شرطته بكير بن الشماخ اللخمي<sup>(٢)</sup>. وكاتب الرسائل ابن سليمان ابن سعد<sup>(٣)</sup>. وعلى الحجاج والجند والخاتم الصغير والحرس النضر بن عمرو، من أهل اليمن. وعلى خاتم الخلافة عبد الرحمن بن حميد الكلبي، ويقال قطن، مولاه.

وكتب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد بالجزيرة، وبلغه عنه تلكا في بيعته: أما بعد. فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فأعتمد على أيهما شئت، والسلام. ثم قطع إليه البعوث<sup>(٤)</sup>، وأمرهم بالعطاء. فلم ينقص عطاؤهم حتى مات يزيد.

ولما بلغ مروان أن يزيد قطع البعوث إليه كتب ببيعته، وبعث وفدًا

(١) الذي في الطبري أن اسمها شاه آفريد بنت فيروز بن يزْدجرد بن شهر بار بن كسرى. والذي في مروج الذهب أن أمه سارية بنت فيروز.

(٢) في بعض الأصول: «بكير بن عثمان الحسيني».

(٣) هو ثابت بن سليمان بن سعد الحشني، كما في الطبري. وفي بعض الأصول: «ابن أبي سليمان».

(٤) البعوث: جمع بعث (بالفتح وبمحر) : الجيش؛ ويقال: قطع بعثًا، إذا أفرد قوماً يبعثهم في الغزو وبعينهم من غيرهم.

عليهم سليمان بن علانة العقيلي<sup>(١)</sup>. فخرج ، فلما قطعوا الفرات لقيهم يزيد بموت يزيد ، فانصرفوا إلى مروان بن محمد ، والله أعلم .

### ولاية إبراهيم بن الوليد المخلوع

العلاء بن يزيد بن سنان قال : حدثني أبي قال : حضرت يزيد بن الوليد حين حضرته الوفاة فأتاه قطن ، فقال : أنا رسول من وراء بابك ، يسألونك بحق الله لو وليت أمرهم أخاك إبراهيم بن الوليد . فقضب وضرب بيده على جبهته وقال : أنا أولى إبراهيم ! ثم قال لي : يا أبا العلاء ، إلى من ترى أن أعهد ؟ قلت : أمرتني عن الدخول في أوله ، فلا أشير عليك بالدخول في آخره . قال : فأصابته إغماءة حتى ظننت أنه قد مات ، ففعل ذلك غير مرة ، ثم خرجت من عنده . ١٠

فقعد قطن وأفتعل عهدا على لسان يزيد بن الوليد لإبراهيم بن الوليد ، ودعا ناسا فأشهدهم عليه . قال : والله ما عهد إليهم يزيد شيئا ولا إلى أحد من الناس<sup>(٢)</sup> . وقال يزيد في مرضه : لو كان سعيد بن عبد الملك قريبا متى لرأيت فيه رأيي .

وفي رواية أبي الحسن المدائني ، قال : لما مرض يزيد قيل له : لو بايعت لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج بعده ؟ فقال له قيس بن هاني العبسي : أتق الله يا أمير المؤمنين ، وانظر لنفسك ، وأرض الله في عباده ، فأجعل ولي عهدك عبد الملك بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . فقال يزيد : لا يسألني الله عن ذلك ، ولو كان سعيد بن عبد الملك متى قريبا لرأيت فيه رأيي . ٢٠ وكان يزيد يرى رأى القدرية ويقول بقول غيلان . فألحت القدرية عليه

(١) الذي في الطبري : « محمد بن عبد الله بن علانة العقيلي » .

(٢) في بعض الأصول : « فقعد قطن فافتعل عهدا على لسان يزيد بن الوليد ودعا ناسا فأشهدهم عليه ، فقال : إني والله ما أعهد إلى إبراهيم ولا إلى أحد من الناس » .

وقالوا : لا يحل لك إهمالُ أمر الأمة ، فبايع لأخيك إبراهيم بن الوليد  
واعبد العزيز من بعده . فلم يزالوا به حتى بايع لإبراهيم بن الوليد واعبد العزيز  
من بعده .

ومات يزيدُ لعشرِ بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة . وكانت  
ولايته خمسة أشهر وأثنى عشر يوماً<sup>(١)</sup> .

فلما قدم مروانُ نبشَ يزيدَ من قبره وصلبه . وكان يُقرأ<sup>(٢)</sup> في السكتب :  
يا مُبْدِرَ السُّكُونِ ، يا سَجَّاداً بالأَسْحَارِ ، كانت ولايتك لهم رحمة ، وعليهم حُجَّة .  
نبشوك فصلبوك .

وبويع إبراهيم بن الوليد ، وأمه بَرْبَرِيَّة ، فلم يتم له الأمر ، وكان يدخل  
عليه قومٌ فيسلّمون بالخلافة ، وقوم يسلمون بالإمرة ، وقوم لا يسلمون بخلافة ١٠  
ولا إمرة ، وجماعة تُبايع ، وجماعة يُأبون أن يبايعوا . فسكت أربعة أشهر ،  
حتى قدم مروانُ بن محمد فخلع إبراهيم وقتل عبد العزيز بن الحجاج ، وولى  
الأمر بنفسه .

وفي رواية خليفة بن خثياط قال : لما أتى مروان بن محمد وفاة يزيد بن  
الوليد دعا قيساً وربيعة ، ففرَضَ لستة وعشرين ألفاً من قيس ، وسبعة آلاف ١٥  
من ربيعة ، وأعطاهم أعطياتهم ، وولى على قيس إسحاق بن مسلم العُقَيْلي ،  
وعلى ربيعة المُساوِر بن عُقبة ، ثم خرج يريد الشام ، وأستخلف على الجزيرة أخاه  
عبد العزيز بن محمد بن مروان ، فتلَقاه وجوه قيس<sup>(٣)</sup> : الوثيق بن الهذيل بن زفر ،  
وزيد بن عمر<sup>(٤)</sup> بن هُبيرة الفَرَارِي ، وأبو الوَرْد بن الهذيل بن زفر ، وعاصم بن  
عبد الله بن يزيد الهَلَالِي ، في خمسة آلاف من قيس . فساروا معه حتى قدم ٢٠  
حلب ، وبها بشر ومسرور ، ابنا الوليد بن عبد الملك ، أرسلهما إبراهيم بن

(١) تقدم هذا الخبر ( ص ٤٦٤ ) من هذا الجزء .

(٢) في البيان ( ج ٢ ص ٧٠ ) : « وكانوا يقرءون في السكتب » .

(٣) في بعض الأصول : « قریش » .

(٤) في بعض الأصول : « عمرو » . والتصويب من سائر الأصول والطبرى .

الوليد حين بلغه مسير مروان بن محمد ، فالتقوا ، فانهزم بشر و مسرور من ابن محمد من غير قتال ، فأخذها مروان فحبسهما عنده . ثم سار مروان حتى أتى حصن ، فدعاهم للمسير معه والبيعة لولي العهد . الحسك وعثمان ، ابني الوليد بن يزيد ، وهما محبوبان عند إبراهيم بن الوليد بدمشق ، فبايعوه ، وخرجوا معه حتى أتى عسكر سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد قتال شديد . وبلغ عبد العزيز ابن الحجاج بن عبد الملك ما لقي سليمان وهو معسكر في ناحية عين<sup>(١)</sup> الجر ، فأقبل إلى دمشق ، وخرج إبراهيم بن الوليد من دمشق ، ونزل بباب الجابية وتنهياً للقتال ، ومعه الأموال على العجل ، ودعا الناس فخذلوه . وأقبل عبد العزيز ابن الحجاج وسليمان بن الوليد فدخلا مدينة دمشق يريدان قتل الحسك وعثمان ابني الوليد وهما في السجن . وجاء يزيد بن خالد بن عبد الله القسري فدخل السجن فقتل يوسف بن عمر ، والحسك وعثمان ابني الوليد بن يزيد ، وهما الحاملان<sup>(٢)</sup> ، وأتاهم رسول إبراهيم ، فتوجه عبد العزيز بن الحجاج إلى داره ليخرج عياله ، فثار به أهل دمشق فقتلوه واحترقوا رأسه ، فأتوا به أبا محمد بن عبد الله بن يزيد ابن معاوية<sup>(٣)</sup> ، وكان محبوباً مع يوسف بن عمر وأصحابه ، فأخرجوه ووضعوه على المنبر في قيوده ، ورأس عبد العزيز بين يديه ، وحلوا قيوده . فخطبهم وبايع مروان وشتم يزيد وإبراهيم ابني الوليد ، وأمر بجثة عبد العزيز فصلبت على باب الجابية منكوساً ، وبعث برأسه إلى مروان بن محمد . واستأمن أبو محمد لأهل دمشق ، فأقامهم مروان ورضى عنهم . وبلغ إبراهيم فخرج هارباً حتى أتى

(١) عين الجر : موضع معروف بالبقيع بين بعلبك ودمشق . وفي بعض الأصول وابن عساكر ( ج ٤١ ص ١٨٣ ) تيمور : « في ناحية أخرى » . وفي سائرهما : « الرى » تحريف . والعبارة كما في ابن عساكر : « حتى أتى عسكر سليمان بن هشام ابن عبد الملك بالعدراء ( قرية بفرطة دمشق ) فانهزم سليمان بن هشام بعد قتال شديد . وبلغ عسكر العزيز ... في ناحية أخرى » . وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

(٢) كذا في بعض الأصول وابن عساكر . والذي في سائر الأصول : « غلامان » .

(٣) انظر الحاشية رقم ( ١ ) ص ٤٤٩ من هذا الجزء .

مروان فبايعه وخلع نفسه ، فقبل منه وأمنه ، فسار إبراهيم فنزل الرقة على شاطئ الفرات ، ثم أتاه كتاب سليمان بن هشام يستأمنه ، فأمنه ، فأناه فبايعه . وأستقامت لمروان بن محمد . وكانت ولاية إبراهيم بن الوليد الخلع أشهرأ . قال أبو الحسن : شهرين ونصفا .

### ٥ ولاية مروان بن محمد بن مروان

ثم بويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم . أمه بنت إبراهيم بن الأشتر . قال بعضهم : بل كانت أمه خنيزار لمصعب بن الزبير أو لأبن الأشتر . واسم الخنيزار رزبا ، وقال بعضهم : كان رزبا عبداً لمسلم بن عمرو<sup>(٥)</sup> الباهلي . وقال أبو العباس الهلالي<sup>(١)</sup> حين دخل على أبي العباس السفاح : الحمد لله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النخع ابن عم رسول صلى الله عليه . وسلم وابن عبد المطلب . وكان مروان بن محمد أحزم بني مروان وأنجدهم وأبلغهم ، ولكنه ولي الخلافة والأمر مدبر عنهم .

ودفع إلى مروان أبيات قالها الحكم بن الوليد وهو محبوس ، وهي :

ألا فتيان من مضر فيحجموا أسارى في الحديد مكبلينا  
أنذهب عامرٌ بدمي وملكي<sup>(٢)</sup> فلا غنا أصبت ولا تميننا  
فإن أهلك أنا وولي عهدي فروان أمير المؤمنين  
فأرث لا أدمتك حرب قيس فتخرج منهم الداء الدفيننا  
ألا من مبلغ مروان عني وعمى القمّر طال هذا حنيننا  
بأني قد ظلمت وطال حبسي لدى البغراء<sup>(٣)</sup> في إحفر مهيننا

٢٠

(١) في بعض الأصول « مسلم بن عمر الباهلي » .

(٢) في الطبري ( ٣ : ٥١ ) : « عبد الله بن عياش المتوف » .

(٢) في الطبري ( ٢ : ١٨٩١ ) ؛ « أذهب كلهم بدمي ومالي » .

(٣) في بعض الأصول : « الحضراء » .

وَقَتْلُ مَرْوَانَ بُبُوصِيرٍ<sup>(١)</sup> مِنْ أَرْضِ مِصْرَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةً .

الوليد بن هشام عن أبيه ، وعبد الله بن المغيرة عن أبيه ، وأبو اليقظان قالوا :  
وُلِدَ مَرْوَانُ بِالْجَزِيرَةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، وَقُتِلَ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مِصْرَ يُقَالُ لَهَا  
بُوصِيرٌ ، يَوْمَ الْخَمِيسِ لِحَسِّ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةً .  
وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ خَمْسَ سَنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرَ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ ، وَأُمُّ مَرْوَانَ أُمَةُ لِمُصْعَبِ  
ابْنِ الزُّبَيْرِ . وَقُتِلَ وَهُوَ ابْنُ سِتِينَ سَنَةً .

#### ولد مروان

عبدُ الملك ، ومحمد ، وعبد العزيز ، وعبيد الله ، وعبد الله ، وأبان ، ويزيد ،  
ومحمد الأصغر ، وأبو عثمان .

وكاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعيد ، مولى بنى عامر بن لُؤى ، وكان معلماً .  
وكان على القضاء سليمان بن عبد الله بن عُلَاثَةَ ، وعلى شرطته السكوتر بن عُتْبَةَ  
وأبو الأسود الغنوى . وكان للحرس نُوبٌ ، فى كل ثلاثة أيام نوبة ، يلى ذلك  
صاحبُ النَّوْبَةِ . وعلى حِجَابَتِهِ صَقْلًا وَمَقْلَاصٌ . وعلى الخاتم الصغير عبدُ الأعلى  
ابن ميمون بن مهران ، وعلى ديوان الجند عمران بن صالح ، مولى بنى هُذَيْل .

#### مقتل مروان بن محمد بن مروان

قالوا : والتقى مروان وعامرُ بن إسماعيل بُبُوصِيرَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ، فَقَاتَلُوهُم  
لَيْلًا ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَعَبِيدُ اللَّهِ ، ابْنَا مَرْوَانَ ، وَاقْفَانُ نَاحِيَةٍ فِي جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ،  
فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ خُرَاسَانَ فَأَزَالُوهُمْ عَنْ سَمَائِكِهِمْ ، ثُمَّ كَرَّوْا عَلَيْهِمْ فَهَزَمُوهُمْ حَتَّى

٢٠ (١) أبو صير ( بكسر الصاد وواو ساكنة وراء ) : اسم لأربع قرى بمصر : بوصير  
( قوزيدس ) من كورة الأشمونين ، وبوصير ( السدر ) ، بليدة فى كورة الجيزة ،  
وبوصير ( دفدنو ) من كورة الفيوم ، وبوصير ( بنا ) ، من كورة السمنودية . والأولى  
هى التى قتل بها مروان . ( انظر معجم البلدان ) .

رَدُّوهم إلى عَسْكَرهم ورجعوا إلى موقفهم . ثم إن أهل الشام بدَّوهم فعملوا على  
 أهل خراسان ، فسكشفوا كَشْفًا قَبِيحًا ، ثم رجعوا إلى أمَّاكنهم ، وقد مضى  
 عُبَيْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ اللَّهِ ، فلم يروا أحدا من أصحابهم ، فمَضَوْا على وجوههم وذلك في  
 السَّحَرِ . وَقُتِلَ سُرَوَانُ وَأَنْهَزَمَ النَّاسُ ، وَأَخَذُوا عَسْكَرَ سُرَوَانِ وَمَا كَانَ فِيهِ ،  
 وَأَصْبَحُوا فَاتَّبَعُوا الْقُلَّ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ ، فَجَعَلُوا يَقْتُلُونَ مَنْ قَدَّرُوا عَلَيْهِ ، وَرَجَعَ ٥  
 أَهْلُ خِرَاسَانَ عَنْهُمْ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ لَحِقَ النَّاسُ بِعَبْدِ اللَّهِ وَعُبَيْدِ اللَّهِ ابْنَيْ سُرَوَانَ  
 وَجَعَلُوا يَأْتُونَهُمَا مُتَقَطِّعِينَ الْعَشْرَةَ وَالْعَشْرِينَ وَأَكْثَرَ . وَأَقْلَّ<sup>(١)</sup> ، فَيَقُولَانِ : كَيْفَ  
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : تَرَكْنَاهُ يُقَاتِلُهُمْ ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : الْحَازِ وَنَابَ إِلَيْهِ  
 قَوْمٌ ، وَلَا يَنْمُونَهُ ، حَتَّى أَتَوْا الْحَرُونَ ، فَقَالَ : كُنْتُ مَعَهُ أَنَا وَمَوْلَى لَهُ فَضَرَعَ  
 فُجِرَتْ رِجْلُهُ ، فَقَالَ : أَوْجَهْتَنِي . فَقَاتَلَتْ أَنَا وَمَوْلَاهُ عَنْهُ<sup>(٢)</sup> ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ سُرَوَانُ ، ١٠  
 فَالْحَجُوا عَلَيْهِ ، فَتَرَكْنَاهُ وَلَحِقْتُ بِكُمْ . فَبَسَى عَبْدُ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ عُبَيْدُ اللَّهِ :  
 يَا أَلَمَ النَّاسُ ! فَرَرْتَ عَنْهُ وَتَبَسَّى عَلَيْهِ ! وَمَضُوا . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانُوا أَرْبَعَةَ  
 آلَافٍ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ ؟ كَانُوا أَلْفَيْنِ . فَأَتَوْا بِلَادَ النَّوْبَةِ ، فَأَجْرَى عَلَيْهِمْ مَلَكُ  
 النَّوْبَةِ مَا يُصْلِحُهُمْ ، وَمَعَهُمْ أُمُّ خَالِدِ بْنِ يَزِيدٍ وَأُمُّ الْحَكَمِ بِنْتُ عُبَيْدِ اللَّهِ  
 — صَبِيَّةٌ جَاءَ بِهَا رَجُلٌ مِنْ عَسْكَرِ سُرَوَانَ حِينَ أَنْهَزَمُوا فَنَدَعَمَهَا إِلَى أَبِيهَا — ١٥  
 ثُمَّ أَجْعَلَ ابْنَا سُرَوَانَ عَلَى أَنْ يَأْتِيَا الْيَمِينَ وَقَالَا : نَأْتِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهَا الْمَسُودَةُ<sup>(٣)</sup> ،  
 فَتَنْتَحِصْنَ<sup>(٤)</sup> فِي حُصُونِهَا وَتَدْعُو النَّاسَ . فَقَالَ لَهُمْ صَاحِبُ الثُّوبَةِ : لَا تَفْعَلُوا ، إِنَّكُمْ  
 فِي بِلَادِ السُّودَانَ وَهُمْ فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ ، وَلَا آمَنَ عَلَيْكُمْ ، فَأَقِيمُوا ، فَأَبَوْا . قَالَ :  
 فَارْكَبُوا إِلَيَّ كِتَابًا ، فَسَكَنُوا لَهُ : إِنَّا قَدِمْنَا بِلَادَكُمْ فَأَحْسَنْتَ مَشْوَانَا وَأَشْرْتَ  
 عَلَيْنَا أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ بِلَادِكَ فَأَبَيْنَا وَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ وَأَفْرَيْنَ رَاضِيَيْنِ شَاكِرَيْنِ  
 لَكَ بِطَيْبِ أَنْفُسِنَا . وَخَرَجُوا ، فَأَخَذُوا فِي بِلَادِ الْعَدُوِّ . فَكَانُوا رُبَّمَا عَرَضُوا لَهُمْ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَيَقُولُونَ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عَلَيْهِ » . (٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « السُّودَانَ » .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فَلْتَنْتَحِصْنَ » .



ولا يأخذون منهم إلا السلاح ، وأكثرت [من] ذلك لا يعرضون له <sup>(١)</sup> . حتى أتوا بعض بلادهم ، فتلقاهم عظيمهم فأحتبسهم ، فطلبوا الماء ، فمنعهم ولم يُقاتلهم ولم يُخلهم وعطشهم ، وكان يبيعهم القزبة بخمسين درهما ، حتى أخذ منهم مالا عظيما . ثم خرجوا فصاروا حتى عرض لهم جبل عظيم بين طريقين ، فسلك عبد الله أحدهما في طائفة ، وسلك عبيد الله الآخر في <sup>(٢)</sup> طائفة أخرى ، وظنوا أن للجبل غاية يقطعونها ثم يجتمعون <sup>(٣)</sup> عند آخرها ، فلم يلتقوا . وعرض قوم من العدو لعبيد الله وأصحابه فقاتلهم ، فقتل عبيد الله ، وأخذت أم الحكم بنته ، وهي صبيبة ، وقتل رجل من أصحابه ، وكفوا عن الباقيين وأخذوا سلاحهم . وتقطع الجيش ، فحملوا يتفككون العمران فيأتون الماء فيقيمون عليه الأيام ، فتَمَضَى طائفة وتقيم الأخرى <sup>(٤)</sup> ، حتى بلغ العطش منهم ، فكانوا ينحرون الدابة فيقطعون أكراسها فيشربونه ، حتى وصلوا إلى البحر بحيال المندب <sup>(٥)</sup> ، ووافاهم عبد الله وعليه مقرمة <sup>(٦)</sup> قد جاء بها . فكانوا جميعا خمسين أو أربعين رجلا ، فيهم الحجاج بن قتيبة بن مسلم الحرون ، وعفان ، مولى بني هاشم <sup>(٧)</sup> ، فعبّر التجار السفن ، فعبروا بهم إلى المندب <sup>(٨)</sup> ، فأقاموا بها شهرا فلم تحملهم ، فخرجوا إلى مكة . وقال بعضهم : أعلم بهم العامل فخرجوا مع الحجاج عليهم ثياب غلاظ وجباب <sup>(٩)</sup> الأكرياء ، حتى وافوا جدة وقد تقطعت أرجلهم من المشى . فروا بقوم ، فرقوا لهم فحملوهم . وفارق الحجاج عبد الله بجدة . ثم حجوا وخرجوا من مكة إلى تبالة <sup>(١٠)</sup> . وكان علي عبد الله فصا حمر كان قد غيبه حين عبر إلى المندب ،

(١) في أكثر الأصول : « لهم » . (٢) في بعض الأصول : « مع » .

(٣) في بعض الأصول : « يجتمعون بهم » .

(٤) في بعض الأصول : « طائفة » . (٥) في بعض الأصول : « علائمة بحيال المندب » .

(٦) المقرمة : ثوب من صوف ملون فيه ألوان من العهن ، وهو صفيق يتخذ سترا .

(٧) في بعض الأصول : « مولى بني سلم » .

(٨) في أكثر الأصول : « فعبروا إليهم البحر في السفن فمشوا إلى المندب » .

(٩) في بعض الأصول : « وثياب » .

(١٠) تبالة : بلدة مشهورة من أرض تهامة بينها وبين مكة اثنتان وخمسون فرسخا .

فلما أُمن استخرجه ، وكانت قيمته ألف دينار ، وكان يقول وهو يمشى : ليت به دابة حتى صار في مقربة<sup>(١)</sup> تكون عليه بالنهار ويلبسها بالليل . فقالوا : ما رأينا مثل عبد الله ، قاتلوا فكان أشد الناس ، ومشوا فكان أقوام ، وجاعوا فكان أصبرهم ، وعمرؤا فكان أحسنهم عرياً . وبعث ، وهو بالمندب ، إلى العدو الذين أخذوا أم الحكم بنت أخيه عبيد الله ففدأها وردّها إليه ، فكانت معه . ثم أخذ عبد<sup>(٢)</sup> الله فقدم به على المهدي ، فجاءت امرأته بنت يزيد بن محمد بن مروان بن الحكم ، فكلمت العباس بن يعقوب ، كاتب عيسى بن علي ، وأعطته لؤلؤاً ليكلّم فيه عيسى : فكلمه وأعلمه بما أعطته ، فلم يكلّم فيه عيسى بن علي المهدي ، وأراد المهدي أن يقتله<sup>(٣)</sup> ، فقال له عيسى : إن له في أعناقنا بيعة ، وقد أعطى كاتبى قيمة ثلاثين ألف درهم ، فحبسه المهدي<sup>(٤)</sup> .

وكان عبد الله بن مروان تزوج أم يزيد بنت يزيد بن محمد بن مروان ، وكانت في الحبس ، فلما أخرجهم العباس خرجت إلى مكة ، فأقامت بها ، وقدم عبد الله بن مروان سرّاً فتزوّجها .

وقال مولى مروان : كنت مع مروان وهو هارب ، فقال لي يوماً : أين عزبت عنا حلومنا في نسائنا ! ألا زوّجناهم من أكفأهن من قريش فكفينا مؤتمن اليوم .

وقال : بعض آل مروان ، ما كان شيء أنفع لنا في هربنا من الجوهر الخفيف الثمن الذي يساوي خمسة دنانير فما دون ، كان يخرج به الصبي والخادم فيبيعه ، وكنا لا نستطيع أن نظهر الجوهر الثمين الذي له قيمة كثيرة .

(١) في بعض الأصول . « في مرقعة » . وانظر الحاشية ( رقم ٦ ص ٤٧١ ) .

(٢) في بعض الأصول : « عبيد الله » تحريف .

(٣) في بعض الأصول : « أن يخليه » .

(٤) ذكر ابن عساكر هذه القصة منسوبة إلى عبيد الله ثم قال : وقد قيل إن الذي حكى هذه الحكاية عبد الله أخوه وعبيد الله قتلته النوبة ، وذكر أيضاً أن الذي كلف فيه المهدي إسماعيل بن علي ، إذ قال للمهدي حين أراد قتله : « في عتق له بيعة . قال : فإذا ترى ؟ قال : تنزله في دار من دورنا وتجرى عليه ما تجرى على مثله . قال : ففعل ذلك به . فوالله ما أدري أ مات في حبسه أم أطلقه المهدي » .

وقال مصعب بن الربيع الخثعمي كاتب مروان بن محمد : لما أنهزم مروان وظهر عبد الله بن علي على أهل الشام طلبت الأذن ، فأنا عنده يوماً جالس وهو متكئ<sup>(١)</sup> ، إذ ذكر مروان وأنهزاه ، فقال : شهدت القتال ؟ قلت : نعم ، أصلى الله الأمير ، وقال لي مروان : أحزر<sup>(٢)</sup> القوم ، فقلت : إنما أنا صاحب قلم ولست بصاحب حرب ، فأخذ يمتنه ويسره ثم نظر فقال لي : هم أثناعشر ألف رجل .

٣٥١  
٢  
٥

وقال مصعب : قيل لمروان : قد انتهى بيت المال الصغير . فأصرف يريد بيت المال . فقيل له : قد انتهى بيت المال الأكبر<sup>(٣)</sup> ، انتهى أهل الشام .

وقال أبو الجازود السلمي : حدثني رجل من أهل خراسان قال : لقينا مروان على الزاب ، فحمل علينا أهل الشام كأنهم جبال حديد ، فجعونا على الركب وأشرعنا الرماح ، فزالوا عنا كأنهم سحابة ، ومنحنا الله أكتافهم ، وانقطع الحشر مما يليهم حين عبروا ، فبقى عليه رجل من أهل الشام ، فخرج إليه رجل منا ، فقتله الشامي . ثم خرج إليه آخر فقتله ، حتى والى بين ثلاثة . فقال رجل منا : اطلبوا إلى سيفاً فاطعاً وترساً صلباً ، فأعطيناه ، ومشى إليه فضربه الشامي ، فأتقاه بالترس ، وضرب رجله فقطعهما وقتله ورجع ، فحملناه وكبرنا ، فإذا هو عبید الله السكابي .

١٥

سمي المنصور ذات ليلة فدكر خلفاء بني أمية وسيرهم . وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين ، وكانت همهم مع<sup>(٤)</sup> عظم شأن الملاك وجلالة قدره ، قصد الشهوات وإيثار اللذات والدخول في معاصي الله

(١) في بعض الأصول مكان قوله « وقال مصعب » إلى قوله « وهو متكئ » : « وقال

عبد الحميد بن يحيى بن سعيد البكاتب : كنت عند عبد الله بن علي ، وقد طلبت الأمن

فأمنني . فإني يوماً جالس عنده وهو متكئ » وقد روي ابن عساكر القصة لمصعب

(ج ٤١ ص ٤٣٥ — ٥٣٦) متفقاً مع أكثر الأصول .

(٢) الجزر : التقدير ، والفعل من باب نصر وضرب .

(٣) في بعض الأصول : « الأعظم » .

(٤) في بعض الأصول : « همهم من » .

- ومساخطه ، جهلاً باستدراج الله وأمننا لمسكره ، فسلبهم الله العز ، ونقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن علي : يا أمير المؤمنين ، إن عبد الله بن مروان لما دخل الثوبة هارباً فيمن تبعه ، سأل ملك الثوبة عنهم ، فأخبر ، فركب إلى عبد الله ، فكلّمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه ، وأزججه عن بلده ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك ؟
- ٥ فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة . فقال : يا أمير المؤمنين ، قدمنا أرض الثوبة وقد خبّر الملك بأمرنا ، فدخل على رجل أقرى الأنف طوال حسن الوجه ، فقعده على الأرض ولم يقرب الثياب . فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا ؟ قال : لأنّ ملك ويحقّ على الملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه الله .
- ثم قال : لأى شيء تشربون الخمر وهى محرمة عليكم ؟ قلت : اجتراً على ذلك .
- ١٠ عبيدنا وغلماننا وأتباعنا لأن الملك قد زال عنا<sup>(١)</sup> . قال : فلم تطؤون الزروع بدوابكم والفساد محرّم عليكم في كتابكم ؟ قلت : يفعل ذلك عبيدنا وأتباعنا مجاهلهم .
- قال : فلم تلبسوا اللّيباج والخمر وتستمعون الذهب والفضة ، وذلك محرّم عليكم ؟ قلت : ذهب الملك عنا وقتل أنصارنا ، فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا ، فلبسوا ذلك على السكره منا . قال : فأطرق ملياً وجعل يقلّب يده
- ١٥ وينكّث الأرض ويقول : عبيدنا وأتباعنا وقوم دخلوا في ديننا وزال الملك عنا ! يردده مراراً . ثم قال : ليس ذلك كذلك ، بل أنتم قوم قد استحلّتم ما حرّم الله ، وركبتم ما نهاكم عنه ، وظلمتم من ملككم ، فسلبكم الله العز ، وألبسكم الدلّ بذنوبكم ، والله فيكم نعمة لم<sup>(٢)</sup> تبلغ غايتها ، وأخاف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبني معكم ، وإنما الضيافة ثلاثة أيام ، فتزودوا
- ٢٠ ما احتجتم وأزّحلوا عن بلدى .

(١) العبارة في ابن عساكر (ج ٢٥ ص ٤٤٦) : « فعل ذلك عبيد وأتباع وأعاجم دخلوا في ملكنا من غير رأينا » .

(٢) في بعض الأصول : « لن » .

## أخبار الدولة العباسية

الهيثم بن عدي قال : حدثني ابن عياش<sup>(١)</sup> قال : حدثني بكير أبو هاشم ، مولى مسلمة<sup>(٢)</sup> قال : لم يزل لبني هاشم بيعة سرّ ودعوة باطنة منذ قتل الحسين ابن علي بن أبي طالب ، ولم يزل نسمع بخروج الرايات السود من خراسان وزوال ملك بني أمية حتى صار ذلك .

وقيل لبعض بني أمية : ما كان سبب زوال ملككم ؟ قال : اختلافنا فيما بيننا ، واجتماع المختلفين علينا .

الهيثم بن عدي قال : حدثني غير واحد ممن أدركت من المشايخ أن علي ابن أبي طالب أصر الأمر إلى الحسن ، فأصاره الحسن إلى معاوية ، وكره ذلك الحسين ومحمد بن الحنفية . فلما قتل الحسين بن علي صار أمر الشيعة إلى محمد بن الحنفية — وقال بعضهم : إلى علي بن الحسين — ثم إلى محمد بن علي ، ثم إلى جعفر بن محمد . والذي عليه الأكثر أن محمد بن الحنفية أوصى إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية . فلم يزل قائماً بأمر الشيعة يأتونه ويقوم بأمرهم ويؤدون إليه الخراج ، حتى استخلف سليمان بن عبد الملك ، فأتاه وافداً ومعه عدة من الشيعة ، فلما كله سليمان ، قال : ما كنت قط قرشياً يشبه هذا ، وما نطن الذي كنا نحدث عنه إلا حقاً ، فأجازه ، وقضى حوائجه وحوائج من معه . ثم شخص وهو يريد فلسطين ، فلما كان ببلاد لحم وجذام ضربوا له أبنية في الطريق ومعهم اللبن المسموم ، فسكناً مرّ يقوم قالوا : هل لكم في الشراب ؟ قال : جزيتم خيراً ، ثم بأخرين ، فعرضوا عليه ، فقال : هاتوا ، فلما

٣٥٢  
٢

١٠

١٥

٢٠

(١) في بعض الأصول : عباس . تحريف . (انظر المعارف لابن قتيبة ص ٢٦٧ طبعه أوربة) .

(٢) ذكر الطبري في تاريخه (٢ : ١٨٦٩) وياقوت في معجم البلدان (ج ٤ ص ٩٦٩) والسماعاني في كتابه الأنساب في رسم (الهرمز فرهي) بكيزا هذا ، ولم يصر واحد منهم إلى أنه ، مولى لمسلمة .

- شرب واستقر بجوفه ، قال لأصحابه : إني ميت فانظروا من القوم ؟ فنظروا فإذا هم قد قوضوا أبليتهم وذهبوا . فقال : ميلوا بي إلى ابن عمي ، وما أحسبني أدركه . فأسرعوا [ السير ] حتى أتوا الحميمة <sup>(١)</sup> من أرض الشَّراة ، وبها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فنزل به ، فقال : يا ابن عمي ، إني ميت ، وقد صرت إليك وأنت صاحب هذا الأمر ، ولذلك القائم <sup>(٢)</sup> به ، ثم أخوه من بعده ، والله ليؤمنن الله هذا الأمر حتى تخرج الرايات السود من قعر خراسان ، ثم ليغلبن [ على ] ما بين خصر موت وأقصى إفريقية ، وما بين الهند <sup>(٣)</sup> وأقصى فرغانة <sup>(٤)</sup> . فعليك بهؤلاء الشيعة واستوص بهم خيراً ، فهم دعائلك وأنصارك . ولتكن دعوتك خراسان ولا تمدها ، لاسيما مرو ؛ وأستبطن هذا الحي من اليمن ، فإن كل مُلك لا يقوم به فصيره إلى انتقاض ، وانظر هذا الحي من ربيعة فألحقهم بهم ، فإنهم معهم في كل أمر ؛ وانظر هذا الحي من قيس وتميم فأقصهم ، إلا من عصم الله منهم ، وذلك قليل ؛ ثم مرهم أن يرجعوا فليجعلوا اثني عشر نقيباً ، وبعدهم سبعين نقيباً ، فإن الله لم يصلح أمر بني إسرائيل إلا بهم ، وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم . فإذا مضت سنة الحمار فوجه رؤسك في خراسان ، منهم من يُقتل ومنهم من ينجو ، حتى يظهر الله دعوتكم . قال محمد بن علي : يا أباهاشم ، وما سنة الحمار ؟ قال : إنه لم تمض مائة سنة من نبوة قط إلا انتقض أمرها ، أقول الله عز وجل : « أوكالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها . قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها . فأما الله مائة عام ثم بعثه » إلى قوله : « وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس » . واعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن

٢٠ (١) الحميمة : ( بلفظ التصغير ) : بلد من أرض الشَّراة من أعمال عمان في أطراف الشام ، كان منزل بني العباس . ( انظر معجم البلدان ) . وفي بعض الأصول : « الحميمة »  
 (٢) يريد ولديه أبا العباس عبد الله ثم أخاه أبا جعفر عبد الله . وسيأتي ذكرهما قريباً .  
 (٣) في بعض الأصول : « غانة » .  
 (٤) فرغانة ( بالفتح ) ثم السكون وغين معجمة وبعد الألف خون ) : مدينة وكورة واسعة مما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان . ( انظر معجم البلدان ) .

الخارثية ، ثم عبد الله أخوه . ولم يكن لحمد بن علي في ذلك الحين ولد يسمى عبد الله ، فولد له من الخارثية ولدان سمي كل واحد منهما عبد الله ، وكفى الأكبر أبا العباس ، والأصغر أبا جعفر ، فوليا جميعاً الخلافة . ثم مات أبو هاشم وقام محمد بن علي بالأمر بعده ، فاختلفت الشيعة إليه <sup>(١)</sup> . فلما ولد أبو العباس أخرجهم إليهم في خرقه ، وقال لهم : هذا صاحبكم ، فعملوا ياحسون أطرافه ، وولد أبو العباس في أيام عمر بن عبد العزيز . ثم قدم الشيعة على محمد بن علي فأخبروه أنهم حبسوا بخراسان في السجن ، وكان يخدمهم فيه غلام من السرايين <sup>(٢)</sup> ، مارأوا قط مثل عقله وظرفه ومحبة في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال له : أبو مسلم . قال : أحر أم عبد ؟ قال : أمّا عيسى <sup>(٣)</sup> فيزعم أنه عبد ، وأما هو فيزعم أنه حر . قال : فاشترؤوه وأعتقوه وأجعلوه بينكم إذ رضيتموه . وأعطوا محمد بن علي مائتي ألف كانت معهم .

فما انقضت المائة السنة بعث محمد بن علي رُسُلَهُ إلى خراسان فغرسوا بها غرساً ، وأبو مسلم المُدَّم عليهم ، وثارت الفتنة في خراسان بين المضرية واليمانية ، فتمكن أبو مسلم وفرق رُسُلَهُ في كور خراسان يدعو الناس إلى آل الرسول ، فأجابوه . ونصر بن سيار عامل خراسان هشام بن عبد الملك ، فكان يكتب لهشام بخبرهم ، وتغضى كُتُبُهُ إلى ابن هُبيرة صاحب العراق ليُنْفِذَهَا إلى أمير المؤمنين ، فكان يَحْبِسُهَا ولا يُنْفِذُهَا لئلا يقوم النصر بن سيار قائمة عند الخليفة . وكان في ابن هُبيرة حسد شديد فلما طال بنصر بن سيار ذلك ولم يأته جواب من عند هشام كتب كتاباً وأمضاه إلى هشام على غير طريق ابن هُبيرة ، وفي جوف الكتاب هذه الأبيات مُدْرَجَةً <sup>(٤)</sup> ، يقول فيها :

(١) يريد شيعة بني العباس . وفي بعض الأصول : « الشيعة إليهم » .

(٢) السراج : بائع السروج وصانها .

(٣) لعله عيسى بن معقل العجلي . ( انظر الطبري ٢ : ١٨٢٦ ) .

(٤) يقال : أدرج الكتاب في الكتاب ، إذا أدخله أو جعله في درجه ، أي في طيه .

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ جَحْرِ فَيُوشِكُ أَنْ<sup>(١)</sup> يَكُونَ لَهَا ضِرَامٌ<sup>(٢)</sup>  
 فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودِينَ تُذَكِّي<sup>(٣)</sup> وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا الْكَلَامَ  
 فَإِنَّ لَمْ تُطْفِئْهَا تَجْنُ حَرْبًا مُشْمَرَةٌ يَشِيبُ لَهَا الْعِلَامُ  
 فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي أَتَقَاطُ أُمِّيَّةٌ أَمْ نِيَامُ  
 فَإِنَّ كَانُوا أَحْيَيْنَهُمْ نِيَامًا<sup>(٤)</sup> فَقُلْ قَوْمُوا فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ ٥  
 فَمَرَّي<sup>(٥)</sup> عَنْ رِحَالِكَ نَمِ قَوْلِي عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْقَرَبِ السَّلَامِ  
 فَكُتِبَ إِلَيْهِ هِشَامُ : أَنَّ أَحْسَمَ ذَلِكَ التَّوَلُّولُ<sup>(٦)</sup> الَّذِي نَجِمَ عِنْدَكُمْ . قَالَ نَصْرُ :  
 وَكَيْفَ لَنَا بِحَسَمِهِ<sup>(٧)</sup> ! وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ يُخَاطَبُ الْمُضَرِّيَّةَ وَالْهَيْمَانِيَّةَ ، وَيُحَذِّرُهُمْ  
 هَذَا الْعَدُوَّ الدَّاخِلَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ :

أُبْلَغُ رُبْعَةً فِي مَرِّهِ وَإِخْوَتَهُمْ فَلْيَغْضَبُوا قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعُ الْغَضَبُ ١٠  
 وَلْيَنْصَبُوا الْحَرْبَ إِنْ الْقَوْمَ قَدْ نَصَبُوا حَرْبًا يُحْرِقُ فِي حَافَاتِهَا الْخَطْبُ  
 مَا بِالْكَمِ تَلْقَحُونَ الْحَرْبَ بَيْنَكُمْ كَأَنَّ أَهْلَ الْحِجَا عَنِ فَلَاسِكُمْ غَيْبٌ<sup>(٨)</sup>  
 وَتَتَرَكُونَ عَدُوًّا قَدْ أَظْلَمَكُمْ مِمَّا تَأَشَّبُ<sup>(٩)</sup> لَا دِينَ وَلَا حَسَبَ

- (١) فِي الْأَغَانِي (ج ٦ ص ١٢ طَبْعَةُ بَلَّاق) : « وَأَحْرَبَانِ » . وَفِي ابْنِ عَسَاكِرِ  
 (ج ٤١ ص ١٩١) : « خَلِيقُ أَنْ » .  
 (٢) ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ (٢ : ١٩٧٣) بَعْضَ آيَاتِ ابْنِ سَيَّارٍ هَذَا وَذَكَرَ أَنَّهُ  
 أَرْسَلَهَا إِلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ يَعْلَمُهُ بِحَالِ أَبِي مُسْلِمٍ . كَمَا ذَكَرَهَا أَبُو الْفَرَجِ فِي كِتَابِهِ  
 الْأَغَانِي (ج ٦ ص ١٢٨) وَذَكَرَ أَنَّهُ أَرْسَلَهَا إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ .  
 (٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « تَذَكُّو » . وَفِي ابْنِ عَسَاكِرِ : « بِالزُّنْدِينَ تَوَرَّى »  
 (٤) فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ (ج ٢ ص ٢٠٢) :  
 \* فَإِنْ يَكُ قَوْمُنَا أَضْعَوْا نِيَامًا \*  
 وَفِي الْأَخْبَارِ الطَّوَالِ لِأَبِي خَنْبِقَةَ الدِّينَوْرِيِّ (ص ٣٥٦ طَبْعَةُ أُورْبَةِ) :  
 \* فَإِنْ يَكُ أَصْبَحُوا وَتَوَوَّأُوا نِيَامًا \*  
 (٥) كَذَا فِي مَرْوَجِ الذَّهَبِ : وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « تَصْرِي » . وَالْبَيْتُ سَاقِطٌ مِنْ  
 سَائِرِ الْأَصُولِ .  
 (٦) التَّوَلُّولُ : بِثَرِ صَفِيرٍ صَلَبٍ مُسْتَدِيرٍ عَلَى صَوَرِ شَقِي .  
 (٧) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَكَيْفَ أَنَا وَحَسَمُهُ » :  
 (٨) كَذَا فِي الْأَخْبَارِ الطَّوَالِ (ص ٣٦٠) . وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ : « رَأَيْتُكَ عَزَبَ » .  
 (٩) تَأَشَّبَ الْقَوْمُ : اخْتَلَطُوا .



قَدْماً يَدِينُونَ دِيناً مَا سَمِعْتُ بِهِ عَنْ الرَّسُولِ وَلَمْ تَنْزِلْ بِهِ الْكِتَابُ  
فَمَنْ يَكُنْ سَائِلاً عَنْ أَصْلِ دِينِهِمْ قَالَتْ دِينُهُمْ أَنْ تُقْتَلَ الْعَرَبُ

ومات محمد بن علي في أيام الوليد بن يزيد ، وأوصى إلى ولده إبراهيم بن  
محمد ، فقام بأمر الشيعة . وقدم عليهم أبا مسلم السراج وسليمان بن كثير ،  
وقال لأبي مسلم : إن استطعت أن لا تدع بخراسان لساناً عربياً فأفعل ، ومن  
شككت في أمره فاقتله . فلما استغلى أمر أبي مسلم بخراسان وأجابته الكور  
كلها ، كتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد بخبر أبي مسلم وكثرة من تبعه ،  
وأنه قد خاف أن يستولى على خراسان وأن يدعوا إلى إبراهيم بن محمد بن علي  
ابن عبد الله بن عباس . فأتى الكتاب مروان ، وقد أتاه رسول لأبي مسلم  
بجواب إبراهيم إلى أبي مسلم<sup>(١)</sup> . فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك  
ابن مروان ، وهو عامله على دمشق : أن اكتب إلى عاملك بالبلقاء ليسير إلى  
الحليمة<sup>(٢)</sup> فيأخذ إبراهيم بن محمد فيشده وثاقاً ثم يبعث به إليك ، ثم وجهه إلى  
خمل إلى مروان ، وتبعه من أهله عبد الله بن علي وعيسى بن موسى ، فأدخل  
على مروان ، فأمر به إلى الحبس .

قال الهيثم : حدثني أبو عبيدة<sup>(٣)</sup> ، قال : كنت آتية في السجن ومعه فيه  
سعيد بن عبد الملك ، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فوالله إني ذات ليلة  
في سقيفة السجن بين النائم واليقظان ، إذ بمولى مروان قد أستفتح الباب ومعه

(١) العبارة في الطبري : « وقد أتاه رسول لأبي مسلم إلى إبراهيم كان قد عاد من  
عند إبراهيم ومعه كتاب أبي مسلم إلى إبراهيم جواب كتابه يلعب فيه أبا مسلم ويسبه  
حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرمان إذ أمكناه ، ويأمره أن لا يدع بخراسان  
عربياً الا قتله » .

(٢) في الأصول : « الحسينية » . تحريف وقد تقدم التعريف بالحليمة (ص ٧٦) من  
هذا الجزء .

(٣) لعله أبو عبيدة الأسود ، مولى عمر بن عبد العزيز ، وكان على إفذه . وقد مر  
ذكره في أخبار عمر بن عبد العزيز .

عشرون رجلاً من موالى مروان الأعاجم، ومعهم صاحب السجن، فأصبحنا وسعيد وعبد الله وإبراهيم قد ماتوا.

قال الهيثم: حدثني أبو عبيدة قال: حدثني وصيف عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذي كان يخدمه في الحبس: إنه غم<sup>(١)</sup> عبد الله مولاه بمرفقة<sup>(٢)</sup>، وإبراهيم بن محمد بجراب نورة<sup>(٣)</sup>، وسعيد بن عبد الملك أخرجه صاحب السجن، فلقية بعض حرس مروان في ظلمة الليل، فوطئته الخيل وهم لا يعرفون من هو، فمات.

ثم استولى أبو مسلم على خراسان كلها، فأرسل إلى نصر بن سيار، فهرب هو وولده وكاتبه داود حتى انتهوا إلى الرى، فمات نصر بن سيار بساوه<sup>(٤)</sup>، وتفرق أصحابه، ولحق داود بالسكوفة وولده جميعاً، وأستعمل أبو مسلم عماله على خراسان ومرو وسمرقند وأحوازها، ثم أخرج الرايات السود، وقطع البعوث، وجهاز الخيل والرجال عليهم قحطبة بن شبيب، وعامر بن إسماعيل، ومحرر بن إبراهيم في عدة من القواد، فلقوا من بطوس<sup>(٥)</sup>، فانهزموا، ومن مات في الزحام أكثر ممن قتل، فبلغ القتلى بضعة عشر ألفاً. ثم مضى قحطبة إلى العراق، فبدأ بجرجان، وعليها نبأته بن حنظلة السكلاي. وكان قحطبة يقول لأصحابه: والله ليقتلن عامر بن ضبارة وينهزم ابن هبيرة، وليكني أخاف أن أموت قبل أن أبلغ ثأرى، وأخاف أن أكون الذي يغرق في الفرات، فإن الإمام محمد بن علي قال لي ذلك.

قال الهيثم: فقدم قحطبة جرجان فقتل ابن نبأته<sup>(٦)</sup>، ودخل جرجان فأتهمها،

(١) غم: ألغم فيه ومنخرية الغمامة. (٢) المرفقة (ككنسة): الخدة. ٢٠

(٣) النورة (بالضم): الهناء.

(٤) كذا في المعارف (٢٠٩) طبعة أوربة والطبرى (٣: ٢): وساوه (بالهاء).

الساكنة) مدينة بين الرأى وهمدان. والذي في الأصول: «بقسطاط» تحريف.

(٥) طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ: (انظر معجم البلدان).

(٦) الذى في الطبرى (٢: ٢٠٠ هـ) أن نبأته وابنه حبة بن نبأته دجحا. ٣٥

وقسّم ما أصاب بين أصحابه ، ثم سار إلى عامر بن ضُبارة بأصحابه ، فلقبه ، فقتل ابن ضُبارة وقتل أصحابه ، ولم ينج منهم إلا الشريد ، ولحق فلوهم بأبن هُبيرة . وقال قحطبة لما قتل ابن ضُبارة : ما شئ رأيت ولا عدو قتلته إلا وقد حدّثني به الإمام صلوات الله عليه ، إلا أنه حدّثني أني لا أعبّر الفرات . وسار قحطبة حتى نزل حلوان<sup>(١)</sup> ، ووجه أبا عون في نحو من ثلاثين ألفاً إلى مروان بن محمد ، فأخذ على شهرزور<sup>(٢)</sup> حتى أتى الزاب<sup>(٣)</sup> ، وذلك برأى أبي مسلم .

فحدّث أبو عون عبد الملك بن يزيد قال قال لي أبو هاشم بكير بن ماهان : أتت والله الذي تسير إلى مروان ، ولتبعنّ إليه غلاماً من مذحج يقال له عامر فليقتلنه . فأمضيت والله عامر بن إسماعيل على مقدّمتي ، فلقى مروان فقتله . ثم سار قحطبة من حلوان إلى ابن هُبيرة بالعراق ، فالتقوا بالفرات فأقتلوا حتى اختلط الظلام ، وقتل قحطبة في المعركة وهو لا يعرف . فقال بعضهم : غرق في الفرات .

ثم انهزم ابن هُبيرة حتى لحق بواسط ، وأصبح المسوّد وقد فقدوا أميرهم ، فقدموا الحسن بن قحطبة . ولما بلغ مروان قتل قحطبة وهزيمة ابن هُبيرة قال : هذا والله الإدبار ، وإلا فني رأيتم ميّتاً هزماً حياً . وأقام ابن هُبيرة بواسط ، وغلبت المسوّد على العراق ، وبايعوا لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين

(١) حلوان : عدة مواضع ، والمراد بها هنا حلوان العراق ، وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد . ( انظر معجم البلدان ) .

(٢) شهرزور : كورة واسعة في الجبال بين إربل وحمذان . ( انظر معجم البلدان ) .

(٣) الزاب : عدة أنهر بفارس سميت زاب بن توكان أحد ملوكها ، وهي : الزاب الأعلى بين الموصل وإربل ، وأما الزاب الأسفل فخرج من جبال السلق ثم يمر إلى ما بين دقوقا وإربل ، وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة ثم يمتد حتى يفيض في دجلة . وعلى هذا الزاب كان مقتل عبيد الله بن زياد . وبين بغداد وبواسط زابان آخران . ( انظر معجم البلدان ) .

وثلاثين ومائة . ووجهَ عمِّه عبد الله<sup>(١)</sup> بن عليّ لقتال مروان وأهل الشام ، وقدمه على أبي عون وأصحابه . ووجه أخاه أبا جعفر إلى واسط لقتال ابن هبيرة . وأقام أبو العباس بالبكوفة حتى جاءته هزيمة مروان بالزَّاب ، وأمضى عبد الله بن عليّ أبا عون في طلبه ، وأقام على دمشق ومداين الشام يأخذ بيعتها لأبي العباس .

٥٣٥  
٢

وكان أبو سلمة الخلال ، واسمه حفص بن سليمان ، يدعى وزير آل محمد ، وكان أبو مسلم يدعى أمين آل محمد . فقتل أبو العباس أبا سلمة الخلال وأتهمه بحُب بنى فاطمة ، وأنه كان يحطِّب في حياهم . وقتل<sup>(٢)</sup> أبا جعفر أبا مسلم ، وكان أبو مسلم يقول لقواده إذا أخرجهم : لا تُكَلِّمُوا النَّاسَ إِلَّا مَرَّةً ، وَلَا تَلْحَظُوهُمْ إِلَّا شَرًّا ، لَتَمْلِكَنَّ صُدُورُهُمْ مِنْ هَيْبَتِكُمْ .

#### ١٠ مقتل زيد بن علي أيام هشام بن عبد الملك

كتب يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك : إن خالد بن عبد الله أودع زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب مالا كثيرا . فبعث هشام إلى زيد ، فقدم عليه ، فسأله عن ذلك ، فأنكر ، فأستخلفه ، فخلف له ، نفق سبيله ، وأقام عند هشام بعد ذلك سنة . ثم دخل عليه في بعض الأيام ، فقال له هشام : بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لها لأنك ابن أمة . قال : أما قولك إني أحدث نفسي بالخلافة فلا يعلم الغيب إلا الله ، وأما قولك إني ابن أمة ، فهذا إسماعيل صلى الله عليه وسلم ابن أمة ، أخرج الله من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ابن حرة ، أخرج الله من صلبه القرادة والخنازير وعبد الطاغوت . وخرج زيد مغضبا . فقال زيد<sup>(٣)</sup> : ما أحب أحد الحياة إلا ذل .

٢٠

(١) في بعض الأصول : « عبید الله » تحريف .

(٢) كان ذلك بعد موت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر .

(٣) في بعض الأصول : « هشام » .

قال له الحاجب : لا يسمع هذا الكلام منك أحد . وخرج زيد حتى قدم الكوفة ، فقال :

شَرَّده الخوفُ وأزرى به كذاك من يكره حرَّ الجِلادِ  
مُخَنَّفِي الرِّجْلين يَشْكُو الوجي تَنَكُّبه أطرافُ مَرَوٍ حِدادِ<sup>(١)</sup>  
قد كان في الموت له راحة والموت حَتْمٌ في رِقَابِ العبادِ

ثم خرج بخراسان ، فوجه يوسف بن عمر إليه الخيل ، وخرج في إثرها حتى لقيه<sup>(٢)</sup> ، فقاتله ، فرمى زيد في آخر النهار بِنَشَابَةٍ فَنَحَرَهُ فَمَاتَ ، فدفنهُ أصحابُه في حَمَاةٍ كانت قَرِيبَةً مِنْهُمْ . وتبع [ يوسف ] أصحاب زيد ، فَاهْزَمَ مِنْهُمْ ، وَقُتِلَ مِنْ قَتْلِ . ثم أتى يوسف فقبل له : إن زيدا دُفِنَ في حَمَاةٍ . فَاسْتَخْرَجَهُ . وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى هِشَامٍ ، ثُمَّ صَلَّبَهُ فِي سُوقِ الْكُنَّاسَةِ<sup>(٣)</sup> . فقال في ذلك أعورُ كلب<sup>(٤)</sup> ، وكان مع يوسف في جيش أهل الشام :

نَصَبْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى جِذْعٍ فُخْلَةٍ وَمَا كَانَ مَهْدِيٍّ<sup>(٥)</sup> عَلَى الْجَذْعِ يُنْصَبُ  
الشَّيْبَانِي قَالَ : لَمَّا نَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ<sup>(٦)</sup> بْنُ عَلِيٍّ نَهْرَ أَبِي فُطْرُسَ<sup>(٧)</sup> ، حَضَرَ النَّاسُ بَابَهُ  
الْإِذْنَ ، وَحَضَرَ اثْنَانِ وَمِائَتَانِ رَجُلًا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ ، فَخَرَجَ الْإِذْنَ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ  
خِرَاسَانَ ، قُومُوا . فَنَامُوا سِمْطَاتٍ فِي مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ أَذِنَ لِبَنِي أُمَيَّةٍ ، فَأَخَذَتْ  
سِيوفَهُمْ وَدَخَلُوا عَلَيْهِ . قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَبْدِيُّ الشَّاعِرُ : وَخَرَجَ الْحَاجِبُ فَأَدْخَلَنِي ،

(١) الرو حجارة بيض رفاق . والرواية في البيان ( ج ١ ص ١٩٦ ) : « منخرق الحفين ... وتنكبه » .

(٢) في بعض الأصول : « في إثرها حتى التقوا » .

(٣) الكُنَّاسَةُ ( بالضم ) : محله بالكوفة . ( انظر معجم البلدان ) .

(٤) في الأغاني ( ج ١٥ ص ١٢٠ ) طبعة بلاق والكمال ( ص ٧١٠ ) طبعة أوربة : « الأعور الكلب » .

(٥) في بعض الأصول : « هذا » . وفي الكامل : « ولم نرمه يدًا على الجذع يصاب » .

(٦) سائق ابن قتيبة حديث مقتل بني أمية وشعر العبدى ، إلا أنه ذكر مكان عبد الله ابن علي عم أبي العباس أخاه أبا جعفر . وقد تقدم قبل أن الذي توجه لقتال أهل الشام

هو عبد الله بن علي هذا :

(٧) أبو فطرس : نهر قرب الرملة بأرض فلسطين . ( انظر معجم البلدان ) .

فسلمت عليه ، فردّ على السلام ، ثم قال أنشدني قولك :

\* وَقَفَ الْمُتَمِّمُ فِي رُسُومِ دِيَارِ \*

فأنشدته حتى انتهيت إلى قولي :

أما الدعاءُ إلى الجنان فهاشمٌ وبنو أمية من دعاة النار  
من كان يفخر بالملك والعلامة فلها يتم الجند غير فخار  
والعمرو بن يزيد بن عبد الملك جالس معه على المصلى ، وبنو أمية على الكرامى ،  
فألقى إلى صرة حرير خضراء فيها خمسمائة دينار ، فقال : لك عندنا عشرة آلاف  
درهم وجارية وبرذون وغلّام وتخت ثياب . قال : فوقى والله بذلك كُله . ثم  
أنشأ<sup>(١)</sup> عبد الله بن علي يقول :

حسبتُ أمية أن سيرضى هاشمٌ عنها ويذهب زيدها وحسينها  
كلّا وربّ محمدٍ وإلهه حتى تُباح سهولها وحزونها<sup>(٢)</sup>  
ثم أخذ قلنسوته من رأسه فضرب بها الأرض ، فأقبل أولئك الجند على  
بنى أمية فخطبهم بالشيوف والعمد . وقال الكلبي الذي كان بينهم ، وكان  
من أتباعهم : أيها الأمير ، إني والله ما أنا منهم . فقال عبد الله بن علي :  
ومُدخل رأسه لم يدعه<sup>(٣)</sup> أحدٌ بين القرينين<sup>(٤)</sup> حتى لزه القرن<sup>(٥)</sup>  
أضربوا عنقه ، ثم أقبل على العمرو فقال : ما أحسبُ لك في الحياة بعد  
هؤلاء خيرا . فقال : أجل ، قال : يا غلام ، أضرب عنقه . فأقيم من المصلى فضرب  
عنقه . ثم أمر ببساط فطرح عليهم ، ودعا بالطعام فجعل يأكل وأنين بعضهم  
تحت البساط .

(١) في بعض الأصول : « أنشد » . والشعر لسديف ، كاسياني (ص ٤٨٧) من هذا الجزء .

(٢) في الأصول : « حتى يفادوا زيدها وحسينها » . وما أثبتنا من عيون الأخبار .  
(ج ١ ص ٢٠٨)

(٣) في عيون الأخبار : « لم يدنه » .

(٤) كذا في عيون الأخبار . والذي في الأصول : « بين القرينين » .

(٥) القرن : الحبل يقرن به البعيران . ويقال للبعيران إذا قرنا في قرن واحد : قد لزا .

وفي رواية أخرى قال : لما قدم الغمر بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس :  
 السفاح في ثمانين رجلا من بني أمية ، فوضعت لهم السكراسى ووضعت لهم  
 نمارق وأجلسوا عليها ، وأجاس الغمر مع نفسه في المصلى ، ثم أذن لشيعته فدخلوا ،  
 ودخل فيهم سديف بن ميمون ، وكان متوشحاً سيفاً متنكباً قوساً ، وكان طويلاً  
 آدم ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيزعم الضلال بما حَبِطت أعمالهم  
 ٥ أن غير آل محمد صلى الله عليه وسلم أولى بالخلافة ، فلم وبم ؟ أيها الناس ، ألكم  
 الفضل بالصَّحابة دون ذوى القرابة ، الشركاء في النسب ، الأكفاء في الحسب ،  
 الخاصة في الحياة ، الوفاة <sup>(١)</sup> عند الوفاة ، مع ضربهم على الأمر جاهلكم <sup>(٢)</sup> ،  
 وإطعامهم في اللأواء <sup>(٣)</sup> جائعكم ؛ فكم قصم الله بهم من جبار باغ ، وفاسق ظالم .  
 ١٠ لم يسمع بمثل العباس ، لم تخضع له الأمة بواجب حق [ الحرمة ] ، أبو رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم بعد أبيه ، وجلدة ما بين عينيهِ ، أمينته ليلة العقبة <sup>(٤)</sup> ، ورسوله  
 إلى أهل مكة ، وحاميه يوم حنين <sup>(٥)</sup> ، لا يردُّه رأياً ، ولا يُخالف له قسماً . إنكم  
 والله معاشر قريش ما اخترتم لأنفسكم من حيث اختار الله لكم ، نيمى مرة  
 وعدوى مرة <sup>(٦)</sup> ، وكُنتم بين ظهرائى قوم قد آثروا العاجل على الآجل ، والفانى  
 ١٥ على الباقي ، وجعلوا الصدقات في الشهوات ، والفى في اللذات ، واللغائم في المحارم ،  
 إذا ذكروا بالله لم يذكروا ، وإذا قدَّموا بالحق أدبروا ، فذلك كان زمانهم ،  
 وبذلك كان يعمل سلطانهم <sup>(٧)</sup>

- (١) في بعض الأصول : « الولاة » . (٢) في بعض الأصول : « الدين » .  
 (٣) في بعض الأصول : « الأولى » .  
 ٢٠ (٤) يشير إلى حضور العباس — وهو على دين قومه — أمر ابن أخيه محمد صلى الله  
 عليه وسلم ليلة مبايعة الأنصار له في العقبة ليتوثق له .  
 (٥) يشير إلى ثبات العباس فيمن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين  
 حين انهزم المسلمون أول الموقعة ، وكان آخذاً بلجام بفلته .  
 (٦) نيمى : نسبة لثيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، قوم أبي بكر . وعدوى : نسبة إلى بني  
 عدى بن كعب بن لؤى ، قوم عمر بن الخطاب .  
 ٢٥ (٧) في الأصول : « شيطانهم » . وما أثبتنا من سائر الأصول وشرح نهج البلاغة لابن  
 أبي الحديد ( ج ٢ ص ٢١٥ ) فقد أورد خطبة لأبي مسلم بالمدينة في السنة التي حج فيها  
 في خلافة السفاح تنفق وهذه الخطبة في أكثر فقرها .

فلما كان الغد أذن لهم فدخلوا ودخل فيهم شبيل ، فلما جلسوا قام شبيل  
فاستأذن في الإنشاد ، فأذن له فأنشد <sup>(١)</sup> :

أصبح الملكُ ثابتَ الأساسِ      بالبهايلِ من بني العباسِ  
طلبوا وترَ هاشمٍ فلقوها <sup>(٢)</sup>      بعد ميل من الزمان وباسِ  
لا تُقبلن عبدَ شمسٍ عثاراً      اقطعوا كلَّ نخلة <sup>(٣)</sup> وغراسِ  
ولقد غاظني وغازَ سوايَ      قرُّهم من منابر <sup>(٤)</sup> وكراسِ  
واذكروا مضرعَ الحسين وزيداً <sup>(٥)</sup>      وقتيلاً بجانب المهراسِ <sup>(٦)</sup>  
وقتيلاً بجوفِ حرَّانٍ أضحى      تحبُّل الطيرِ حوله في الكناسِ <sup>(٧)</sup>  
نعم شبيلُ الهراشِ مولاك شبيل <sup>(٨)</sup>      لو نجا من حبائل الإفلاسِ

ثم قام وقاموا . ثم أذن لهم بعد ، فدخلوا ودخل الشيعة . فلما جلسوا قام  
سديف بن ميه ون ، فأنشد :

قد أتتك الوفود من عبد شمس      مستعدِّين يُوجعون المطايا  
عنوة أيها الخليفة لا عن      طاعة بل تخوفوا المشرفيا  
لا يفرَّئك ما ترى من رجالٍ      إن تحت الضلوع داء دوتا  
فضع السيفَ وأرفع السوط حتى      لا ترى فوق ظهرها أموتيا  
ثم قام خلف بن خليفة الأقطع فأنشد :

- (١) الذي في الأغاني ومعجم البلدان (في رسم مهراس) وعيون الأخبار (ج ١ ص ١٠٢)  
والكامل (ص ٧١٣ طبعة أوربة) أن هذا الشعر لسديف .  
(٢) في الكامل للمبرد (ص ٧١٣ طبعة أوربة) : « فشقوها » .  
(٣) في الكامل والأغاني (ج ٤ ص ٩٣ طبعة بلاق) : « رقلة » ، والرفلة : النخلة الطويلة .  
(٤) كذا في الأصول وعيون الأخبار (ج ١ ص ٢٠٧) . والذي في الكامل  
والأغاني : « غارق » .  
(٥) وفي رواية : « وزيد » .  
(٦) المهراس : ماء بجبل أحد ، وعنده دفن حزة رضي الله عنه .  
(٧) رواية المراحم التي ذكرت أن الشعر لسديف : « نعم كلب الهراش مولاك لولا » .  
(٨) في الكامل : « ثاويا بين غربة وتناسي » وفي الأغاني : « رهن قسبر في غربة  
وتناسي » .



إن تُجاوز فقد قدرت عليهم أو تُعاقب فلم تُعاقب برّياً  
أو تُعاقبهم على رقة الدّير . من فقد كان دينهم سامرياً  
فالتفت أبو العباس إلى الغمر ، فقال : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : والله  
إن هذا الشاعر ، ولقد قال شاعرنا ما هو أشعر<sup>(١)</sup> من هذا . قال : وما قال ؟  
فأنشده :

شمس العداوة حتى يُستقَادَ لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قَدَرُوا<sup>(٢)</sup>  
فشرِق وجهُ أبي العباس بالدم وقال : كذبت يابن اللّخناء ، إني لا أرى  
الخليلاء في رأسك بعد ، ثم قاموا . وأمرهم فدُفِعُوا إلى الشيعة ، فاقْتَسَمُوهم  
فَضَرَبُوا أعناقهم ، ثم جَرَّوْا بأرجلهم حتى ألْقَوْهم في الصحراء بالأنبار ، وعليهم  
١٠ سراويلات الوشي ، فوقف عليهم سُديف مع الشيعة وقال :

طَمِعَتْ أُمِيَّةُ أَنْ سِيرَضَى هَاشِمٌ عنها وَيَذْهَبُ زَيْدُهَا وَحُسَيْنُهَا  
كَلَّا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَالْمُهَلِّهِ حَتَّى يُبَادَ<sup>(٣)</sup> كَفُورُهَا وَخَوْنُهَا  
وكان أشدَّ الناس على بني أُمِيَّة عبدُ الله بن علي ، وأحَنَّهُم عليهم سليمان بن  
علي . وهو الذي كان يسميه أبو مُسلم كَنَفَ الأمان ، وكان يُجِيرُ كُلَّ مَنْ أَسْتَجَارَ  
به ، وكتب إلى أبي العباس : يا أمير المؤمنين ، إنَّا لم نُحَارِبْ بني أُمِيَّة على  
أَرْحَامِهِمْ وَإِنَّمَا حَارَبْنَاهُمْ على عُقُوبِهِمْ ، وقد دافقت إلى منهم دافّة<sup>(٤)</sup> لم يَشْهَرُوا  
سلاحاً ، ولم يُكْثَرُوا جَمْعاً ، فأحبُّ أن تكتب لهم منشورَ أمان . فكتب لهم  
منشورَ أمان وأنفذه إليهم . فمات سليمان بن علي وعنده بضعٌ ومائتا نون حُرمة  
لبني أُمِيَّة .

١٥ (١) في بعض الأصول : « أقعد » .

(٢) البيت للأخطل من قصيدة له مطلقها :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وأزججتهم نوى في صرفها غير

( انظر ديوان الأخطل ص ١٠٤ )

(٣) في بعض الأصول : « يبيد » .

(٤) الدافّة : الجماعة من الناس تقبل من بلد إلى بلد . ٢٥

## (١) خلفاء بني أمية بالأندلس

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام

- أول خلفاء الأندلس من بني أمية عبدُ الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك . ولى الملك يوم الجمعة اعشر خلّون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة . وتوفى في عشرة من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة . فكان ملكة اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر . وكان يقال له صقر قریش ، وذلك أن أبا جعفر المنصور قال لأصحابه : أخبروني عن صقر قریش . من هو ؟ قالوا : أمير المؤمنين الذي راضَ الملك ، وسكّن الزلازل ، وحسم الأدواء ، وأباد الأعداء . قال : ما صنعتُم شيئاً . قالوا : معاوية . قال : ولا هذا . قالوا : فعبدُ الملك بن مروان . قال : ولا هذا . ١٠ قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبدُ الرحمن بن معاوية ، الذي عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلدًا أعجميًا مفردًا ، فصر الأمصار ، وجند الأجناد ، ودون الدواوين ، وأقام ملكًا بعد انقطاعه ، بحسن تديره ، وشدة شكيمة . إن معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذلاله صعيه ، وعبد الملك ببيعة تقدم له عقدُها ، وأمير المؤمنين بطلب عشيرته (٢) ، وأجتماع شيعته ، ١٥ وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مؤيد برأيه ، مستنصحب لقومه . وقالوا : لما توطد ملك عبد الرحمن بن معاوية عمل هذه الأبيات وأخرجها إلى وزرائه ، فاستغربت من قوله إذ صدّقها فعله ، وهى :

٣٥٨  
٢

ماحق (٣) من قام ذا امتعاضٍ مُنتقى الشفرتين نصلاً

- (١) فى بعض الأصول المخطوطة قبل هذا : « آخر السفر الرابع من الأصل والحمد لله أولاً وآخراً . بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين » .  
(٢) فى بعض الأصول : « غيره » .  
(٣) فى البيان المغرب ( ج ٢ ص ٦١ ) : « بيان » .

فَبَرَّ مُلْكًا وَشَادَ عِزًّا<sup>(١)</sup> وَمِنْهُرًا لِلخِطَابِ فَضْلًا  
غَارَ<sup>(٢)</sup> قَفَرًا وَشَقَّ بَحْرًا مُسَامِيًا لُجَّةً وَمَحَلًّا<sup>(٣)</sup>  
وَجَنَّدَ الْجُنْدَ حِينَ أَوْدَى وَمَصَّرَ الْمَصْرَ حِينَ أَجَلَى<sup>(٤)</sup>  
نَمَّ دَعَا أَمَلَهُ جَمِيعًا حَيْثُ انْتَأَوْا<sup>(٥)</sup> أَنْ هَلُمَّ أَهْلًا  
فَجَاءَ هَذَا طَرِيدَ جُوعٍ شَرِيدَ سَيْفٍ أُبِيدَ<sup>(٦)</sup> قَتْلًا  
خَلَّ أَمَنًا وَنَالَ شِيعًا وَحَارَ مَالًا وَضَمَّ شَمَلًا<sup>(٧)</sup>  
أَلَمْ يَكُنْ حَقٌّ ذَا عَلَى ذَا أَوْجَبَ مِنْ مُنْعَمٍ وَمَوْلَى

وكتب أُمَيَّة بن يزيد عنه كتابا إلى بعض عماله يسئله قصده فيما فرط فيه من عمله ، فأكثر وأطال الكتاب ، فلما لحظه عبد الرحمن أمر بقطعه ، وكتب : أما بعد ، فإن يكن التقصير منك مقدما . فحري أن يكون الاكتفاء عنك مؤخرا<sup>(٨)</sup> ، وقد علمت بما تقدمت ، فأعتمد على أيهما أحببت .

وكان تار عليه ثائرٌ بغيري بلدة<sup>(٩)</sup> ، فغزاه فظفريه وأسره ، فبينما هو منصرف وقد حمل الثائر على بغل مكبولا ، نظر إليه عبد الرحمن بن معاوية وتحمته فرس له ، فقمع رأسه بالقناة<sup>(١٠)</sup> ، وقال : يا بغل ، ماذا تحمل من الشقاق والتفراق ؟ قال الثائر : يا فرس ، ماذا تحمل من العفو والرحمة ؟ فقال له عبد الرحمن : والله لا تذوق موتا على يدي أبداً .

- (١) في الأصول : « وساد علما » . وما أثبتنا من البيان المغرب  
(٢) في البيان المغرب : « غاب » . (٣) في الأصول : « محلا » . وما أثبتنا من البيان .  
(٤) في البيان : « أخلى » .  
(٥) في الأصول : « انتأوى » . وما أثبتنا من البيان .  
(٦) في بعض الأصول : « أباد » . وما أثبتنا من سائر الأصول  
(٧) كذا في بعض الأصول : والبيان . والذي في سائر الأصول : « ونال أهلا » .  
(٨) في أكثر الأصول : « فان يكن التقصير لك مقدما بدأ الاكتفاء أن يكون لك مؤخرا » .  
(٩) بلدة : مدينة بالأندلس من أعمال رية . وفي بعض الأصول : « بغزو ولده » .  
(١٠) أي غشاه بها .

## هشام بن عبد الرحمن

ثم ولى هشامُ بن عبد الرحمن لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين ومائة ، ومات في صفر سنة ثمانين ومائة . فكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر . ومات وهو ابن إحدى وثلاثين سنة . وهو أحسن الناس وجهاً ، وأشرفهم نفساً ، الكامل المروءة ، الحاكم بالكتاب والسنة ، الذى أخذ الزكاة على جلتها ، ووضعها في حقها ، لم يعرف منه هفوة في حياته ، ولا زلة في أيام صباه . وراه يوماً أبوه وهو مقبل ممتلى شهاباً فأعجبه ، فقال : يا ليت نساء بنى هاشم أبصرنه حتى يعدن فوارك<sup>(١)</sup> . وكان هشام يصرر الضرر بالأموال في ليالى المطر والظلمة ، ويبيع بها إلى المساجد . فبعضى من وجد فيها . يريد بذلك عمارة المساجد ، وأوصى رجل في زمن هشام بقال في فلك سبئية<sup>(٢)</sup> من أرض العدو ، فطلبت فلم توجد ؛ احتراساً منه للثغر<sup>(٣)</sup> واستنفاذاً لأهل السبي .

## الحكم بن هشام

ثم ولى الخلافة الحكم بن هشام في صفر سنة ثمانين ومائة ، وكانت ولايته ستاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً<sup>(٤)</sup> . ومات يوم الخميس ثلاث يقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين<sup>(٥)</sup> ، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة<sup>(٦)</sup> . وكانت فيه بطالة ، إلا أنه كان شجاع النفس ، باسط الكف ، عظيم القفو ، متحيزاً لأهل عمله

(١) فوارك : جمع فارك ، وهي المرأة تبغض زوجها .

(٢) في بعض الأصول : « بنته » .

(٣) في بعض الأصول : « بقره » ، وفي بعض آخر : « لثغره » .

(٤) كذا في بعض الأصول والبيان القرب لابن عذارى ( من ٧٠ ) . والذى في سائر الأصول : « ستاً وعشرين سنة » .

(٥) كذا في بعض الأصول والبيان . والذى في سائر الأصول : سنة تسعين ومائتين « تحريف » .

(٦) كذا في بعض الأصول . وهي تنفق وما ذكره ابن عذارى في البيان ، إذا مولد الحكم كان سنة ١٥٤ .

ولأحكام رعيته أورع من يقدر عليهم وأفضلهم<sup>(١)</sup> على نفسه فضلاً  
عن ولده وسائر خاصته . وكان له قاض قد كفاه أمور رعيته بفضلته وعدله وورعه  
وزُهده ، فرض مرضاً شديداً ، واغتم له الحكم غمّاً شديداً . فذكر يزيد فقاه أنه  
أرق ليلة وبعده عنه نوميه وجعل يتململ على فراشه ، فقالت : أصلاح الله الأمير ، إني  
أراك متململاً وقد زال النومُ عنك فلم أدر ما عرض لك ؟ قال : ويحك ! إني سمعتُ  
ناجحة هذه الليلة وقاضينا مريضاً ، فما أراه إلا قد قضى نحبه ، وأين لنا بمثله ؟  
ومن يقوم للرعية مقامه ؟ ثم إن القاضي مات ، وأستقضى الحكم بعده سميد  
ابن بشير . فكان أنصد الناس إلى حق ، وآخذهم بعذر ، وأبعدهم من هوى ،  
وأنفذهم الحكم . رفع إليه رجل من أهل كورة جيان أن عاملاً للحكم أغتصبه  
جارية وعمل في تضييرها إلى الحكم ، فوعدت من قلبه كل موقع ، وأن الرجل  
أثبت أمره عند القاضي ، وأتاه ببينة [ وشهود ] يشهدون على معرفته ما تظلم منه  
وعلى عين الجارية ومقرقهم بها . وأوجبت البينة أن تحضر الجارية ، واستأذن  
القاضي على الحكم ، فأذن له ، فلما دخل عليه ، قال : إنه لا يتم عدل في العامة  
دون إفاضة في الخاصة ، وحكي له أمر الجارية وخبره في إرازها إليه ،  
أوعز له عن القضاء . فقال له : ألا أدعوك إلى خير من ذلك ؟ تبتاع الجارية  
من صاحبها بأنفس ثمن<sup>(٢)</sup> وأبلغ ما يسأله فيها . فقال : إن الشهود قد شخصوا من  
كورة جيان يطلبون الحق في مظانته ، فلما صاروا ببابك تصرفهم دون إنفاذ  
الحق لأهله ، وأعل قائل أن يقول : باع ما<sup>(٣)</sup> يملك بيع مقتسِر على أمره<sup>(٤)</sup> .  
فلما رأى عزومه أمر بإخراج الجارية من قصره ، وشهد الشهود على عينيها ،  
وقضى بها لصاحبها .

(١) في بعض الأصول : « فيسقطهم » .

(٢) كذا في بعض الأصول والذي في سائر الأصول : « بعين ثمنها » .

(٣) في بعض الأصول : « حتى لا » .

(٤) في بعض الأصول : « على نفسه » .

وكان سعيد بن بشير القاضي إذا خرج إلى المسجد ، أو جلس في مجلس الحكم ، جلس في رداء معصفر وشعر مفرق إلى شحمة أذنيه ، فإذا طأ ما عنده وجد أوزع الداس وأفضلهم .

وكانت للحكم ألف فرس مربوطة بباب قصره على جانب النهر ، عليها عشرة عرفاء ، تحت يد كل عريف منها مائة فرس لا تندب ولا تبرح ، فإذا بلغه عن نافر في طرف من أطرافه عاجله قبل استحكام أمره ، فلا يشعر حتى يحاط به . وأتاه الخبر : أن جابر بن ليبيد يحاصر جيان وهو يلعب بالصولجان في الجسر . فدعا بعريف من أولئك العرفاء فأشار إليه أن يخرج من تحت يده إلى جابر بن ليبيد ، ثم فعل مثل ذلك بأصحابه من العرفاء . فلم يشعر ابن ليبيد حتى تساقطوا عليه منساوين ، فلما رأى ذلك عدوه سقط في أيديهم وظنوا أن الدنيا قد حشرت لديهم ، فلووا مدبرين .

وقال الحكم يوم الهيجا بعد وقعة الرّبض :

رأيتُ صدوع الأرض بالسيف راقعا . وقدمًا رأيتُ الشعبُ مذ كنتُ يافعا .  
فسائلُ ثغوري هل بها اليوم ثغرة . أبادرها مُسْتَنْضَى<sup>(١)</sup> السيف دارعا .  
وشافه على أفض القضاء حجاجا . كأخاف شريان الهبيد<sup>(٢)</sup> لوامعا .  
[ تنبئك أني لم أكن عن قراعهم . ] بوان وأني كنت بالسيف قارعا .  
ولما تساقينا سجال حروبنا . سقيتهمُ سُمًّا من الموت ناقعا .  
وهل زدت أن وفيتهم صاع قرصهم . فوافوا منايا قُدرت ومصارعا .  
قال عثمان بن المثنى المؤدّب : قدم علينا عباس بن ناصح<sup>(٣)</sup> من الجزيرة أيام  
الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، فاستشدني شعر الحكم ، فأنشدته ، فلما  
أنهيتُ إلى قوله :

(١) في الأصول : « من منتضى » . وما أثبتنا من البيان المغرب (ج ٢ ص ٧٣)

(٢) كذا في البيان . وشریان الهبيد ، أى شجر الحنظل . والذي في الأصول : « كأخاف شريان الجبير » .

(٣) في الأصول : « عباس بن قاصح » . والتصويب من النفع والبغية .

\* وهل زِدْتُ أن وفَّيتهم صاعَ قرَضهم \*

قال : لو جُوزي الحكم في حُكومة لأهل الرِّبض<sup>(١)</sup> لقام بعُذرِهِ هذا البيت .

### عبد الرحمن بن الحكم

ثم ولى بعده عبدُ الرحمن بن الحكم ، أُنْدَى الناس كُفًا ، وأَكْرَمَهُمْ  
عَطْفًا ، وَأَوْسَعَهُمْ فَضْلًا ، في ذِي الْحِجَّةِ سنة سِتٍّ ومائتين ، فَمَلَكَ إحدَى وثلاثين  
سنة وخمسة أشهر . ومات ليلةَ الخَمِيسِ لثلاث خَلَوْنَ من شهر ربيع الآخر سنة  
ثمان وثلاثين ومائتين ، وهو ابنُ اثْنَيْنِ وستين سنة ، وكتب إليه بعضُ عمَّالِهِ  
يسأله عملاً رفيعاً لم يكن من شاكلته ، فوقع في أسفل كتابه : مَنْ لَمْ يُصِبْ وَجْهَهُ  
مَطْلَبُهُ ، كان الحِرمانُ أولى به .

### محمد بن عبد الرحمن

ثم ولى الملكَ مُحَمَّدُ بن عبد الرحمن ، يومَ الخَمِيسِ لثلاث من شهر ربيع الآخر  
سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، فَمَلَكَ أربَعاً وثلاثين سنة ، وتوفى يومَ الجمعة مُسْتَهْلًا  
ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وهو ابنُ سبع وستين سنة . وكتب  
عبد الرحمن بن الشَّمر إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن في حياة أبيه عبد الرحمن ،  
وكان يتجنَّب الوقوف ببابه مخافةَ نصر الفُتَى ، فلما مات نصرَ كَتَبَ ابنُ الشَّمر  
هذه الأبيات إلى محمد يقول فيها :

لئن غابَ وَجْهِي عَنْكَ إِنَّ مَوَدَّتِي      لشاهدةٌ في كلِّ يومٍ تُسَلِّمُ  
وما عاقَني إِلَّا عدوٌّ مُسَلِّطٌ      يُذِلُّ وَيُقْصِي مَنْ يَشَاءُ وَيُرْغِمُ  
ولم يَسْتَطِلْ إِلَّا بكم وبِعَزِّكم      ولا يَنْبَغِي أن يُمنَحَ العِزُّ مُجْرَمُ  
فكُنْتُمْوه فَاسْتَطَالَ عَلَيْكُمْ      وكادت بنا نيرانُهُ تَنْصَرِّمُ

(١) في بعض الأصول : « لو جُوزي الحكم الخصومة في أهل الرِّبض » .

كذلك كَلَبَ السَّوءُ أَنْ يَشْمَعَ أَنْبَرِي<sup>(١)</sup> لَشَبْعَهُ<sup>(٢)</sup> مُسْتَشْلِيًا<sup>(٣)</sup> يَتَرَمَّرُ  
فَجَمَعَ إِخْوَانًا لُصُوصًا أَرَادَ لَا وَمَتَاهُمْ أَنْ يَقْتُلُونَا وَيَغْنَمُوا  
رَأَى بِأَمِينِ اللَّهِ سَقَمًا فَفَرَّه<sup>(٤)</sup> وَلَمْ يَكُ يَذْرى أَنَّهُ يَتَقَدَّمُ  
فَنَحْمُـذَ رَبًّا سَرَّ نَا بَهْلَاكِهِ فَمَا زَالَ بِالْإِحْسَانِ وَالطَّوْلِ يُنْعَمُ  
أَرَادَ يَكِيدُ اللَّهُ نَصْرَهُ فَكَادَهُ وَلِلَّهِ كَيْدُ الْكَفَرِ وَالشَّيْطَانِ نَصْرًا فَأَعْوَلَ  
وَكَانَتْ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ جَبَابَةٌ كَمَا ضَحِكْتَ شَوْقًا إِلَيْهِ جَهَنَّمَ  
فَهَلْ حَاطَ الْإِسْلَامَ يَوْمًا يَسُوؤُهُمْ جِمَابَةُ آلَافٍ تَعْبُدُ وَتُحْتَمُّ  
وَيُنْهِنُنَا أَمْوَالُهُمْ وَهُوَ فَاعِلٌ عَمَّا أَحْتَرَمُوا يَوْمًا عَلَيْهِ وَأَقْدَمُوا  
أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ أَسْمَعُوا قَوْلَ نَاصِحٍ فَإِنِّي أَرَى الدُّنْيَا لَهُ تَتَبَسَّمُ  
مُحَمَّدٌ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِوَجْهِهِ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ مُشْفِقٌ وَتَقَهَّمُوا  
فَكُونُوا لَهُ مِثْلَ التَّنِينِ يَكُنْ لَكُمْ وَسَيْفٌ يَكْفَى اللَّهُ مَاضٍ مُصْتَمٌ  
فَيَا بَنَ أَمِينِ اللَّهِ لَا زَلَّ سَالِمًا أَبَا حَدْبَاءَ<sup>(٥)</sup> فِي الرُّحْمِ<sup>(٦)</sup> بَلْ هُوَ أَرْحَمُ  
أَلَسْتَ الْمُرْجَى مِنْ أُمِّيَّةٍ وَالَّذِي مُعَاذِي فَإِنَّا مَا سَلَمْتُ سَتَسْلِمُ  
وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْخَيْرِ رَوْحٌ وَرَحْمَةٌ لَهُ لَلْجَدُّ مِنْهَا الْإِتْلَادُ الْمُتَقَدِّمُ  
وَحَدَّثَ بَقِي بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهَ قَالَ : نَعَمْ وَلَا أَهْلَ الشَّرِّ صَابٌ وَعَلَقَمٌ  
وَلَا أَبْلَغُ لَفْظًا ، مِنْ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ ، دَخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ خُلَافَتِهِ فَأُفْتَتِحَ  
السَّكَّالَمَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ ذَكَرَ  
الْخُلَفَاءَ خَلِيفَةَ خَلِيفَةً ، فَحَسْبِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِحُلِّيَّتِهِ وَنَعْتِهِ وَوَصْفِهِ ، وَذَكَرَ

(١) في أكثر الأصول : « الدرا » . وفي سائرهما : « اندري » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا .

(٢) كذا في بعض الأصول . والذي في سائر الأصول : « وأشبعه » .

(٣) مستشليا : غاضبا . ويترممر ، يتحرك .

(٤) في أكثر الأصول : « بعده » . تحريف .

(٥) في بعض الأصول : « يسوؤهم » .

(٦) في بعض الأصول : « جد » : تحريف .

(٧) الرحم ( بالضم ) : الرقة والتلطيف .



مآثره ومناقبه ، بأفصح لسان ، وأبين بيان ، حتى انتهى إلى نفسه فسكت .  
 وخرج الأمير محمد يوماً متنزهاً إلى الرصافة ومعه هاشم بن عبد العزيز ،  
 فكان بها صدر نهاره على لذته ، فلما أمسى وأختلط الظلام رجع مُتصرفاً إلى  
 القصر وبه اختلاط ، فأخبرني مَنْ سمعه وهاشم يقول له : يا سيدي ، يا ابن الخلاف ،  
 ما أطيب الدنيا لولا . قال له : لولا ماذا ؟ قال : لولا الموت . قال له : يا ابن الآخفاء ،  
 لكنت في كلامك ، وهل مَلَكْنَا هذا الملك الذي نحن فيه إلا بالموت ، ولولا  
 الموت ما مَلَكْنَاه أبداً .

وكان الأمير محمد غزاً لأهل الشرك والخلاف ، وربما أوغل في بلاد العدو  
 السبعة الأشهر أو أكثر ، بحرق وينسف ، وله في العدو وقعة <sup>(١)</sup> وادى سَلِيْط ،  
 ومى من أمهات الوقائع ، لم يُعرف مثلها في الأندلس قبلها ، وفيها يقول عباس بن  
 فرناس <sup>(٢)</sup> ، وشعره يكفيننا من صفتها :

وَمُخْتَلِفِ الْأَصْوَاتِ مُؤْتَلِفِ الرَّحْفِ      لَهْوَمِ الْفَلَا عَيْلِ الْقُنَابِلِ مُلْتَفِ <sup>(٣)</sup>  
 إِذَا أَوْمَضَتْ فِيهِ الصَّوَارِمُ خِلَتَهَا      بُرُوقاً تَرَأَى فِي الْجَهَامِ وَتَسْتَخْفِي  
 كَأَنَّ ذُرَى الْأَعْلَامِ فِي سَيْلَانِهِ      قَرَاظِيرَ <sup>(٤)</sup> يَمَّ قَدْ عَجَزْنَ عَنِ الْقَذْفِ  
 وَإِنْ طَاحَتْ أَرْكَانُهُ كَانَ قُطْبُهَا      حِجْبِي مَلِكٍ نَجْدٍ شَمَائِلُهُ عَفْ  
 سَمِيَّ خِتَامِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ      إِذَا وَصَفَ الْأَمْلاكَ جَلَّ عَنْ الْوَصْفِ  
 فَمَنْ أَجَلُهُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ غُدُوَّةً <sup>(٥)</sup>      وَقَدْ نَقَضَ الْإِصْبَاحَ عَقْدَ عُرَى السَّجَفِ <sup>(٦)</sup>  
 بِكِي جَبَلًا وَادَى سَلِيْطَ فَأَعْوَلَا      عَلَى الثَّقَرِ الْعُبْدَانِ وَالْعُصْبَةِ الْغُلْفِ <sup>(٧)</sup>

(١) في بعض الأصول : « وقعة » . (٢) في بعض الأصول : « عباس بن فرناس » .  
 (٣) يقال : لَهْم ( كسمعه ) : ابتاعه بكرة ، فهو لَهْم ( ككتف وصرده ) ولهْوَم  
 ( كصبور ) وملهم ( كبير ) . يصف سرعة قطع الجيش للفلا . والقنابل : جامات الخيل ؛  
 الواحدة قنبلة .

(٤) كذا في بعض الأصول . والقراظير : السفن ؛ الواحدة قرقور ( كمصفور ) .  
 والذي في سائر الأصول : « فراقده » .

(٥) في بعض الأصول : « غزوة » . (٦) في بعض الأصول : « حل » .  
 (٧) الغلف : جمع أغلف ، وهي الذي لا يمي .

دعاهم صريح الحين<sup>(١)</sup> فأجتمعوا له . كما أجمع الجعلان للبعر في قف<sup>(٢)</sup>  
 فما كان إلا أن رماهم ببعضها . فولوا على أعقاب مهزومة<sup>(٣)</sup> كشف<sup>(٤)</sup>  
 كأن مساعير الموالى عليهم . شواهين جادت للفرانيق بالنسف<sup>(٥)</sup>  
 بنفسي تناير الوغى حين صفقت . إلى الجبل المشحون صفاء على صف  
 يقول ابن يلبوس لموسى وقد ولى<sup>(٦)</sup> . أرى الموت قدامي وتحتي ومن خافي  
 قتلناهم ألفاً وألفاً ومثلها . وألفاً وألفاً بمد ألف إلى ألف  
 سوى من طواه النهر في مستلجه . فأغرق فيه أو تدأداً من جرف<sup>(٧)</sup>

### المنذر بن محمد

ثم ولى المنذر بن محمد ، يوم الأحد لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثلاث  
 وسبعين ومائتين . ومات يوم السبت في غزاة له على بشت<sup>(٨)</sup> ، ثلاث عشرة  
 بقية من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين ، وهو ابن ست وأربعين سنة .  
 وكان أشد الناس شكيمة ، وأمضاهم عنبة . ولما ولى الملك بعث إليه أهل  
 طليطلة بحمايتهم كاملة فردّها عليهم ، وقال : أستمعنوا بها في حربكم فأنما سائر  
 إليكم إن شاء الله . ثم غزا إلى المارق المرتد عمر بن حفصون<sup>(٩)</sup> وهو بحضن ، قاصرة<sup>(١٠)</sup>

- (١) في بعض الأصول : « العير » .  
 (٢) الجعلان : جمع جمع ( كسر د ) دويبة . والقف ما ارتفع من الأرض ، وقد يكون فيه  
 رياض : وفيضان .  
 (٣) في بعض الأصول : « مهزولة » . (٤) الكشف : المنهزمون في الحرب .  
 (٥) الشواهين : من سباع الطير ؛ الواحد شاهين ، ليس بعربي محض . والفرانيق :  
 جمع غرنوق ، وهو طير أبيض من طير الماء . وفي بعض الأصول : بالسيف .  
 مكان : . . « بالنسف » .  
 (٦) في بعض الأصول : « ولى » .  
 (٧) تدأداً : تدرج . والذي في بعض الأصول « أو ترد من الجرف » .  
 (٨) بشت ( بالضم ) ثم الفتح وسكون الشين المعجمة وفتح التاء والراء : حصن منفرد بالامتناع  
 من أعمال ربة بالأندلس بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً . ( انظر معجم البلدان ) .  
 (٩) في بعض الأصول : « عمرو بن حفصون » وما أثبتنا من سائر الأصول والبيان القرب .  
 (١٠) انظر البيان المغرب ( ج ٢ ص ١٩٤ ) .

فأخذق به وبخيله وزجّله ، فلم يجد الفاسق مُنفذاً ولا مُتنفّساً ، فأعمل الخيلة ولاذ<sup>(١)</sup> بالسكر والخديعة ، وأظهر الإجابة والإجابة ، وأن يكون من مُستوطنى قرطبة بأهله وولده ، وسأل إلحاق أولاده في الموالي . فأجابه الأمير إلى كل ما سأل ، وكتب لهم الأمانات ، وقُطعت لأولاده الثياب ، وخُرزت لهم الخفاف ، ثم سأل مائة بغل بحمل عليها ماله ومتاعه إلى قرطبة ، فأمر الأميرُ بها . وطلبت البغال ومضت إلى بُدَشْتَر<sup>(٢)</sup> ، وعليها عشرة من العرفاء ، وأُبحل العسكرُ عن الحصن بعض الانحلال ، وعكف<sup>(٣)</sup> القاضي وجماعة من الفقهاء على تمام الشلح فيما حَسَبُوا . فلما رأى الفاسقُ الفرصةَ أتهزها ففسق<sup>(٤)</sup> ليلاً وخرج ، فلقى العرفاء بالبغال فقتلهم ، وأخذ البغال وعاد إلى سيرته الأولى . فمقد المُنذر على نفسه عقداً أن لا أعطاه صلحاً ولا عهداً إلا أن يُلقى بيده وينزل على عهده وحُكمه ، ثم غزاه الغزاة التي توفى فيها ، فأمر بالبُنيان والتسكنى عليه ، وأن يُردّ سوق قرطبة إليه ، فعاجله أجله عن ذلك .

#### عبد الله بن محمد

ثم تولى عبدُ الله بن محمد ، التقى النقي ، العابد الزاهد ، التالى لكتاب الله ، والقائم بحدود الله ، يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين . فبنى الساباط<sup>(٥)</sup> وخرج إلى الجامع ، والتزم الصلاة إلى جانب المنبر ، حتى أتمه أجله ، رحمه الله ، يوم الثلاثاء ليلة بقيت من صفر سنة ثمانمائة . وكانت له غزوات ، منها غزاة بلي<sup>(٦)</sup> التي أنست كل غزاة تقدّمها ، وذلك أن المرتد ابن خفصون ألّب عليه كُور الأندلس حتى لم يبق منها إلا قرطبة وحدها ، ثم أقبل في ثلاثين ألفاً من أهل الكور فنزل حصن بلي ، وخرج إليه الأميرُ عبدُ الله بن محمد

٣٦٢  
٢

٢٥

٢٥

(١) في بعض الأصول : « وغاس » .  
(٢) انظر الحاشية (رقم ٨ ص ٤٩٦) من هذا الجزء .  
(٣) في بعض الأصول : « وقفل » . (٤) في بعض الأصول : « ففتق » .  
(٥) في دائرة المعارف الإسلامية ( ١ : ٨٧٨ ) : « الساباط : طريق مسقوف يناء الأمير الأموي عبد الله » .  
(٦) بل (بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد الباء) : ناحية بالأندلس . (انظر معجم البلدان) .

في أربعة عشر ألفاً من أهل قرطبة خاصة ، وأربعة آلاف من حشمه ومواليه ،  
 فبرز إليه الفاسق ، وقد كَرَّدس كراديسه في سَفْح الجبل ، وناهضه الأمير عبد الله  
 بمجْمُور عسكره ، فلم يكن له فيهم إلا صَدْمَةٌ صادقة ، أزالهم بها عن معسكرهم ،  
 فلم يقدرُوا أن يَتَراجِعُوا إليه . ونظر الفاسقُ إلى مُعسكر عبد الله الأمير ، فإذا  
 بِمَدَدٍ مُقْبِلٍ مثل اللَّيْلِ ، في أَحْذَارِ السَّيْلِ ، لا يَنْقَطِعُ ، فَجَبَلَتْ نفسه ، وعَطَفَ إلى  
 الحصن يُظْهِرُ إِخْرَاجَ مَنْ بَقِيَ فِيهِ ، فَتَمَلَّ ثَلَاثَةً وَخَرَجَ مِنْهَا فِي خَمْسَةِ مَعَهُ ، وَقَدْ طَارَ  
 بِهِمْ جَنَاحُ الْفِرَارِ . فَلَمَّا انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ عَسْكَرِهِ وَلَوْا مُدْبِرِينَ ، لَا يَلْوِي  
 أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، فَعَمَلَتِ الرِّمَاحُ فِي أَكْتَافِهِمْ ، وَالسِّيُوفُ فِي طُلُوعِ أَعْنَاقِهِمْ ، حَتَّى  
 أَفْنَوْهُمْ أَوْ كَادُوا . وَكَانَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ قَدْ أَفْتَرَقُوا فِي عَسْكَرِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَعَدَ  
 الْأَمِيرُ فِي الْمِظْلَةِ ، وَأَمَرَ بِالْتِقَاطِهِمْ ، وَأَنْ لَا يَمُرَّ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَتَلَهُ . فَقُتِلَ  
 مِنْهُمْ أَلْفٌ رَجُلٌ صَبْرًا بَيْنَ يَدَيِ الْأَمِيرِ .

### عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين

نَمَّ وَلِي الْمَلِكِ الْقَمَرُ الْأَزْهَرُ ، الْأَسَدُ الْغَضَنَقَرُ ، الْمَيْمُونُ النَّقِيبَةُ ، الْحَمُودُ  
 النَّصْرِيَّةُ ، سَيِّدُ الْخُلَفَاءِ ، وَأَنْجَبُ النَّجَبَاءِ ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ،  
 صَبِيحَةُ هَلَالِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ ، فَقُلْتُ فِيهِ :

١٥

بَدَا الْمَهْلَالُ جَدِيدًا      وَالْمَلِكُ غَضُّ جَدِيدٍ

يَا نِعْمَةَ اللَّهِ زَيْدِي      مَا كَانَ فِيهِ كَزَيْدٍ<sup>(١)</sup>

وَهِيَ عِدَّةُ أَبْيَاتٍ . فَتَوَلَّى الْمَلِكُ ، وَالْأَرْضُ جَمْرَةٌ تَحْتَدِمُ ، وَنَارٌ تَضْطَرِمُ ، وَشِقَاقٌ  
 وَنِفَاقٌ ، فَأَخَذَ نِيرَانَهَا ، وَسَكَنَ زَلَازِلَهَا ، وَافْتَتَحَهَا عَوْدًا كَمَا افْتَتَحَهَا بَدْءَ اسْمِيهِ  
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ . وَقَدْ قُلْتُ وَقِيلَ فِي غَزَوَاتِهِ كُلِّهَا أَشْعَارُ ، قَدْ  
 جَالَتْ فِي الْأَمْصَارِ ، وَشَرُّدَتْ فِي الْبُلْدَانِ ، حَتَّى أَتَهَمَتْ وَأُنْجِدَتْ وَأَعْرِقَتْ ،  
 وَلَوْلَا أَنَّ النَّاسَ مُسَكِّنُونَ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْهَا لِأَعْدَانَا ذِكْرُهَا أَوْ ذِكْرُ بَعْضِهَا .

(١) فِي الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ لِابْنِ عِذَارِي (ج ٢ ص ١٦٢) : \* فَا عَلَيْكَ زَيْدٌ \* .

ولسكننا منذ كرم ما سبق إلينا من مناقبه التي لم يتقدمه إليها متقدم ، ولا أخت لها ولا نظير . فمن ذلك أول غزاة غزاهها ، وهي الغزاة المعروفة بغزاة المنتلون <sup>(١)</sup> ، أفتتح بها سبعين حصنا ، كل حصن منها قد نسكت <sup>(٢)</sup> عنه الطوائف ، وأعيال على الخلاف . وفيها أقول :

٥ . قد أوضح الله للإسلام منهاجا والناس قد دخلوا في الدين أفواجا  
وقد تزيت الدنيا لساكنها كأنما ألبست وشيا وديباجا  
يا بن الخلاف إن المزن لو علمت نذاك ما كان منها الماء نجابا  
والحرب لو علمت بأما تصول به ماهيبت من حياك الذي احتابا <sup>(٣)</sup>  
مات النفاق وأعطى الكفر ذمتته وذلت الخيل الجاما وإسراجا  
وأصبح النصر مفقودا بألوية تطوى المراحل تهجيرا وإذلاجا  
أدخلت في قبسة الإسلام مارقة أخرجتهم من ديار الشرك إخراجا <sup>(٤)</sup>  
بحفل تشرق الأرض فضاه به كالبحر يقذف بالأمواج أمواجا  
[ يقوده البدر يسرى في كواكبه عرصهما كسواد الليل رجاجا ]  
تروق فيه بروق الموت لامعة وتسمعون به للرعد أهراجا  
غادرت في عتوني <sup>(٥)</sup> جيان مارمة أبكيت منها بأرض الشرك أعلاجا  
في نصف شهر تركت الأرض ساكنة من بعدما كان فيها الجور <sup>(٦)</sup> قدماجا  
وجئت في الخبر المانور منصلقا من الخلاف خراجا وولاجا  
تملأ بك الأرض عدلا مثل ما ملئت جورا وتوضيح المعروف منهاجا  
يا بذر ظماتها يا شمس صبحتها يا ليث حومتها إن هائجا  
٢٠ . إن الخلافة إن ترضى ولا رضيت حتى عقدت لها في رأسك التاجا

٣٦٣  
٢

١٥

٢٠

(١) كذا في بعض الأصول والبيان المغرب (ج ٢ ص ١٦٧) . والذي في سائر الأصول :

« المتلون » . (٢) في بعض الأصول : « نكبت » .

(٣) الجيا : شدة الغضب . وفي بعض الأصول . « جبال الدين أهياجا » .

(٤) المارقة : الخوارج . وفي بعض الأصول : « مارقة أخرجتها » .

(٥) العقوة : ما حول الدار والحلة . وجيان : مدينة لها كورة واسعة بالأندلس

تتصل بكورة البيرة . (انظر معجم البلدان) (٦) في بعض الأصول : « الطير » .

٢٥

ولم يكن مثل هذه الغزاة لملك من الملوك في الجاهلية والإسلام . وله غزاة مارشن<sup>(١)</sup> ، التي كانت أخت بدر وحنين ، وقد ذكرناها على وجهها في الأرجوزة التي نظمتها في مغازيه<sup>(٢)</sup> كلها من سنة إحدى وثلاثمائة إلى سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة ، وأوقعناها في أسفل كتابنا لتكون جامعة لمغازي أمير المؤمنين ، وجعلتها رجزاً خلفه الرجز وسهولة حفظه وروايته . ومن مناقبه : أن الملوك لم تزل تبني على أقدارها ، ويقضى عليها بآثارها ، وأنه بنى في المدة القليلة ما لم تبني الخلفاء في المدة الطويلة . نعم ، لم يبق في القصر الذي فيه مصانع أجداده ومعالم أوليته بنية إلا وله فيها أثر محدث ، إما تزيد أو تجدد . ومن مناقبه : أنه أول من سمي أمير المؤمنين من خلفاء بني أمية بالأندلس . ومن مناقبه التي لا أخت لها ولا نظير ، ما أعجز فيه من بعده ، وفات فيه من قبله ، الجود الذي لم يعرف لأحد من أجداد الجاهلية والإسلام إلا له . وقد ذكرت ذلك في شعري الذي أقول فيه :

يا بن الخلائف والعسلا للمعتلى والجود يُعرف فضله للفضل  
نوّعت بالخلفاء بل أنخلتهم حتى كأن تبيلهم لم ينبل  
أذكرت بل أنسيت ما ذكر الألى من فعلهم فسكانه لم يفعل  
وانت آخرهم وشأوك فانت للآخرين ومذكرك للأول  
الآن سُميت الخلافة بأسمها كالبدّر يُقرن بالسمك الأغرل  
تأبى فعالك أن تُقرّر لآخر منهم وجودك أن يكون لأول

\*\*\*

وهذه الأرجوزة التي ذكرت جميع مغازيه ، وما فتح الله عليه فيها في كل غزاة ، وهي :

(١) مارشن : من أعمال جيان ( انظر البيان المغرب ج ٢ ص ١٦٦ ) . وفي بعض الأصول : « مارس » .

(٢) في بعض الأصول : « ضمنها مغازيه » .

سُبْحَانَ مَنْ لَمْ تَحْوِهِ أَقْطَارُ      وَلَمْ تَكُنْ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ  
وَمَنْ عَنَتَ لَوَجْهِهِ الْوُجُوهُ      فَمَا لَهُ نِدٌّ وَلَا شَبِيبَةٌ  
سُبْحَانَهُ مِنْ خَالِقٍ قَدِيرٍ      وَعَالِمٍ بِخَلْقِهِ بَصِيرٍ  
وَأَوَّلٍ لَيْسَ لَهُ أِبْتِدَاءُ      وَآخِرٍ لَيْسَ لَهُ أَتِّهَاءُ  
أَوْسَعَنَا إِحْسَانُهُ وَفَضْلُهُ      وَعَزَّ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِثْلُهُ  
وَجَلَّ أَنْ تُدْرِكَهُ الْعُمُيُونُ      أَوْ بِحَوَايَاهِ الْوَهْمُ وَالظُّنُونُ  
لَكِنَّهُ يُدْرِكُ يَا الْقَرِيبُ      وَالْعَقْلُ وَالْأَبْنِيَةُ الصَّحِيحَةُ  
وهذه مِنْ أَثْبَتِ الْمَعَارِفِ      فِي الْأَوَّجِهِ الْغَامِضَةِ اللَّطَائِفِ  
مَعْرِفَةِ الْعَقْلِ مِنَ الْإِنْسَانِ      أَثْبَتُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعِيَانِ  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَانِهِ      حَمْدًا جَزِيلًا وَعَلَى آلَانِهِ  
وبعدُ تَحْمَدُ اللَّهُ وَالْتِمَجِيدُ      وَبَعْدُ شُكْرُ الْمُبْدِئِ الْمُعِيدِ  
أَقُولُ فِي أَيَّامِ خَيْرِ النَّاسِ      وَمَنْ تَحَلَّى بِالْقُدَى وَالْبَاسِ  
وَمَنْ أَبَادَ الْكُفْرَ وَالنِّفَاقَ      وَشَرَّدَ الْفِتْنَةَ وَالشُّقَاقَ  
وَنَحْنُ فِي خَنَادِسٍ كَاللَّيْلِ      وَفِتْنَةٍ مِثْلِ غُثَاءِ<sup>(١)</sup> السَّيْلِ  
حَتَّى تَوَلَّى عَابِدُ الرَّحْمَنِ      ذَاكَ الْأَغْرُ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ  
مُؤَيَّدٌ حَكَمٌ فِي عُدَاتِهِ      سَيْفًا يَسِيلُ الْمَوْتَ مِنْ ظُهُبَاتِهِ  
وَصَبِيحُ الْمَلِكِ مَعَ الْهَلَالِ      فَاصْبِحَا نَدَيْنِ<sup>(٢)</sup> فِي الْجَمَالِ  
وَأَحْتَمِلِ التَّقْوَى عَلَى جَبِينِهِ      وَالِدِينَ وَالْدُّنْيَا عَلَى يَمِينِهِ  
قَدْ أَشْرَقَتْ بِنُورِهِ الْبِلَادُ      وَأَنْقَطَعَ التَّشْغِيبُ وَالْفَسَادُ  
هَذَا عَلَى حِينِ طَعْنِ النِّفَاقِ      وَأَسْتَفْجِلُ النُّكَاثَ<sup>(٣)</sup> وَالْمُرَاقِ  
وَضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى سُكَّانِهَا      وَأَذْكَتِ الْحَرْبُ لُظَى نِيرَانِهَا

١٠  
٣٦٤  
٢

١٥

٢٠

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « زَهَاء » .  
(٢) فِي أَكْثَرِ الْأَصُولِ : « بَدْرَيْنِ » .  
(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « النَّكَابِ » .

- ونحن في عَشَاءٍ مُدْهَمَةٍ      وظُلْمَةٍ مَا مِثْلُهَا مِنْ ظُلْمَةٍ  
تَأْخُذُنَا الصَّيْحَةُ كُلَّ يَوْمٍ      فَمَا تَلَذُّ مُثْقَلَةٌ بِيَوْمٍ  
وَقَدْ نُصَلِّي الْعِيدَ بِالنَّوَاطِرِ      مخَافَةً مِنَ الْعَدُوِّ الثَّائِرِ<sup>(١)</sup>  
حَتَّى أَتَانَا الْغَوْثُ مِنْ ضِيَاءِ      طَبَّقَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ  
خَلِيفَةِ اللَّهِ الَّذِي أَصْطَفَاهُ      عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ وَأَجْتَبَاهُ  
مِنْ مَعْدِنِ الْوَحْيِ وَبَيَّنَّتِ الْحِكْمَةُ      وَخَيْرُ مَنْسُوبٍ إِلَى الْأُمَّةِ<sup>(٢)</sup>  
تَسْكِلُ عَنْ مَعْرُوفِهِ الْجَنَائِبُ      وَتَسْتَحْيِي مِنْ جُودِهِ السَّحَائِبُ<sup>(٣)</sup>  
فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِهِ بَرَهَانُ      وَكَفُّهُ تَقْبِيلُهَا<sup>(٤)</sup> قُرْبَانُ  
أَخِيَا الَّذِي مَاتَ مِنَ الْمَكَارِمِ      مِنْ عَهْدِ كَعْبٍ وَزَمَانِ حَانِمِ<sup>(٥)</sup>  
مَكَارِمُهُ يَقْصُرُ عَنْهَا الْوَصْفُ      وَغُرَّةُ يَحْسِرُ عَنْهَا الطَّرْفُ  
وَشِدَّةُ كَالصَّابِ أَوْ كَالْمَاءِ      وَهَمَّةُ تَرْقَى إِلَى السَّمَاءِ  
وَأَنْظُرْ إِلَى الرَّفِيعِ مِنْ بُنْيَانِهِ<sup>(٦)</sup>      يُرِيكَ بَدْعًا مِنْ عَظِيمِ شَانِهِ  
لَوْ خَابِلُ<sup>(٧)</sup> الْبَحْرِ نَدَى يَدِينِهِ      إِذَا لَجَّتْ<sup>(٨)</sup> عُفَاتُهُ إِلَيْهِ  
لِفَاضٍ أَوْ لِكَادٍ أَنْ يَغِيضَا      وَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ بَعْدُ أَنْ يَغِيضَا  
مَنْ أَسْبَغَ التَّعْمِيَّ وَكَانَتْ مَحَقًّا      وَفَتَقَ الدُّنْيَا وَكَانَتْ رَنْقًا<sup>(٩)</sup>  
هُوَ الَّذِي جَمَعَ شَمْلَ الْأُمَّةِ      وَجَابَ عَنْهَا دَامِسَاتِ الظُّلْمَةِ  
وَجَدَّدَ الْمُلْكَ الَّذِي قَدْ أَخْلَقَا      حَتَّى رَسَتْ أَوْتَادُهُ وَأَسْتَوْسَقَا<sup>(١٠)</sup>  
وَجَمَعَ الْعُدَّةَ وَالْعَسِيدَا      وَكَشَفَ الْأَجْنَادَ وَالْحُسُودَا

(١) النواظير ، وحذفت الياء للشعر : جمع ناظور ، وهو الحارس .  
(٢) في بعض الأصول : « أُمِيَّة » . (٣) الجنائب : جمع جنوب ، وهي ريح  
تخالف الشمال ، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا .  
(٤) في بعض الأصول : « لَفْعُهُ » . (٥) يريد كعب بن مامة وحاتم طي .  
من أجواد العرب . (٦) في بعض الأصول : « وانظر إلى البديع من يباه » .  
(٧) الخابلة : المباراة . وفي بعض الأصول : « كَابِل » .  
(٨) في بعض الأصول : « إِذَا التَّجَّت » .  
(٩) في بعض الأصول : « وَرَقَّتِ الدُّنْيَا وَكَانَتْ فِتْنًا » .  
(١٠) في بعض الأصول : « وَأَسْتَوْثَقَا » .



أول غزاة غزاها أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد

ثم انتحى جَيَّان<sup>(١)</sup> في غزاته بعسكر يسعر من حماته<sup>(٢)</sup>  
 فاستنزل الوحش من المضاب كأنما حطت من السحاب  
 فأذعنت مِرَاقها سِرَاعًا وأقبلت حصونها تداعى  
 لنا رماها بسيوف العزم مشحوزة على دروع الحزم  
 كادت لها أنقشهم تجود وكادت الأرض بهم تميم  
 لولا الإله زلزلت زلزالها وأخرجت من رهبة أقالها  
 فأنزل الناس إلى البسيط وقطع البين من الخليط  
 وافتتح الحصون حصنًا حصنًا وأوسع الناس جميعًا أمنًا  
 ولم يزل حتى أنتحى جَيَّانًا فلم يدع بأرضها شيطانًا  
 فأصبح الناس جميعًا أمة قد عقد الإل لهم والذمة  
 ثم أنتحى من فوره إلى بيرة<sup>(٣)</sup> وهي بكل آفة مشهورة  
 فداستها بحيله ورجله حتى توطأ خدّها بنقله  
 ولم يدع من جنّها مريدًا بها ولا من إنسها عنيدًا  
 إلا كساه الذلّ والصغارًا وعمّه وأهله دمارًا  
 فما رأيت مثل ذلك العام ومثل صنع الله للإسلام  
 فأنصرف الأمير من غزاته وقد شفاه الله من غداته  
 وقبلها ما خضعت وأذعنت إستبجة<sup>(٤)</sup> وطالما قد صنعت  
 وبعدها مدينة الشَّيْل<sup>(٥)</sup> ما أذعنت للصارم الصَّقِيل

٣٦٥  
٢

١٠

١٥

٢٠

٢٥

(١) انظر الحاشية رقم (٥ ص ٤٩٩) من هذا الجزء .  
 (٢) في بعض الأصول : « يسعد من حماته » . (٣) قال ياقوت : لبيرة ، بوزن  
 لخریطة وبعضهم يقول : بليرة ، وربما قالوا : لبيرة : كورة كبيرة من الأندلس .  
 (٤) إستبجة (بالكسر ثم السكون وكسر التاء) : اسم لسكورة بالأندلس متصلة بأعمال  
 رية . (انظر معجم البلدان) . (٥) شَيْل : أحد نهري غرناطة وينحدر  
 من جبل شابر . والآخر حدرة ، وينحدر من جبل بناحية مدينة وادي آش .  
 وفي بعض الأصول : « النخيل » . وفي سائرهما : « الضنجيل » .

لما غزاها قائدُ الأميرِ باليمنِ في لوائهِ المنصورِ  
فأسلمتْ ولم تكنِ بالمسلمةِ وزال عنها أحدُ بنِ مسلمةِ  
وبعدها في آخرِ الشهورِ من ذلك العامِ الزَّكِيُّ<sup>(١)</sup> النُّورِ  
أزجفت القلاعُ والخُصُونُ كأنما ساورها المُنُونُ  
وأقبلتْ رجالُها وفودًا تنفي<sup>(٢)</sup> لدى إمامها السُّعودَا  
وليس من ذى غزاةٍ وشدةِ<sup>(٣)</sup> إلا توافوا عند بابِ الشَّدةِ  
فلوهم باخعةً بالطاعةِ قد أجمعوا الدُّخولَ في الجماعةِ

## سنة إحدى وثلاثمائة

ثم غزا في عُقب عامٍ قابلٍ فجال في شذونة<sup>(٤)</sup> والساحلِ  
ولم يدع ربةً<sup>(٥)</sup> والجزيرةِ حتى كوى أكلها المريرةِ  
حتى أناخ دُرى قرمونة<sup>(٦)</sup> بكلكل كدرة الطَّاحونةِ  
على الذى خالف فيها وأنتزى يعزى إلى سواده إذا اعتزى<sup>(٧)</sup>  
فسال أن يُمهله شهورًا ثم يكون عبده المأمورًا  
فأسعف الأميرُ منه ما سأل وعاد بالفضل عليه وقفل

## سنة اثنتين وثلاثمائة

كان بها القفول عند الجيِّهِ من غزو إحدى وثلاثمائة  
فلم يكن يُدرَك في باقيها غزو ولا بعث يكون فيها

(١) في بعض الأصول : « الذكى » . (٢) في بعض الأصول : « مدى أبيها » .

(٣) في بعض الأصول : « وعده » . وفي سائرهما : « ومنه » .

(٤) شذونة (بفتح أوله وبعد الواو الساكنة نون) : مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس . (انظر معجم البلدان)

(٥) ربة : كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء . (انظر معجم البلدان) .

وفي بعض الأصول : « مرية » . (٦) قرمونة : مدينة بالأندلس في الفرق

من إشبيلية وبينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلا . (انظر صفة جزيرة الأندلس) .

وفي معجم البلدان : « قرمونية » . (٧) في ابن الأبار : « سواره » .

سنة ثلاث وثلثمائة

ثُمَّتْ أَغْزَى فِي الثَّلَاثِ عَمَّةٌ	وَقَدْ كَسَاهُ عَزَمَهُ وَحَزَمَهُ	٣٦٦ ٢
فَسَارَ فِي جَيْشٍ شَدِيدٍ <sup>(١)</sup> الْبَاسُ	وَقَائِدُ الْجَيْشِ أَبُو الْعَبَّاسِ <sup>(٢)</sup>	
حَتَّى رَفَى بِذُرَى بُيُوتِهِ <sup>(٣)</sup>	وَجَالَ فِي سَاحَاتِهَا بِالْعَسْكَرِ	
فَلَمْ يَدْعُ زَرْعًا وَلَا نَمَارًا	لَهُمْ وَلَا عِلْقًا وَلَا عُقَارًا	٥
وَقَطَعَ الْكُرُومَ مِنْهَا <sup>(٤)</sup> وَالشَّجَرَ	وَلَمْ يُبَايِعْ <sup>(٥)</sup> عِلْجُهَا وَلَا ظَهَرَ	
ثُمَّ أَنْتَنِي مِنْ بَعْدِ ذَاكَ قَافِلًا	وَقَدْ أَبَادَ الزَّرْعَ وَالْمَآكِلَا	
فَأَيَقِنُ الْخِزِيرُ عِنْدَ ذَاكَ	أَنْ لَا بَقَاءَ يُرْتَجَى هُنَاكَ	
فَكَاتَبَ الْإِمَامَ بِالْإِجَابَةِ	وَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَالْإِنَابَةَ	
فَأَخَذَ اللَّهُ شِهَابَ الْفِتْنَةِ	وَأَصْبَحَ النَّاسُ مَعًا فِي هُدًى	١٠
وَأَرْتَعَتِ الشَّاةُ مَعًا وَالْدِّيبُ	إِذْ وَضَعْتَ أَوْزَارَهَا الْحُرُوبُ	

سنة أربع وثلثمائة

وَبَعْدَهَا كَانَتْ غَزَاةُ أَرْبَعٍ	فَأَيُّ صُنْعٍ رُبَّنَا لَمْ يَصْنَعْ	
فِيهَا يَبْسُطُ الْمَلِكُ الْأَوَاهِ	كَلَّمْنَا يَدَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	
وَذَاكَ أَنْ قَوَّدَ <sup>(٦)</sup> قَائِدَيْنِ	بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ ظَاهِرَيْنِ	١٥
هَذَا إِلَى الثَّغْرِ وَمَا يَلِيهِ	عَلَى عَدُوِّ الشَّرِّكَ أَوْ ذَوِيهِ	

(١) في بعض الأصول : « صدوق » .

(٢) أبو العباس ، هو أحمد بن أبي عبيدة ، وسيأتي ذكره قريباً . ( انظر ابن الأبار ١٤١ : ٤ ) .

(٣) انظر الحاشية رقم ( ٨ ص ٤٣٦ ) من هذا الجزء . ٢٠

(٤) في بعض الأصول : « منه » .

(٥) كذا في بعض الأصول . وفي بعض آخر : « لم يصادر » . وفي سائرهما : « لم يضاف » .

(٦) في بعض الأصول : « يقود » .

وذا إلى شَمِّ الرُّبَا من مُرْسِيهِ (١) وما مَضَى جَرَى إلى بَلَنْسِيهِ (٢)  
 فَكَانَ مَنْ وَجَّهَهُ لِسَاحِلِ الْقُرَشِيِّ الْقَائِدِ الْقُنَابِلِ (٣)  
 وَابْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ نَحْوِ الشَّرْكِ فِي خَيْرٍ مَا تَعْبِيَةِ وَشِكِّ (٤)  
 فَأَقْبَلَا بِكُلِّ فَتَحٍ شَامِلٍ وَكُلِّ تُكَلٍّ لِّلْعَدُوِّ نَاكِلِ  
 وَبَعْدَ هَذِي الْغَزْوَةِ الْغَرَاءِ (٥) كَانَ أَفْتَتَاحُ لَيْلَةٍ (٦) الْحَمْرَاءِ  
 أَغْرَى بِجُنْدٍ نَحْوَهَا مَوْلَاهُ فِي عَقَبِ هَذَا الْعَامِ لَا سِوَاهُ  
 بَدْرًا فَضَمَّ جَانِبَيْهَا ضَمَّهُ وَغَمَّهَا (٧) حَتَّى أَجَابَتْ حُكْمَهُ (٨)  
 وَأَسْلَمَتْ صَاحِبَهَا مَقْهُورًا حَتَّى أَتَى بَدْرُ بِهِ مَأْسُورًا

## سنة خمس وثلاثمائة

وبعدها كانت غزاة خمس إلى السَّوَادِيِّ عَقِيدِ النَّحْسِ (١)  
 لَمَّا طَغَى وَجَاوَزَ الْحُدُودَا وَنَقَضَ الْمِيثَاقَ وَالْعَهْدَا  
 وَنَابَذَ السُّلْطَانَ مِنْ شَقَائِهِ وَمِنْ تَعَذُّيهِ وَسُوءِ رَأْيِهِ  
 أَغْرَى إِلَيْهِ الْقُرَشِيُّ الْقَائِدَا إِذْ صَارَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ حَائِدَا  
 ثُمَّتْ شِدَّةُ أَرْزِهِ بِيَدْرِ فَكَانَ كَالشَّفْعِ لِهَذَا الْوَتْرِ (٢)  
 أَحَدَهَا بِالْخَيْلِ وَالرَّجَالِ مُشْمَرًا وَجَسَدًا فِي الْقِتَالِ (٣)  
 فَتَنَازَلَ الْحِصْنُ الْعَظِيمُ الشَّانِ بِالرَّجُلِ وَالرَّمَاةِ وَالْفُرْسَانِ (٤)

(١) مرسية (بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وياء مفتوحة خفيفة) : مدينة بالأندلس من أعمال تدمير . وبلنسية : كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير . (انظر معجم البلدان) .

(٢) هو إسحاق بن محمد القرشي . (انظر ابن خلدون ج ٤ ص ١٣٩) .  
 (٣) شك : جمع شكة ، بالكسر فيهما ، وهي السلاح .

(٤) ليلة (بفتح أوله ثم السكون ولام أخرى) : قصبة كورة بالأندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكشونية ، وهي شرق من أكشونية وغرب من قرطبة ولها مدن ، وتعرف بليلة الحمراء . (انظر معجم البلدان) . وفي بعض الأصول : «ليلة» بالمشاة التحتية .

(٥) في بعض الأصول «وعمها» . (٦) في بعض الأصول : «عشوه» .

(٧) بدر ، هو بدر بن أحمد الحاجب . (انظر البيان المغرب ج ١ ص ١٧٩) . وفي بعض الأصول : «بها والوتر» .

٣٦٧  
٢

فلم يزل يدرّ بها محاصراً  
والكلب في تهوّر<sup>(١)</sup> قد انغمس  
فأفترق الأصحاب عن لوائه  
وأفتحم العسكر في المدينة  
مستسلماً للذل والصغار  
فنزح الحاجب تاج ملكه  
وكان في آخر هذا العام  
غزاً وكان أنجده الأنجاد  
فسار في غير رجال الحرب  
مُحارباً في غير ما مُحارب  
وأجتمعت إليه أخلاط الكور  
حتى إذا أوغل في العدو  
أسلمه أهل القلوب القاسية  
فاستشهد القائد في أترار  
في غير تأخير ولا فرار  
١٥

### سنة ست وثلثمائة

ثم أقاد الله من أعدائه  
في مبدأ العام الذي من قابل  
فكان من رأي الإمام الماجد  
أن أحتمى بالواحد القهار  
وأحكم النصر لأوليائه  
أزهد فيه الحق نفس الباطل  
وخير مَولود وخير والد  
فأض من غيظ على الكفار  
٢٠

(١) في أكثر الأصول : « يتهوّر » . (٢) في بعض الأصول : « الضغينة » .

(٣) كذا في بعض الأصول . وفي سائرهما : « مكما » . والمكنع : المفعع البسد أو المقطوعها .

(٤) يريد : نكب الإسلام بأبي العباس ، فقلب . وفي بعض الأصول : « نكث » .

وفي بعض آخر : « ركت » .

- فَجَمَعَ الْأَجْنَادَ وَالْحُشُودَا      وَفَرَّ السَّيِّدَ وَالْمَسُودَا  
وَحَشَرَ الْأَطْرَافَ وَالْثَغُورَا      وَرَفَضَ اللَّذَاتِ وَالْحُبُورَا  
حَتَّى إِذَا مَا وَفَتْ الْجُنُودُ      وَاجْتَمَعَ الْحُشَادُ وَالْحُشُودُ  
قَوْدٌ<sup>(١)</sup> بَدْرًا أَمَرَ تِلْكَ الطَائِفَةُ      وَكَانَتْ النَّفْسُ عَلَيْهِ خَائِفَةُ  
نَسَارَ فِي كَتَائِبٍ كَالسَّيْلِ      وَعَسْكَرٍ مِثْلِ سَوَادِ اللَّيْلِ  
حَتَّى إِذَا حَلَّ عَلَى مُطْنِيهِ<sup>(٢)</sup>      وَكَانَ فِيهَا أَخْبَثُ الْبَرِيَةِ  
نَاصِبَهُمْ حَرْبًا لَهَا شَرَارُ      كَأَنَّمَا أُضْرِمَ فِيهَا النَّارُ  
وَجَدَّ مِنْ بَيْنَهُمُ الْقِتَالُ      وَأُخْذَتْ حَوْلَهُمُ الرِّجَالُ  
فَخَارِبُوا يَوْمَهُمْ وَيَأْتُوا      وَقَدْ نَفَتْ نَوْمَهُمُ الرِّمَاءُ  
فَهُمْ طَوَالَ اللَّيْلِ كَالطَّلَاحِ<sup>(٣)</sup>      جَرَّاحُهُمْ تَنْفُلُ فِي الْجَوَارِحِ<sup>(٤)</sup>  
ثُمَّ مَضَوْا فِي حَرْبِهِمْ أَيَّامًا      حَتَّى بَدَأَ<sup>(٥)</sup> الْمَوْتُ لَهُمْ زُؤَامًا  
لَمَّا رَأَوْا سَحَابَ الْمَنِيِّ      تُمَطَّرُهُمْ صَوَاعِقُ الْبَلِيَةِ  
تَغْلُفُ الْعُجْمَ بِأَرْضِ الْعُجْمِ      وَانْحَشَدُوا<sup>(٦)</sup> مِنْ تَحْتِ كُلِّ نَجْمِ  
فَأَقْبَلَ الْعِلْجُ لَهُمْ مُغِيثًا      يَوْمَ الْحَيْدِيسِ مُسْرِعًا حَيْثِمًا  
بَيْنَ يَدَيْهِ الرَّجُلُ وَالْفَوَاسِ      وَحَوْلَهُ الصُّلْبَانُ وَالنُّوَاقِسُ  
وَكَانَ يَرْجُو أَنْ يُزِيلَ الْعَسْكَرَا      عَنْ جَانِبِ الْحِصْنِ الَّذِي قَدْ دُمِّرَا  
فَأَعْتَقَهُ بَدْرٌ عَنْ لَدَيْهِ      مُسْتَبْصِرًا فِي زَخْفِهِ إِلَيْهِ  
حَتَّى التَقَتْ مَيْمَنُهُ بِمَيْسَرِهِ      وَأَعْتَقَتْ الْأَزْوَاحُ عِنْدَ الْحَنْجَرِهِ<sup>(٧)</sup>  
فَقَارَ حِزْبُ اللَّهِ بِالْعِلْجَانِ      وَأُنْهَزِمَتْ بَطَانَةُ الشَّيْطَانِ  
فَقَتَّلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا فَاشِيًا      وَأَدْبَرَ الْعِلْجُ ذَمِيمًا خَازِيًا<sup>(٨)</sup>

(١) في بعض الأصول : « أفاد » . (٢) في البيان : « مطونة » .  
(٣) الطَّلَاحُ : الإبل أعيت وتعبت . وتغل الجرح : نسد . وفي بعض الأصول :  
« تشغل » . وفي بعض آخر : « تغل » . والحوارح : أعضاء الإنسان .  
(٤) في أكثر الأصول : « ترى » . (٥) في بعض الأصول : « وانحشروا » .  
(٦) اعتقت : اعترضت . وفي أكثر الأصول : « واعتلت » .  
(٧) في أكثر الأصول : « خاسيا » .

وانصرف الناس إلى القليعة<sup>(١)</sup> فصبحوا العدو يوم الجمعة  
ثم التقى العُجبان في الطريق فأعدا على أُنهاب العسكر  
وأقسما بالجئيت والطاغوت لا يُهزما دون لقاء الموت  
فأقبلوا بأعظم الطغيان قد جَلَلوا الجبال بالفرسان  
حتى تداعى الناس يوم السبت فكان وقتاً ياله من وقت  
فأُشرعت بينهم الرماح وقد علا التكبير والصياح  
وقارقت أغمادها السيوف وفقرت أفواهها الحُتوف  
وألتقت الرجال بالرجال وأنغمسوا في غمرة القتال  
في موقفٍ زاغت به الأبصار وقصُرت في طوله الأعمار  
وهب أهل الصبر والبصائر فأوعوا<sup>(٢)</sup> على العدو الكافر  
حتى بدت هزيمة البشكنس<sup>(٣)</sup> كأنه يُخْتَضِب بالورس  
فانقضت العقبان والسلافة زَعَقاً<sup>(٤)</sup> على مُقدّم الجلالة  
عقبان موتٍ تحطِف الأرواحاً وتُسبغ السيوف والرماحاً  
فأنهزم الخنزيرُ عند ذاك وانكشفت عورته هُناك  
فقتلوا في بطن كل وادى وجاءت الرُّموس في الأعواد  
وقدّم القائد ألف راس<sup>(٥)</sup> من الجلاليق<sup>(٦)</sup> ذوى العماس<sup>(٧)</sup>

(١) في بعض الأصول: « مظنة ». قال ابن عذارى في البيان (ج ٢ ص ٢٤٨):  
« ثم عرجوا — يريد النصارى — على حصن بقرهم يعرف بالقليعة ... فأنخشد  
إليهم جميع أهل المدينة بقرهم وراجلهم ... فنبههم الله عز وجل أكتاف  
السكر ». (٢) في بعض الأصول: « الخليق ».

(٣) أوعق الفارة: بثها. وفي بعض الأصول: « فأرجفوا ». (٤)  
البشكنس: سكان الأندلس. وانظر نفع الطيب للمقرى.

(٥) زعقه (كنعه): دعره. وفي بعض الأصول: « رهقا ». والرهق (كالفرج):  
أن تحمل الإنسان على ما لا يطيقه، ولا يستقيم بها وزن الشعر إلا مع إسكان الهاء.

(٦) في بعض الأصول: « فارس ». (٧) في بعض الأصول: « الجلاليق ». وفي  
الخلفاء: جمع جلاليق (يفتح الثاء المثناة): رئيس للنصارى.

(٨) ذوى العماس، أو ذوى الشدة والبأس. ومنه: أمر عماس، كسحاب، أى شديد. وفي  
بعض الأصول: « ذوى الفماس ». وفي بعض آخر: « العماس ». وفي سائرهما: « الفطارس ».

فتم صنع الله للإسلام وعثما سرور ذاك العام  
وخير ما فيه من السرور موت ابن حفصون به الخنزير  
فاتصل الفتح بفتح ثاني والنصر بالنصر من الرحمن  
وهذه الغزاة تدعى القاضية وقد انتهت بعد ذلك الدهية<sup>(١)</sup>

## سنة سبع وثلثمائة

وبعدها كانت غزاة بلده<sup>(٢)</sup> وهي التي أودت بأهل الردة  
وبدوها أن الإمام المصطفى أصدق أهل الأرض عدلاً ووفاً  
لما آتته مينة الخنزير وأنه صار إلى السمعير  
كانت له أولاده بالطاعة وبالدخول مدخل الجماعة  
وأن يُقرهم على الولاية على درور الخرج والجباية  
فأختار ذلك الإمام المفضل ولم يزل من رأيه التفضل  
نم لوى الشيطان رأس جعفر وصار منه نافخاً في المنخر  
فمنقضى العهد والميثاق وأستعمل التشغيب والنفاقاً  
وصم أهل النكث والخلاف من غير<sup>(٣)</sup> ما كاف وغير وافي<sup>(٤)</sup>  
فاعتاقه<sup>(٥)</sup> الخليفة المؤيد وهو الذي يشقى به ويسعد  
ومن عليه من عيون الله حوافظ من كل أمر داهي  
فجند الجنود والكتائب وقود القواد والمقائبا  
نم غزا في أكثر العديد مستصحباً بالنصر والتأييد  
حتى إذا مرّ بحضن بلدة خلف<sup>(٦)</sup> فيه قائد في عدة

٣٦٩  
٢

١٠

١٥

٢٠

(١) في بعض الأصول: «الراية».

(٢) بلدة: مدينة بالأندلس من أعمال رية، وقيل من أعمال قبرة. (انظر معجم البلدان).

(٣) في بعض الأصول: «لغير». (٤) في بعض الأصول: «ولا موافق».

(٥) اعتاقه: صرفه وثبطه، كعاقبه.

(٦) في أكثر الأصول: «يخلد فيها».



يَمْنَعُهُمْ مِنْ أَنْتِشَارِ خَيْلِهِمْ وَحَارِسًا<sup>(١)</sup> فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلِهِمْ  
ثُمَّ مَضَى يَسْتَنْزِلُ الْحُصُونَا حَتَّى أَتَاهُ بَاشِرٌ<sup>(٢)</sup> مِنْ بَلَدَةٍ  
يَعْدُو بِرَأْسِ رَأْسِهَا فِي صَفْدَةٍ فَقَدَّمَ الْخَيْلَ إِلَيْهَا مُسْرِعًا  
خَفَّهَا بِالْخَيْسِلِ وَالرُّمَاهِ فَأَطْلَعَ الرَّجُلُ عَلَى أَنْقَابِهَا<sup>(٣)</sup>  
وَأَقْتَحَمَ الْجُنْدُ عَلَى أَبْوَابِهَا فَأَذَعَتْ وَلَمْ تَكُنْ بِمُدْعِنَةٍ  
فَقُدِّمَتْ كَفَّارَهَا لِلْسَيْفِ وَذَلِكَ مِنْ يُمِّنَ الْإِمَامِ الْمُتَّقَى  
وَقَتَلُوا بِالْحَقِّ لَا بِالْخَيْفِ وَخَيْرٍ مَنْ بَقِيَ وَخَيْرٍ مَنْ مَضَى  
فَلَمْ يَدْعُ بِهَا قَضِيًّا أَخْضَرَا ثُمَّ أَنْتَجَى مِنْ فَوْرِهِ يُبْشِرَا  
وَهَتَّكَ الرَّبَاعَ وَالرُّبُوعَا وَحَطَّ النَّبَاتَ وَالزُّرُوعَا  
مِنْ عَزَمِهِ فِي قَطْعِ مُنْتَوَاهِ<sup>(٥)</sup> فَادْرَأَى الْكَلْبُ الَّذِي رَأَى  
وَسَالَ أَنْ يُبْقَى عَلَيْهِ وَادْعَا<sup>(٦)</sup> أَلْقَى إِلَيْهِ بِالْيَدَيْنِ ضَارِعَا  
عَلَى دُرُورِ الْخُرْجِ مِنْ جِبَابَتِهِ<sup>(٧)</sup> وَأَنْ يَكُونَ عَامِلًا فِي طَاعَتِهِ  
كَيْلَا يَكُونَ فِي عَمَى<sup>(٨)</sup> مِنْ شَانِهِ فَوَثَّقَ الْإِمَامُ مِنْ رِهَانِهِ  
فَضَلَّ وَإِحْسَانًا وَسَارَ<sup>(٩)</sup> عَنْهُ وَقَبِلَ الْإِمَامُ ذَاكَ مِنْهُ

(١) فِي أَكْثَرِ الْأَصُولِ : « حَرَسَهُمْ » .

(٢) بَاشِرٌ ، أَيْ مُبَشِّرٌ . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « يَاسِرٌ » .

(٣) أَنْقَابُهَا ، أَيْ مَدَاخِلُهَا وَمَنَافِذُهَا وَطَرَفُهَا . وَفِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « أَعْقَابُهَا » .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَاسْتَسْلَمَ ابْنُ كَافِرٍ » .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فِي قِطْعِهِ مُنْتَوَاهٍ » .

(٦) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَسَالَ الْإِبْقَالُ لَهُ مَوَادٌ » .

(٧) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَرَدٌ » .

(٨) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فِي غَمَى » .

(٩) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَزَالَ » .

## سنة ثمان وثلثمائة

ثم غزا الإمام دار الحرب فكان خطباً ياله من خطب<sup>(١)</sup>  
 فحشدت<sup>(٢)</sup> إليه أعلام الكوز ومن له في الناس ذكر وخطر<sup>(٣)</sup>  
 إلى ذوى الديوان والرايات وكل منسوب إلى الشامات  
 وكل من أخلص للرحمن بطاعة في السر والإعلان  
 وكل من طاع في الجهاد<sup>(٤)</sup> أو ضمه سرج على الجياد<sup>(٥)</sup>  
 فكان حشداً ياله من<sup>(٦)</sup> حشد من<sup>(٧)</sup> كل حر عندنا وعبد  
 فتحسب الناس جرأداً منتشراً كما يقول ربنا فيمن خسر  
 ثم مضى المظفر المنصور على جبينه الهدى والنور  
 أمامه جند من الملائكة آخذة لربها وتاركة  
 حتى إذا فوز<sup>(٨)</sup> في العدو جنبه الرحمن كل سؤ  
 وأنزل الجزية والدواهي على الذين أشركوا بالله  
 فزلزلات أقدامهم بالرعب وأستغفروا من خوف نار الحرب<sup>(٩)</sup>  
 وافتحموا الشعاب والمكائنا وأسلموا الحصون والمدائن  
 فما بقي من جنات دور<sup>(١٠)</sup> من بيعة لاهب أو دير  
 إلا وقد صيرها هباء كالنار إذ وافقت الأباء<sup>(١١)</sup>

٣٧٠  
٣

١٠

١٥

(١) في البيان المغرب : « وفي سنة ٣٠٨ كان غزاة أمير المؤمنين إلى دار الحرب وهي غزاة مويش » .

(٢) في بعض الأصول : « تحاشدت » .

(٣) في بعض الأصول : « النار » . (٤) في بعض الأصول : « الجهاد » . ٣٠

(٥) في أكثر الأصول : « تعدي الحشاء » في مكان « مسرج على الجياد » .

(٦) في بعض الأصول : « لم يكن » مكان « ياله من » .

(٧) في بعض الأصول : « في » .

(٨) فوز : مضى . (٩) في بعض الأصول : « حر »

(١٠) في أكثر الأصول : « فما بقي من جنات دور » ٣٥

(١١) الأباء : القصب ؛ الواحدة : أباءة .

وزعزت كتائب السلطان  
فكان من أول حصن زعزعوا  
مدينة معروفة بوخشمة  
نم ارتقوا منها إلى حواضر<sup>(١)</sup>  
نم مَضُوا والعلاج يُحْتَذِرُهُمْ  
حتى أتوا تَوْأَ لَوَادِي دِي  
لما أَلْتَقَوْا بِمَجْمَعِ الْجَوَازِينِ  
مِنْ أَهْلِ أَلْيُونِ وَبَنِيْلُونَةِ<sup>(٥)</sup>  
تَضَافَرُ<sup>(٨)</sup> الْكُفْرُ مَعَ الْإِلْحَادِ  
فَاضْطَرُّوا فِي سَفْحِ طُودٍ عَالِي  
فَبَادَرَتْ إِلَيْهِمُ الْمُقَدِّمَةُ  
وَرِدُّهَا مُتَّصِلٌ بِرِدِّ<sup>(٩)</sup>  
فَأَنْهَزَمَ الْعِلْجَانُ فِي عِلَاجٍ  
كَلَامًا يَنْظُرُ حِينًا خَلْفَهُ  
وَالْبَيْضُ فِي إِثْرِهِمُ وَالسَّمَرُ  
فَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ مِنْ بَرَاكِ  
فَأَمَرَ الْأَمِيرُ بِالتَّقْوِيضِ

٥  
١٠  
١٥

لِكُلِّ مَا فِيهَا مِنَ الْبُنْيَانِ  
وَمَنْ بِهِ مِنَ الْعَدُوِّ أَوْقَعُوا  
فَغَادَرُوهَا فَحَمَةً مُسَخَّمَةً  
فَغَادَرُوهَا مِثْلَ أَمْسِ الدَّابِرِ  
بِحَيْثُ يَحْتَشِي وَيَقْتَفِيهِمْ<sup>(٢)</sup>  
فَفِيهِ عَفَى<sup>(٣)</sup> الرُّشْدُ سُبُلَ الْغَى  
وَأَجْتَمَعَتْ كِتَابُ الْعِلْجَانِ<sup>(٤)</sup>  
وَأَهْلُ أَرْنَيْطٍ<sup>(٦)</sup> وَبَرَشْلُونَةِ<sup>(٧)</sup>  
وَأَجْتَمَعُوا مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ  
وَصَفَّقُوا تَعْبِيَةً الْقِتَالِ  
سَاعِيَةً فِي خَيْلِهَا الْمُسَوَّمَةِ  
يُمَدُّ بِحَرْزٍ عَظِيمٍ الْمَدِّ  
وَلَبَسُوا ثَوْبًا مِنَ الْعِجَاجِ  
فَهُوَ يَرَى فِي كُلِّ وَجْهِ حَقْفَهُ  
وَالْقَتْلُ مَاضٍ فِيهِمْ وَالْأَسْرُ  
وَجَاءَتِ الرُّءُوسُ فِي الرِّمَاحِ  
وَأَسْرَعَ الْعَسْكَرُ فِي النَّهْوضِ

(١) في بعض الأصول : « خواطر » . تحريف . وانظر البيان المغرب ( ص ١٨٦ )

ففيه تعداد للعدن والخواضر التي افتتحها المسلمون .

(٢) في بعض الأصول : « وينقيهم » . (٣) في بعض الأصول : « عض » .

(٤) الملجان هما أزدون وشانجه . ( انظر البيان المغرب ص ١٨٧ ) .

(٥) أليون ، أي ليون وهي قاعدة من قواعد قشتالة . ( انظر صفة جزيرة الأندلس ) .  
وبنيلونة : مدينة بالأندلس بينهما وبين سرقسطة ١٢٥ ميلا . ( انظر صفة جزيرة الأندلس ) .

(٦) أرنيط : مدينة بالأندلس بينها وبين تطيلة ٣٠ ميلا . ( انظر صفة جزيرة الأندلس ) .  
وفي بعض الأصول : « يربص » : وفي سائرهما : « أربط » .

(٧) برشلونه : مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلا . ( انظر صفة جزيرة  
الأندلس ) . (٨) في بعض الأصول : « نظاهر » .

(٩) الرد : امتلاء الضرع من اللبن قبل التناج . شبه به مدد الجيش .

٣٧١  
٢

١٠

١٥

فصَادَفُوا الْجُيُوشَ لَمَّا هَزَمُوا وَعَايَنُوا قُوَادِمَهُمْ تُخَرُّمُوا  
 فَدَخَلُوا حَدِيقَةَ الْمَوْتِ إِذْ طَمَعُوا فِي حَصْنِهَا بِالْقُوَّةِ  
 فَيَا لَهَا حَدِيقَةً وَيَا لَهَا وَافَتْ بِهَا نَفْسُهُمْ آجَالَهَا  
 تَحَصَّنُوا إِذْ عَايَنُوا الْأَهْوََالَ وَصَخْرَةً كَانَتْ عَلَيْهِمْ صَيْلَمًا<sup>(١)</sup>  
 تَسَاقَطُوا يَسْتَطْعَمُونَ الْمَاءَ فَأُخْرِجَتْ<sup>(٢)</sup> أَرْوَاحُهُمْ ظِلْمَاءَ  
 فَكَمْ لِسَيْفِ اللَّهِ مِنْ جَزُورٍ فِي مَادِبِ الْغُرَبَانِ وَالنُّسُورِ  
 وَكَمْ بِهِ قَتْلَى مِنَ الْقَسَاوِسِ<sup>(٣)</sup> تَنْدِبُ لِلصُّلْبَانِ<sup>(٤)</sup> وَالنَّوَاقِسِ  
 ثُمَّ ثَنَى عَنَانَهُ الْأَمِيرُ وَحَوْلَهُ التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ  
 مُصَمِّمًا بِحَرْبِ دَارِ<sup>(٥)</sup> الْحَرْبِ قُدَّامَهُ كِتَابٌ مِنْ غُرَبِ  
 فِدَائِهَا وَسَامَهَا بِالْخُسْفِ وَالْهَتَكِ وَالسَّفْكَ لَهَا وَالنَّسْفِ  
 فَخَرَقُوا وَمَزَقُوا الْحُصُونَا وَأَسْخَنُوا<sup>(٦)</sup> مِنْ أَهْلِهَا الْعُيُونَا  
 فَأَنْظَرُ عَنْ الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ فَمَا تَرَى إِلَّا لَهَيْبَ النَّارِ  
 وَأَصْبَحَتْ دِيَارُهُمْ بِلَاقِعًا فَمَا تَرَى إِلَّا دُخَانًا سَاطِعًا  
 وَنُصِرَ الْإِمَامُ فِيهَا لِلْمُصْطَفَى وَقَدْ شَفَى مِنَ الْعَدُوِّ وَأَشْفَى

سنة تسع وثلثمائة

وبعدها كانت غزاة طرَّشَ سَمَا إِلَيْهَا جَيْشُهُ لَمْ يُنْهَشْ<sup>(٧)</sup>  
 وَأَحْدَقَتْ بِحَصْنِهَا الْأَفَاعِي وَكُلُّ صِلَى أَسُودٍ شُجَاعٍ

- (١) الصيلم : الداهية والأمر الشديد . (٢) في بعض الأصول : « فاستخرجت » .  
 (٣) في بعض الأصول : « النسانس » . وفي سائرهما : « القوامس » .  
 (٤) في بعض الأصول : « يندب بالصلبان » .  
 (٥) في بعض الأصول : « بذيخ أهل » . (٦) في بعض الأصول : « وأسخنوا » .  
 (٧) في أكثر الأصول : « طوس ... قس » . وما أثبتنا من سائر الأصول . وطرش  
 (ضم أوله وتشديد ثانيه . وآخره شين معجمة ) : ناحية بالأندلس تشتمل على  
 ولاية قرى . انظر معجم البلدان وابن الأبار ( ج ص ٢١٤ ) والبيان المغرب  
 ( ص ١٩٠ ) . ولم ينهش ، أى لم يبق ولم يجهد .

نم بنى حصناً عليها راتباً      يفتنور القواد فيه دائباً  
حتى أنابت عنوةً جنائنها      وغاب عن يافوخها شيطانها  
فأذعنت لسيّد السادات      وأكرم الأحياء والأموات  
خليفة الله على عباده      وخير من يحكم في بلاده  
وكان موت بدر بن أحمد      بعد قفول الملك المؤيد  
وأستحجب الإمام خير حاجب      وخير مصحوب وخير صاحب  
موسى الأغر من بنى جدير<sup>(١)</sup>      عقيد كل رافة وخير

سنة عشر وثلثمائة

وبعدها غزاة عشر غزوه      بها أفتتح منتلون عنوة<sup>(٢)</sup>  
غزا الإمام في ذوى السلطان      يوم أهل النكث والطغيان  
فاحتل حصن منتلون<sup>(٣)</sup> قاطعاً      أسباب من أصبح فيه خالفاً  
سار إليه وبني<sup>(٤)</sup> عليه      حتى أناه ملقياً بديه  
ثم أنثنى عنه إلى شدونه      فعاضها سهلاً من الخزونه<sup>(٥)</sup>  
وساقها بالأهل والولدان      إلى لزوم قبضة الإيمان  
ولم يدغ صعباً ولا منيعاً      إلا وقد أذلهم جميعاً  
ثم أنثنى بأطيب القول      كما مضى بأحسن الفضول

سنة إحدى عشرة وثلثمائة

وبعدها غزاة إحدى عشرة      كم تبته من نائم في سكره

(١) كذا في تقع الطيب (١ ص ٢٢٩) والبيان المغرب (ص ١٩١) . والذي في الذهبي (ص ٤٣٩) : « موسى بن محمد بن حدير الحاجب » بإلقاء المهمل . والذي في الأصول : « جرير » .

(٢) في أكثر الأصول : « منه وعنوة » مكان « مثلون عنوة » .

(٣) في بعض الأصول : « ضرورة » . (٤) في بعض الأصول : « نبي » .

(٥) شدونه . مدينة بالأندلس . وانظر الحاشية رقم (٣ ص ٥٠٤) من هذا الجزء .

٣٧٢  
٣

غزا الإمامُ يَنْتَحِي بِبَشْتَرَا<sup>(١)</sup> في عَسْكَرٍ أَعْظَمَ بِذَلِكَ عَسْكَرَا  
فاحتلَّ مِنْ مُبَشَّتَر ذَرَاهَا وِجَال<sup>(٢)</sup> فِي شَاطِئِ<sup>(٣)</sup> وَفِي سَوَاهَا<sup>(٤)</sup>  
فخَرَّبَ الْعُمَرَانِ مِنْ مُبَشَّتَرِ وَأَذْعَنْتْ شَاطِئُ لَرْبِ الْعَسْكَرِ  
فَأَدْخَلَ الْعُدَّةَ<sup>(٥)</sup> وَالْعَدِيدَا فِيهَا وَلَمْ يَتْرَكْ بِهَا عَيْنِيدَا  
ثُمَّ أَنْتَحَى بِعَدُ حُصُونِ الْعُجْمِ فَدَامَهَا بِالْقَضْمِ بَعْدَ الْخُضْمِ<sup>(٦)</sup>  
مَا كَانَ فِي سَوَاحِلِ الْبُحُورِ مِنْهَا وَفِي الْغَابَاتِ وَالْوُغُورِ  
وَأَدْخَلَ الطَّاعَةَ فِي مَكَانٍ لَمْ يَذُرْ قَطُّ طَاعَةَ السُّلْطَانِ  
ثُمَّ رَمَى الثَّغَرَ بِخَيْرِ قَائِدٍ وَذَادَهُ عَنْهُ بِخَيْرِ ذَائِدٍ<sup>(٧)</sup>  
بِهِ قَمَّا<sup>(٨)</sup> اللَّهُ ذَوِي الْإِشْرَاكِ وَأَنْقَذَ الثَّغَرَ مِنَ الْهَلَاكِ  
وَأَنْتَاشَ مِنْ مَهْوَاتِهَا تَطِيلَه<sup>(٩)</sup> وَقَدْ جَرَتْ دِمَاؤُهَا مَطْلُولَه<sup>(١٠)</sup>  
وَطَهَّرَ<sup>(١١)</sup> الثَّغَرَ وَمَا يَلِيهِ مِنْ شَيْعَةِ الْكُفْرِ وَمِنْ ذَوِيهِ  
ثُمَّ أَنْتَشَى<sup>(١٢)</sup> بِالْفَتْحِ وَالنَّجَاحِ قَدْ غَيَّرَ الْفَسَادَ بِالصَّلَاحِ

(١) انظر الحاشية (رقم ١ من ٤٢٧) من هذا الجزء . وفي بعض الأصول :

« ينتفى ببشترا » .

(٢) في بعض الأصول : « وِجَال » .

(٣) شاطئ : حصن بالأندلس من أعمال كورة البيرة كثير الشجر والفواكه والخيرات .

( انظر معجم البلدان )

(٤) في بعض : « ومستواها » . (٥) في بعض الأصول : « القوة » .

(٦) القضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس . وفي

بعض الأصول : « بالقضم بعد القضم » .

(٧) الثغر : كل موضع قريب من أرض العدو

(٨) كذا في بعض الأصول . و « قماً » ( بالهمز وسهل ) : فم . والذي في سائر

الأصول : « قضى » .

(٩) تطيلة ( بالقضم ثم السكسر وباء ساكنة ولام ) : مدينه بالأندلس في شرق قرطبة .

( انظر معجم البلدان )

(١٠) في بعض الأصول : « ثوت ... مطوله » .

(١١) في بعض الأصول : « سهل » .

(١٢) في بعض الأصول : « ثم انتهى » .

سنة اثنتى عشرة وثلثمائة

وبعدها غزاة ثنتى عشرة	وكم بها من حشرة <sup>(١)</sup> وعبرة
غزا الإمام حوله كتائبه	كالبدر محفوفاً به كواكبه <sup>(٢)</sup>
غزا وسيف النصر في يمينه	وطالع السعد على جبينه
وصاحب العسكر والتدبير <sup>(٣)</sup>	موسى الأغر حاجب الأمير <sup>(٤)</sup>
فدمر الحصون من تدمير	وأستنزل الوحش من الصخور <sup>(٥)</sup>
فاجتمعت عليه كل الأمة	وبايعته أسراء الفتنه
حتى إذا أوعب من حصونها	وجمل الحق على متونها <sup>(٦)</sup>
مضى وسار <sup>(٧)</sup> في ظلال العسكر	تحت لواء الأسد الغضنفر
رجال <sup>(٨)</sup> تدمير ومن يليهم	من كل صنف يعتزى إليهم
حتى إذا حل على تطيله <sup>(٩)</sup>	بكت على <sup>(١٠)</sup> دماؤها المطبولة
وعظم ما لاقت من العدو	والحرب في الزواح والعدو
فهم أن يديخ <sup>(١١)</sup> دار الحرب	وأن تكون ردأه في الدرب
ثم أستشار ذا النهى والحجبر	من صحبه ومن رجال الثغر
فكلهم أشار أن لا يذربا	ولا يجوز الجبل المؤشبا

- (١) في بعض الأصول : « خيرة » .  
 (٢) في بعض الأصول : « كتائب » و « الكواكب » .  
 (٣) في بعض الأصول : « والتدبير » . (٤) في بعض الأصول : « صاحب » .  
 (٥) تدمير (الضم ثم السكون وكسر الميم وباء ساكنة وراء) : كورة بالأندلس تنصل بأحواز كورة جيان ، وهي شرقي قرطبة . (انظر معجم البلدان) .  
 (٦) أوعب الشيء : أخذه أجمع .  
 (٧) في بعض الأصول : « وطار » . (٨) في بعض الأصول : « رجال » .  
 (٩) انظر الحاشية رقم (٥ ص ٥١٦) من هذا الجزء .  
 (١٠) في بعض الأصول : « نكب عن » .  
 (١١) يديخ ، أى يفهرها ويستولى عليها . وفي بعض الأصول : « يزخ » .

لأنه في عسكرٍ قد انخرمُ      بنذبِ كلِّ العُرفاءِ والحُشمِ  
 وشَنَعُوا أَنْ وَرَاءَ الفَجِّ      خمسينَ ألفاً من رجالِ العليجِ  
 فقال لا بُدَّ من الدُّخُولِ      وما إلى جاشاهِ من سبيلِ  
 وأن أُديخَ أرضَ بَنِي لُؤْلُؤَهِ<sup>(١)</sup>      وساحةَ المدينةِ الملعونةِ  
 وكان رأياً لم يكن من صاحبِ      ساعدهِ عليه غيرُ الحاجبِ<sup>(٢)</sup>  
 فاستنصر اللهَ وعيَّ ودخل      فكان فتحاً لم يكن له مثْلُ  
 لما مضى وجاوز الدُّرُوبَا      وأدَّرعَ الهيَّجاءَ والحُرُوبَا  
 عيَّ له عِلْجٌ من الأعلاجِ      ككتائباً غَطَّتْ على الفِجَاجِ<sup>(٣)</sup>  
 فاستنصر الإمامُ ربَّ الناسِ      ثم أَسْتَعانَ بالندى والباسِ  
 وعاد بالرَّغْبَةِ والدُّعَاءِ      وأَسْتَنَزَلَ النُّصْرَ مِنَ السَّمَاءِ  
 فَقَدَّمَ القُوَّادَ بِالْحُشُودِ      وَأَتَمَعَ المَدُودَ بِالْمُدُودِ  
 فَأَنْهَزَ العِلْجَ وَكَانَتْ مَلْحَمَةٌ      جاوزَ فيها السَّاقَةُ المَقْدُمَةُ  
 فُقُتِلُوا مَقْتَلَةً الفَنَاءِ      فَأَرْتَوَتْ البَيْضُ مِنَ الدِّمَاءِ  
 ثم أَمَالَ نَحْوَ بَنِي لُؤْلُؤَهِ      وَأَفْتَحَ العِسْكَرُ فِي المَدِينَةِ  
 حتَّى إِذَا جَاسُوا خِلَالَ دُورِهَا      وَأَسْرَعَ الخِرَابُ فِي مَقْمُورِهَا  
 بَكَتْ عَلَى مَا فَاتَهَا النُّوَاطِرُ      إِذْ جَمَلَتْ تَدْقُمَا<sup>(٤)</sup> الحَوَافِرُ  
 لَفَقَدَ مِنْ قَتْلٍ مِنْ رِجَالِهَا      وَذُلٌّ مِنْ أَيْتَمٍ مِنْ أَطْفَالِهَا  
 فَكَمَّ بِهَا وَحَوْلَهَا مِنْ أَغْلَفٍ<sup>(٥)</sup>      تَهَمَّى عَلَيْهِ الدَّمْعُ عَيْنُ الأَسْقَفِ<sup>(٦)</sup>  
 وَكَمَّ بِهَا حَقَرٌ<sup>(٧)</sup> مِنْ كِنَائِسِ      بَدَّلتِ الأَذَانُ بالنُّوَاقِسِ

(١) انظر الحاشية (رقم ٥ ص ٥١٣) من هذا الجزء .

(٢) في بعض الأصول : « خير حاجب » .

(٣) في بعض الأصول : « العلاج ... الفجوج » .

(٤) في بعض الأصول : « مدقة » . (٥) الأغلف : الذي لا يمي .

(٦) في بعض الأصول : « دمع عين » .

(٧) في بعض الأصول : « مزاء » .



يَبْكِي لَهَا الدَّقُوسُ وَالصَّلِيبُ      كَلَامَا قَرَضَ لَهُ النَحِيبُ  
وَانصَرَفَ الْإِمَامُ بِالنَّجَاحِ      وَالنَّصْرِ وَالْتَأْيِدِ وَالْفَلَاحِ  
ثُمَّ ثَنَى الرَّايَاتِ فِي طَرِيقِهِ      إِلَى بَنِي ذِي النُّونِ مِنْ تَوْفِيقِهِ  
فَأَصْبَحُوا مِنْ بَسْطِهِمْ فِي قَبْضِ      قَدْ أَلْصَقَتْ خَدُودَهُمْ بِالْأَرْضِ  
حَتَّى بَدَوْا إِلَيْهِ بِالْبَرْهَانِ      مِنْ أَكْبَرِ الْأَبَاءِ <sup>(١)</sup> وَالْوِلْدَانِ  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَأْيِيدِهِ      حَمْدًا كَثِيرًا وَعَلَى تَسْدِيدِهِ

### سنة ثلاث عشرة وثلثمائة

ثُمَّ غَزَا بِيَمْنِهِ <sup>(٢)</sup> أَشُونَا <sup>(٣)</sup>      وَقَدْ أَشَدُّوا حَوْلَهَا حُصُونًا  
وَحَمَمًا <sup>(٤)</sup> بِالْخَيْلِ وَالرِّجَالِ      وَقَاتَلُوهُمْ أَبْلَغَ الْقِتَالِ  
حَتَّى إِذَا مَا عَايَنُوا الْمَلَكَ      تَبَادَرُوا بِالطَّوْعِ حِينَذَا كَا <sup>(٥)</sup>  
وَأَسَامُوا حِصْنَهُمُ الْمَنِيْعَا      وَصَمَحُوا بِخَرْجِهِمْ خُضُوعًا <sup>(٦)</sup>  
وَقَبَلَهُمْ فِي هَذِهِ الْغَزَا      قَدْ هُدِّمَتْ مَعَاوِلُ الْعُصَا <sup>(٧)</sup>  
وَأَحْكَمَ الْإِمَامُ فِي تَدْبِيرِهِ      عَلَى بَنِي هَابِلَ <sup>(٨)</sup> فِي مَسِيرِهِ  
وَمَنْ سَوَاهِمٍ مِنْ ذَوِي الْعَشِيرَةِ      وَأُمَرَاءِ الْفِتْنَةِ الْمُغِيرَةِ  
إِذْ حُبِسُوا <sup>(٩)</sup> مَرَاقِبًا <sup>(١٠)</sup> عَلَيْهِمْ      حَتَّى أَتَوْا بِكُلِّ مَا لَدَيْهِمْ  
مِنْ الْبَنِينَ وَالْعِيَالِ وَالْخَشَمِ      وَكُلِّ مَنْ لَا ذَبِيحَهُمْ مِنَ الْخَدَمِ  
فَهَبَطُوا مِنْ أَجْمَعِ الْبُلْدَانِ      وَأَسْكَنُوا مَدِينَةَ السُّلْطَانِ

(١) في بعض الأصول : « أكثر الأنبياء » . وفي سائرهما : « أكثر الإمام » .  
(٢) في بعض الأصول : « بقية » . (٣) كذا في بعض الأصول . ولعلها :  
« أشونة » وهي حصن بالأندلس من كورة استجة . ( انظر معجم البلدان وصفة  
جزيرة الأندلس ) . (٤) في بعض الأصول : « وخصما » .  
(٥) في بعض الأصول : « عند ذاك » . (٦) في بعض الأصول : « سريعا » .  
(٧) في بعض الأصول : « معاقدا الآساء » . (٨) في بعض الأصول : « هائل » . وما  
أثبتنا من سائر الأصول و Spanish Islam 353 .  
(٩) في بعض الأصول : « حسبوا » . (١٠) في بعض الأصول : « مرتبة » .

فكان في آخر هذا العام بعد خضوع الكفر للإسلام  
 مشاهد من أعظم المشاهد على يد عبد الحميد القائد  
 لما غزا إلى بني ذى النون فكان فتحاً لم يكن بالنون  
 إذ جاوزوا في الظلم والطغيان بقتلهم لعامل السطاط  
 وحاولوا الدخول في الأذية حتى غزاهم أنجيد البرية  
 فعاقبهم عن كل ما رجوه بنقضه كل<sup>(١)</sup> الذي بنوه  
 وضبطه الحصن العظيم الشأن أشين<sup>(٢)</sup> بالرجل وبالفرسان  
 ثم مضى الليث إليهم زحفاً يخطف الأزواح منهم خطفاً  
 فانهزموا هزيمة لن تردداً وأسلموا صنفهم محمدًا  
 وغيره من أوجه الفرسان مغرب<sup>(٣)</sup> في ماتم الغربان  
 مقطّع الأوصال بالسنايك من بعد ما مزق<sup>(٤)</sup> بالنيازك  
 ثم لجؤا إلى طلاب الأمن وبذلهم ودائعاً<sup>(٥)</sup> من رهن  
 فقبضت رهاهم وأمنوا وأنقضوا رءوسهم وأذعنوا  
 ثم مضى القائد بالتأييد والنصر من ذى العرش والتسيد  
 حتى أتى حصن بني عماره والحرب بالتدبير والإدارة<sup>(٦)</sup>  
 فافتتح الحصن وخلي صاحبه وأمن الناس جميعاً جانبته

سنة أربع عشرة وثلثمائة

لم يفر فيها وغزت قوادده وأعتورت ببشرا<sup>(٧)</sup> أجناده  
 فكلمهم أبلى وأغنى واكتفى وكلهم شفى الصدور وأشتفى

(١) في بعض الأصول: «على». (٢) كذا في بعض الأصول والبيان مغرب ٣٠

(س ٢٠٢). والذي في سائر الأصول: «سرية».

(٣) في بعض الأصول: «مسربلا». وفي سائرهما: «مغربا».

(٤) في بعض الأصول: «ما فرض».

(٥) في بعض الأصول: «بدائعا». وفي سائرهما: «وثائقا».

(٦) في بعض الأصول: «بالحرب والتدمير والإفارة».

(٧) في الأصول: بستر - تحريف. (انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٢٧) من هذا الجزء.

ثم تلاهم بعدُ لَيْثُ الْغَيْلِ عَبْدُ الْحَمِيدِ مِنْ بَنِي بَسِيلٍ <sup>(١)</sup>  
هو الذي قامَ مقامَ الضَّيْعَمِ وجاءَ <sup>(٢)</sup> في غَزَاتِهِ بِالصَّيْلِ <sup>(٣)</sup>  
رَأْسِ جَالُوتِ النِّفَاقِ وَالْحَسَدِ مِنْ جُمُعِ الْخَنَزِيرُفِيهِ وَالْأَسَدِ  
فَهَا كِهْ مَعَ حَاجِبِهِ فِي عِدَّةٍ مُصَلِّينَ عِنْدَ بَابِ السُّدَّةِ <sup>(٤)</sup>  
قَدْ أَمْتَقَطَى مَطْيِيَّةً لَا تَبْرَحُ صَائِمَةً قَائِمَةً لَا تَرْمَحُ  
مَطْيِيَّةً إِنْ بَعَرُهَا أَنْكَسَارُ يُطِئُهَا النَّجَارُ لَا الْبَيْطَارُ  
كَأَنَّهُ مِنْ فَوْقِهَا أُسُورُ <sup>(٥)</sup> عَيْنَاهُ فِي كَلْبَتَيْهَا مِسْمَارُ  
مُبَاشِرًا لِلشَّمْسِ وَالرَّيَاحِ عَلَى جَوَادٍ غَيْرِ ذِي جَاحِ  
يَقُولُ لِلْخَاطِرِ بِالطَّرِيقِ قَوْلَ مُحَبِّ نَاصِحٍ شَفِيقِ  
هَذَا مَقَامُ خَادِمِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ عَصَى خَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ  
فَمَا رَأَيْنَا وَاعْظَا لَا يَنْطِقُ أَصْدَقَ مِنْهُ فِي الَّذِي لَا يَصْدُقُ  
فَقُلْ لِمَنْ غُرُ <sup>(٦)</sup> بِسُوءِ رَأْيِهِ يَمُتُ إِذَا شَاءَ بِمِثْلِ دَائِهِ  
كَمْ مَارِقٍ مَضَى وَكَمْ مُنَافِقٍ قَدَارَتَقَى فِي مِثْلِ ذَاكَ الْخَالِقِ  
وَعَادَ وَهُوَ فِي الْعَصَا مُصَلَّبٌ وَرَأْسُهُ فِي جِدْعِهِ مُرْكَبٌ  
فَكَيْفَ لَا يَعتَبِرُ الْخَالِفُ بِحَالِ مَنْ تَطْلِبُهُ الْخُلَافُ  
أَمَا تَرَاهُ فِي هَوَانٍ يَرْتَعُ <sup>(٧)</sup> مَعْتَبَرًا لِمَنْ يَرَى وَيَسْمَعُ

سنة خمس عشرة وثلثمائة

فِيهَا غَزَا مَعْتَزِمًا <sup>(٨)</sup> بِبُسْتَرَا <sup>(٩)</sup> فُجَالٍ فِي سَاحَتِهَا وَدَمَرَا

٣٧٥  
٢

- (١) كَذَا فِي الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ (ص ٢٠٣) . وَالَّذِي فِي ابْنِ الْأَبَارِ (ج ٤ ص ١٣٥) :  
« عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ سَبِيلٍ » . وَالَّذِي فِي الْأَصُولِ « نَسِيلٍ » .  
(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَجَاءَ » . (٣) الصَّيْلُ : الدَّاهِيَةُ وَالْأَمْرُ الشَّدِيدُ .  
(٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عِنْدَنَا الشَّدَّةُ » مَكَانَ « بَابِ السُّدَّةِ » .  
(٥) الْأُسُورُ (بِالضَّمِّ وَالسَّكْسَرِ) : قَائِدُ الْفَرَسِ ، وَالْحَمِيدُ الرَّمِيُّ بِالسَّهْمِ ، وَالثَّابِتُ عَلَى  
ظَهْرِ فَرَسِهِ . (٦) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « عَزَاءً » . (٧) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ :  
« أَمَا رَأَاهُ مِنْ هَوَانٍ يَرْفَعُ » . (٨) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « مَعْتَزِمًا » .  
(٩) فِي الْأَصُولِ : « بِبُسْتَرَا » . وَانْظُرِ الْحَاشِيَةَ (رَقْم ١ ص ٤٢٧) مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .  
(٦٦ — ٤)

ثم غزا طَلْجِيرة<sup>(١)</sup> إليها وهي الشَّجِي من بين أخذ عَيْنَهَا  
وامتدَّها بَابِن السَّلِيم رَاتِبًا مَشْمَرًا عَنْ سَاقِهِ مُحَارِبًا<sup>(٢)</sup>  
حَتَّى رَأَى خَفْصَ سَبِيلِ رُشْدِهِ بَعْدَ بُلُوغِ غَايَةٍ مِنْ جُهْدِهِ  
فَدَانَ لِلْإِمَامِ قَصْدًا خَاضِعًا وَأَسْلَمَ الْحِصْنَ إِلَيْهِ طَائِعًا

## سنة ست عشرة وثلثمائة

لَمْ يَغْزُ فِيهَا وَانْتَحَى بُيُوتَهَا فَرَمَهَا بِمَا رَأَى وَدَبَّرَهَا  
وَاحْتَلَهَا بِالْعَزِّ وَالْتِمَكِينِ وَنَحَوَ آثَارَ بَنِي خَفْصُونَ  
وَعَاضَهَا الْإِصْلَاحَ مِنْ فُسَادِهِمْ وَطَهَّرَ الْقُبُورَ مِنْ أَجْسَادِهِمْ  
حَتَّى خَلَا مَلْحُودُ كُلِّ قَبْرِ مِنْ كُلِّ مُرْتَدٍّ عَظِيمٍ الْكَفْرِ  
عِصَابَةً مِنْ شَيْعَةِ الشَّيْطَانِ عِدْوَةً لِّلَّهِ وَالسَّلْطَانِ  
فَخَرَّمَتْ أَجْسَادُهَا تَخَرُّمًا وَأَصْلَيْتْ أَرْوَاحُهُمْ جَهَنَّمَ  
وَوَجَّهَ الْإِمَامُ فِي ذَا الْعَامِ عَبْدَ الْحَمِيدِ وَهُوَ كَالضَّرْغَامِ<sup>(٣)</sup>  
إِلَى ابْنِ دَاوُدَ الَّذِي تَقَلَّعَا فِي جَبَلٍ شَذُونَةٍ<sup>(٤)</sup> تَمْتَمُهَا  
فَخَطَّهَ مِنْهَا إِلَى الْبَسِيطِ كَطَائِرٍ آذَنَ بِالشَّقِوِطِ  
ثُمَّ أَتَى بِهِ إِلَى الْإِمَامِ إِلَى وَفَى الْعَهْدَ وَالذَّمَامَ

(١) كذا في بعض الأصول والبيان المغرب (ص ٢٠٧) . قال ابن عذاري : « ثم

انتقل — يعني الناصر — إلى محلة طَلْجِيرة ، فمهَّدَ بِالْبُنْيَانِ فِيهَا وَأَقَامَ بِهَا » .

والذي في سائر الأصول : « ثم بنى طَلْجِيرة عليها » .

(٢) رَاتِبًا ، من الرتب ، وهو الشدة والانصباب .

(٣) في بعض الأصول : « الضيغم الضرغام » .

(٤) في بعض الأصول : « شزونة » . تحريف . انظر الحاشية رقم (٣ ص ٥٠٤)

من هذا الجزء .

سنة سبع عشرة وثلثمائة

وبعد سبع عشرة وفيها غزا بطليموس وما يليها <sup>(١)</sup>  
 فلم يزل يسومها بالخسف وينتجها بسيف الحنف  
 حتى إذا ما ضم جانبها محاصراً ثم بنى عليها  
 خلى ابن إسحاق عليها راتبا مثابراً في حربيه مواظباً  
 وقرية ستمص <sup>(٢)</sup> حصون الغرب ويقتلها بويل الحرب  
 حتى قضى منهن كل حاجة وأفتحت أكشونية <sup>(٣)</sup> وباجة <sup>(٤)</sup>  
 وبعد فتح الغرب واستقصائه وحسمه الأدواء من أعدائه  
 اجت بطليموس على نفاقها وغرها اللجاج من مراتها  
 حتى إذا شافها الحتوفا وشامت الرماح والسيف  
 دعا ابن مروان إلى السلطان وجاءه بالهد والامان <sup>(٥)</sup>  
 فصار في توسعة الإمام وساكناً في قبة الإسلام

سنة ثمانى عشرة وثلثمائة

فيها غزا بعزمه طليطله وأمتنعوا بمقل لا مثل له  
 حتى بنى جرنكشه <sup>(٦)</sup> بجذبها حصناً منيعاً كانلاً بحربها

(١) بطليموس (بفتحين وسكون اللام وباء مضمومة وسين مهملة) : مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة . (انظر معجم البلدان) .  
 (٢) في بعض الأصول : « يستصفر » .  
 (٣) أكشونية (بفتح الهمزة وسكون الكاف وضم الشين المعجمة وسكون الواو وكسر النون وباء خفيفة) : مدينة بالأندلس يتصل عملها بعمل لشبونة . (انظر معجم البلدان) . وفي الأصول : « شكوتة » وما أثبتنا من البيان المغرب (ص ٢٥٥) .  
 (٤) باجة : في خمسة مواضع ، منها باجة الأندلس هذه . (انظر معجم البلدان) .  
 (٥) هو ابن مروان المنقري وكان على بطليموس . (انظر البيان المغرب ص ٢١٣) .  
 (٦) كذا في تاريخ المسلمين بالأندلس لدوزي . وفي البيان المغرب (ص ٢١٨) : « جرنكش » . وفيه : حتى احتل محلة جرنكش بقرب طليطلة ، ثم أمر بالبنان في جبل جرنكش » . والذي في الأصول : « جرنكشه » .

٣٧٦  
٣

وشدّها بأبن سليم قائداً مجالداً لأهلها مجاهداً  
فجّاسها في طول ذاك العام بالخسف والنسف وضرب الهام

سنة تسع عشرة وثلثمائة

ثم أتى<sup>(١)</sup> ردّ قاله درّى<sup>(٢)</sup> في عسكر قضاؤه مفضي  
فحاصروها عام تسع عشرة بكلّ محبوبك القوي ذى مِرّه<sup>(٣)</sup>  
ثم أتاهم بعد بالرجال فقتلواهم أبلغ القتال

سنة عشرين وثلثمائة

حتى إذا ما سلفت شهور من عام عشرين لها ثبور  
ألقت يديها للإمام طائعه<sup>(٤)</sup> وأستسلمت قسراً إليه باخعه  
فأذعنت وقيلها لم تدعن ولم تقد من نفسها وتمكن  
ولم تدن لربّها بدين سبعا وسبعين من السنين  
ومبتدى عشرين مات الحاجب موسى الذي كان الشهاب الثاقب  
وبرز<sup>(٥)</sup> الإمام بالتأييد في عُدّة منه وفي عديد  
صمداً<sup>(٦)</sup> إلى المدينة اللعينة أنعمها الرحمن من مدينته  
مدينة الشقاق والنفاق وموئل<sup>(٧)</sup> الفساق والرّاق  
حتى إذا ما كان منها بالأمر وقد ذكّار الهجير واحتدم  
أناه واليها وأشياخ<sup>(٨)</sup> البلد مستسلمين للإمام المعتمد  
فوافقوا الرّحب من الإمام وأنزلوا في البرّ والإكرام  
ووجه الإمام في الظّهيرة خيلاً لكي تدخل في الجزيرة<sup>(٩)</sup>

(١) في بعض الأصول : « اثني » . (٢) درى ، هو درى بن عبد الرحمن الصقلي أبو عثمان ، مولى أمير المؤمنين الناصر . ( انظر البيان المغرب ص ٢٠٧ )  
(٣) في بعض الأصول : « أسره » . (٤) في بعض الأصول : « طائعه » .  
(٥) في بعض الأصول : « وجوز » . (٦) في بعض الأصول : « صبرا » .  
(٧) في بعض الأصول : « وتريد » . (٨) في بعض الأصول : « بأشياخ » .  
(٩) في بعض الأصول : « لسكيا يدخل الجزيرة » .

جريدة<sup>(١)</sup> قائدُها دريُّ يلمع في مُتونها الماذي<sup>(٢)</sup>  
فاقتحموا في وعرها وسهلها وذاك حين غفلة من أهلها  
ولم يكن للقوم من دفاع بخيل دري ولا أمتناع  
وقوض الإمام عند ذلك وقلبه صبَّ بما<sup>(٣)</sup> هُنالكَا  
حتى إذا ما حلَّ في المدينة وأهلها ذليلة مهينة  
أقمعها بالخيل والرجال من غير ما حرب ولا قتال  
وكان من أول شيء نظرًا فيه وما روى له ودبرًا  
تهذم لبابها والشور وكان ذاك أحسن التدبير  
حتى إذا صيرها برًا حتى وعينوا حرمتها مباحًا  
أقر<sup>(٤)</sup> بالتشديد والتأسيس في الجبل النَّاهي إلى عمرو<sup>(٥)</sup>  
حتى أَسْتَوَى فيها بناءً مُحْكَمٌ فَحَلَّه عامِلُه والحشمُ  
فعند ذاك أسلمت وأستسلمت مدينة الدماء بعد ما عتت

٥

١٠

### سنة إحدى وعشرين وثلثمائة

فيها مضى عبد الحميد ملتئم<sup>(٦)</sup> في أهبة وعُدَّة من الحشم  
حتى أتى الحصن الذي تَقَلَّعَا يحيى بن ذى الثَّوْن به وأمتنعَا  
فخطَّه من هَضْبَاتِ وِابٍ<sup>(٧)</sup> من غير تعنيت وغير حرب  
إلا بترغيب له في الطاعة وفي الدُّخُولَ مَدْخُلَ الْجَمَاعَةِ  
حتى أتى به الإمام راغبًا في الصَّفْحِ عن ذُنُوبِهِ وتائبًا  
فصَفَحَ الإمامُ عن جُنَايَتِهِ وقَبِلَ المَبْدُولَ من إِيَابَتِهِ

١٥

٣٧٧  
٣

(١) في بعض الأصول: «فوافقوا». (٢) في بعض الأصول: «الدرى»  
(٣) في بعض الأصول: «وقام صنديدا». (٤) في بعض الأصول: «أمر».  
(٥) انظر Spanish Islam 247 وابن الأبار (١٢٦).  
(٦) ملتئم، أى مصلحاً أمر نفسه مستعداً. وفي بعض الأصول: «مستلم».  
(٧) كذا في الأصول.

٢٠

ورده إلى الحصون ثانياً مسجلاً له عليها وآلياً

سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة

ثم غزا الإمام ذوالمجدين (١) في مئتا عشرين وأثنتين  
في فيلق مجمر لهم - مد كدك الروس والآكام -  
حاف الرئي لزعفه تجيش - تجيش في حافاته الجيوش  
كانهم جن على سعالى - وكلهم أمضى من الرئبال  
فافتحوا ملوندة (٢) ورومة - ومن حوالها حصون حيمه (٣)  
حتى أتاه المارق العجيب - مستجدياً كالتائب الغيب  
فخصه الإمام بالترحيب - والصفح والغفران للذنوب  
ثم حباه وكساه ووصل - بشاحج وصاهل لا يمشل  
كلاهما من مرة كب الخلاف - في حلية تعجز وصف الواصف  
وقال كن منا وأوطن قرطبه - ندنيك فيها من أجل مرتبه (٤)  
تكن وزيراً أعظم الناس خطر - وقائداً تنجي (٥) لنا هذا الفقر  
فقال إني ناقة من عاتى - وقد ترى تغيرى وصفرنى  
فإن رأيت سيدى إمامي - حتى أرم من صلاح حالي  
ثم أوافيك على أستعجال - بالأهل والأولاد والعيال  
وأوثق الإمام بالعهود - وجعل الله من الشهود  
فقبل الإمام من أيمانه - ورده عفواً إلى مكانه  
ثم أنته ربه البشاقص (٦) - تدلى إليه بالوداد الخالص

(١) في بعض الأصول : « الجديد » .

(٢) ملوندة : من حصون سرقسطة بالأندلس . (انظر معجم البلدان) .

(٣) في بعض الأصول : « جه » .

(٤) في بعض الأصول : نريك فيها في أجل مرتبه .

(٥) في بعض الأصول : « يحيى » .

(٦) يريد جمع بشكنس . وانظر الحاشية رقم (٤ ص ٥٠٩) من هذا الجزء .



جريدة<sup>(١)</sup> قائدُها دريُّ يلمع في مُتونها الماذي<sup>(٢)</sup>  
 فاقتحموا في وعرها وسهلها وذاك حين غفلة من أهلها  
 ولم يكن للقوم من دفاع بخيل دري ولا أمتناع  
 وقوض الإمام عند ذلك وقلبه صبَّ بما<sup>(٣)</sup> هنالك  
 حتى إذا ما حلَّ في المدينة وأهلها ذليلة مهينة  
 أقامها بالخيل والرجال من غير ما حرب ولا قتال  
 وكان من أول شيء نظرًا فيه وما روى له ودبرًا  
 تهدم لبابها والشور وكان ذلك أحسن التدبير  
 حتى إذا صيرها برًا وعابنوا حريمها مباحًا  
 أفر<sup>(٤)</sup> بالتشديد والتأسيس في الجبل القامى إلى عمرو<sup>(٥)</sup>  
 حتى استوى فيها بناء محكم فحمله عامله والحشم  
 فعند ذلك أسامت وأستسلمت مدينة الدماء بمد ما عتت

٥

١٠

### سنة إحدى وعشرين وثلثمائة

فيها مضى عبد الحميد ملتئم<sup>(٦)</sup> في أهبة وعدة من الحشم  
 حتى أتى الحصن الذي تقلعًا يحيط به ذى الثون به وأمتنعًا  
 فخطه من هضبات ولب<sup>(٧)</sup> من غير تعفيت وغير حرب  
 إلا بترغيب له في الطاعة وفي الدخول مدخل الجماعة  
 حتى أتى به الإمام راغبًا في الصفح عن ذنوبه وتائبًا  
 فصفتح الإمام عن جنائته وقبيل المبدول من إنايته

١٥

٣٧٧  
٢

(١) في بعض الأصول : « فوافقوا » . (٢) في بعض الأصول : « الدرى »  
 (٣) في بعض الأصول : « وقام صنديدا » . (٤) في بعض الأصول : « أمر » .  
 (٥) انظر Spanish Islam 247 وابن الأبار ( ١٢٦ ) .  
 (٦) ملتئم ، أى مصلحا أمر نفسه مستعدا . وفي بعض الأصول : « مستلم » .  
 (٧) كذا في الأصول .

٢٠

ورده إلى الحصون ثانياً مُسجلاً له عليها وآلياً

سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة

ثم غزا الإمام ذوالمجدين<sup>(١)</sup> في مُبتدأ عشرين واثنتين  
في فيلق مُجمهر لهم في مُد كدك الرؤوس والآكام  
حاف الرُّبى لرحفه تحيش تحيش في حافاته الجيوش  
كانهم جن على سعالى وكلهم أمضى من الرُّبى  
فاقتحموا ملوندة<sup>(٢)</sup> ورومة ومن حوالها حصون حيمة<sup>(٣)</sup>  
حتى أتاه المارق القجبي مستجدياً كالتائب النيب  
فخصه الإمام بالترحيب والصفح والغفران للذنوب  
نم حياه وكساه ووصل بشاحج وصاهل لا يُمتثل  
كلأهما من مراكب الخلائف في حلية تُعجز وصف الواصف  
وقال كن منا وأوطن قرطبه نذنيك فيها من أجل مرتبه<sup>(٤)</sup>  
تكن وزيراً أعظم الناس خطر وقد ترى تغيري وصفرتي  
فقال إني ناقة من علاتي وقائداً نجبي<sup>(٥)</sup> لنا هذا الثغر  
فإن رأيت سيدي إمامي حتى أرم من صلاح حالي  
نم أوافيك على أستعجال بالأهل والأولاد والعيال  
وأوثق الإمام بالعهود وجعل الله من الشهود  
فقبيل الإمام من أيمانه ورده عفواً إلى مكانه  
ثم أتته ربه البشاقص<sup>(٦)</sup> تدلى إليه بالوداد الخالصي

(١) في بعض الأصول : « الجديد » .

(٢) ملوندة : من حصون سرقسطة بالأندلس . ( انظر معجم البلدان ) .

(٣) في بعض الأصول : « حمة » .

(٤) في بعض الأصول : نزيك فيها في أجل مرتبه » .

(٥) في بعض الأصول : « يحيى » .

(٦) يريد جمع بشكنس . وانظر الحاشية رقم ( ٤ ص ٥٠٩ ) من هذا الجزء .

وأنها مُرسلة من عنده وجَدَّها متصلٌ بِجَدِّه  
واكتفلت بِكُلِّ بَنِي بِلُونِي وأطلقت أُسْرَى بَنِي ذِي النُّونِ  
فَأَوْعَدَ الإِمَامُ فِي تَأْمِينِهَا وَتَكَبَّ العِسْكَرَ عَنْ حُصُونِهَا  
ثُمَّ مَضَى بِالْعَزِّ وَالتَّمَكِينِ وَنَاصِرًا لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ  
فِي مُجَلَّةِ الرَايَاتِ وَالْعَسَاكِرِ وَفِي رِجَالِ الْعَصِيرِ وَالبَصَائِرِ  
إِلَى عِدَى اللَّهِ مِنَ الْجَلَالِقِ وَعَايِدِي الْمَخْلُوقِ دُونَ الْخَالِقِ  
فَدَمَّرُوا الشُّهُولَ وَالْقِلَاعَا وَهَتَّكَو الرُّبُوعَ وَالرَّبَاعَا<sup>(١)</sup>  
وَحَرَّبُوا الْحُصُونَ وَالْمَدَائِنَا وَأَنفَرُوا<sup>(٢)</sup> مِنْ أَهْلِهَا الْمَسَاكِنَا  
فَلَيْسَ فِي الدِّيَارِ مِنْ دِيَارٍ وَلَا بِهَا مِنْ نَافِخٍ لِلنَّارِ  
فَعَادَرُوا عُمرَانَهَا خَرَابَا وَبَدَّلُوا رُبُوعَهَا يَبَابَا<sup>(٣)</sup>  
وَبِالْقِلَاعِ أَحْرَقُوا الْحُصُونَ وَأَسْعَنُوا مِنْ أَهْلِهَا الْعُيُونَا  
ثُمَّ ثَنَّى الإِمَامُ مِنْ عِنَانِهِ وَقَدْ شَفَى الشَّجَى مِنْ أَشْجَانِهِ<sup>(٤)</sup>  
وَأَمَّنَ الْقِفَارَ مِنْ أَنْجَاسِهَا<sup>(٥)</sup> وَطَهَّرَ الْبِلَادَ مِنْ أَرْجَاسِهَا

٥

١٠

٣٧٨  
٣

### انتهت الأرجوزة

وكمل كتاب المسجدة الثانية من أخبار الخلفاء

١٥

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الزُّرُوعِ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَأَفْقَدُوا » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ :

فَعَادَرُوا الدُّورَ رَمَادَا وَبَدَّلُوا بِيَاضَهَا سَوَادَا

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « التَّجْبِي » .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « إِيجَابِهَا » .

٣٠

انتهى الجزء الرابع من العقد الفريد لابن عبد ربه حسب تخرننا  
وبليه الجزء الخامس وأوله : « كتاب البيمة الثانية في أخبار زياد والطالبيين » .



## فهرس الموضوعات

صفحة

خطبة ابن الأهم بين يدى عمر بن	
عبد العزيز ... .. ٩٣	
خطبة لعمر بن عبد العزيز ... ٩٥	
خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد ٩٥	
خطب بنى العباس	
خطبة أبى العباس السفاح بالشام ... ٩٧	
خطب المنصور ... .. ٩٧	
خطبة لسليمان بن على ... .. ٩٩	
خطبة عبد الملك بن صالح بن على ... ٩٩	
خطبة صالح ... .. ١٠٠	
خطب داود بن على ... .. ١٠٠	
خطبة المهدي ... .. ١٠١	
خطبة هارون الرشيد ... .. ١٠٢	
خطب المأمون ... .. ١٠٤	
خطب عبد الله بن الزبير ... .. ١٠٧	
خطب زياد ... .. ١١٠	
خطبة لجامع المحاربي ... .. ١١٤	
خطب الحجاج ... .. ١١٥	
خطبة لطاهر بن الحسين ... .. ١٢٤	
خطبة لعبد الله بن طاهر ... .. ١٢٤	
خطب لقتيبة بن مسلم ... .. ١٢٥	
خطبة ليزيد بن المهلب ... .. ١٢٧	
خطبة لقس بن ساعدة الإيادي ... ١٢٨	
خطبة لمائسة أم المؤمنين رحمها الله	
يوم الجمل ... .. ١٢٨	
خطبة لعبد الله بن مسعود ... .. ١٣٠	
خطبة لعنتية بن غزوان بعد فتح الأبله ١٣١	
خطب لعمر بن سعيد ... .. ١٣٢	
خطبة للأحنف بن قيس ... .. ١٣٤	
خطبة ليوسف بن عمر ... .. ١٣٤	
خطبة لشداد بن أوس الطائي ... ١٣٥	
خطبة لخالد بن عبد الله القسرى ... ١٣٥	
خطبة لمصعب بن الزبير ... .. ١٣٥	

صفحة

فرش كتاب المجنبة فى الأجوبة	
جواب عقيل بن أبى طالب لمعاوية	
وأصحابه ... .. ٤	
جواب ابن عباس رضى الله عنه	
لمعاوية وأصحابه ... .. ٧	
مجاوبة بنى هاشم وبنى عبد شمس لابن	
الزبير ... .. ١٣	
مجاوبة الحسن بن على لمعاوية وأصحابه ١٩	
مجاوبة بين معاوية وأصحابه ... ٢١	
مجاوبة بين بنى أمية ... .. ٢٣	
الجواب القاطع ... .. ٢٥	
مجاوبة الأمراء والرد عليهم ... ٢٧	
جواب فى هزل ... .. ٣٩	
جواب فى نقر ... .. ٤٦	
جواب ابن أبى دواد ... .. ٥٠	
جواب فى تفحش ... .. ٥٠	
فرش كتاب الخطب	
خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم	
فى حجة الوداع ... .. ٥٧	
خطب أبى بكر رضى الله عنه ... .. ٥٨	
خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٦٣	
خطبة لعمان بن عفان رضى الله عنه ٦٦	
خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب	
رضى الله عنه ... .. ٦٦	
خطب معاوية ... .. ٨١	
ومما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية ٨٣	
خطب يزيد بن معاوية ... .. ٨٩	
خطبة عبد الملك بن مروان ... .. ٩٠	
خطبة الوليد بن عبد الملك ... .. ٩١	
خطبة لسليمان بن عبد الملك ... .. ٩١	
خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله	
ورضى عنه ... .. ٩٢	

صفحة	
٢٠٠	قولهم في الخبر
٢٠١	وفي الأعلام
٢٠١	قولهم في الصحف

#### توقيعات الخلفاء

٢٠٥	عمر بن الخطاب
٢٠٦	عثمان بن عفان
٢٠٦	علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
٢٠٦	معاوية بن أبي سفيان
٢٠٧	يزيد بن معاوية
٢٠٧	عبد الله بن مروان
٢٠٨	الوليد بن عبد الملك
٢٠٨	سليمان بن عبد الملك
٢٠٨	عمر بن عبد العزيز
٢٠٩	يزيد بن عبد الملك
٢٠٩	هشام بن عبد الملك
٢١٠	يزيد بن الوليد بن عبد الملك
٢١٠	مروان بن محمد

#### توقيعات بني العباس

٢١١	السفاح
٢١١	أبو جعفر
٢١٢	المهدي
٢١٣	موسى الهادي
٢١٣	هارون الرشيد
٢١٥	المأمون

#### توقيعات الأمراء والكبراء

٢١٧	زياد
٢١٧	الحجاج بن يوسف
٢١٨	أبو مسلم
٢١٩	جعفر بن يحيى
٢٢٠	الفضل بن سهل
٢٢٠	الحسن بن سهل ذو الرياستين
٢٢١	طاهر بن الحسين
٢٢٢	توقيعات المعجم

صفحة	
١٣٦	خطبة للنعمان بن بشير بالكوفة
١٣٦	خطبة شبيب بن شبة
١٣٧	خطبة لعتبة بن أبي سفيان

#### خطب الخوارج

١٤١	خطبة لقطرى بن الفجاءة في ذم الدنيا
١٤٤	خطب لأبي حمزة
١٤٧	من ارتج عليه في خطبته
١٤٩	خطب النكاح
١٥١	خطب الأعراب

#### فرش كتاب التوقيعات والفصول

١٥٦	أول من وضع الكتابة
١٥٨	استفتاح السكتب
١٥٨	ختم الكتاب وعنوانه
١٥٩	تاريخ الكتاب
١٦٠	تفسير الألف
١٦٠	شرف الكتاب وفضلهم
١٦٣	أيام أبي بكر رضى الله عنه
١٦٣	أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه
١٦٤	أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه
١٦٤	أيام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
١٦٥	الدولة العباسية
١٦٧	أسماء من كتب لغير خليفة
١٦٨	أشراف الكتاب
١٦٩	من نزل بالكتابة وكان من قبل خاملاً
	من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحقها
١٧٠	صفة الكتاب
١٧٢	ما ينبغي للكتاب أن يأخذ به نفسه
١٧٥	خير حائك الكلام
١٧٩	فضائل الكتابة
١٨٠	ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها
١٨٩	البلاغة
١٩٠	تضمنين الأسرار في السكتب
١٩١	قولهم في الأعلام

صفحة	صفحة
نسب أبي بكر الصديق وصفته رضى	فصول في المودة ... ٢٢٣
الله عنه ... ٢٥٥	فصول في الزيارة ... ٢٢٥
خلافة أبي بكر رضى الله عنه ... ٢٥٦	فصول في وصاة ... ٢٢٧
سفينة بنى ساعدة ... ٢٥٧	فصول في عتاب ... ٢٢٨
الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر ... ٢٥٩	فصول في التنصل ... ٢٣٠
فضائل أبي بكر رضى الله عنه ... ٢٦١	فصول في حسن التواصل ... ٢٣١
وفاة أبي بكر الصديق رضى الله عنه ... ٢٦٣	فصول في الشكر ... ٢٣٣
استخلاف أبي بكر لعمر ... ٢٦٧	فصول في البلاغة ... ٢٣٤
نسب عمر بن الخطاب وصفته ... ٢٦٩	فصول في المدح ... ٢٣٤
فضائل عمر بن الخطاب ... ٢٧٠	فصول في الدم ... ٢٣٦
مقتل عمر ... ٢٧٢	فصول في الأدب ... ٢٣٧
أمر الشورى في خلافة عثمان بن عفان ... ٢٧٣	فصول إلى عليل ... ٢٣٨
نسب عثمان وصفته ... ٢٨٤	فصول إلى خليفة وأمر ... ٢٣٩
فضائل عثمان ... ٢٨٥	فصول لعمر بن بحر الجاحظ ... ٢٤٢
مقتل عثمان بن عفان ... ٢٨٦	صدور إلى خليفة ... ٢٤٦
الفواد الذين أقبلوا إلى عثمان ... ٢٩٢	صدور إلى ولي عهد ... ٢٤٦
ما قالوا في قتلة عثمان ... ٢٩٥	صدور إلى ولي شرطة ... ٢٤٦
في مقتل عثمان بن عفان ... ٢٩٨	صدور إلى قاض ... ٢٤٦
تبرؤ على من دم عثمان ... ٣٠٢	صدور إلى عالم ... ٢٤٦
ما نقم الناس على عثمان ... ٣٠٥	صدور إلى إخوان ... ٢٤٧
خلافة علي بن أبي طالب رضى الله عنه ... ٣١٠	صدور في عتاب ... ٢٤٧
نسب علي بن أبي طالب وصفته ... ٣١٠	
فضائل علي بن أبي طالب كرم الله	
وجهه ... ٣١١	فرش كتاب المسجدة الثانية
يوم الجمل ... ٣١٣	في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم
مقتل طلحة ... ٣٢٠	أخبار الخلفاء
مقتل الزبير بن العوام ... ٣٢٢	
ومن حديث الجمل ... ٣٢٥	نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم ٢٤٩
قولهم في أصحاب الجمل ... ٣٣٠	مولد النبي صلى الله عليه وسلم ٢٤٩
أخبار علي ومعاوية ... ٣٣٢	اليوم والشهر الذي هاجر فيه صلى
يوم صفين ... ٣٣٧	الله عليه وسلم ٢٥٠
مقتل عمار بن ياسر ... ٣٤٠	صفة النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥٠
من حرب صفين ... ٣٤٣	هيئة النبي وقعدته صلى الله عليه وسلم ٢٥٠
خبر عمرو بن العاص مع معاوية ... ٢٤٥	شرف بيت النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥١
أمر الحكمين ... ٣٤٦	أبو النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥٢
احتجاج على وأهل بيته في الحكمين ٣٥٠	ولد النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥٢
احتجاج على أهل النهروان ٢٥١	أزواجه صلى الله عليه وسلم ٢٥٢
خروج عبد الله بن عباس على علي ٣٥٤	كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥٤
مقتل علي بن أبي طالب رضى الله عنه ٣٥٩	وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥٤

صفحة	صفحة
٤٣٠ ... وفاة سليمان بن عبيد الملك	٣٦١ ... ... خلافة الحس بن على
٤٣٢ ... ... خلافة عمر بن عبد العزيز	٣٦٢ ... ... خلافة معاوية
٤٣٣ ... ... أخبار عمر بن عبد العزيز	٣٦٣ ... ... فضائل معاوية
٤٣٩ ... ... وفاة عمر بن عبد العزيز	٣٦٤ ... ... أخبار معاوية
٤٤١ ... ... خلافة يزيد بن عبد الملك	٣٦٨ ... ... طلب معاوية البيعة ليزيد
٤٤١ ... ... أسماء ولد يزيد	٣٧٢ ... ... وفاة معاوية
٤٤٥ ... ... خلافة هشام بن عبد الملك	٣٧٥ ... ... خلافة يزيد بن معاوية ونسبه وصفته
٤٤٥ ... ... أسماء ولد هشام بن عبد الملك	٣٧٥ ... ... أولاد يزيد
٤٤٥ ... ... أخبار هشام بن عبد الملك	٣٧٦ ... ... مقتل الحسين بن على
٤٥٢ ... ... خلافة الوليد بن عبد الملك	تسمية من قتل مع الحسين بن على
٤٦١ ... ... مقتل الوليد بن يزيد	رضى الله عنهما
٤٦٤ ... ... ولاية يزيد الناقص	حديث الزهري في قتل الحسين رضى
٤٦٥ ... ... ولاية إبراهيم بن الوليد المخلوع	الله عنه
٤٦٨ ... ... ولاية مروان بن محمد بن مروان	وقعة الحرة
٤٦٩ ... ... ولد مروان	وفاة يزيد بن معاوية
٤٦٩ ... ... مقتل مروان بن محمد بن مروان	خلافة معاوية بن يزيد
أخبار الدولة العباسية	فتنة ابن الزبير
مقتل زيد بن على أيام هشام بن	دولة بني مروان ووقعة مرج راهط
عبد الملك	ولاية عبد الله بن مروان
٤٨٧ ... ...	خبر المختار بن أبي عبيد
خلفاء بني أمية بالأندلس	مقتل عمرو بن سعيد الأشدق
عبد الرحمن بن معاوية بن هشام	مقتل مصعب بن الزبير
هشام بن عبد الرحمن	مقتل عبد الله بن الزبير
الحكم بن هشام	أولاد عبد الملك بن مروان
عبد الرحمن بن الحكم	وفاة عبد الملك بن مروان
محمد بن عبد الرحمن	ولاية الوليد بن عبد الملك
المنذر بن محمد	ولد الوليد بن عبد الملك
عبد الله بن محمد	أخبار الوليد
عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين	ولاية سليمان بن عبد الملك
الأرجوزة	ولد سليمان
	أخبار سليمان بن عبد الملك